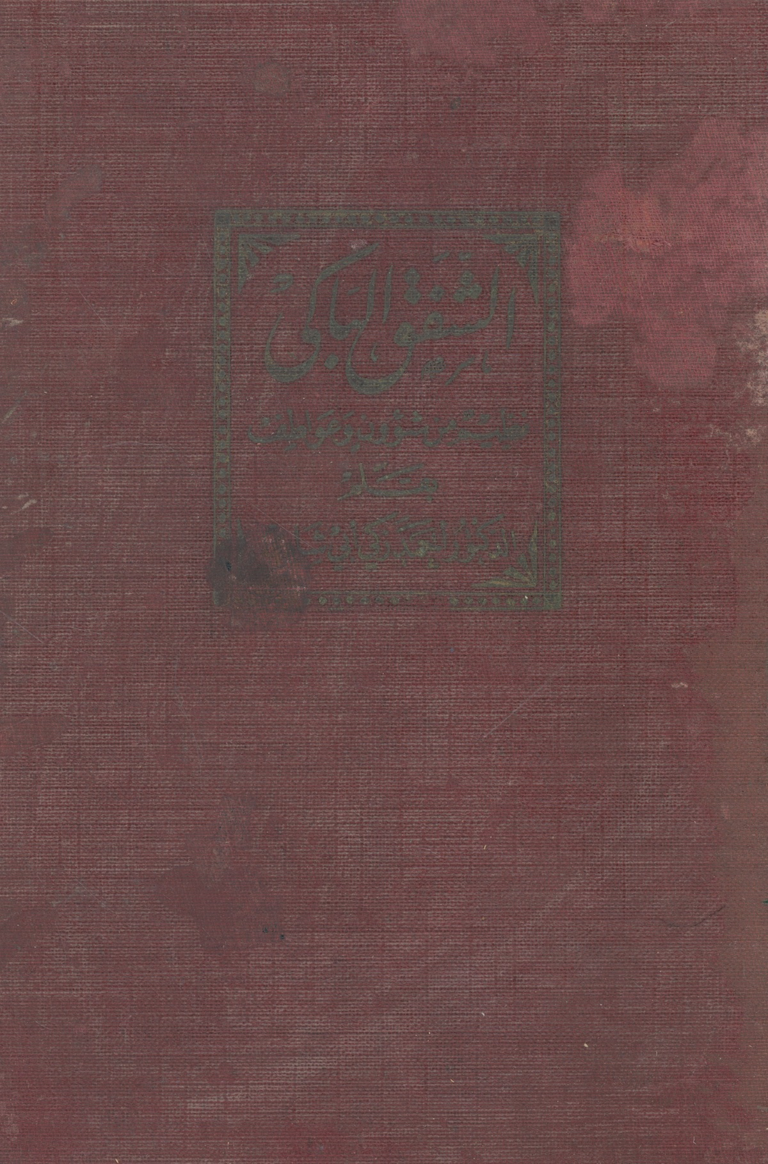
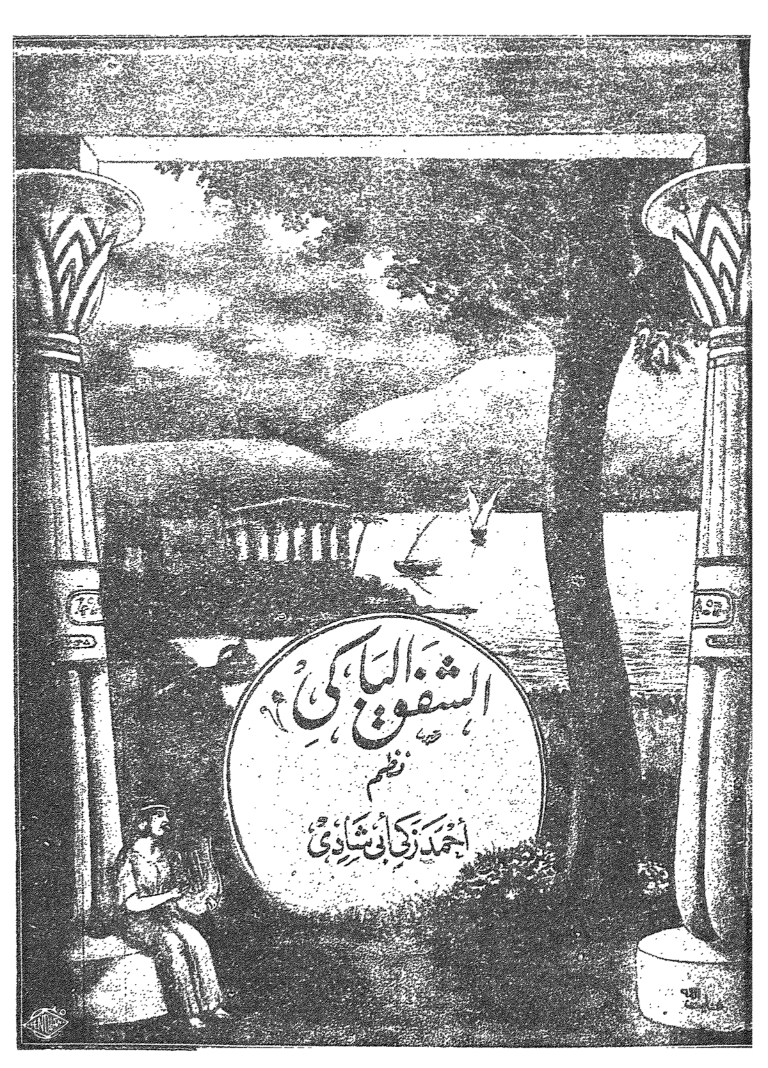


الشفق الباكي

نظيم من شؤون وعواطف

بقلم

الدكتور أحمد زكي أبو شادي



المطبعة السلفية - بمصر

الشفق الباكي

نظيم من شؤون وعواطف

بقلم

الدكتور أحمد زكي أبي شادي

عُني بنشره

حسن صالح الجداوي

ليسانسيه في القانون (باريز) ودبلوميه تجارة عليا (ليون)



١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م



المطبعة السلفية - بمصر

إهداء الديوان

الى شمسي الغائبة

أزفُّ اليكِ اليومَ ديوانَ حكمتي
نَدِيًّ أزاهيرٍ حُفِفْنَ بأشواكِ

وفي كلِّ مرأىً ضاحكٍ بَعْضُ دمعةٍ
وفي كلِّ فَصْلٍ للجمالِ محيّاكِ

حيـاتي وأشجاني ببُعْدِكِ حالُها
كحالِ غروبِ الشّمسِ والشّفقِ الباكي

نأيْتِ فما شاهدتِ حزني ولوعتي
وما كان هذا الحزنُ والبثُّ لولاكِ

ولـكنَّ للآدابِ عَيْنًا بصيرةً
تصونُ بهذا الشِّعْرِ من أثرِ الشّاكي

لعلّكِ في إشراقِ صُبْحِكِ مرةً
ترَيْنَ بقايا العشقِ حنَّ لمرآكِ

فـكلُّ حبوري منكِ إلهامُ صفوِهِ
وكلُّ زفيري منكِ مصدرُهُ الذّاكي

الناظم

مُقَدِّمَةُ النَّاشِر

الطبعة الاولى

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الظروف ستسمح لي مُسْعِدَةً بنشر هذا الأثر الأدبي النفيس ، ولكنَّ وفاءَ صديقي الشاعر أبى الا أن يتركَ نشرَه لي وإنْ تفرّقنا ، مُعْرِضاً عن كلّ اقتراح يحرمني مِنْ لذّة الاشتراك في إذاعة هذا الشّعر الكريم . وسواء أسمحتْ ظروفُ المستقبل أم لم تسمح بمتابعة هذه الخدمة الخالصة لوجه الأدب ، فأحسبُ أنْ ما سلف لي من دراسةٍ وتحليلٍ لشعر أبي شادي — في مصنفات ودواوين سابقة — فيه الغُنْيَةُ الوافية للأديب الذي يريد أن ينهجَ نهجي في دراسة الشعر ، ويودّ أن يميّز بين الفني المطبوع والصانع الماهر ، فالأول يعيش اثرُهُ خالداً بعده لأنه الجوهر الصادق المطلوب في كلّ جيلٍ مهما تنوّعتْ المظاهر والبيئات ، والثاني انْ عاش اثرُهُ بعد عصره فانما يعيش كمثال تاريخيّ أو كنموذج من العاديّات لا أكثر . . . . وما دواوين شاعرنا النابغة الا سلسلة متصلة الحلقات متممةٌ قصائدها لوَحدتها ، ومكمّلة

لنظرات الشاعر ولفلسفته وآرائه التي لا تُحَدُّ بقطع معيَّنة من نظمه فكلما ازددتَ قراءة له زادَ تقديرك له واعجابك به .

وأحسبُ انّ مابلغه الشاعرُ من شهرةٍ وتقدير ـ سمحالبعض فطاحل ادبائنا ان ينظر لجليـل معانيه ومراميه بل وينتحلها احياناً شغفاً بسموّها وصفائها وعذوبتهاـ ممـا يبرّر ايجازي في هذه المقدّمة ، ولو ايجازاً نسبياً ، مقتصراً على طائفة من الملاحظات والشروح التي قد تلذّ المعاصرين من الادباء كما قد يرضى عنها ابناء المستقبل .

سألتُ الاستاذَ اباشادي ذات مرة عن تفسيره لشغف العقل الانساني بالشعر ، فكان جوابهُ الفلسفي انَّ الحياةَ الانسانية في نظره ـ وتطبيقاً لما كشفه العلمُ الحديث ـ ليست سوى نوع من أنواع الكهربائية ، وجوهرها التموّجات المنظمة الدقيقة ، وما الشعرُ في جوهره الا امواج منظمة معنى ومبنى ، فصلةُ الحنـان بينه وبين العقـل الانساني متينةٌ من هذه الوجهة . وما يُقال عن الشعر يُقال عن جميع الفنون الجميلة ، وعن كل مظهر للجمال تبدو فيه هذه التموجات ، او مظاهر الحياة والنظام ، او مشاهد القدرة والاستطاعة ، فالرابطةُ بينها وان استعصى تفسيرُها احياناً ليست بالخفية اذا عمدنا الى طريقة التحليل والمقابلة والمقارنة . وما الشعر

إلاَّ صورة مُشْبَتة من الحياة ، ولهذا نحنُّ اليها ونعجبُ بهـا ، وتهزُّنا هزاً ، وكلما ازداد وفرةً في الجمال وكان صافياً كان تأثيرُه أبلغ !

شاعرٌ هذه نظرتهُ للشعر ، وهذا تفسيرُهُ لنشأته ، قمينٌ أن تبلغ من وجدانك دعوتهُ اضعاف ما يبلغهُ شعرُ الصناعة والتقليد الذي لاينمّ عن عبقرية ولا عن الهام صادق . وقد قيل لي انَّ المرانةَ الطويلةَ على القريض ينشأ عنها مركزٌ او شبهُ مركز في المخ يحنُّ دائما الى العمل ، ويُسعفُ صاحبه بما يستمدُّهُ من تجاريب ونظرات كلما أراد النظمَ ، وسواء اصحّ هـذا الاستنتاجُ ام لم يصحَّ فالمشهودُ انّ الشاعرَ المطبوعَ فيّاضُ القريحة سواء اعتمد على حافظته او على قلمه السيّال في تدوين الانغـام التي تتألف في ذهنه . وعندنا في صفات شاعرنا دليلٌ مادي يدعونا الى التأمل في هـذه النظرية . فهو عادةً لا يجاري والده ولا الـكاظمي ولا شوقي مثلاً في الاملاء ولـكنَّ قلمَه يجري بالشعر العزيز جرياً اذا دفعه دافعٌ وجدانيٌّ قويٌّ ، فينظم القصيدة العـامرة المناهزة للخمسين أو للستين بيتاً في ساعتيْ زمن أو أقلّ ، وقلما ينظر اليها بعد ذلك نظرة تنقيح، وحسبك مرثيته الخالدة « مصرع أبي هيف »

وقصيدته « كارثة دمشق » ونونيته في « عبد الكريم » ورائيته في « المؤتمر الوطني » وقصيدته في « يوبيل المقتطف » وصيحته الوطنية من أجل « الدستور الفاتح » وغيرها من غرر شعره الحيّ الدافق !

ومن العجيب انّ شاعراً هذا فيضُ قريحته يُؤثر أن يُتْرَكَ في عزلته اذا نظم ، ويُؤثر السكونَ وحسنَ المنظر حوله ، ولا يطلب مُعيناً الاّ راحة فكره من اعماله العلمية المجهدة ، على انّ القريض لن يَعصيه عادةً اذا عالجه في ايّ وقت شاء (وكثيراً ما يكون متعبًا) ، وان كنتُ لا أقول في ايّ موضوع ، فهو لا ينظم الاّ في موضوع له أثرٌ في فؤاده ولبّه . ولاأدري ماذا كُنَّا نرجو من آثار قلمه لو انّ مثله انقطع للأدب بدل ان يختلس الوقت له اختلاساً ، ولم يوزّع ذهنه ومجهوده في دراسات وأعمال منوّعة شاقة (١) .

---

(١) بين المحافظين من لا يزال يتوهم ان الشاعر بل الاديب عامة يجب أن يكون من « المتشردين » ليستحق صفة الاديب . وسابقا انكروا على شوقي بك — وهو الرجل القانوني — أن يكون شاعراً ، ووجهوا مثل هذا النقد الى حافظ بك ابراهيم والى المرحوم عبد الحليم المصري لانهما من رجال السيف ، والى خليل بك مطران لأنه من رجال الحساب والاقتصاد ، والى الدكتورين رفعت وشميل لانهما طبيبان ، كأنما الشعر ليس فطرة وطبعاً أصيلاً ، وكأنما الادب ليس ملكة موروثة قبل أن يكون اكتسابا . . . . ! لكن هذه الاوهام قد آذنت بالزوال التام . . . واذا كان رجل طبيعته

من أصدقِ صفات شاعرِنا اخلاصُهُ لفنّه الشعري وحبُّه الجمُّ له ، ومن أصدقِها أيضاً شغفُهُ بالجمال على تنوّعِ صُورِه ، ومن أحسنِها ثباتُهُ على المبدأ الصالح وعطفُهُ على أخيه الأديب كيفما كانت مرتبتُهُ الاجتماعية . متواضعٌ في نظرتِهِ الى جلالِ الكون ورهبتِهِ الذي لا يعدّ الانسان بالمقارنة اكثر من ذرّة تائهة فيه ، معتدٌّ بنفسه عند هُزئِهِ ببعض النظم الاجتماعية السخيفة التي تمنح العزّة والقوة للمال الحرام وللمظاهر الكاذبة ، فخورٌ حيثما كان للفخر

الانجليز مثل المغفور له الدكتور براون يبلغ بتضلعه الادبي اساتذة اللغة العربية بجامعة (كيمبردج) ، فالاولى بنا ان لا نغمط فضل شاعر كبير بيننا مثل الدكتور أبي شادي لمجرد انه طبيب ضليع في علمه . وهذا يذكرني بقول الاستاذ الفاضل أحمد حسنين القرني في مقال جامع نشرته صحيفة (الامل) بعنوان شعراء الاطباء : « بين جموع الاطباء الاقدمين جماعة لم تعقهم المهنة أو تقعد بهم عن العناية بالفلسفة ، ودراسة الحكمة ، والتعمق في المباحث الادبية ، بل لقد غلبت على بعضهم تلك الفنون فبرزوا فيها ، واستتر وراء عرفانهم بها نبوغهم في الطب كما يتوارى القمر تحت تأثير أشعة الشمس اللامعة . وهاك ابن سينا مثلا فانك ان تعرضت له بدرس تحليلي فانما تأتي على ناحيته الفلسفية وأسلوبه الادبي ، ثم قد تذكر أخيرا مباحثه الطبية ومكانته منها كما تذكر سقراط وأرسطو بالحكمة قبل ذكرهما بالطب ، وانه وان لم يكن هناك من سما به الشعر سمو الفلسفة بابن سينا والحكمة بسقراط لأن هناك شعرا سما به خيالهم ورق اسلوبهم فخلفوا شعرا جديرا بالدرس والتحليل تظلمه ان سميته نظما ، فانما هو نتاج عقلية ناضجة الشاعرية ، ومحصول نفس فياضة بالعاطفة ».

أثرٌ صالحٌ في تحبيذ الخدمة القومية والبرِّ بالانسانية ، وبهذا يذكّرنا قوله :

لستُ الفخورَ ـ وإنْ فخرتُ ـ فانّني
طَوْعٌ لنهضةِ امّتي بفخاري !

ومن صفاته المحمودة تخليه عن التقليد الذي اتّصفَ به العقلُ المصريُّ وحبُّه للابتكار والابداع . ويرجعُ ذلك في نظري الى عاملين قويين : أوّلهما اقامته الطويلة في الأوساطِ الأوربية حيث يمتاز العقلُ الأوربيُّ بحبِّ التجديد والتفنُّن في ذلك ، وثانيهما معارفه العلميةُ الدقيقة التي تخصَّص فيها ، فانَّها وهبته قوة التحليل العظيمة التي امتاز بها سابقًا شعرُ ابن الرومي ونُخبٌ من شعرِ مهيار الديلمي كما امتاز بها في عصرنا شعر مطران وشعر جبران خليل جبران ومن نحا نحوهما . لذلك أُخالف جمهرةَ الأدباء في حسبانهم انَّ الأدبَ قد خسر كثيراً بعدم انقطاع الاستاذ ابي شادي له ، وحسبنا شهادة الشاعر نفسه في قصيدته الفريدة «المجهر — The Microscope» حيث يقول :

صَحِبتُكَ عُمْراً في وفاءٍ ومُتعةٍ
فكنتَ لفنّي مُلهِماً ولأفكاري . .

فكم من بيانٍ لاحَ لي منكَ مُرْشِداً
وكم من معانٍ قد وهبتَ وأسرارِ
ويُذهلُ قوماً أن يحبّكَ شاعرٌ
وما عرفوا فنّي الدقيقَ وأشعاري
فمثلكَ استاذٌ للبّي وخاطري
وأكبرُ فنّانٍ[1] يُخَصُّ باكباري
ولستَ جماداً من نحاسٍ ومَجْمَعٍ
من العدساتِ الهاتكاتِ لاستارِ!

وموهبةُ التحليل هذه جعلته كالمصوّرة الشمسيّة الممتازة اللاقطة لأدقّ الأشعة، البارعة الأثر فيما تمنحنا من صُوَرٍ، لهذا لا يمكن لمثل شاعريته أن تتنحّى عن اعطاء صورة صادقة لحياة عصره، وأمثلة ذلك كثيرةٌ في شعره كما سيرى القارىء.

واذا قُدّر للجمهور المصري خاصةً ولأبناء العرب عامةً عرفان الجميل لادبائه، ففي طليعة هؤلاء الادباء البررة الاستاذ الدكتور ابو شادي، وهو القائل الفاعل:

---

(١) كلمة « فنّان » عصرية الوضع وهي بمعنى « مفتنّ » ولكنها أرق سمعا وأجمل صياغة.

اسمحْ لِشعري أن يبرَّ بقدرِهِ
ما الشِّعرُ بين تثاؤبٍ وخمولِ

شعري كنَبْعٍ مُدَّ من عيني ومن
حِسِّي الدفينِ وخاطري المصقولِ

هيهات يرجعُ عن وفاء دافقٍ
للفنِّ أو عن طبعِهِ المجبولِ

مهما يفضْ فسخاؤُهُ لا ينتهي
في فيضِهِ المعشوقِ والمبذولِ

في كلِّ يومٍ بل بكلِّ دقيقةٍ
صُوَرٌ تُصَانُ لحسنِهِ المأمولِ

حتى تسيلَ مُشَعْشَاتٍ مِلْأَه
سيانِ بين جداولٍ وسيولِ

فهو المصوِّرُ للحياةِ وسرِّها
وهوَ الجديرُ بصالحاتِ رسولِ

ويُعَدُّ إقلالاً كثيرُ نشاطِهِ
في عصرِ أعمالٍ وجيلِ عُقولِ !

ما الشعرُ تفكهةَ العليلِ وإنما
الشّعرُ إلهامٌ ونهضةُ جيلِ
فإذا تدفّقَ راوياً بل مُخصِباً
سامَى وإلا عُدَّ غيرَ جليلِ!

ومن صفاته المتازة — رغم حنينهِ الدائم المؤثر ووفائه لذكرى صباه وما تمثّل فيه من جمالٍ وغرام — عفافُ نفسِهِ، فهو بحقٍّ من أعفّ شعرائنا إن لم أقل أعفّهم، ولهذا أثرٌ صالحٌ في شعرِه. يُسيغ لكَ كلَّ غزلهِ البديع مهما أسرف فيه أحياناً، لأنك تشعر بأنّه إسرافُ الذاكر لحبّه الأول، وإسرافُ المتبتّل في عبادة الجمال على تنوّع صوَرِهِ... تُتابعُهُ في إسرافِهِ هذا قريراً، لأنه رغم جرأته التحليلية لا يخجلك بل لا يخجل العذراء في خدرها بلفظٍ نابٍ أو بمعنى سقيمٍ بغيض.

وشاعرنا الآن في منتصف العقد الرابع من عمره، فاذا بشعره في المواقف المناسبة — كشأنه في رثاء أبي هيف ومحمود مراد وسليم سركيس — شعرُ الحكمة والفلسفة الدقيقة الممتاز بالتحليل والاستنتاج قبل الشك والحيرة — وانّي لأدعو له بطول العمر، وأتنبأُ لشعره الحكيم كلما مرَّ الزمنُ بفتح خالدٍ جديدٍ في دراسة

النَّفس الانسانية وعوامل الحليقة . وسيتمتّع القارئ بأمثلة شائقة لهذا الضرب من الشعر في ثنايا ما يطالعه من قصائد لا يقلُّ عن تمتُّعِهِ بموسيقى غزليات الشاعر ، أو بصُوَر وصفه المجسَّمة الناطقة .

وإذا ذكرنا أشعاره الوطنية وجب أن نذكر على الأخص قصائده « النهضة إرادة » و « مصر للحضارة » و « الكبرياء القومية » ، وأن لا ننسى قوله :

حاشايَ أن أدعو الديارَ دياري

وأخونَ في يوم الوفاء شعاري !

فهو في ميدان الأدب القومي — شأنه في كل مجال — لا ينظم عن زهو أو مجاراة أو رهبة ، وإنما عن يقين ومبدأ ، فينشد يوم الكريهة :

لِمَ لا أغرّد ضاحكاً في غضبتي

لِمَ لا أسيرُ بطلعةِ الثُّوّارِ ؟ !

الشاعرُ المطبوعُ قائدُ قومِهِ

بالفكرِ والإلهامِ والآثارِ !

فهو من شعرائنا القليلين المعدودين الذين نأخذ عنهم شعر الوطنية وحياً صادقاً ، وإلهاما دافقاً ، وتعاليمَ حيَّة ، لا يأتيها الباطل

من أيّة جهة ، ولهذا كان شعرُهُ القوميُّ كثيرَ التردُّد على ألسنة الشّباب ومضربَ المثل في الحماسة الشريفة المنتجة .

لقد ذكرتُ في كتاب (**نظرات نقدية في شعر أبي شادي**) بيانًا كافيًا عن أسلوب الشاعر وذوقه الموسيقي ، وأقول هنا بالاجمال إنَّ شاعرنا في اختياره اللفظي من ينطبق عليه صدقًا وصف خليل بك مطران له :

وشاعرٌ رقيقـــهُ   ذو روعةٍ كجزالهِ

وهو إذا تعمد استعمال ألفاظ مطبوعة بطابعه الخاص ، أو اذا جاءتْ الحسناءُ من قصائده الغزلية أو الوصفية مثلا غير منمّقة التنميق المألوف ، فذلك لأن نزعته الفنية قد تعشق الجمال الفطري المعربد أحيانًا ، وصدّقني — أيها القارىء العزيز — انَّ للجمال المعربد فتنة وسحراً لن يبلغها التنميقُ والتزويق في كثير من الاحوال . . . . !! (1)

ويجب أن لا تفوتني الإشارة الى خصبه وقوّته الانتاجية المدهشة بالرغم من شواغله العلميّة والفنية المتنوعة التي تكاد لا

(1) أخذ على بعض الادباء تشجيعي لصديقي الاستاذ صاحب الديوان في نزعاته التجديدية الجريئة كالشعر المرسل (سواء أكان مطلق القافية اطلاقا تاما أم منوعها) وتنويع البحور وغير ذلك . ويكفيني أن أحيل هؤلاء الافاضل الى كتاب (الخصائص) للعلامة ابن جني ، والى امهات كتب العروض والبيان ليروا

تُحَدُّ، فهذه القوَّةُ الانتاجيةَ وليدةُ لذتِهِ الفنيّةِ وحدها، وليست وليدة الحاجة أو الرهبة أو المجاملة أو الزَّهو الكاذب، وإلاَّ فانه ما كان يعارض التيَّارَ والأهواء التي لاتوافق مشربَه، بينما غيره يجاريها ويتقلب معها بلا حساب لينالَ التصفيق من رجال كلِّ

بأعينهم وعقولهم كيف أن الشعر واللغة أصلا على سعة عظيمة من الحرية، وكيف ان بحور الشعر العربي المشهورة كثيرة الزحاف والعلة مما يجعلها متقاربة الوزن لامتماثلة تماما، وكيف يسوغ لنا بعد ذلك الاستنتاج بان العرب قديما كانت تنشد الشعر في القصيدة الواحدة من أوزان متقاربة، وكيف انه توجد بحور كثيرة غير مدونة، وكيف ان واضع علم العروض الخليل بن احمد الفراهيدي من علماء القرن الثاني للهجرة لم يحتم على الناس اتباع آرائه واستنتاجاته عن أساليب العرب الجاهليين بل اعترف بجواز المخالفة له حتى ان بعض المقلدين قال لابي العتاهية (وكان معاصراً للخليل) نقدا لبعض شعره: «خرجت فيه عن العروض»، فقال: «سبقت أنا العروض»....!! وبديهي أنه يستحيل على شاعر مطبوع أن يجيء شعره خاليا من الوزن أي مكسور النظم، ولكن من الجائز أن ينشد من بحور متقاربة بحكم الفطرة والسليقة، دون أن يفسد الموسيقى العامة للقصيدة، بل قد يكون التنويع مستحبا، وقد يساعد أحسن مساعدة على تمام الاداء للمعنى، فمن العبث نقد هذا التفنن والاقتدار والالهام الفطري، ومن التعامل وعبادة التقاليد تسمية هذه المواهب باضدادها. ان الشعر العربي بنشأته متجاور الوزن في البحر الواحد لا متماثله، فلماذا لانستعمل بحوراً متجاورة في القصيدة الواحدة؟ لقد كان المتنبي في مجهوده الادبي يعمل لارضاء صديقه ابن جني كما قال المتنبي ذاته، واني لا اجهل اثر صحبتي ومعاشرتي في نفسية ونزعات صديقي الاستاذ ابي شادي، واني في طليعة من حثوه على الاستمرار في ميوله الحرة، وحسبي أن أقول لاخواني الادباء المحافظين الناقدين ماقاله الاستاذ الدكتور طه حسين للاستاذ الشيخ علام سلامة «... ما رأي الاستاذ اذا قلت له ان النحو لم تكمل مباحثه بعد رغم ما كتبه

حكم وعهد . وهذه صفة طيبة نذكرها بالشكر والفخر ، ونقرن ذكرها بأطيب الدعوات لعافيته وراحته النفسية .

كذلك يسرّني تكرار الاشادة بعطفه على اخوانه الادباء[1] وقوله : « فكلُّ أديبٍ للأديبِ قريبُ » ، يمثل عاطفةً حيّةً في نفسهِ ومذهباً يدينُ به لا يفتش عن عيوب الناس وانما يُعنى بحسناتهم ليطرب لها ويذيعها . يكفيه أن يعلم أنك من اسرة الأدباء ليُقبل على مودتك فيجاذبك الحديثَ بشغفٍ واخلاص وبساطة بعيداً كل البعد عن التكلف . وهو يشمئزّ من المفاضلة بين الادباء التي لحمتها وسداها التحاسد والفخر الكاذب ، ويغتبط بتشجيع كلّ أديبٍ شريفٍ عامل ، وباقالةِ العاثر من عثاره ، معتبراً غيرَه من الادباء كنفسه

سيبويه وابن خروف وابن عصفور وابن هشام وابن مالك ومن اليهم من اعلام الشرق والغرب الاسلاميين ؟ بل ما رأي الاستاذ اذا قلت له ان كل علوم اللغة العربية لم تنته عند غايتها ولم تكمل مباحثها بل هي في حاجة الى التجريد واستئناف الدرس ، ولا سيما النحو والصرف وعلوم البلاغة؟ وما رأي الاستاذ ان قلت له ان الادب العربي كله محتاج الى التجديد واستئناف الدرس ؟ »

هذه هي تماما نفسية أبي شادي التي شجعتها من صميم نفسي ، ولي الحظ والشرف باشتراكي في ذنبه ان كان لهذه النزعة الهادمة البانية جريرة وذنب .....!!

(١) نشرت في الديوان أمثلة من هذا الود الادبي ، ونقلت بالزنكوغراف بعض النماذج من رسائل مشاهير الادباء (كما سبق لي مثل ذلك في ديوان « أنين ورنين ») تقديراً لمنزلة كاتبيها الافاضل .

خدّاماً لدولة الأدب ، فمن أوجب الواجبات عليهم جميعاً التضامن والتعاون القلبي والعمل على رفعة هذه الدولة ونشر نفوذها ودوام اصلاحها وتجديدها ، لا أن يحاول كلٌّ منهم أن يخلق لنفسه إمارةً ، فيسود التنازع بدل التعاضد ، وتضيع مجهودات قيمةٌ في سبيل التدمير وخدمة المجد الشخصي الزائل. لا يجحدُ فضلَ إنسانٍ اذا اطّلع على شيء من أدبه وإنْ كان غيرَ معروف في حلبة الادباء ، ويكون أسبق من نفس ذلك الاديب لاذاعة فضله ، ولا يبخل بفائدة اذا استطاع أن يُسديها ، ولا يتعالى في مقام الاستفادة . وهذه أصلاً أخلاقُ العالم الفاضل ، فالأدبُ هو الرابح باكتساب بثّها ونشرها ، لأنَّ في نشر ذلك المبدأ نشر نهضةٍ أدبيةٍ جديدةٍ يعتزُّ بها الادبُ الكريم ، وتذكّرنا معشر الادباء بحاجتنا لاجتذاب عدد أوفر الى صفوفنا من بين العلماء المتأدبين ، فانّ روحَ العلم المقترنة بالاخلاق الفاضلة رأسُ مالٍ بل ذخر حياةٍ لأيّة نهضة .

من النُّقّاد من يوازن بين كابر من شعرائنا وكبير من شعراء العباسيين أو الأمويين مثلاً فيسرع الى المجازفة في حكمه ، متناسياً عوامل البيئة والوسط عند تقديره . ومن رأيي أنه يحسن بنا أن لا نُغفل ذلك ، وأن نعتبر من مقاييس عوامل تقديرنا وفاءَ الشاعر

لحياة جيله وعصره . ذلك مقياسٌ صالح من مقاييس التقدير كما أنّه مبدأٌ صالحٌ أرى شاعرنا متعلقاً به ، وأُكبرُهُ فيه مسروراً . ومن النُقَّاد من يُنفق الساعة بل الساعتين في جدلٍ حول لفظةٍ أو كلمات لن تقدّم ولن تؤخر شاعريةَ أيّ شاعر ، فيرفعونه بها الى عنان السماء أو يمرغونه في التراب حسب أهوائهم وأذواقهم . . . ! ! ولو عقلوا لرأوا أنّ هذا اللهوَ هذيانٌ في هذيان ، وسبّةٌ للشعر الصميم . ونصيحتي الى هؤلاء الافاضل أن يثقوا بأنّ شاعرنا يتعمد استعمالَ كلّ لفظ منتقى في هذا الديوان وفي سابق دواوينه ، سواء كان هذا اللفظ عربياً صميماً أو مصريّ النشأة صقله الاستعمالُ ، فالأولى بهم التمعُّن في مراميه المجازية وخواطره الفلسفية وفي تصويره الدقيق وغاياته البعيدة وفي علة اباحته القليلة قبل المجازفة بنقد مواضع الالفاظ أو معانيها واستعمالها . ولو كان عندي الكافي من وقت وفراغ للشّرح لما اكتفيتُ بما سردتُ من أُمثلة قليلة لطلبة الادب ، ولذكرتُ ظروفَ كلّ قصيدة وشرحتُها شرحاً وافياً بعد التشاور مع الناظم ، فاللّذة كل اللّذة في ذلك ، ولكنَّ مثل هذا المطمح بعيدٌ عن مقدوري في ظروفي الحاضرة . ومن رأيي أيضا انّ الخطأ في تشجيع الشباب من الشعراء (كما لحظتُ في مقالات نقدية حديثة) ،

على العناية الشاغلة بسهولة اللفظ أو فخامته دون احتياج لتفسير ، فانَّ مثل هذه العناية وان كانت مستحبةً إلاَّ أنها ليست قصداً مستقلاً بذاته ، ولن يعيب الشعر — طالما لم يكن معقداً — تفسيرُهُ من ناحية شعرية وبيان ظروف الشاعر وقتَ نظمه . فعقولُ القراء مهما سمتْ تتفاوت في الفهم والتفسير . وجميلٌ أن ندرك المعاني الأصلية التي يرمي اليها الشاعر على أتمّ وجوهها لو استطعنا ذلك ، وأن نتخذ من كلّ قصيدة ببيانها وشروحها مجلسَ أنس أو ندوةَ حكمةٍ ، فالأَوْلى بنا إذاً أن نحثَّ على نظم الشعر للشعر أولاً وآخراً .

* * *

الى هنا انتهتْ مادة مقدمتي الموجزة ، ولا أعدُّ ما يلي — وانْ راعيتُ فيه الايجازَ أيضاً — جزءاً منها ، وانما هو بعضُ التطبيق ، والشرح المستمدّ من نظرات مكررة عجولة في صفحات هذا الديوان ، شوقاً مني الى اشراك القراء في طريقتي الدراسية ، ومن عادة محبّ الأدب أن يكون كالمبشّر الديني شغفاً باجتذاب الناس الى عقيدته ومذهبه !

وسأُراعي الاقتضابَ ما أمكن ، مكتفياً بما يشحذ عقولَ الناشئة من الأدباء على الاخص لمتابعة نظراتي في الشرح والنقد

وقراءة هذه المجموعة الشعرية البليغة كما يجب في عرفي أن تُقرأ . لنتأملْ أولاً في مبادىء الشاعر نجدْ أنها مُشْبَعة بالبرّ الانساني واعزاز الديمقراطية والمساواة والحرية ، واعتبار خدمة الجنس البشري ديناً الزامياً على كل انسان . ألم يقلْ لنا عن « أسمى العبادة » :

أسمى العبادةِ أن تفكّرَ خاشعاً في جنسك السّاعي لنصرِ غداةِ
وتقارنَ الماضي بحاضرك الذي هو خطوةٌ لغدٍ قرينِ حياةِ
فكّرْ به واجعلْ له قربانَه ما طاب من علمٍ وصدقِ صفاتِ
أنتَ المدينُ لألف جيلٍ سالفٍ بالرأي والتهذيبِ والحسناتِ!
وسواءٌ افترضِ الخلودُ أم الفنا فعليك برٌّ مقدّرٍ ومؤاتِ
فكّرْ بجنسِكَ ، إنّ ذاكَ عبادةٌ أولى بقدركَ ياحليفَ مماتِ !

ألم يقل أيضاً عن « إلٓهة الحرية » :

الشّمسُ أنتِ بحرّها وبنورها فاذا احتجبتِ فقد أُضِلَّ بنوكِ!
والدّينُ دينُكِ لا يُجزّأُ جوهراً فاذا تجزّأَ ضاع بين شكوكِ !

ألم يقل قديماً عن « قوّةِ الحقّ » :

مَنْ داس حقّ ضعيفٍ داس قوته
ومَنْ يُقِلْه شجاعاً فهوَ خيرُ بطَلْ

ألم يقلْ عن « عماد الأمم ـ الحرية والاخلاق » :

ولم أرَ كالاخلاقِ مظهرَ أُمّةٍ
وجوهرَها المُحْيي عزيزَ رجائها
ولا مُبدعَ الأخلاقَ كالحريّة التي
تُغذّي وتُنمي من طَهُورِ غذائها
وما العقلُ والعرفانُ في الاسْرِ قوةً
اذا كانت الاخلاقُ صرعى بدائها
فقدّسْ ـ اذا كرّمتَ مجداً لامةٍ
ونهضتَها ـ حرِّيةً لبنائها !

ومن أحسن شعره في التضامن القومي واقرار الحقوق الوطنية قوله من قصيدته « يوم النشور » :

والحقُّ أضيعُ ما يكون اذا نأى عن نصرهِ المتهالكُ المقدامُ
والشعبُ إنْ جهلَ الحياة وقدرَها هيهات يُنصفُ حظَّه الحُكام
واذا تفكّكَ في مقامِ تعاونٍ فعلى الكرامةِ والحقوقِ سلامُ !

وعزَّز المساواة بقوله مخاطباً الآنسة منيرة ثابت :

وثُرتِ فيانعمتْ الثائرهْ على الخُطَطِ الرثّةِ الجائرهْ
فعيشي لجنسِكِ يا آسرهْ مخلصةً ، وارفعي قادرهْ
لواء المساواةِ أبهى منارْ !

وقال في قصيدته «عيد العمّال» :

اليومَ قدِّرُ الناس قدرُ كفايةٍ واليومَ لن يطأ الزّمانُ عبيدا
أنتم بنو الشرف العظيم بنفعكمْ للناسِ تبنون الوجودَ جديدا

وقال أيضاً :

والحكمُ شُورَى إنْ رأيتَ رسوخَه
فهي الضمينةُ دائماً لقرارِ
والفردُ والجبروتُ ليس كلاهما
الاّ سلالة مُظلِمِ الأعصارِ
كاليوم يختار الظلامَ لعشّهِ
فاقضُوا على إيثاره المختارِ
وطنٌ (كوادي النيل) تضحكُ شمسُهُ
ونجومُهُ أولى بكلّ فخارِ

من أدلّة العجز في التقدير والجهل بالموازنة الحقّة أن لا يسعَ ميدانُ الأدب في قطر من الاقطار اكثر من نابغة ، وهكذا كان الحال عندنا في أواخر القرن الماضي، حتى اذا ماسمتْ الثقافةُ وانتشر العلمُ صرنا ندرك انَّ الشاعريّات تختلف اختلافاً كبيراً في مكوّناتها واتجاهاتها ، وانّ صفات المشاركة بينها أقلّ من صفات

التباين والمخالفة . لهذا كان من حقّ البحث العلمي والنهضة الأدبية أن لا نجاري المتقدمين في الموازنات الضالّة ، بل علينا أن نتأمل في مبلغ اندماج الشاعر في بيئته ، ومبلغ انعكاس صورتها في مرآة شعره. وأحسبُ انّ هذا جليٌّ محسوسٌ في شعر ابي شادي . وفي هذا الموضوع يتفق رأيي ورأي الأديب الكبير الاستاذ اسماعيل بك مظهر ، كما يتفق في اعتبار الشعر الوجداني نافذةً الى نفس الشاعر نفضح دخائلها مهما حاول سترها. قال الاديبُ الفاضل : « ان نفسية الشُّعراء نفسية مفضوحةٌ في شعرهم ، بيّنةٌ في خطرات نفوسهم جلية واضحة ، بل تكاد تكون ملموسةً ، دون غيرها من نفسيات الناس . كنتُ أسير يوماً مع صديق أديب على شاطىء النيل ذات أصيل ، وقد فاض النهرُ في آخر شهر آب ، وانعكستْ على صفحته النحاسية أشعة الشّمس الذهبية ، فوقف صديقي أمام النهر المتدفّق المنساب في جوف الطبيعة انسيابَ الأملِ العريضِ من نفسٍ أمضّها الفراقُ ، وقد بهتَ من عظمة ما رأى ، فما لبث أن أخذَ كتاباً كان معي وكتب على صفحته الاولى :

اللهُ أنتَ وأنتَ اللهُ يا (نيل)
منّي لشخصِكَ تعظيمٌ وتبجيلُ

يبدو جمالُكَ ملءَ النفسِ قاطبةً
فيأخـــذُ النفسَ تــكبيرٌ وتهليــلُ

ولم يكُ صاحبي منَ المشتغلين بصناعة النظم ، ولم أعرف عنه انّه شاعرٌ ، بل هو ناثرٌ من كبار الناثرين ، وإنْ كان في نفسِهِ نزعة الى الشعر فانما هي نزعةٌ تلوحُ ضئيلةً بجانب مافيه من حُبٍّ البحث والاختبار .... وبعد ، فهل رأيتَ في خطاب ذلك الصديق الى (**النيل**) كيف كشف عن نفسه وكيف جعل النيلَ في منزلة واحدة مع الله ،وكيف بدا جمالُ الطبيعة ملءَ نفسه ممثّلاً في النيل وفي ذلك الظرف الذي فاضتْ فيه أشعةُ الشمس عند الأصيل على صفحة النهر النحاسية الجميلة بحقّ ، فأخذ ذلك الجمالُ على نفس الصديق أطرافَها وملأ جوانبَها ، فلم يُترِكْ في نفسه منه مكانٌ خالٍ ليسع ايّ فكرةٍ أو معتقدٍ أو مذهبٍ آخر ، سوى انّ النيلَ إلـهُهُ القادر على كل شيء ، وانّ وحدةَ الوجود التّصوُّفيّة لم تتركْ في العالم من شيءٍ عند شاعرِنا الأديب الاّ الله والنيل ، ولا شيء غيرهما ! وما من ريبة في ان هذه الخطرةَ التي فاضتْ بها نفسُ الصديق في تلك الاونة قد فضحتْ سرائر نفسِهِ وأظهرتها على حقيقتها الكامنة دون مظهرها الخارجي ، فنمّتْ عن انّ تلك النفس لوحوطتها عقائدُ

الوثنيةُ لكانت أثبتَ فيها من كلّ ما خلق اللهُ من صُوَر الدّين فوق هذه الأرض ! ولو أنك نظرتَ معي في ملامح صديقي وما ارتسمَ على وجهه من مظاهر الحُبِّ الشديد والعطفِ مشوباً بشيء من الانقباض والحيرة ، لاعتقدت بانَّ تلك الحيرة وذلك الانقباض لا يدلاّن على شيء ثابت دلالتهما على تنازع بين التقاليد الوراثية في النفس اذْ تتناحر جادةً في سبيل أن تملك كلٌّ منها أطرافَ النَّفْس تحت تأثير ظرفٍ من الظروف. وكأنَّ الله ما خَطَّ على وجه ذلك الصديق مسحةً من الحزن تراها نامَّةً عن حقيقة نفسه بلا شعر حتى وبلا حديث — على الرغم مما يلوح في كلامه وحركاته من مظاهر المزح والهزل — الا لينفضحَ سرُّ نفسه وانْ أجهدَ نفسه في إخفائِهِ . وما ان لاحَ على وجهه في تلك اللحظةِ التي أخذ يخاطبُ فيها النيل من شيءٍ ، وما ان زاد على صفاتهِ من صفةٍ الاَّ انفعالٌ ممسوسٌ بكآبةٍ شديدةٍ ازدادت معها مسحةُ ذلك الحزنِ العميقِ الذي خطّتْهُ يدُ القدرة على محيّاه . . . . على هـذا النسق يدلُّ الشعر دلالةً صحيحةً على حقيقة نفسيّة الشّاعر ، فانَّ الشعرَ هو الصوت الصارخُ الخارجُ من أعماق النفس ، بل من أعمق أغوارها ، ليُسْبِكَ في اللغة عنواناً حيّاً على النفسية التي بعثته من قرارة.

الوجدان الى عالم الخطاب . ومهما يكن من تأثير روح العصر على الشعر والشعراء ، ومهما يكنْ من أمر حاجات الحيـاة وتأثيرها في الشاعرية ، إذْ تقلبها في بعض الأحيان الى صناعةٍ للنظم تبدو جلية في المديح وغيره قضاءً لحاجات ما تحرّكتْ لهـا الشاعريّةُ ولا فتنت بها النفس ، فانّ الشاعر لن يفلتَ من يد القدر مطلقاً ، فلا بدَّ من أن تعثرَ في شعرِهِ على خطرةٍ أو مقطوعةٍ قصيرةٍ أو مناجاة يبعثها الى الله أو الى الطبيعة أو الى شيءٍ أو معنى مبهمٍ قد يشعرُ به ولا يستطيعُ التعبيرَ عنـه ، ما تنمُّ في الدنيا عن شيء الاَّ عن دخيـلة نفسه ، وعن نوَاتها التي التأمتْ من حولها كلُّ عناصر نفسه . إنّ أدلَّ صُوَر الشعر على نفسية الشاعر انمـا هو شعرُ الانفعال : الشعرُ الذي يبعثُهُ انفعالٌ خالصٌ من النَّفس غيرُ مشوب بشيء من حزمِ الارادة ولا روادعِ العقلِ ، ولا متكلفٌ من ناحيـة الصناعة . فاذا أردتَ أن تبحثَ في مجموعة ما أخرج شاعرٌ من قصد لتستدلَّ بشيء منها على نفسيته ، فانما يجب عليك أن لا تتعمّد التغلغل وراء معانيه الخفية ، ولا أن تغوص وراء تشبيهاته ، بل يتعين عليك أن تبحث في أيّ المواضع من شعره بُعِثَ انفعالُه وتجرَّدَ عن ارادتهِ في ضبطِ معانيه ، وعري

عن عقال عقله ليسير وراء ما يريد أن يخرج من مغنى معقود على غرض يريد الوصول اليه . واني لا تخيل أن هذه القاعدة لا تخطئ اذا أمكن تطبيقها بما يقتضي لذلك من الحيطة والحذر وطول الاناة والصبر على البحث وقوة الملاحظة » .

ولا أظن الناقد الأديب الدارس لشعر أبي شادي في حاجة الى طول الاناة والصبر على البحث في فهم شاعريته ، فان من أسمى صفات شعره وجدانيته الكاشفة ، وان استدعى خياله الشرود التأمل العميق أحيانًا . فهو لا يخاف التقرير الصريح لعقيدته في شتى مظاهرها ، وليس للصناعة او الرهبة ادنى احتكام في شعره . تقرأ ذلك في شعره التصوفي ، كما تقرؤه في شعره القومي ، وفي ميوله الوصفية ، وفي اجتماعياته ، وفي غزلياته ، وفي افتتانه بالجمال الطبيعي والانساني على السواء ، فتحكم أن هذه آثار نفس حرة وفية حساسة معتدة بشعورها وصفائها ، تبغض الملق ولا تبالي بمجاراة الناس اذا لم يقرها على ذلك حكم الضمير . فتسمع صاحبها ينشدك دون تردد عن « ضمير الخالق » :

قل لي هو الانسان في تفكيره ولعلمه هذا الوجود وجودا
لم لا أحس بأن روحي صورة لضمير من شغفت به معبودا ؟!

وأنا المُقِرُّ بأنَّ كُلِّي قطعةٌ ... مما أراه مجدِّداً ومُعيدا؟

أفْنَى به حيّاً أحسُّ بحكمِهِ ... ومتى تضيتُ فلن أموتَ شريدَا!

إنّي ضميرُ الخالق الموحي بما ... أبقى أتابعُ نورَه الممدودا

ويظلُّ نوعي (١) حافظًا لونائِهِ ... ومعبِّراً عنه هوًى وخلودا!

ومن كان هذا رأيه الفلسفي في حكم الوجود لا تُنْكَر عليه نسبةُ قصيدتهِ « المصلح الاثيم »، وفيها يقول : (٢)

أنقذْ جُموعَ الغارقين بوهمِهمْ

وأبعثْ من العقل الحكيم سليلاَ

وأدفنْ خرافات تولَّى عَصْرُها

وأنشرْ (كلورْ) للصــــلاح زميلاَ

---

(١) أي النوع الانساني

(٢) من الادباء من يغالون فينكرون أشد الانكار حرية التفكير في مسالة كمسألة الخلافة، أو كمسألة اللباس الاسلامي وما شابه ذلك بينما يفوتهم الالتفات الى المسائل الجوهرية الخطيرة كانشاء عصبة ديمقراطية حية للامم الاسلامية تتفق وروح العصر، ومنهم كذلك من لا يفهم الشعر التصوفي الفلسفي، فيسيء تفسيره، ويحسبه من الشعر الالحادي، ولكن الواقع ان الشاعر المتصوف فيلسوف باحث بينما الشاعر الملحد يجزم عادة بمعتقده، وليس الجزم غالبا من الفلسفة في شيء، لان العقل الانساني اصغر من أن يحكم حكما تقريريا مأمونا في اسرار الكون العالية. ومن أمثلة الشعر الالحادي قول الاستاذ معروف الرصافي في قصيدته « حقيقتي السلبية » (وقد نشرتها صحيفة « الحسام » البيروتية) :

فلقد سئمنا طولَ عهدِ عبـادةٍ
(ايزيس) خصّتها (بمصر) طويلاَ
حتى مضتْ دُنيـا الظنونِ ولم نزلْ
للجهلِ أسرى لا نرومُ بديلاَ

وهذا مثـالٌ آخر من شعره التصوُّفي في تعريف « الله » جلَّ شأنُهُ :

هوماتراه بكلِّ حُكمٍ مدهشٍ للكائناتِ وكلُّ ما تلقاهُ
هو جملةٌ من قوّةٍ وعواملٍ بنتْ الوجودَ ولم نزلْ نخشاهُ
وتظلُّ تبحثُ عن حقيقةِ كنهِهِ وتظلُّ تجهلُ أصلَه ومنَـاهُ
والمرءُ أصغرُ من إحاطة عقله بأجلِّ سرٍّ جلَّ مَنْ أخفاهُ !

وقد اشتهر شعره الفلسفي في الحياة والموت وكان مستمدّ الالهام ومنبع الوحي لمنْ نظر نظراته من الشعراء .

ولست من الذين يرون خيراً بابقاء الحقيقة في الخفاء
ولا ممن يرى الاديان قامت بوحي منزل الانبياء
ولكن هن وضع وابتدع من العقلاء أرباب الدهاء!
ولست من الالى وهموا وقالوا بان الروح تعرج للسماء
لان الارض تسبح في فضاء وماتلك السماء سوى الفضاء

والفرق ظاهر بين هذا الشعر وبين الشعر التصوفي المشبع بالفلسفة الروحية، الذي يعتبر صاحبه نفسه تلميذاً لم يحز من العلم الا ذرات قليلة، وان طلق العقائد البالية والتقاليد الوهمية .

ا للصديق الاديب الشهير الاستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة (**الزهراء**) الغراء مبدأ جامع عظيم تمثّل في قوله: « إنّ الناطقين بالضاد لا تثبت لهم نهضة ما لم تكن قائمة على دعامتين: احداهما المرونة في اقتباس ما في حضارات الامم الاجنبية من وسائل القوة ونُظُم الادارة، وانصراف الفرد الى التخصص بعمل يجدّ لتجويده . . . . والثانيـة الاحتفاظ بتقاليدنا التاريخية، وأوضاعنا الوطنية، وسجايانا القومية، ولساننا الغنيّ الأصيل . فعلى هاتين الدعامتين نستطيع أن نشيدَ البابَ الذي ندخل منه الى دور آخر من أدوار تاريخنا القومي، حيث نجدُ الأفقَ واسعاً للكيان العربي الجديد، وحينئذ يُتاح لابنائنا القيام بنصيبهم من خدمة الحضارة العامة» . وشاعرنا من معزّزي هذا المبدأ في جملته كما تشهد بذلك آثار أدبهِ في (**الزهراء**) وفي غيرها من كبريات مجلاتنا وصحفنا، ولا عبرة بمخالفته التفصيلية في بعض المسائل كمسألة الخلافة وغيرها من المسائل الثانوية في اعتباره، أو بمحاربته لتقاليد الجمود، وانما أصلُ شعوره الصادق ماينمُّ عليه مثلاً قولهُ عن « ذكرى الحضارة العربية» مخاطباً الأمير شكيب أرسلان :

فالمرءُ بضعةُ ماضيه، وحاضرُهُ
مرآةُ آتيـهِ من حظٍّ وإتعاسِ

فلاتخفْ بأسَ الجادِ فما برحتْ
جلالةُ الأمس أصلَ الفضلِ والباسِ
جلالةٌ خشعَ التاريخُ حارسُها
في معرض الوصفِ وضَّاءٌ بنبراسِ
حضارةٌ هي جَمْعٌ من فُنون عُلًى
للنابهين ، ومقياسٌ لمقباسِ
كفَتْ جميعَ بني الأعراب جامعةً
على تباين أديانٍ واحساسِ
وما تجرَّدَ من دينٍ لنا نفَرٌ
الاَّ وللمجد دينٌ فوقَ مقياس !

وصراحتهُ هذه المحبوبة ممثَّلةٌ أيضاً في شعره الغزلي ، بل في كلّ نوعٍ من أنواعِ شعرِهِ . ألم يقلْ لنا عن « أمتع الانس » :

تسائلني عن امتع الأُنس لذّةً
وما الأُنس حقّاً غيرَ ايناس غانيهْ !
تنازلتُ طوْعاً عن وعودٍ بجنةٍ
لساعةِ صفْوٍ منكِ بالصَّفْوِ غاليهْ !
وما الحورُ والولدانُ في معرضِ الهوى
وأنتِ منَالُ اللذّةِ المتناهيهْ ?!

وحقّكِ كم جدّدْتِ بالوصل مهجتي
نعماً ، وكم أضحتْ ببُعدكِ فانيهْ !

فكم بين شعرائنا مَنْ عندهم الشجاعة الكافية لتقرير مثل هذا الشعور وإنْ أحسُّوا به ؟ !

وهو لم يستر هيامَهُ بجمال المرأة ، وفيها أنشد قصيدته البديعة « الأنثى والمرأة » ، ومنها قولَه :

انظرْ لعينيها كما نظرَ السَّما
متبتّلٌ سأل المُعِزَّ سؤالاَ !

وقولُهُ أيضاً :

يا زينةَ الدُّنيا ومبعث نورها
عيشي لمن عِشقوا سناكِ حلالاَ
غنّي لنا معْنَى الحياةِ فانما
لولاكِ أصبحتْ الحياةُ خيالاَ !

وقد قال أحدُ الظرفاء إنه لو اتيح لمثل الدكتور أبي شادي أن يستعرض حُرّا نوادرَ الجمال النسوي كلما أراد لزاد الشعر الغزلي العربي سعةً وتألقاً لا نعرفهما الآن ولخصَّ بكلّ انموذج ديوانا . . ! ! ووجهُ الجدّ في هذه الملاحظة الفكاهية أنّ الشاعر الوجداني يجب

أن يكون خاطره وقلمهُ كذهن المصوّر الناقش وريشته ، لا يفوته استيعاب ما يراه من حسن ، ثم ترجمة أثره في نفسه بما يرتضيه فنّهُ .

واذا انتقلنا الى الشّعر الوصفي التحليلي فمن منا الذي لم يتأثر ببيانه عن « جزع عاشقة في مرض حبيبها » حيث يصوّر آلامَها وآمالها أدقَّ تصوير ، أو بقصيدته عن « أوراق الخريف » ، أو « القلب الدامي » أو بقصيدته « عرس الأصيل » ، وغيرها ، وغيرها ؟

وما ظنك بقوة التخيّل التي تنشدك هذه الانغام العذبة من شرفة منزله المطلّ على البحر والترعة الاسماعيلية بثغر السويس :

غنّى الأصيلُ فقمتُ أرقبُ عُرْسهَ
قبلَ التفرُّقِ في المساءِ الدّاني
فاذا الأشعةُ راقصاتٌ مثلما
رقصتْ لتلعبَ بالقلوب غوانِ !
يتموّجُ الماءُ الطّروبُ وتزدهي
وثباتُها عجباً على الاغصانِ

طوراً مذهّبةً وآناً فضةً
وأعزُّها سحرٌ بسحرِ بيانِ
والتمرُ محمّرٌ ومُصفرٌّ على
عالي النّخيلِ كجمعها الفنّانِ
جُمعتْ به الأضواء بعد تفرُّقٍ
وبدَتْ به الجمراتُ حلو جُمانِ!

أرأيتَ كيف تلاعبَ خيالهُ بوصف هذه الأشعة في تنقّلها وشيوعها واجتماعها، وكيف صوّر لك التمرَ الأحمرَ والأصفرَ كمجمع لأنواع من هذه الاشعة المنبثة في الطيف الشمسي؟! — كلّ ذلك بلفظٍ سهلٍ جميلٍ يعشقهُ الأديب وان تضمّنَ الخيالَ العلميَّ البعيد ...

وهاك مثال الجمْع بين الخيال والوصف الفلسفي « لأوراق الخريف » :

هل كان نثرُكِ غيرَ ايذانٍ بعمْرٍ قد تقضّى ؟
هل كنتِ الاّ رمزَ أحلامٍ نفضْنَ اليومَ نفضاً ؟
مصفرّةٌ — شأنُ المماتِ ، بحُمْرةٍ تحكي النجيعْ
فكأنّما قتلتْكِ أحكامُ (الخريف) بلا شفيعْ!
يرثيكِ عقلُ الفيلسوفِ يراكِ لغزاً مُذهِلاً

العيشَ والموتَ المعجلَ والرجاءَ المقبلا !

ومن خير نظراتِ الشاعر نظرتُهُ الخُلقيّة وشعورُهُ بواجب الشّعر الكريم في بثّ الفضيلة لا عن ارهابٍ ولكن باعتبار انَّ الفضيلة والخلقَ المتينَ رأسُ مالِ الرقيّ الانساني خليقٌ بالتعميم ، فمن يحتقر الفضيلة يؤذي كرامتَه ومصالحَه قبل أذى غيره ، فجاءت خطراتُهُ الصادقة في هذا البحث مِنْ خيرما يزدان به الشّعرُ العصري ، وتراثاً أدبياً ثميناً للجيل الحاضر وللأبناء والاحفاد . خذْ مثلاً أبياته عن « التقدير الباقي » في إجلاله لنزاهة حيث يقول :

واذا الودادُ دعا الصحابَ لحفلةٍ
لبستْ من الأُنسِ الجميلِ نضيرَا
واذا الهوى الموفي فقد يُوفي معاً
شرفٌ يزيدُ لربِّهِ التقديراَ
ما كان تقديرُ الرّجال بمظهرٍ
حتى ولو كانَ الزمانُ ظهيرَا
كلاّ . . . ولا كان الكمالُ بثروةٍ
لكنّه مُلْكُ النّزيهِ كبيراَ

الى آخر هذه الابيات القيّمة . ومن هذا القبيل وعلى سبيل المقارنة أبياته في « عظمة انجلترا » وقصيدتُهُ « لذّة الصعاب » وغيرها ، دعْ عنك ما يتخلل متنوّع شعرهِ من أبيات خلقيّة تأتي

لمناسبات جميلة . وأجملُ من كُل ذلك انّ ناظمها مؤمنٌ بما يقول ويدعو اليه ، وأولُ من يطبقه على نفسه ، فليس من زمرة مَنْ يُقال لهم :

يا أيّها الرَّجلُ المعلّم غيرَه
هلاَّ لنفسك كان ذا التعليمُ ؟!

وهذه القدوة الحسنة لها اعتبارٌ كبيرٌ عند الادباء الناقدين في تقدير شعره الصادق .

وفي هذا الديوان الممتع من القصائد والمقاطيع ما لا يدخل في هذه الأبواب ، ولكنه يمثل صُوَراً شتّى من حياة العصر بين جدّ وفكاهة ، مثل قصائده «الطريد» و « رشفة ككتيل » و « راكبة الدراجة » و « أشعة الظلام » وغيرها . فاذا تدبّرها القارئ بعناية الباحث الدارس كانت له منها لذةٌ وفائدةٌ غير قليلة .

ولا بدَّ لي في نهاية هذا البيان من كلمة عن الأسلوب ومن ملاحظة عامة على أنّ عنايتي الأدبية بنشر هذا الديوان ليس معناها موافقتي على جميع آراء الشاعر فيما طرقه من موضوعات ، فقد اخالفه في بعضها مخالفة صريحة ، ولكن معناها تقريري لشاعريته فحسب . إن اسلوب الاستاذ الدكتور ابي شادى يتنقل

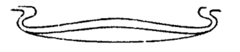
ما بين الرقة والجزالة والفخامة حسب مناسبات الموضوع الذي يطرقُهُ ، وانّ اسلوبهَ طوعُ شاعريته ، وليستْ شاعريتُهُ طوعَ اسلوبه ، وانّه من أقدر شعرائنا على المعارضة الشعرية وإنْ لم يتعمدها موضوعاً ، وقد تأتي عفواً في ألفاظه . وله في ذلك آيات من الاعجاز تراها بالمقابلة ، فكأنما يلتذُّ أحياناً بأن يُعْطي مثلاً في تحلّي الشاعريّة السامية بلباس مُعيَّن ، بينما قرينُ هذا اللباس على غيرها قد يكون عديمَ القيمة أو قليلها . ومن الغريب ان إبداعَه هذا بدل أن يكون موضعَ التأمل والتقدير كان موضع الحسد والنَّقد من بعض المحافظين الذين يجهلون أو يتجاهلون أصولَ النَّقد الشعري في أعزّ أيام العربية وبين الغربيين في عصرنا الحاضر ، ويتناسون انّ الانماط النظميَّة والأوزان والقوافي في العربية على الأخص ملك قديمٌ شائعٌ ، وانّما العبرةُ بالمعاني ونُور الشاعرية ، ولا يضير الشاعرَ الفحلَ اشتراكه مع غيره ـ عظمت ام صغرتْ مرتبتُهُ ـ في بعض الالفاظ بينما المعاني مختلفة جدَّ الاختلاف ، وهذه براعةٌ واقتدار على التفنُّن في الاستخدام لا ينكرها غيرُ حسود . ويعجبني ردُّ الشاعر على هذا النوع من النقد التافه بهذه الأبيات الشائقة الأبيَّة الرُّوح :

يامَنْ توهَّمَ لي شبيهَ سِراجِهِ
لِمَ لا تُضيءُ إذنْ بقوّةِ نُوري ؟!

هَوِّنْ عليكَ فما المظاهرُ وحدَها
تكفي ، وما المنّانُ غيرُ فقيرِ !
واعلمْ أخي انَّ المشاعرَ دفعُها
للشّعرِ كالتّيار دفعُ قديرِ
فاذا تعلّق سابحٌ بملاذِها
- وهي العظيمةُ - لم تقف لحقيرِ !
إبدأ بأنماطِ القريض مفنّداً
قبلَ الغُلوّ مفنّداً تعبيري
أو فاتّخذْ من جرأتي وتفنُّني
رغمَ اشتراكِ اللّفظ علمَ خبيرِ
خيرٌ لفكري أن تُداسَ يراعتي
إنْ فاتَ شعري الحرَّ وَحْيُ ضميري !

هذا هو الشعرُ الفنّي : شعرُ الوجدانِ وشعرُ النهضةِ بأشرف مظاهرِهِ وأسمى مراميه ؟

الجيزة في ١٩ يوليو سنة ١٩٢٦ — حسن صالح الجراوى



الشعر والشاعر

بحثٌ فلسفيٌّ

بقلم صاحب الديوان

تمهيدٌ

قبل تناولي القلمَ لأخطَّ هذه السطورَ ساءلتُ نفسي: «هل من جدْوى؟» ونظرتُ من شرفة حجرتي الى الأمواج الضّاحكة في هذا اليوم الجميل وسمعتُ عتابَها الدائمَ وحديثَها المُلْهِمَ والناسُ عن نجواها وعن حديثها وعن إلهامها وبثِّها غافلون... فقلتُ في نفسي: «كلُّنا أبناءُ هذه (**الطبيعة**) الكريمة التي نحنُّ بأبوّتها وأمومتها المشتركة الينا كما نحنُّ غالبًا اليها، وتحاول أن تتفاهم معنا فيُصغي اليها بعضُنا وينجح بعضَ النجاح أو كلَّه في مواقف، بينما يَبقَى سرُّها بل وجهرُها لغزاً مكتوماً عنا كما كان عن الاجيال السالفة وكما سيبقى لاجيال طويلة... فمن برِّ البنوة أن أُحاول التخاطبَ معها والترجمةَ لبعض حديثها إقراراً بتقديري

لها وعرفاناً لجميلها عليَّ وارشاداً لاخوتي في الجنسية والانسانية .
أجل ، هذا فَرْضٌ على كلّ من يشعر بالقدرة على أدائه ، ولكني
لا أشعرُ بهذه القدرة وانما أشعر بحنانٍ لا يُرَدُّ نحو هذه الطبيعة
الجميلة الرائعة ، وبحاجةٍ الى التعبير عن هذا الحنان ، وعن بيان
أسبابه ومبعث إلهامه . وقد أُخفقُ في محاولة التعبير ، ولكن عليَّ
بأيّ حال واجبُ أدائه . وقبلاً حاول بعض المجتهدين ترجمة
(القرآن) الكريم حُبًّا في نشر فضيلته وتعاليمه السَّامية فأخفقوا
اجمالاً ومع ذلك أفادوا ، فليكنْ لي في أمثلة شجاعتهم وجهدهم
عزاءٌ ومشجّعٌ . . . »

بمثل هذه الخواطر شجَّعتُ نفسي على تناول القَلَم الذي
يجري مدادُهُ بهذه الكلمات . . . اني أُوقن أن الكون في
تحولٍ مستمر، وانّ الفكر الانساني في تبدُّل وتطوُّر، وان ما نراه
حسناً الآن قد لا يَرضى عنه جيلٌ مقبلٌ كما أننا لم نرضَ عن
كثير مما استحسنه أسلافُنا ، ولكنَّ كلَّ هذا لا يعني أنَّ
جهدَنا عديمُ الجدوى ، ولن يُطالبنا العقلُ بأكثر من الوفاء
لعصرنا الحاضر خاصةً ولجوهر الفكر الانساني عامةً . فلأَقُلْ
اذنْ كلمتي هذه تلبيةً لدعوة صديقي النّاشر حتى أتحمل وحدي

عيوبَ العجز الذي لم يتجرّد عنه نظيمي .

ما هو الشعر ؟

الشّعرُ في رأيي هو تعبيرُ الحنان بين الحواس والطبيعة . هو لغةُ الجاذبيّة وان تنوّع بيانُها . هو أوحديُّ الأصلِ في المنشأ والغاية وصفاً وغزلاً ومداعبةً ورثاءً ووعظاً وقصصاً وتمثيلاً وفلسفةً وتصويراً ، فان مبعثَه التفاعلُ بين الحواس ومؤثرات الطّبيعة ، وغايته العزاء والاحتماء بهذه الطبيعة ، وانْ تضمّن أحياناً الغضبَ والسخط ، وما هو الاّ غضب الاطفال الصغار .

وقد يجوز أن نعرّفه مادّيًا بأنه الجرافيكُ لنبض الحياة وسكونها كنظيره المسجّل لدقات القلب ، أو كدليل البيانو الاوتوماتيكي تتحول سطوره المثقوبة الى نغمات ، وكذلك الشعرُ يتحوَّل في النفس الى صورة مَنشئه من عواطف وفلسفة .

الحياةُ بأسرها مجموعة تفاعيل كياوية حيويّة متشبّعة بالتموجات الكهربائية المنتظمة ، والشعرُ منظوما كان أو منثوراً يحوي جرثومةَ هذه الحياة لانَّ فيه ذُخرَ الكثير من أسرارها ، وأكثر طربنا للشعر المنظوم لأنه جامعٌ بين فلسفة الحياة وطُرَفٍ من

تموّجاتها بأوزانه ، فنحنُّ بالغريزة اليه كما نحنُّ الى الموسيقى الفنّية ، وكأن كليهما صورةٌ من حياةٍ تجذبُنا بروتقها والهامها ، ونحنُّ الى غناء الطيور المغرّدة حنينَ الشعرِ الى الشعرِ !

الغرض من الشعر وتدوينه

الاصلُ في الشّعر كما قدّمتُ أن يكون تعبيراً غريزيا للتفاعل ما بين حواس الانسان والطبيعة ولا يزال لهذا الشعر أمثلةٌ جميلة تأتي عفواً في أحاديثنا وكتابتنا ، وفي الشعر المُرْتَجَلِ الذي ينطقُ به اللسانُ على الفور أمام مشهدٍ مؤثرٍ أو بدافعٍ وجدانيّ قويّ . ويسمّى هذا الشعر خطأً بشعر الالهام ، وما هو الاَّ شعر الفطرة الصادقة ، فما الالهامُ سوى أثَرِ الخبرة والعرفانِ والمواهبِ في الذّهن ، ولا شأن له بأُعجوبةٍ ملكية أو شيطانية ، ولا بالوحي المزعوم .

ولمَّا أخذ الانسانُ بأسباب الحضارة أدرك تدريجيًا قيمةَ الشّعرِ كعاملٍ من عواملِ القوّة لما تبيّنَهُ من أثرهِ الفعّال في النفوس ، فاستخدمه في مآرب شتى لخدمة الحياة اختلفتْ سمواً وانحطاطاً حسب الاجيال والاوساط والبيئات .

فأسمى ما بلغه الشعرُ أخيراً من غرض انَّما هو درسُ الحياة وتحليلها وبحثها واذاعةُ خيرها ومكافحة شرّها ، وهو غرضٌ نبيلٌ جامع وإنْ تكيف بصُوَرٍ شتى ، فقد يظهر في لباس الانسانية العامة ، أو في لباس الجامعة القومية ، أو الجامعة الدينية أو غير ذلك . ومن المعقول ان يجمع بين لباسين فأ كثر ، وأن يوفق ما بين تناقضها الموهوم ، وأن يكون رسولَ السَّلام ونصيرَ الاصلاح والنهوض . هذا هو الغرَضُ الأسمى الذي بلغه الشّعرُ عامةً في جيلنا الحاضر في أرقى مواطنه ، ولن تجده قرينَ اللهو المحض فان وجدته فحاسبْ ظنَّك ترَ أنَّه مبجلُ الفنّ الذي تحسبهُ لَهْواً ، أو معبّرٌ عن إحدى العواطفِ الانسانية الدقيقة المحيّرة أو فيلسوفٌ باحثٌ يتلمَّسُ الحكمة ويفتّشُ عنها في جَميع مخابئها .

ولقد أصبح الشعر يُعَدُّ أهمَّ أركان الأدب اللُّباب ، ومنزلتُه من التَّبْجيل مقترنةً بغرضه الجليل ، فمن الأمانة أن لا نُغفلَ هذا التعريفَ حينما نبثُّ روحَ الشعر في نفوس المتأدبين ، حتى نَحفظَ للشعر مرتبتَه الممتازة ، وحتى نوجهه دائماً الى أشرف الغايات .

وقد عُني الانسانُ بتدوين الشّعر منذ استطاع التدوينَ وبحفظِهِ وروايتهِ قبل ذلك كما يحدثنا التاريخ ، ولو تأمّلنا لما أدهشتنا هذه

العنايةُ اذا سلمنا بأنَّ الشعر مُثُلٌ من الحياة وأنواعٌ من مقاييسها فهو قِطَعٌ جذَّابةٌ من الانسانية الفكرية تغارُ عليها وتودُّ لها البقاءَ بحكم الغريزة المقرونة بحبّ البقاء . ولذلك أعتقدُ أنه ما من شِعْرٍ يخلو منْ حسنٍ ، وانَّ جُحودَ حسنات الشّعر بحكم التَّحاسد والمناظرة عاطفةٌ غيرُ شريفة وغيرُ طبيعية ، وذلك اذا اعتبرنا انّ من خير أحكام الطبيعة تشجيع الصالح ونصرته والاعتراف برتبته .

صفات الشاعر

غيرُ مُستكثرٍ في نظري اذا عُدَّ كلُّ شاعر (بالمعنى الاكمل) رسولاً في قومهِ . فالشاعرُ بفطرته — ولا مجالَ لفخرٍ بما هو من صُنعِ الطبيعة — يجبُ أن يكون حسَّاساً ، سريعَ التّلبيةِ ، يقدّرُ مسؤوليته العامة ويقومُ بأعبائها . وبَدَهيٌّ أنَّ الطبعَ كثيراً ما يأتي من التطبُّع كما يأتي عادةً من الفطرة ، فخليقٌ بالشَّاعر أن يكون أوّل ناقدٍ لنفسهِ وأن يزنَ بنفسهِ حسناتِهِ وعيوبَهُ ، وأن يكون المهذّبَ الأوّلَ لمواهبهِ ووجدانهِ ، ثم يقوم بأداء رسالته . وفي الحياة من شتى المقاصد المُجْدِية ومن الأساليب للدعوةِ والأداء ما يسعُ جهودَ الكثيرين ، وإنّه لفقيرٌ ومسكينٌ ذلك المجتمع الذي يُغْنى بشعراء معدودين وتكسد فيه سوق الأدب عامةً ! !

معقولٌ ان ينشدَ الشاعرُ العـاملُ البصيرُ بمسؤولياته منزلةَ الشُهرةِ حتى يُصغي الجمهور اليه ، فلاتذهبُ صيحتهُ وجهدُه سدًى ولـكنّه غيرُ مشرّفٍ وغيرُ معقولٍ أن يتصدّى لغيره ويحرمَهُ من نظيرة هـذه الشهرة ، وليس من الأمانة في شيء أن يستغلَّ هذه الشهرةَ ـ متى بلغها ـ في سبيل مجده الشّخصي الزائل ، بدل المجد الفنّي الخالد ، كأنما يتوهّم أنَّ الموتَ سيخطئه ، أو أنه أسمى من ترجمان اذا ضاعتْ أمانتهُ وزالتْ الثّقةُ به تزعزعت منزلته ثم تهدّمتْ . . . فتتبعُ ذلك ـ للأسف الوافر ـ الاساءةُ للأدب نفسهِ ، باصغار النـاسِ لمن كانوا يتصدّرون مجالسَهُ من طُلاّبِ المجدِ الشخصي .

بيان الشاعر

اذا كان الشاعرُ رسولَ قومهِ حقاً فيجب عليـه حتماً أن يكون بيانهُ من بيانهم ، ومهما تأنّقَ في تعبيره فيجب أن لا يرتفعَ صوته فوق مستوى آذانهم ومداركهم ، والاَّ كان غريباً عنهم ، ولم يرضَ عنـه لا خاصتُهم ولا عامتُهم ، فتضيع مكانتهُ ويخسر الأدبُ والمجتمعُ بخسارتهِ . على أنَّ هذا لا يعني تحبيذ العامية ـ وان كانت لها حسناتٌ كثيرة لا تُنكر ـ وانما يعْني اجتنابَ التّقعُّرِ وغريب

التعابير التي لا توافق ثقافتنا العصرية ، ولا تناسب أمزجتنا المصرية واستعمالَ الفُصْحى السلسة وتطعيمها بالمختار المصقول من مفرداتنا وتعابيرنا القومية . ولستُ أشكّ في أنه كلما نُشر العلم كانت العربية السليمة أقرب الى متناول الجمهور ، فنحافظ بذلك على ذخيرتنا الأدبية العظيمة العربية الأصل ، دون أن نغفل مطالبَ قوميتنا الحاضرة ، ودون أن نغالبَ جاذبية الأدب الأوربي لنا. وهذه نظرةٌ تشبه نظرةَ الامريكيين الى الأدب الانجليزي ، فلكل من الامتين الانجليزية والامريكية أدبُها الخاص ، بل وطابعٌ لغويٌّ خاص ، ولكنَّ الرابطةَ اللغويّةَ العامةَ محتفظٌ بها ، وميزتُها موضع الاعتراف بها والحرص عليها . ولكلّ امةٍ من الامم الاوروبية لغتها الفصحى ولغتها العامية ، ومع ذلك فلم تعتبر احداها من وسائل الثقافة هجرَ الفُصحى الى العاميّة ، وانما يُرجَعُ الى العامية أحياناً لمؤازرة الفُصْحى اذا دعت الحاجةُ الى ذلك ، وشتّان بين الحالتين ، فالاولى تكادُ تكون قَطْعاً لكلّ صلّة بميراث الماضي ، بينما الحالة الثانية إحكامٌ لروابطِ الماضي بالحاضر ، وضمانةٌ للمستقبلِ الغنيّ بميراثه المزداد . وتوجد حالةٌ ثالثةٌ هي في حُكم العدمِ ، وهي محاولةُ الاكتفاء بذلك الميراثِ الفخم ، وانْ صغرَ في جانب عُلومِ العصر الحاضر

وآدابه ، وهي حالة لا تستحق الالتفات اليها لأن الفشل التام مقدّر لها ، والذي يريد أن يقبر فكره ونغته في قرون الماضي انما يحكم على نفسه بالفناء ، ويعارض أقوى قانون في العالم وهو قانون التطوّر . أضف الى ذلك ان هذه النزعة تعارض كل المعارضة الفكرة القوميّة التي هي أجلى وأبهى مظاهر النهوض السياسي في القرن العشرين ، واذاً فهؤلاء السادة الرجعيون هم والمتجرّدون سواء . ومع احترامي لحرّية الرأي اصرّح بأني لا أرى الخير المأمول من أحد الفريقين ، ولن تطاوعني مبادئي في مشايعة أحدهما في تطرّفه .

فالشاعر القومي — كيفما كانت عقيدته وملته — محتّم عليه أن لا يغفل الماضي وان لا يكون من المتجرّدين ، فانّ التجرّد في نظري ليس من مستلزمات التطوّر أو التجديد ، بل قد يكون من أضداده .

ومن الحقائق التي لا يجوز انكارها انّ الأدب العربيّ مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين الاسلامي ، فالامم العربية الاسلامية لا تستطيع أن تهدم الأدب العربيّ الصّميم دون أن تسيء الى ذلك الدين الذي يُعدّ (**القرآن**) الشريف في رأي تابعيه أكبر

معجزاته . . . بَيْدَ انَّ الشاعرُ ليس إمامًا دينيًا ، وان كان من وجهةٍ اخرى مطالبًا في الشرق بأن يعتبر الدّينَ من المشخّصات القومية لامّته ، فليس له أن يتعمَّدَ التعرُّضَ لهذا الدّين باساءةٍ لن يَجْني الأدبُ من ورائها خيراً . على أن هـذا لا يعني أنَّ صَبْغَ اللغة العربية بصبغةٍ وطنيةٍ سواء في التعبير أو التصوير مما يُسيء الى هـذه اللغة أو يضعفها أو يجني عفواً أوعمداً على رابطتها الدينية ، طالما حافظنا على الأساس . وهذا هو اعتقادي في « تمصير » اللغة شعراً ونثراً بمختار المفردات ، مع المحافظة جهد الاستطاعة على شرف الديباجة العربية السليمة . وفي مثل هذا الاجتهاد خدمةٌ قومية كما أنه لا يُفقر اللغة ، بل على النقيض يغني مفرداتها وتراكيبها ، ويساعد على تمييز صنوف الشعر والنثر في أقطار شتى ، ومهما كانت ثروة اللغة فهيهات أن تستغني عن النماء المطّرد من كل جيل تمرُّ به .

ومثلُ هذا النشاط يستدعي تكوينَ أكاديميات أو مجامع لغوية في الأقطار العربية ، لهـا وحدةٌ في مقاييس الترجمة والاشتقاق والابتداع والتنقيح والتهذيب حسب مقتضيات العصر ، ولها منزلة الارشاد والجمع والنشر ، فيستفيد منها الشعراء والكتاب على السواء ، وتكون حكمًا حكيماً بين التطرف الهادم وبين الجمود المميت ،

فتمنع العبثَ بتراث الماضي المجيد ، وتشجّع الحركةَ الرشيدة للانتاج المستمرّ ، وللاقتطاف من ثمار وأزهار المدنية العصرية ، ولا تعارضُ النهضات القومية .

والعادةُ أن يكون بيانُ الشاعر صورةً لمزاجه وفكره ، وأن يكون أكثر الادباء رغبةً في الحرية ، فمن الحكمةِ إطلاقُ العنان له في حدود واسعة ولو خالف السماع والقياس أحيانًا ، فانَّ الشاعر الامينَ الكبيرَ النفْس لن يُسيء استعمالَ هذه الحرّية في مرماه ، وكثيراً ما يكافيء ناصريه بكنز ثمين من تعبيره وتفكيره وخياله أكبر من أن يُعدَّ جزاءً وفاقًا ، ومن لا يعرف من الادباء حسن التصرف فانما يجني على أدبه الخاص قبل أن يجني على الأدب العام.

وقد يُلامُ الشاعر المبدع على خياله الشرود ، وما الخيالُ الا دليل من أدلة التهافت من النفس الشاعرة على الطبيعة الموجدَة ، فلا تزال تتلمَّسُ الصلّةَ بها في كل شيء ، وتحاول التقريب بين عواملها ونتائجها المتباينة في ظواهرها . بل قد يُعدّ الخيال رابطةَ الوَحْدة بين عواطف الشاعر والطبيعة ، ولذلك يصح أن يُعرَّفَ الخيالُ بأنّه من رُوح الشعر .

بهذا اليقين والشُّعور جرى قلمي أو تحرك لساني أو غمغمت نفسي

ثم باحثٌ بما في هذا الديوان من منظوم السطور ، وما هي بالاولى من بنات وجداني الذي عرف النظمَ منذ الطفولة ، ولا هي بالبالغة بعضَ ما أصبو اليه من خدمةٍ فنّيةٍ ، ولكنّي أرجو كذلك أن أكون موفقًا لإتباعها بغيرها وبأصلح منها ، فلا تكون الأخيرةَ في بابها .

وقبل أن أختمَ هذه الكلمة الوجيزة اودُّ أن أصرّحَ في غير تحفُّظ انَّ الزمنَ الذي كان يُفصَلُ فيه ما بين العلم والحكمة والأدب قد مضى وانقضى ، وأصبح الشّعرُ في أجلّ مظاهرهِ الديوانَ الرّحيبَ الجامعَ لها ، والعقيدةَ التي تتوحّدُ فيها . هذا هو مذهبي الذي أأتَمُّ به ، وفي سبيله احاول — بين شواغلي الكثيرة — أن أخطو الى الامام خطوات الايمان ؟

بور سعيد في ١٤ يوليو سنة ١٩٢٦

أحمد زكى أبو شادى



هدم الأدب وبناؤه

بقلم ناشر الديوان

تمهيد

لا أذكر أنّي كتبتُ فصلاً نقدياً نال استحساناً شبهَ جامع بين جمهرة الادباء مثل فصل « الشعر مرآة عصره » الذي ذُيّلتْ به قصة (**عبده بك**) ، وأحسب ان ذلك راجعٌ الى اهمية الموضوع ثم الى روح المقال ، فقد كان مُشْبَعاً بحبّ الانصاف ، والى النهج العلمي المنطقي الذي لم أتحوّلْ عنه قيدَ أنملةٍ فيما كتبتُ والذي هو رائدي دائماً ورائد صديقي الشاعر. ولكنّي قدّرتُ — كما قدّر غيري من الادباء المستقلّين — انّ المغرضين لن يرضوا عنه، وأنّه لابدّ أن يتقدّم أحدُهُم مسوقاً الى المغالطة انْ عاجلاً أو آجلا . وهكذا كان القضاء الذي لا مردّ له ، فتقدّم متبرقعاً أحدُ أذناب شوقي بك بمقالٍ مرذول كلُّهُ سماجةٌ ومغالطةٌ ، ودفع به الى جريدة (**الكشكول**) التي يتردّد على ادارتها يومياً شوقي بك وأصحابُ شوقي بك . . . ولا لوم على (**الكشكول**) الأغر في ذلك ، فحريّةُ

النشر أمرٌ محمودٌ ، وتشجيعُ النقد الأدبي واجبٌ صحفي شريف ، طالما وُجدتْ المساواةُ الصحفيّةُ في معاملة المتناظرين . أمّا اذا أُبيح النَّقدُ وانْ كان سخيفاً ، وحُرّم الردُّ وان كان حكمةً وأدباً فهذا هو الغرضُ بعينه ، وهذا هو التعاونُ على التضليل ، وهذا هو حبُّ الاساءة والتشهير لغاية في النفس ، ونعوذ بالحقّ أن يكون هذا من النقد الأدبي او من الشهامة والفضل في شيء .

للعبرة والتاريخ

أما المقالُ الشَّوقيُّ السالف الذكر فهذا هو بنصّه وفصّه ، وان كان لايستحقُّ التشريفَ بنشره ، ولكن لايخافُ النَّقدَ كيفما كان الاَّ العاجزُ العاثر ، فحسبنا اذاً أن ننشره وأن نعلّق عليه من عندياتنا ومن ملاحظات شاعرنا الذي أعدُّ من اكبر عيوبه مغالاته في حسن الظنّ بالناس [1] ، ومن ملاحظات غيره من الادباء الذين أسفوا لظهور ذلك المقال ، وحسبنا ايضاً أن نسجّله لفائدة المؤرخ الأدبي غداً ، حتى يقدّر كيف انَّ شاعراً كبيراً ذا منزلةٍ معدودةٍ مثل شوقي بك كان مُصاباً بمرضٍ مزمنٍ هو الحسدُ والغَيْرَةُ حتى من أخلص محبيه ومعضّديه ومريديه ، وأنه ما كان يحتمل مودَّتهم

(١) راجع ردّه في مجلة (النهضة النسائية) — عدد صفر سنة ١٣٤٥ هـ . وفي جريدة (الكشكول) عدد ١٣ اغسطس سنة ١٩٢٦ م .

متى ظهروا ظهوراً في ميدان الأدب بجانبه .... !! قال كاتبُ المقال المتخفي ولعله مولانا « قدامــة » ذاته أو ابنُ عمه : —

كتبنا الجديدة

عبده بك

لصاحب التوقيع

قصة مصرية اجتماعية منظومة بقلم الدكتور أحمد زكي أبو شادي. والدكتور زكي ابو شادي هو نجل المرحوم أبو شادي بك . عرفناه لعشرين سنة شاباً يكتب مقالات في جريدة « الظاهر » في شؤون اجتماعية ووطنية جمعت في كتاب . ولسنا ندري أهو لا يزال معجبا بها كما كان يوم طبعها واذاعها أم زالت عنه جدتها وصارت « روبابكيا » يأنف من الاشارة اليها الى جانب مؤلفاته من نثر ونظم ؟

ثم سافر الى انكلترا فتعلم الطب . وعاد فقال لنا انه درس الى جانب وظائف الاعضاء وخصائصها وأدواتها فن النحل. فهو اذن دكتور في الطب ، واستاذ في اشتيار الشهد المصفى. ورحم الله ابن حجة الحموي ...

وبعد أن سكت سنوات ظهر لنا شاعراً مكثراً ، ينظم في كل موضوع ، ولكل مناسبة ، مفيضا مسهبا . فان لم يجد المناسبة خلقها ، وان لم يتمكن من خلقها أوجدها له جماعة من الانصار والمحبين لا يقنعون بان يكون الدكتور شاعر الشباب والمجددين فحسب ، بل يريدونه شاعر مصر والدنيا والآخرة معا .

وآخر ما جادت به قريحة الشاعر الدكتور النحال منظومة « عبده بك » وهي كما وصفها أحد أنصاره :

« . . . مبحث طلي في علل الزواج عقد له (عبــده بك) ثلاث زيجات: ثنتان مصريتان وواحدة أجنبية ، فشل في الاولى لسوء الاختيار ولنقص في تربية (منيرة) ولاسرافها ولنشوزها فطلقها بعــد ما استولدها غلاماً . ثم

وقع في شرك (ماري) بواسطة سماسرة السوء . كلتا الوقعتين دلت على ضعف ارادة الزوج النفس .

« وحصل نفار وشقاق » فانهار بيت الزوجية كالاول ، لانه غير مدعم بمقومات الائتلاف ، فهدمه الاختلاف .

« ثم أتاح له حسن حظه زيجة ثالثة فكانت الاخيرة . وفي الحق انها كانت بلسما لجروحه ، ومستقراً لروحه ، فجثم حيث نعم ما شاء الله أن ينعم»
و « توته ، توته فرغت الحدوته » ، ولكنها والله أعلم بعيدة من صنف « الحواديت » والروايات والاقاصيص والاقصوصات ، اذا اردنا مقارنتها بشيء من عالي القصص وسافلها وطيبها وخبيثها مما يتجلى فيه الفن أو لا يتجلى ، وما يكتبه القصاصون الافرنج وكتابنا الشباب .

أما كونها شعرا فليس فيها منه الا القافية والروي ، وبضع أبيات منثورة هنا وهناك ، يشفع في انحطاطها وا بتذالها انها تصف الحقيقة ويدخلها شيء من حلاوة العبارة المصرية كقوله :

حسبي وحسبك مسعدا سعي من (الحاجة حليمة)
فلها بكل بيوت (مصر) علاقة الود القديمة
ويقال (مصر) كحلة ومثالها كالمغرفة
فلها اطلاع واسع ولها اختبار المعرفة

ولكن الى جانب هذا الوصف الطيب أبيات لا نعرف ان كانت عربية أو كردية نثرا أو نظما مثل قوله :

فغدا (فريد) (عبده) وكذا غدا هذا (فريد)
في الحس والاخلاص والـ تفكير والنجح الاكيد

وقوله :

لولا حبيب غائب لكن أعيد لوالده

والقصة كلها بصورها ونقوشها وحلاها مكتوبة مبرقشة في مالا يزيد على ٢٥

صفحة صغيرة ، هذه لاتكفي أن تكون كتابا . ولكن حسن افندي صالح الجداوي « مطيب أبي شادي » أراد أن تكون القصة كتابا فأصدرها كتابة في ١٣٠ صفحة محيطا القصة بمقدمات وتعليقات وشروحات دونها شرح « البيع » للاستاذ حلمي عيسى .

فبعد مقدمة الجداوي المنشورة في ست صفحات أبان فيها كرامات الدكتور ابي شادي جاءنا « الكاتب العبقري المجدد الاستاذ عبد القادر عاشور » بفصل عنوانه « القصص في الادب العربي » كانت « قفلته » : « الشاعر النابغ الاستاذ أحمد زكي أبي شادي فضل السبق في الشعر القصصي الاجتماعي الذي تهارب منه شعراؤنا مع انه من أروع الامثلة لتمثيل المجتمع وانعاشه » .

وبعد القصة فصل عنوانه « تحليل القصة » بقلم « الاديب المتفنن والناقد المعروف الاستاذ عبد الله بكري » فصل آخر عنوانه « نقد قدامة لشاعرية أبي شادي » ، وآخر في « شاعرية أبي شادي وأمثلة القول الجامع بقلم الاستاذ عاشور » ملأه بنماذج من شعر الدكتور النحال . ومنها قوله :

ان الفواكه للمذاق شهية ... مثل الغناء اذا اشتهاه شعور
وكذلك الفردوس في أحلامنا ... وهم وغاية مااحتواه غرور

وقوله :

ومن رتبة الانسان حرية الحجا ... وما هان قوم في مدى البحث اختنقوا

وقوله :

المرأة الحسن الاعز بحسنها ... من دام عاشقها أميت شهيداً !

وقوله :

فكم يبصر الضداد في العيش مثلما ... تآلف طير الغاب : شاد وأبكم

وربما كان أحسن ما في الكتاب فصله الختامي وهو « الشعر مرآة عصره » وقد تعرض فيه الكاتب لشعر شوقي بك فقال في نقده :

١ — ان شوقي بك ارستقراطي النزعة ، وقد تربى على الاخلاص للحكم المطلق .

٢ — انه لم يشارك جمهور الشعب مشاركة جدية في عواطفه ولم يشجع قوميته .

٣ — انه هادم للتعاون الادبي ، ذو أنانية عظيمة .

٤ — انه حبا في نيل تصفيق الاغلبية المحافظة كثير التملق بالماضي ولو ناقض تربيته وخالف ضميره .

٥ — انه غالبا لا ينصف عصره ، لا في تعبيره ولا في تفكيره .

ومع أن الكاتب قد عمد الى تأييد رأيه بشواهد من شعر شوقي فان أقواله لا تزال في حاجة الى التمحيص .

هذه هي قصة « عبده بك » وحواشيها . وللقاريء بعد أن يقرأ هذه الخلاصة أن يحكم على المقصود من المجموعة وتحالف كتابها على اعلاء انفسهم واشهار شاعرهم بالحط من مقام غيره .

« الفرّا »

سياسة الهدم

فمن هذ المقال يستنتج القاريء انّ كاتبَه المتنكر :

(١) يحاول الحطّ من منزلة وشهرة الدكتور ابي شادي بتعريفه عن طريق نسبه الى قارئيه الذين هم في غنى عن ذلك التعريف ، بينما يناقض الناقدُ نفسه فيما بعد باقراره انّ شاعرنا بلغ منزلةً مذكورةً من الشهرة لدى الجمهور .

(٢) يسخر من أُولَى آثار شاعرنا أو من منتجات طفولته الأدبية (١٩٠٥ـ ١٩٠٧م .) في الوقت الذي كان أمثال الناقد

بين البُكْم والصُمّ الذين لا يفقهون ولا يستطيعون أن يخطّوا حرفاً مما كتب. وقد صدق شاعرُنا في قوله إنَّ الأديب لا يُسأل عن آثار طفولته الأدبية ولا يحاسب عليها ومع ذلك فانه لا يخجل منها، وانما الذي يُخجله أن يغدو يوماً لا قدّر الله رجلاً حائراً متقلّباً لا مبدأ له، يدور مع الهوى وينصر الظلم ويبيع ذمته.. فنعمت الاجابة المفحمة في هذا الجواب لمن يسائله عن آثار قلمه وهو في منتصف العقد الثاني من عمره ويكاد متبجّحاً يسائله ايضاً عن انشائه المدرسي....!!

(٣) يهزأ بدراسة شاعرنا للأبقلطوريا (علم تربية النحل) ويصفه ساخراً «بالدكتور النحّال»، ولكنَّ جاهلاً أُمّيّاً مثل استاذنا الناقد معذورٌ اذا لم يعلم انّ كبلنج شاعر الامبراطورية الانجليزيه شاعرٌ نحّالٌ، وانّ ماترلنك شاعر بلجيكا العظيم نحّال أيضاً، وانّ پوانكاريه رئيس وزراء فرنسا حالاً ورئيس جمهوريتها سابقاً نحّالٌ كذلك، وانّ عمانوئيل ملك البرتغال السابق مثلهم، وانّ غيرهم وغيرهم ـ من كبار رجال الغَرْبِ ونبهائه ـ من محبّي الطبيعة ودارسي حشراتها ونباتها ولهم ولعٌ شديد بذلك، وانّ علم الابقلطوريا من أشقّ العلوم ومن أعظمها ثمرةً اقتصادياً وتهذيبياً،

وانّ المتضلّعين منه موضعُ الاحترام في الدوائر العلمية الغربية، وان شاعرنا ذو منزلة ممتازة في هذا العلم يحقّ لنا أن نفاخر بها من وجهة قومية، — فقد كان المؤسّسَ لنادي النّحل الدّوْلي المعروف باسم The Apis Club، وانشأ مجلة عالم النّحل The Bee World التي لبث يتولّى رئاسة تحريرها سبع سنوات بالانجليزية، وكان أحد أعضاء اللجنة الاستشارية لوزارة الزراعة الانجليزية.

(٤) يهزأ به مُغالطاً وعامداً الى النكتة العامية القبيحة فيشير الى دراسة «وظائف الاعضاء وخصائصها»، ومثل هذه الاشارة لايجوز توجيهها لرجل نقيّ الاخلاق كريم النفس مثل الدكتور ابي شادي، وانْ جاز لحضرة الناقد أن يوجهها الى المصدر الذي يستوحيه عند ما يكتب ذلك الهذر . . . فهو يعلم علمي انّ الدكتور اباشادي اختصّ بعلم الميكروبات أو البكتريولوجيا، وله نبوغٌ حقٌّ فيه، فهو يحمل جائزتين وشهادتيْ شرف في هذا العلم من جامعة لندن، ومضى عليه في اختصاصه به احد عشر عاماً بل اكثر، تقلّب اثناءها في وظائف ذوات مسؤولية خطيرة، وكان أحد البكتريولوجيين بمعهد مستشفى سانت چورچ بلندن وأحد المعيدين لطلبته، وكان معملهُ الخاص بايلنج في لندرة، وكان بمعهد الهيجين بمصر، ثم مديراً

لمعمل الحكومة بالسويس متحملاً مسؤلية كبرى في مراقبة ومنع الكوليرا ، وهو الآن مديرٌ لمعمل الحكومة ببور سعيد شاغلاً مركزاً فنيّاً لا يُستهان به علمياً وقومياً .

(٥) ادّعى لائمًا انَّ شاعرنا سكت سنوات كثيرة ، وهذه مغالطةٌ ، فالدكتور ابو شادي معروفٌ منذ نشأته بنشاطه الجمّ ، ولو شئنا أن نُغفلَ المفقودَ من آثاره الادبية اثناء وبسبب اغترابه عن وطنه لما جاز لنا أن ننسى مراسلته « للمؤيد » « فالشعب » « فالأهالي » وغيرها من كُبريات صحفنا ، دعْ عنكَ آثاره في مجلات شتّى في مصر وفي صحف انجلترا ، ومجهوده القلمي السياسي ـ ظاهراً ومستتراً ـ مما لا يجهله رجال القلم وأئمة السياسة في مصر ، حتى كاد يُنفَى من انجلترا ، وقُيِّد اسمه في قلم المراقبين السياسيين ببوليس لندرة (اسكتلند يارد) ، وكان سكرتيراً (**للنادى المصرى**) بلندرة ، وسكرتيراً (**لجمعية ترقية آداب اللغة العربية**) بها . فهذا النشاط الدائم لا يمكن أن يوصم عدلاً بالتقصير ، اذا لم يُتَّخذ مضربَ الامثال في الغَيْرة الأدبية والقومية والنزاهة الخُلُقيَّة المتينة . ولكن ألم يقلْ

قديماً الشاعرُ الحكيمُ :

واذا أرادَ الله نشرَ فضيلةٍ

طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسود ؟ !

(٦) زعَم انّ أنصار الشاعر ومحبّيه « لايقنعون بأن يكون شاعر الشّباب والمجدّدين فحسب ، بل يريدونه شاعرَ مصر والدنيا والآخره معاً » . وهذا مدحٌ في قالب ذمٍّ لو أدرك حضرة الناقد القادح . فليس هؤلاء الانصار والمحبّون على درجة من البله لاتسمح لهم بأن يفقهوا مواهبَ الشاعر ووجوب استغلالها لنصرة الأدب. وهذا سعيٌ حميدٌ لا يستحقون لوماً عليه الاَّ من الانانيّ الحسود .

(٧) ذكر في معرض النقد انَّ الدكتور ابا شادي « ينظم في كلّ موضوع ، ولكلّ مناسبة ، مُفيضاً مسهباً ، فان لم يجدْ المناسبة خلقَها ، وانْ لم يتمكن من خلقها أوجدها له جماعةٌ من الأنصار والمحبّين الخ » . ولا أدري متى كان الانتاجُ معيباً ، ولا وجه اللوم في ذلك ، لاسيما وللشاعر من ظروفه الخاصة ما يبرّر هذا الاكثار ... ؟ ! وهل نضمن دوامَ انتاجه أو طولَ حياته (مدَّها الله) حتى نحاول اخمادَ شاعريته في شبابه ؟ ! وهل جهل حضرة النّاقد انَّ الشعر المنظوم أقربُ الى جنان وبنان هذا الشاعر

المطبوع من منثور القول ، وانّ مجموع ما نشر له ـ ولا أستثني هذا الديوان ـ لا يتعدى جزءاً من نظيمه ؟ فذهنه اذاً مفطورٌ على الشعر، وشاعريته في المقام الأول بين مشاهير شعراء العصر في العالم العربي. وهو في غنى تام عن انتهاز المناسبات ، ولا اغالي اذا قلت عن علم وخبرة انه أطبعُ شعرائنا، وأن الشعر رُوحُه وريحانُهُ، ولولا حياؤه لارتجله ارتجالا في المجالس ، كما يفعل أحيانا بين خاصّة أصدقائه.

(٨) حاول أن يُصغر من قدر قصة (**عبده بك**) :

أولاً — من وُجهة موضوعها كأنما لا يرضيه الاّ الموضوع المعقّد وكأنما نسيَ انّ السيرةَ الطويلة ـ كسيرة نابليون مثلاً ـ يمكن تلخيصها في سطرين أو ثلاثة ، فليس التلخيص الوجيز اذن دليلاً على الحقارة حتماً . وكان الواجب عليه أن ينقد الموضوع ذاته ، ولكنه لم يجرُؤ على ذلك ، فحاول الاصغارَ من شأنه بالمغالطة ، بدل الدليل الفنّي والنّقد التحليلي المقبول ، لو كان ذلك في طاقته . . .

ثانياً — من وجهة الاسلوب فقال :« . . . ولكنها والله أعلم بعيدة عن صنف الحواديت والروايات والاقاصيص والاقصوصات اذا أردنا مقارنتها بشيء من عالي القصص

وسافلها وطيبها وخبيثها مما يتجلى فيه الفنُّ أو لا يتجلى ، وما يكتبه القصّاصون الافرنج وكتّابنا الشباب » . . .

وهذا نقدٌ مبهم ، أقلُّ ما يقال فيه إنه هذيان في هذيان ولو أنَّ فيه مدحاً للشاعر من حيث لا يشعر حضرة الناقد فهو يعترف بانَّ شاعرنا مبتدعٌ لاسلوب جديد ، ولكنه لم يقل لنا في صراحة ومنطق ماعيوب هـذا الاسلوب بالتحليل والمقارنة ، حتى كنا نستفيد حقاً من نقده . وهذا عجزٌ منه نسجله عليه .

ثالثاً — من وجهة شاعرية الشاعر حيث ادَّعى أنه « ليس فيها الا القافيـة والرويّ وبضعة أبيات منثورة هنا وهناك يشفع في انحطاطها وابتذالها أنها تصف الحقيقةَ ويدخلها شيء من حلاوة العبارة المصرية » . . . ثم خانه القلم بالحق بعـد استشهاده ، فقال عما نقله أنه « وصفٌ طيّبٌ » . . . ! ! وقصيدةُ الدكتور كما لا يخفى على القاريء مصبوبة صباً ومتجرّدةٌ من القافية الواحدة ، وكلها تحليلٌ لأخلاق وشخصيات ، ووصفٌ لحوادث وعادات وأمراض اجتماعيـة ، وملؤها المواعظ والاستنتاجات

الفلسفية الجميلة ، والتشابيه والنّكات المستملحة ، فلن تجدَ فيها بيتاً يمكن الاستغناء عنه ، لأنها وَحْدَةٌ تامةٌ متماسكةٌ أشدّ التماسك . وقد أجهدَ حضرة الناقد نفسه اجهاداً فأخرج أربعة أبيات لم يرض عنها ، فكان هذا مغالطةً عجيبةً منه لانها أبياتُ صلةٍ لا يمكن القدح فيها الا كما يقدح المغرضُ في مظهرِ أحجار قليلة في بستان شائق. وهذه الأبيات سليمة النظم ، وفي مواضعها من أنسب وألطف ما يُنْظَمُ ، ومثالُ الايجاز البديع . ولو أنصف الناقدُ لتحدّث عن قوة التحليل الذي امتاز بها نظمُ شاعرنا المبدع ، وعن محافظته التامة على العلاقة بين أسباب ونتائج قصته ، وعن اقتداره في الجمع بين الايجاز والاسهاب حيث يشاء .

رابعاً — من وُجهةِ الدّيباجة ، كأنما لا يدرك حضرته أنّ المقصود بهذه القصة البليغة الذّيوع فالاصلاح ، وأنها لو كانت في ديباجة (**عمرية**) حافظ بك ابراهيم مثلاً لجاءت مثالاً للسخف ومثالا مستهجنا لوضع الشيء في غير موضعه ومخالفة قواعد البلاغة .وقد صدق شاعرنا :

في قوله أنه لو طاوعه قلمه على كتابتها بالعامية لما توانى عن ذلك . وفي رأيي أن اسلوبها هو من السهل الممتنع ، تحسبهُ نثراً وما هو الاّ شعر منظوم ، كما قال الاستاذ عبدالله بكري . وما أنسب قول شاعرنا في هذا المقام :

«الشعرُ ألفاظٌ ترصّ وإنما
الشّعرُ نبْعُ عواطفِ الشعراء
وأنا المطالبُ بالوفاء لبيئتي
أمّا الجنيبُ فلن ينالَ وفائي
ديباجتي من نور عصرٍ سرّهُ
في الكهرباء أراه لا البطحاء»

خامساً — من وُجهة الحجم ، فادّعى ـ أرشده اللهُ ـ أنها ضئيلة الحجم ، متناسياً أنهـا رغم ايجازها المدهش واقعةٌ في اثنين وسبعين ومائتين من الأبيات ، واني تعمّدتُ الاقتصادَ فيما شغلته من فراغ فأشرتُ باستعمال حروف دقيقة ، ولم أُجزّيء الأبيات ، ولو لا ذلك لوقعت القصيدةُ في أكثر من ضعف حجمها في الكتاب . وما كان هذا الاقتصادُ الكلّي الاّ لأجدَ فراغاً كافياً لمباحث

الـكتابِ الاخرى ، مما دلّني خبرتي الماضية على رضاء جمهرة الادباء عنها . ولـكن حضرة الناقد المفضال تعمّد أن يعكس الحقائق عكساً تاماً ، كأنما يتصور ـ سامحه اللهُ ـ انّه ليس بين قارئيـه من لهم عقـول تقيسُ وتفهمُ ثم تحكم ! !

(٩) سخرَ من الاستاذين الأديبين الفاضلين عبدالله بكري وعبد القادر عاشور ، ولـكن نكرة مثله معذورٌ في ذلك ، كما أنه يُعذر اذا لم يفهم أنَّ النقدَ اذا تشبَّع بالتهكُّم والسخر والمغالطة فَقَدَ صفة النقد الأدبي ، وأصبح كاتبه ذاته موضع السخر ، فليس السخر والتهكم نوعاً من المداعبة المقبولة ، ولا أدري كيف يسخر حضرته ممن كان ناقداً أديباً لصحيفةٍ مشهورةٍ ، ومن أحد علماء الأدب ومدرسيه ، بينما هما في منزلةِ الاجلال بين الاساتذة ، ان كان لمثله أساتذة ! !

(١٠) عرَضَ من غير تعليقٍ أبياتاً قليلةً من شعر الشاعر ولم يجرؤ على تحليلها أو نقدها ، وان أشار لسان حالِهِ الى هذه الرغبة من قِبَلِهِ . . . فمرحى به من ناقدٍ همام لارأي له ولا شجاعة ! !

(١١) أشار في عجز تام الى تقدي المستقلّ لشاعرية شوقي بك

دون أن يظهر خطئي في موضع ما ، فاكتفى بادّعائه انّ أقوالي « لا تزال في حاجة الى التمحيص » . . . ووصفني بأني « مطيّبُ أبي شادي » اصغاراً لمهنة الأدب وللتعاون الأدبي ، وبعد ذلك يتظاهر انه من أنصار الأدب وحُماته . . . ! !

(١٢) ختم رسالته بعد مغالطاته الكثيرة بهذا الاتهام العجيب: « . . . وللقاريء بعد أن يقرأ هذه الخلاصة أن يحكم على المقصود من المجموعة وتحالف كتابها على اعلاء أنفسهم واشهار شاعرهم بالحطّ من مقام غيره . » . . . ومعروفٌ أنه لا بدَّ لكل حكم معقولٍ من حيثيات ، ولكن صاحبنا لم يأت بحيثيّة واحدة، فكتاب (**عبده بك**) كلُّه تقدير لادبائنا ، وتشجيعٌ على خدمة الأدب ، حتى نقدي لشوقي بك فانه ممتليء بالتقدير الكبير لمواهبه الأدبية التي لا ينكرها منصفٌ ، وبمحاولة توجيهه شطر التعاون الأدبي وقيادة المجدّدين من الادباء ان استطاع بعد أن ظلَّ معدوداً أمير المحافظين من الشعراء زمناً طويلاً . فحكمُ حضرة الناقد اذن حُكم مغرضٌ لا يُراد به الا التّشويش والخلط والتضليل ونكران الحقيقة الناصعة التي يعلمها جميعُ الادباء ، وهي أنَّ الدكتور أبا شادي يمثل الغيرة الأدبية أشرف تمثيل ، وهو عنوان البرّ بالأدب والادباء ،

ومثالُ التعاون الجميل . فلماذا قلب حضرةَ الناقد هذه الحقيقة الناصعة المشهورة قلباً تاماً ؟ ! لقد سبق الجوابُ وسيأتي الشرح . .

***

لولا علمي بما وراء هذه الحملة الموجهة الى الدكتور أبي شادي والى الأدب الجديد في شخص الشاعر الممثّل لأنصاره ومريديه لما حفلتُ بها ، لانها في ذاتها حقيرة لا تستحق غير الازدراء بها . ولكنها أقوى حملةٍ وُجّهت الى هدمه بل الى هدم الأدب الحديث استبقاءً لنفوذ شوقي بك الذي لا يؤازر إلاّ من يتملقون اليه من النكرات ، فان عُرف أحدهم فيما بعد أسرع شوقي بك للتنكُّر له . . . ! ! وهكذا شاءت الأقدارُ لسوء حظّ الأدب المصري أن يكون أحدُ الأكابر من شعرائنا — وهو شوقي بك — في مقدّمة هادمي الادب استبقاءً لمجده الشخصي ، فهو يبني من جهة ويهدم من جهات ! !

أوشك شوقي بك أن يتمّ العقدَ السادسَ من عمره (حيث وُلد سنة ١٨٦٨ م) بينما الدكتور أبو شادي في منتصف العقد الرابع (فقد ولد سنة ١٨٩٢ م) فالفارق بينهما ربع قرن من الزمان . فهل يريد الحزبُ الشوقيُّ رغم هذا الفرق بينهما في السنّ (دع عنك

نعمة شوقي وراحته) شيئاً من المقارنة تخفيفاً من غلوائهم ومكابرتهم؟
إذن فليقرؤا ... وليتشجّعوا قليلا فيتجنّبوا الولولة والادّعاء
بأننا نتحامل عليهم حينما نكتفي بردّ سهامهم الطائشة في
شرفٍ وكرامةٍ . . .

أثر البيئة

نشأ الدكتور أبو شادي في بيئة أدبٍ وعلم وترعرع فيها ،
فهي بيئة الصّحافة وبيئة الكتّاب والشعراء ،فضلا عن الوسط العائلي
الأدبي ، ثم انتقل الى خير الأوساط العلمية الانجليزية . وهذه
البيئات المهذّبة المثقّفة قلّما أُتيحتْ لأديب مصري من قبل ،
لا سيما وقد كانت متشبعة بروح الحرية والاباء ، مما طبعه بطابع
الديمقراطية وعزّة النفس . وهذا من الاسباب القوية التي تجعلنا
معشر الشباب الأحرار نُعلّق آمالا كبارا على مستقبله وعلى تأثيره
الأدبي في المجتمع المصري .

وأما شوقي بك فقد نشأ في وسطٍ ارستقراطيٍّ متقلّب، فانطبع
بطابعه ولم ينفعه التعليمُ الاوروبي ، وخُدع الادباء بوعوده الجميلة
التي نسّقها في مقدمة الطبعة الاولى من ديوانه الجامع لشعره من
سنة ١٨٨٨ م الى ١٨٩٨ م ، فلم يبالوا بمتابعة احدى الصحف في

وصفه « بشاعر الامير وأمير الشعر » ـ من قبيل المغـالاة في المجـاملة الشرقية المألوفة في ذلك الوقت ـ نعم لم يبالوا بذلك في الوقت الذي انتظروا الخـير على يديه للأدب والادباء ، ولـكنَّ فطرةَ شوقي بك المادية وأنانيته أخذتْ تتغلّبُ عليه ونسي وعوده الطيبة[1] وحارب كل أديب نابه من حافظ الى محرم الى الـكاشف الى نسيم الى غيرهم ، وكـان اخوانه الشعراء يغفرون له هـذه الخطيئات ، ويشفع لديهم صنائعه بمـاله من حسنات أدبية ، واستمرَّ الحال على هذا المنوال الى أن بلغ السَّيل الزّبى في السنوات الاخيرة بتقلباته الذميمة ، حتى جعل أدَبنا أضـحوكةً مبكيةً لمجـرَّد زهوه وحبه للظهور وغروره الـكبير[2] !!

....

(١) راجع ما كتبه الاستاذ السندوبي في جريدته (الثمرات) ـ يوليو سنة ١٩٢٦م .وقارنه بما كتبه شوقي بك في مقدمة الطبعة الاولى (الشوقيات) .

(٢) اعترف شوقي بك بتشجيع فخر الادب العربي خليل بك مطران له وفضله عليه ذلك الفضل الذي نعلم جميعا أنه لم يبدله حتى ابعاد شوقي بك عن مصر ، فقال في مقدمة الطبعة الاولى من (الشوقيات) : « . . . . وهنا لا يسعني الا الثناء ، على صديقي خليـل مطران صاحب المنن على الأدب ، والمؤلف بين أسلوب الافرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب » . واعترف بفضل حافظ بك ابراهيم فقال :

قالوا حبيب أنت تطري شعره ... من ذا الذي لم يطر شعر (حبيب)؟!
من كان في ريب فهذا ديوانه ... راح العقول وكأس كل اديب

المبادئ والأخلاق

قلنا إنَّ الدكتور أبا شادي رجلٌ ديمقراطيٌّ بتربيته وهو كذلك بفطرته ، ويعزز شهادتي هذه كلٌّ من عاشره من الادباء وكل من جالسه، دع عنك لسان شعره الحرّ . وهو وفيٌّ لمبادئه أتمّ الوفاء ، فلم يبدل منها الاغترابُ ولا تقلُّب الظروف السياسية .

وأمّا شوقي بك فلا أعلم أنَّ له مبادىء أو شبه مبادىء ثابتة ، ولا وفاء لبيئته الاولى ، ولا التقدير الباقي لوليّ نعمته التي ما يزال يرتع في بحبوحتها .

والدكتور أبو شادي رجلٌ كريمٌ قولاً وفعلاً ، وشوقي بك

أوصى (لأحمد) و (الوليد) كليهما	شمم المديح ورقة التشبيب
كم فيه من مثل يسير وحكمة	تبقى على الدنيا بقاء (عسيب)
يا (حافظ) الآداب والبطل الذي	يرجى اليوم في البلاد عصيب
خر للآلى حصوا اللآلىء بالهوى	مثقوبة او غير ذات ثقوب
لا تسألوا الاصداف ماذا اودعت	في هـذه الاوراق كل عجيب !

ثم غلبت عليه الغيرة منهما ، وأعمته الماديات ، فاذا به لا يهنأ له عيش الآن بغير انتقاص أصاغر الكتاب والصحف المجاملة له من قدريهما وأدبهما العظيم ، ولم تكفه دسائسه الاولى في حياة صديقه سمير فصارت مناه الآن ان لا تسمع مصر بل الشرق العربي بأجمعه شاعرا غيره . . . . !!

رجلٌ بخيلٌ ، ولا أحبُّ أن أتوسع في المقارنة بهذه النقطة .. ..

وانما حسبي أن أقول إن جلال المبادئ، ومكارم الأخلاق تترك في الشعر حياةً لا تفنىٰ ، وهذا عاملٌ آخر يدفعنا معشر الشباب الى التأميل الكثير من عبقريةِ شاعرنا الناهض الأمين الكبير النفس .

قوة الشاعرية

اذا قارنا بين شعر شوقي بك في العشرين من عمره (أي سنة ١٨٨٨ م) رغم تنقيحه له فيما بعد ، وبين شعر الدكتور أبي شادي في مُقابل ذلك العمر ـ بل فيما دون ذلك العمر بسنوات خمس ـ فاننا نجد لشاعرنا قوةً نفسيةً وأدبيةً فوق منال شوقي بك الفَتَىٰ .

وأما عن شوقي بك في طفولته الادبية فقد كان شعره هذراً في هذر وسخفاً عجيباً لا يزال حديث المسامرة في المجالس الادبية اذا ما ذُكرتْ طفولة الادباء ، وقد اعترف شوقي بك ذاته بذلك مضطراً حتى يحبس السنةَ نُقَّادِه في أيام شبابه فقال : « على أن ما جُمع في (**الشوقيات**) ثم طُبع ليس هو كل ما قيل فقد أسقطتُ منه الكثير وعثرتُ على غيره ولكن في الزمن الأخير ، فأمَّا ما أُسقِطَ عَمْداً فأكثرُهُ من قولي في زمن الصبا الذي لا يؤمَنُ

فيه على المرء الغرور ، ولا يَسلك الفتى فيه سبيلا إلاّ وهو مضلَّل عثور . وقد خشيتُ أن يقع مثل ذلك في أيدي الناشئة فأسأل عن سوء وقعه ويكون إثمه أكبر من نفعه ..... » الخ ، بينما السبب الحقيقي هو قُبحُ ما اضْطُر الى اغفاله ، لأنَّ من يسمح في هذه الايام للشركة المصرية البريطانية بائعة الوسكي بأن تتخذ شعره وسيلة للاعلان عن بضاعتها [1] ولافهام الناشئه أنَّ نبوغ شوقي بك الادبي ينتسب الى الويسكي — مَنْ يسمح بهذه الجناية الخُلقية لاهيًا عابثًا لا يُصدَّقُ عنه هذا التعفف الذي يتحدَّثُ عنه في شبابه الاول ....!!

قال شوقي بك في العشرين من عمره متغزلاً :

وبدا يميسُ فلاح لي قمرٌ على
غصنٍ رطيبٍ بالمحاسنِ مُثْمرِ
رشـأٌ اذا هزَّ النسيمُ قوامَه
أزرى بغُصْنِ البانةِ المتخطِّرِ
متمايلُ الأعطافِ ، وردُ خدودِهِ
يُغني المحبَّ عن الشقيقِ الأحمرِ

فوضع لك « البدر » على « الغصن » وتحدَّث عن « البانة »،

---

(١) راجع الصفحة الثانية من جريدة (السياسة) الصادرة بتاريخ ١٦ اغسطس سنة ١٩٢٦ تجد فيها احدث اعلان من هذا النوع اطلعنا عليه بعد كتابة هذا المقال ووقت تصحيحه قبل الطبع

و « الشقيق الأحمر » ونحو ذلك من السخف الذي يقال لنا الآن انه كان تجديداً عظيماً في الشعر العربي ! ! أمَّا الدكتور أبو شادي فقال لنا في الرابعة عشر، وهو من شعر طفولته الأدبية الذي يحاول الشوقيون تعنتاً أن يعرضوه على محكّ النقد بل في معرض التحامل الذميم :

لولا المحبةُ ما تحركَ شاعرٌ ... ولما غدا حول السماك يطيرُ
ولما رأينا للمكارم دولةً ... ولما نظرنا الكونَ وهو خطيرُ
فاعجبْ لضعفِ قوةٌ في ذاتِهِ ... يَدَعُ الحياةَ تَنِي له وتمورُ !

وقال في العشرين باكياً هواه وشبابه الذابل :

أسفي على عهدِ الشباب المنقضي
بجلال نعمتهِ وحقّ زفيري
ودّعتهُ وحرستُ آمال الهُدَى
فشقيتُ الآ من لقاء ضميري
وأنا الشفيقُ على الجمال وانْ قستْ
وجَنتْ محبتُهُ إزاء مصيري !

وقال شوقي بك في الثلاثين من عمره يصف منظر طلوع البدر في البحر من أعلى السفينة وهي تجري ـ وهذه القصيدة من أحسن

شعره الوصفي في شبابه :

ملكَ السماءِ بهرت في الأنوارِ ... ففداكَ كلّ متوَّجٍ من سارِ
لمَّا طلعتَ على الميـاه تنيرها ... سكنتْ وقد كانت بغيرِ قرارِ
وزهتْ لناظرها السَّماءُ وقرَّها ... في البحرِ من عببٍ ومن تيَّارِ
وأهلَّ لله السراةُ وأزلفوا ... لكَ في الكمالِ تحيةَ الاكبارِ
وتأمَّلوكَ فكلُّ جارحةٍ لهم ... عينٌ تسامرُ نورها وتساري
والبدرُ منك على العوالم يجتلي ... بشرَ الوجوه وزحمة الأبصارِ
متقدّمٌ في النور محجوبٌ به ... مُوفٍ على الآفاقِ بالأسفارِ

الى آخر هـذا الوصف المستملَح . ومع هذه الاجادة فقارنْه بشعر الدكتور أبي شادي في الخامسة والعشرين يصف سقوط الجليد في انجلترا من قصيدة طويلة فريدة بأخيلتها وجمالها :

أُنظرْ مفـاخرَ أنجمٍ وبُدورِ
جعلتْ مطالعَهـا بأبهجِ دُورِ
سلبتْ عقولَ أُولي النُّهى وأُولي الهدى
مَنْ لم تتيّمهمْ ذواتُ خدُورِ
هذا الجمـالُ لعابدٍ متبتّلٍ
جذبتْ روائعهُ أرقَّ شعُورِ

هذا النعيمُ لكلّ مَنْ يُعنَى به
والكلّ ذي لُبٍّ وكلّ شكورِ

هذا الكتابُ لباحثٍ أو واصفٍ
أو ناقشٍ أو عازفٍ مسرورِ

آياتُ إعجازٍ تجلّتْ للورى
والليلُ حائطُها بأمتن سُورِ

في كلّ تافهةٍ وكلّ جليلةٍ
آثارُ وجدانٍ أجلّ كبيرِ

هذي مظاهرُ كلّ فنٍّ شائقٍ
منها استعار الفنَّ كلُّ خبيرِ!

فاز الثّرى منها بكنز لآلئٍ
وحُليّ أقمارٍ ونَفْحِ عبيرِ

وزَهَتْ بزخرفها السّماء فأمطرتْ
منْ عهنها المنفوشِ والمنثورِ

نشرتْ لواء السِّلْم أبيضَ ناصعًا
فالحبُّ تحت لوائها المنشورِ

كَسَتْ الطَّبيعةَ حُـلَّةٌ من فضةٍ
هي في طهارتها لباسُ الحورِ
نَثْرُ النجوم قشورَها مجلوّةً
بالنُّور أو نثرٌ من البلّورِ
قرّتْ عيونُ الـكائناتِ بمشهدٍ
عجلَ الفناءُ اليهِ غيرَ صبُورِ

وأما المقارنةُ بين شـعر شوقي في الثامنة والخمسين وبين شعر أبي شـادي في الخامسة والثلاثين (وأمثلة منه في صفحات هـذا الديوان) فميسورٌ للقاريء [1] . وبجانب هذه المقارنة يجب على الناقد أن يذكر أن شاعرنا غير راضٍ عن نفسه وعاملٌ دائماً على تهذيبها ، ومقدرٌ مسؤولياته ، وأنه يـترك تحقيقَ أطيب وعوده وآماله الأدبية الى الغـد ، وانَّ أصدقاءه لا يقنعون بآثار نبوغه

(١) المقابلة الحقيقية في عرف المنطق بين قوة الشاعرية في نظم شوقي بك سنة ١٩٢٦ م . وبينها في نظم الدكتور أبي شادي انما يجب أن تكون في سنة ١٩٤٨م . حيث يبلغ شاعرنا (اذا مد الله عمره) عمر شوقي بك الحـالي فتكون المقابلة بين آثارهما متكافئة في معظم العوامل الطبيعية، وان انفرد شوقي بالثروة والنعمة والراحة والتفرغ للشعر . ورغم هـذا الفارق فليس الدكتور أبو شادي في اعتقادي وفي اعتقاد الـكثيرين من الادباء والمفكرين بالخاسر في مواقف كثيرة اذا تعرض للمقارنة الادبية في وقتنا الحاضر ! !

الحاضر مهما أجلّوها ، بينما شوقي بك اعتقد من أول عهده أنه شاعرُ الشرق بأسره ، وانه أعظم من (تاغور) وبينما أصدقاؤه النفعيّون يتابعونه في هذا الوهم ويستغلّون في غير حياء هذا الضعفَ منه . . . ! ! فايُّ الادباء أولى بأن يُسمَّى « مطيبًا » لصديقه الشاعر ؟ أمثلي الذي يقرن التقدير بالنّقد ويشجع صديقه دائماً على بلوغ المثل الأعلى من الكمال مهما طال الزمن ، أم هو الدكتور هيكل بك الذي غالى أيةَ مُغالاةٍ في تفخيم شاعره شوقي ، أم هو محمد بك ابراهيم هلال الذي عظّم حافظ وشرح ديوانه الأول وخاطبه بقوله :

ألاَ كلُّ قولٍ عن مديحِك قاصرٌ
وكلُّ مديحٍ في خلافِكَ زُورُ ! !

ثم دار الزمانُ دورتَه فتخلَّى عنه . . . ! !

اني رجلٌ صريحٌ لا أندم على الصراحة الشريفة والجرأة الحقّة ولولا حُبّي للأدب لما استطعتُ الاشرافَ على نشر هذا الديوان فقد كثرتْ شواغلي وتنوعت منذ أوقفتْ الوزارةُ الزيورية المشؤومة عملي الصحفي ، وقد تعوقني شواغلي المستقبلة عن القيام بنظير هذه الخدمة الأدبية التي ترتاح لها نفسي أعظمَ الارتياح ، ولكنَّ

ذلك لا يدعوني الى تغيير رأيي فيما دلّني المنطقُ والتجاربُ على أنه صوابٌ ، ولن يثنيني النقدُ المغرِض عما أراه حقاً ، ولن يكون سكوتي الاضطراري تبديلاً لمبادئي ولا مساومةً في ذمّتي ، لا قدر الله . . . .

الاثر القومي

لقد صدق الحزبُ الشوقي في قوله انّ شعر أبي شادي شامل للحياة القومية ، وان شاعرنا ينظم في كل موضوع ولكل مناسبة وانه قادر على خلق المناسبات للنظم . وسيؤلمهم أكثر من ذلك — ما داموا لا يعبؤون ببناء الادب ، بل يكاد يعنيهم هدمه استبقاءً لتفرد شوقي بك بالشهرة — انّ شعره محبوبٌ لدى طبقات كثيرة من المتعلمين ، وان دواوينه رائجةٌ منشودةٌ .

حدّثنا أحدُ محبّي شوقي بك — بل أحد المغالين في تفخيمه — عن تقلّب شوقي بك وقلبه للحقائق حسب الاهواء والمنافع ، فقال في رفقٍ ومودةٍ كثيرةٍ [١]: « شوقي شاعرٌ : شاعرُ النيل وشاعرُ البسفور ، وشاعرُ الحضرة الخديوية في مصر ، وشاعرُ

(١) راجع مجلة « الفتح » : العدد الثامن ، المجلد الأول .

العرش العثماني في فروق ، شاعر العهد الحميدي في حكومته المطلقة ، وشاعرُ العهد الرَّشاديّ في حكومته الدستورية . كذلك شوقي نفسه شاعرُ الخلافة الاسلامية متمثلةً في التاج العثماني ، وشاعرُ الجمهورية التركية مشخَّصةً في قُبّعة مصطفى كمال . ثم من هنا وهناك شوقي عينه شاعرُ الشرق ، فأميرُ الشعر ، أو أميرُ الشعراء !

لا بأس ! طائرٌ يغرّدُ في كلّ فنَن ، وريشةٌ تضرب على كلّ وتَر ، وانْ شئتَ فقلْ : شاعرٌ في كلّ وادٍ يهيم ! لا بأس ! انَّ في شعرهِ لحلاوةً ، وانَّ عليه لطلاوةً ، وانَّ الرجل لمطبوعٌ على الشعر كأنَّما خُلقَ ليكونَ شاعراً ، فليكنْ أميرَ الشعر والشعراء ، وليكنْ شاعر الشرق والغرب اذا شاء . في استطاعة شوقي أن يكون كلّ ذلك ، وفي استطاعة شوقي أن يهيمَ في كلّ واد ، وأن يقدحَ كلَّ زناد . ولكن ليس في استطاعته أن يتمرّد على الطبيعة ويخرج على الدائرة التي وضعه اللهُ ضمنَ حدودها دونَ أن يضلَّ سواءَ السبيل ، فلايلبث أن يعودَ مقهوراً مدحوراً لم تُغنِ عنه شيئاً ألقابُهُ ووديانه ، ولا أوتارُهُ وأفنانُهُ ، فانها شيءٌ وماتصدّى له شيءٌ آخر . . . »[1]

---

(١) طعن شوقي بك طعنا مراً في زعيم الثورة المصرية الاولى المغفور له أحمد عرابي باشا بقصيدته التي يقول في مطلعها : « عرابي كيف أوفيك الملاما . . »-

هذا ما يقوله أحد أنصار شوقي بك متستراً ، فماذا يمكن أن يُقال عن الدكتور أبي شادي ؟ لا أكثر ولا أقلّ من أنّه شاعر وجدانيٌّ تتمثل العواطف في كل شعره ، وتتوجه أحاسنه الى هيكل الوطن المقدّس ، كبير القلب ، شريف المبدأ ، يُحترَم شعرُهُ كما يُحترَم رأيُهُ ، مجدّدٌ في غير تجرُّد ، متصوّفٌ في فلسفته ، حرُّ الذهن في غير إلحادٍ ، عريقٌ في وطنيته ، وافٍ بعهده القديم :

تخرُّ الراسياتُ ولا سبيلٌ الى هدمِ الكريمِ من اعتقادي

يعرف ان أعظم سرٍّ لدينه نصحُ خاتم الانبياء والمرسلين ، بأن نطلبَ العلمَ ولو في الصين ، فيدعو ـ خدمةً للعلم وللدين وللانسانية معاً ـ الى دوام تطبيق العلم على الدين ، كأنما ذلك ركنٌ سادسٌ للاسلام . هذا شاعرنا وهذا أثرُهُ القومي في شعره .

وكانت منشورة في الطبعة الاولى من (الشوقيات) ثم حذفها من الطبعة الثانية ، لا اعترافا بالحق ولا خجلا من ذنبه ، وانما جبنا امام انكار الوطنيين المصريين لحملته ، فلا هو تمسك برأيه في عرابي ودافع عنه ، ولا هو أنصف ذكرى عرابي باشا . وهذه روحه بينها في مدحه واوصافه وتهانئه ومراثيه ومن بينها رثاء الحصان الكريم « مكسوبني » ـ فانما يمليها غالبا الغرض او الهزل او حب النفع او فرص الظهور ، واما الواجب المستتر فيندر انه يعبأ به . والعهد قريب بتخلفه عن حفلة (يوبيل المقتطف) لاشتراطه الاكتفاء بقصيدته نيابة عن الشعراء المصريين والاستغناء عن قصيدة حافظ بك ابراهيم ، فرفض أصحاب (المقتطف) طلبه السخيف بشمم وكرامة نفس ... !!

اللغة والديباجة

ربما كان الأليق ان أُشيرَ عرَضاً الى اللُّغة والديباجة في موضعٍ سابقٍ لأنها ليست أهمّ شيء في الشّعر ، فالغايةُ القصوى من الشعرِ أثره القومي ثم أثره الانساني العام ، وما أثره الفنّي الاّ غايةً صغيرة بجانب الغاية القومية العظمى المنشودة في هذا العصر . بَيْدَ انَّه لا يزال في مصر جيشٌ عظيم من المقلّدين كلُّ حديثهم عن الأدب محصورٌ في هذه الـكلمات : « رقيق . جزل . لغـة . ديباجة . مبتذل . فخم . » .... فالى أمثال هؤلاء يكفيني أن أقول : هذا شاعرٌ كم شوقي أنفق من عمره ثمانيَ وثلاثين سنة دارسا اللغة العربية، ومع ذلك لا تزال تُعدُّ عليه سقطات وأخطاء كثيرة ، وأملهُ الاكبر أن يُعدَّ الشاعرَ العربيّ القُحّ .... فلا هو يرضي علماء اللغة والأدب العربي الأصيل من تلاميذ الشنقيطي والمويلحي والمهدي ، ولا هو يُرضي أنصارِ الأدب المصري الخاص ، وهذا شاعرنا الدكتور أبو شادي اعتبر بهذا الدرس الأليم الذي شاهده في شوقي وحافظ ومحرم وغيرهم ، فقال ما أغناني عن كلّ هذا السَّخف ، وابتدع لنفسه أسلوباً خاصاً ، وأحيا روحَ الأدب المصري في شعره، ونظر الى أدب بيئته بالنسبة للأدب العربي الصميم كما

ينظر الامريكي الى الأدب الانجليزي . ولقد صدق الناقد الأدبي لجريدة (الاهرام) في قوله عن شاعرنا : « ... تَبيَّنّا له طريقةً استقلَّ بها ، فهو لا يقلّد قديمًا ولا يشايع جديداً ، وانما يرسل شعرَه منتزَعًا من الحياة العصرية ، حتى كأنّه قِطَعٌ منها متناثرة » . [1]

فالدكتور أبو شادي ليس مقلداً في أسلوبه وان كان له مقلدون وقد استمدّه من روحٍ قوميةٍ شريفةٍ بدافعٍ شريفٍ ، فكلُّ نقد يصطدم به اذاً يتناثر حوله ، لأن روحَ أسلوبه المنطقُ السليم والوطنية العمليّة الصادقة . ولله دره حيث يقول :

لغتي الذي يوحيه ذَوْقي والذي
لبَّى به الأدبُ الحديثُ ندائي
وأرى في وحجايَ ثم يراعتي
ملكاً لموطنيَ الشقيّ شقائي

ولم يكتف الدكتور أبو شادي بتمصير مفرداته وأسلوبه في اعتدال جميل بل تصدَّر أيضًا لمحو رذائل القيود العروضية التي لا يقبلها الذَّوْقُ العصري أو لا موجبَ لها في عُرفه ، وقبلَ النقدَ

(١) راجع مقالة الدكتور أبي شادي الضافية عن « ادب العصر » في ذيل الجزء الأول من كتاب (وطن الفراعنة) وقصيدته العصماء عن « الوطنية والأدب » المنشورة في هذا الديوان .

في شجاعةٍ بل دعا اليهوردَّ سهامه الطائشات ، بينما «أمير شعرائنا» شوقي بك خائفٌ وجلٌ يتقدَّم خطوةً في سبيل التحرير ثم يتراجع خطوات أمام نقد الجامدين ، واذا ثبتنا عليه في لينٍ أو شدَّةٍ بريئةٍ من الغرض الشخصي أثار عسا كره علينا في حربٍ عوان ، فرأينا - وبنفسنا الأسفُ والحسرة - كيف يعمل على هدم الأدب مَنْ هو أولى بأن يبقى دائماً في طليعة بُناتِهِ . . . فلعلَّ مرارة كلمتنا هذه هي مرارة الدواء الناجع ، وأن سوف يتبعها شفاء ستقرُّ به عينُ الادب ، وسيكون فاتحةَ عهد جديد للتعاون الادبي المنشود المجرَّد من حُبِّ المجدِ الشخصي ، فانه ما تسلط على أي نابهٍ عظيم الا وأساء اليهِ ، ثم الى عملِهِ ، ثم الى وطنهِ ؟

حسن صالح الجداوي




شِعرُ الدِّيوان

النهضة ارادة

وطني لحسنِك ما نظمتُ جواهرَا

وبفضلِ وحيك أن أُعدَّ الشاعرَا

أُسقيتُ فيكَ هوايَ منذ طفولتي

وخَلقْتَ وجداني هُدًى ومآثرَا

وشقيتُ من حُبّي فكنتَ مُعلّلي

ونقمتُ من جيلي فكنتَ الغافرَا

فعليَّ حقٌّ أن أفيكَ مبرَّةً

وأنا الشكورُ وان لحتك شاكرَا

عهدي : بياني لن يُسخَّرَ ضلَّةً

للعابثين وان تكون الخاسرَا

أبداً يرفُّ بحكمةٍ ورحمةٍ

يُهدي الانامَ ولا تخيّب عاثرَا

وأظلُّ أدأبُ في سبيلك ناشراً

مَوْتِى الارادة مُسعِفًا ومحرّرَا

والناقـدون بلفظهم وبنحوهم
يلهون لا يدرون حساً قادراً !
والشـاعرون ينمقون بيوتهم
عبثاً ، فـلا يحيون بيتاً عامراً !
جهلوا الحياةَ بأصلها وبحـالها
فتسابقوا وهماً يميت الخـاطراً !
ولو انهم درسـوا الحياة حقيقةً
وصفوا الحياةَ نتيجةً وعناصراً !

****

وطني صفحتُ عن الهنات كثيرةً ...
أمّا الارادةُ فـهي تخلقُ كابراً !
والشعبُ ان تخذَ الارادةَ عمـدةً
قتل الزمانَ اذا تهجّم صابراً !
الجهلُ أولى أن يكون شـعارنا
من أن يُضيعَ العلمُ حزْماً وافراً !
فاذا التمستَ من الارادة قوةً
فلقد كُفيتَ مدافعاً وذخائراً !

وبَنَيْتَ بالصَّبرِ الحصينِ معاقلاً
ورفعتَ من أُسّ الثبات منابرًا
وسخرتَ حولك بالصعاب تدوسُها
حتى تهونَ فلا تردّك صاغرًا
ليسَ الحماسةُ غيرَ مبدإ نهضةٍ
أما الارادةُ فهي زادُك آخرًا !

اضطهاد الرأى

أسفي على عهدٍ بهِ يَجْني الجبانُ على الجريحْ
ويسومُه أقسى الهوا نِ فيقْتَلُ الخُلُقُ الصّحيحْ
باسمِ السّياسة حُلّلَ الا اجرامُ والعيشُ القبيحْ
حتّى تبرّأ كلُّ ذي فضلٍ من الفضلِ الصَّريحْ !
كيما يصونَ حياتَه كيما يُريحَ ويستريحْ !
أسفي على عهدٍ بهِ إنكارُ (بطرس) (للمسيح) [1].

(١) تظاهر الرسول بطرس بانكار علاقته بالسيد المسيح اتقاء للاضطهاد وقد نظمت هذه الابيات لمناسبة «الحركة الانكارية» الاضطهادية في اوائل سنة ١٩٢٥ م.

الخمر والشعر

تنشّط وجداني لشعرٍ لذاذتي
بفنٍّ له عنـدي الجلالةُ من قَدْرِ
وأرفعُ شعري عن بلادةِ عاجزٍ
اذا قال كان القولُ من حَبَبِ الخمرِ!
سَنيٌّ من الدُّرِّ العزيز يصوغُه
خيالي واحساسي وحُبّي وما أدري[1]
وليس ضلالَ الوهم من طبع عابثٍ
يدينُ بمـا يُعطيهِ للخمر والسُّكرِ
أطِلْ نظرةً : لا تلقَ الاّ لآلئاً
فان سُتِرَتْ فهو الشريفُ من السِّترِ
وما نافعي والناسَ زخرفُ مَظْهرٍ
اذا عدم الغالي الكريمَ من الدُّرِّ
فما غايتي الاّ الحقيقةَ حرّةً
تشوقُ بعذب اللفظ والمثَلِ البِكْرِ
وتأسرُ ألبـابَ الانام بروعةٍ
تفكّ الجنانَ الحُرَّ من عادة الأسرِ

(١) ما : بمعنى الذي.

قلم الفنان

مزيج من شعر العواطف

الخطاب موجه الى الاستاذ خليل بك مطران وقد أهدى اليه الناظم قلما من الابنوس المذهب

(١)

يامَنْ بخلتَ وما بخلتَ تعمّداً ... برسالةٍ لمشاعري وبياني

لو دِنْتُ في أدبي لألف مؤدّبٍ ... فأعزُّ غالي الشعر من (مطران)

أنتَ الأحقُّ بنقدِ جَمْعِ عواطفي ... من نيّرٍ باقٍ وآخر فان

إنْ كان أعوزكَ اليراعُ فخلّني ... أهدي السنيَّ لراحة الفنّانِ (١)

شعَّ النّضارُ عليه بين سروره ... وحنينيَ المتوهّج المتفاني

فاذا كتبتَ فقد نشرتَ محبّتي ... واذا نسيتَ فلستَ في نسياني !

(١) الفنان المفتنّ : والمشاعر : الحواس . وكلتاهما عصرية بهذا المعنى .



(٢)

رد الاستاذ مطران

القاهرة في ١٥ / ١٠ / ٢٥

نابغة الادب والعلم
الدكتور زكي محمد ... الرشايدي

بعودتي اليوم الى مصر وجدت كتابك الكريم وهديتك النفيسة
اما القلم فلا يزال ملازمي جيدا وبه اكتب اليك شاكرا ومتمنيا ان يبقى
الحمد الكبير بهذا الشيء الثمين الصغير

لم تبلغني ايها العزيز ما فعل الله بحفلة الرثاء للمرحوم الوالد
سمعت في فلسطين ان الحكومة الفرنسية حالت دونها فان كان هذا صحيحا
فبلغني حقيقة الامر لانشر مرثيتي له وما فات وقتها فيما اعتقد
من الرجل الذي لا تزال ذكراه حية في كل حين ومن الميسور ذكر السبب في صدرها
لتأخيرها.

اني لفي شوق عظيم اليك. هل انت زائر مصر في هذه الايام؟
تيسر في كل ما تعرفه عن احوالك ونسأل الله ان نكون ممكنين من الوصول جميعا
كما اتمنى لك من صميم القلب نجاحا وفلاحا وسرورا واسعادا. المخلص
خليل مطران

(٣)

وافى كتابُكَ في تبسُّم رقةٍ ونثيرِ أشجانٍ ودمعِ حنانِ
جرتْ المحبةُ في سطور بيانهِ جريَ الودادِ على شفاهِ حسانِ!
وسألتني ما لا احبُّ جوابَه ومن الفضيلة خُلّةُ الكتمانِ
لكنْ يناشدني الوفاءُ صراحتي ومن الصراحة مُستَعِزٌّ بياني
فاعلم حماكَ اللهُ: علمك بعضهُ حقٌّ من التقدير والحُسبانِ
لكنَّ أقسى مايسوءكَ ذكرُهُ أن لا تدومَ مودّةُ الخلّانِ



يوم وداع

أُلقيت في حفلة التكريم الكبرى التي اقيمت (باوتيل بلير) بالسويس وداعا للدكتور المفضال عبدالله جلال بك يوم السبت ٣ أكتوبر سنة ١٩٢٥ م

إنْ عُدَّ هذا اليومُ يومَ وَدَاع
فلقد دعاهُ الى التَّمهُّلِ داعِ !

ما بانَ مَنْ بَقِيَتْ عوارفُ فضله
حَكَماً على الالبابِ والأسماعِ

ما كنتَ أوّلَ من تَهيمُ به العُلى
فيسيرُ ، لكنْ أنتَ أولُ ساعِ

لم يرضَ بالقنعِ الذليلِ بامةٍ
شُغِلَتْ به عن واجبِ الابداعِ

فجعلتَ مبدأَكَ العظيمَ تَشبُّثاً
بالجهدِ والاتقانِ والإقناعِ

واليومَ يُرغمكَ اقتدارُكَ سائراً
من مَوْطِنٍ واعٍ [1] لآخر واعِ

---

(١) واع : جامع.

وكذا الحياةُ تنقُّلٌ يسمو به
حظُّ القويّ ويسقط المتداعي !

****

يكفيك فخراً يا (جلالُ) وقد أتى
يومُ الوَداع وَداعُ كلّ نزاعِ
والناسُ حولك حالُهم في ذكرهمْ
مَنْ أنْتَ فضْلاً مظْهرُ الاجماعِ
تركوا التحزُّبَ والخلافَ وآمنوا
بنجاحِكَ الفذّ المهزّ يراعي
يا رافعاً ذكراً (لمصر) بحِذْقِه
بين الأجانب ما طلبتَ دفاعي
فاذا مدحتُكَ كان وصفي نابغاً
حقّاً ولستُ مجاملاً لدواعِ
واذا أسفْتُ لفُرْقَةٍ فلمنّةٍ
كم كُنتَ تُسْديها بصدقِ طباعِ
وبمثلِ قلبي لا يعيشُ سوى الهوى
فهو الغــذاء لمهجتي ، ومتاعي !

والعمرُ أقصرُ من مجـــال تنابذٍ
ومن المحبّةِ فجرُ كلّ شعاعِ !
هيهاتَ أن يُطْرِي بياني مُرْغَماً
ما كان داءُ المدح بــين طباعي!

****

رفقاً صديقي في اكتئابك واَدّكرْ
صبرَ الشُّجاع ، ففيكَ قلبُ شجاعِ
مهما نزحْتَ فمــا عدِمْتَ مودّةً
تسري لبرّكَ في بعيد بقاعِ
و (لمصر) نفعُكَ باقيا ومسافراً
كالنُّور ليس وانْ سرى لضياع !
مهما تجمّعَ للظـلام جيوشـهُ ،
فيعيشُ مثلكَ في طـويل صراعِ
شخصيةٌ لكَ ليس يدري كُنْهها
الاّ المدقّقُ والصديقُ الواعي(١)

---

(١) الصديق الواعي : الصديق المتدبر .

حلَلْتُها وبحَثْتُها فوجدتُها
عَجَبًا ، ويُطرِبُها أمضُّ قِرَاعِ !
ولربّما جَمعَتْ نقيضين معًا
وتحصَّنتْ سَتْراً كستْرِ قِلاعِ !
هي للصديقِ مبرّةٌ جذّابةٌ
ولمن نبذتَ كصارمٍ لمّاعِ !
فاحرصْ على حسناتها وحياتها
للنفْع والاصلاح لا الأطماعِ !
ودعْ النُبوغَ مُكرّما بك رافعًا
رأسًا ، وقتلى الجهل صرْعَى القاعِ !

****

والآن هل يُغريكَ شعري مُطْرَبًا
لسماع ما أُهدي لُحلوِ سماعِ ؟
مِنْ أُنسِ مجلسِكَ الشهيّ ، فكم به
زُوّدْتُ من طَرَبٍ هوايَ يُراعي

(وأبو عليّ)[1] مُحْسِنٌ بفكاهةٍ
هي للحزين كخمرةِ الملتاعِ
وأمامنا (عبدُ الغفور[2]) مُسائلٌ
بالباب رهنَ اجابة استشفاعِ !
فنردُّه حيناً ، وطوراً حالُنا
حالُ (الخليفة) في سُرورِ مُطاعِ
و(لعمّ عثمان)[3] الوزارةُ : رأيُه
في الشاي للتنفيذِ والاتباعِ
فنظلُّ بين تضاحكٍ وتخاصمٍ
وتراشقٍ وتسامحٍ بتباعِ
حتى نذوقَ الصفْوَ سَمْحاً خالصاً
لكنْ له أبداً كِرامُ جياعِ !

---

(١) يعني الشاعر ناشر هذا الديوان .
(٢) هو الاديب الفاضل محمد أفندي عبد الغفور مندوب وزارة الزراعة بالسويس .
(٣) هو كبير خدم الدكتور جلال ومهمندار ه !

مَن ذاقَ وِدَّكَ كيف ينسى حُلوَهُ؟

إنّ الوفاءَ يبينُ [1] رغم قناعِ!

الآداب القومية

أجيزوا مَرَّةً لومي   فيَوْمُ فخاركم يَوْمي

وأكرمُ أُمّةٍ عرفَتْ   جلالةَ مَجْدِها القومي

فلا باللهو تحفظهُ   ولا بالتَّرْكِ والنَّوْمِ

ولكن مِنْ تشبُّثِنا   تشبُّثَ حافظِ الصَّوْمِ

****

عُنيتُ بمَنْ يعاونني   ويَقبلُ عقلُهُ لومي

ويُدركُ أنّني خِلٌّ   أمينٌ غُنمهُ غُنمي

ويوقنُ أنّ آمالي   رجاءُ الحِلْمِ [2] والعِلْمِ

فمالي نَعْرَةٌ ساءَتْ   ولا لي ريبةُ الخصْمِ

ولكن كُرْهُ أوْهامٍ   وبُغضُ العَسْفِ والظُّلْمِ

---

(١) يبين : يظهر .
(٢) الحلم : العقل

أقولُ الحقَّ مغتبطاً ولو أدَّى الى الغُرْمِ
وقَوْلُ الحقّ قد يُصمي[١] ونشرُ الحقّ قد يُدمي

****

تنافَسَ مُرتَجي دِينٍ يُجَلُّ ومُشْتَهي عِلْمِ
وكلٌّ حاسبٌ ـ وهماً ـ اخاه مُناصِرَ الوهمِ
كأنَّ الحقّ محصورٌ وَليْسَ الحقُّ كاليَمِّ[٢]
اذا حدَّدْتَه ضاعتْ جُهودُ الفكر والفهم
فهذا دأبُهُ نفيٌ وهذا دائبُ الجَزْم
ويبكي النّفعُ بينهما لما يُشقيه من حُكْم
ويُغفَلُ خيرَ مجهودٍ لِدَفع النَّاس عن إثم
فانَّ الناسَ آدابٌ وليسوا بالهوى الفَخْم
لَهُمْ[٣] حرصٌ على أُسسٍ لأُسٍ ، وهمةُ اليَوْم
لهُم تقدير من ينأى عظيمَ القدْرِ كالنجْم
لَهمْ في كلِّ سانحةٍ مثالُ البرّ لا الذّمّ

---

(١) يصمي : يقتل .
(٢) اليم : البحر .
(٣) اي صفة لهم .

وإنَّ الناسَ أخلاقٌ لمبنى الرُّوح والجسمِ

****

فقُلْ لِمُسائلٍ صِدْقاً عن المحبوءِ من سقْمٍ :
« ضَياع الُخلق ضَيَّعَنا وأسقمنا ، وكم يُعمي
لِيَرْضَ النَّاسُ[1] ماشاءوا من الأديانِ والعِلم
ولكنْ في تجرُّدِهم من الآداب والَحزْم
نذيرُ اليُتم يتبعهمْ وأولُ مَظهرِ الضَّيْمِ »



قوة الحقير

لا تحقرنَّ من الصغير ضآلةً فلربّما وضح الصغيرُ كبيرا
فالصقَّرُ قد تُشقيهِ ضَيْعَةُ ريشةٍ ما كان يعرفُ قدرَها ليطيرا



(١) ليرض : ليختر .

حديث البحر

الرّعدُ صوتُكَ أم حديثُ وفاقِ
قد بدّلتْه مرارةُ الاشواقِ ؟!
تنهدُ أمواجٌ بعثتَ كأنها
للآسفين مصارعُ العشاقِ !
سارتْ طويلا في خفاءٍ تارةً
وهنيهةً ضحكتْ من الاشراقِ
حتى اذا بلغتْ مآلَ رجائها
لم ينْجُ من شرَكِ المنيةِ باقِ
ذابتْ فلا تلك الخطوطُ كتائباً
كانت ، ولا أبقى الروائع واقِ
ضاعتْ كما تطوي الشُّجونَ مدامعٌ
سُفِكت بلا مهلٍ من الأحداقِ
يا ليتَ شعْري كم قرونٍ مُثّلتْ
في مائكَ المتخاصم المتلاقي ؟!
كم عبرَةٍ فيه ، وكم من بسمةٍ
دُفِنت ، وكم من دُولةٍ وسباقِ ؟!

وحوادثٍ بعضُ الهديرِ حديثُها
طُبعتْ على الأذهانِ والأوراقِ !
ومشاعرٍ للنازحين بيانُها
هـذا الأنينُ مسائلاً اشفاقي !
مَنْ شكَّ في وصفي الامين فحسبُهُ
أن يسألَ البحر الحزينَ الشاقي !
هو خالقُ الدّنيا البعيدةِ كُلّها
فاذا به عانٍ من الاملاقِ
لا الدُّرُّ يُغنيه ولا حيتانُهُ
فالأمسَ كان له رحيبُ نطاقِ
بدأتْ تباشيرُ الحيـاةِ بمـائهِ
فاذا بها انقرَضتْ برُقْيَةِ راقِ
واليومَ فالشطُّ الصديقُ يردُّهُ
ويسودُهُ الانسانُ في الآفاقِ
ملكٌ[1] الهواءَ عليـه مُلْـكاً مثلما
حكَمتْ شِـكايتُهُ[2] على أشواقي !

---

(١) اي الانسان (٢) اي البحر

الملكة السجينة

تُلقح ملكة النحل (أو امه) عادة في الهواء مرة واحدة في حياتها ويموت من أثر الجماع الذكر ، ثم تقصد خليتها وتعيش - ما قدرت لها الظروف أن تعيش - أما لطائفتها سجينة لا تفارق الخلية اللهم الا اذا قادت فريقاً من شعبها لانشاء موطن جديد حبا للتكاثر بحكم الغريزة. ومن عجائب ما وهبتها الطبيعة قدرتها على أن تبيض وقت الموسم مئات بل آلاف البيض يومياً ، ومن هذا البيض ينمو خلفها ومعظمه من الاناث - أو بالاحرى من الخناث - حسب نوع البيض الذي تبيضه مما هو مشروح في تصانيف علم الابقلطوريا. ولكن أعجب العجب أن تكون نحلة واحدة أما لآلاف النحل ، وأن ترعى وتسخر في آن واحد حسب حاجات قومها ، وأن يكون رائد شعبها النفع العام الذي لا يلين ولا يرحم . وقد يصح أن يضرب المثل بالنحل كنموذج طبيعي راق لاحكام الجمهورية السليمة ، كما يصح للحركة الانثوية أن تعتز بسيرة النحل ونجاحها الاجتماعي الباهر .

***

لِلّهِ ما أبهاكِ يا نحلتي

في ثوبكِ الزاهي بوشي الذهبْ

تمشين في وَجْدِ العروسِ التي

قد أُرْمِلَتْ في عُرْسِها المقتضَبْ !

وحولَكِ الجمعُ : بناتٌ أبتْ

طبيعةُ الكونِ لهنَّ النسبْ

يا حُسْنَ ذا العطفِ الكريمِ الذي
يُحييكِ للنفعِ العظيمِ السبَبْ
تمشين في موكبِ نُبلٍ وما
أُعطيتِهِ زهواً لأجلِ الطَرَبْ
لكنّه حالُ الأسيرِ الذي
يُساعدُ الآسرَ عند الطَلَبْ!
أحكامُ شعْبٍ مِنْ كبارِ المُنَى
للنفعِ والحكمةِ فيها الغَلَبْ
أفرادهُ النّسوة في نهضةٍ
فليعتبرْ منّا الكثيرو الصَخَبْ!
ما الجنسُ للنفس فخاراً لها
إنْ فاتَها الجِدُّ وضاع الأدبْ
وربّما كان النّساء العُلَى
وربّما كان الرّجالُ النُّوَبْ!
لِلّهِ كم من عِبْرَةٍ كنتِها
يا نَحْلَتي بالجُهْدِ .... كَمْ تُرْتقَبْ!

جنة النحل

حَيِّ الجمالَ بدولةِ الأزهارِ
وَاسمعْ روايةَ نَحْلِها[١] الزُّهَّارِ

يُنْشِدْنَ أشعارَ الرَّبيعِ كأنَّما
طُرَفُ الرَّحيقِ ذوائبُ الأشعارِ !

مِنْ كلِّ لابسةِ النُّضار توشَّحتْ
بفواتنِ الاصباغ والأنوارِ

وازَّينتْ بخلاخلٍ من عسجدٍ
ومرصَّعاتِ خواتمٍ وسِوارِ[٢]

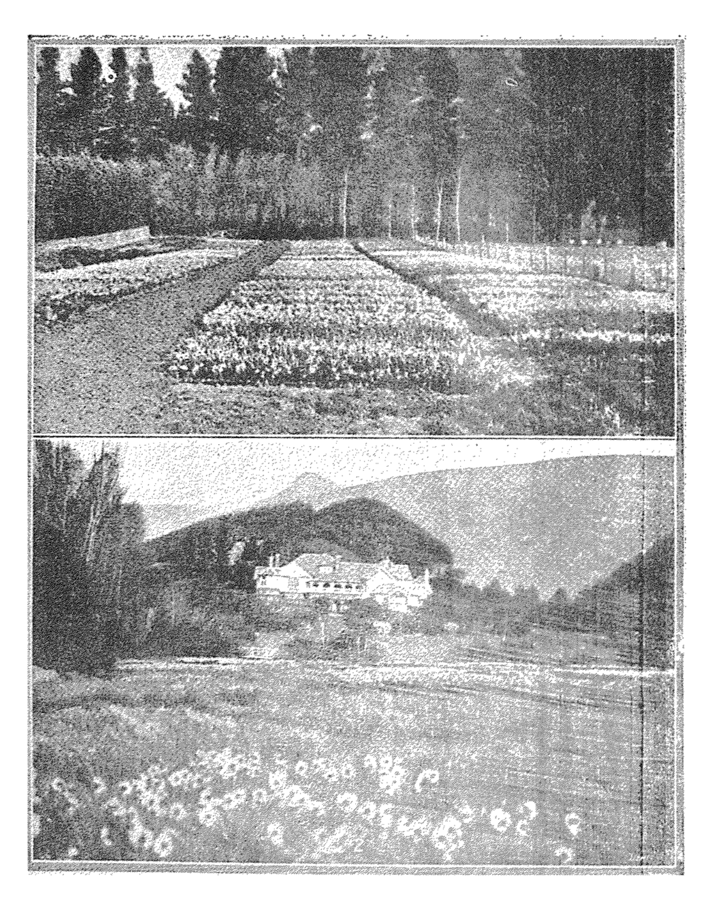
جادتْ بها الأمُّ (الطبيعة) بعد ما
أرضتْ ملاحنُها مُنى (آذارِ)

ومن العجائبِ أنَّها بجمالها
تأبَى الغرور إباءَ شرِّ عِشارِ

رشفتْ من الزَّهراتِ أعذبَ شهدها
وتدثَّرتْ بدقائقِ النُّوّارِ[٣]

---

(١) النحل : يطلق على المذكر والمؤنث .
(٢) اشارة الى الطلع الذي جمته النحل .
(٣) اشارة الى آثار الطلع واصباغه على اجسام النحل .



جنة النحل

وكأنَّ محلولَ الضياء ازارُها
لتنوُّعِ الألوانِ والآثارِ!
مِنْ أبيضٍ يقِقٍ لأصفرَ فاقعٍ
للأخضرِ الزاهي لأحمر ناري
مفتّنةٌ وكأنما قد خُضّبتْ
(كالنافثاتِ) روائعَ الانظارِ!
أو أنها في (الكرنفال) مليحةٌ
رقصتْ محجَّبةً على الأوتارِ!
ملءُ الهواء نشيدُهُنَّ وانه
لنشيدُ أحلامٍ نُشِرْنَ كِبَارِ
يَسْبَحْنَ أسرابًا وكلُّ فصيلةٍ
كمواكب الطُّيَّارِ (١) لا الاطيارِ
ولربّما سبقتْ قطاراً سابقاً
يطوي البسيطةَ من عَتِيِّ بُخَارِ
تمضي مسدَّدةً الى آمالها
في الحقلِ أو شَطْرَ السَّرِيِّ (٢) الجاري

(١) الطيار جمع طيار، وهي عصرية الوضع . (٢) السري : النهر الصغير . وفي قوله « مسددة » اشارة الى طيران النحل المستقيم .

وترى المشاهدَ والفضاءَ كصورةٍ
وجموعَها وخطوطَها كإطارِ!

* * *

شاطرْ وحقّكَ مستطابَ لذاذتي
في مُتعةِ الأذهانِ والأبصارِ
وإذا قدَرْتَ محبتي وتأمّلي
أصبحتَ في شغفي ولُمْتَ الزاري
فاجلسْ وراقبْ ثم سلْني إن تشأ
أُتحفْكَ بالمعشوقِ من أسرارِ
هذا محلُّك في الجنانِ بعينها
فاشهدْ بها الموعودَ للأبرارِ!
راحُ النفوس الظامئات الى العُلَى
ولفتنةِ الألبابِ أيُّ عُقَارِ
ودعْ الهمومَ وأشْعلْ الغليونَ في
حِسّ الحكيم الفيلسوفِ الدّاري!
ربحٌ «يضيعُ عليكَ» في نفع الحِجا[1]
ما كانَ في عُرف الهُدى بخَسارِ!

---

(١) اشارة الى توهم بعض الناس أن في مثل هذه الدراسة مضيعة للوقت وخسارة مادية لهم .

انظرْ تجدْ نُخبَ الازاهرِ صُفِّفتْ

« ببيوتها »[1] بحراسةِ الأشجارِ!

وَيكادُ ينطقُ بالتحيةِ نُورُها

برقيقِ إيماءٍ ولطفِ جهارِ!

والشمسَ قد سمحَ الأصيلُ لنورِها

ليتيهَ تيهةَ عاشقٍ مُختارِ!

طرِباً يقبّلُ مَنْ يشاءُ وإنْ أبى

حَسَدُ النسيمِ فلفها بإزارِ!

يخشى عليها مثلَ صبٍّ هائمٍ

يخشى على نجواه من أخطارِ!

والُحبُّ يمرحُ بينَ جوٍّ سَجْسَجٍ

ضاحٍ ، وبين نسيمِهِ العطّارِ[2]

عيدُ الرَّبيعِ وعيدُ كلِّ محبَّةٍ

متكرراً بتعاقبِ الأزهارِ

مَنَحَ الاناسِيَّ السَّعادةَ مثلما

منحَ النباتَ ودَوْلَةَ الأزهارِ

(١) ترجمة : Flower beds (٢) السجسج : المعتدل أي لا حر فيه ولا قر ، وضاح : بارز للشمس ، والعطار : الكثير العطر

وجميعَ خَلْقِ اللهِ ، بعضُ عجيبها
بالعين نُدْركه وبالمِنْظارِ (١)

لا تُصْغِرَنَّ اذا حكمتَ صغيرها
فلربما ملكتْ مآلَ كِبارِ

ما كان في هذا الوجود مُحَقَّرٌ
للناظرين لكُنْهِهِ المتواري

والنَّحْلُ في آيِ الطبيعةِ آيةٌ
نِعْمَتْ مُلَقَّنَةً أجلَّ شِعارِ

خُلِقَتْ من الإتقانِ في تكوينها
وتسلّطتْ بجهادها الجبّارِ

عرفتْ معاني الوقتِ والعُمْرِ الذي
تحييه بالانتاجِ في الأسفارِ

هي كلُّها للجمعِ تدأبُ لا تني
لا سُخرةً للسيّدِ الأمّارِ

والأصلحُ الأبقى بها لا تنثني
عنه أمامَ عواصفِ الاخطارِ

---

(١) المنظار : الميكرسكوب .

قلْ للمصغّر قدرَها لغروره
مَن أنت في الأقدارِ والأوطار؟!
لو كنت تفقهُ سِرَّها وهمومَها
بجّلتها للقدرِ والمقدارِ (١)
أو كنت تعلم ما جلالة مالكها
لخجلت من ذكراك لاستهتارِ!
رفعتْه من أسس اليقين، وغيرُهُ
للناس منارٌ على منهارِ!
تبنى الممالك بالعقيدة مثلما
تبنى الممالك من دمِ الثُّوارِ
والسعيُ للانتاج اكرم عدةً
وأجلُّ نفعًا من حروب دمارِ
والمُلْكُ يرفعهُ النظامُ فان مضى
لاقتْ نهايتهُ حضيضَ العارِ!

***

أُنظرْ معي واصفحْ لجولةِ خاطري
بحديثِ مفتونٍ بصُنْعِ الباري

(١) القدر: المنزلة. والمقدار: القدرة.

هذي الزُّهورُ(١) ـ كما ذكرتُ ـ بدائعٌ
قد نُسِّقَتْ ككواكبٍ ودراري
السافراتُ بهنَّ غيرُ خجولةٍ
والخاشياتُ نظَرن من أخدار!
والنَّحْلُ زائرُها يدقِّقُ شأنُهُ
شأنُ المنجِّم والشُّعاع الساري!
فكأنها صُوَرُ النُّجوم أمامَه
أوحتْ له المنشودَ من أخبارِ!
ولفرطِ غَيْرَته وغايةِ حُبِّهِ
يأبى تأمُّلَها من الزُّوارِ!
قد مَصَّ منها الشهْدَ دون تكلُّفٍ
وكأنما هو بالشقاء الشاري!
وبطَلْعِها قد فاز فَوْزَ مُفرِّقٍ
مانال من نِعَمٍ ومن أثمارِ
أبداً يُخلِّفُ فوق ما يُعْطَى وما
يُعْطَى سوى دَيْنٍ كذلك عارِ!
وصنيعهُ شتى الفوائدِ لا ترى
لجهاده وِزراً من الأوزارِ؛

(١) تقابلها كلمة Blossoms

فحياتُهُ نَفْعُ الوجودِ وَحظُّهُ
عُمْرُ النشاطِ بذمةٍ ويَسارِ

***

صبراً ! تأمَّلْ ! ذاك دائبُ جيشِهِ
متلاحقُ الايراد والاصدارِ !
مثل الخضمّ فموجُهُ متتابعٌ !
مثل الفوارسِ عندَ خوضِ غمارِ !
لا يستريحُ ولا يثبِّطُ عَزْمَهُ
هذا العناء بدائمِ التكرارِ
أو يستقرُّ لنعمةٍ موفورةٍ
بل يحسبُ الافناء عند قَرَارِ !
حتى يهدِّمَهُ الجهادُ ، وهكذا
مَوْتُ الجهاد بطُولةٌ لفخارِ !
لولا اختلافُ اليوم بين نهارِهِ
والليل لم يقنع بطول نهارِ !
وكذاك لولا الرّعدُ يزجره لما
خافَ الغيوثَ وغضبةَ الإعْصارِ !

الصـــبرُ من تعليمه ويقينه
فالنّصْرُ كلُّ النصر للصبّارِ
والآن قُمْ وانظرْ معى وحداتِهِ
الراجعـاتِ بأنعمٍ كجواري [١]
العائدات الى الخـلايا مثلَما
عادتْ (مناطيرُ) العلىٰ (لمطار)
هيهات يُنسيها البعادُ ديارها
إنْ يجحدْ الانسانُ فضلَ ديار
فترى بشاشتها ترحّبُ مثلما
عرصاتِها فرحتْ بخيرِ جاري !
يُهرَعْنَ للأبواب وهيَ كأنها
أبوابُ مجموعٍ من الاقطار !
كلٌّ تمثّل أمةً بعديدها
وحكومةً حكمت على الاقدار !
البأسُ والجبروتُ مِن أعوانها
ولو آنَّ للشّورى سنيَّ منارِ

(١) الجواري : السفن (هوائية) او مائية.

وَلها سلاحٌ في الدفاع مشذَّبٌ

يُزري بِبأس الصارم البتّارِ

وكأنها طيرٌ أبابيلٌ رمتْ

بحجارة السجّيل بـــل بالنار!

عـــزَفتْ عن الضُّعفاءِ مثلَ عُزوفِها

عن غير ما يدعو لدفعِ طواري

خزنتْ صُفوفاً (الشهادِ[1]) كأنما

قد نُبّئتْ بعواقبِ الاعسارِ!

سُبحان منْ وَهَبَ الغريزةَ قوّةً

جعلتْ صِغارَ الخلق غير صِغارِ!

انظرْ لسيّدها (ومُجهزِها) الذي

يرنو اليكَ مُعَزَّزاً إكباري

تلقَ الفخارَ مجملاً لسماتِهِ[2]

مثلَ العواطفِ جمّلتْ أشعاري

---

(١) الشهاد : جمع شهد ، وهو العسل ما دام لم يعصر من شمعه .

(٢) المجهز : يقصد الخبير بتربية النحل . سماته : يقصد علامات مهنته .

يتلو عليكَ حديثَهُنَّ هُنيهةً
وهُنيهةً راوٍ لهنَّ وقاري !
وتحيةُ الوسميّ [١] غيرُ ثقيلةٍ
جاءتْ مُطرّزَةً لحسنِ حِوار !
جادت على النبتِ القتيل بروحه
حتى اشرأبّ وطرّ [٢] للنُّظّار !
والنحلُ ترقصُ في الفضاء سعيدةً
وكأنما رقصتْ على أذكارِ !
وأتتْ تذوقُ نميرَ ماء ضاحكٍ
فوقَ الغصونِ كضاحكِ الأنوار !
وتعودُ بعد رواحِها لخزينهِ
لِتَعِلَّ [٣] من قطراتِهِ الأبكار
وترى ثغورَ (الياسمين) بواسماً
وترى (المروجَ) بمدمعٍ مدرار

---

(١) الوسميّ : أول مطر الربيع.
(٢) طرّ: طلع.
(٣) تعل : تشرب ثانيا .

بينا (الزنابق) في منمنم بردها
نصبت موائدها بهي نضار
والنحل لا يفتر رغم سخائها
نهماً ولا نهم الهوى المشتار(١)!
وترى (البراعم) فتقت أكمامها
و(النرجس) الداعي لطيب مزار(٢)!
وترى (الخطايا) المنعمات بظلها
كمدائن الابرار والاطهار!
غنمت من الظل الوريف(٣) رعاية
وبدت كأن بياضهن قماري(٤)
واذا اقتربت سمعت من تغبيرها(٥)
صوت الحمائم شاق في الأسحار

---

(١) المشتار : الجاني العسل ، وهنا بمعنى الهوى الظافر .
(٢) مزار هنا بمعنى زيارة .
(٣) الوريف : المتسع ، الممتد .
(٤) جمع قمري ، وهو طائر مغرد .
(٥) التغبير : ترديد الصوت .

أو خافتَ الصلوات ـ رهبةَ مَعْبَدٍ ـ
لمحجَّب الرُّهبانِ والأحبارِ !
وذُهلتَ من مَرْأى الصواعد ، طيرُها
مثل الرشاش (١) يشقُّ كلَّ ستار !
في مثل لمح البرق أوْ في منتهى
دَفع الشعورِ ووثبةِ الأفكارِ !
ومن الجوالبِ للرَّحيق كأنها
جاءتْ من الجَنَّات لا الأشجار !
أو انما هذا الفضاء يمجُّها
فتُصَبُّ من نافورِهِ الفوَّار !
وقعتْ بأعباءٍ ثقالٍ مثلما
وقعت صغارُ الطَّير من أوكار!
ثم التفتْنَ الى (الولاج) (٢) وسرن في
شغف الأمين الدائم التذكار
وجميعها تبغي السّلام وانْ تكنْ
في الحرب روعَ الجحفل الجرَّارِ !

(١) الرشاش : رش الصيد . (٢) الولاج : باب الخلية .

تُخشى كما نخشى الابالسةَ الورى
والفارقون منيّةَ التيّارِ !

والآن يشملها السلامُ كأنها
ظمأى الطيورِ نواكس المنقار !

تمضي الدّقائقُ بل وساعاتٌ ولا
يمضي التمتّعُ أو سرورُ جوارِ !

مُثْلُ الامانةِ والجَلادَةِ والحِجا
عُرِضَتْ كأن تُليتْ من الاسفارِ !

جمعت نقيضين : الرشاقةَ حُلوةً
ورزانةً مقرونةً بوقارِ !

****

والآن قد رفعَ (الخبيرُ) غطاءها
فاذا (العميرةُ) معرضُ استعمارِ [1] !

فانظرْ لهندسةِ العجائبِ إنَّها
دقّتْ عن الافهام في أعصارِ !

---

(١) العميرة : خلية النحل العامرة .

حتى اغتدتْ مَثلاً لقُدْرَةِ خالقٍ

وغدتْ حديثَ المُرْشدِ العمَّارِ(١)

والملحدون رَأوْا بها ايمانَهم

أو أُرجعوا للبحثِ لا الانكارِ!

اُنظرْ دَقيقَ الصُّنع في أقراصها

من شمعها المفروز في استقرارِ

تَجِدْ (النخاريبَ(٢)) العُجابَ تلألأتْ

بِمُرَنَّقِ العَسَلِ الشَّهي البارى(٣)

تَجِدْ (اللقاحَ) موزَّعا وصنوفُهُ

محصورةٌ بخصائصِ الأدوارِ

تجدْ (المساتلَ)(٤) نُظِّمَتْ وحدُودُها

بعضٌ من الدستورِ للاقرارِ!

---

(١) العمار : القوي الايمان .

(٢) النخاريب : جمع نخروب ، وهي ثقوب القرص التي تمج فيها العسل وتضم فيها الطلع وتستعملها لتربية فراخها .

(٣) الباري، الاسقام ، قال « فيه شفاء الناس ».

(٤) المساتل: جمع مستل: الطرق الصغيرة .

وترَ (المليكةَ) أمّهن تخطّرتْ
وكأنما حِيطَتْ بجمع جَوَارِ
يحرسنها في هالةٍ فكأنها
في عزّها قمرٌ من الأقمارِ!
وهي الأسيرةُ لو بحثتَ محقّقاً
ولربما شعرتْ بطوقِ إسارِ! (1)
وقفٌ عليهن الغذاء، وانه
من روحهنَّ لها بغير حِذار (2).
فتكافئُ المجموعَ من إذعانها
وتبيضُ مُسْرِفةً بلا استعبار (3).
وحيالها شتى المعاملِ قُسّمتْ
لصناعةٍ وكفايةٍ وجدارِ!
وترى الطّهارةَ من قواعدِ ملكها
ودليلةً لسلامةٍ ومهار (4)

(1) راجع للشاعر قصيدته «الملكة السجينة» ـ ص ١٠٤

(٢) اشارة الى تغذية الملكة بغذاء خاص يسمى «بالفالوذج الملكي» مكون معظمه من نتاج غدد بأجسام النحل التي تتبعها.

(٣) استعبار: حزن.

(٤) المهار: المهارة ـ اشارة الى أنّ نظافة الخلية (التي هي من عادة النحل) مرتبطة بصحته ونشاطه.

وتظلُّ ترقبُ حائراً لا تنتهي
مما ترى إنْ تُغنَ من إكثاري !

***

ثم انتهى وصفُ (الخبير) معجّلاً
وأتى أوانُ وداعهِ الاجباري
فشكرتهُ شُكْرَ المحبّ حبيبَه
فعواطفُ النّحالِ بعضُ شِعاري !
وكذا الصدّيقُ أفاضَ مدحاً صادقاً
أبهى الى الممدوح من إيسارِ
فأبى المُضيفُ ثناءنا متعلّلاً
بقُصورهِ وبأشرفِ الأعذار
قلنا : « لعلّ لديك أُنساً جامعاً
أبهى وان أبدعتَ في الإِخبارِ ؟ »
قال : « الغدُ الأوفى القريبُ جمالهُ
أسنى ، ففيه العُرْسُ للأبكارِ
مِنْ وَصْفِ (ما تِرْلِنْك)[1] مايزْهى به
أهلُ البيانِ الخالدِ القهّارِ

(١) الأديب البلجيكي المشهور . كتب عن النحل كتابة أدبية عامة شائقة .

وأنا بياني مِنْ عواطفِ مهجتي
في ذلك المرأى السنيّ الثارِ ! (١)

حيث الطبيعةُ في جمالٍ آخرٍ
و (العندليبُ) مناظرٌ (لهزار)

حيث الحقولُ تعدّدت أزهارُها
واستنصر الفلاّحُ بالجْدارِ (٢)

والنَّحْلُ مجتريءٌ يطيرُ موفقاً
لقصيّةِ الآجامِ والاغوارِ (٣)

وتؤسّسُ الدُّوَلَ الجِدَاتَ (طُرودُهُ)
عبْرَ الجداولِ في بعادٍ نفارِ

حتى اذا شحَّ الغِذاءُ وقد أتى
فصلُ الخريفِ بغير ما انذارِ

---

(١) اشارة الى قتل الذكر الذي يلقح الملكة .
(٢) الجدار : ما ينصب في الزرع لطرد الطير والوحش.
(٣) الآجام : جمع اجمة وهي الشجر الكثير الملتف . والاغوار : الكهوف . اشارة الى سفر طرود النحل .

نشبت معاركهن بين طوائف

هن اللصوص ومذبح لذكار[1] !

فترى الطبيعة في قساوة برها

بالاصلح الأبقى وبالمغوار

وكذا الحياة تجدد وتهدم

وتقدم وتأخر لمرار . . . ! »

***

وهنا افترقنا والصديق يقول لي :

ما أعجب الدنيا لعقل دار !



(١) الذكار : الذكور .

أمتع الانس

لذة الحب المعنوي

تُسائلني عن أمتع الأُنس لذَّةً
وما الانسُ حقّاً غير إيناس غانيَهْ!

تنازلتُ طَوْعاً عن وُعودٍ بجنّةٍ
لساعةِ صفْوٍ منكِ بالحبّ غاليهْ!

جمالٌ وتحنانٌ وتيهٌ ورقّةٌ
وعطفٌ واحياءٌ لأحلى أمانيَهْ

تفنّنتِ فيها عن غرامٍ وسكْرَةٍ
وأنعشتِ رُوحي من قطوفكِ دانيهْ

وما الحورُ والولدانُ في معرض الهوى
وأنتِ منال اللذّةِ المتناهيهْ؟!

ففي كلّ جزءٍ منكِ حُسْنٌ يشوّقني
وفي كلّ مرأىً فاتناتٌ مُواليهْ

وفي كلّ لفظٍ خفّةٌ أو رشاقةٌ
تجدّدُ من أحلاميَ المتفانيهْ

وفي غُنجكِ[1] الوثّاب أحكام ثورة
تهزُّ شجيَّ القلبِ من كلّ ناحيهْ
وحقّكِ كم جدّدْتِ بالوصل مهجتي
نعيماً ، وكم أضحتْ ببعدِكِ فانيهْ !

الحلم

اذا عِبتَ حِلماً فالذي أنتَ عائبٌ
شبيهُ سُكونِ النُّور في كلَفِ[2] الشمسِ !
وللنَّفْسِ ثوراتٌ تشعُّ بحرقةٍ
ولكنْ سلمَ النفس أفعلُ في النّفسِ !

(١) الغنج : الدلال . قال ابن سهل :
بعض المحاسن يهوى بعضها طربا
تأملوا كيف هام الغنج بالحور !
وقال مصطفى صادق الرافعي :
فكتابه عندي وكتبي عنده غنج الحبيب وآهة الشكلان!
(٢) بحسب علماء الفلك كلف الشمس ناشئة عن خروج مواد من باطن الشمس الى سطحها فتبرّد نسبة مواضع انتشارها . وهذه الكلف ذوات كهربائية عظيمة محسوسة الاثر في مغنطيسية الأرض .

الضحية

الزوجة الطائشة

كم لُمْتِ حظَّكِ والحظوظُ تفيكِ
لو أنتِ من قدَّرْتِ ما يكفيكِ !

أُعطيتِ مُلْكاً لا يُقاسُ بحُسنهِ
مُلْكٌ ، وفاتنةَ العقولِ بفيكِ !

ورَعتْكِ أحلامُ القلوبِ كأنّما
خشيَتْ على الحُسْنِ المُخاطرِ فيكِ !

حتى اقْترَنْتِ بمن أحبَّكِ مثلما
أحببتِهِ ، فغنِمْتِ خيرَ شريكِ

ماذا دَهى ذاكَ الغرامَ فلمْ تَعُدْ
أزهارُهُ تُحييهِ أو تُحييكِ ؟ !

ما عابهُ إلاّ جموحُكِ غالباً
فاذا مَدَى السُّلطانِ ما يُشقيكِ

وطلبتِ ما نَثَرَ (المعزُّ) وانْ يكنْ
أولى بإبقاءٍ لعهدِ بنيكِ !

وهدمته ِ بينا هو السّاعي لما
َيبنيك ِ أو ُيغنيك ِ أو ِيهنيك ِ
لو كنت حا كمةَ الممالك ِ هكذا
لَخلُعْت ِ دونَ ثناء مَنْ ُيغريك !
وكذا نسيت ِ عناءه وجهاده
ليراك ِ تاجَ الأُنس ِ في ناديك ِ
وبخلت ِ بالبَسمات ِ (١) فهي عزيزةٌ
لفتاك ، وهي رخيصةٌ لذويك ِ
فاذا العبُوسُ أرقُّ ما يَحظى به ...!
أ كذا يكونُ جزاء مَنْ يَفديك ِ ؟!
يشقى سعيداً في سبيلك ِ ناظراً
لسعادة ِ الأحلام ِ مِنْ ماضيك ِ
فاذا الحقيقةُ ُمرّةٌ وأليمةٌ ...
َمنْ يحسب العصيانَ ما يهديك ِ ؟!
ولكم هجرت ِ المنزلَ البا كي الى
ملهىً ، وبيتُك ِ مثلُ عرش ِ مليك ِ

(١) البسمات : الابتسامات ، وهي عصرية الاستعمال .

وتخذتِ عُذرَكِ للفســادِ زيارةً
لا بيكِ ، حتى ضاعَ رُشدُ أبيكِ !
أو صُنْتِ كلَّ شكايةٍ وعرضْتِها
لِتُنغِّصَ الزّوْجَ الذي يَحْميكِ
فَيظلُّ محروماً من النُّعمى ومِنْ
سلوى الحياةِ لعاملٍ منهوكِ
وترَيْنَ أنتِ العيْشَ بؤساً آخراً
وهو الأنانيــــةُ التي تُبكيكِ
لو كنتِ عاقلةً لصُنْتِ نعيمه
بحنانكِ المطبوعِ والمملوكِ
وكسبْتِ غايةَ ما يلذُّكِ مِنْ رضى
عيشٍ ومن حُبٍّ لديكِ ضَحوكِ
فلديكِ مفتاحُ السعادةِ كلِّها
لكنّما أخفاهُ مَنْ كذَبوكِ
فسلي مُحِبَّكِ للوئام وفتّشي
تجديهِ بَسْمةَ ثَغْرِكِ المحبوكِ (1)

(١) المحبوك : البديع . والضمير في « تجديه » عائد الى المفتاح ، وبسمة ابتسامة ، وهي عصرية الوضع . قال شوقي بك :

ومن تبسم الدنيا اليه فيغترر يمت كقتيل الغيد بالبسمات

منيرة الامل

الخطاب موجه الى الآنسة منيرة هانم ثابت صاحبة جريدتي «الامل» و «لسبوار»

بَسَمْتِ فجدَّدْتِ حُلوَ الاملْ
وأطلعْتِ بالبِرِّ نجماً أفلْ
وأثبتِّ أنَّ الكمالَ العملْ
ولا قدْرَ للحسنِ حيثُ امتثلْ
وما بمتاعِ الحياةِ الفخارْ!

****

وثُرْتِ فيا نعمَتْ الثائرهْ على الخُططِ الرثّةِ الجائرَهْ
فعيشي لجنسِكِ يا آسرَهْ مخلِّصةً، وارفعي قادرَهْ
لواءَ المساواة أبهى منارْ!

***

(منيرة) قدرُكِ أن تُشرقي فجُودي لنا بالهوى الخالقِ
(لمصر) وللأدبِ الشائقِ وللعلمِ والمنطقِ الصادقِ
وللغانياتِ — الأماني الكبارْ!

***

(منيرة) فيكِ معاني (الثباتْ) ومنكِ رأينا لظى النيّراتْ [١]
فما كانَ لطفكِ في الحادثاتْ ليمنعَ نيرانكِ القاسياتْ
من الانتصارِ لأسمى شعارْ !

***

فكوني كما شئتِ في نصرِ حقْ
فبالحقّ يعتزُّ أسنى الخُلُقْ
وكالشّمسِ في القطب [٢] لا للشفقْ
نهايةُ نورٍ لها إن دفقْ [٣]
ولكنْ ليحيي ثلوجَ البحارْ !

***

ويا مَنْ أهابتْ بأخواتها حفظْتِ (لمصر) وغاداتها
مُحرّرةً مِنْ مَبرّاتها وفاء الحجا قبلَ عاداتها [٤]
على «أملٍ» زانَهُ «لسبوارْ» [٥] !

---

(١) اشارة الى اسلوبها الكتابي الحماسي الحار .

(٢) الشمس عند القطب متى ظهرت اشراق متواصل (٣) دفق: انصبّ . (٤) اي قبل العادات المصرية : (الضمير عائد الى مصر) .

(٥) « لسبوار » كلمة فرنسية معناها : الامل ، وهو الاسم الذي اتخذته لجريدتها اليومية الفرنسية .

نظرة واقتباس

نظرةً ... انَّ نظرةً منكِ تـكفيـ
ـني حياةً وصـحةً وائتناسَا
واسْمحي أن أطيلَ نجوايَ برّاً
بفُؤادي الذي لهجرِكِ قاسىٰ
كم يفيضُ النَّعيمُ من نور عَينْيـ
ـكِ فلا تمنعي لروحي اقتباسَا !

قلبي الخفوق

نامتْ على قلبي الخفوقِ كأنّما
لمحتْ به داعي الهوى يدعوها
وتسمّعتْهُ تأثُّرًا لشكاتِهِ
فاهتزَّ من طربٍ وقبَّلَ فوها[1] !

(١) أي قمة القلب .

أبناء الشمس

قيلت شكرا لاهالي السويس في حفلة تكريمية الشاعر (بفندق باير) - برئاسة سعادة المحافظ - قبيل رحيله الى بور سعيد في اكتوبر سنة ١٩٢٥.

بِرغمِ الهوى أن أبُثّ الوَدَاعَا
وإنْ فاحَ بالشُّكْرِ طِيباً مُذاعَا
فقد نِلْتُ منْ لُطفِكُم كلّ اُنْسٍ
وأهديتُمو لبياني الشُّعاعا
ولا غروَ في بلدٍ نورُهُ
كريمٌ يُغَذّي الحِجا واليراعا
ولا بدعَ ممنْ له أهلُ شمسٍ
وأبناؤُها كنجومٍ تُراعَى
عرفتُ به في طوالِ الشُّهورِ
قصيرَ النعيم شهياً، فضاعا...
فكم كنتُ أرقُبُ من بحرِهِ
ومِنْ رَمْلِهِ ما يُظَنّ الخداعَا!
ومنْ صُوَرٍ للنخيلِ العزيزِ
إزاءَ القناةِ حكَيْنَ القِلاعَا!

مشاهدُ مِن حُسنِهِ معجزاتٌ
قنعتُ بها فأبينَ القناعا!
وكم شاقني فجرُها والغروبُ
كأنّيَ أُعطيتُ مُلكاً مُشاعا!
أُقلّبُ طرْفيَ مِن منزلي
فأحسبُ أنّي أشيمُ اختراعا!
عجائبُ مِنْ فاتناتِ الشعورِ
لبِسْنَ مُطيعَ الحُلَى والمُطاعا
كأنَّ نفائسها المستحيل
فهل كان تركي لها مُستطاعا؟!...
أُودّعكمْ مثلَ توديعها
وما كنتُ فيه الجريءَ الشُّجاعا
أُودّعكم بالفؤادِ الخفوقِ
بذكرٍ تجلّى لقلبي تِباعا[1]
وما كان إلاّ الوفاء الجميل
وهيهات ينساهُ مهما تداعى!

***

(١) تباعا : متتابعا.

فيا أسرفَ [1] الناسِ عند السخاءِ

فلمْ أرتقبْ للسَّخاءِ انقطاعًا !

تجاوزتمو حدَّ غالي المديحِ

وقد يعثرُ الحبُّ فيه اندفاعا

وُجدتمْ بتكريمِ قلبي الصغيرِ

وأنتمْ أحقُّ ، فحسبي امتناعا !

وحسبُ المُنَى في وَداعِ الرّفاقِ

حنينُ الخليلِ لهنَّ التياعا

وما المرءُ الاّ سنونٌ تُعدُّ

ورِحلَةُ ناءٍ أطالَ الشّراعا !



---

(١) يقال سرف القوم أي جاوزهم .

يا مهجتي لا تندمي ...

يا مهجتي لا تندمي
حسبي النوى فلترحمي !
أحلى المنى أن تنعمي
إن الهوى من مغنمي
من روحه معنى دمي !
رغم القضاء المبرم
رغم العذاب المحكم
رغم الحنين المؤلم
فاستصبحي[1] واستعصمي
وسلي الطبيعة تبسمي !
وكأنها نجوى فمي !
مرآتها سلوى الظمي
ولها كلانا ينتمي !
فترنمي وترنمي !
ودعي ملام اللوم
وتبسمي أتبسم !

(١) الاستصباح : الاستضاءة كناية عن التأميل في ظلام الشدة

رثاء يتجدد

أعد صاحب الديوان هذه القصيدة لذكرى والده فقيد الوطن المرحوم محمد أبي شادي بك في حفلة تأبين عامة بمدينة السويس، وقد نسفت الحكومة الاتحادية فالغتها قبيل عقدها.

أرثيكَ والحبُّ الصميمُ رثائي
فيُقِل (١) دمعيَ مَدْمَعُ العلياءِ
ما كان يعوزكَ الرثاء من العُلى
بل كان يعوزُها رثاء إباءِ
وأنا ابنك الوافي أجلّك هائباً
لكن تشجعني فروضُ وفائي
أرثيكَ من لُبّي وكلّ مشاعري
وعواطف الملأ الكريمِ ازائي
ومن المآثرِ قبل برّ بنوّتي
ومن اغتراب خلالك السمحاءِ
ومن الوفاء (لمصر) .. لئنَّ بكاءها
يقضي بفرط تفجّعي وبكائي

(١) يقل: يجعله قليلا نسبة

****

قمْ يا خطيبَ (النيل) وانظرْ نظرةً

في الناس تغنِ الناسَ عن خطباءِ !

شخصيةٌ لك كان يُغني قدرُها

عن وعظ (سحبانٍ) وسحر نداءِ

قمْ في مآثرك الحسان مشجعًا

ومكافحًا ما اشتدّ من أرزاءِ

غُيّبْتَ في العهد الذي نرجو به

أيّ الرجاء رجاحةَ العظماءِ

غُيّبْتَ يا أبتِي وفضلك ماثلٌ

ما كان فضلُ حجاك بالمتنائي

هي شيمةُ الكرم الذي مُثّلته

أبداً يجودُ بباقيات عطاءِ

لكنّ ذاتك مثلُ روحك لم تكن

في عرفنا الآصفات بقاءِ !

***

لهفي على الجهد الذي أنفقته

في رفع مظلمةٍ ودفعِ بلاءِ

لهفي على الصوت الذي أرسلته

مثل القضاء يصون عدلَ قضاءِ

لهفي على القلم الذي أسديتَه

للشعبِ والاصلاحِ بالآلاءِ

لهفي على الأدب الذي أمتعته

بالخصب من عقلٍ فريد سناءِ

لهفي على الخلق الذي بك دائماً

قد ساد ، لا يزهو على النظراءِ

لهفي على العلم الذي أكسبتَه

من خبرةٍ وتفنُّنٍ ومضاءِ

لهفي على الطرْف الجميل جعلته

وقفاً على ابداعِك الوضَّاءِ

لهفي على الودّ الكريم نذوقه

عذباً من الاخلاص والايفاءِ

لهفي على الشمم الاجلّ يخافه

طمعُ الصديق وريبةُ الاعداءِ !

لهفي على الشّيم الكبار أعدُّها
فينالُ مني العجزُ في إحصائي !

***

أَبني يعزّ عليّ وقْفي نائباً
في الشكر عنكَ على كريم عزاء
هي أمةٌ تدري الجميلَ فآثرتْ
ذكراك في الحالين في الأحياءِ
وأتى كبارُ رجالها بدموعهم
جمعاً يموج به شعورُ فداءِ
وأنا الضعيفُ أراك وحياً هادياً
فيشعُّ من قلبي جميلُ ثنائي !

***

شكراً بني وطني ! ... وإن لم تسمحوا
بالشكر يوم أسى وصدق وَلاء !
شكراً ! ... فقد عاش الوفاء سجيةً
شقيتْ ، فصار بكم كبيرَ رجاء !

أسمى العبادة

أسمى العبادة أن تفكّر خاشعاً
في جنسك الساعي لنصر غداةِ
وتقارنَ الماضي بحاضرك الذي
هو خطوة لغدٍ قرينِ حياةِ
فكّرْ به واجعلْ له قربانَه
ما طابَ من علمٍ وصدقِ صفاتِ
أنت المدينُ لالفِ جيلٍ سالفٍ
بالرأي والتهذيبِ والحسناتِ
وسواءٌ افترِضَ الخلودُ أم الفنا
فعليك برٌّ مقدّرٍ ومؤاتِ
فكّرْ بجنسِكَ... إنَّ ذاك عبادةٌ
أولى بقدرِكَ ياحليفَ مماتِ !



الله

هوما تراه بكلّ حكمٍ مدهشٍ للكائناتِ وكلُّ ما تلقاهُ
هو جملة من قوةٍ وعواملٍ بنتْ الوجودَ ولم تزلْ تخشاهُ
وتظلُّ تبحثُ عن حقيقةِ كنهِهِ وتظلّ تجهلُ أصله ومناهُ
والمرء أصغرُ مِنْ إحاطةِ عقلهِ بأجلّ سرٍّ جلَّ مَنْ أخفاهُ !

النبي محمد

﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾

وروحُ العلم

هدّمْتَ أوهامَ القديمِ محرّراً
أيقالُ دينُكَ ملؤه الأوهامُ ؟!
وشرعتَ للعقلِ الحكيمِ سياسةً
ضمنتْ بقاء جلالها الأيّامُ
بُنيتْ على النفع الأتمّ وكلّ ما
للعلمِ ، فالعلمُ الصحيحُ قِوامُ

عقلٌ كعقلكَ لن يُبيحَ جهالةً
أبداً ، فكم سطعتْ له أحكامُ
الشَّمْسُ بعضُ شعاعِهِ وروائهِ
وله على سُرُرِ الضياء دوامُ
تمضي القُرونُ ولن يزولَ حديثه
فحديثه الاشعاعُ لا الاظلامُ
تفسيرُهُ شَرْحُ الذي يقضي به
العلمُ والإِبداعُ والاقدامُ
ياهادمَ الأصنامِ دينُكَ قَدْرُهُ
أن لا تمتَّ لوحيهِ « الأصنامُ » (١)
بين الذين تعصّبوا وتقهقروا
وحجاكَ ياعَلَمَ الشُّعوبِ خصامُ !
هم يحسبون الدّهرَ ليس بسائرٍ
ودليلُ شرعكَ للزمانِ إمامُ
آياتُهُ بنَتْ الفخارَ ولم تزلْ
تَسَعُ الذي ترضى به الأفهامُ

(١) يعني الجامدين . راجع كتاب (الابطال) لكارليل وكتاب (حكم النبي محمد) لتولستوي .

مَنْ أنكر العِلْمَ الصحيحَ فدينُهُ
وَهْمٌ ، وليس لمثلِهِ إسلامُ !

شعر الحب

ردّدْهُ لي فهو السلافُ بعينها
أذْ كتْ ولم تُتلفْ جنانَ الصّاحي
ردّدْه لا شِعْرٌ يسُرُّ بلا هوًى...
مهما تقادمَ فهو مثلُ الرّاحِ !
يحكي عن القَدَر العظيمِ وما به
يحيا الوجودُ ، وعن أعزّ سلاحِ
فاذا نساه [1] الشّعرُ كان نظيمُهُ
خُلْواً من الأملِ الجميلِ الضاحي
هو أصلُ أحلى الوصفِ ، في انغامِهِ
سُوَرُ القلوبِ ضحكن قبل نواحِ !

(١) مخفف نسأه بمعنى أغفله .

ليلة صيف

وليلةٍ من ليالي الصَّيْفِ باسمةٍ
بأنجمٍ سطعتْ في الأُفقِ ترعانا
وقد خلَوْنا الى الأحلامِ تجمعُنا
وللغرامِ ينادينا ويرضانا
ولا عذولٌ غيورٌ لا يسامحُنا
ولا رقيبٌ يؤاذينا وينْهانا
الاّ الجمالُ الذي فاتنْه فاتنتي
فنِلتُ منهُ وقد فاتته سلطانا (١) !
غنَّتْ على وقْعِ قلبي أيَّ أُغنيةٍ
أهدتْ الى الاملِ البسّامِ ريْحانا !
وقد تثنَّتْ دلالاً في ترنُّمها
فكان تمثيلُها الفنَّانُ فنَّانا !
في كلِّ نظرةٍ رفقٍ خمرةٌ كرُمَتْ
وكلُّ لفظٍ يُحيّي الرُّوحَ احسانا !

(١) يعني انه لاعذول ولا رقيب عليهما الا ملاك الجمال الذي سلبه سلطانه أي حبيبته المجتمعة به.

فقلتُ : « رُحماكِ لاتخشي مُغازلةً
فقد قتلتِ بماضي الخوفِ إنساناً !
غنّي على العودِ ياشمسي ويا قمري
فأنتِ طبٌّ له [١] إنْ ماتَ سكراناً !
تسابقُ الصوتَ [٢] أوتارٌ مُرنَّحةٌ
والقلبُ غيرانُ يخشى منه غيراناً [٣] !
كلاهُما طوعُ إلهامٍ برزْتِ به
لولا أناملكِ الحسناء ما كانا !
أصغي اليه قليلاً ربّما نطقَتْ
شغافُه بالهوى العاصيكِ كتماناً
وكلُّ خفقٍ نشيدٌ للغرام قضى
فيكِ الشهيدَ وما أطفأتِ نيراناً ! »
فقبّلَتْ موضعاً رفَّ الفؤادُ به
وبلّتْ بدموعٍ منه أشجاناً !

---

(١) يريد أنها « تحيي » العود « بجسها » له ان « مات سكران » في يدها . (٢) صوت غنائها ، كأنما أوتار العود شغفة بتحيته فتسابقه توقيعا . (٣) يقصد ان قلبه والعود يغاران من بعضهما في توقيع غنائها . راجع البيت الخامس .

كأنما رُوِّعَتْ من نارهِ فبكتْ
والظلمُ يُؤلم مُشْقِي الناس أحيانا !
فلم أفِقْ في احتراقي من معانقةٍ
الاّ أسيرَ الهوى المحسودَ عصيانا !
وللحريرِ على ثغري مُداعبةٌ
والثغرُ يلثمُ عاري الحسنِ حيرانا !

ساره استفان

عرِّجْ على (ساره استفانْ) تلقَ الحسانَ من الحسانْ !
متموِّجاتٍ بالدَّلا لِ مُعطَّراتٍ كالجنانْ !
منْ كلِّ فاتنةٍ الضُّحَى بالدرِّ لا بالأقْحُوَانْ (١)
في لحظِها الشُّكرُ العزيـ ـزُ ، وثغرِها الحُبُّ المصانْ
تَمْشي فيلتفتُ الجما لُ لطوعِها ، وَيلي الزَّمانْ !
في خفةٍ جذَّابة للناظرين ، وللبيان !

(١) الاقحوان : نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة صغيرة تشبه بها الاسنان الجميلة ، واحدته اقحوانة.

وتحيةٍ غـــلابةٍ في صمتها، ولها معان!
ورشاقةٍ لا تنتهي مـل العواطف والجنان
هي والنسيمُ على مزا حٍ وتفانٍ في افتتان!
واها الحريرُ دثارها في رقةٍ بل في تفان!
حوريةٌ لولا الهوى أغوتْ به عاصي العنان!

* * *

ثم انثنتْ - يا حسنها - تبغي السباحة في أمان
في ثوبِ خاشيةِ الثيا بِ، وبرّ مكرمةِ العيان!
الثوبُ يسكرُ من غرا مٍ، وهي تنثر من دنان![1]
قطراتُ مـاء مالحٍ يهوى تذوقها اللسان!
هي خمرةٌ من جسمها وعصيرُ أضواء حسان!

* * *

ثم ارتمتْ في البحرِ رميَ الدُّرّ لا رميَ الهوان!
تتسابقُ الامواجُ في تقبيلها قبلَ الحنان!
وعناقها طوراً برفـ ـقٍ ثم آناً في احتضان!
وهي الأميرةُ لا تخا فُ فملكها إنسٌ وجان!

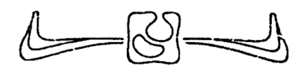
---

(١) الدنان: جمع دن: وعاء للخمر.

حتى تنيلَ الكونَ ما يُخْـيه من هذا الكِيانْ !

***

لو دامَ صفوٌ هكذا ما جازَ لي لَعْنُ الزَّمانْ !
أو عاش حُسنٌ طاهراً ما غَيَّبَ النُّورَ الدُّخانْ !



تعريف الجمال

يا حبيباً لم نَدْرِ ما أنسابُهْ
كلُّ ما همَّنا سريعاً طِلابَهْ !
لستَ الاَّ الذي يُعيدُ الى العقـ
ـلِ صفاءً جنى عليه احتجابُهْ
أنتَ حيٌّ في كلِّ شيءٍ كريمٍ
مستعزٍّ وفاتَهُ حُجَّابُهْ !
ومحالٌ أن يحصرَ الوصفَ جزءٌ
منكَ لم تنتشرْ له أسبابُهْ !

كلُّ ما شاقَ في اتّساقٍ لذهنٍ
أو لعينٍ اليكَ كان انتسابُهْ

الشباب

أبداً يُلامُ وفي طليعة مَنْ رَثَوْا
فُقدانَ ماضيهمْ بهِ لُوّامُهُ !
ولهُ الوجودُ بصفوه وبضدّهِ
سيّانِ والنُّخَبُ المُنىٰ خُدّامُهُ
ولهُ الوثوبُ بلا سلاحٍ فاتكٍ
فيفلُّ من عقباتهِ إقدامُهُ
ولهُ التبسُّمُ في الصِّعابِ كأنما
من نورِ بَسْمَتِهِ يُرَدُّ ظلامُهُ
ولهُ الحنينُ الى الحياةِ جديدةً
فيُعيدُ مفقودَ الحياةِ غرامُهُ
ولهُ الرقيقُ من الشُّعور حبائلاً
للحسنِ صِيدَ بها وهانَ مرامُهُ

ولهُ التدفُّقُ في مجالِ حماسةٍ
فتسيرَ في تيارها أعلامهُ
ولهُ الثباتُ على المكارهِ كُلّها
إنْ شاءَ ، والصبرُ العظيمُ حسامهُ
ولهُ الغرائزُ حيَّةً في موقفٍ
الشّيبُ فيهِ تخونُهُ أعوامهُ
ولهُ الغدُ البسّامُ حتى إنْ وفى
ناحَ الشبابُ وضُيّعتْ أحلامهُ !

الحظ المعكوس

اذا أنتَ لم تظفرْ بحظّكَ دافعاً
لهُ الثمنَ المعقولَ لن يغتدي حظّاً
وكم من مجالٍ للملاهي طرَقْتَهُ ...
وما كان الاَّ أنْ تَرومَ به وَعْظا
وتحيي « مسرّاتٍ » لتُفني فضيلةً ...
فيا عجباً للّهوِ ممنْ جنى فظّا !

تمتّعْ كما شاء الهوى في مكارمٍ
وصُنْ لكَ نفساً عن مساوئه حِفظاَ
ففي الكونِ منْ كلّ البدائعِ مُطْرِبٌ
من الزَّهْرِ للحسناءِ نعبدُها لَحظا
وفيه من الآلامِ كلُّ مبدّدٍ
لمن جُنَّ في الاسراف لايتَّقي بهْظاَ !



الفقر اسراف

واذا سألتَ : « لِمَ البقاء لفاقةٍ ؟ »
نُبِئْتَ : علةُ عيشها الاسرافُ !
ما اليُسْرُ بالدّخلِ العظيم وانّما
بالقنْع ، يُتلفُ برَّه المتلافُ
فاجعلْ مَقاسَ العيش فرضَ ضرورةٍ
لا الزّهوَ ، غايته هوىً وهتافُ

واذا أبحتَ ضياعَ مالِكَ فادّكرْ
وطنًا له حقٌّ عليكَ يُخافُ
فالشّعْبُ ثروتهُ غِنى جُمهورهِ
لا أن يُملَّكَ ماله« الأشرافُ » ... !



الهة الحرية

أنجبْتِ (آثينا) (فروما) دولةً
ونُسبْتِ « للجبروت » فهو أبوكِ[1]
« ولحكمةِ » هي أمُّكِ الحسناءُ في
ظِلَّيْهما رُبّيتِ قبلَ ملوكِ
فخُلِقتِ أبدعَ منْ يُجلُّ ويُشْتَهى
والنِّعْمَةَ الكُبرى لمن عرفوكِ
وسطعتِ في(الغرب) العصورَ...فهل ترى
خُبّرتِ شمسَ (الشرق) لا ترجوكِ؟!

---

(١) من معتقدات القدماء تبجيلا للحرية أنها الهة ولدت من اله « الجبروت » والهة الحكمة .

الشمسُ أنتِ بحرّها وبنورِها
فاذا احتجبتِ فقد أُضلَّ بنوكِ!
والدّينُ دينُكِ لا يُجزَّأ جوهراً
فاذا تجزّأ ضاعَ بين شكوكِ!

الفنون الجميلة (*)

عذب المرجعيين

لغةُ النفوس وترجُمانُ (طبيعة)
نثرَتْ على هذا الوجود جمالاَ
أتحرّمون مقالَها وبيانها
وهي التي وفتْ (الاله) تعالى

(*) تقسم الفنون الجميلة الى ستة أقسام، وهي التصوير والحفر وهندسة البناء والموسيقى والشعر والتمثيل.

ما بين تصويرٍ وحفْرٍ شائقٍ
وبناءِ فنّانٍ كساهُ جلالاَ
وحياة أنغامٍ تزيد حياتنا
طولاً وشعرٍ بالشعور تلالاَ
وبديعِ تمثيلٍ يقرّب ماضياً
ويعيدُ أحوالاً لنا أمثالاَ
هي خيرُ استاذ يعلم جاهلاً
معنى الوجودِ حقيقةً وخيالاَ
فاذا قضيتمْ أن تموتَ قتلتُمو
سرّ النبوغ لمنْ يريدُ كمالاَ
وأضعتمْ الجيلَ القريرَ بنهضةٍ
أوْلى بهِ وقتلتمو الآمالاَ!

روح الموسيقى

من الروايات المعروفة أن شيخا غنيا سمع صوتا جميلا في غابة يطل عليها قصره ، فلما فرغ المغني طلب اليه أن يعيد اللحن فأبى ، فوعده أن يعطيه كل ثروته اذا فعل ذلك ، فأطاعه . ولكنه ما كاد يتم ترديد أغنيته حتى لفظ الشيخ النفس الاخير ، فاستولى المغني على ثروته ...

****

قَنِعْتَ من الدُّنيا بلحنٍ مردَّدٍ
ووَدَّعْتَها لمَّا طَرِبْتَ له سَمْعاَ
كأنَّ شجيَّ اللحنِ رُوحٌ مجدِّدٌ
حياةً لمن يهواه مستسلماً طوْعاَ
فمتْ هانئاً فالمـــوتُ أهنؤه غِنًى
ومَنْ ذاقَ أهنا الموتِ لنْ يشتهي رجعاَ !
وكم مُذْرِفٍ دَمعًا لحزنٍ وحولَهُ
من النَّغمِ البسَّامِ ما يُـــكرِمُ الدَّمعا!
فانَّ مُوسيقَى الحيـــاةِ كفيلةٌ
باسعاد من يُشجَى وتجديدِ من ينْعَى !

هي الجوهرُ الاكسيرُ والشّعرُ صورةٌ
لما تمنعُ الاسقامَ منْ سِحرِها مَنْعاَ !
وما مات منْ ينعاهُ أثناء موتهِ
وفيٌّ من الأنغامِ كان له شَرْعاَ !

نظرات

لا تهابي الجمالَ إنْ همَّ يا عَيْـ
ـنُ فانَّ الجمالَ جَمُّ الحنانِ !
نَظراتٌ اليكِ قد بثَّـها الحسْـ
ـنُ أضاءتْ بها أُلوفُ المعاني !
مِنْ غوانٍ مُداعباتٍ حَوانٍ
يتهادَيْنَ بـيـنَ رانٍ ورانِ
راوياتُ القلوبِ منْ أعذَبِ الشّهْـ
ـدِ كما أترَعتْ حِسانُ الجنَانِ
انظري ! أنظري ! فما العيشُ إلاّ
لذّةُ العطفِ منْ عُيونِ الحسانِ !

الفردوسى

شاعر ايران العظيم و « هومير » الشرق

شَــــابَ الزّمانُ وماتتْ الاعوامُ
وحجاكَ حيٌّ لم يَرُعْهُ حِمامُ !

يافيلسوفَ (الشرق) غير مُدافع
(هوميرُ) إنْ يُكْرَمْ فأنتَ إمامُ

أبدعتَ (تذكرة الملوك) كأنّها
(انجيلك) المتلألئ البسَّامُ

سجدتْ لها (الاكاسرة) الغرّاء ما
سجدتْ لمعجزِ شعرِكَ الاقوامُ !

إنْ يرفعوكَ الى النّبوّة مابهمْ
مَسٌّ ، فقد أوْفى بكَ الالهامُ !

فالوصفُ عندكَ أيُّ خلْقٍ مُبدعٍ
ولكَ النَّسيبُ من الخلودِ غرامُ

مِرْآةُ آياتِ الطبيعة : أهلُها
وجِنانُها والطَّيرُ والآكامُ !
تتدفّق الأحلامُ من أوضاعهِ
وتسيلُ من ألفاظهِ الأنغامُ !
دانَ (المجوسُ) بهِ ويُشفقُ أن يرى
منهم مُغالاةً بهِ (الاسلامُ) !
و (الفارسية) قد تعظّم تاجُها
بفريدِ عقدٍ لم يَجُزْهُ نظامُ
ألفٌ من الأعوام كرّتْ والسَّنا
باقٍ ، وللألقِ العزيز دوامُ !
وكأنّه الرَّدْيومُ يلبثُ دَهْرَهُ
منه الأشعّةُ : قوّةٌ وضِرامُ !
وصْفٌ وفلسفةٌ ومعنًى مطربٌ
فلكل نفس في مُناهُ مَرامُ !

***

مثّلتَ للدّنيا الملاعبَ كلّها
وأساسُها حبٌّ بها وخصامُ

ولأنتَ أعظم من خصومة حاكم[1]
فلطالما عادى الحجا الحُكّامُ!
زال الظَّلومُ وانْ تأسَّفَ نادماً
وبقيتَ أنتَ يحوطُك الاعظامُ!
لم يدرِ حين تركتَه النجمَ الذي
ولَّى فلم يُجْدِ الديارَ ظلامُ!

* * *

واليومَ ننشقُ مِنْ عبيرك نفحةً
تَهْوى وتسرق نَشْرَها الأكمامُ!
وتسيرُ من قُطْرٍ لقُطْرٍ جائلاً
مَلِكاً على الأدبِ الجليلِ يُقامُ!



(١) هو الملك محمود سبكتكين الذي استمع لدسائس الوشاة فاضطر الفردوسي الي الرحيل فراراً من بطشه .

مصر للحضارة (١)

شعارنا القومي

بَنَيْنا (للحضارة) ما بناها

فصار الكونُ وضاءً غنيّا

وما حُجِبت لنا (شمسٌ) طويلا

فقد عَرَفتْ لنا (الشرقَ) السنيّا

نحنُ لنا (الحضارةُ) أينَ كانت

و (النيلِ) العظيمِ ابًا وفيا

---

(١) ان شعار « مصر للحضارة » هو شعار قومي ينطبق على نشأة مصر القديمة حيث أثبت الاستاذ العلامة الدكتور اليوت سميث « ان الحضارة المصرية القديمة هي اصل الحضارة في العالم كله » ، كما انه أليقُ وأجدر شعار بتعاليم القرن العشرين ونزعة التقدم البشرية . وعلى سبيل المثال نذكر ان شعار فرنسا هو : « الحرية والاخاء والمساواة » ، وشعار سويسرا : « الفرد للجميع والجميع للفرد » : ، وشعار بلجيكا : « ان القوة بالاتحاد » ، وشعار انجلترا : « من كان حارسا لا ينام » ، وشعار هولندا : « نكافح حتى نفوز » ، وشعار ايطاليا : « الخلود والجمال والاقدام » . أما الشعار الخليق بمصر ام المدنية وواسطة عقد الشرق بالغرب فهو الشعار الجامع الوضاء السالف الذكر ، فما خابت امة تبني رفعتها على اسباب الحضارة من مادية وادبية ، بل من حق قدرها حتما أن تعز .

ونحفظُ مِنْ جلالتِها شعاراً
ومن أسبابها المُلْكَ القويّا
ونحترمُ الشُّعوبَ اذا وَفَتْها
ونذكرُ فَضْلَها الباقي العليّا
فعيشي (مصرُ) سيّدةً وعيشي
فخاراً يملأُ (الدنيا) دويّاً!
وعيشي (للحضارة) كلَّ عصرٍ
كما انشأتِ (دولتَها) مليّا![1]
فمن أسبابِها أقوى حصونٍ
تعِزُّ وتنصرُ الشعبَ الأبيّا
وفي الغدِ سوفَ لا يبقى بناءٌ
بَنَاهُ الظُّلْمُ جبّاراً عتيّا

(١) مليا : زمنا طويلا



آلهة الجمال

لم تكنْ الأ فتاة قصدتْ
في اشتعالِ الحسنِ ميدانَ القتالْ
دِرعُها دِرْعان مِنْ حُسْنٍ له
قوة الاسرِ ومنْ فخمِ الجلالْ
ولهــا أقسى سلاحٍ فاتكٍ
في نصالٍ منْ لحاظٍ ونصالْ
يقتلُ الحسنُ برفقٍ.. كيف إنْ
صاحبَ الحسنَ سهامٌ ونبالْ ؟!
فتجلتْ قوةً بـــل آيةً
تُخضعُ الغلابَ بل تُفشي(١) الزوالْ
فانزوى (الاعداءُ) إذ جاء الردى
واذاها قد تولتْ في اختيالْ
تطلبُ الراحـــة من مجهودها
في (منامٍ) نشرتْ أحنى الظلالْ!
عند هذا (ملكُ النومِ) أتى
ساحراً... من طبعهِ السحرُ الحلالْ!

---

(١) تفشي : تنشر

***

ثم وافى (ملكٌ) ذو نضرةٍ بجناحيْ فضةٍ وافي الجمالْ
في حُلَى أحلى بيانٍ شائقٍ فأجبْتهُ ولم تُبدِ الدّلالْ
وأباحتْ أن يناما في هوًى وكذاك الصفْوُ من سرّ الليالْ!

***

ثُمَّ جاء (الفجر) يُبدي غَيْرَةً
وكذا (الأملاكُ)[1] في لَحْنِ الكمالْ
فاستفاقا فجأةً من سمعها وهو في خوفٍ شديدٍ واختبالْ
مُزْمِعًا أن يستقلَّ هرَبًا فأبتْ حسناؤه هذا السؤالْ
ثم قالت: « قد قطفتَ زهرتي
في وصالٍ، ما النَّوى شكرُ الوصالْ
ليس هذا شرَفًا يا فاتني اي ذنبٍ لي؟وماهذا الملالْ؟»
فرجاها ضارعًا مبتهلاً فأبتْ منه رجاءً وابتهالْ
قال: « إن أطلقتِني لم تندمي بل ستُعْطَيْنَ من الدّنيا المُحَالْ
مِنْ خلودٍ لجمالٍ حاكمٍ هذه الدُّنيا الى يومِ الزّوالْ!»
وهنا فارقها ثم مضى ولها سلطانُ آمالِ الرّجالْ!

(١) الاملاك: ملوك السماء أو الملائكة.

***

وأتى (**الصبح**) فلمّا استيقظتْ ذُهِلَتْ مِمّنْ رأوْها في انذهالْ!

مِنْ (**جُنود**) بحثوا عنهـا فما أبصروا فيها سوى أسمى الخيالْ

عبـدوها ! ولهم عُذرٌ فكم قدعبدنا بعدهم منها(**المثال**)![1]

رشفة ككتيل

رَشَفَتْ من الكُكْتيلِ حلْوُ شِفاهِها

فأعارتْ الكُكْتيلَ طعمَ شِفَاهِ![2]

باللَّحْظِ قبـل الثغر ينهـلُ حُسْنُها

فيزيدُ من أَلَقِ الكؤوسِ الزاهي!

وكأنمـا القَطَرَاتُ قد قَبَسَتْ بهـا

من نورهـا فتّـانةَ الافواهِ!

أصباغ قَوْسِ الشمس[3] عند سخائها

والغيثِ تجتـذبُ العزوفَ اللأهي!

(١) اشارة الى مثال الهة الجمال الفتان المحفوظ في متحف اللوفر بباريس.
(٢) في البيت التالي تفسير للمعنى الجامع الذي يقصده الناظم بلفظ «شفاه».
(٣) قوس قزح : يشير الى الوان الخمور الممزوجة ببعضها .

هاني مُدامك يا مُدامَ خواطري
بل يا وفيّةَ جنّتي وإلهي !
وقتٌ بقربِكِ كان أشهى نعمةً
من جنّةِ الآتي وآتي الجاهِ !
مالي ووعد المتقين فها هُنا
بعدَ الحساب حنانُكِ المتناهي !
لاتضحكي منّي بوعدِكِ أنّها
ليست أداةَ السُكرِ كالأشباهِ ...
جلّتْ عن الاشباهِ إلاّ أنّها
مُزجتْ بخمرِ رُضابكِ التيّاهِ !
خُلِقتْ لتعبُدَها الثُغورُ وقَبْلَها
أشرقتِ آمِرةً بخفضِ جباهِ !

راكبة الدرّاجة (*)

ياغادةً تركبُ في خِفّةٍ محسودةٍ لولا رشيقُ القوامْ !

(*) الدراجة هي البسكليت .

مَنْ علَّمَ الحسنَ الدلالَ الذي ... يَنسابُ لا يرْعَى حقوقَ الانامْ؟!
يَشُقُّ في جمعٍ لهمْ خَطَّهُ ... لا يرهبُ الجمعَ وفرْطَ الزّحامْ
وبينهمْ مَنْ يشتهي ضَرَّهُ ... مِنْ عثرةٍ منكِ ويهوى الملاَمْ!
أتعبتِ ساقيكِ بلا مُوجبٍ ... ياحسنَ ساقيكِ بوثْبٍ يُرَامْ!
هَلاَّ تسنمْتِ ظهُوراً لنـا ... فكلُّنا يحملُ عبءَ الغرَامْ!
حَمْلُكِ من أحلى ثمارِ الهوى ... و«عِبْئُكِ» البرُّ يُدَاوي السقَامْ
لكِ المُنَى في خطراتِ الهوى ... في المشيِ فتَّانًا وعند المقَامْ
والآنَ قد زدتِ أفانينَها ... من أحدثِ السحْرِ الحلالِ الحرامْ
كأنَّما أشهرتِ (١) حرْبًا فيا ... رُحمَاكِ رُحْمَاكِ لباكي السلامْ!

الابرة الفنانة

عـلامَ وَهبْتِنـا زَفْرَهْ ... وليس لخالقٍ حسْرَهْ؟!
أيشكو الفقرَ مُحتكمٌ ... على الألبـابِ من نظْرَهْ؟!
وما حُسْنٌ كحسنكِ ما ... يَخـافُ بفقرِهِ قفْرَهْ
أرينـا بعض ما يوحي ... من التطريزِ للإبْرَهْ

(١) اشهرت : اعلنت .

بدائعُ مبدعٍ وافٍ تغارُ لِخَلْقِها الزَّهْرَهْ!
ويرنو الطيرُ من عجبٍ يظنُّ برسمها وكْرَهْ!
بألوانٍ إذا ضحكتْ رأى الصبحُ بها فجرَهْ!
فلا نخشي طويلَ اللّيـ ـلِ، ما الليلُ سوى فترَهْ!
وأبقِي للصَّباحِ متى أتى ما صُنتِ من عبرَهْ!
فانَّ العيشَ أدوارٌ وكم للحُسْنِ من طفرَهْ!

دار ابن لقمان

ولويز التاسع ملك فرنسا

وصفها العلامة الكبير سعادة الاستاذ أحمد باشا تيمور في الجزء الاول من المجلد الثاني « الزهراء » وكان الشاعر قد زارها سنة ١٩٠٩ م . صحبة صديقه الاستاذ القانوني محمود افندي عزمي من كبار رجال الضبط بمصر . وخطاب الشاعر وتقديره في مستهل قصيدته موجه الى سعادة الاستاذ المؤرخ الشهير :

بَسمتَ ثم بكَيْتَ الذِّكرَ للناسِ
كما بَكيْتُ قديمًا ملْءَ أنفاسي!
فثارَ شعري باحساسي على قلمي
وما بطاقةِ مثلي دَفعُ احساسي

فاصفحْ اذا كنتَ قد ونَيْتَ في عظةٍ
دَرسَ الحكيم،فقوْلي وصفَةُ الآسي!
لاخيرَ في الشعْر موقوفا على طربٍ
وعازفًا عن بيان الفضلِ والباسِ!
ولا بشاعرِ قومٍ لا يعلّمهمْ
أسْمى الحياةِ بقلبٍ جدِّ حسّاسِ!

* * *

(دار ابن لقمان)[1] قدجدّدتَ دارَسها
بوصفكَ المُرْجعِ التاريخَ للناسي!
تكادُ تُخلَقُ من برٍّ معالِمُها[2]
رغم الزّمان وتبدو بين حُرّاسِ!
وقد صدقْتَ بما حققْتَ من أثرٍ[3]
لكنّه وارثٌ مخبوءُ آساسِ

(١) هي الدار المعروف موضعها بمدينة المنصورة ، وكانت للوزير الكاتب فخر الدين ابراهيم بن لقمان ، وفيها سجن ملك فرنسا لويز التاسع لما اسره المصريون بعد واقعة المنصورة الشهيرة سنة ٦٤٧ هـ . (١٢٤٨ م .)

(٢) اشارة الى الوصف البليغ التفصيلي الذي سرده سعادة تيمور باشا، حتى كانما الدار تكاد تتجدد برأً بوصفه !

(٣) اشارة الى ماوصل اليه تحقيق تيمور باشا متفقا مع الاستاذ داريسي Daressy من أن الاثر الحاضر غير الدار الاصلية وان كان في موضعها .

كأنهُ حارسٌ كنزاً يضنُّ بهِ
وسائرٌ للمعالي أيَّ مِقباسِ !
فهو الحقيرُ الجليلُ المنتمي شرَفاً
للتاجِ والملكِ ثمَّ السؤددِ الرّاسي !

***

يادارُ عيشي على رغم الرَّدى القاسي
فخراً يشعُّ بنبراسٍ ونبراسِ !
في موضعٍ سُوَرُ التاريخ ترقبُهُ
حيْرَى وترفعُ فيه جمعَ أقواسِ !
ولا تُفاخرُ منها أيُّ واقعةٍ
فقد تفرَّدْتِ في نصرٍ ومقياسِ !
وفي ظلالكِ سارتْ (مصرُ) في شَمَمٍ[1]
الى التغلُّب من حزْمٍ ومِنْ ياسِ
أعجوبةُ الهمَّةِ القعساء إنْ صدقتْ
وغايةُ الصدْقِ من جُندٍ وسُوّاسِ

(١) اشارة الى توحيد كلمة المصريين واشتداد عزيمتهم وحملهم حملة صادقة على الفرنسيين بعد ان كاد المصريون يهزمون شرهزيمة .

ولو درى ما بكى المأسورُ من خجلٍ!

فالشعبُ في وَحدةٍ كالضَّيغمِ العاسي [١]

إنَّ الاسيرَ لبأسٍ لا نظيرَ لهُ

غيرُ الأسيرِ العثُور الخاطيء الخاسي!

***

وأنتَ يا وطني الباكي لضَيْعتهِ

بينَ الدسائسِ بعدَ الجهل والكاسِ!

صبْراً فكلُّ بلاءٍ سوف يعقبُهُ

تكافوءٌ بين إسعادٍ واتعاسِ

وإنَّ ذِكراً (لأنثى) [٢] قد رفعتَ بها

نورَ الجلالِ ليكفينا لايناسِ!

وإنَّ رسماً حواهُ المجدُ في حُجُبٍ

ولم يُحَجَّبْ لأَبْقى دونَ أحراسِ!

هيهات يُطفي دُخانُ العسفِ شُعلتَهُ

هيهاتَ! هيهاتَ! فالدُّنيا بقسطاسِ

---

(١) العاسي : الغليظ القوى الذي لا ينثني (٢) يشير الى جارية الملك الهمام والوطني الغيور الصالح نجم الدين أيوب فهي التي اخفت خبر موته وسيرت جثته في حراقة سرا الى جزيرة الروضة حتى لا تذهب قوة الجيش المصري المعنوية .

وَلَنْ يَضيعَ جِهادٌ في تَوَهُّجِهِ
شَمسٌ، وفي خُلْدِهِ المُفْنِي لأَرْماسِ!

***

وأنتِ يا (دُرَّةً)[١] ضَنَّ الزَّمانُ بها
في الشرق قدرُكِ فوق الدُّرِّ والماسِ
أكسبتِ أسْرَ (لويز)[٢] أيما شَرَفٍ
وتاجَ مُلككِ من نُبْلٍ ومِنْ راسِ
بكى دماءً (النجم الدبوس) فارسهِ
فجئتِ آسيةً في بأسِ فرّاسِ
وعاشَ فضلُكِ وضّاءً يُشجّعنا
بين المآتِم مَزْجينا لأعراسِ
حتى نُعيدَ جلالاً صار غائبُهُ
يشْتاقنا شَوْقَ (لورين والزاسِ)[٣]

---

(١) يشير مرة أخرى الى جارية الملك ، واسمها (شجرة الدر). (٢) هو لويز التاسع ملك فرنسا الملقب عند قومه بسان لويز Saint Louis اي القديس لويز . ولد سنة ١٢١٥ م وتوفي سنة ١٢٧٠ م من وباء قضى عليه وعلى جيشه وهو محاصر لتونس في الحرب الصليبية الثامنة .

(٣) يضرب المثل بلورين والزاس في وفاء التبعية .

نحنُ الأحقُّ بسيراتٍ يُرَدّدها
جيلٌ لجيلٍ ، وأقمارٌ لأشماسِ (١)

ارقصي ياغادتي ...

أبيات ارتجالية

أُرقُصي يا غادتي !	أُرقصي يا فاتنَهْ !
أُرْقصي في حُسْنِ احْـ	ـسانٍ وعطفِ المُحْسنهْ !
وانشري الأحلامَ تُفْـ	ـنِ الحسراتِ المزْمنهْ !
أُرْقُصي يا بهجتي	ما شئتِ لا مستأذِنهْ !
إلاَّ من القلبِ الذي	ناجاكِ قبلَ الأَلْسنهْ !
إلاَّ من الأَنفاسِ لم	تصبرْ فعُدَّتْ خائنهْ !
إلاَّ من الاشواقِ مِنْ	كُلِّي تباعاً هاتنهْ !
إلاَّ من الآمالِ في	مرآكِ نَشْوَى آمنهْ !
أُرقصي ثم ارقصي	أَوْفَى الحياةِ الرَّاهنهْ !
واستجمعي الدُّنيا بما	أسْدَيْتِ ، لكنْ دائنَهْ !

(١) أشماس : جمع وضعي لشمس .

الايمان

والعلم الشرعي

مَنْ كان يعلمُ عِلْمَكُمْ أصلَ الحياةِ ومُنْتَهاها

لاشكَّ يُوقنُ أنَّ في الـ دنيا وفي الأُخرى إلاها

فاعفوا عن الفرْدِ الذي ما فاتَ في بَحْثٍ دُجاها

يَسْعَى الى عِلْمِ الحقيـ قةِ ، ما تَملَّكهُ سواها

ويظلُّ يدأبُ وهو يجـ هلُ ما الحياةُ وما عداها !

ما الكفرُ إلاَّ حالةٌ لِمُنَقِّبٍ صدقًا تناهى

كالليلِ يتبعه الصَّبا حُ فيستذلُّ لنا الجباها

ولربَّ كفرٍ صادقٍ خدمَ الحياةَ ومَنْ بَنَاها!

فالشكّ مدعاةُ الدرا يةِ ، والحقيقةُ في حِماها!(1)

اليأس

اليأسُ إحدى الرَّاحتين فانّه

بُرْءٌ من الشكّ العَتِيّ (2) الجاني !

(١) في حماها : اي في حمى الدراية والعرفان (٢) العتيّ الجبار .

والرَّاحةُ الاخرى الرجاءُ ، كلاهما
مُتَنَاوِبُ الاحسانِ للانسانِ !

أطفال الرجال

ينبونَ[1] خيرَ رجالِهمْ أطفالَهمْ
ونظَلُّ نحنُ نشابهُ الاطفالاَ !
فعلامَ نعجبُ إنْ تثلَّمَ مجدُنا
واذا الجَنيبُ[2] أذلّنا وتعالَى !!
والبيتُ مدرسةُ الحياةِ وأصلُها
يُنمي جمالاً أو يَصوغُ رجالاَ :
فاذا تعثَّرَ بالجهالةِ أهلُهُ
هيهات أن يُعطِي سواهُ كمَالاَ !



(١) يشير الى الغربيين. (٢) الجنيب : الدخيل .

آخر بني سراج

رواية الفيكونت دوشاتوبريان الكاتب الفرنسي الشهير

كانوا مُلوكاً منارُ الشمس رايتُهُمْ
حتى تدلَّوْا لِسَقْطِ اللَّهْوِ غافينَا
فضيَّعوا دولةً كان الجلالُ لها
دينًا ، فلم يُنصفوا مُلْكاً ولا دينَا !
حضارةٌ قد نماها العلمُ مزدهراً
ولم يزل ضَوْؤُها البسَّامُ يَسْبينا
ونفحةٌ من جمالِ العُرْبِ خالصةٌ
أهدتْ الى المُلْكِ والدُّنيا رياحينَا !
وعمَّرتْ في قرونٍ عن ثمانيةٍ
ما لا يزالُ مديدَ العمرِ هادينا !
ما بين عتبٍ وتحنانٍ يسائلُنا
وبين وجدٍ وإشفاقٍ يناجينا !
لبَّاه قبلاً فتى من أهل عزَّتِهِ
ممن جلَوْا عنه في الضُّراءِ باكينا

وكان شهماً عظيمَ النفسِ من نَسَبٍ
(بنو سراج) الأُلى عاشوا ميامينَا
فسار حجاً الى آثارِ أُمَّته
وأكرمُ الحجِّ ما يُوحي ويُشجينَا
تهزّه الذكرياتُ النائحاتُ ، وكم
نوح للذّكرِ من مفقودِ ماضينَا
ولم يزل باحثاً والقلبُ يرشدُهُ
والدَّمعُ يسعفهُ شوقاً وتأبينَا
حتى أتاهُ الهوى عفْواً يتيمُه
والحبُّ لا يرتضي عُذراً ولا لينَا !
مِنْ شمس (غرناطة) الغراءِ إذْ طلعتْ
له ، فبادلها عشقاً أفانينَا
حتى تجلَّى له ما أصلُ عنصرها
مِنْ (آل بيڤار) من أشقوه قاسينَا
وبدَّدوا أهله في كلّ ناحيةٍ
وذلّلوا بالدمِ الجاري الأعزّينَا

فلم يُطِعْ قلبَه عرفانُ واجبِهِ
أو أن يُهينَ دماً في الأسر ماهِينَا
وسار تذكارُهُ الباقي لنا مثلاً
يوحي لنا خيرَ ما يُحيي أغانينَا !
وما يبثُّ المنى فينا ليوم غدٍ
وما يحرِّكُ آياتِ العلىٰ فينَا !

واجب الفن

مِنْ واجبِ الفنِّ تصويرُ (الحياة) كما
تُرَى الحيـاةُ بآمالٍ وآلامِ
لا يترُكُ الشرَّ منبوذاً لخشيته
أو يرسمُ الخيرَ سلطـاناً بأحـكامِ
بل يرسمُ الدِّينَ والدُّنيا كما ظهرا
في مَظْهرٍ ساقطٍ أو مَظْهَرٍ سامِ !
وفي تضـاعيفهِ للحقِّ منـزلةٌ
هي الحياةُ تناجي عطفَكَ النّامي

كذاكِ منْ واجبِ الفنّ الصحيح هُدَى
هذي النفوس وإرواءُ الهوى الظّامي
منهُ الضّياءُ لألبابٍ محيّرةٍ
منه الغذاءُ لأرواحٍ وأفهامِ
يمثّلُ (المثَلَ الأعلى) فينقلها
من عالمٍ مُجْدِبٍ للعالَم الهامي[1]!
ومنْ حياةٍ بها ضعفٌ وسخريةٌ
الى بقاءٍ تجلّى فوقَ أجسامِ!
ومنْ متابعةِ الأهواءِ في زَلَلٍ
الى قَداسةِ إحسانٍ وإنعامِ!

نسب الشعر

دَعُوا المديحَ بألقابٍ مُنمّقةٍ
فانّ لي غَنيةً عن جمعِ ألقابِ

(١) الهامي : الكريم .

حسبي انتسابي الى شِعرٍ أبثُّ بـه
رُوحَ الرجاءِ لأفنـانٍ[1] وآدابِ
عرضْتهُ في مجـال النَّقْدِ مغتبطـاً
عَرْضَ الرياحين لم تأبهْ[2] لأعشابِ
أزاهرٌ لم تدعْ رُوحاً بلا هِبةٍ
منها ، وما ظلمتْ أحـلامَ ألبـابِ !
كأنمـا خُلِقَتْ أهـلاً لتضحيـةٍ
وناشراتِ التَّحايا عنـد أربابِ !
فلن تبثَّ الهوى إلاَّ لذي شغفٍ
ولن تُخَيِّبَ فيهـا رأيَ إعجـابِ !
رَضِيتُ بالنَّاقِديهـا جُهْدَ طاقتهمْ
فانّهم ان يصيبوا غـيرَ جلبـابِ !
وما أُبالي أجاءَ النَّقْـدُ من عَلَمٍ
أم جاء من عاجزٍ مُستَصغَرٍ هابِ[3]
فلن أكونَ زميلاً للغرُورِ ولن
يكونَ مني اعتدادي ضَلَّةَ الآبي

---

(١) أفنان : فنون . (٢) تأبه : تلتفت وتحفل . (٣) الهابي : الواهن.

ولن ينالَ الأحدُ النقدُ من أدبي
معنًى وحِسّاً وفكراً ليس بالخابي !
جوامعُ الشِّعْرِ ، لا لفظٌ يقاسُ بها
وإنْ تحامَلَ جهْلاً كلُّ مرتابِ
وكم ضَحِكتُ باشفاقٍ على مُثُلٍ
مِنْ أعجبِ النقدِ في أوهامِ كُتّابِ
لم يفهموا الشِّعْرَ لامعنًى ولا صُوَراً
وأقسموا أنّهم أقطابُ أقطابِ !
ووزّعوا بين أهلِ الشِّعْرِ طائفةً
من السَّخافاتِ عُدّتْ خيرَ ألقابِ !



رسم الطبيعة

لاتنهروني لتصويري محاسنَها
إنّ الطبيعةَ إلهامي وأُستاذي !
أو تنكروا صوتَها الوافي الى أُذُني
فربما لم تَبُحْ الاّ لأفذاذِ !

جعلتُ شعري صفـاتٍ من بدائعها
فانّما لِسنَاها يحتـــذي الحاذي
وقد تَمَثَّلْتُها في كل ما وَهَبَتْ
هذي اليَرَاعَةُ من راحٍ ومن مَاذِي[1]
صَوَّرْتُ في الشِّعْرِ إحساساً يُلاذ به
فهل تعيبون إحساني وإنقاذي ؟!

نقد الشعر

الخطاب موجه الى أحد الادباء الغيورين من مريدي الشاعر رداً على كتاب منه.

هوّنْ عليكَ فما شعري بمفتقرٍ
للمادحين ، وما عَتْبِي لنُقَّادي !
ولن يعيبَ نظيمي ذَمُّ حاسدِهِ
فانّما يزدهي في ليـل حُسَّادِي !

---

(١) الماذي : العسل الابيض . وتمثلتها : تصورتها .

كالنّجمِ في ظُلُماتِ الأّيلِ مشتعلاً

والماسِ في الفحم ، أو كالنّبعِ للبادي[1] !

تعسفوا بين أحكام محيّرةَ

كِيانُها جَمْعُ أضدادٍ وأضدادِ !

وما دَرَوْا من أُصُول النّقدِ أوّلَها

وإنْ دَرَوْا بثّ أوهامٍ وأحقادِ !

أيحسبون أباطيلَ الهوى حُججاً

تقضي على الفكر أو تدعو لاالحادي ؟!

ذَرْهُمْ فحسبي اعتزازاً أنني رجلٌ

من أخلص الشعر إنشائي وإنشادي !

وَزَنْتُ بالذّوقِ ألفاظي وأحرفَها

وَزْنَ الجواهرِ في تنسيق نَقَّادِ !

تناسبتْ في انسجامِ الصَّوْتِ وامتثلتْ

لنغمةِ الفَنّ والابداعِ للشّادي !

ومثّلتْ صُوَراً فيها مُجَسَّمَةً

من العواطفِ : مِنْ خافٍ ومن بادِ

---

(١) البادي : السالك البادية ، والشاعر يقرن مصاعب سلوكها بالظلام ووحشته ، بينما يقرن نبع الماء الغزير المتلألىء بالنور .

وكم أضاءتْ بآراءٍ وأخيلةٍ
تَهدي سبيلَ السُّرى في غير إجهادِ
للشعرِ والوحيِ منها مَشرِقٌ بهجٌ
وللحقيقةِ فيهـــا سرُّ آبادِ !
كأنما (نورُ اكسٍ) من طبيعتها
أو أنها خُلِقَتْ من سحرِ آرادِ !
وتارة همُّها إنصـــافُ فلسفةٍ
ما بين شَرْحٍ وتحليـلٍ وإعـدادِ
كأنَّما (المجهرُ) الجبَّارُ أسعفني
أو أنها صُوِّرَتْ مِنْ عينِ (منطادِ)!
تـكادُ تَلْمُسُ مِنْ نَفْسي خوالجهَا
فيهـا وترقبُ منها وَحْيِيَ المادي !
ولم تـذَرْ للجمالِ الُحرِّ مَطْلَبَهُ
وصُورةً طُبِعَتْ منه على (الوادي)[1]
فانْ تأمَّلتَ شعري كانَ لي مَثَلاً
أمام عينيْكَ يشدو فوق أعوادِ !

(١) وادي النيل .

وشِمْتَ [١] فيه رُسُومًا لافْنَاءَ لها
تُمثّلُ النفسَ في ألوانِ أبرادِ !
وكان فيه لرُوح العَصْرِ نفحتُها
وكان فيها الخيالُ السَّمْحُ للصَّادي !
وتُبْصِرُ العلمَ والتفكيرَ في صِلَةٍ
بالشِّعْرِ ما بين إشعاعٍ وإيقادِ !
وإنّ تثاءبتَ في جَهْلٍ وفي كَسَلٍ
فلن تنال النَّدَى مِنْ بِرّهِ الجادي ! [٢]
ما كلُّ شعرٍ كشعري لن يُقالَ سُدًى
ولن يكون لجُهَّالٍ ورُقَّادِ
مَوْتَى الشُّعُورِ شعوري لن يُصَاغَ لهم
وإنْ سمحتُ به للرَّائحِ الغادي !
وربما كان للدهماءِ غُنْيتُهُمْ
منه ، وإن كان نبراسًا لأفرادِ
وما أبالي اذا أفنى على سَخَفٍ
بوأد لفظٍ سَرِيٍّ وَهُمْ أضدادي

(١) شمت : لمحت . (٢) الجادي : الكريم .

فما أعيشُ بألفاظٍ أنمّقُها
لكنْ أعيشُ باحساسي لأندادي !
ولي مئاتُ المعاني في جلالتها
وشائقاتٌ من الألفاظ (للضّادِ)
ذخيرةٌ لن يُذيلَ [1] الطعْنُ قيمَتها
ولن يفوتَ سَنَاها العاشقُ الفادي !
فَمَرْحَباً بصُنُوف القَدْحِ مُكْرِمةً
فَضْلي ، وناشرةً شعري لقُصّادي !
ومَرْحَباً بالشّريفِ النقدِ انشدُهُ
فالنقْدُ فَخْرٌ وإعزازٌ لمرتادٍ [2] !
سيّانِ إنْ جاء مِنْ سَهْلٍ يُحَقّرُهُ
غيري ، وانْ جاءَ من قِمّاتِ أطوادِ !
فلي يقينٌ بانفاسٍ أرددّها
ولنْ يبدّدَها مَجْهُودُ بدّادِ !
ولي أمانٍ الى الاتقانِ دائبةٌ
فلن يُغرّر بي اطراءُ أودادي [3]

(١) يذيل : يهين . (٢) مرتاد : طالب له . (٣) الاوداد : المحبون .

ولن يُثَبِّط جُهْدِي قَدْحُ ذي غرضٍ
سيان في الحمد أعدائي وأعضادي !
سلمتُ بالصّدق في الاحساس مغتبطاً
والنّـاسُ ما بين أدواءٍ وفُصّادِ !
وقلتُ للأثمي في غير معرفـةٍ
سلْ المشاعرَ (١) عن حسي وإمْدادي!
حسبي الطبيعة ملءَ الحسّ في ادبي
معلماً أتلقّى منـــــه ارشادي !
في حُسْنها صفوُ أشعاري أرتلها
للنـابهين ، ومنهـا نغمةُ الحادي !
وهي الـكفيلةُ في عيشي وفي عدمي
بأنْ تـؤيدَ إخـلاصي وإخلادي !
وأن تصـونَ غرامي في بدائعهـا
وأن تجدّدَ طولَ الدهرِ ميلادي !



(١) المشاعر : الحواس ، وهي عصرية الاستعمال بهذا المعنى .

الأنثى والمرأة

نَلْهَا[١] مهفهفة القوامِ نخالُها مَلَكاً تخطَّرَ رِقَّةً وجمالاَ
فاذا بظنّكَ أيُّ وَهْمٍ خاطيءٍ ما كانتْ (الأُنثى) المثال كمالاَ !
فاذا سجدتَ لها فمثلُكَ عابدٌ من شهوةِ الجسم النضيرِ وصالاَ
دَعْها وقدّسْ قبلَ جسمٍ رُوحَها بفضائلٍ تهبُ الجمالَ جلالاَ
(فالمرأةُ) الملَكُ الذي في برِّهِ جاءَ الرسولَ من الآلهِ تعالى!
أسمى وأحلى ساعةٌ في قُربها من كلِّ أنسٍ تشتهيه ضلالاَ!
منْ حكمةٍ لدُعابةٍ لتغزُّلٍ لرشاقةٍ لمكارمٍ تتلالاَ
منْ لفظها عَذْبُ البيان سُلافةٌ وشفاءُ ذي سقَمٍ يُعَدُّ عضالاَ
ولها الحنَانُ مع الطهارةِ قُوَّةٌ تُحيي مواتاً أو تُنيلُ مُحالاَ
وبكلِّ نظرةِ عَطفها درسٌ الهوى يَهْدِي وينْقذُ وَحْيُها الجُهّالاَ !
اُنظرْ لعينيْها كما نَظَرَ السَّما متبتِّلٌ سألَ المُعزَّ سؤالاَ !
اُنظرْ لِمَبْسِمِها الدقيقِ فكمْ بهِ شعَّتْ حيَاةٌ للقلوبِ منالاَ !
اُنظرْ لخدّيْها اللّذين تورَّدا بتواضعِ الأزهارِ لا تتعالى!

(١) يشير الى الانثى . وفي القصيدة مقابلة ما بين الانثى والمرأة الكاملة

اُنظرْ جبيناً ساحراً حجبتْ به ... عقلاً يفكُّ عن الحزينِ عقالا!
اَنظرْ لخفّتِها الشّهيّةِ! إنّها ... تُوحي كلالاً إذْ تفيضُ دلالاَ!
وتُهذّبُ الأذواقَ من نفحاتِها ... وتُعمِّرُ القلبَ الفقيرَ مثالا!

***

يازينةَ الدُّنيا ومبعثَ نورِها ... عيشي لمن عشقوا سناكِ حلالاَ!
غنّي لنا معْنَى الحياةِ فانّما ... لولاكِ أصبحتْ الحياةُ خيالاَ!
عيشي معلّمةً وسودي فتنةً ... تَهدين حاكمةً بنا الأجيالاَ!
وارمي قيودَ العسْفِ عنكِ جريئةً ... فلكم طرحتِ عن الورى الاغلالاَ!
ولكمْ وهبتِ من الحياةِ أعزّها ... تبنينَ للشّعبِ الضعيفِ رجالاَ
ولكمْ جمعتِ الشّهدَ كالنّحلِ الذي
يَجْني ويُعطي حُلْوَه انّحالاَ (١)
وجزاؤهُ الاعزازُ حيناً ريثما
يُسدي، وكم يلْقى الجزاءَ قتالاَ!
رُدّي للملكِ تاجه وتأهّبي ... للصالحاتِ وأرشدي الأبطالاَ
لاتسكني للأسْرِ ممن أصغروا ... فيكِ الوفاءَ فأصغروا الآمالاَ
هيهات تنهضُ أُمّةٌ لم تعبئْ ... بنهوضها، أو أنْ تنالَ منالاَ!

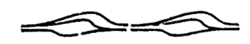
(١) اشارة الى اعدام الحافظين من النحالين للنحل في نهاية الموسم بعد الحصول على عسلها.

ما كنتِ (بالانثى) الحقيرة تُزْدَرَى
بل كنتِ سيّدةً تَزِين خِلالاَ !

تُحيِي الرجالَ بكلّ فضل جاذبٍ وتُضيءُ من نُورٍ بها الأطفالاَ
وتُعيد للبؤساء صفْوَ حياتهمْ وتدبّرُ الدُّنيا لتصلحَ حالا
وتظلُّ تعملُ في المفاخرِ كلها مهما تملَّكَ غيرُها الأعمالاَ
وتفِي الحضارةَ منْ رشاقةِ حُسنِها سِرٌّ الدوامِ نضارةً تتوالَى

* * *

يا (بنتَ مصر) اليكِ كُلُّ مؤمِّلِ
فدعي الخلاعةَ تنشدي الاجلالاَ
كوني (لمصر) الدّينَ والدُّنيا معًا
واعطي (لمصر) من السموّ خصالاَ
انّا لنرقبُ فيكِ نورَ حياتنا
طولَ الزّمانِ ، ولن نرومَ زيالاَ [1] !



(١) زيالا : مفارقة .

عماد الامم

الحرية والاخلاق

ولم أرَ كالأخلاقِ مَظْهَرَ أُمَّةٍ
وجَوْهَرَها المُحْيِي عزيزَ رجالِها
ولا مُبْدِعَ الأخلاقِ كالحرّيةِ التي
تُغذّي وتُنْمي من طَهُورِ غِذائِها
وما العقلُ والعرفانُ في الأسرِ قوةً
اذا كانت الأخلاقُ صَرْعى بدائِها
فقدّمْ اذا كرَّمْتَ مجداً لامةٍ
ونهضتَها حرّيةً لبنائِها
هي المَنْبَعُ الصَّافي لكلّ فضيلة
ومَشْرِقُ إلهامٍ وأصلُ سنائِها
فان فُقِدَتْ لم يُغنِ علمٌ ولا حجًى
كما يخْنُقُ الأحياءَ منْعُ هوائِها



عصبة النيل

مصر والحبشة والسودان

يافاتحين بلا عقلٍ ولا رشَدِ
دارَ السفارةِ في أرضِ (البرازيلِ)
كأنما قد غدونا دولةً حكمتْ
في العالمين وساداتِ البهاليلِ (١)
هلاَّ اجترأتمْ فأعلنتمْ تملُّككمْ
لما بها دونَ تفسيرٍ وتعليلِ ؟!
كلاهما واحدٌ في الوَهْمِ لو عرفتْ
فهومكم ما معاني نهضةِ الجيلِ !
إنَّ الحياةَ لكم في أرضِ مُوجدِكم
إنَّ الحياةَ لكم في ذمةِ (النيلِ)
فلو فقِهتمْ لقدَّستمْ جلالتَه
ولو عقَلْتمْ حباكمْ سرَّ تكميلِ

(١) البهاليل : جمع البهلول ـ وهو السيد الصالح

ما ضرّكم لو بذلتمْ خيرَ همتكم
الى شعُوبٍ له في شرّ تضليلِ ؟
جنى الجنيبُ عليهم في مطامعِهِ
وأنتُمو في غريبِ القالِ والقيلِ !
أتبعثون سفيراً دونَ ما عملٍ
ولا رعايا له غير الأباطيـلِ ؟ !
وتغفلونَ سفيراً من مودّتكم
لدولةِ (الحَبَشِي) المنشودةِ الغيلِ[١] ؟!
وتهملونَ ولو تثقيفَ ناشئةٍ
(السُّودِ) بالعلم لا سُودِ الأقاويلِ ؟!
هيهات يبقى لـكم مجدٌ ومملـكة
الاّ بوَحْدَتكم يا (عصبة النيل) !
فأسّسُوا للغدِ الغلاّب منعتَها
على التعاونِ في صدقٍ وتأميلِ

(١) الغيل: الوادي الذي فيه ماء - اشارة الى نهرها والى بحيرة تسانا التي يريد الانجليز الاستيلاء عليها .

إنَّ الشعوبَ اذا جدَّتْ لغايتها

جَنَتْ[1]، ولم ترضَ أحكامَ الاضاليلِ

أبو الهول

يارمزَ (هوروس) الآلهِ بجلّه ... وابنَ البُطولةِ والجمالِ الغالي[2]

ما عذرُ قومِكَ في التعجُّبِ إنْ يكنْ

عُذْرٌ لجاهل أمسِهم والجالي[3]

ما كنتَ لغزاً لا يُحلُّ وإنما ... أُطلِعتَ عنواناً لكلِّ كمالِ

دانتْ لك (الأهرامُ) في استعلائها

ونَظَلُّ نعبدُ وجهكَ المتعالي

رأسٌ كرأس الآدميِّ مكلَّلٌ ... بحفاوةٍ وبتاج كلِّ جلالِ

طولَ القرونِ وما تَعُدُّ فلم يكنْ ... عُمْرُ الالهِ يقاس بالاجيالِ!

وقويُّ جسمٍ كالغضنفر رابضٌ ... فوقَ الرمالِ مُراقِبٌ ومُوالِ

---

(١) جنت : تناولت ثمرتها.

(٢) اشارة الى (اوزيريس) البطل والد الآله (هوروس) والى والدته (ايزيس) الجميلة .

(٣) الجالي : الذريب السائح

في ظلكَ الوافي (مخمسُ) قد رأى

حلمَ الجلالِ ووعدَ مُلكٍ تالِ

لم يُغنِ شيبُ الدهر منك تيقظاً

كلاً ولا نُوَبُ الزمان الخالي!

مرّتْ حوادثهُ الجسامُ روايةً وكأنما أنتَ الضحوكُ السالي!

مابين أروعِها وأغربِها مضتْ تلك القرونُ كمرّ بضعِ ليالِ!

وتظلُّ مبتسماً بلحظيْ ساخرٍ بالوهم والجبروتِ والجُهالِ!

تقضي بموتِ العابثين مُباركاً جُهْدَ الذين بَنَوْا بِناءَ رجالِ

وتُحدّثُ الابناءَ لو فقهوا بها أخفيتَ من أسرار مجدٍ بالِ

وأجلُّ سرٍّ وَحدَةٌ وتعاونٌ في رفعِ أمتهم وحُسْنِ فعالِ

فبهاسمت (مصر القديمة) دولةً بالمعجزاتِ وأيُّ مُلْكٍ حالِ

ولواهتدتْ (مصر الحديثة) مثلها نالتْ من الآمالِ كلَّ منالِ

فانظرْ - برغم الصمتِ أنت مفوّهٌ -

نظرَ الدليلِ بموحشٍ لرمالِ

واهدِ الذين نَسَوْا فخارَ جدودهمْ

لعظائمِ التاريخِ غيرَ مُغالِ!



ساكنة الرمل

يامَنْ جعلتِ (الرمل) [١] جنَّاتِ الهوى
أعلمتِ أنّي من بعادك مُجْدبُ ؟
وافى كتابُكِ ياحياتي مثلما
وافى الجديبَ الرَّوْضَ غيثٌ صيّبُ
فنمتْ بُذورٌ للغرامِ أمينةٌ
تهفو لنورٍ من جمالك يُرْقَبُ
مهما حباها الشّوقُ عطْفَ حرارةٍ
مهما أتاها من نداك المَطْلَبُ
ما زال يُعْوِزُها ضياؤك مُنْعِشاً
ماكان يُغني عن ضياءٍ مَشْرَبُ !
أما المسرَّة [٢] فهي ثالثُ نعمةٍ
مُذْ كان صوتُك للاشعةِ يُنسَبُ ! [٣]

---

(١) هو رمل الاسكندرية المشهور .

(٢) المسرّة : التليفون .

(٣) الصوت والنور والحرارة انما هي أنواع من تموجات أثيرية .

عجباً لصبٍّ ما نسيتِ وانْ نأى
رغمَ الحنانِ الجمِّ منك يُعَذَّبُ !
عجباً ! ولا عَجَبٌ فحسنُكِ عنصرٌ
كالرَّادِ(١) أكرمُ للقريبِ وأطيبُ !

الطبيب

عـذلوني عـلى الأنين بشعري
في وَدَاعِ الصَّديقِ بعد الصديقِ !
وكأنّي لم أنثرْ الشّعرَ حِساً
من فـؤادٍ مُرَوَّعٍ أو شفيقِ !
وكأنّي ما كنتُ أجْدَرَ بالعطْـ
فِ وبرِّ الشـقيق نحـو الشقيقِ !
وكأنّي ما كنتُ أحمِـلُ وَجْدي
أكثرَ الوَجْدِ في التيـاعِ الغريقِ !

---

(١) الراد : هو الراديوم .

وكأنّي لم أدر انّ أخا الطبْ

ـبِ نظيري على شقاءٍ وضيقِ !

أنا واللهِ ما غبَطْتُ طبيباً

في دُخانِ الوغى ونارِ الحريقِ !

كلما قيل قَدْ ترَقَّى(١) أراه

كسجينٍ مصفَّدٍ أو رقيقِ !

حرَمُوهُ من الحياةِ بأعبا

ءٍ ثقالٍ على طويلِ الطريقِ !

فكفاهُ التَّشْجيعُ ... كيف أهنِّيـ

ـهِ بآتي الشَّقَاءِ والتفريقِ ؟!

* * *

يا أخي في السَّقَامِ ! . يا واهبَ الطِّبْـ

ـبِ الى سُدَّةِ الجمالِ العريقِ !

كلُّ نفسٍ لها لديكَ ابتسامٌ

بينما أنتَ في اكتئابٍ عميقِ !

لستَ في حاجةٍ الى بعضِ وَصْفي

إنْ تكنْ حاجةٌ فللإبريقِ !

(١) يشير الى الطبيب الحكومي .

فأصِخْ بُرْهَةً لعلّيَ أوحي
في سَوَادِ الظَلامِ بعضَ البريقِ !
يَجْمعُ النُورَ والسُلافَ الى الشِّعْـ
ـرِ كأنَّ المزيجَ مَعْسُولُ ريقِ !
فلكم عِشْتَ في الأسى بينما اللّهْـ
ـوُ يناجيكَ في حنُوِّ الرفيقِ !
وكذاك الحياةُ ضدّانِ فالصّا
بُ زميلٌ لدى شهيّ الرحيقِ !

***

أنسيتَ المريضَ في العزّ والجا
هِ يُراعَى في ظلّ غُصنٍ وريقِ
لم تنلْ في الشّفاءِ منه سوى الغَمْـ
ـزِ وجمّ الأعذارِ والتّحليقِ ؟!
واذا ما اشتكى الظروفَ تحيّـا
تَ حِماراً شكا طفيفَ العليقِ ؟!
أنَسيتَ العذابَ في الليل مشغو
لا باسعافِ غارقٍ أو خنيقِ

ثم لمّا عجزتَ عن بَعْثَةِ المَيْـ
تِ تصـــدّى ذووه للتحقيقِ ؟!
أنسيتَ الدَّواءَ تَمْنَحُهُ مَنْـ
حاً لعانٍ أو ذاهلٍ في مَضيقِ
فاذا الشُّكْرُ أن يُعَدَّ كما
ءِ اللّفْتِ بعداً عن الشفاءِ المُفيقِ ؟!
أنسيتَ الإحسانَ بالمــالِ أحْـ
يانًا وبالجهدِ في إباءٍ وثيقِ
فاذا المُنْقَذُ اللّئيمُ يعا
ديكَ ، وقد يشتكيكَ للبطريقِ ؟!
أنسيتَ الغذاءَ تتركه جَزْ
يًا بحكمِ الأعمالِ لا التشويق
فاذا أنتَ في اتّهامٍ على الرّا
حةِ من كلِّ ربِّ وجهٍ صفيقِ ؟!
أنسيتَ الأعوامَ مرّتْ على البَثْ
ثِ لفرطِ التّغريبِ والتّشريقِ [1]

(١) اشارة الى كثرة أوامر النقل الحكومية .

بينما النـاسُ يغبطونك للنقـ
لِ خصوصاً بموقف التصفيقِ؟!
هكذا هكذا حياةُ أولي الطبْ
بِ حياةُ الهمومِ لا التوفيقِ
يبلغ اليُسْرَ بعضُهُمْ في إسارٍ
ليسَ فيهمْ قرينَ عَيْشٍ طليقِ
وإذا قـدَّر الوفاءُ لخير النـ
ـناس تقديرَه (١) بشُكْرٍ أنيق
فلكم غافلٍ يودُّ لو اسْطا
عَ له الرَّجْمَ أو رَدَى المنجنيقِ (٢)!

* * *

(**مهنةَ الطب**) قد عشقناك لكنْ
قد غنمنا جزاءَ غِرٍّ عشيقِ!
لم ننلْ غيرَ «لؤلؤٍ» من صديدٍ
يورثُ الخوفَ أو دماء «العقيقِ»!
ورضينا الجزاءَ في النفسِ للنفـ
ـسِ شعوراً من السُمُوِّ الحقيقي!

(١) الضمير عائد الى «بعضهم» في البيت السابق (٢) آلة حربية قديمة.

المعلم

ألقيت في حفل دراسي بمدينة بور سعيد

لمْ ألقَ في الدنيا عظيماً أُوفِيهِ من قلبي النَّظيما
قَبْلَ المعلِّمِ مستعزْ زاً مستقلاً مستقيما
يَبْني لنا جيلاً كما يُحيي لنا الجيلَ القديما
داعٍ الى الصُّلْحِ السَّلِيـ ـمِ،[1] يردُّ بَلْسَمُهُ السَّليما[2]
مِنْ غَرْسِه أضحى الرَّجا ءُ (لمصر) موفوراً جميما[3]
فهو المهذِّب والمثقْ ـقفُ والمثبِّتُ ما أُقيما
الأُمُّ إنْ هي أحسنتْ كانت إماماً لا أميما[4]
ليست تُكَرَّمُ للولا دَةِ بل لاصلاحٍ أُديما
هي والمعلِّمُ في سجا لٍ يُغنيان به العديما!

***

قالوا: «هلمَّ لكي نُكَرْ رِمَ ذلك الفضلَ الكريما!»
فأجبتُهُمْ: «مجهودُ مِثْـ ـلي قد يكونُ لكم عقيما

(١) أي الى التوفيق بين القديم والجديد . (٢) السليم : اللديغ أو الجريح الذي أشفى على الهلكة . (٣) الجميم : النبت الناهض المنتشر .
(٤) الأميم (لغة) : المضروب على أم رأسه ، (ومجازا) : بمعنى الابله .

مَنْ كان يُعطينا النفو س تملّكَ المجدَ العميماَ[1]
إنّ المعلّمَ كيف كان نَ يمثّلُ الشرفَ القويماَ
فالحظُّ حظُّ المحتفين بهِ زعيماً أو حميماً !»

* * *

يا مَنْ غُنيتَ عن المديح تلقَّ مِن شعري نديماَ !
واقبلْ وفاءَ الطبْب يعشقُ منك اعجازاً جسيماَ !



الماسونية

ألقى الشاعر هذه الابيات أمام وفد المحفل الاكبر الوطني المصري لمناسبة «تثبيت» أحد المحافل الماسونية في مدينة بور سعيد ، ورغم ما في هذه الابيات من توريات واشارات ماسونية كثيرة فانها سهلة الفهم للقارىء في مجموعها .

باسمِ (الاخاءِ) أحيّي كلَّ مأثرةٍ
فيكم وإنصافَ مغبونٍ ومظلومِ
ورفعةَ (ابناءِ) كلّهُ شرفٌ
كأنما قد بنته كفُّ معصومِ !

(١) العميم : التمام .

ما عابه غيرُ مَنْ لم يدرِ قيمتَه

فاعتزَّ ما بين محمودٍ ومذمومِ [١]

إنْ رحَّبَ (المحفِلُ) الزّاهي بطلعتكم

(فللمحافلِ) حُبٌّ غيرُ مكتومِ!

بمثلكم يبلغ (الماسونُ) غايتَهم

من (وحدةِ) الناسِ في برٍّ وتعليمِ

مَنْ لي بقوّةِ (فولتيرِ) لأصفكمْ

أو شعرِ (بيرونَ) [٢] في وصفٍ وتكريمِ؟!

كانا إماميْ حجًى عالٍ و (فلسفةٍ)

فقسَّما العلمَ فينا خيرَ (تقسيمِ)

كأنَّه (الرمزُ) للألباب يُمتِعها

على تتابع أجيالٍ و (تنظيمِ)!

(١) أي من الاوصاف .

(٢) انضم الفيلسوف الفرنسي الشهير (فولتير) الي الماسونية في سنة ١٧٧٨ م وانضم اللورد (بيرون) الشاعر الانجليزى الطائر الصيت في سنة ١٧٤٦ م . وماهما الا مثلان من أمثلة عديدة «للأخوان» عظماء خدموا العلم والادب والانسانية عن طريق الماسونية منذ قديم التاريخ حتى الآن .

ولقنـا الناس آياتٍ و (هندسة)
من صفحةِ (السكون) بل من سُدّةِ (الجيم)
وكان مِنْ حظِّ مثلي أن يردّدَ في
هذا النظيمِ لكم (رمزاً) لتعظيمي!
وأن يقابلَ إخوانًا على سُرُرٍ
وفيّةٍ رغمَ تأخيرٍ وتقديمِ!
لها (المساواةُ) نبراسٌ كأنَّ بها
(سراً) من (الشمس) في وحيٍ وتعميمِ!
وأنْ يُرحّبَ شكراني بغيرتكمْ
وأنْ يُباركَ منكمْ خيرَ (ترعيمِ)
مفاخرٌ «أشرقَ» (البدرُ المنيرُ)[1] بها
فلم يدعْ (عِصمةً) كُبْرَى لتفخيمي!



(١) محفل بور سعيد الذي ينتدب اليه الشاعر .

جهد الاتقان

دعوني من الماضي ومن حاضرٍ معاً
فجهدي الذي أسلفتُ أتركهُ خلفي
وهمّي هو الآتي الذي في سبيلهِ
أُحاولُ أن أُعطي المواهبَ ما يكفي
تشبثَ غيري بالقصيدةِ فاخراً
وانّي وانْ أبدعتُ أُعرضُ عن ألفِ!
فلي مطلبٌ طولَ الحياة وما مضى
فليس له فخري المردَّدُ أو وَقْفي
قنعتُ من الدنيا بارضاء ذمّتي
ولكنْ لنصر (الفن) لن أرتضي ضعفي
سأحيا له (المثّالَ) أعرض وحيَهُ
مُنَوَّعَ آيات يبرُّ بها وَصْفي
وأنقُدُ نفسي دائباً نقْدَ نازعٍ
الى (المثَل الاعلى) البعيدِ عن الصلْفِ

وبينا غرورُ الحاسدين يسوقُهُمْ
الى النّيل مِنْ فَضْلي وللبخس مِنْ عَطْفي
يظلُّ شعُوري يمنح الشّعرَ حظّه
من الحُسْنِ والإبداعِ والعلمِ والظَّرْفِ
فأغضي عن الزّلاتِ منهم كثيرة
عفيفاً ، وأُسديهم انعمتهم قَطْفي !

الجمال العصرى

لُمْتم بهذا العصر لَهْوَ الكاعب[1]
أغدا الجمالُ قرينةً لمتاعبٍ ؟!
لا تحرموها من بريءٍ لذاذةٍ
ورياضةٍ منحتْ جميلَ مواهبِ
فالحسنُ في هذا الزمان لنَضْرَةٍ
من طُهْرِ جثمانٍ لرُوحٍ جاذبٍ[2]

(١) الكاعب : الناهد .
(٢) اشارة الى نموذج الجمال العصري الانثوي المتحلي بالنظافة والعناية الصحية الجثمانية والنفسية الجذابة .

وقد انقضى عصرُ التبرقع والرِّضَى
بالخدِّ مصبوغاً وقوسِ الحاجبِ
ما أجملَ الحسناءَ يقطر وجهُها
نوراً لإنعاشِ المشوقِ الشاربِ!
جَمُّ الملاحةِ والصراحةِ والسنا
يُزْهَى به[1] جسم عزيزُ الجانبِ!
أخذتْ عن (الاغريق) دينَ رياضةٍ
جلّتْ فلم تعرَّضْ لطعنةِ عائبِ[2]
واستوحتْ (الرومان) شرعَ نظافةٍ
هيِ مُتْعَةٌ فاقتْ مكاسبَ كاسبِ[3]
وأبتْ « تزاويق » الصناعة غالباً[4]
فلها الغَنَاءُ بأسرِ لُطْفٍ غالبِ
هذا جمالُ العصر عند فتاته
حسن وإحسانٌ وجنَّةُ لاعبِ!

(١) الضمير عائد الى الوجه.

(٢) عني قدماء اليونانيين بالرياضة البدنية عناية عظمى لتحسين الجسم وصيانة الصحة وبلوغ كمال الخلقة جهد الاستطاعة.

(٣) كانت للرومانيين عناية كبري بالنظافة لم تفقها الا نظافة القرن العشرين.

(٤) وقد كان ذلك من مظاهر الجمال عند قدماء المصريين وغيرهم من الامم القديمة ، واذ لم تقترن بالنظافة والهيجين .

ببيت الامة ...

نشر شوقي بك متخفيا بجريدة (الكشكول) قصيدة موجهة الى الدكتور محجوب بك ثابت عدت ذات غمز ولمز ضد سعد باشا ، فاغضب ذلك حافظ بك ابراهيم ورد عليه متخفيا أيضا بجريدة (النواب) ، ونظم شاعرنا هذه القصيدة مستقلا دفاعا عن زعيم الامة الاكبر

« ببيت الامةِ اعتقلْ المطيَّا » وأطلقْ فكركَ الحرَّ الأبيَّا

ولُذْ بملاذِ شعبٍ مشرئبٍّ الى العلياء يخطبها عليَّا

تبلَّجَ شيبهُ رمزاً سنيَّاً يبرّر خلفه نوراً سنيَّا !

تنوَّعتْ الصُّروفُ وما تقضَّى له جَلَدٌ يثلُّ المشرفيَّا

تقمَّصتْ المـآثرُ فيهِ حتى لتسمع صوتَها يدوي دويَّا !

فيُسْعِد كلَّ وجدانٍ فقير ويملأُ نورُه القلبَ الخليَّا

ويرقى المنبرَ الضاحي فيُلْقي شعاعا نافذاً يهدي الرقيَّا

فان يغضبْ فلن يلقي عصيًّا وإن يبسمْ أدان له العصيَّا !

على الحاليْن قوّتُهُ يقينٌ يعزُّ به الذكيَّ الألمعيَّا

ويُحيي ميّتَ الاحساس حتى ليرجع أيِّداً فذًّا جليَّا

أبوّتُهُ ذخيرةُ أيِّ دهرٍ عظيمٍ أيَّدَ الحبَّ الوفيَّا

وسيرتُهُ الفداءُ (لمصر) : فانظرْ

تجدْ تمثالَ (مصر) له صفيّـا !

فقلْ لمداعبٍ [1] ما قال حذْقاً

وقـلْ لمعاتبٍ [2] ما قال عِيـا :

« دعاني مِنْ مزاحِكما فاني

بحمد الله لستُ بنيّ غويّـا

فلي شرفي ، ولى قلمي وعلمي

فما غُنْمُ الذي بلغ (الثريّا) ؟

فحسبُ المرءِ أوطانٌ ترجي

حجاهُ ، وأن يفي الخُلُقَ الرضيّا

نزحتُ عن البلاد وفتُّ قلبي

وجئتُ اليومَ أنشدُه سويّاً

وما حفظَ الأمانةَ غيرُ (سعد)

يحيّي الودَّ أضعافاً سخيّـا

(١) يشير الى شوقي بك — راجع قصيدته في جريدة (الكشكول)، المؤرخ ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٦م

(٢) يشير الى حافظ بك ابراهيم — راجع قصيدته في جريدة (النواب) المؤرخة ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٦م

وما ينسى حقوقَ الفضْلِ لكنْ
ترى فيهِ الأمينَ الجوهريّا !
وفي الأزماتِ ربَّ الحزم حتى
لتحسبه الطبيبَ الصيدليّا !
يقيسُ دواءه مقياسَ علمٍ
فلا ينسى من الأحكام شيئاً
وكم يحمي [1] الصديقَ الجهدَ حتى
يرى الامرَ الأهمَّ به حريّا ! »

***

فعشْ (محبوبُ) للآمال ذخراً
من الاخلاصِ موفوراً غنيّاً
وبجّلْ سدّةَ الشرف المعلّى
وأكرمْ ذلك العَلَمَ النقيّا
اذا (الحجرُ) المقدّسُ قبلوه
فقبّلْ للهدى كفاً نديّا !

(١) يحمي : يمنع .

تحية الجامعة المصرية

فى الحفلة الرسمية لفتحها

١ - فتح الجامعة

اليومَ حيًّا المشرقين منارُ
فعقولُ جامعةِ العقول[1] تُنارُ !

حفلَ العظامِ بها يقودُ جموعهم
مَلِكٌ ويتبعهُ اقنا الخطّارُ

ويكادُ يعلنُ حالُهُمْ ، وبيانُهم
للعِلْمِ ، قانونًا عليه يُسارُ

يهوي الجبابرةُ الطُغاةُ بعسفِهِمْ
ويظلُّ يبسطُ حكمَهُ[2] الجبّارُ

هيهاتَ يرحمُ في مدى أحكامِهِ
أو أن يُصيبَ الخادميه صَغارُ

هو سيّدٌ بلغَ الاريكةَ بالحجى
ومضتْ عليه بملكهِ أعصارُ

(١) «عقول» الاولى اشارة الى الطلبة ، والثانية تمييزلها من المعاهد الرجعية .
(٢) حكم العلم : والابيات التالية وصف لعزة العلم وقوته .

ما إن تزعزعها (١) العواصفُ كلُّها

بل قد يَدينُ لبحثهِ الإعصارُ !

واليومَ نُعلنُ في خشوعٍ حبَّنا

لجلالهِ ، وبهِ زُنا الاكبارُ

وكأنَّما حجُّ المشاعر (٢) سعيُنا

(والكعبةُ) الشمَّاءُ تلك الدَّارُ !

***

٢ـ ذكرى المجد

حُييتِ (جامعةً) أساسُ بنائها

شَمَمٌ على مجدِ القرونِ يغار

وكأنَّما (المستنصريَّةُ) جدّدَتْ

ومواهبُ الأمس الثريِّ تُثارُ !

أو أنَّ (بغداد) العظيمة أشرقتْ

وبها (نظامُ الملكِ) (٣) والانصارُ

(١) أي أريكة العلم .
(٢) المشاعر : الحواس .
(٣) باني الجامعة (النظامية) الشهيرة .

أو أنّ قصرَ (الزعفران) مكللاً

عالي (طليطلةٍ) كساهُ الغارُ

أو فخرُ (قرطبةٍ) تمثّلَ حوله

العلمُ والتاريخُ والتذكارُ

أو أنّه أسمى (الهياكل) زاره

(رمسيسُ) فاستعلى به النُّظارُ

كانت هياكلُ (مصر) خيرَ معاهدٍ

واليومَ (معهدُنا) الشريفُ شعارُ

ويُعَدُّ (هيكلَ) نهضةٍ قدُسيّةٍ

آثارُها، ستجلُّها «الآثارُ»!

خفقَتْ لعزّتهِ القلوبُ وعندها

خشعتْ لنور رجائه الأبصارُ

وهو الوليدُ فانْ يجلّ فربما

نالَ الوليدُ المُلْكَ وهو غمارُ!

وكأنّه (عيسى) تبلّجَ نورُهُ

في المَهْدِ، لم يُسْدَلْ عليهِ ستارُ!

وفد الوُفودُ ليعلنوا عهـداً له
سيقيمُ ثمّ اليهِ سوف يُشارُ

***

٣ ـ العلم والحرب

سُبحانَ منْ حكمَ الوُجودَ قضاؤهُ
وقضاؤهُ التقديرُ لا الأقدارُ !

والمنطقُ الحقُّ السّليمُ على المدَى
قانونُه المتغلّبُ انقهّارُ

والعلمُ مبدؤهُ وغايةُ أمرِهِ
وبه استعزَّ السّائسُ الأمّارُ

المِدْفعُ المرهوبُ يصدأُ للبِلَى
والعلمُ لن يمشي اليـه العارُ !

وتزولُ دُولاتُ الفتوحِ وتنقضي
ظُلَمَاً ، ويبقى العلمُ وهو نهارُ

وَتَرَدّدُ الأمثاتِ عن حربٍ مضتْ
امْ لمغنمها الجدودُ أغارُوا

بينا حُرُوبُ العلمِ تبقى للورى
شرَفاً تَشعُّ حيالَهُ الأنوارُ

قُوَّادُهُ (١) ملءُ الزمان، وعمرُهم
أمدٌ يزيد وكوكبٌ دوّارُ
بينا جبابرةُ الحُرُوبِ حياتُهُمْ
مثلُ الهشيمِ سطتْ عليهِ النارُ
مهما قضى نَوْمُ السنين بذكرهم
فالذكرُ لنْ يحيا به الأشرارُ
كانوا الغزاةَ فأصبحوا تحتَ الثرى
ربّما تجمّعُ (٢) فوقَها الأوزارُ
فَرْدٌ من العلماءِ فوقَ مقامِهِمْ
جمْعًا، وتعلنُ حَمْدَهُ الأدهارُ!

* * *

٤ ـ تاريخ الجامعة.

دعْني المؤرِّخَ للفخار فانّما
يجلو شعورَ الشاعرين فخارُ!
سُمّيتِ (**جامعةً**) وحسبك انّه
أملٌ، وانَّ قوامَهُ أعمارُ

(١) أي قواد العلم . (٢) أي تتجمع

وَحْيُ الجدودِ وما حَبَتْه أُبوَّةٌ
لحياة (مصر) ومُرْتَمَى ما اختارُوا
ميراثُ آمالٍ لهمْ في عِزَّةٍ
والعلمُ ذاك السؤددُ المختارُ
وهديّةُ الامس الفخورِ بيومنا
نعمت، وَجلَّتْ هِمَّةٌ وغِيَارُ (١)
كُوِّنَتِ من هِبَةِ الفقيرِ وقد سخا
قبلِ الغنيِّ يردُّهُ الايسارُ
ومن العواطفِ وهي كنزُ سماحةٍ
إنْ فاتَ حظٌّ العاملين يَسَارُ
لله ذاك الأمسَ (٢) ... كيف أرادني
نُور الجلالِ يحفهُ الايثارُ
همّت لنخوتِهِ حياةٌ أثمرتْ
نِعْمَ الحياةَ ونعمتْ الاثمارُ
أعطتْ مُنَى الفلاّحِ خِصْبَ تُرابِهِ
وحلاوةً من جُهدِهِ تُشتارُ

(١) الغيار : الغيرة والحمية .
(٢) اي أشكر لله ذاك الامس .

فاذا اتجهْنا شطرَ بابكِ للهُدَى
ـ وسناكِ مجدٌ والنفوسُ اطارُ ـ
ذِكر الوفاءِ فخارَ فلاَّحٍ له
حقٌّ عليكِ مدى الزمانِ مُعارُ
فنُجِلُّهُ ونُجِلُّ فضلَ شبابنا
خلعوا عليكِ شبابَهمْ فأناروا !
لا تُنكري فضلاً لهم لن ينقضي
وأرى وفاءكِ ما له إنكارُ
قَصْرُ الحكومةِ ليس أفخمَ للنُّهى
مما حَبَتْكِ محبَّةٌ ونِجارُ (١)
ومواهبُ الانسانِ مِنْ ميراثِهِ
مهما تَبدَّلَ حظَّهُ الأطوارُ
والجاحدُ الفضلَ الأصيلَ مثالُهُ
واهي البِناءِ مُزَلزَلاً ينهارُ !
تفديكِ أحلامٌ لنا ، ووُقيتِ مِن
عُقبَى الغرورِ ، وصانكِ المقدارُ
أنتِ السنيَّةُ في شُمُوخِكِ بينما
أنتِ العمادُ لنا وأنتِ جِدارُ !

(١) النجار : الحسب .

*
* *

٥ ـ روح البعث

صبراً لنستوحيكِ روحاً هاديا

للبحثِ حتى يرتوي المشتارُ !

بوحي وقولي عن رجائكِ خيرَ ما

تهوَيْنَ لا حَذَرٌ ولا أعذارُ

البحثُ دينُ العلمِ وهو حياتُهُ

فالعلمُ يستبقيه الاستخبارُ

وله الصَّراحةُ عمدةٌ ودعامةٌ

ولهُ الشكوكُ الى الصواب مَثارُ

مَن عاشَ في كنفِ الجمودِ فعِلْمُهُ

جهلٌ ، وليس لذهنهِ استثمارُ

انَّ (السيرمانة) ـ الذي حلمتْ به

أحلامُنا ـ المستبسلُ المغوارُ

الدارسُ الدنيا دراسةَ مبدعٍ

لاالأرضُ تكفيه ولا الاقمارُ(١)

(١) أي أقمار الكواكب .

ولربّما ركبَ (الأثيرَ) موفّقًا
وتذلّلتْ لِعُتُوّهِ الأخطارُ
فيطير (القمر)[1] المرحّبِ مثلما
طارت الى أوكارها الاطيارُ!
هو[2] بضعةٌ (للارض) ليس يفوتُها
وكأنما هذا (الاثير) بحارُ
وجميعُها يومًا ستصبحُ مركبًا
سهلاً ، وتُهتَكُ حولَها الاستارُ
ولربما وجدَ المياهَ به ، وانْ
عُدِمَتْ تغلّبَ علمُهُ الجبّارُ !
فاذا (بنو الانسان) أسيادُ العُلَى
و(البدرُ)نال عُلاهُ الاستعمارُ !
البحثُ كلُّ البحثِ فرضٌ لازبٌ
إنْ حقَّ للغد نهضةٌ وفخارُ
لاخيرَ في العلمِ الملقّنِ وحدَهُ
إنْ لم يصنْهُ البحثُ والمقدارُ[3].

(١) و (٢) أي القمر الارضي. (٣) المقدار : القدرة .

لاحظَّ للانسانِ إنْ لم يتَّئدْ
بَحْثاً فهدَّمَ مجدَه التيَّارُ
ومعاهدُ البحثِ الصحيحِ جلالُها
لا المدحُ ينصفهُ ولا الايثارُ
هي مهدُ مرجوّ الحياةِ لقابلٍ
فيه يُعزُّ جَناحها الطَّيَّارُ
هي شعلةٌ مخبوءةٌ مِنْ بعضِها
تتناسخُ الآمالُ والأعمارُ !
أ كرمْ بمن أبقَوْا كذاك سناءَها
وعلى العقولِ بها كذاك أثارُوا !

* * *

٦ ـ حرية التفكير

وحُفِظتِ موئلَ كلّ فكرٍ مُنْتجٍ
ومجالَ ما تستعذبُ الأفكارُ
حُرّيةُ التفكيرِ روحٌ خالقٌ
دَاوِرٍ تُبعَثُ حوله الأنوارُ

خَلّي رحابَك للنبوغِ رحيبةً
ما للنبوغ نهايةٌ وقرارُ
لا ترهبي خطواتِهِ ووثوبَه
فعثارُهُ للتابعيه منارُ
الضُّرُّ أهونُ من حياةِ بلادةٍ
ومن العثارِ مع الجهاد فخارُ
والحقُّ ليس يُحَدُّ حدّاً جازماً
لو كان للحقِّ المقيمِ عيارُ[1]
إنَّ الوجودَ تحوُّلٌ وتبدُّلٌ
ما فيه منبوذٌ ولا مختارُ
والكونُ نسبيٌّ لدى تقديرِهِ
ولكم يخونُ الصادقُ المِسْبارُ[2]
وأجلُّ مَن نفعوا الانامَ بعلمهم
مَن حطّموا شتى القيود وساروا !
بل ربّما لم يكفهم سيرُ الهدَى
فتبيَّنوا نهجَ السَّماءِ وطاروا !

(١) عيار : مقياس .
(٢) المسبار : ما يسبر (أي يمتحن) به .

* * *

٧ — الدين والعلم

كم سخَّرَ الدين الشريفَ لتهمةٍ
الجاهلونَ ، وخيرُهم أغرارُ !
وتوهَّموا العـلمَ الأبيَّ يهابهُم
والعلمُ في ملـكوته جبّارُ !
ما نالَ منهُ وإنْ تهجَّمَ طائشٌ
كلاّ ولا أودى به الثرثارُ
العلمُ عونُ الدينِ في نور الحجى
أهلوهُ أطهارٌ به أبرارُ
لا جنَّةُ الاخرى عليـهِ عزيزةٌ
أبداً ، ولن تطغى عليـهِ النارُ !
هو عالمُ الاسرارِ ، ما لرجومكم
حكمٌ عليـه ، وما لـكمْ أقدارُ !
فدعي له حظَّ السماحةِ كلَّهـا
انَّ السماحةَ غنيةٌ ويسارُ !

***

٨ ـ استقلال الجامعة وهيبتها

ومن الوفاءِ لمنتهى إيماننا
أن يستقلَّ العلمُ فهو ذِمارُ [١]
إكرامه اكرامُ حُرْمةِ حقِّنا
في المُلكِ ، فهو لدى الملوكِ شعارُ
فلكِ الحياةُ بهيبةٍ موفورةٍ
يزْهى بها أهلٌ ويفرح جارُ
ولكِ الجلالةُ يرتقي استقلالُها
لرجائنا الأسمى فلا ينهارُ
لاقدرَ للسيف الأسير وانّما
القدرُ للسيف الذي يُمْـتارُ [٢]
أيذالُ قدرُكِ بينما يُعطَى العُلى
مَنْ فضلُهُ التعْبيرُ والاذكارُ ! [٣]
وكأنما هـو حاكمٌ في امـةٍ
أفرادُها الانصابُ والأعيارُ [٤]
حاشا فما فوق العقول غشاوةٌ
ابداً ، فلن يدنو اليكِ صَغَارُ !

---

(١) ذمار : حرم . (٢) يمتار : يستل . (٣) التعبير قراءة الاوراد.
(٤) الاعيار : الحمير .

وأبثُّ من قلبي الثناءَ مجمَّلاً
للرافعيكِ وكلُّهم أخيارُ

ما للغنى لا يُرتجَى في جمعهم ؟ !
ما للنضار يهابُ ثم يُضارُ ؟ !

ما باله متقهقراً عن كل ما
يدعو اليه المطلبُ السيَّارُ ؟ !

واذا حسبنا فيهِ مسكةَ نخوةٍ
فزئيرُها عند اليقين خُوَارُ !

قولي لسادتنا السَّراةِ تأهَّبوا
انَّ الزمان مخادعٌ غدّارُ !

حقُّ البلاد أجلُّ ما بكنوزكم
هذا الثراء على الدوامِ مُعارُ !

والبخلُ ضيَّعَ قبلكم أمثالكم
فهوى بهم ، ومضوْا الى ما صارُوا !

*
* *

١٠ ـ كعبة العلم الشرقي

يا (كعبةَ العلمِ) المبجّل رحّبي
بالقاصديكِ تحضّهم أسفارُ!
عرفوكِ رمزَ حضارتين فأقبلوا
مُهَجاً ترفُّ اليكِ وهي حرارُ (١)
جدّدتِ منزلةً لرفعةِ امةٍ
لا (الترك) عافوها(٢) ولا (البلغارُ).
صُغْرَى الممالكِ أدركتْ تأثيرَها
أتضلُّ أحلامٌ لديكِ كبارُ ؟!
ما (الجامعاتُ) سوى معاقل نُصْرَةٍ
للشعب إمّا خانه الأنصارُ
فذري لنا القاعاتِ مُشْرِقَةَ السّنا
يأتي لها الوُفّادُ والأوطارُ
تتخاطفُ الألبابُ شهدَ علومها
كالنحلِ حين تضيفهُ الأزهارُ !

---

(١) حرار: حارة .
(٢) لمهي المنزلة .

ما كان عن قدرٍ لمثلكِ غفلةٌ
أو كان من فرضٍ عليك فرارُ
عيشي معلّمةَ الشعوبِ (**بشرقنا**)
محمودةً تترى بها الأخبارُ
عنوانَ مفخرةٍ وآيةَ نهضةٍ
(**مصريةٍ**) ستعزّها الأقطارُ
وتقبّلي حقّ المديح فانما
لعظيمِ فضلكِ تُنظمُ الاشعارُ
ما ملَّ سامعُها الوفيُّ بيانها
شعرُ الوفاء يزينهُ التكرارُ
وأنا ابنُ (**مصر**) أعدُّ نصركِ واجبي
إنْ ساءكِ الغُرَباءُ والأغيارُ [1]
فخذي نظاماً مُفْعَماً بعواطفي
عنوانُهُ الاخلاصُ والاكبارُ
لا جَمَّعَ ماشكتْ القرونُ رُجوعَهُ
وبكى لسلبِ أعزّهِ (**مهيارُ**) !

(١) الغرباء والاغيار : الاجانب وسواهم .

أنشدتهُ راحَ النظيمِ ، وطالما
غنّتْ براحِ نظيمي الأوتارُ !



٨ اكتوبر

عيد الماسونية المصرية

(في ٨ اكتوبر سنة ١٨٧٦م . التأم المحفل الاكبر الوطني المصري وكُرِّس بحضور الموظفين والمندوبين من قبل المحافل العظمى الاجنبية)

أضاتَ بالبرّ والاخلاصِ ياعيدُ
في فيضِ نوركَ للاحسانِ تعييدُ
سلْ القرونَ التي ولّتْ بعزّتها
تجبكَ أنكَ للتاريخِ تجديدُ (١)
وأنّ عندكَ قبْساً مِنْ (مشارقها)
أحيا الوجودَ به أجدادُنا الصّيدُ

---

(١) اشارة الى منشأ الماسونية الاولى في الكهانة المصرية القديمة قبل الميلاد المسيحي باجيال ، أى منذ أكثر من خمسة آلاف سنة .

ضاءت محافلُ (ايزيس)[1] بحكمتهم
ولم تزلْ، فجليلُ الذكرِ تخليدُ

ظُننْتَ مولودَ عصرٍ سالفٍ فاذا
شتّى العصورِ دعاها فيك (توحيدُ)

فأنتَ عيدٌ لآمالٍ «مكرسَةٍ»
وأنتَ (فجرٌ) له وحيٌ وتأييدُ

وأنت مُلهمنا (الاسرارَ) نتبعها
حتى يدومَ لمجدِ (النّيلِ) تمجيدُ

انّ (الهياكلَ) ليست في بنايتها
بل أنْ يُعَمّرَها فضلٌ وتسديدُ

وما العقائدُ في ألفاظِ سيرتها
إنّ العقائدَ تطبيقٌ وتحديدُ

---

(١) اشارة الى (جمعية ايزيس المربة) الشهيرة في تاريخ مصر القديم، وهي معدودة أقدم جمعية ماسونية في العالم. وفي القصيدة بعض التوريات الماسونية كما لا يخفى على القاريء، وان لم يقدرها تماما سوى الماسونيين.

عن نشأة (النور) [1] في الدنيا تبوح لنا
ومنك نعرفُ ما تعني (الاناشيرُ)
مفاخرٌ لكَ لم تلبثْ أن انتشرتْ
وسيرةٌ هي عُمْرانٌ و (تشييرُ)
(بنَتْ) سُمُوَّ (بنى الانسان) في عُصُرٍ
هيهات «يهدُمها» جهلٌ وتفنيدُ
(والشمس) حتى الضريرُ الفَدْمُ يدركها
مِنْ الحرارةِ ، والأمصارُ والبيدُ
وانما أنتَ (الماسون) أجمعهم
عيدٌ ؛ وحقك أن يرضيكَ تعييدُ



(١) اشارة الى فجر الماسونية في مصر التي أضاءت فيما بعد العالم كله ، ولذلك اعتبر الشاعر عيد الماسونية المصرية الحديثة بمثابة الذكرى والتقدير الماسونية القديمة أيضا ، وعيداً كذلك الماسونية العالمية التي تدين لمصر بأمومتها ونشأتها .

أشعة الظلام

أحلام وآمال التمامة

أتصدفُ عنّي في ظلام شقاوتي
وتحسبُ أنّيَ في الظلام حقيرُ ؟
ولو فيكَ حلمٌ لانتبهتَ موفقاً
الى النورِ في داجٍ عليه تثورُ !
سبيلكَ عنّي ... لي كرامةُ مؤمنٍ
بطهرِ ضميرٍ ما عداهُ ضميرُ !
وهل كان عدلاً والظلامُ يحفّني
نفورُك ؟ هل يجزي الشقاءَ نفورُ ؟
فياطالما صاحبتُ رغمَ دُجنّةٍ
أشعةَ إعجازٍ [1] وفاتك نورُ ؟ !

(١) يشير الى (أشعة مليكان) المنتشرة في الفضاء دواماً سواء بالليل والنهار ، وهي أقوى الاشعة نفوذاً ، دائمة التولد والتحرك ، صغيرة الأمواج جداً بالنسبة لأمواج النور المادية ، وتقصد الارض من كل الانحاء ، فلا تهدأ لها ثائرة ! وعلى هذه الصفات مبنى شعر الشاعر واستعاراته ومقارنته في الابيات التالية .

تصاحبُ أحلامي فتوقظ خاطري
ومثلك غافٍ في الضياء حسيرُ
فلي في الفضاء الرحبِ من كلِّ نقطةٍ
نوافذَ بالوحي الكريم تسيرُ !
تُشِعُّ بلا حدٍّ وتخرق حاجباً
وتُشعل فكراً بالضياء يفورُ !
مموَّجةٌ لكنْ قصيرةٌ دلالُها
فتلعبُ كالطفل الصغير يدورُ !
وترقص رقصَ الحاذقات حيَّةً
ولكن لمثلي تُستباحُ ستورُ !
فلا تغترزْ من مظهر الحظِّ والغنى
فكم قتلَ العقلَ الحصيفَ غرورُ !



اوراق الخريف

هل كان نثرُكِ غيرَ إيذانٍ بعُمْرٍ قد تمضّى ؟
هل كنتِ الاَّ رمزَ أحلامٍ نُفِضْنَ اليومَ نُفْضا ؟
مُصْفَرَّةٌ ـ شأنُ المماتِ ، بحُمْرةٍ تحكي النَّجيعْ
وكأنَّما قتلَتْكِ أحكامُ (**الخريف**) بلا شفيعْ !
يرْثيكِ قلبي الطيْرُ ، كم أنقذتهِ يافانيهْ
كم كُنْتِ ظِلاً يتقي فيه العوادي القاسيهْ
ترثيكِ آلافُ الأشعةِ . . . من غرامٍ كم تجلَّتْ
متكسّراتٍ في دلالٍ ، بالزّمرّدِ قد تحلَّتْ !
يرثيكِ باكي الطَّلِّ كم أرضاكِ من بعد النَّدَى
كم كنتِ باسمةً تحيّيهِ وتُعطيهِ اليدَا !
يرثيكِ ذاوي العُشْبِ محزوناً لما يجني (**الخريف**)
يرثيكِ لا خِلٌّ يواسيهِ وقد غابَ الحفيفْ !
ترثيكِ أفئدةٌ لعشّاقٍ وهبتِ نقابَهم
واليومَ لا ترضى الطبيعةُ أن تجيبَ طلابَهم
يرثيكِ عقلُ الفيلسوفِ يراكِ لغزاً مُذْهِلا

العيشَ والموتَ المعجَّلَ والرجاءَ المقبلاَ !

يرثيكِ شِعْرُ النَّحلِ كم غنَّتْ لديكِ مُرنَّحَهْ
بين الأزاهير السخيَّةِ والغصونِ المُفْرَحهْ

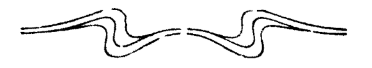
ترثيكِ أنَّاتٌ سُمِعْنَ من الجداولِ في الخريرْ
قد كنَّ أنغامَ السُّرورِ فصرنَ آلامَ الزفيرْ

ترثيكِ دُنيا قد تركتِ وأنتِ سَكْرَى راضيهْ
لا تأسفين ، فانَّ رُوحَكِ رُوحُ دُنْيا ثانيهْ !



الطبُّ القديم

أعودُ اليكِ أستشفي مراراً	وقد يغلو الطَّبيبُ اذا استطبَّا
ولكنّي العليمُ بسرّ دائي	خُلِقْتُ لكيْ أحِبُّ وكيْ أحبَّا



اذكريني

أُذكريني ياحياتي كلما
شِمْتِ في الإصباحِ مرآكِ الوسيمْ
واذكريني يا مدى سُؤْلي بما
يَتَنَعَّمُ الاصباحَ منْ بِرِّ النسيمْ
واذكريني يا غرامي عند ما
يشكرُ الناسُ ندَى الربِّ الكريمْ
واذكريني كيفما شئتِ فما
غيرُ ذكراكِ غذاءٌ لي يُديمْ
أذكريني يا مُنى قلبي اذكريني!

* * *

أذكريني في أغاريدِ الطُّيورْ
كم تغنَّتْ مِنْ حنيني وبشعري
واذكريني في تحيات الزهورْ
فهي معنًى من بياني قبل زهرِ

وآذكريني في سويعات الحبورْ

فهي قسطانٌ ولي بالذِّكرِ أجري

وآذكريني في ظلامٍ قبل نورْ

كم سهرتُ الليلَ مفدياً لفجرِ !

أذكريني يا مُنى قلبي أذكريني !

***

أذكريني أينما لاحَ الجمالْ

مُشرئباً لسموٍّ مِنْ جمالكْ

وآذكريني كلما رام الوصالْ

كلُّ حُسنٍ يشتهي نجوى سؤالكْ

وآذكريني كلَّما يقضي الجلالْ

بضحايا قد تفانتْ في جلالكْ

وأذكريني كلَّما شاء المحالْ

موكبُ العشّاق من عانٍ وهالكْ

أذكريني يا مُنى قلبي آذكريني !

***

أذكريني عند ما تُزْهى السماءْ

بنجومٍ أو ببدرٍ قد تجلّى

واذكريني حينما يفنى الرجاءْ

في رجوعِ الانسِ من ماضٍ تولَّى

واُذكريني كلما نال الشفاءْ

منك عانٍ في شقاءٍ قد تولَّى

واُذكريني كلما صحَّ الوفاءْ

في زمانٍ لم يجدْ للصدقِ أهلاَ

اذكريني يا مُنى قلبي اُذكريني !

* * *

أذكريني كلما راعَ الغروبْ

بجبالٍ بين نيرانٍ سحيقهْ

واذكريني كلما أذكى القلوبْ

لَفْحُها والاعينَ الحسرى الغريقهْ

واُذكريني عند ما تبدو الغيوبْ

في ظلام الليل حيْرَى كالحقيقهْ

فاذا الباكي بهِ مثلَ الطروبْ

خشيةَ الآيِ يا نفسي الرَّشيقهْ

طالما لم أنسَ بِرّاً . . . فاُذكريني !



عرس الاصيل

غنّى الأصيلُ فقمتُ أرقبُ عرسَه
قبلَ التفرُّقِ في المساءِ الدّاني
فاذا الأشعَّةُ راقصاتٌ مثلما
رقصتْ لتلعبَ بالقلوب غواني
يتموَّجُ الماءُ الطَّروبُ وتزدهي
وثباتُها عجبًا على الأغصانِ
طوراً مُذَهَّبَةً وآنًا فضةً
وأعزُّها سِحرٌ بسحرِ بيانِ
والتَّمْرُ محمرٌّ ومصفرٌّ على
عالي النخيل كجمعها الفنّانِ !
جُمِعَتْ به الأضواءُ بعد تفرُّقٍ
وبدتْ به الجمَراتُ حلوَ جُمانِ
واذا المروجُ عساكرٌ، أعلامُها
خُضْرٌ، تهزُّ أسنّةَ المرّانِ
واذا العرُوسُ الشمْسُ بين زوارقٍ
هُنَّ السحابُ لبسن ثوبَ حِسانِ

وإذا السماء بحيرةٌ ترنو لها
عينُ الطبيعة والجمالُ الهاني
فيمعْرَض صُوَرُ الوجودِ ضحوكة
فيه تُشاطرُ صفْوَه المتفاني!
وأمامَه الدنيا على عَزْفِ الهوى
سِرّاً وجَهْراً في أحبّ زمانِ!
أين التفتَّ رأيتَ حسنًا باسما
وشهدتَ أحلامًا وصدقَ أمانِ
أُنظرْ معي هذا الفضاء وما وعَى
منْ كلّ ما يهواه عِشْقُ جَنانِ
مِنْ سطحِ منزليَ القريرِ كمرصدٍ
للفنّ لاحَ لخاطرِ الفنّانِ!
اُنظرْ ولا تهزأْ فتلكَ جواذبٌ
أولى بروحكَ منْ بعيد جِنانِ!
وتأمّلْ العُرْسَ السنيَّ وثقْ بما
يُوحيهِ منْ حُبّ وعذبِ معَانِ
ما فاتهُ حتى الجماد وحقّهُ
طَرَبُ العقولِ وغِبْطَةُ الانسانِ

الصورة الناطقة

وافتْ هديّتُكِ السنيةُ مثلما
أوفى على النَّبْتِ الوحيدِ ضياءُ
فاهتزَّ قلبي قبلَ رؤيةِ مقلتي
رسماً يتوقُ لوصفِهِ الشعراءُ
مَنْ بلّغ القلبَ الوفيَّ بأنَّ ما
أرسلتِ رسماً منكِ فيهِ شفاءُ ؟!
ففتحتُ طَرْفاً كاد يفتحهُ الهوى
قبلي وينشرُهُ لديَّ وفاءُ !
فاذا بعيني تلمحُ الحسنَ الذي
فيه تمثّل نعمةٌ وشقاءُ
كالرّاحِ بين مذاقِها ومآلها
في العقلِ ، ترفضُ (١) حظّهُ وتشاءُ !
الاّ حنوّكِ يا ملاذَ عواطفي
إن شئتِ فهو الرّحمةُ السمحاءُ !

---

(١) أى الراح

قدْ شِئْتِها[1] وكأنّما نظري لها[2]

أقصى عذاباً قد محاهُ بكاءُ

ثم امتلأتُ شجاعةً وجذبتُها

شغفاً أقبلها فلا تستاءُ!

بسّامةٌ جذّابةٌ لا تنتهي

بسماتُها والشّوْق والإيحاءُ!

* * *

شُكراً لحبّك يا معيدَة مهجتي

للخلدِ، أبعدَ نفحَه الامساءُ!

حتى بررتِ فعادتْ الدُّنيا رضًى

فيها الخلودُ، وغيرُها الإفْناءُ

أهلاً بصورتِك التي أحيا بها

كلَّ الحياةِ، فملؤها الإحياءُ

نظراتُها سِحْرُ الغرام المُشْتَهى

وتغزّلٌ، وتعطّفٌ، ودُعاءُ!

استعمل الشاعر في البيت السابق كلمة « السمحاء » وهي عصرية الوضع بمعنى « السمحة »

(١) أي الرحمة . (٢) أي الصورة

مِنْ كُحْلِ عينيكِ الهيامُ مداعبٌ
وِمنْ افترارِ الثَّغْرِ منكِ سَخاءُ !
ومن الأثيثِ الشَّعْرِ في مُسْوَدِّهِ
سُوَرُ الهوى، وتحيَّةٌ، وبَهاءُ !
كان(١) اللّثامَ على جبينكِ حانياً
يهفو ويلثمُ ، لم ينلْه عناءُ !
كان المصاحبَ لي بلثمِكِ هائماً
وهو الوكيلُ، اذا أُسيءَ أُساءُ !
مهما أطَلْتُ مُسائلاً ومُناجياً
فسناكِ أفصحُ ، لم يجزْهُ سناءُ
أبداً يقولُ من الغرامِ مقالةً
وله عِتابٌ ناطقٌ ورجاءُ !
فيم الرَّجاء وأنتِ روحي يا منىً
رُوحي ، وكلّي إنْ أردْتِ فِداءُ
لا تعتبي بالله، ما حُكْمُ النّوى
حُكْمي . . . ولكنْ للالآهِ قضاءُ

---

(١) أي الشعر

سُبْحان مبدِعِكِ القدير ومبدع
رَسْمَاتِ كَلَّمَ صَوْغَهُ الاضْوَاءُ !

شعر العلم

أبيات ارتجالية للشاعر، وقد زاره زائر في معمله البكتريولوجي فاشمأز الزائر من بحثه العلمي .

وإذا تأمّلتَ الصديدَ (١) رأيتَه
عَجَبًا تموجُ به صنوفُ حياةِ
وهو الحقيرُ، فكيف نكذِبُ (٢) حسنَنا
ونغضُّ أبصاراً عن الآياتِ
لا شيء في الدنيا الدنيءُ بذاتِهِ
للباحثِ المتفنّنِ (٣) النظراتِ



(١) الصديد : القيح المختلط بالدم .
(٢) يقال : كذبتك عينك أي أرتك ما لا حقيقة له .
(٣) يقال : تفنن الشيء أي تنوعت فنونه .

ليلة العرس

قصيدة أدبية عامة نظمت لمناسبة زواج أحد أفاضل الادباء

مَتِّعْ فؤادَكَ مَتِّعْ بِمُرْقِصَـــاتِ الأغاني
فان فيهـا حيـاةً ونَفحةَ (لابن هانى[1])

وأَدْعُ (المثالثَ) حتى تجيبَ داعِي (المثانى)
وانْهبْ من النور نهباً ومن عيُونِ الحسانِ

واملأْ شعُورَكَ سُكْراً من فاتنـاتِ الغواني
وثَنِّ بالكأسِ حتى تذوقَ أُنْسَ الدِّنانِ

وقـد حَبَتْكَ رضاها وأشرقتْ في البيـانِ
إشراقَ أزهـارِ حُبٍّ تَجِلُّ عن تَرْجُمَـانِ

أريجُهـا خـيرُ شعرٍ منوَّعٍ غـيرِ فانِ
كأنَّ مِنْهـا خطيبـاً إليه نصفُ افتتـاني

يقـول بالعطـرِ مالا يقولُ حُلْوُ اللِّسـانِ
كأنْ حولكَ صفْواً حواهُ كلُّ مكانِ

---

(١) هو متنبي الغرب وشاعر الاندلس الكبير صاحب القصيدة الغنائية الشهيرة : « فتكاتُ طرفك أم سيوف أبيك »

في كلّ شيء تهانٍ تبدو لهانٍ وهانِ
فليلةُ العرس عمْرٌ جمٌّ الهوى والمعاني
فيها المَلاحةُ لاقتْ عبّادَها في تفانِ
كأنّ (فينوس)[1] حيّتْ بروحها كلّ رانِ
ولقّنتنا عهوداً فبدّدت وجدَ عانِ
كأنّما قد نقلْنا الى فسيح الجنانِ
ما بين فلٍّ وردٍ يظلُّ بالسنديانِ
وأننا قد غفرنا بها ذنوبَ الزمانِ
وأننا قد سمعنا فتّانةَ (الفيروانى)!

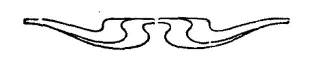
* * *

يا ليْلةَ العرْسِ طيبي فأنتِ رمْزُ الأمانِ[2]
وأنتِ حظٌّ عزيزٌ هيهات يعدوه ثانِ
وأنت غايةُ نجْوَى وفلْسفَاتِ الأماني
يهزّ أنسُكِ قلبي كما يسرُّ جناني

---

(١) الهة الجمال .
(٢) السلام والاطمئنان .

أراكِ مُلْكاً سنيّاً زَها بهِ النيّرانِ !
ياليت عُمرَك يبقى مجدَّداً كلَّ آنِ
لمثل أُنسكِ عُمْري فلستُ فيك الأناني
أبثُّهُ نَشْرَ نورٍ ونعمةٍ للعيانِ
مِنْ نَبْعِ حسٍّ شريفٍ ومِنْ طَهُورِ البنانِ
ومِنْ وفاءٍ صحيحٍ للفضلِ بانٍ وبانِ
فانما البرُّ رُوحي ومنه صِدْقاً كِياني
ولن أضنَّ بنفسي اذا ارتجى إخواني
فانَّ أسمى رجائي سعادةُ الانسانِ



عبد الكريم

بطل الريف ورئيس جمهوريتها

بنيتَ للذّكرِ ما يخشاهُ سُلوَانُ
والذكرُ عقْلٌ وإنشاءٌ وإحسانُ

يامُرجعَ النهضةِ الكبرى بيقظتهِ
وثائراً هزُّ من نجواه بُلْدَانُ

أنتَ الأمينُ على التاريخ تنشرُهُ
صِدْقًا ، وتثأرُ لا تُنسيكَ أزمانُ

تقمّصتْ فيكَ رُوحٌ من جلالتهم
وكان منك لهم في البأسِ (مَرْوَانُ)

تجمَّعَتْ حولكَ الثَّاراتُ من قدَمٍ
وذكرياتٌ من الأجدادِ تزدانُ

في كلّ شبرٍ من الأرض الحنينُ لهم
حيٌّ وفي الجوّ للأحياء آذانُ

وفي رؤوسِ الجبال النصرُ ـ سائلُهُمْ ـ
ما زال يرقب أن يدعُوهُ أعوانُ

مَضَوْا وقد خلّفوا جنداً لدولتهم
النُّبلُ والبأسُ والعرفانُ ما كانوا
هيهات يصدأ سيفٌ في شعاع عُلىً
أو يستذلُّ مع الاخلاصِ عرفانُ
مشتْ قرونٌ بأستارٍ مُحَجَّبَةٍ
حتى همَمْتَ فزالتْ حول مَنْ عانوا
فأشْعِلَ (الريفُ) من نارٍ به خُبئتْ
مدى القرونِ ، وثارَ الانسُ والجانُ
على زئيرٍ تهابُ الأُسْدُ سورتَه
وتستعزُّ به في الرَّوْعِ أوطانُ
وفي وُثوبٍ كأنَّ (الصقرَ)[1] قائدُهُ
و (طارقاً)[2] مُسْعِفٌ يتلوه فرسانُ
و (بَرْبَروساً)[3] على الغارات محتكمٌ
في البحرِ يُزْعَجُ مِن ذِكراهُ (اسبانُ)

---

(١) الصقر : هو عبد الرحمن الداخل .
(٢) طارق بن زياد .
(٣) هو خير الدين بربروس الذي استطاع بمساعدة أهالي المغرب مناوأة الاسبانيين برا وبحراً الى أن تمكن نهائيا من طردهم من المغرب الاقصى فألحقه بملك آل عثمان .

تاهتْ (مليلةُ) [1] مِنْ حقٍّ بتربيةٍ
كما حبا (شلمنكا) [2] منكَ سلطانُ
ومن مقاديرِ هذا الدَّهرِ في عَجَبٍ
أن يُكْرِمَ المرءَ أعداءٌ وخلاّنُ !

***

(عبدَ الكريم) اذا كُرِّمْتَ ما كذبتْ
فيكَ الكرامةُ والاجلالُ والشَّانُ
بذلت جهدَكَ في توحيد مَنْ نزعوا
عن وَحْدَةٍ هيَ للاكبار عنوانُ
وفي انتشالِ الأُلى مال الرّغامُ بهم
من رَقْدَةٍ عافها دينٌ وإيمانُ
وفي الثباتِ على الاخلاصِ محتقراً
عيشاً لذاذتهُ وهمٌ وخذلانُ
أقلتَ شعباً فجدَّدت الحياةَ به
كما تُجَدَّدُ بعد النومِ أذهانُ

---

(١) مليلة : هي المدينة التي شب فيها وترعرع الامير عبد الكريم .
(٢) تلقى الأمير عبد الكريم دراسته العالية بجامعة شلمنكا باسبانيا حيث نال شهادة الحقوق والآداب ولقب « دكتور ».

فخاض في النار للاعداء مقتحماً
طَلقًا ، كما تُطْلِقُ العقيـانَ نيرانُ
وتستحلُ ملايينٌ تهدّمهُ
وهو الشجاعُ الذي يخشاه شجعانُ
يناشدُ (**المغربُ الاقصى**) محبتـه
وعند (**اندلس**) الزهراء تحنانُ
وفي ديار بني (**الاسلام**) مِنْ شغَفٍ
بمجده الفَذ ما لم يَعْدُ حُسْبانُ
وحيثما سَادَ فَضْلُ العُرْبِ وائتلقتْ
من سالفِ العُصُرِ الغرّاء تيجانُ

*
* *

سلْ (**الحسيمة**)[1] أو(**داغيتَ**)[2] ماصنعتْ
سيوفُ من أُرهقوا ظلماً فما دانوا
حميّةٌ ترهبُ الاجيـالُ نزعتها
ونخوةٌ بسناها القُطْرُ مُزْدانُ

---

(١) و (٢) : وقعت بهما واقعتان حربيتان شهيرتان انتصر فيهما الريفيون انتصارا عظيما .

جاء (**الصليبُ**) مع البهتان يهدمُها
وكم أساء اليه الامسَ بهتانُ
فيم التعصُّبُ يامن خرّبوا دُوَلاً
فكان منهم على العرفانِ طغيانُ ؟!
فيمَ الفخَارُ وهذا عزُّ (**قرطبة**)
مضى فما كان بعد الأمسِ بُنيانُ ؟!
مضتْ قرونٌ وأنتم في جهالتكم
للبطشِ والعسفِ أغرارٌ وعبدانُ
أتحسبون نهوضَ اليوم يَرْهَبكم
وكلُّ فردٍ لهم في الحرب انسانُ
من كلّ قلب غذَاهُ مجدُ غابره
وكلّ عزمٍ له في الصبر فُرْقانُ
وليس داعٍ لكم الاّ مطامعكم
بئستْ ، ومرشدُكم للقتل رُهبانُ !
واللهِ عارٌ على أرضٍ يضمّخها
دمُ الفوارسِ ، لم يعوزْه برهانُ

أن تستحيلَ قبوراً مِلؤها جِيَفٌ
منكم وأن تظلمَ الكُثْبانَ أكفانُ !
لولا احتكامٌ الى الثاراتِ تدفعهم
لو لا رضاءٌ من الماضي وغفرانُ !
فيا مروجاً لدى (غرناطة) أكتأبتْ
عُمْراً ، فأذبلها وجدٌ وأشجانُ
ويا ظلالاً على جنَّاتِ (اندلس)
اليومُ يومكِ فلتهجرْكِ أحزانُ !

***

وأنتَ يا (ورغة)[1] المفديّ مشرقهُ
فِدًى لحسنكَ أجبالٌ وعقْبَانُ
غنّتْ لنهركَ آمالٌ مردَّدة
في الشرق واستجمعَ الآمالَ (تطوان)[2] !

---

(١) وادي الورغة الخصب معدود من الاسباب الرئيسية للحرب الريفية نظرا لمطالبة الريفيين به .

(٢) البلد الذي عقد به مؤتمر يولية سنة ١٩٢٣ م بين الريفيين والاسبانيين حيث أصر الوفد الريفي على تطبيق الميثاق القومي .

عُدِدْتَ مصدرَ أقواتٍ تجودُ بها
وأنتَ للعصْر والتاريخ بستانُ
كم فيكَ جُمّعَ حَظُّ الفَتْحِ وانبثقتْ
مِنْ السَّنى والمُنىٰ حُورٌ وولدانُ
ومن مروجِك للارزاقِ ما وسعتْ
ومن رياضِك للأرواح ريحانُ
يرفرفُ (العلمُ الريفيُّ) عن كثبٍ
وأنتَ للعلَمِ الخفّاقِ لهفانُ !
فمن أديمك ما يعتزُّ منه على
باقي البلاد ، ومما فيك غُنيانُ
ومن هوائك طبٌّ للحياة فما
يحيا البنون اذا آباؤهم هانوا
ونهرُكَ العذب بسّامٌ ، ولؤلؤه
أحرى به من شفاه الغيدِ مرجانُ
لا أن يُلوَّث بالأشرار ، قد ملكوا
كنوزَه ، فعسيرٌ فيه عمرانُ

وكم حسانٍ به في الاسر قد خفقتْ
قلوبُهنَّ ، وناجاهن هَيْمانُ
صبْراً ! فما هي الاّ دورةٌ قربتْ
فيجمعُ الشملَ فرسانٌ وإخوانُ
ويستعيدُ الجمالُ الحرُّ دولتَه
في امةٍ رمزُها فنٌّ وفنّانُ
لها الشجاعةُ عنوانٌ ، كذاك لها
فيما أصابت من الاحسانِ اتقانُ
(بنو امية) أعطَوْهمْ عهودَهمو
فلم تزُلْ ، ولو آنَّ الدّهرَ غيرانُ !



الاسد الاسير

عبد الكريم

أَ كذا تروعُ مصائبُ الأبطالِ ؟ !

أَ كذا تهولُ مصارعُ الآمالِ ؟ !

أكذا تكونُ بك الهزيمةُ نُصْرَةً

لمطامحِ الجيلِ الأبيّ التالي ؟ !

أكذا تعافُ السِّلْمَ ضيعةَ امةٍ

ولو اعتبرتَ النّصْرَ صِنْوَ مُحالِ

سلمتْ مشاعرُها وعزّةُ نفسها

بينا العدوُّ على رؤوس جبالِ

ملكَ الثّرى والنبتَ أو ملكَ السما

لكنْ تضعضعَ مِنْ يقينِ رجال !

في الأسرِ أوفي منتهى حريةٍ

أتباعُكَ المَثَلُ الشريفُ العالي !

***

سِرْ يارفيعَ القدْرِ غيرَ مُدافعٍ
للأسرِ محفوفاً بكلّ جلالِ

تلقَ العدوّ على مئات قلاعه
ما بالفخورِ بدا ولا المختالِ

كم كنتَ تزحفُ ضارباً لحصونه
بالسّيْفِ محتكماً على الآجالِ !

واليومَ تقصدُ جيشَهُ مستسلماً
في عزّةِ القهّارِ غيرَ مُوَالِ

مِنْ طبعِ جُرأتك الهجومُ ، وهكذا
هذا شعارُك في شقاء الحالِ !

إنّ العظيمَ هو العظيمُ بنفسهِ
في حاليْ الإدبارِ والاقبالِ

ومن المصائبِ للشعوبِ مفاخرٌ
وغذاءُ نهضتها على الأجيالِ

ما مات شعبٌ سطّرتْ تاريخَه
مُثُلُ الإباء وسيرةُ الأبطالِ

والنّاسُ ليسوا في عديد جسومهم
لكنْ بأحلامٍ بقينَ غوَالِ

هي للتتابع والتناسخ كلما · افنى الزمانُ لها القديمَ البالي !
حقٌّ لقدرك أن تقاتل شامخاً · حتى النهاية في شريف قتالِ
شأن الحماة ديارَهم وذمارَهم · النافرين الساخرينَ بقالي
فهزأتَ اذْ هجم الزمانُ مروّعا · ليقيّد الفرسانَ بالأغلالِ
وهزمْتَ كالأسدِ الجريحِ يخافهُ · حرّاسهُ ، ويروعُهم بخيالِ !
من بعد فقدك كلَّ ما مُلّكْتَه · من قوّةٍ أو عصبْةٍ (١) أو مالِ
حتى الغذاء فقد تعذّر مثلما · عز الدواءُ وقد سلاك السالي
ولسانُ فخرك انّ جهدَكَ لم يكن · الاَّ الذخيرةَ لا الرجاءَ الخالي
ولسوف ينشدُها البنون على غدٍ · فتهدّمُ الجبروتَ بالزلزالِ
ويعيشُ ذكرك للبنين كعيشهِ · فينا يُخَصُّ بغاية الاجلالِ

***

مضتْ السّنون عليكَ ايَّ مجاهدٍ · متحمّلَ الآلامِ والأهوالِ
حتى كتبتَ سطورَ مجدكَ من دمٍ · غالٍ ، ومن خُلُقٍ كروحك عالِ !



(١) العصبة : قوم الرجل الذين يتعصبون له .

حامد البقار

« اضطرمت الحرب من جديد في غرب الريف حيث ثارت قبائل عدة منها قبيلة عمارة وهي من أشد القبائل الريفية بأسا . وتزعم الحرب الجديدة مولاي حامد البقار الذي يقال انه أعلن نفسه سلطانا على قبائل جبلة . وقد هاجمت قوات مولاي حامد بعض القبائل الموالية لاسبانيا ، وبعض المراكز الاسبانية ويخشى الفرنسيون أن يتفاقم الخطب في هذه المنطقة لان قبيلة بني زروال التي قدمت طاعتها حديثاً لم تقدم سلاحها بعد وهي مجاورة للقبائل التي تقوم بالحركة الجديدة . ويجد الفرنسيون حرجاً كبيرا في مهاجمة هذه المنطقة لانها تابعة للحماية الاسبانية ، ولذلك اكتفت القيادة الفرنسية بأن تلقي عليها القنابل من الطيارات» . — عن جريدة (السياسة) بتاريخ ١٢ يوليو سنة ١٩٢٦ م .

إنهضْ ! فشعبكَ للبسالةِ حامدُ ... شَعْبٌ بَذَتْهُ مآثرٌ ومحامدُ

إنهضْ زعيمَ (الريف) بعد زعيمه ... يهوي زعيمٌ حين يصعدُ صاعدُ

صدقت نُبوءةُ مَنْ أحبَّ فخاركم ... حُبّي[1] فما سكنَ العدُوُّ الشاردُ

لكم البقاءُ مجدَّداً ومكرَّراً ... وله المصائبُ والغرورُ البائدُ !

إنّ الألى أحْيَوْا بكمْ ميثاقهم ... علموا بانَّ المجدَ إرثٌ خالدُ

مَضَتْ القرون وما انقضى إلهامهم ... أو انّه بعد التأمل عائدُ !

(١) راجع قصيدة « الأسد الاسير ـ عبد الكريم » ، ص ٥٥ ـ ٢٥٧

وكأنَّ شعري نَفْحةٌ مِنْ سِرِّه وَثَبَتْ وإنْ جهلَ الجبانُ الجامدُ
وأنا الذي يجري لمطمحهِ دمي وله بهِ حَقٌّ وأصلٌ واحدُ [1]
وأنا الذي لولا بلاد كوّنتْ نفسي لسار لكم فؤادي الجاهدُ
إنَّ (العُروبة) و(الكنانة) ملتي دينٌ يوحّدُهُ الوفيُّ العابدُ
فلموطني رُوحي وكلُّ جوارحي ولكُمْ حنيني والشُّعورُ الماجدُ
يكفي لنا النَّسَبُ العتيدُ مجمّعًا فجميعنا صيْدٌ رماهُ الصائدُ !
بعض الجوابِ وكم يثيرُ مشاعري هذا اللّهيبُ تذوب منه قصائدُ !
ياليتها كانت قنابلَ قوّةٍ يشقى العدوُّ بها ويَفنى الكائدُ !
قمتم فكنتمْ كالاذانِ لنهضةٍ فاعتزَّ مغلوب وهمَّ الراقدُ
ودعا الدعيُّ بأن تناثر فرقدٌ [2] ماذا أصابَ وفي الجموع فراقدُ ؟!
إثْأرْ لشعبكَ ما استطعتَ فانّه ثأرٌ له المجدُ المؤثّل شاهدُ
ولو انَّ بين المسلمين طوائفًا غفلت ، كأنّ المسلمين أباعدُ !
تخذوا (الخلافة) سيرةً لوساوس ولكلٍّ وهمٍ عابثٌ ومعاندُ
ونَسَوْا اُسودَ (الريف) في استنجادهم أو أرسلوا وعداً رماه الواعدُ
فاذا عثرتم لم يفتكم لومهُمْ واذا انتصرتمْ لم يفتكم جاحدُ !

---

(١) اشارة الى ماني نسب اسرته من دم اندلسي .
(٢) يشير الى تسليم عبد الكريم . ودعا : نادى .

عذراً فقدعبثَ الدّخيل بنُبلهم   وكأنّهمْ في (العربِ) عضوفاسد!
عُذراً وصبراً ثم جُهْداً آخراً   فلكُمْ من الحق العظيم مُساعدُ
ولسوف يتبعُكُمْ تآزر عُصْبَةٍ   فَلَكُمْ بذلتْهُمَ الشعوبِ شدائد
انّ الرجاءَ لأُمّةٍ (١) لاينتهي   جهدٌ لها الاّ ويبعثُ قائدُ!



غروب وذكرى

قالت «حبيبي كم وددتُكَ جالساً   قربي ومَرْأى الشّمس عند مَغيبِ
في البحرِ تسبحُ بُرْهَةً وتغيبُ في   شَفَقٍ كحال الشّوق عند غريبِ»
فاجبت: «ياسؤلي وهل يشجي الهوى   هذا الوداعُ وأنتِ سُؤْل حبيبِ؟!
شمسان شمسٌ قدتغيبُ وأختُها   تبقى لرحمة عاشقٍ وأديبِ
مَنْ كان قربكِ ليس يشغلهُ سوى   هذا الجمالِ يرق في تعذيبي!
فتبسمي وتعطّفي وتكرّمي   ما شئتِ ياحظي وكلَّ نصيبي
ودعي ابتسامك من حنانك غُنْيَةً   للقلب عن نُور وطبّ طبيبِ!»
فتبسّمتْ سُكْرَىٰ لي وتأوّهتْ   فأجاب من قلبي وفيَّ نحيبي

(١) اي وافٍ لامة . . .

قالت « نسيت الوعد(١) هل يبكي السنى   إنْ صحَّ وَصْفُكَ في مجال نسيب
أيسوغُ دَمْعكَ في ضياء محبّتي   ام كان حظُّ الحب حظَّ كئيب ؟! »
قلتُ: « اعذريني ياحياتي رُبّما   أبكت تحيةُ(٢) مُسعِدٍ و مجيبِ
فلكم بكي بالطَّلِّ زَهْرٌ ضاحك   للشمس، ياشمسي وسرُّ وجيبي(٢) !
ولربَّ دَمْعٍ من شعوري لم يكن   الاَّ كرمز البحر وهو مُذيبي !
فلقد ذكرتُ غروبَ امسي عندما   ودَّعتُ أحلامي وداعَ جَنيبِ(٣)
فذكرتُ حال البحر حيث وصفتِهِ   والشمسُ تغربُ فيه بين لهيبِ ! »



عواطف وقلم

وداع وتذكار

خُذْ ياصديقاً برغمي أن أُوَدّعَهُ   باسم الوفاءِ وباقي الودِّ تذكاري
بدمعهِ خَطَّ من حسّي تأثّرَهُ   ومن سرورٍ تقَضَّى عطْفَ أشعاري

---

(١) اشارة الى المعنى المتضمن في البيت الثالث .
(٢) اى ربما بكى الشاكر في شكرانه لمن يسعده ويجيب أمانيه كما يبكي الزهر بالطل وهو يبسم للشمس شاكراً.
(٣) الجنيب : الاجنبي .

فصنْهُ بِرًّا ولا تُصغِرْ به قلماً   فهو الرسولُ الموفِّي حقَّ اكباري
أشهى الأماني لديه أن تكلِّفه   تسطيرَ ذكركَ فاذْكرْني بايثار
وثقْ بأنَّ حياةَ المجد في تعبٍ   وغايةَ الحظِّ والتوفيقِ للسَّاري



أسرار الصداقة

احفظْ محبّةَ مَنْ عرفتَ صديقا   وكنْ الأمينَ وبالوفاءِ خليقا
واجعلْ لصدرك من صيانة صدرهِ   للسرِّ ميثاقًا يظلُّ وثيقا
وارفضْ مزاعمَ من دعَوْا الاساءةِ   في الظنّ واعتبروا الوفاء غريقا
لمَ لا تكون كما يكون تكتّماً   فتعزّ سرًّا بالجلال حقيقا ؟
أعطى اليكَ حشاشةً من نفسه   أمِن الصداقة أن تكون مُريقا ؟
أمِن الاخاء نميتها بذيوعها   وتميته حزنًا أراه حريقا ؟
شرُّ البليةِ عن غريبِ سذاجةٍ   أن يُزْهقَ الخلُّ الحبيبُ صديقا !



العصر والادب المصرى

علام نَهَرْتَنِي لوفاء جيلي بلفظٍ أو بمعنى أو دليـلِ
ولستُ أعيشُ في قرنٍ تقضَّى ولا في غير ذا الوَطَنِ الجميـل
وما أنا مَنْ سلاَ ذكرى جُدُودٍ أنا مَنْ هِمْتُ بالماضي الجليلِ
ولكنّي المقدّرُ قدرَ عيشي بهذا العَصْر والآتي النَّبيلِ
فلفظي ما يصوغُ بيانُ قومي وحِسّي حسّهُمْ أبداً زميلي
فدعْني راسماً صُوَراً أراها فلم يكُ وَحْيُها وحيَ البخيل
ودعني أرقبْ (النيل) المُفَدَّى وما يوحيه في ذَهَبِ الأصيلِ
وَجَمْعِ فرائدٍ للحُسْنِ أحْظَى بمشهدِها وقد حفّتْ سبيلي
فشعري كلُّ ما يُهدي شعوري وعرفاني الى الوطن الظليـل
له (١) مصريّةُ النَّغمات شاقتْ بنفحةِ (مصر) والحسنِ الأصيلِ
وإنْ لم ينسَ إحسانًا (لعربٍ) ولا الآياتِ (المغرب) الكفيل
فلا تَنْهَرْ بربّك لي فؤاداً يَرُدُّ لقومهِ بعضَ الجميـــلِ



(١) الضمير عائد الى الشعر .

غذاء الخيال

ذكرى وأمل

وداع الصديقين الدكتور عبد الله جلال والدكتور أمين غالي قبيل نقلهما من مدينة السويس الى بورسعيد سنة ١٩٢٥م .

أيحين بدرُ التمّ قبل ليـال (١) ويبين أُنسٌ (للجلال) و(غالي)
لله ما أقسى الزمان فانه يأبى الوفاقَ اذا وفى ويُمالي !
ويُفَرِّقُ الأصحابَ بعد تآلفٍ ويشتّت الخلاّنَ مثل خيال
ساءلتُ منزليَ الأسيف كخاطري فأبى حزيناً أن يردّ سؤالي
ونظرتُ للبحر الطّروب معاتباً فاذا الضياء كدمعه المتلالي
قال الصديق : ألا نظَمْتَ قصيدةً تُرْضي الوداعَ ؟ فحرتُ في آمالي
وأنا الوفيُّ أصونُ للوافي يداً وأنا الغفورُ لزَلّةٍ وضلال
ماذا أقول وكم بكيتُ مودّعاً ؟ ما ذا أقول وللرجال مقالي ؟
خِلٌّ له فضلٌ عليّ أصونه و (أمينُه) غالٍ من الأفضال
أهوى بقاءكما وقد صدق الهوى ويرى بعادكما رجاء معالي
ويخطُّ في هـذا المساء عواطفي قلمي الشجيُّ ، فهل يخطُّ مآلي ؟ (٢)

---

(١) اشارة الى ليلة الاحتفال القمرية .

(٢) من التوفيق في التنبؤ ان الشاعر نقل سريعاً اثر صديقيه الى مدينة بور سعيد

والبدرُ يُسعفه بجبرٍ أبيضٍ فلعله بُشْرى الزّمانِ التالي
لله ليلاتٌ غَنِمْنا أُنسها ومجالسٌ لفكاهةٍ وجمالِ
لله ما ولّى بصفوٍ لم يكنْ وَهماً فجاءَ الدهرُ غيرَ مُوالِ
والشايُ يضحك في الكؤوس أمامنا ضَحِكَ الأوانس بالنضار الخالي
وعلى الطريق نرى الحياة عجيبةً من شُرْفَةٍ كالمَرْصَدِ المتعالي
وإذا أُديرتْ (للزّبيب) تُعَوِّره جاءتْ حياةً أو مماتَ ملال!
كالفلّ أو كالدرّ أو كالريق إنْ رشفته غانيةٌ بسكر دلال!
يبيضُّ كالآنِ المخفّفِ لونُهُ من أُنس أفئدةٍ بَسَمْنَ خوال
من يستردُّ لنا بواسمَ عهده؟ تلك الدقائق كنَّ غيرَ بوال!
واليوم نذكرها فنعلم عن هُدًى شيبَ السُّرُورِ السَّمْحِ شِبْهَ مُحالِ
فالصّفوُ طِفْلٌ لاعبٌ لا ينتهي من عُمْرِه لِمُجَدِّدٍ ومثالِ

***

سيرا صديقيَّ العزيزين ولاَ تَدَعا شُعاعَكُمَا يَغيبُ حِيالي
مَنْ كان يخلقُ بالجراحةِ مُعجزاً هيهات يعجزُ أن يُجيبَ خيالي!

نقطة دم

شفاعة على كتاب حب

رحماكِ! كيف أرقتِ قدسيَّ الدَّمِ؟! رُوحي أرقتِ بهِ وإنْ لم تَعلَمي!

أرسلتهِ متوردّاً في نقطةٍ فوقَ الكتابِ شفيعَ قلبٍ مُغرَمِ

إليَّ الشفاعةُ ياحياتي !؟ مَنْ ترَى يرْضَى تذلُّلَ مالكي ومُتيَّمي ؟

عذَّبْتِني لكنْ جعلتِ تعذُّبي حلْواً، فكمْ أسعدتِ من لثْمي فمي

وفؤاديَ الوثَّابُ يقرأُ سُورةً فيها[1] لصاحبه الخفوقِ المرتمي

قلبان ما خُلقا لغير تعانقٍ رَغْمَ الزمان فانَّ حسّكِ منْ دمي

ولي الطبيعةُ جامعٌ لحنيننا في كلّ مرآها الجميلِ المنتمي

في النُّورِ، في الانداء، في الزّهرِ الذي يهتزُّ من ذكرى الهوى وتألُّمي

فدعي العتابَ فما العتابُ لمهجةٍ أنتِ الرجاء لها، فلا تتوهَّمي!

* * *

يانقطةَ القلبِ الحبيبِ بما وعتْ أهلاً بمقدمك الحبيبِ المُكرَّمِ !

حُمّلتِ آلافَ الكراتِ[2] جميلةً فكأنَّها قَبلَهُ سُتِرْنَ لِمَغْنَمِ

---

(١) الضمير عائد الى « نقطة » .

(٢) يشير الى كرات الدم وهي عديدة ودقيقة لاترى الا بالمجهر.

وكأنَّ عيني مِجْهَرٌ (١) نظرتْ بها ماغابَ عن نظرِ الخَليِّ أو العمي (٢)
أتأمَّلُ الساعاتِ فيها لا أني (٣) وأحسُّ فيها الشعرَ لاحَ لمُلْهَمَ
فأظلُّ أنشقُها وألثمُها معاً ما بين أشجاني وبين تبسُّمي
حتى أخالكِ يا مآلَ عواطفي قُربي على رغمِ النَّوى واللُّوَّمِ
حتى أراكِ كحالمٍ جنبي وقدْ مرَّتْ يداكِ على جبيني المُضْرَمِ
مرَّ النسيمِ ينامُ زَهْرٌ طوْعَه فأنامُ في حلُمٍ لذيذٍ أرْحَمِ
وأفيقُ مِلْئي منكِ كلُّ مُجَدَّدٍ حِسِّي، فعيشي يا حياتي واسْلَمي!

قبلة لحظين

أوحتْ إليَّ بنظرةٍ جذَّابةٍ أن لا أحاذرَ في حقوقِ غرامي
وتلألأَ الثغرُ الحبيبُ مُسائلاً عن قُبلةٍ كالفذّ من أحلامي
فسألتُ قلبي: «أيُّ لثمٍ يشتهي ويشوقُ من عجبٍ وحلوِ مرامِ؟»
فأجاب: «أصلُ الحبّ فتنةُ لحظها ومن ابتسامِ حنوِّهِ إلهامي
ولثغرِها رِفقُ الكريمِ بعبدهِ وتدلُّلُ السَّاقي المُسيغِ أوامي
ولخفقِ نهديْها نزوعُ عواطفي لفؤادها المتهافتِ المترامي

(١) المجهر : المكرسكوب . (٢) الخلي : الخالي من الوجد والحب .
(٣) لا أني : لا أتعب .

وبكلّ جزءٍ من عزيز جمالها ... ما فيه مَعْرَضُ جَنَّتي وضرامي
فاذا لثمتَ فلا تدعْ من حُسنها ... شيئاً، ولا تُغْفِلْ فروضَ سلامي»
فجعلتُ ألثمها بكلّ حرارةٍ ... لثمَ العبادةِ شأنُهُ لدوامِ
حتى انتهيتُ للحظها فاذا به ... يهفو للحظي في اشتباكِ غرامِ
فتعانقا والخدُّ يصهرُ خدَّها ... شوقاً وللحظين لثْمُ هيامِ!

* * *

قالت: «صدقتَ عواطفي بامهجتي ... فلقُبلةِ اللَّحظين سِحْرُ كلامي
وعرفتَ من لحظي الغرام وما وَعى ... فاهْنأْ بنور غراميَ البسّامِ
واغنمْ من القُبلاتِ كلَّ شهيّةٍ ... تلقاكَ عندَ مذاقِها أحلامي!»

ذكرى الحضارة العربية

والامير شكيب أرسلان

يا مُتعباً قلبَه في نصح أمّته ... بالدَّرسِ والعلمِ والتذكيرِ للنَّاسي
وكاتباً طالما غنّى اليراعُ بما ... قد خطَّ من سحره المستعذَبِ الآسي
وشاعراً قدرُهُ مأثورُ ما خبأتْ ... خزائنُ الشعْرِ من رادٍ[1] ومن ماسِ
ومُصْلِحاً لم يدعْ فرضاً لغايته ... مثابراً هازئاً بالجبن والياسِ

(١) الراد: هو الجوهر المشعّ المعروف علمياً بالراديوم.

هوِّنْ عليك فما ينسى ذووشممٍ تاريخَ عزِّهم والسؤددِ الراسي
وأيُّ قلبٍ له خفقٌ يذكّره بأمسه يرتجي دفنًا بأرماس ؟!
فالمرء بضعةُ ماضيه وحاضرُهُ مرآةُ آتيه من حظٍّ واتعاسِ
وانّ شعبًا بلا حبٍّ لدولته هيهات يبلغ مرْقى المجد في الناسِ
فلا تخفْ بأسَ إلحادٍ فما برحتْ جلالةُ الأمس أصل الفضل والباسِ
جلالةٌ خشعَ التاريخُ حارسُها في معْرَضِ الوصف وضّاءٌ بنبراسِ
حضارةٌ هي جمعٌ من فنونِ علًى للناهبين ومقباسٌ لمقباسِ
كفتْ جميعَ بني الأعراب جامعةً على تباين أديانٍ واحساسِ
وما تجرَّدَ من دينٍ انما نفرٌ الا وللمجدِ دينٌ فوق مقياسِ !

عتاب صديق

هل للصَّديق إذا عتبتُ اجابتي فهواهُ بالهجرانِ غيرُ خليقِ ؟
قل لي بحقك أيُّ حبٍّ تشتهي مني لتنزل في مكان شقيقي ؟
اني أطيق تهاونًا في حاجتي الاَّ التراسلَ يا أعزَّ صديقِ
بهواك متّعني بكتبك انها شوقي ، فلا تعمدْ الى تشويقي !
أدبٌ حباكَ اللهُ قدرَ نبوّةٍ منه ، وحظٌّ منه كنتَ مذيقي

ماذا جنيتُ سوى وُلوعِ محبَّتي   أبداً بكأس لذاذتي ورحيقي؟!

فاغفرْ لقلبي واليراعَ تدفّقي   وابذلْ، فما أنا للجفا بمطيقِ

واسألْ فؤادك عن متاعبه[1] تجدْ   ألمَ الفؤادِ وَهمّه تفريقي!

كلمة تقدير ووداع

الى سعادة الاستاذ محمود بك حسن ـ محافظ السويس

ياهازئاً بالنّفي في موقفٍ   النّفيُ فيه بعضُ قَدْرِ الرّجالْ

وحافظاً جَمْعَ كراماتِهِ   في حالةٍ فيها الوفاءُ المحَالْ

ومحسناً هيهاتَ أن ينتهي   اصلاحهُ في خالداتِ الفعالْ

وعاملاً للخير عن رغبةٍ   يكفيكَ من طُهرِ الضّميرِ الجلالْ

واللهِ لو قسنا الطّغاةَ الأُلى   عادوكَ ماساووا لديكَ النّعالْ

ودَّعتُ أفيكَ اليوم مجْداً اذا   ماقدّر النُّبْلُ وغالي الخلالْ

مَنْ فات برّاً منك لم ينتفعْ   بالأُنسِ موفوراً ولا الانتقالْ!



(١) اشارة الى مرض صديقه بالخفقان القلبي .

الكأس المنسية

قالتْ وقد بَسَم الشَّرابُ بكفّها :

أَعَلِمْتَ كيف خُصِصْتَ بالكُنْياكِ ! »

فَعَجِبْتُ من هذا السؤالِ ، فداعبتْ

عَجَبي !... فقلتُ : « لعل فيه هواكِ ..! »

قالتْ : « نعم ! فيهِ لذاذةُ نَفْحَتي

لو شئتَ »... قلتُ : « وهل أشاءُ سواكِ ؟ »

قالتْ : « اذاً فاسمعْ فانَّ رفيقَه

ما لذَّ من حَلْوَى »...[1] فقلتُ : « كفاكِ

للعاشقِ الهَيْمانِ ... حُسْنُكِ لَثْمَةٌ

نُخَبٌ من الحلْوَى وسُكْرُ فتاكِ ... »

فأتتْ تقبّلني وكان شَرابُها قُبَلاً خُلِقْنَ من الغرامِ الذّاكي

وشهيُّ حَلْوَاها ، فلم أَعْطِفْ على كأسِ الشَّرابِ كأنَّ فيه هلاكي !

ولبثتُ أنْهَلُ في سرورِ خمرَها ظَمِئاً ، وكأسي في دموعِ الباكي

صفراءُ من حَسَدٍ وصِبْغَةِ حسرةٍ لولا الجمالُ سمتْ عن الاشراكْ !

---

(١) المزة الاصيلة لشراب الكنياك هي متنوع الحلوى . والمزة في متن اللغة الخمر اللذيذة الطعم . وقد أصبحت تطلق عرفاً على ما يوافق شربها من المشهيات .

تحية (كل شيء)

أهلا (أميل)[1] بما نشرت صحيفةً للنفس ترفض عن نداك مميلا
للعقل فيها دولةٌ غلابةٌ تخذت من الأدب السليم وكيلا
و (لكل شيء) صالح من نورها نورٌ يصاحبه البيانُ خليلا
ولنزعة الفنان حسن روائها أسدت الى أسرى الجمال جميلا
مصقولةً بالطبع مثل معزها شرفاً ومبدع ماحوته جليلا
جمعت خلاصات الحقائق طاقةً كالزهر فاح شذًى وشاق جميلا
ترضي الفضيلةَ والمكارمَ مثلما تهدي وتنقذ حاسراً وكليلا
في حالة كاد الضلال يهدنا هداً وكدنا نعبدُ التضليلا
في موقفٍ شقيَ العليمُ بعلمه فيه وأفسدت الشكوكُ الجيلا
علم وهذب ما استطعت كبارنا وصغارنا وخذ الوفاء دليلا
كم منةٍ أحيا أبوك شعارها وتبعته نبلاً فكنتَ نبيلا
أبداً تجاهدُ في مجال مفاخرٍ خطَّ اليراعُ لقصدهنّ سبيلا

---

(١) هو الاديب القدير والصحفي المعروف الاستاذ أميل زيدان رئيس تحرير (الهلال) ومنشيء مجلة (كل شيء) .

وتروم للاتقان ما تُعنى به شغفاً ، وتدأب للنجاح كفيلا
من بعض حقك أن تحيا باسم ما أكرمت من أدب أسيء طويلا
فاسمح لشعري أن يردد بره ولو ان ما أهدي يعد قليلا

بسمة الطبيعة

صف جمال (الربيع) يهدي ابتسامة مالىء النفس بهجة ووسامه[1]
تاليا دعوة الصلاة الى الشا عر جهراً وناشراً أحلامه
صف لتخليده على الطرس ألوا نا بآيات ريشة رسامه
عمره بسمة (الطبيعة) للدنـ يا فأجمل بنعمة بسامه
فضح النور حبه بين عطر مستحب وبين نور أدامه
ومجالي الأفراح في الأرض أشكا ل وأنغام مهجة مستهامه
من زواهي التفاح[2] في الزهر الرا قص فوق الغصون يهدي سلامه

(١) الوسامة : الحسن والجمال .

(٢) لعل نور التفاح أحق بهذا التخصيص لانه معدود أجل أنوار الفاكهة .

مِنْ ألاعيب(١) طيْرِهِ الصَّادحِ الحا نِي على إلفِهِ يُناجي غرامَهْ
مِنْ نسيمٍ مُضمَّخٍ بشذا الحُسْـ نِ يُساقي الرياضَ حُرَّ المُدامَهْ
مِنْ خريرٍ لدى الجداول ترْحيـ بًا بفصل الهوى الفريدِ الزَّعامَهْ
مِنْ معانٍ يظلُّ يُنشِدُها النَّحْـ لُ قريرًا بحظِّ مُلكٍ أقامَهْ
مِنْ وُثوبِ الفَراشِ نشوى من الشهـ دِ ولم تخشَ أن تفوتَ السلامَهْ
وانتباهِ المُروجِ والماءِ والجو إلى الشمسِ بعد رشِّ الغمامَهْ
وأغاني الوجودِ طلْقًا وأحيا نًا بصمتٍ كأنَّ فيهِ كلامَهْ
كم أصاختْ لها بدائعُ (بتهو فن)(٢) مُستثمرًا لنا إلهامَهْ
وزهتْ ريشةُ (لترنر)(٣) مما وهبتها لنستطيبَ اقتسامَهْ
وتملَّى لها (ابن حمديس(٤)) إعجا زًا وحيًّا بها جلالَ الإمامَهْ
هكذا زورةُ (الرَّبيع) أفانيـ نُ حياةٍ ورحمةٍ وابتسامَهْ
حُسنُهُ طبعُهُ السفورُ . . فهل تغْـ ضي اذا الحسنُ صاريًا بي لِثامَهْ ؟!

....

(١) جمع ألعوبة بمعنى لعب .

(٢) بتهوفن تلميذ موزارت وأكبر أعلام الموسيقى الغربية . توفي سنة ١٨٢٧ م.

(٣) ترنر من اشهر النابغين الانجليز في رسم الطبيعة ، توفي سنة ١٨٥١م.

(٤) هو شاعر الطبيعة الاندلسي المشهور، توفي سنة ٥٢٧ ﻫ (حوالي سنة ١١٠٩ م).

ديباجة الشعر

الشعرُ في الأدبِ الأمـــير فكيف تجحدُهُ الإمارَهْ؟

يُومي فيُفصحُ مثلما تُغني الإشارةُ عن عِبارَهْ

مِنْ طَبْعِهِ خُلُقُ الملو كِ فلستَ تختار اختيارَهْ

أنصِتْ لهُ إنصاتَ مفـ تونٍ لمعشوقٍ أثارَهْ

تلقَ الجمـالَ بوحيهِ يَسقيكَ ما تهوى اشتيارَهْ

ما النَّظمُ الاَّ خادمٌ للشعرِ يلتمس اعتبارَهْ

والشعرُ في عرش الجلا ل يصون للنجوى شعارَهْ

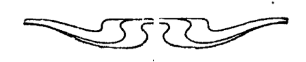
المشرئبُّ لِنورِهِ هو وحدَه الرائي منارَهْ

والمكتفي بالنظرةِ الصُّـ ـغرى ينالُ بها صَغَارَهْ

الشِّعرُ معجزةُ الشُّعو ر اذا تأمَّلتَ افترارَهْ(١)

أمَّا الضريرُ فنقدُهُ عَبَثاً يُثير لنا غبارَهْ

هو وحدَه الشَّاقي بما في الجهل يحسبُهُ مَهارَهْ!



(١) افتراره : تلألؤه .

ظلي

فكاهة الحلم

« أيها الزَّنجيُّ قُلْ لي ... كيف قد أصبحتَ ظلّي ؟!

أنتَ يا ظِلي خليلي ... هل يُطيقُ الصمتَ خِلّي

في ظَلام الليل تَخفى ... في مَجالي النُّور تُجْلِي (١)

لا بساً ثوبَ سوادٍ ... لا تُراعي أيَّ فَصْل !

ماشياً إثري وحيناً ... سائراً قُرْبي وقَبْلي

قال أطفالٌ صغارٌ : ... أنتَ مِثْلي ! أنتَ مِثْلي !

أنتَ حيناً رمزُ شَكْلي ... أنتَ طوراً غيرُ شَكْلي

خادماً آناً توافي ... هازئاً آناً بفِعْلي

حارساً يأبى فراقي ... بين تَرْحالٍ وحِلّ

ظِلُّكَ الصُّوفيُّ بعضي ... يا لبعضي المستقلّ ! »

فأبى إلاَّ صُموتاً ... مرهقاً قد مسَّ عَقْلي

فانتهرتُ الظلَّ حتى ... مِنْ صياحي ريع أهْلي !

بينما الفجرُ مُطِلٌّ ... بين إشفاقٍ وعَذْلِ !

* * *

(١) تخرج من وطنك . يقال أجلى عن بلده بمعنى خرج .

ثم وَافى الصّبحُ يُهدي فتنةَ الاضواءِ حَوْلي

حاملاً أسنَى جوابٍ باحَ بالسرّ الأجلّ

فانقضى حُلمي ولومي وانتهتْ أضغاثُ لَيْلي

ضاحكاً منها ولكنْ كان ظِلّي بدءَ شغُلي !

اخاء الورود

ألقيت هذه الابيات الارتجالية في وليمة ماسونية حيث قضت التقاليد بأن تكون مائدة الطعام على شكل حنية (قوس البناء) فيجلس الاخوان الماسونيون خارج المائدة متواجهين بينما تنثر الازهار صفاً متصلا أمامهم على فراغ المائدة الداخلي ، فصورها الشاعر بين افراد الوليمة المدعوين ، وبها ينتظم عقد الاحتفال .

نثَرُوا الوُرودَ كأنها قُبَلُ المحبَّةِ والسَّلامْ

فاذا ابتسمنا شاقنا منها الحنينُ والابتسامْ

قالوا الوُرودُ تحيةٌ للعاشقين من الغرَامْ

وأنا أراها مثلَنا في الحسّ يجمعُها الوئامْ !

فكأنما هذي الوَليـ ـمةُ زَهْرُها بين الأنامْ !

وجميعُها كجميعِنا سَكْرَى الأُخوّةِ لا المُدَامْ !

تبسم للحياة

تبسَّمْ للحياةِ وكُنْ سَبوحاً على غمراتها مثل (السَّقيّ) (١)
وكن (كاللوتس) الضاحي هنيئاً (٢) وانْ لم ينْمُ في ماءٍ نقي
تعوَّدَ حظَّه وأضاء زهراً وعاش بنعمةِ الحرِّ التقيّ (٣)
فتعشْقهُ العيونُ بلا سكونٍ (٤) ويقنع بالحنين المشرقيّ (٥)
وما سِرُّ الحياةِ سوى احتمالٍ سواءٌ للهنيّ وللشقيّ

الذهن البليد

يُضيءُ له البيانُ فلا يراهُ وتلك مصيبةُ الذهنِ البليدِ !
كأنَّ النورَ من نجمٍ بعيدٍ وقد أوحاه في العصر الجليدي !
ومن عَجَبٍ يناقشني ، ومَن لي باقناع الرضيعِ أو الوليدِ ؟!

(١) السقي هو نبات البردي المعروف (Papyrus) . قال امرؤ القيس في معلقته :

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقي المذلل

(٢) اللوتس : النيلوفر والضاحي : البارز للشمس .
(٣) أي غير طفيلي على نبات آخر .
(٤) سكون : انقطاع .
(٥) اشارة الى شروق الشمس .

ومن تخدعْهُ أصباغٌ ووشيٌ   فما يدري الطريفَ من التَّليد !

الشرف الزائف

وعاثرٍ لجَّ (١) في فَخْرٍ بلا سببٍ
سوى انتسابٍ شريفٍ دون أشباهِ !
سألته رحمةً بالناس في زمنٍ
ليس الشريف هو المنْسُوب (٢) واللاَّهي !
إنَّا بعهدٍ غدا نَفْعُ الانامِ به
أدنى من الفخرِ والأنسابِ للهِ
وعُفرةُ (٣) الوجه من كَدٍّ أجلُّ لنا
ممن عِمامَتُه هُزْءٌ بأفواهِ !
وما انتفاعُ الورى ممَّنْ أُشبِّهُهُ
بصخرةٍ قد علاها الطُّحلُبُ الواهي ؟!

(١) لج : تمادى .
(٢) المنسوب : المذكور النسب .
(٣) العفرة : لون العفر والتراب .

كارثة دمشق

١٨ ـ ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٥ م

نكبت عاصمة الامويين ـ وهي من أقدم مدن التاريخ الباقية وأجلها ـ بضرب مدافع الفرنسيس ، ذعراً منهم أمام قوة الثوار المحررين . فاهتزت لذلك ارجاء العالم الاسلامي خاصة والانسانية عامة . وقد عبر الشاعر في هذه القصيدة التي كانت أولى المنظوم في موضوعها عن العواطف الحية التي سرت في مصر عطفا على شقيقتها في اللغة والدين والحضارة والنسب .

رِيعَتْ لنكبةِ مجدِكِ الأَحلامُ[1] وبكاكِ باسمِ فخاره (الاسلامُ)
يادُرَّةَ (الشرقِ) الشقيِّ بملكه أبداً يحاولُ نهبَكِ الظُّلَّامُ
ضُرِّجْتِ بالدَّمِ في مقامٍ قدْرُهُ أن تستعزَّ محبَّةٌ وسلامُ
قُدِّستِ في دينٍ وعُرْفِ حضارةٍ ورَنَتْ لمرْشِدِ وحيِكِ الافهامُ
مِنْ عهدِ (بولس)[2] قد فتَنْتِ وقبله (داوودُ)[3] أولَعَه بكِ الإِعظامُ
ومن (الأَشوريّين)[4] نِلتِ غرامَهم و(الفُرسُ)(والرومان) باسمِكِ هامُوا
و (التركُ)[5] لم ينسوكِ يومَ جلالهم بل كانَ مجدُكِ للجلالِ يُرامُ

(١) الاحلام : العقول .
(٢) أقام القديس بولس فترة قصيرة في دمشق حيث بدأ انتشار المسيحية في منطقتها .
(٣) ورد في (سفر الملوك) فتح سيدنا داوود لدمشق .
(٤) استولى الاشوريون على دمشق سنة ٧٣٢ قبل الميلاد ولم تصبح جزءا من الامبراطورية الرومانية الا في سنة ١٠٥ ميلادية .
(٥) استولى السلطان سليم الاول على دمشق في سنة ١٥١٦ م .

و (عليٌّ)[1] ثبَّتَ فيكِ أيَّ صداقةٍ   من (مصر) لم تعبثْ بها الأعوامُ
حجُّوا اليكِ، ولم يكنْ فتحاًلهم   فلربَّ فتحٍ ملؤهُ الإكرامُ
نَشَرَتْ تعاليمُ (المسيحِ) سلامَها   حيناً عليكِ، فدالتِ الأيّامُ
وأتى الطغامُ اليومَ باسم رسولها   ما لا تُقاسُ بخبثِهِ الآثامُ
حربُ الصليب[2] رددْتِها في أمسِهِم   شرَفاً، فعادوا ينقمون وهاموا
وتشدَّقوا بالعلمِ وهو مُحقَّرٌ   فيهم، وبالإفضال وهو حَرَامُ
نكبوا (أميّة) في مقرّ جلالهم[3]   لكنّما نكباتُهُمْ أوهامُ
سيعيشُ رغمَ السيفِ باسقُ غرسهم   وتبوحُ رغمَ المِدفعِ الاقلامُ !

***

عيشي (دمشقُ) وإن فُجِعْتِ وإن بكت   حقًّا عليكِ مآثرٌ وعظامُ
عيشي فما ينسى بنوكِ وفاءَهم[4]   كلا، ولن يتضاءلَ الأعلامُ
تلك الجراحُ — وإن تَبَقَّى ذكرُها   عاراً على الجانين — قد تلتامُ
لبسَ السَّوادَ على مَرُوعِ مُصابها   أممٌ، فهوِّنْ صبرُكِ البسّامُ

---

(١) هو عزيز مصر الكبير محمد علي باشا وقد كانت دمشق تابعة لمصر من سنة ١٨٣٢ م. الى سنة ١٨٤٠ م.

(٢) اشارة الى حصار الصليبيين لدمشق تحت امرة لويس السابع ملك فرنسا وكنراد الثالث امبراطور ألمانيا سنة ١١٤٨ م. حيث ردوا عنها خائبين.

(٣) فتح العرب دمشق سنة ٦٣٥ م. وصارت مقر الخلافة سابقة لبغداد من سنة ٦٦٠ م. الى سنة ٧٥٣ م.

(٤) من اجل مظاهر العزاء في هذه الكارثة ما ابداه اهالي دمشق على تباين مذاهبهم الدينية من الوحدة الوطنية المتينة.

في الرَّزْءِ هازئةٌ وأنتِ حزينةٌ   في الرَّوْع تضحك حولك الآجام[1]
فقدَ الشجاعةَ رغمَ بطشِ حرابهم   غازوكِ ، وآستبقى لها الايتام !
مَنْ كانَ يملكُ ما ملكتِ من العُلى   ومن التراث الفخم ليس يُضامُ
والشعب قيمته الحياة اذا نما   فيه وعاش تضامنٌ ووئامُ
ما كان للخذلان حقٌ مملَّك   أبداً ، ولا بلغ العلى استسلام
ثار (الدّروزُ) وأحدقوا بك مثلماً   أوْفَى[2] على الكنز العزيز زحام
جذَّابة النفحاتِ ، عُمْرُكِ عُمْرُ ما   تصبو الفنون له وتَزْهَى (الشام)
في كلِّ هاويةٍ خوالدُ دوْلة   ونثيرُ تربكِ كله إلهام!
يرمي (الفرنسيسُ) القنابلَ واللَّظى   رميَ الأبالسةِ الذين تعاموا[3]
فتبيدُ من شرفٍ يُظنُّ لشعبهم   وتظلُّ عاليـةً بك الأعلام
ويرى المؤذّنُ حافظاً لعهوده   وعلى المنائر للسَّلام سلام
وجميع أهلك في المكارم وحدَةٌ   تبقى ، وقد تسمو بها الآلامُ!

⁂

فخراً لنبلكَ يازعيم عصابةٍ   ما شاب غاية نُبْلها الاجرام
غلبتْ شجاعتها الجبابرة الأُلى   نشروا الفساد وفاخروا وأقاموا !!

(١) اشارة الى الغياض والغابات التي عسكر بها الثوار ظافرين خارج دمشق
(٢) اوفى : أشرف.
(٣) لما اوشك الفرنسيس ان يهزموا هزيمة تامة ويطردوا من دمشق عمدوا الى قذف المدينة بقنابل النفط ليتخذوا من الحريق مانعاً يحول دون تقدم الثوار الذين لم تستطع القوة منع تقدمهم ، واستمرت هذه الجريمة الشنيعة ترتكب من عصر الاحد ١٨ اكتوبر الى ما بعد غروب شمس الثلاثاء ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٥ م.

وحفظتَ يا (حَسَنُ)(١) حياةَ مواطنٍ فمن المماتِ تَعصُّبٌ وخصام
أنت الصغير كاذ كرتَ(٢)، وانما فيك المناقبُ للزعيم حُسام
أقسمتَ غسلَ العار وهو نصيبُهم ولقد صدقتَ وبرَّت الأقسامُ!
أطعمتَهمْ طعمَ الهوان بحصنهمْ وأريتهم كيف الحِمامُ حِمام:
وضربتَ أمثلةَ الشهامة كلها للعابثين، فكيف كيفَ تُلامُ؟!

***

والآن يا بلداً أعدُّ مصابَه رُزْئي... كذلك تفرض الارحام
والله ما أدري أجرحُك حقّه مني العزاءُ أم الدّماءُ وسام؟!

(١) هو حسن الخراط الشهير زعيم العصابة التي هاجمت دمشق .

(٢) اشارة الى رسالة حسن الخراط الى الجنرال سراي مندوب فرنسا السامي في الشام، حيث يقول له مؤنباً ومباهياً: « ..... أما سياسياً فاني كالت شرف العرب بما هو اهله، واستحسن فعلي العالم بأجمعه بحسن ادارة رجالي ومحافظتهم على اخواننا المسيحيين والاجانب خصوصاً، وعلى الضعفاء عموماً. اما انت فقد نحرت شرف فرنسا، وصوبت قنابلك الى قلبها .... يا ممثل فرنسا وأنا حارس دمشق! اسرت جندك اسراً شريفا، وانت ضربت النساء والاطفال والشيوخ ضربا دنيئا. حافظت على الآثار القديمة وانت هدمتها يا جنرال، يا ممثل فرانسا! كان بودك ان تجعلها دينية اسلامية وتفرق بيننا وبين اخواننا، ولكن الله ابى: فضيعت رشدك وخربت الاحياء الاسلامية على رءوس اهليها البريئة املا بأني اقابلك بالمثل، وقد فاتك اننا عرب ونحافظ على الجار

انا القوم أبت اخلاقنا شرفا ان نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا

انت جنرال وقائد الفرق والجيوش، وانا حارس جمت عقلي وضيعت رشدك ... » .

فخرتْ بموقفك المشارقُ مثلما سالت عليك عواطفٌ وغمامُ[1]
في الصبْرِ، في البرّ الجسيم، وفي الوغى لا الهولُ ما تخشى ولا الإرْغامُ
شرفًا رفعت شعارَه بك، هكذا تحيا البلاد ويُخْذل الصّمصام[2]!

أم كلثوم

أبيات ارتجلها الشاعر أثر سماعه من (المحدث) غناءها الشجي لقصيدة:
(لي لذة في ذلتي وخضوعي)

أحْسَنْتِ يا أملي فهاكِ خضوعي! ووَفَيْتِ حين بذَلْتِ حقَّ دُموعي
بالله غنّي من فؤادكِ ما به نَفَحُ الغرام لشاعرٍ مطبوعِ
نقلتْهُ (حاكيةٌ)[3] اليَّ فكيف إنْ باحتْ به شفتاكِ عند خُشوعي
رقصتْ ودارتْ من نعيم سماعها مثلي المُقِرّ بسحركِ المسموع
صَوْتٌ كطعم الشّهدِ أو كأريجه أوْ لونِهِ في طُهرِهِ المتبوع
صافٍ صفاءً لا يُقاسُ بغيرهِ وحنينهُ يُذكي وفيًّ ولوعي
اللهُ أكبر كم تُتابعُ آهَهُ رُوحي، وتخفقُ للرجوع ضلوعي!
يا (أمَّ كلثوم)! وما اسمكِ بهجةً الاّ مرادف فاتنٍ وبديع
صفحًا اذا قصَّرتُ في سمعي الهوى مِنْ فيكِ منفيًّا بغير شفيعِ
فأنت تُغنّي الشّعرَ في شكر الذي جاء الرسولُ به لِسُكْر نزوعي

(١) اشارة الى فصل الامطار التي كأنما تهاطلت رحمة بالمدينة .
(٢) باعتباره شعار الظالمين .
(٣) هي المستديرة الشمعية للمحدث (الجرامافون)

سُبْحَانَ فنُّكِ من سَخيّ لم يزلْ يسْدي ، فلم يعرفْهُ أيُّ قنوع !

البحر الصاخب

نظرة الى شاطيء بور سعيد

أرسلتُ من نظري سؤالَ تعجُّبٍ فتدفّقَ البحرُ المغيرُ هديراً !
أبداً يُهاجِمُ شطَّه متحمّساً فيخالُهُ الرّائي الجهولُ قريراً
وهو المثابرُ في بيان رسالةٍ للجيلِ توقظ غافلا وضريرا
من سالفِ الامم التي اعتزّت به في الفتحِ واعتمدتْ عليه دهورا
يحكي روايتها ، ويرفع صوتَه فينا ، يؤمِّل أن يُثير مُثيرا!
مُتتابع الأمواج وهي مقالُهُ خطَّتْ لالباب الأنام سطورا
أُنظرْ معي البرّاقَ من أمل بها حيناً ، وآلاماً عبسْن كثيرا
قد كان يُحْسَبُ في قديم ضَيْفَنا فاذا به اضحي يعدُّ أسيرا
لولا بقيَّةَ نخوةٍ غلاّبةٍ فيه وفِطرةُ مَنْ يعيش خطيرا
يأبى سوى أرضِ المشارقِ حِصْنَه ويظلُّ يسألها الوفاءَ نصيرا
لا أن يُملّكَ للمُغير المعتدي من شاسع الجُزُرِ الصّغار صغيرا
قَوْمي الوانتبهتْ مشاعرُكم الى رُسُل الحياةِ لنلتمو التّقديرا
من أمْسِكم وغدٍ ومنْ يومٍ لكم كاليوم حيث غدا المجدُّ أميرا
والمستميتُ لكي يُحققَ واجباً والحافظُ الخُلُقَ الكبيرَ كبيرا
لا تسمعوا وعظي افحسبي أن تروْا وَعْظَ الجمادِ ، فما يعدُّ حقيرا!

يوم النشور

٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥

يا يوم قد بعثت بك الاحلام[1] فليبق ذكرك للفخار يرام
مرحى لوحيك ناشراً آمالنا من بعد ما قبر الرجاء ظلام
متنا ضحايا الوهم يقتل بعضنا بعضاً، وتضحك حولنا الأيام
أهدت لنا عبراً فلم نعبأ بها يوماً، وصرنا عبرة تستام[2]
متراشقين، عبيد كل سخيمة حتى تعجب حولنا الظلام!
نهذي بألفاظ السباب وندعي ما لا تقر بنبله الآلام
ونمرغ الاعراض كل ممرغ في الوحل، حتى عافنا الاكرام
ونظل يطمع في الزعامة بعضنا من بعد ما صار الزعيم يضام!
حتى غدونا في التراب جميعنا صرعى، ومظهرنا الأليم حمام
وتهجم الطاغي فبدد شملنا شيعاً وضيع حقنا استسلام
وتوالت الضربات تشعل نارها شعباً أساء لقدره الاحجام

. . . .

(١) الاحلام: العقول .

(٢) يسأل عن ثمنها — كناية عما تكبدناه من تضحيات وخسائر باهظة .

فاذا القيامة بعد رقدةِ ذلّةٍ   واذا له الوطنُ الجريح إمامُ
والحقُّ أضيعُ ما يكون اذا نأى   عن نصره المتهالك المقدامُ
والشعبُ إنْ جهلَ الحياةَ وقدرَها   هيهات يُنصفُ حظَّه الحكامُ!
واذا تفكك في مقامِ تعاونٍ   فعلى الكرامةِ والحقوقِ سلامُ!
واذا وَنى الجمهورُ رغم بلائهِ   فعلامَ يُطعَنُ قائدٌ ويُلامُ؟!
العارعارالشعبِ إنْ رَضِيَ الرَّدى   حظًّا فأ كمل موتَه الأخصامُ
وتناستْ الأحزاب في شحنائها   سقمَ العليل، فجارتْ الاسقامُ

* * *

فاليومُ ياوطني القريرُ بوحدةٍ   عادتْ وبالامل العظيمِ يُشامُ (١)
يومٌ يخلّده الشعورُ بواجبٍ   وترفُّ من فَخْرٍ به الاعلامُ
ويعيشُ للدّستور مُلْهِمُ سرّه   وتشبّ من نيرانه الاحلامُ (٢)
هيهات يبقى العسفُ بعد رجاحةٍ   تحيي، فما للظالمين دوامُ



١) يشام : يقدر .   (٢) الاحلام : الآمال الواسعة .

حسب المعز ونسبه [1]

المالُ والسيْفُ العزيزُ كلاهما حَكَمَا على الدنيا طِوالَ قُرُون
ويظلُّ حُكمهما المبجلَ دائماً حتى يفيءَ الناسُ بعد جنون !
هي دورةٌ للدَّهرِ أحسبُ عمرَها أنأى وأبعد من منال ظنونِ
ولعلَّ أحكمَ مُرْشِدٍ في عصرنا عرفانُ هذا الواقع المغبون
ما خاب من ذاق الحقيقة مُرَّةً وسعى لخير علاجها المأمون
ولنا بتاريخِ (المعزِّ) ومجده درسٌ للبِّ الغافل المفتونِ
سألوهُ برهاناً على شرفٍ له نسباً يردّ به مثارَ طعُون
فدنا وجرَّدَ باليمين حسامَه ورمى النُّضارَ بأختها لعيُون
وأهاب فيهم: ذلكم حسبي وذا نسبي!!... فأبدل صخبهمْ بسكونِ !

***

وكذا تجاريبُ الحياةِ بعصرِنا تقضي برفعِ معاقلٍ وحصونِ
فاستجمعوا المالَ الغنيَّ لنهضة خُطَّتْ بحدِّ الصارمِ المسنونِ
لولاهما ما قامَ عِلمٌ أو حِجَى أبداً، ولا وَضَحَ مقامَ مُنون
ومن العجائبِ أن يؤمَّلَ منهما إنعاشُ أرواحٍ وخلقُ فنونِ !

(١) (المعز) هو الخليفة الفاطمي المشهور الذي فتح قائده (جوهر) مصر بعد وفاة (كافور) فأسس القاهرة وبنى الجامع الازهر. وهو صاحب القول المأثور — حينما سأله العلماء والاعيان بمصر عن انتسابه لبيت الرسول صلى الله عليه وسلم: «هذا حسبي وهذا نسبي» ملوحاً لهم بالسيف وناثراً الدنانير، فأخرسوا !

رثاء فريد بك

من قصيدة مفقودة نظمت في أواخر ديسمبر سنة ١٩١٩م .

إنْهَضْ وقُلْ للذكرِ كيف يكونُ ... جُهْدُ الكميّ اذا اعتراه سُكُونُ
إنهضْ نَبيلَ النَّفسِ واشرحْ صادقا ... للنَّشْءِ مجْداً لم تَنَلْه ظُنُونُ
وأَجزْ لصاحِبكَ الوَفِيِّ بشعرِهِ ... رُوحاً يسيلُ أَسًى وليس يَهُونُ
ليقصَّ للأحفادِ بعدَكَ سيرةً ... تحيا وإنْ درجتْ عليكَ قرونُ
رُزْئي بفقدكَ رزءُ مصريِّ المُنَى ... ومُصابُ ذي حُبٍّ نماه (أَمُونُ)[1]
يا مُنعشي بالامسِ مِنْ وجدانِهِ ... أَنظرْ الى قلبٍ كَوَتْه شُجُونُ
مرَّتْ أسابيعُ الحدادِ فما كفتْ ... هذي الدّموعُ اذا اشتفى المحزُونُ
هيهات تَمْنَحُني الشِّفَاءَ أهِلَّةٌ ... أبداً ، وأنْ تُنسي الاخاءَ سُنُونُ
لي في ادّكارِكَ سِيرَةُ الخُلُقِ الذي ... تتقلّبُ الدُّنيا وذاكَ مَصُونُ
ومآثرٌ مِنْ تضحياتٍ جَمَّةٍ ... قال الجبانُ جميعُهنّ جنُونُ!
لا المالُ عزَّ لديكَ يومَ كريهةٍ ... كلاَّ ولا شقَّتْ عليكَ سُجُونُ
وقضى ابتعادُكَ عن رُبُوعِ أحبةٍ ... نَفْياً بأن تشقى ولستَ تخونُ
تمشي بأسمالٍ بلَتها عِزَّةٌ ... في النَّفسِ حين تخايلَ المغبونُ[2]

---

(١) نماه : بمعنى رفعه وأشعله . (٢) المغبون كالغبين : الضعيف الرأي الذليل النفس .

وَيُهدُّكَ الجُوعُ الذي أخفيْتَهُ وكأنَّما هو سِرُّكَ المكنونُ
والبَرْدُ ينخر في عِظامِكَ جائراً والثَّلْجُ حولكَ عاصِفٌ وهَتونُ
في ذِمَّةِ (النيلِ) الذي قاسَيْتَه ليرى البنونَ البِرَّ كيف يكونُ
في ذمَّةِ العلياء والخلد الذي بفريد ما عانيته مقرونُ
فَخرٌ كهذا الذِّكرِ يخرسُ عنده وَصْفٌ، وماتقضي عليه منونُ!

الى نفسي

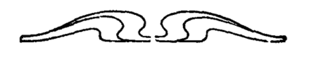
شَكَوْتُ اليك من زَمني ولكن كما يشكو الطَّبيبُ الى الطبيبِ
فردَّدتِ الشَّكاةَ وزدتِ هَمَّاً وكنتِ أحقَّ بالصدر الرحيب
بَذَلتُ مواهبي بذلاً لقومي وليس المَنُّ من طبع الاريبِ
فانْ يستثمروا جُهدي فبِرٌّ وإحسانُ الحبيبِ الى الحبيبِ
وإنْ هم ضيَّعوا مبذولَ نفسي فيانفسي كفى عُذراً وطِيبي
حُرِمْتِ المالَ قُوَّةَ مستعزٍّ ولكنْ نلتِ اعجازَ الأديبِ
وهذي الشمسُ يُطفئها مغيبٌ وما شمسٌ أضاتِ الى مغيبِ
وشعرُكِ سيدُ النغمات حَيٌّ اذا ما مات لحنُ العندليب
وكم تسمو العُروشُ بلا ملوكٍ فتفنى دون مُلكِ للَّبيبِ

وليس الخُلدُ مايُشرَى بمالٍ ولكنْ غايةُ العقلِ النَّجيبِ
فعيشي في جهادكِ دون بثٍّ ورُدّي بهجةَ الأدبِ الجديبِ
وزيدي العلمَ إشعاعاً ودُومي جلالاً لن يكونَ لمستريبِ
وكوني قدوةَ الأحلامِ دفعاً وحربَ الجُبنِ في اليوم العصيبِ
وحولكِ هذه الدنيا نعيمٌ فما معنى الشكاةِ أو النحيبِ ؟!
ومن فُرَصِ الحياة بكل يومٍ نداءُ الصِّدقِ للسبقِ المُجيبِ
وما كان الفلاحُ بغير حزمٍ قرينِ الدَّأبِ والأملِ الخصيبِ
فخلّي للعثور بكاءَ حظٍ وصُدّي الدَّهرَ بالرأي المُصيبِ
وسيري باليقين الى حياةٍ ولو خُضتِ العَنِيَّ من اللهيبِ
فما مجدٌ سوى الباقي لفكرٍ وليس المجدُ بالمالِ السَّليبِ

وجدان الشاعر

إنْ تسألْني عن تَبياني
فاسأل أيضاً عن وجداني
ليس نظيمي نظمَ بَناني
إنْ هو إلاّ بعضُ جَناني
لُغَتي فكري بين أغاني

لم تُفسِدْها بِنتُ الحَانِ
غَنيَتْ وزَهَتْ مِنْ ألحاني
رجحتْ صِدْقاً في أوزاني
وسَمَتْ قَدْراً حول مَعَانِ
لم يَصقلها غيرُ حَنَاني
في بهجتِها حُسنُ أمانِ
ولها بَحْثي مَبْدأً سانِ
في اصلاحٍ في احسانِ
في تهذيبٍ في اتقانِ
بينا الحاسدُ يَجْحَدُ شاني
لكنْ حسبي قلبي الهاني
وكفى قدري شعري الباني
يرفع رأساً للانســــــانِ



ذكرى بيتهوفن

أعظم عظماء الموسيقيين في الغرب وأوفرهم شقاء (١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٠ — ٢٦ مارس سنة ١٨٢٧)

أيُّ ذكرى لنا وأيُّ جِراحِ   أشعرَتْنا الجوى ومعنى النُّوَاحِ
أيُّ رزءٍ لنا وفاتك فيهِ   ذهبتْ خُلسةً بسرِّ الصباحِ
فقدتْ بعدك (الطَّبيعةُ) إشما   عَامِن الحسِّ والذكاءِ الصُّرَاحِ [1]
فقدتْ رائيَ الحياةِ بألحا   نٍ حكَيْنَ الأسى وعَصفَ الرياحِ
فقدتْ واصفَ الوجودِ وإنْ عَـ   ـزَّ على العقلِ والبيانِ المتاحِ
في لغاتٍ من الغِناءِ صِحاحٍ   تيَّمتْ أكرمَ النفوسِ الصِّحاحِ

***

ياعظيمَ الألحانِ يا كابرَ النَّفْـ   ـسِ [2] ويامَعقِلاً كثيرَ النواحي
عِشْتَ تشدو بنغمةِ الكَوْنِ للنَّا   سِ شقيَّ المنى جسيمَ الكفاحِ

---

(١) كان بيتهوفن يستوحي الطبيعة قبيل تلحين أناشيده أو أثناء تلحينها وكان يعرض نفسه من أجل ذلك لتقلب الجو والعواصف ، كأنما يجد فيها صورة تماثل نفسه الحزينة المضطربة فتعاونها على مجهوده الفني الذي كثيراً ما مثل أغاني الشقاء .

(٢) لقد كان بيتهوفن حقاً عظيم الشمم شريف النفس يعرف معنى الكرامة ويجل فنه ومقامه ، وقد كان عظيماً كذلك في مكافحته بؤسه .

لم تدعْ صورةً من الخلق لم تظـ ـفرْ بلحنٍ لدى هواك المباح [1]
راسماً راوياً تبلّغ بالصّوْ ت فنونَ الأوصاف والأوضاح
في سفوح الجبال في وحدة الغا ب ومن مشهد الرّبى والبطاح
في دويّ المياه من نهرها الجا أش بالشعر في انسكاب السّماح
في اضطراب الأمواج يرشقها النّو رُ فتهوي صريعةً من جراح
في مناجاة نظرة (الرّين) إذ يبـ ـدو جديراً به افتتانُ الملاح [2]
كلُّ هـذا وغيرُ هـذا تملّيـ ـتَ حزيناً كبلبلٍ نوّاح
وجعلتَ النُّواحَ من قلبك الشا كي رسولا يخصُّنا بالرّباح [3]

✡✡✡

أَسِفَتْ نفسي على نبوغك في البؤ س شقيُّ الإمساء والاصباح
ساخطاً ثائراً على العـالم القا سي كبير الحجى كبير الصّلاح [4]

---

(١) تعد السونيتات والسمفونيات التي وضعها بيتهوفن من جوامع الاناشيد والاغاريد لصور الحياة والوجود بحيث يستغرق فهمها عمراً بل أعماراً !

(٢) هكذا كان بيتهوفن يقضي أوقاته في تضاعيف الغابات وبين المروج وعلى ضفاف نهر (الرين) وعند سفوح الجبال ناقلا بلغة الغناء تأثير ماشاهده ومعناه فتنة للسامعين .

(٣) اشارة الى ألحانه الحزينة الناشئة على الاخص عن آلامه من اقبال الصمم عليه .

(٤) كان بيتهوفن كبير الحجى حقاً كما دلت على ذلك بطولته في مكافحة

تغتدي هائماً على الجبـل الشا ... مخ مستوحياً أغاني الرَّواح[1]
يقصف الرَّعدُ بينما أنت والغيْ ... ثُ رفيقا مودَّةٍ وارتياحِ
فتحيلُ الأحداثَ أنغامَ وجدا ... نِ شجيٍّ معذَّبٍ غير ضاحِ
وتقصّ البيانةُ السحر إلهـا ... ماً كثير المنى كثيرَ المناحي
فتولَّى الصِّبى ولم تجْنِ منـه ... غيرَ فقدانِ مسْمَعٍ مُستَباحِ[2]
لهفَ نفسي عليكَ إذ يُمنَحُ السَّمْ ... عَ نؤومٌ ويُحرَمُ السمعَ صاحِ
ليت شعري أيُحْرَمُ الفنَّ فنّا ... نٌ ويحظى به الجنيبُ الإباحي؟!
قُدُسِيُّ الأنغامِ من عقلك الفذْ ... ذِ حقوقٌ لعقلكَ المنَّاحِ
والرحيقُ الذي وهبتَ الى الأسْ ... ماعِ أحْرَى بمسمعٍ منك لاحِ[3]
والغرامُ الذي رفعتَ على الدُّنْ ... يا خليقٌ بمدمعٍ سحَّاحِ

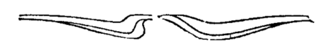
آلام مرضـه وآلام تعاسته ، وكما دلت حادثة اشمئزازه من نابليون الاول (بعد أن لحن له « نشيد البطل ») لما توج نابليون نفسه بدل ان يعيش خادم الشعب الجمهوري . وكان بيتهوفن كبير الصـلاح نقي السمعة حتى كانت فضيلته السامية موضع السخر بين أوساط أهل « النبل » في ذلك الوقت .

(١) الرواح : وجدان السرور الحادث من اليقين . وقد كان بيتهوفن رغم ثوراته النفسية من آن لآن عظيم الايمان عظيم الصبر .

(٢) اشارة الى مصابه بفقد سمعه في شبابه . والبيانة : *Piano* . والمناحي : الطرق . وغير ضاح : غير بارز للشمس : مظلم .

(٣) لاح : لائم ساخط .

كانَ كلُّ العزاءِ للمُبْدِعِ الشا قي ولكنْ أبى ضئيلَ النُّفاحِ
أنتَ أحييتَهُ فما برَّ بالخا لقِ بل كان كالجحودِ الوَقاحِ (١)
يا مُغيثَ الانسانِ لم يُمطِكِ الانسا نُ في العيشِ ما سوى الامتداحِ
لم تنلْ مُتعةَ الحياةِ من الحُبْ بِ ولا السَّمع لاولا الانشراحِ
ومُنِحْتَ الاسقامَ والبؤسَ والو جدَ جزاءً من عالَمٍ في مِراحِ (٢)
هكذا فاتك الجمالُ مع الحُبْ بِ ورُوِّعْتَ جاهداً في صياحِ (٣)
هكذا هكذا المهازلُ في الدُّ نيا مُصابُ الأحقِّ بالأفراحِ
فتركت الفناء للخلد جذلا نَ كأنَّ المماتَ معسولُ راحِ
وقضى الدَّهرُ أنْ تكونَ البواكي قبلَ خلقٍ أزاهرُ الأقاحي!



(١) إشارة الى نكبته في غرامه ، وهو هو صاحب الاناشيد التي فيها غذاء الحب ومتعة الوجدان .
(٢) المراح اسم من مرح اذا اقترن الفرح بالاشر والبطر .
(٣) اشارة الى نوبات جزعه بل جنونه أحياناً من اليأس والعزلة والحرمان وسخطه على مهزلة الحياة .

الطبّ والشعر

يا زاجري عن شِعْرِيَ الحسّي — مَنْ أنتَ في حُكْمٍ على نفسي؟!
طِبّي وعِلْمي ماثلا أدبي — متنظّرين[1] حقائقَ الحِسِّ
أتلومُ إبداعي – ولا مَنٌّ – — للعقلِ والآدابِ والطِّرسِ؟!
هل كان فرضُ الشعر موهبةً — للجهلِ أو لِلّهوِ والكأسِ؟!
ومُحرَّماً أبداً على نفرٍ — علموا وُجوهَ العِلْمِ والحَدْسِ؟
فَحَصوا الوجودَ ومزّقوا حُجُباً — عن أبعدِ المجهولِ للأمسِ
مستوفقين العِلْمَ[2] دون وَنىً — بتنوّعِ التمحيص والدَّرْسِ
وموفّقين لدى مشاعرهم — بين الفنون، وكُنَّ في يأسِ
إنّي الصغيرُ وإنّما أدبي — منظومُ ما تزهى به رأسي
مِنْ نور إنساني ومن تعبي — بحثاً ومن غَرْسي ومِنْ قَبَسي
أتروم تعذيبي وفي طرفي — ما زاغ عن كتمٍ وعن حبسٍ؟!
وأنا الذي أشتام[3] في نظري — الجوهرَ[4] المعدومَ للّمسِ

---

(١) متأملين.

(٢) سائلينه التوفيق.

(٣) أقدر.

(٤) الجوهر أو الذريرة: atom، ويشير الناظم الى ما اثبته البحث العلمي الدقيق من أن الذريرة عالم شمسي صغير مدهش.

قَدْ صِيغَ صَوْغُ[1] الشمسِ في مُثُلٍ   جمعت نظامَ كواكبِ الشمسِ !
قُمْ سائلْ الاطلالَ مغتبطاً   واتركْ لوجداني مُنَى أُنسي !
أرْضَى (الطبيعةَ) حاكماً عدلاً[2]   جنْبَ (الحجى) وعلى بني جنسي
و (عوالِماً) ناجيتُها طرباً   ونظمتُ ما أوْحتْهُ في همْسِ !
وعدَدْتُ نفسي بعضَها ، فأنا   حيٌّ بها في العيشِ والرَّمْسِ !

النعمتانه

نظرة وابتسامة

أنشودة الى حسناء أديبة

نبِّئيني   نبِّئيني   قصةَ (المرئيا) العجيبهْ
إنمـا   تُغني حنيني   نظرةُ الرُّوحِ الاديبهْ !

* * *

لا تبوحي بـكلامِ   إنَّ في عينيك شِعْراَ
ومَلاماً لمـلامِ   منْ مُحبٍّ ردَّ عُذْراَ

(١) يقال هو صوغ أخيه أي ولد معه . وهما صوغان أي متماثلان في الميلاد وغيره ، والصوغ أيضاً ما صيغ . (٢) أي عادلا .

* * *

أنظُري يانور عيْني أنظري يانورَ نفسي !
كم معانٍ غِبْنَ عنّي قبل أن أسديتِ أنسي !

* * *

وابسمي (كالشمس) لما كوّنتْ هذي الحياهْ !
فانتشى قلبٌ وهمّا والتقتْها الشّفاهْ !

* * *

أنتِ (دنيا) في شُعاعٍ ! أنتِ (أخرى) في ابتسامْ !
كيف أبقى في التياعٍ ومحياكِ السلامْ ؟ !

* * *

ليس لي شأنٌ برانٍ يرصد (المريخَ) [1] ليلاَ
أنت لي (الزهرةُ) لكنْ رصدُها بالصُّبح أوْلى !

* * *

فابسمي واحكي نشيداً من أغاريدِ الوجودْ !

---

(١) نظمت هذه الابيات مساء ٤ نوفمبر سنة ١٩٢٦ م — ليلة اقتراب (المريخ) من الارض واهتمام الناس برصده .

وامنحي عيداً سعيداً من محياك الوَدُودْ !

* * *

لقّنيني يانعيمي نغمةَ (الدنيا) بنظرَهْ

وانشري لطفَ الرحيمِ تعطي (الأخرى) كزهرهْ!

أقصى الظنون

أقصى الظُّنونِ وُجودي اصلُهُ العَدَمُ
ومنْ عجيبٍ وُجودي ليس ينعدِمُ[1]!
في ذمَّةِ الصَّامتِ الماضي البعيدِ وما
تُخفي العصورُ هدًى هيهاتَ يُغتنَمُ
مرّتْ ملايينُها لمحاً كثانيةٍ
وخلَّفتْ حيرةً كبرى لمن فهمُوا
ما الخَلْقُ ؟ ماهذه الدُّنيا ومَنشؤُها ؟
ما الفِكرُ ؟ ما الجوْهرُ الباقي؟وماالعدَمُ ؟

(١) العدم : الفناء . وهي عصرية الوضع ، وكذلك ينعدم .

مَسائلٌ هي للأحقابِ باقيةٌ
كما سيَبقى الرَّدى والشكُّ والالَمُ
أجَلْ فَرْضٍ لها وَهْمٌ ، وأيسَرُهُ
وَهْمٌ ، وقد يستوي الدَّهماءُ والعَلَمُ !
قَنِعْتُ مِنْ نشأةِ الدُّنيا بصُوَرِها
في الذِّهنِ كالحُلْمِ ، لولا أنها (١) حُلُمُ
وثُرتُ آنًا على عقلي وضَيْعَتِهِ
بين الظُّنونِ التي قد عافَها القَلَمُ
وما أَبحَثُ سوى تخليد ما نَطَقَتْ
به المَشاعِرُ عن وَحيٍ له كَلِمُ
أُحِسُّ انّي قَرينٌ لِلْوُجودِ وهل
يُفْني الوُجودُ قرينًا ليس ينفصمُ ؟
وما حياتي ؟ أليستْ بعضَهُ وبها
من رسمِهِ صُوَرٌ شَتَّى لمن رَسَمُوا ؟
مِنَ الشُّعاعِ ، ومن هذا الهواء ، ومن
مَوْجِ الاثيرِ جرى فيها هوًى ودَمُ !

---

(١) أي الصورة الذهنية .

اذا تأملتُ فالامواجُ تُسعفني
وان تغنيتُ فالأمواجُ لي نغمُ !
كُلّي شؤونٌ من الذرّات تربطها
بالعالمِ الاكبرِ الأسبابُ والنُظُمُ !
ففي حياتي شعاعٌ مِنْ جلالتها
وفي المماتِ مَصيرٌ سِرُّهُ عِظَمُ !
اللهُ أعلمُ ، هل روحي سوى قَبَس
من الكواكب لا تودي به الظُّلَمُ ؟!
عواملُ الكونِ تزجيها وتجذُبُها
وأصلها بينما ينحلُّ يلتئمُ
تمتدُّ في مُثُلٍ توَّاقةٍ اعلى
ويعشقُ النورَ ما تهدي ويقتسمُ
يكادُ يُقسم وجداني بأنَّ له
في الكونِ مُلكاً رحيباً كلُّهُ خدَمُ
جمُّ المناجاةِ (١) لا يَعصيه مستمعٌ
لصوتِ نجواهُ حتى الصخرُ والاجَمُ (١)

(١) أي الوجدان ، والاجم : الشجر الكثير الملتف ، وحتى حرف ابتداء أي حتى الصخر والاجم لا يودان مناجاته .

فليس تُرشده الاَّ مدارُكهُ
وليس تُلهيه أضغاثُ الأُلى زَعَموا[1]
وليس يزعجه مَوْتٌ ، وليس له
غيرُ الحنينِ لأشباهٍ له علوُا !

القلب الدامي

قالها الشاعر في هدية قلب بلوري صغير ارسل اليه ، نصفه أحمر اللون والنصف الآخر أصفر.

أهديتِ تمثالَ الفؤاد الدَّامي قلبًا من البلّور رَفَّ أمامي
في نصفهِ لونُ النَّجيع مخضِّبٌ آمالَه ، وبنصفهِ آلامي
أعطته لونًا من ذبول سعادتي[2] وكسته من شجني[3] ودمع غرامي[4]
فرأيته المتلألىءَ الباكي أسىً الشاحبَ الذاكي بلفح ضرامي
«من أنتَ يا أملي» ؟ فقال معاتبًا « أنسيت قلبك في مقام هيام؟!
أو لم أكن منك الرسول لقلبها ولقد جُرحت فعدتُ في أسقامي؟!»

(١) أباطيل الواهمين .
(٢) اشارة الى الصفرة .
(٣) اشارة الى الحمرة .
(٤) اشارة الى التلألؤ .

فوضعتُه فوق الضلوعِ فزادني حساً ، وحرّك بالخفوق أوامي
فعلمتُ كيف رددتهِ براً لكيْ يوفي رسالته الى أحلامي
متزوّداً من بعض قلبِك - إنه روحي ، وانْ طُبِعا على الآلام !

سيد درويش

نابغة الموسيقى المصرية وفقيدها

أوحيتَ واستوحيتَ أبدعَ ما شدا ... في (مصر) بلبلُها فغنّى (النيلُ)
وبكلِّ لحنٍ مطلَقٍ لك نغمةٌ ... حنَّ الجمالُ لها وأصغى الجيلُ
مختارةٌ مما تراه بدائماً ... هي للجمال رسالةٌ ورسولُ
نشأتْ مناظرَ ثم صارت فتنةً (١) ... للسامعين كأنها التنزيلُ
هي نفحةَ الأرْواحِ من ملكوتها ... وبها دليلٌ مُسعِدٌ ودليلُ
نُصغي لها فنشيمُ عند سماعها ... صُوَرَ النعيم الى القلوبِ تميلُ
كم من مشاهد كنتَ تستوحي بها ... هذا البيانَ يزُفُّه (جبريلُ)
فترى الطبيعةَ فيه غيرَ بخيلةٍ ... ولكلِّ صوتٍ رحمةٌ وجميلُ (٢)
ما ذا جنينا اذْ رحلتَ معجَّلاً ؟ ... فكذا الربيعُ عقابُه التعجيلُ !

---

(١) اشارة الى عادة الفقيد في استيحاء المناظر الطبيعية عند نظم موسيقاه.
(٢) جميل : فضل واحسان .

حسدوكَ في بؤس الحياة وهاهمو حسدوكَ بعد الموتِ وهو نبيلُ
موتٌ تزيد به الحيـاةُ تألّجاً والنّورُ في اللّيلِ البهيمِ جميلُ
أسفي عليك.. كذاك لي أسفٌ على بُعدي.. فحقَّ بنانكَ التقبيلُ
ستعيش ماقدَرَ النبوغَ مغرّدٌ فينا وما عرفَ الجليلَ جليلُ!

صور وأنغام

أمتعْتُ من فجرِ (الرّبيعِ) الهامي[1] قلبي المَشُوقَ لفتنةِ الإلهامِ
ورنَوْتُ للامّ (الطبيعةِ) باسماً فاذا الحُنُوُّ بثغرها البسّامِ
رفعتْ نقابَ الليلِ عنها وازدهتْ ببدائعِ النقّاشِ والرسّامِ
وبدتْ تُغرّد للخواطر والنُّهَى بتنوّعِ الفنّانِ من أنغامِ!
الطّيرُ كان مؤذّناً بصلاتها ثم استزاد هُدًى فكان إمامي!
فتلوتُ من قلبي القرير عبادتي وشَربْتُ باللحظ الأسير مُدَامي!
وختمتُ مقبولَ الصّلاة بنظرةٍ تُهدي الى طَرَفِ المروجِ سلامي!

* * *

ثم استقلَّ الصُّبْحُ في ملكوتهِ بعواطفِ القلبِ الشجيّ الدّامي

(١) الهامي : الفياض بكرمه .

يأسو جراحاتِ الفؤادِ مجدّداً نِعَمـاً تُزيلُ دفينَة الآلامِ
فاذا الاشعةُ كالرجاء ليـائسٍ تختالُ في صُوَر الجمال أمامي !
واذا النَّدى فَوْقَ الأزاهرِ عابثٌ بالنُورِ لا يخشى أقلَّ مَلاَمِ !
ويُذيبُ مُهْجتَه بغيـر تردُّدٍ ما بين ثغرٍ للنَباتِ وجامِ
والنَّحلُ ترقصُ حولَه في مَلْعَبٍ وتقصُّ نَجْوَى الُحبّ والاحلامِ
أوْحَتْ لشعر (البحتريّ) جَمَاله وشـدا بما غنَّت (أبو تمَّام)
واستاف (ماترلنك)من أنغامِها[1] صفوَ الغناءِ العذبِ للأفهامِ
والجدولُ الجاري بلحنٍ دائمٍ يرْعَىٰ الحقُولَ رعايةَ الأيتامِ !
ويبوحُ حينـاً بالغرامِ لزهرهِ وهُنيهة يأبى فصيحَ كَلاَمِ
ومُمَوَّجُ الزَّهْرِ النضـير مقبلٌ في الماءِ صُورةَ حُسْنِهِ المترامي !
ورقيقةَ النَّسماتِ تعبَقُ بالهوى وتبثُّ ما حملتْ الى الاكامِ
عطفتْ عليَّ كأنَّما شعُرَتْ بمـا يُبدي وما يُخفي أصيلُ غرامي !
وكأنَّ شعري عاد (بابن خفاجة) أو (بابنِ حمديسٍ) فقام مقامي !
أو أنَّ (رُمْني)[2] قدأباحَ لخاطري في الوَصْفِ سِحْرَ النَاقشِ العلاَّمِ !
فَحنَتْ عليَّ وأكرمتْ برّي بها ونَضَتْ عن الآياتِ كلَّ لثامِ

---

(١) شاعر بلجيكا العظيم ، مؤلف كتاب « حياة النحلة » . ولد سنة ١٨٦٢ م .

(٢) هو النقاش الانجليزي الشهير (١٧٣٤ م — ١٨٠٢ م) .

فاذا المَشَاهِدُ فتنـةٌ لاتنتهي وبِكلّ مسموعٍ دليلُ هيامي
وتكاد أُذني تُدركُ الهمسَ الذي
تُفْضِي به الأعْشَابُ بين رَغَامِ [1] !
وعواطفًا شَتّى وإنْ خفيتْ ، فما تخفى أمام نوافذِ الاحلام [2] !
في كلّ مشهودٍ أراها حَيَّةً حتى بمخضلٍّ من الآكامِ [3] !
وأنا الصغيرُ وإنما حِسّي الذي ناجَى ، ففات الكابرَ المتعامي
فجميعُ ذرات (الطبيعة) ملجا لهوايَ أو لحجايَ أو لسلامي
فأبثُّهـا ظَمَئي وأنهـلُ بِرَّها وأعُدُّ في إكرامِها اكرامي!

السعادة

وفلسفة سقراط

نقـدتُ نفسي بنفسي ورُبَّ نَقْدٍ عِبَادَهْ !
فشِمْتُ [4] أجْهَلَ فَرْدٍ للجهلِ ألْقَى قِيـادهْ !
وكنتُ أَحْسَبُ أني مَنْ نالَ عِلْمًا وزادَهْ !
واحسـرتاه لقابٍ أضاعَ عندي اجتهادَهْ !

(١) الرغام : الرمل : (٢) الاحلام : العقول . (٣) التلال الندية .
(٤) شمت : لمحت .

عُمـري تقضَّى بِجَهْلي ففيمَ أُبْقي اعتدادَهْ ؟

* * *

لكنْ لعـلَّيَ قاسٍ في الحـكم عن غير عادَهْ
فإنَّ عرفانَ جهْلي عِلْمٌ كثيرُ الإِفادَهْ !
وإنَّ فَحْصِيَ نفْسي فَضيلةٌ مُستفادهْ
لولا بُحوثي وشكِّي لما عرفتُ (السعادهْ)
كأنَّ (سقراط) أوحَى الى فـؤادي فـؤادَهْ !

* * *

أمَّا (السعادةُ) عندي فـلذَّةٌ مُستعـادَهْ
قالوا القناعـةُ منها وأنَّ منهـا السيـادَهْ
وقد أصـابوا، ولـكنْ لهـا دَوَاعٍ وقَادَهْ
العامـلون لخـيرٍ المبتغون الإجـادهْ
القـانعون بعيشٍ للنفْعِ لا للبـلادَهْ
الرّاضخـونَ لحـقٍّ عن راحةٍ مُستفَادَهْ
يَبْنُونَ لا قَصْدَ زَهْوٍ ولا لأجل الإشادَهْ
لكنْ وُلُوعًا بِخَيْرٍ (فالخيرُ) أصلُ (السعادهْ)

سلطانة تنتحر

روت الصحف المصرية الصادرة في أول سبتمبر سنة ١٩٢٦ نبأ خلاصته أن السيدة (سنية) حرم المغفور له السلطان (وحيد الدين) سلطان تركيا السابق ألقت بنفسها في النيل طلباً للانتحار ، تخلصا من بؤسها بعد ضياع عزها وسلطانها السابق ، وكانت وفدت على مصر منذ ثلاث سنوات فعانت ضيقا شديداً ، وأخيراً اضطرت الى الالتجاء الى (ملجأ الغرباء) بالقاهرة . ثم تغلبت عليها دواعي اليأس فالانتحار ، ولكن من حسن حظها أنها لما ألقت بنفسها في النيل سقطت على ظهرها فحملها التيار مسافة طويلة دون أن تغوص في الماء الى أن قيض الله لها نوتيا انقذها

***

اللهَ في ذاك الجمالِ الثائرِ اللهَ في الحظِّ الكبيرِ العاثرِ

خلع الزّمانُ القاهريه بسيفهمْ واليومَ يقهر أيَّ حسنٍ قاهرِ

وكذا الحياةُ تناقضٌ بتآلفٍ وكذا السلامُ مخاطرٌ بمخاطرِ

مَنْ مُرجعي الأمس ضحّاكَ الضُّحى جمَّ التألُّقِ من فنونِ جواهرِ

لا أبثّه أقسى العتابِ فانَّه جازى أحبَّتَه جزاءَ الغادرِ

وكأنَّه نَسِيَ العُهودَ يزفُّها للملكِ والسُّلطانِ غيرَ محاذرِ

يَهَبُ القصُورَ الباذخاتِ من الحُلى معصومةً مرن نظْرَةٍ ونظائرِ

تَهَيَّبُ الأبصارُ طلعةَ حسنها وتشوقُ ذكراها غرامَ الذاكرِ
ويخصها بنوافذٍ كمنائرٍ ومناظرِ الجنّاتِ بَعْدَ مناظرِ
واذا الحسانُ بها جمالٌ خالقٌ قد فاق وصفَ الحورِ عند الحائرِ
واذا جواريها النَّضارةُ والصِّبا مُلِّكْنَ حُكْمَ عقائلٍ وحرائرِ
يرفلْن في وشي النعيم مجدَّداً كتجدُّدِ الروضِ البهيجِ النّاضرِ
في الطَّوْعِ ، لكن في مناعةِ دولةٍ في الأسرِ ، لكنْ نِلْنَ لُبَّ الآسرِ
يتطلّع (البسفورُ) في زيناته لتأمُّلِ الحسنِ الأعزِّ السافرِ
وترفُّ فاتنةُ الهضابِ كأنما هي (الطبيعة) ناطقاتُ منابرِ
تُلْقي التحايا نحوهنَّ بواسماً فتنالُ اعجابَ الجمالِ الشاكرِ
فتردُّ هـذا الشكرَ للدنيا سناً في الرسمِ ألوانًا وشعرِ الشاعرِ !

***

ماذا دهى ذاك الجلالَ وما لَهُ ولَّى كما ولَّتْ هواجسُ خاطرِ ؟!
وكأنما ما كانَ مُلكٌ يُرْتَجى يومًا ولا ربّاتُ قصرٍ زاهرِ
وكأنما قد كان حُلماً رائعًا فمحتْهُ كالأوهامِ رُقيةُ ساحرِ
لم يلقَ في يومِ الفداءِ مُدافعًا عنه ، ولم تُسْعِفْهُ نُصْرَةُ ناصرِ
قال (الزمانُ) وقد تَسمَّعَ صيحتي :
« مَنْ أنتَ ؟ هل أُنسيتَ حُكْمَ شعائري ؟

الجندُ والمُلْكُ العظيمُ وأهلهُ لا شيء إنْ هاجمتُهم بمساكري!
وشريعتي الكبرى البقاء لكابرٍ وشريعتي الصُّغرَى الفناء لصاغر
إياك أن تُغْرَى بطعني مرةً فأنا أبوك فهل تكونُ الزّاجري؟!
ولو انتبهتَ رأيتَ ألفَ فضيلةٍ فيما تلومُ وكنتَ أنتَ العاذري
أبْني وأهدم في اطراد دائمٍ فترى المآثرَ تاليات مآثرِ
أُعطي الوجودَ لعارفي خيراتِهِ والمصلحين المنقذين ذخائري
ولربما جرَّبْتُ غيرَ مُوَفَّقٍ فأعودُ للتكفيرِ غيرَ مكابرِ!»

***

رنَتْ (الطبيعةَ) في ذُهُولٍ نحوها
وقدارتمتْ في (النيلِ) بين زماجرِ (١)
فارتدَّ عنها المَوْجُ ـ ردّةَ مُؤْمنٍ بالحسْنِ لا القَدَرِ العَتيّ الآمرِ
وتجاوبتْ صُوَرُ (الطبيعةِ) بالأسى
في مثلِ لَمْحِ خواطرٍ ونواظرِ
حُمِلَتْ على الماء الشجيِّ وجسْمُها الطُّهْرُ مرفوعٌ بعرشٍ طاهرِ
النُّورُ والنَّسَماتُ والماءُ الذي فيه الحياةُ حيالَها كبشائرِ
والموتُ مخذولٌ أمامَ جلالها وأمامَ طرفِ (الطبيعةِ) ساهرِ
كم كان هذا الموتُ طَوْعَ بنانِها لكنَّها عفَّتْ عفافَ القادرِ

---

(١) جمع زمجرة — اشارة الى صوت الامواج وصخبها ·

فاذا الجزاء لهـا جزاء مآثرٍ ... واذا المـآلُ لها مآلُ مفاخرِ

***

حُمِلَتْ على التَّيارِ وهو مُجاهِدٌ ... لِنَجاتِها يجري بخِفَّةِ طائرِ

فاذا العنايةُ أرسلَتْ لرجائها ... شَهْماً ،وأودَتْ بالرَّدى المتقاطرِ

وكأنَّه الغوَّاصُ لـكنْ حظُّهُ ... أن يلتقي بالدُّرِّ اِقْيةَ عابرِ !

الخالقُ الرَّحمنُ رقَّ لحالها ... وأجابَ تَسآلَ الفؤادِ العامرِ (١)

وأقلَّها اسلامةٍ وكرامةٍ ... أولَى بجمعِ أحاسنٍ وأزاهرِ

رَجَفَتْ لنكبتها قلوبٌ جمَّةٌ ... وجرَتْ لعودتها شؤونُ محاجرِ

سُبْحانَ مُفنيها ومُرْجِعِها معاً ... وممثِّل الدُّنيا لِعِبْرةِ ناظرِ !

بالأمسِ كانت للعُلى سلطانةً ... واليومَ للنوتيِّ حظُّ الظافرِ !

كانت لها الأرواحُ طوعَ مشيئةٍ ... واليومَ بين مهالكٍ ومقابرِ !

لولا اختباري للحياة وما وعتْ ... ماقلتُ ذاكَ الأمسُ عينُ الحاضرِ !

(١) جاهرت السيدة (سنية) أمام المحقق « بأنها أقدمت على الانتحار تخلصاً من حياتها التعسة ، ولكنها لما قذفت بنفسها الى الماء وشعرت بيد المنية تدنو منها لتحملها الى الآخرة قدمت على مافرط منها وتمنت لو أن العناية الربانية ترسل اليها من ينقذ حياتها » . وهنا سكتت السيدة (سنية) لحظة ثم قالت : وقد أجابتني السماء الى صلاتي اذ بعثت الي بهـذا الشجاع الشهم فأنقذني — وأشارت الى النوتي الذي انقذها — وكم كنت أود لو كان مني ماأكافئه به » . . . وهنا نظرت اليه نظرة طويلة ضمنتها ما تكنه له من الشكر والاعتراف بالجميل . — عن مجلة (العالم) بتاريخ ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٦م.

***

إيهًا (سفينةُ) أنتِ أيُّ سفينةٍ   لم تَخْبُ في ظُلماتِ دَهْرٍ كافرِ

لم تجزعي الموتِ قدرَ خصاصةٍ   حرمتكِ من تقديرِ شهمٍ نادرِ

ماضٍ إذْ دعتْ المروءةُ بالنُّهى   والنفسِ في إنقاذِ رُوحٍ حائرِ

لو كُنتِ حاكمةً وَهَبْتِ له العلى   يَكفيهِ نَفْحٌ من سناكِ العاطرِ

تكفيهِ نظرتُكِ التي جمعتْ له   أسمى معاني الشكرِ غيرَ ظواهرِ

أبقى وأجدى من نضارٍ مُسْعِدٍ   أحلى وأبهى من حُلًى وأساورِ

ذكرى الطَّهارَةِ والنَّضارَةِ والسَّنا   أغنى وأفعلُ في شغافِ سرائرِ

عيناكِ في دَمْعَيْهما كم أشرقتْ   بالأمسِ من دمعيْهما للظافرِ

سُوَرُ الرَّجاء ... فلا تعافي بعضَه   لفؤادِكِ المحزونِ والمتناثرِ!

فمظاهرُ الدنيا اذا هي عُولِجَتْ   لم تُلْفَ غيرَ عوارضٍ ومظاهرِ

عَرِيَتْ عن الحسنِ الأجلِّ وإن بدت   حسناءَ للغرِّ الجهولِ الخاسرِ

وسعادةُ الدنيا القناعةُ وحدَها   ومصائبُ الدنيا غرورُ القاصرِ

ما الناسُ بين ملوكهم وجُمُوعهم   الاَّ مثالُ تحوُّلٍ لعناصرِ

دَيْنُ الفنَاءِ من الزمانِ مُصاحِبٌ   لجميعهم ، وجميعُهم لتناحرِ

والأسلمُ الأبقى العقيدةُ ، إنها   للنفسِ أيُّ غنًى ومجدٍ وافرِ!

ذكرى ٧ فبراير

ذكرى اعلان حق مصر

(في يوم ٧ فبراير سنة ١٩١٩ ألقى المستر برسيفال المستشار بمحكمة الاستئناف الاهلية خطبة قانونية الموضوع سياسية المرمى في دار « جمعية الاقتصاد والاحصاء والتشريع » في القاهرة بحضور وزير الحقانية ومستشارها ووكيلها وبعض أعضاء الجمعية التشريعية وكثير من رجال المحاماة أمام المحاكم الاهلية والمحاكم المختلطة ، داعيا الى تعديل قانون العقوبات المصري تعديلا يخرجه من صبغته المصرية الى صبغة انجليزية . وكان بين الحضور وكيل الجمعية التشريعية سعد زغلول باشا . فانتهز هذه الفرصة وقام فأعلن أن مصر لاتقبل تغيير نظمها بغير أن تشعر بالحاجة الى التغيير ، ثم استطرد فأعلن بصوت قوى جهوري أن الحماية باطلة لان مصر لم تقبلها ، ولانها كانت ضرورة من ضرورات الحرب ، وقد زالت هذه الضرورة فوجب أن تزول الحماية معها ، ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة . فيوم ٧ فبراير على هذا كان اليوم الذي تحددت فيه الغاية وأعلنت ، والبداية التي تلتها مباشرة أعمال الجهاد ، والصوت الاول الذي تلته الاصوات واجتمعت حوله وكان له الاثر الحاسم في النهضة السياسية الحديثة) .

***

مِن حُقوقِ العلَى وحقّ الأمانَهْ مَدْحُكَ اليومَ يا مُعلّي زمانَهْ

لم تشأ رُتبةَ الزّعامةِ الاّ بعدأن مَثّلَتْ حُقوقَ (الكِنانَهْ)

جُهْدُكَ اليومَ ذِكْرُهُ ذِكْرُ دَيْنٍ سرمديٍّ ، ونفْحةٍ من دِيانَهْ !

أنتَ أنتَ الذي بعثتَ من الرَّمْسِ رجاءً بصيحةٍ رنّانَهْ
خلفَها قوّةُ العقيدةِ منْ حبِّ الشعبِ اليكَ ألقى عِنانَهْ
خلفَها أنبلُ الرجاحةِ إقداماً لمن يقتدي المدى أوطانَهْ
خلفَها غضبةٌ من اللهِ للعدْلِ اذا البغيُ كاد يُفني كِيانَهْ
قد تكفّلتَ من وُثوبكَ إبداناً (لمصر) بِسترِّ الكيانَهْ (١)
قد تكفّلت بالتيقُّظ (ياسَعْدُ) لشعبٍ وهبْتَهُ وجدانَهْ (٢)
أنْصتَ الدهرُ شاكراً ذلك الصوْتَ الذي تعشق العُلى تحنانَهْ !
أنْصتتْ حولك القرُونُ باكبارٍ وفي مُبجّلٍ عنفوانَهْ (٣) !
ذكرتْ مبدأ الحضارة في الدُّنيا ومجداً ودولةً فينانَهْ (٤)
ذكرتْ نسل مَنْ قضوا دون مُلْكٍ مِنْ فخارٍ مخلّدٍ بنيانَهْ !

***

إيهِ يا مبعث التأمّلِ والعزْمِ وحزْمٍ بعد الهوى واستكانَهْ !
أنتَ يومُ النُّشورِ في ذلك الأمْسِ وذِكْرى مآثرٍ مُزْدانَهْ
عِيدُ ذكراكَ عيدُ رجْعٍ الى البعْثِ وللجِدّ بعدعهدِ المجانَهْ (٥)
واحترامٌ لضربةِ الحقّ للظُّلْمِ وقد صالَ مُعلِناً سلطانَهْ !

(١) الكيانة : الكفالة . (٢) وهبته نفسه وقواه الباطنة .
(٣) عنفوانه : زمنه الاول . (٤) متفرعة جميلة .
(٥) المجانة : الهزل . والاستكانة : الذل والخضوع .

هكذا تفلحُ الشَّجاعةُ في الرأ ي اذا الرأيُ لم يَفُتْ إبـانَهْ

ويهزُّ القويُّ إن يَعْصِهِ المَغْ لوبُ عِصيانَ مَنْ يعادي هَوَانَهْ

هكذا هكذا التأهُّبُ للطعـ نِ بضمِّ القوى ونَـبْذِ الخيانَهْ

هكذا تُقْهَرُ الصعابُ وإنْ جلَّ تْ ولا يُصغِرُ المهاجمُ شانَهْ

فاقتحامُ الصِّعابِ للمطلبِ الأسْ مَى مُحالٌ لنـاسجٍ اكفانَهْ

مَنْ يرومُ الحياةَ لن يَعْدمَ العيْ شَ ومَنْ خاف ماتَ مَوْتَ المهانَهْ!

***

دُمتَ للذكرِ والمحامدِ يا (سَعْ دُ) جلالاً وسيرَةً فتّانَهْ

يَقْبِسُ الشِّعْرُ كالسِّياسةَ والآ دابِ منها ريْحانَهُ وبيانَهْ



الشفاء

وصف اغنية الحبيبة في عيادة عاشقها المريض

ردِّدي أحلى الاماني رَدِّدِي وانْهَري يانُورَ عيني كَمَدِي!

أنتِ راحُ النفس في أحلامِها فلتكوني رحمـةً للجسدِ

طال سُهْدي بين حُلْمٍ زائل يبعث السَّلْوَى ونار الجَلَدِ

حُسْنُكِ الاعجازُ، فلينفِ الاذى عن وفيٍّ بات كالمُفْتَقَدِ

أرجعيني لوجودي ... لا أرى غيرَ هذا السّحر فيكِ مُوجِدي!

نظرةُ البرّ لروحي وَقْعُها ... وَقْعُ أنداءٍ على زهر صَدِي !

ردّدي أبهى المنى في نغمةٍ ... يشتهيها (صادح) الغصن النّدي

يشتهيها (العودُ) أيضاً مثلما ... يشتهي سُقمي وسمعي[1] عوّدي !

زُرتني يامهجتي عائدةً ... وفؤادي المُرتجي لم يَعُدِ !

غفرَ اللهُ له إعراضَه ... وله العذْرُ ولَوْمُ الحَسَدِ[2] !

ولهذا السُّقْمِ شُكري ، إنه ... لَخَليلٌ حارسٌ مُعْتَقَدي[3]

ووفيٌّ ردّ لي رُوحَ الهوى ... شائعاً في النَّفَسِ المردَّدِ !

فآبْسِمي يانِعْمَتي آسيةً ... وآمنحي طِبَّ (الهَزَار) الغَرِدِ

ليستْ الألحانُ من حَنْجرَةٍ ... بل حياةٌ عُمْرُها كالأبدِ !

تُنصِتُ الدُّنيا لها كاسبةً ... مثلَ كَسْبي من معاني الرَّغدِ

وتَفِيني[4] من شفاءٍ قبل ما ... أشتفي من فضلِ طِبٍّ في يدي !



(١) نظراً لاستماعه أغانيها اثناء عيادتها اياه في سقمه .

(٢) أي اللوم الناشيء عن الحسد لبقاء فؤاده لديها ، وليس اللوم الحق .

(٣) أي دين الحب الذي أدى السقم الى رعايته بزيارتها اياه .

(٤) من وفي النذر بمعنى أبلغه .

فتنة الغناء

أبيات ارتجالية ترحيباً بالآنسة ام كلثوم في حفلة غنائية خاصة

ابعثي للحياةِ سرّاً دفينَا وانشري نغمةَ المحبّة فينَا
وابسمي أولا لنشهدَ ألوا نًا من الفنّ تخلبُ الناظرينَا
وانظري نظرةَ الخلود الى الار واحِ حتى تكون في الخالدينَا
ثم غنّي لنا الشفاءَ الذي يأ بَى شفاءً ويخدع العاشقينَا
يا حياةَ الغناء يا كوكبَ الفنّ أعيدي لنا المُنَى والانينَا
ثم عُودي وشنّفي أعذبَ الاحـ لام حينًا ، وأنصفي الشوقَ حينَا
هكذا نِغْمةُ الوجود استماعٌ لَعَزاءٍ يجـــــدّدُ العالَمينَا
نَغْمةٌ ثم سَكْرَةٌ ثم حلْمٌ وضحايا الاحلام والحالمينَا
ردّدي آيةَ الهوى (أمّ كلثو مَ) وعيشي (لمصر) سحراً مبينَا
(مصرُ) مَهْدُ الاعجاز والسّحر والفنّ فهاتي وأنصفي الأوّلينَا
واعتلي المسرّح الذي حنَّ ا كبا رأَلكِ اليومَ واستحقَّ الحنينَا
أنتِ أسمى للفنّ من مُتعةِ النا س اذا الناسُ قصّروا عابدينَا
ثم أولى بأ كمل الوحي والاشـ راقِ في مَسْرَحٍ يزفُّ الفنونَا
أشرقي! أشرقي! غناءً وتمثيـ لاً ، ونوراً ، وجنّةَ المؤمنينَا!

محمد سالم الكبير

رثاء شيخ الغناء المصري

البومَ يُحيي الموتُ — بين فخارِ وأسًى لرُزْئكَ — فضلَكَ المتواري

وتنوحُ عيدانٌ ضحكتَ لها وكَمْ غنَّتْ وكم أشجتْ على الأوتارِ

ويؤبِّنُ الفنُّ اليتيمُ زعيمَه وأباهُ بعدَ مخلّدِ الأعمارِ

ستعيشُ رغمَ الجهلِ في شعبٍ غدا فيه النبوغُ كوصمةٍ أو عارِ

حُكْمُ الطبيعةِ : فالجهالةُ علّةٌ تُشقي الجميلَ ولا تَسوءُ العاري

عمّرتَ قرنًا في الغناءِ وعمّرتْ آثارُكَ الحسناءُ للأدهارِ

ووعيتَ ألحانًا تنوءُ بحملها قيثارةُ المتفنّنِ الجبّارِ !

أسْمَعْتَ جيلين الحياةَ شجيةً سيّان بين أصاغرٍ وكبارِ

النفسُ عندكَ سرُّها لك مُعلَنٌ فعرفتَ كيف تهيبُ بالأسرارِ

ووهبتَ للدهماءِ أُنسَ زمانِهم مثلَ الملوكِ ، وكنتَ أيَّ منارِ

تتهافتُ الألبابُ حولك نشوةً مثلَ الفَراشِ على الضياءِ الساري (١)

أو في النهارِ على ندى الأزهارِ لا تعصي جواذبَ ضاحكِ الأزهارِ

(١) اشارة الى صوته القوي الدائم حيث كانت لياليه المشهورة جاذبة لمئات المستمعين ، منتشرة الصدى .

فتذوق بالألحان أيّةَ متعةٍ ونفيءُ سكرى الفنّ لا الخمّارِ
حقّ لمثلك أن يعيش مخلَّداً فاسمحْ لحقّ الدمع من أشعاري[1]

نجوى العام

ابيات عواطف وتقدير ألقاها الشاعر في ختام حفلة عامة أقيمت ببورسعيد برئاسة سعادة المحافظ اسماعيل رمزي باشا مساء ٢٨ يونيو لتأبين المرحوم والده ـ الاستاذ محمد ابي شادي بك ـ لمناسبة مرور عام على وفاته.

شُكْراً من القلبِ الجريح لبرّكم
شُكراً وددتُ ـ وإنْ عجزتُ ـ كبيراَ

قُمتمْ بما فرضَ الوَفاءُ وهكذا رفعَ الوفاءُ العـارفيه كثيرا
أنصفتمْ الاخلاقَ في تقديركمْ ذكرى الفقيدِ ، فتلمْ التقديراَ
ولو أنَّه كان الشّكورَ بموقفي لأبي الثناءِ صراحةً وضميراَ
قد كان يؤمن بالذي هو صانعٌ ويرى الجزاءَ من اليقين وفيراَ
ويرى من الشّرفِ الجدير بنبلِهِ أن لا يكون مُسَيَّراً وأجيراَ
شَرَفُ الحياةِ مشاعرٌ ومآثرٌ وسخيُّ وجدانٍ يعيش أميراَ
تمضي الجسومُ ـ ولا أقولُ فناؤها حقٌّ ـ ولا يمضي الشّعورُ أسيراَ

---

(١) أي فاسمح بالقبول لحق الدمع من أشعاري في رثائك .

والفكرُ أبقى من زمانٍ بائدٍ والمالكُ التَّصريفَ والتَّحريرَا
نَبكيه ظُلماً بينما هو خالدٌ في الصَّالحات، وكم يجوبُ أثيرَا!

* * *

شكراً بني وطني العظيم لفضلكمْ هيهاتَ موطنُكمْ يعيشُ فقيرَا!
خصبُ البلادِ رجالُها، وما لها حكمُ الفضائل أوّلاً وأخيرَا
جئتمْ لتأبين الفقيد فأعلنتْ شمسُ النهار كسوفَها تعبيراً[1]!
حتى عتبتُ ـ وقد أضأتمْ حُجَّةً وعقيدةً ـ فغدا الوجودُ مُنيرَا!
وأتى المساءُ ليستقلّ[2] شجوننا فاذا الغدُ الآسي[3] يلوحُ بشيرَا!

* * *

عشتمْ بني وطني وعاشتْ أمةٌ كان الفداءُ لها البقاءَ مصيرَا!
مَنْ ماتَ في تمجيدِها وفخارِها حيٌّ، وما تركَ الجهادَ حقيرَا!

---

(١) اشارة الى اشاعة كسوف الشمس أمام كوكب كيوان في ذلك اليوم (٢٨ يونيو سنة ١٩٢٦).
(٢) يستقل: يحمل ويرفع.
(٣) الآسي: المداوي: المعزي.

الجديد

أنا في اللحنِ لا أُجاري (هزارَهْ) بل أُغنّي جديدَه أشعارَهْ
طائرٌ بينما يلذُّك إنّما عَاَ يهزّ المشاعرَ المستثارَهْ
ثائرٌ يرفضُ الإسارَ فعذْراً كلُّ حيّ الشعورِ يأبى إسارَهْ
ما نظمتُ القريضَ طوعاً اشيطا نٍ ولا للعلى ولا للمهارَهْ
بل وَلوعاً به ، فللشعْرِ أحلاَ مي وللشعْرِ ما أُجلُّ اعتبارَهْ
هو رُوحي أبثُّهُ دون ضَنّ لوجودٍ مجدّدٍ أعمارَهْ !
يحمل الحكمةَ السّريةَ للدُّ نيا شفاءً ونعمةً سيّارَهْ (١)
لا يُناجي بها حديثَ (ابنِ سينا) بل يُناجي العوالمَ الجبّارَهْ !
لا يُجاري بها معاني (المعَرّي) للقريضِ الحزينِ أو (بشّارَهْ)
أو عظاتٍ أتى بها (المتنبّي) و(ابنُ هاني)مُداعِباً خمّارَهْ
أو أغاريدَ من ملذّاتِ (شوقي) وتجلّيهِ تارةً وعثارَهْ
إنما يدرس الوجودَ فيسمو لأقاصيه ثم يَلقى قرارَهْ
طائفاً بالحياةِ يسألها الوحْ يَ فتفضي به وتُلقي ستارَهْ
باعثاً للوجودِ من شعْرِهِ الحُـــرّ هدايا وَفيّهِ وابتكارَهْ

---

(١) سيارة : ذائعة.

مُرْجعاً ما استعارَهُ منه مَوْتو رأ غنيًّا وقد نما ما استعارَهْ!
ويُحيِّي (الطبيعةَ) الشِّعرُ نجوا هُ فتُزْهِي وتشتهي تكرارَهْ!
نافثاً عازفًا فما يبخسُ الوَصْ فَ حقوقاً، مخلداً آثارَهْ
سحرُه مجمَعٌ من النَّقْشِ والعزْ فِ فتلْقَى منقاشَهُ مِزْمارَهْ!
لا يغَالي بِصِبغةٍ أو بلحنٍ كلُّ معنًى لديه يُعْطَى وَقارَهْ
عابدُ (الحُسنِ) في (الطَّبيعةِ) يُهديها صلاةَ (الصُّوفيّ) بلْ أذكارَهْ
والأمينُ الذي يسجّل (للشَّعْبِ) نشيدَ الخلودِ أو أوطارَه
عارضاً فنَّه وتاريخَه الفخمَ جمالاً وروعةً وجدَارَهْ
كاشفاً بأسَه القديمَ ابزجيه الى منزلٍ يضاهي فخارَهْ
صارخًا صرخةَ اليقينِ فيهزّ ضلالٌ ويستبين اندحارَهْ
لا يُبالي بضربة البطشِ إنْ همَّ ولكن يخافُ للحقّ نارهْ
يبذُلُ النَّفسَ في سخاءٍ لدى الجُلَّى (١) ولا يرتضي بها أعذارَهْ!

***

هذه صورةُ الجديدِ من الشعرِ وفاءً وقُوَّةً وإمارَهْ
ما يُبالي بزخرفٍ في نظامٍ أو يُغالي برونقٍ في عبارَهْ
(كالربيع) الفنَّان لا ينظِم الأزهار لهواً اذا حبَا أزهارَهْ!
أو يضاهي الجنيبَ يعبثُ بالفكرِ وبالحسّ والأُغَى والاشارَهْ

---

(١) الجلى: الامر العظيم الخطر.

بينَ مَدْحٍ وتهنئاتٍ وأنوا عِ جنونٍ وسَكْرةٍ ودَعارَهْ
واحتيالٍ على الأنامِ وافسا دٍ كأنَّ الرّباحَ منه الخسارَهْ
واغتباطٍ ببإذخاتٍ من الأ لقاب في دولةٍ له منهارَهْ
بل هو الشّعرُ نفحةٌ من شعورٍ وحياةٌ من حكمةٍ أمّارَهْ
يخلقُ الشّعبَ من جديدٍ ويوحي كلَّ معنًى الى العُلى لا صغارَه
باعثاً بالنفوسِ للمَثلِ الأعلى مُعيداً أمامَها أنوارَهْ
هكذا مذهبي ، وحسبيَ تتويـ ـجاً يقيني وأنْ أوفّي شعارَهْ

نجمي

رضيتُ بحظّ (أورانوس)[1] لكنْ

رضاءَ الحائرينَ الثائرينا
يقول ليَ المنجّمُ عن يقينٍ : « أراكَ تُصاحبُ الحظَّ الضّنينا

(١) هو سابع السيارات الكبرى بعداً عن الشمس التي تنأى عنه بمسافة ٨٠٠ر١ مليون ميل . وقطره يبلغ أربعة أضعاف قطر الارض ، وله أربعة أقمار ، ويدور حول نفسه كل نحو عشر ساعات الى اثنتي عشرة ساعة . وأكبر الظن أن جسمه بخاري كالمشتري . ونظراً لبعده الكبير عن الشمس لا يصل اليه غير القليل من نورها وحرارتها . اكتشفه السير وليم هرشل الفلكي الشهير سنة ١٧٨١ م .

ستبقى شاقياً مثلي فإني ... شقيتُ به كما تشقى سنينا
ولكنّي دأبتُ بغير يأسٍ ... ففزتُ، ولم أعش بعدُ الغبينَ
وسوف تنالُ حظّاً لن يضاهى ... وسوف تُعدُّ رمزَ المجدِ فينا»

***

فيا نجمَ الجهادِ حفظتَ نجماً ... يبثُّ الجهدَ في الدُّنيا أمينا
أرى الدّنيا اتصالاً وانتظاماً ... فكيف أكذّب المتنبئينا
خيوطٌ في يدِ الأقدار ضمّتْ ... ملايينَ الحياة وما كُفينا
فليس الكونُ الاّ ذو ارتباطٍ ... بما يبدو وما يبقى دفينا
عوالمُ كلُّها بعضٌ لبعضٍ ... فما تدري المَدينَ ولا المَدينا
سوى في المظهر الفلكيِّ، لكنْ ... أهذا كلُّ ما يُملي اليقينا ؟ !
أعيشُ على الثّرى لكنَّ أبي ... يُناجي الكونَ...لا يبقى سجينا
فيا نجمي لقد أنصفتَ نفساً ... ترى الجهدَ الكبيرَ الحرَّ دِينا
وما معنى الحياة لمستكينٍ ... يُذالُ مكفَّناً في الحالمينا ؟ !
ولو كان الخلودُ قرينَ نومٍ ... لعِفتُ إذنْ نعيمَ الخالدينا !



الشمس

جَدّدي للخَلْقِ آياتِ الزَّمَنْ ... ما نَرَى إلاَّكِ نُوراً يُؤْتَمَنْ !

ياحياةَ الكَوْنِ مهما حَجَّبَتْ ... عنه نصفَ العمر وحياً ما غَبَنْ[1]

ما هَدَمْتِ الحُسْنَ الاَّ عندما ... حَوَّلَ الحُسْنُ الى الأبهى الحَسَنْ

في وفاءٍ وحَنانٍ دائمٍ ... يُسْعَدُ العالَمُ منكِ دونَ ضَنْ

كم عذرناعابديكِ الأمسَ مِنْ ... أُمَمٍ قدمَجَّدَتْ فيكِ الوَطَنْ !

أنْتِ أصلُ الأرضِ والبدرِ الذي ... يعشقُ الأرضَ اذاالبدرُ فَتَنْ !

ونظلّ الدّهرَ نهوى خُشَّعاً ... حُسْنَكِ الباقي على مَرّ الزَّمَنْ

قد عبدنا اللهَ فيهِ بعدما ... عَبَدَ الأسلافُ فيه ما استكَنْ !

مِنْ عُقُولٍ ، لِنَبَاتٍ خافِقٍ ... لجمادٍ فيكِ دوْماً مُرْتَهَنْ!

أنتِ لم تُحصي علينا نعمةً ... طالما أسديتِ من غيرِ ثَمَنْ!

أنتِ ما خُضِّبْتِ الاّ زينةً ... لشباب الدهر لا رمزَ الشَّجَنْ

واهمٌ مَنْ ظَنّ هذي طعنةً ... مِنْ زَمانٍ بشَبَا الحقدِ طَعَنْ

يشخَصُ الدهرُ اليكِ طائعاً ... في مِراحِ الطفلِ إنْ عافَ الوَسَنْ !

مُنْعَماً في صبوةٍ لا تنتهي ... مَنْ يَدُرْ حولكِ لن يلقى الكَفَنْ !

كلُّ موتٍ منكِ عيشٌ آخرٌ ... لم يغِبْ مَرْآهُ عن أهلِ الفِطَنْ !

---

(١) نظراً لتقسيم الاشعاع بين نصفي الكرة الارضية بالتناوب والتوالي .

الذكر أخلده شريف جهاد

كلمتا شكر لختام الحفلة الكبرى لذكرى والد صاحب الديوان التي أقيمت بمسرح حديقة الازبكية مساء ٢ يولية سنة ١٩٢٦ ، وقد نشرت الاولى وألقيت الثانية في الحفلة .

(١)

فَرْضٌ عليَّ تحيّتي لوفائكمْ ... إنَّ الوفاءَ كرامةُ الأمجادِ
وتنوبُ عن أهلِ الفقيدِ مشاعري ... في صدقِ شكرانٍ وعهدِ ودادِ
والشكرُ لن يُوفي أبرَّ عواطفي ... أغلى الثناءِ يرفُّ ملءَ فؤادي
أنتمْ ذوو الفضلِ العميمِ بحِسِّكمْ ... حسّي ، وانَّ حدادكم لحدادي
تحيونَ ذكرى للجهادِ شريفةً ... والذكرُ اخلدهُ شريفُ جهادِ
لا العامُ يطويها ولا أحفادُهُ (١) ... إن البطولةَ سيرةُ الأحفادِ
ماعابَ خُلْقي أن أُمجّدَ والدي ... برُّ الأُبوّةِ واجبُ الأولادِ
وأنا الممجّدُ في ادّكار جهادِهِ ... رُوحَ اليقينِ المستقلِّ البادي (٢)
أنتم أبي في عزّةٍ لشعُورِهِ ... فجميعُكُمْ مَرْأى شعورِ الوادي
كُلٌّ يودُّ فداءَ (مصر) برُوحِهِ ... وكذا البلادُ تُعزُّ بالأفراد

(١) احفاده : السنون البعيدة التالية.
(٢) الظاهر ـ اشارة الى نفسية الحاضرين .

عامٌ مضى وهو الرَّهينُ بغمدِهِ … إنَّ السُّيوفَ تُمَضُّ بالأغمادِ (١) !

ولو أنَّهُ الزَّاهي بنهضةِ يومِكمْ … وكأنَّما أنتم على ميعادِ !

إنَّ الذي يُرْثى بصادقِ حبِّكمْ … يلقى الرِّثاءَ تحيَّةَ الميلادِ (٢) !

وأرى الحياةَ الفكرَ ، إنَّ بقاءَه … مثلُ التجدُّدِ للشُّعاعِ الهادي

وأنا المعزَّى بينكمْ أبكي جوًى … حيناً ، وأُخجلُ مِنْ عتابِ مبادي.

ما مات حيٌّ عُمْرُهُ مِنْ همَّةٍ … بل مات مَنْ يحيا حياةَ جمادِ

وأقولُ من قلبي الوفيِّ لعهدِكمْ : … عشتمْ وعاشتْ بالوفاءِ بلادي !

(٢)

يفيضُ بشُكْرِهِ القلْبُ العميدُ … ولولا فيضُكم بِرّاً يميدُ

أُحيطَ بعهدكم وأُقيلَ حتَّى … كأنَّ خفوقَه عمرٌ جديدُ !

وكم أحيا الوفاءُ رجاءَ عانٍ … وقام بركنِهِ المجدُ المجيدُ

وما عذْرُ الذي يُشْجَى وهذا … عزاءُ اخائكمْ أبداً يزيدُ

ذروني منشداً شُكرانَ لُبِّي … ففي شكرانكم يُرْضَى النشيدُ

فليس أبي سوى فكرٍ وعهدٍ … وأنتم ذلك الفكرُ الرشيدُ !

أراهُ بسعيكم لبناءِ مجدٍ … يبيدُ الهادموهُ ولا يبيدُ !

تنقَّلَ أو تنوَّعَ في وجُودٍ … فيُدْهِشُنا التنقُّلُ والوجودُ

---

(١) الرهين : السجين . تمض : تساء وتؤلم .

(٢) أي تحية التجديد لحياته .

كذاك الناسُ في صُوَر انتقالٍ   ولا تمضي المآثرُ والجهودُ

* * *

فيا أهلَ السَّماحةِ في زمانٍ   تضيعُ به المروءةُ والعهُودُ

ويا فخرَ البلادِ وخادميها   أسيرُ وفائكم قلبي الوَدُودُ

مُحَالٌ أن يُسَادَ ما آلُ شعبٍ   به حُكْمُ العقيدةِ ما يسودُ !

وما موتَى اليقين وإن توَاَّوْا   بموتى ، فالمآثرُ ما تقودُ !

دَفَنْتُ أبي وولّى العامُ لكنْ   أرى إلهامَهُ أبداً يعودُ

فإن الجسمَ للعقل المعلَّى   كدارٍ لن يصاحبَها الخلودُ

وأمّا المرء فهو قرينُ فكرٍ   يزيد بقاءَه الأمدُ المديدُ

ونِعْمَ الفكرُ إنْ ضحَّى بجسمٍ   ولم تُرْهِبْ جلالتَه الجُحُودُ

فلي هذا العزَاءُ الجمُّ ، لكنْ   عزاؤكم هو البَرُّ الأكيدُ

فباسْم الصِّدْقِ احمدُكم اليكم   وباسْم وفائكمْ أبداً أُشيدُ

وأشعرُ من محبتكم كأنّي   قويٌّ مستعزٌّ لا وحيدُ



عظمة انجلترا

بَنَتْ مابَنَتْ من قُوَّةٍ وجلالةٍ على قُوَّةِ الفردِ الوفيّ لها الرّاقي
فليس بسرٍّ بأسُها ونفوذُها فما هو إلاَّ في متانةِ أخلاقِ
يكرّمُ فيها الفردُ مجهودَ نفسهِ
وبهوَى احترامَ النفس مَظْهَرَهُ الباقي
ويبغضُ أيَّ البغضِ عَسفاً وصولةً
فينْقِذُ حقَّ الشعبِ من كلِّ ارهاقِ
صَبورٌ كدودٌ لا يئنّ لمُتْعِبٍ ويعرفُ معنى الوقتِ والأَمَلَ الواقي
ومن فُرَصِ الايّامِ ينهبُ حظّه فانْ فلتتْ فهو الرقيبُ لها الرّاقي (١)!
ومهما توالى السعيُ فهو مثابرٌ الى غدهِ النائي بلا جزع الشاقي
فمن كلّ هذا مابنى مُلْكَ دولةٍ لها من مَنَارِ الشّمْسِ دائمُ إشراقِ!

(١) الراقي لغة من يصنع الرقية ، والمعنى المقصود هنا : المتوسل المتقرب اليها .



اسعاف النشاشيبي

ابيات شكر وتقدير بعث بها الشاعر الى أديب فلسطين الكبير الاستاذ اسعاف بك النشاشيبي لمناسبة اهدائه الى الشاعر عدداً من كتابه (كلمة في اللغة العربية) الذي تضمن خطبته النفيسة في دار جمعية (الرابطة الشرقية) بالقاهرة في موضوع وحدة اللغة العربية وصيانتها ونهضتها .

(اسعافُ)أهديتَ الجميلَ لعارفٍ ... قدرَ الجمالِ ووحيَ كلِّ جميلِ
يختالُ في حُلَلِ التأنُّقِ مثلما ... يختالُ في حُلَلٍ من التدليلِ
أسعفتَ بالأدبِ السخيِّ مشاعراً ... تاقتْ لديكَ الى أحبِّ دليلِ
ورأتْ منارَكَ كوكباً متلألئاً ... يدعو الى التوحيدِ غيرَ ضئيلِ
ويلقِّنُ الجيلَ المفرِّطَ حقَّه ... ليعيشَ في التاريخِ أكرمَ جيلِ
ما كانتْ الأبعادُ حجةَ عالِمٍ ... فضلَ التضامنِ أو وفاءَ نبيلِ
إنّا بمصرٍ لا مفرَّ لعيشِنا ... من نبذِ أوهامٍ وطرحِ خمولِ
وصيانةِ اللغةِ التي في تاجها ... عِزٌّ لنهضتنا وقَهْرُ دخيلِ
ربطتْ شعوباً بالحياةِ وأشرقتْ ... للدين والدنيا بكلِّ جليلِ



رحمات السماء

نضَتْ(١) عنها ثيابا من ضياءٍ(٢) فشعَّ(٣) جمالُها ـ أصلُ الضّياءِ
وغنَّتْ للفؤادِ فما تغنَّتْ سوى الرّحماتِ من ربّ السّماءِ !
تُتابعُ صوتَها الأنفاسُ لكنْ تعودُ بها دواعٍ للبقاءِ !
فكم من جسمها الفتّانِ حُسْنٌ برغمِ صُمُوتِهِ وافي الغناءَ
فكلُّ تحرُّكٍ معنًى شهيٌّ وكلُّ اشارةٍ مَرْمَى رجائي
فلمَّا متّعتْ أحلى الأماني ورقّصتْ الفؤادَ على السّواءِ
وكفّتْ بعد أنْ ختمتْ ببيتٍ من الشّعرِ المداعبِ عن رضاءٍ
رَنَتْ فرأتْ بعينيَّ اشتياقًا الى برّ الملاحةِ والبهاءِ
فجاءتْ لي تسائلني : « أحقًا
رضيتَ ؟ » فقلتُ : « هل يكفي ثنائي ؟ . . . »
فطوّقتْ الفُؤادَ وقَبّلَتْني فقبّلها الغرامُ معَ الوفاءِ !

---

(١) خلعت (٢) اشارة الى لونها الأبيض الشفاف المتموج . (٣) شع : انتشر .

حول النبوغ والابوة

مرثية شاعر القطرين الكبير الاستاذ خليل بك مطران المغفور له فقيد الوطن والانسانية الاستاذ محمد أبي شادي بك ، ورد الدكتور أبي شادي شاكراً له شعوره ، والقصيدتان مشبعتان بالمعاني الفلسفية .

(١)

قصيدة الاستاذ مطران

نبا بك دهرٌ بالأفاضل نابي وبُدّلتَ قفراً من خصيب جنابِ

برغم العُلى أن يُمسيَ الصفوة الأُلى بنوا شُرُفاتِ العزّ رهنَ يبابِ

تولوا فأقوت من أنيس قصورهم وباتوا سَراة الدهر رغم ترابِ

أتقضي (أبا شادي) وفي ظنّ من يرى
زُهورك[1] انّ النجمَ قبلك خابي ؟ !

عزيزٌ على القوم الذين وددتهم وودّوكَ أن تنأى لغيرِ مآبِ

وأن يبكم الموتُ الأصمّ أشدَّهم على من عتا في الأرض فصل خطابِ

فتى جامع الاضداد شتّى صفاته وأغلبها الُحسنى بغير غلابِ

محامٍ بسحر القول يسبي قضاته فما فعله في سامعين طِرابِ ؟ !

فبيناه غرّيدٌ اذا هو ضيغم زماجرُه للحقّ جدّ غضابِ

(١) زهورك تلألؤك .

وكم خلب الالبابَ منه بموقف   بليغُ حوارٍ أو سديدُ جوابِ
رقيق حديثٍ إنْ يُشبَّهْ حديثه   فما الخمر زانتها عقود حبابِ
يسيل فيروي النفس من غير نشوة   مسيلَ نطافٍ في الغداة عذابِ (١)
بما يخصب الأذهان مخضلّ دره   كما يخصب القيعان درّ سحابِ (٢)
أديبٌ اذا ما درّ درّ (٣) يراعه   تبينتَ أنّ الفيضَ فيضُ عبابِ
ففي الذهن تهدار الأتيّ وقد جرى   على أنّ ما في العين صحف كتابِ (٤)
وفي الشعر كم قولٍ له راق سبكه   أتى الوحيُ في تنزيله بعجابِ
به نصرَ الوهم الحقيقة نصرةً   تضيء نجوماً من فضول ثقابِ (٥)
فأمّا المساعي والمروءات والندى   فلم يدْعه منهنّ غيرُ مجابِ
كأنّ جَنى كفيه وقفٌ مقسّم   فكلٌّ مرجٍّ عائدٌ بنصابِ
وما صُدَّ عن اسعاده باسطٌ يداً   ولا رُدّ عن جدواه طارقُ بابِ
ولم يكُ أوفى منه في كل حالةٍ   لمن يصطفي في محضر وغيابِ
اذا هو والى فهو أوّل من يرى   معيناً أخاه حين دفع مصاب

(١) النطاف : المياه الصافية . والغداة : البكرة

(٢) المخضل : الندي . والقيعان : الاراضي السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال والآكام .

(٣) كثر خيره .

(٤) الأتي : السيل القوي .

(٥) من بيان قلمه

وما كلّ من صادقتهم بأصادقٍ وما كلّ مَن صاحبتهم بصحابِ
يعفّ فيعفو عن كثير مؤمّلاً له العفوَ من ربّ قريبِ متابِ
وماعهده ان محّصته حقيقة بزَيْف ، ولا ميثاقه بكِذابِ
وفي الناس من يُحلي لكَ المرّ خدعةً وترجع من جنّاته بعذابِ
تذكّرتُ عهداً خاليًا فبكيتُهُ وهيهات طيبُ العيش بعد شبابِ !
كأنيَ باستحضاره ناظرٌ الى حُلاه ومستافٌ زكيّ ملابِ
بروحيَ ذاك العهد كم خطرٌ به ركبنا وكان الجدّ مزجَ لُعابِ
وهل من أمورٍ في الحياة عظيمة بغير صِبًى تمّتْ وغير تصابي ؟ !
زمانٌ قضينا المجدَ فيه حقوقَه ولم نلهُ عن لهوٍ ورشفِ رُضابِ
محضنا به مصرَ الهوى لا تشوبه شوائبُ من سؤل لنا وطلابِ
ومامصر الا جنّة الأرض سيّجَتْ بكلّ بعيد الهمّ غضّ اهابِ
فَداها ولم يكرِثْه ان جار حكمها فذلّ محاميها وعزّ محابي !
فكم وقفةٍ اذْ ذاك والموت دونها وقفنا وما نلوي اتقاءَ عقابِ
وكم كرّةٍ في الصحف والسوطُ مرهقٌ
كررنا ، وما نرتاض غيرَ صعابِ
وكم مجلس مما توخّتْ لنا المُنَى غنمنا به اللّذاتِ غنمَ نهابِ
لنا مذهبٌ في العيشِ والموتِ تاركٌ
قشورَ القضايا آخذٌ بلبابِ

يرى فوق حسنِ النجم وهو محيَّرٌ
سنى الرجم ينقضُّ انقضاضَ شهابِ
وما هلكُ أفرادٍ و(مصرُ)عزيزةٌ أما أجلُ الانسان منه بقابِ ؟ !
كذلك كان الالفُ فينا ولم يكن ليضرب خلفٌ بيننا بحجابِ
ولله بين الموثقين عُرَى الهوى (محمدُ) في حاليْ رضًى وتنابي
حفظتُ له عهدي ولو بان مقتلي لدهرٍ به جدُّ المروءة كابي
وما خفتُ في آنٍ عتابًا وان قسا به الناس لكنني أخافُ عتابي!
أبى اللهُ أن أُلفى كغيريَ مولعاً بخلع احبائي كخلع ثيابي !
فما أنا من في كلّ يومٍ له هوًى ولا كلّ يوم لي جديدُ صوابِ
يراني صديقي منه حين إيابه بحيث رآني منه حين ذهابِ
وما ضاق صدري بالذين ودِدتهم ولا حرِجتْ بالنازلين رحابي
وآنفُ سعياً في ركاب فكيف بي ولي كل حول أخذة بركابِ؟!
حرامٌ علينا الفخر بالشعر إنْ تقعْ نسورُ معاليه وقوعَ ذبابِ
وما كبرياء القول حين نفوسنا تجاويف أرضٍ في انتفاخ روابي؟!
وما زعمنا رعيَ الذمام وشدّنا
بظفر على مَن في (الامام) وناب؟

***

(زكيُّ) لك الارثُ العظيم من العُلى وما ثروةٌ في جنبه بحسابِ

فكنْ لأبيك الباذخ القدر مخلفاً   باكرم ذكرى عن مظنةِ عابِ
وعشْ نابهاً بالعلمِ والفنّ نابغاً   فخارُكَ موفورٌ ، وفضلك رابي
ألا انّني أبكي بكاءك فقدَه   وما بك من حزنٍ عليه كما بي
قضى لي بهذا الخطب فيمن أُحبّه   إلهٌ اليه في الخطوب منابي [1]
ففي رحمة المولى أبوك أبو النّدى   وفي عفوه أحرى امريءٍ بثوابِ

خليل مطران

(٢)

قصيدة الأستاذ أبي شادي

رثيتَ بدمعيْ صُحبةٍ وكتابِ   أبي ، فتقبَّلْ للمحبة ما بي
وفاءَ فتى يُعطي الابوّةَ حقَّها   وشكرَ فتى يهواك بين صحابِ
تمثّل فيك الأمسَ وهو عزيزه   وحاضرَهُ الوافي بصفو لُبابِ
فقد كنتَ نبراسا لعقلي أؤمّه   ومازلت مشكاتي ووَحيَ صوابي
وأنت أبي في شِرعة الأدب الذي   تذوّقتُ منه في جميل شبابي
فلا بدع إنْ أسعفت دمعي موفّقاً   ولا غرو إنْ أشجاك وقع مصابي
ولا غبن إن أطاعت شعرك فرقداً   بعهد ظلامٍ حالكٍ وضبابِ
ولقّنت درساً في الشهامة بالغاً   فقد حُجبت عن جيلنا بحجابِ

---

(١) منابي : مآبي

أبى الدهرُ الاّ أن تغيبَ أسيفةً فنحن بحالٍ مؤذنٍ بغيابِ
يعيش العظيمُ الفردُ محسودَ فضله فان مات طاحت دولةٌ لذهابِ
ويحسده الحسّادُ من بعد دفنه كأنّ له في الموت بأسَ خطاب!
ويعتمد الاحياءُ في رفع شأنهم على محورِ آثارِ له وحسابِ
ويطمع منهم في الزعامة من لهم عواءُ ذئاب أو طنين ذبابِ
فحسبيَ فخراً أن يموت ضحيةً أبي كشهاب شقَّ سترَ يبابِ
فعاد الى الترب الشريف مجرَّداً ويارُبّ مجد في حقير ترابِ!
يقدّسه الجمهورُ تقديسَ عارفٍ رجاحته الكبرى تجاه صعابِ
ويخذُلهُ من صحبهِ مَنْ بنى لهم عماداً ، كأنَّ البرَّ أصلُ عقابِ!

***

فيا ابني يكفيك أن يسمع الملا صدى صوتك الباقي بقاءَ ثوابِ!
فمثلك سرٌّ الفيلسوف وبحثُهُ عويصٌ ، ومجراه كفيض عُبابِ
وما كنتَ مبتاداً دون ذكرٍ ومنعةٍ لتُرثَى ، وما كلُّ الرثاء لنابي
رثاؤكَ فرضٌ في مقام تبادلٍ عزاءً بعصرٍ فيه فضلكَ كابي
له من شعاع الشمس آثارُ غرسه ومن زمهرير الليل خصمٌ غلاب
وما كان ليلٌ طال أم هان عمرُهُ ليبخس حقَّ النور عند ايابِ!
فنمْ هادئاً في حقبةِ الليلِ هذه ففضلك مخبوءٌ لفجر مآبِ!
ويا ربّما كالبرق يلمع تارةً بأفقِ ليلٍ بين رعد سحابِ!

تأمّلْ وأنتَ الصامتُ اليومَ كم تجدْ توجّسَ حكامٍ وحُكمَ عُجابِ!
خشَوا صوتَك الرنّان حتى صموته[1] فلله ذكرٌ في مماتك رابي!
فبينا هو المستورُ كان زُهورُهُ يُخالُ ويُخشى في رؤوسِ حرابِ!
وما مات حيٌّ موتُهُ بعضُ عيشهِ وآثارُهُ الشماءُ غيرُ كِذابِ
فلا تسمحوا أو فاسمحوا بادّكاره فما كان تأبينُ العظيم بخابِ
ستبكيه في الدنيا المكارمُ كلّها فما هو الاّ غمدها بقرابِ!
ويا موتُ مِنْ برّ الفضيلة شكرُها لكَ اليومَ برّاً منكَ غيرَ مُحابي
فأنت قضاءٌ ليس يغبن نابغاً وهيهات يرضى عن بقاء سَرابِ!
وكم بهرج أعلنتَ للناس زائفاً وابريزِ علمٍ صُنتَ خيرَ مُثاب
وتلْعَنَ في الحالين فاصفح لغضبةٍ متى كنتَ تعصي عن فصيحِ جوابِ!
كأنكَ تُزري بالأنام ِوحالهمْ وتضييعهم للفكرِ ضيعَ خرابِ
ولكنْ يعود العارفون جلاله يحيّون فيكَ الحقّ غيرَ غضابِ
وإن جزعوا للعبقرية تغتدي سكونا، وما شِيبَ السكون بعابِ
ولي مذهبي فالنفسُ سرٌّ مقسّمٌ فكلٌّ شعاعٍ عائدٌ بنصابِ!
وملءُ ذراريّ الوجودِ حياتُها وما شكلُ هذا الكون غيرَ إهابِ!
فما كان خيراً لن يُضيعَ صفاتِهِ تنقّلُ ظلٍّ أو خليعُ[2] ثيابِ

(١) اشارة الى منع الحكومة المصرية حفلة تأبينه فى ذكرى الاربعين بمدينة السويس . (٢) خليع بمعنى مخلوع

ويا رَبَّ مَوْجٍ [1] لم ترَ العين رسمهُ   وقوّةِ جيشٍ في حدودِ ثقابِ [2] !

***

بروحي زمانٌ للشباب الذي مضى   ظفرتُ به من قطفهِ بعِذابِ
أراعَى بحبّ الوالدين كأنني   مُعَرَّضُ دُرٍّ نادرٍ لانهابِ !
وكم مجلسٍ مُتّعتُ فيه بنفحةٍ   من الشعرِ أحلى من مذاقِ رُضابِ
ومن برِّ عمٍّ صادقِ البرّ مخلصٍ   وخير (خليلٍ) من هواه جذابي
تقاسمني التحنانُ منه ومن أبي   فأستافُ من نفحيهما بطلابي
عبيرٌ يُحيّي الفكرَ والروحَ مثلما   يُحيي النسيمُ السمحُ زهرَ روابي
الى أن خبرتُ الدهرَ مُرًّا وسائغاً   فلم يُنسِني، إنْ يُنسَ فضلُ رُبابِ
غذاء لعقلي ثم أبي وراحتي   ذخرتُ بنفسي فهو دينٌ مُرابي
عليَّ بحقٍّ أن أوفّيَ بعضه   لفضليكما مهما أُطيلَ عتابي !
فيا (شاعر القطرين) - مَنْ بعضُ وصفه -
أجِزْ لوفائي الشكرَ عذبَ شرابِ
يعوّضُ من مُرِّ البكاء الذي به   بذلنا، وما دمعُ الوفا لمتابِ
ويا أبتي عفواً اذ نحتُ جازعاً   وصُغتُ مراراً للرثاء خطابي
فذلك حتى لا يُعابَ أولو النُّهى   وذلك حتى لا يطولَ حسابي !

---

(١) كموج الأشعة الوراء البنفسجية العظيمة الأثر .

(٢) ينظر الى الراديوم مثلا .

وصفحاً عن النُّوَّام عن ايّ واجبٍ وعمن لهم سيرٌ بكلّ ركابِ
ولو أنّهم باعوا الكرامةَ والهُدَى ببعضِ متاعٍ أو ببعض رقاب
اولئك قومٌ لن يكون لهوهمْ من العُمر أبقى من مُذابِ حَبابِ !
وحسبك لو عزَّ الرثاءُ عواطفي خُلقْن حياةً في أعزّ رحابِ
وفي كلّ بيت في رثائك مَظهرٌ لأصدقِ وجدانٍ وأشرفِ بابِ
تُصيخُ له الآدابُ حَسْرَى وعندها
من الزَّهوِ بي ما عُدَّ عند طِرابِ !

أحمد زكي أبو شادي



قوسُ قَزَح

ياضاحِكَ اللَّوْنِ ما عِشْتَ للصَّوْنِ
عند السَّماءْ
إنْ رُوِّعَتْ تَبْدُو إنْ أَشْرَقَتْ تَغْدُو
أنْتَ المُسَاءْ !
تَمْتَدُّ في السُّحْبِ والشَّمْسُ في حُجْبِ
دُونَ الخَفَاءْ

كُوِّنْتَ من نورٍ في وَشْيِ بِلَّورٍ
جَمِّ الرُّواءْ
آياتُ ألوانٍ في قَوْسِها الباني
هذا البهاءْ
كالقوْسِ للنَّصْرِ تمتدُّ في فَخْرٍ
فَخْرِ الضياءْ!
والسُّحْبُ كم تَجْرِي في لَوْنِها البَدْرِي
من كهرباءْ
تَحْكي المَنَاطِيدا دَفْعاً وتَصْعيدَا
سُفْنَ الهَواءْ!
تلقاكَ في أُنْسٍ لكنّها تُمْسي
صَرْعَى الوفاءْ!
في وَشْيِكَ الزّاهي قد حيَّرَ اللّاهي
لَوْنُ الدّماءْ!
أَصْباغُ نقّاشٍ جادتْ بانعاشِ
والشُّعَراءْ!

ما ذُبْنَ في المــاء بل زِدْنَ إسدائي
إعجازَ ماءْ ؛
لـكنَّها حلّتْ في الزَّهرِ منذُ وَافَتْ
عن السَّماءْ !

شعر الثقافة

ما اعتزَّ من علمٍ وفكرٍ مُلهمٍ يختصُّ بالتَّبجيلِ والتَّعزيزِ
غنيتْ به صُوَرُ الثَّقافةِ مثلما غنيتْ عواطفُنا بحُبٍّ عزيزِ
ما الشعرُ ـ في المعنى الأتمِّ ـ حذاقةٌ
ودعابةٌ في النَّسْجِ والتَّطْريزِ
الشعرُ مرآةُ الحياةِ بما وعَتْ ولغير ما توحيه غيرُ مُجيزِ
يشتقُّ من أحوالها وشؤونها ويُلقِّنُ التَّهذيبَ بالتَّمييزِ
لا يُهملُ النَّفسَ التي هي مطلبٌ للعلمِ بل يُعنى بكلِّ غريزي
ويَبُثُّ للعمرانِ أشرفَ مَبدأٍ لا يُرهِقُ الأفهامَ بالتعجيزِ
ما الشعرُ في أدبِ الجُمودِ وإنما الشعرُ في الإبداعِ والتَّبريزِ (١)

---

(١) النبوغ والتفوق .

لا يعبدُ المأثورَ لكنْ حَظُّهُ ... حَظُّ التَّطَوُّرِ لا يَقينُ عَجُوزِ

بالعلمِ يستهدي وليسَ بخالِبٍ ... في اللَّفظِ مهما عُدَّ كالابريزِ

هيهاتَ ثروةُ النظمِ وإنْ زَهَتْ ... تسمو كصدقٍ في البيانِ وجيزِ

خِصْبُ العُقُولِ نِتاجُها، ولطالما ... غَنِيَتْ عن الابريزِ بالابليزِ (١)

الكنارى السجين

يا سِحْرَ فَنِّي غَرِّدْ وغَنِّ

لا تشكُ مِنِّي أنتَ الأميرْ !

أهواكَ قُرْبي بُرْءاً بِحُبِّي

نَجْوَاكَ قلبي حَظٌّ كبيرْ !

ما أنتَ إلاّ وَحْيٌ تَجَلَّى

طيراً وخَالَ شِعْري الأسيرْ !

لا تَشْكُ حَبْسَا لا تَشْكُ بأسَا

فالشمسُ أقْسَى والزَّمهريرْ !

---

(١) طين الخصب وكثيراً ما يطلق على الطين المغذي للتربة الذي يتركه ماء النيل . والمعنى المجازي المقصود أن الغنى الفكري انما يكون بالفائدة المنتجة لا بالحلية الزاهية .

عِشْ عَيْشَ ناسِكْ   مِثْلي وشارِكْ
حالي كحالِكْ   حالُ الفقيرْ !
صِفْ يا كَنارَي[1]   نورَ الدراري
دُمْ صفوَ داري   عِشْ بي القريرْ !
صِفْ عَيْشَ غابِ   عَذْبَ الشَّرابِ
تَحْتَ السَّحابِ   فوقَ الغديرْ !
واسمعْ نَظيمي   سَمْعَ العليمِ
تَشْهَدْ نديمي   رُؤيا الخبيرْ !
إنّي أُضحّي   فاذكُرْ وأوْحِ
لا تلْقِ نُصحي   مثلَ الغريرْ !

هدية الالعاب

الألعاب الالمبية

يامُمْتِعَ العقل الحصيفِ رياضةً   لا تُصغرنَّ (رياضةَ الأبدانِ)
أو تُنكرنَّ لأجلها فَتَيَاتِنا   فالمُلْكُ بالفَتَيَاتِ والفِتْيَانِ

---

(١) Canary أو طير الحزار . وهو مشهور بالرشاقة وجمال اللون وحسن الصوت .

ليستْ وحقِّكَ محضَ لهوٍ ذاهبٍ بل مَعْهَدٌ للخُلْقِ والوِجدانِ
النَّفسُ تُشرِقُ من جميلِ دُرُوسها
إشراقَ وجهِ « اللاعبِ » الضَّحيانِ
فتّشْ عن (التاريخ) واسألْ أهلَه تلقَ (الرياضةَ) في جلالِ الشانِ
بلغتْ بها (يونانُ) [1] غايةَ مجدِها
من قوَّةٍ ورشاقةٍ وجنانِ
وحذاقةٍ وتبصُّرٍ وفتوَّةٍ ورجاحةٍ ومتانةِ البنيانِ
ومشتْ على آثارِها (روما) فما هانتْ، بل اعتزَّتْ على الحدثانِ
نشأتْ [2] على سفحِ (الألْبِ [3]) عزيزةً
ما بين أشعارٍ وبينَ أغانِ

(١) أشهر الامم الاوروبية القديمة عناية بالرياضة الامة اليونانية التي عرفت جد المعرفة الحكمة القائلة « العقل السليم في الجسم السليم » فطبقت هذا المبدأ الحكيم أوفى تطبيق واستعانت به على بث روح النظام والعزم والاقدام بين أفرادها . وقد تبعتها (روما) في خطتها الرياضية التهذيبية فبلغت ما بلغت من عظمة وفتح .

(٢) أي الالعاب الرياضية البدنية المعروفة بالالعاب الالمبية .

(٣) أنشأ اليونانيون الالعاب الالمبية تكريماً لجوبتر (المشتري) ، وكانت تعرض مرة كل خمس سنوات عند سفح جبل الالب ، وقد دامت هذه الالعاب القديمة من سنة ١٥٤٣ قبل الميلاد الى سنة ٣٩٤ قبل الميلاد ، يتخلل ذلك فترات سكون . وكان يجتمع الشعراء والمصورون والفنانون لتلك المناسبات ليمجدوا البطولة والطبيعة والفنون في سفح جبل الالب الذي بنوا على قنته هيكلاً لآلهتهم الاثني عشر (اله الشعر ، اله البحر ، اله الحرب الخ ...) .

وبدائعٍ لمصوّرين تفنّنوا في النّقشِ واعتنقوا الجمالَ الهاني
وروائعٍ حبَتْ (الطبيعة) حُسْنَها المؤمنين بسحرِها الفتّانِ
ثم انتحتْ[1] شطرَ الذين تأهّبوا للقائها وتطلّعوا بجنانِ
وتمثّلوا (يونانَ) لمّا أنبتتْ نخبَ الرّجالِ وأشجعَ الفرسانِ
الواهبين الكونَ من أشعارهم كنزاً من الاحسانِ ليس بفانِ
والواصفين الناقشين رسومهم مثُلاً من الاعجازِ في الاتقانِ
والعازفين لدى (الطبيعةِ) ما وعتْ
من أعجبِ الأسرارِ في الألحانِ
والعارضين من الشهامة والحجى ما جلَّ عن وصفٍ وعن نسيانِ
فأثارتْ[2] الهممَ الكبارَ وأطلقت
للفتحِ والعمرانِ كلَّ عنانِ
ما أنكرت شعباً تودَّد مخلصاً
حتى غوى[3] فأصيبَ بالخذلانِ[4]
فمضى ضحيّةَ ضلّةٍ وخلاعةٍ وجهالةٍ وبلادةٍ لهوانِ

---

(١) و(٢) أي الالعاب الالمبية . (٣) ضلّ وخاب .

(٤) اشارة الى نسبة المؤرخين سقوط اليونان ثم الامبراطورية الرومانية وغيرها الى ترك العناية بالرياضة البدنية والانغماس في الملذات والخمول والفوضى الادبية .

أنظر الى الامم التي سادت وما بادت تجدْ أعلامَها [1] للرّائي
يكفيكَ مَنْ ملكوا البحار [2] وأسّسوا دُوَلاً ، وما حُرِموا من السلطانِ
الواهبينَ (انجلترا) خُلْدَ العُلى بالعزمِ والاقدام والعرفانِ
الوارثينَ البالغين بنُجْحِهِمْ ما كان (لليونان) و (الرومانِ)
المُنْشِئِينَ من (الرّياضة) قوةً لسلامةِ الأفهام والأذهانِ
العارفين بها مَناعةَ مُلكِهِمْ من خاتِلِ الكَسَلِ المُهدِّ الجاني
بلغوا السماءَ وغيرُهُمْ بلغ الثَّرَى بعد السماء ، وضاعَ في الحُسبانِ!

***

لا تُصغِرَنَّ أخي (الرّياضةَ) ، إنّنا أوْلى بها لنُثيرَ كلَّ جبانِ
وتُعيدَ أزمنةَ البطولة بيننا ومواهبَ الشَّعْبِ الجريءِ الباني
وتُعلِّمَ الأحداثَ فضلَ تعاوُنٍ وتُحبِّبَ الانسانَ للانسانِ [3]

---

(١) أعلام الرياضة البدنية

(٢) درس الانجليز أسباب تكون الامبراطورية الرومانية وأسباب انحلالها فأدركوا قيمة الرياضة البدنية فبثوها بينهم ، ونشأوا على الولوع بها فاستفادوا منها أجل الفوائد في تكوين الخلق الانجليزي الفولاذي الصبور ، وأصبحت الرياضة البدنية من اسس الايمان القومي في انجلترا ، وقد عادت اوربا كلها الى الاهتمام بالرياضة البدنية منذ سنة ١٨٧٠ وصارت تعد من أهم وسائل التربية الوطنية ، ومن خير مكيفات صفات الرجولة والصحة في الشبان ، ومن أحسن أسباب النشاط والتهذيب النفساني للسيدات .

(٣) اشارة الى ذيوع الالعاب الالمبية الدولية وأثرها في بث الاخاء الانساني .

الدقائق

« يا هاجراتي بلا عتابْ ... ولا رُجوعْ
ياطائراتٍ الى السَّحابْ ... طيْرَ الجزُوعْ
أتُنْهنَّ بَعْضي فأيُّ ذَنْبٍ ... يُشْجي القريبْ ؟
ألهجْرُ قاسٍ وأيُّ صَعْبٍ ... هجْرُ الحبيبْ ! »
قلْنَ الدقيقاتُ الحسَانْ : ... « أنتَ المُسيءْ
ضيَّعْتَنَا ضيْعَ الهوَانْ ... لَسنْنَا نَفِيءْ (١)
ما مَرَّ لن يأتي وإنْ ... صَافَى الزَّمَنْ
سِيَّانِ تلهو أو تَئِنْ ... لن تُؤْتَمَنْ
لم تَدْرِ ما معْنى الحيَاهْ ... حتى المَشيبْ
أنفقتَها دونَ انتباهْ ... مثلَ الجنيبْ
والآن ما تبغي وقدْ ... ولّى الغِنى ؟
هيهات يُرْجَى المُفتَقدْ ... يا مَنْ جَنى !
لو كنتَ قدَّرْتَ الوُجودْ ... تقـــــــديرَنا
ما لُمْتَنَا لَوْمَ الجحُودْ ... أو خُنْتَنَا . . ! »

---

(١) نفيء : نرجع .

***

إحرصْ على النفع الأتمْ مِن الدقيقهْ
إنْ تَنْسَهَا تَنْسَ الأهمْ بل (الحقيقهْ)
ما العُمْرُ الاَّ جَمْعُهَا أو ضَيْعُهَـــا
ما النُّجحُ الاَّ نَفْعُهَا لا دَفْعُهَـــا !

عضات الدهر

وللدَّهرِ عضَّاتٌ اذا ما فحصتَها تبيَّنتَ أنَّ الدهرَ في الطبعِ أرقمُ (١)
اذا عضَّ لم يسطعْ رجوعًا الى الأذى سريعًا وإنْ أضحى يُخيفُ ويُوهمُ
فلا تخْشَهُ جُبنًا ولكنْ مُحاذراً وأدِّبْهُ ، فالغلاَّبُ مَنْ يتعلَّمُ
تعلَّمْ وحاذرْ ما استطعتَ مُعاقبًا مُسيئَكَ لا تترُكْه يطغى وينقمُ
فلو عرفَ الانسانُ وعظَ اساءةٍ ليحذَرَ تاليها لمــا سُفِكَ الدمُ
فكم من ضحايا للتهاونِ والهوى
وصَرْعى تناسَوْا فِطْرَةَ الدّهرِ أو عَمُوا !

(١) الارقم : أخبث الحيات . ومن صفاته أنه اذا نفث سمه لم يستطع تجديده الا بعد فترة من الزمن - نحو أسبوع - وان حاول أثناء ذلك اخافة الانسان بالوهم .

وما عيبَ بَطشُ الدهر قَدْرَ خنوعنا
نياماً ، وما يُجدي النِّيامَ التظلُّمُ

عاشق قمر

نظمها لسان حال صديق له

هل كان ذنبي أن أُحبَّ فلا أرى — وجهَ الحبيبِ سوى لتقديرِ القَدَرْ
شهرٌ يمرُّ وكلُّ حظِّي ليلةٌ [1] — فيه ، فعودي بالسعادة يا (قَمَرْ)

العصبية الطائشة

نظم الشاعر هذه القصيدة تعليقا على خطبة نفيسة لاديب فلسطين الكبير الاستاذ اسعاف بك النشاشيبي عنوانها : « قلب عربي وعقل اوربي » .

مَرْحى ومَرْحى للتعصُّبِ إن يكنْ — للفضلِ ، فالفضلُ العميمُ عظيمُ
لا تنظروا للأمسِ نظرةَ سائلٍ — بل فانظروا لليومِ ، فهو كريمُ
وتوجّهوا للغرب ، لا تتعصبوا — وتعلّموا ، فالنهضةُ التعليمُ
إنّا نُجعِنْا [2] بالمفاخرِ دائماً — حتى أدلَّ [3] بمجدنا التكريمُ

(١) يشبه ليلة اللقاء بليلة البدر ، لاتفاق تمر هذا اللقاء سوى مرة كل شهر .
(٢) نجعنا : غذينا . (٣) أدل : افتخر .

فلحرمةِ الماضي العزيزِ وفاؤنا   للفخر ، فالفخرُ الفعولُ سليمُ

كونوا أُباةَ الضيم ينبض عرقكم   عصبيةً للمجدِ فهو جسيمُ

أُممٌ بنتهُ لكم وأنتمْ أهلهُ   هيهات لو صدقَ البنون يريمُ [1]

لكن تحاشوا أن تعودوا [2] سبةً   للصالحين فلن يفوزَ لئيمُ

صونوا كما شاء الوفاء شعارَكم   وخذوا الذي وهبَ الحياةَ عليمُ

لا تنفروا منه لعجمةِ أصلهِ

ما ناكرٌ [3] السمحَ الجنيبَ [4] حكيمُ

أيسرُّكم نعتُ المواتِ وأنتمو   ميراثكم دُوَلٌ عليه تقيمُ ؟!

طبع الدثاريِّ [5] السكونُ وثلبُهُ [6]   ما غابَ عنه ، وكم يذمُّ عديمُ !

ما القبعاتُ ولا مظاهرُ نهضةٍ   عارٌ ، ولكنَّ الجمودَ ذميمُ

لمَ لا نماشي الغربَ في تجويده   فيحقُّ [7] قدرةَ جيلنا التقويمُ

ونالُ من دنيا هدانا في علًى   دُولاً بها ما يفرضُ التحكيمُ

هيهات يجحدُ للخيارِ حقوقهم   دهرٌ ، فنكرانُ النبوغِ عقيمُ

الدهرُ منصفكم اذا لم تتبعوا   حمقَ الأفينِ [8] فما الزمانُ غريمُ

هو من رآه الامسُ شائدَ ملككم   أمّا غرورُ الجهلِ فهو خصيمُ

---

(١) يريم : يفارق ، يبرح .   (٢) تعودوا : تصيروا .

(٣) ناكر : حارب .   (٤) الجنيب الاجنبي .

(٥) الدثاري وكذلك الدثور ، الكسلان .   (٦) ثلبه ، عيبه .

(٧) يحق : يثبت .   (٨) الافين : ضعيف العقل .

فتاة الريف

غنّي وغنّي يا (فتاةَ الرّيفِ) غنّي (الطّبيعةَ) سِرَّ كُلّ طريفِ!
واستقبلي الفنّانَ يرقب شيقاً[1] مرْآكِ يستوحيهِ للتأليفِ!
وتسابقي والشمسَ شطرَ (مزارعٍ) تلقاكِ بين تبسّمٍ ورفيفِ[2]
نشرَتْ أعزَّ حُليّها وكنوزها وبدائعَ الآياتِ والتّصنيفِ
نشْرَ السّريّ نفيسَه لشقيقهِ نشْرَ الجمالِ عزيزَه لأليفِ!
ودَعي (الحمائمَ) تابعاتِكِ بعدما جاملْتهنّ يصغْنَ شكرَ شغوفِ!
ويزدْنَ من ترحيبِ كُلّ مؤمّلٍ عطْفاً وكُلّ شفاعةٍ لوقوفِ!
في ألطفِ الألحانِ بين تطلّعٍ لحنانِكِ الوافي وبين وجيفِ[3]
يصطادها العادي وأنتِ لخوفِها أمْنٌ أضيفَ اليه بِرُّ مُضيفِ[4]
غنِيَتْ بحسنِكِ عن غذاءٍ وارتضتْ
لكِ صُحبةً عن مُزهرٍ ووريفِ[5]
ومضتْ حيالَكِ مثلَ جُندِ طهارةٍ في زيّ أجنحةٍ ودون سُيوفِ
كانت طهارتُكِ السلاحَ وعِصْمَةً للحُسْنِ، فاستغنيتِ عمّنْ يُوفي!

(١) شيقاً : مشتاقا . (٢) الرفيف : اهتزاز النضارة .
(٣) وجيف : خوف . (٤) مضيف : كريم يضيف .
(٥) وريف : ظليل ناشر .

وَوَهَبْتِ حُسنَكِ للوجودِ بنبتِهِ وحياتِهِ وجمادِهِ الموقوفِ

(الأرضُ) و (الأبقارُ) و (النّخلُ) الذي

حيَّيتِ عابدةٌ لـــــكلِّ لطيفِ

ومموَّجُ (النَّبتِ)النَّضيرِ موشَّحًا بالزَّهرِ في طرَفٍ من التفويفِ

وفريدةُ (الاشجارِ) جنبَ (قَنَاتِها)

تدعوكِ ، فاستمعي لصوتِ حفيفِ !

وتَفَيَّئِي إنْ شئتِ ظِلاًّ حانيًا للغُصْنِ تدفعُهُ ظِلالُ الأُوفِ !

متحاسدات ،واتحاسدُ في الهوى مافاتَ نَبتًا ظنَّ شبهَ صَدُوفِ [١]

والحُسْنُ للدُّنيا الحياةُ فلن يُرَى من عازفٍ عنه وغيرِ عَزُوفِ

(الجَوُّ) يُنعَشُ منكِ ثم يَبثُّنا عُمْرًا من الاحسانِ والتَّشويفِ [٢]

و(البَذْرُ) حيث ثمرتِهِ برشاقةٍ مثلُ النُّضارِ يعودُ في تضعيفِ !

و مُنَوَّرُ (اللَّبنِ الحليبِ) إخالُهُ من راحتيكِ شرابَ كُلِّ عفيفِ !

و(الماءُ) كالاكسيرِ شاقَ (بِجَرَّةٍ) كالتاجِ مزدانًا برأسِ شريفِ !

و (النيلُ) يلثم راحتيكِ مُداعبًا ويُقبِّلُ القدَمَينِ في تشريفِ !

و (القَرْيَةُ) السَّمراءُ صاحَ (إوَزُّها)

طَرَبًا ، وأذَّن (ديكُها) للفيفِ [٣]

---

(١) شبه منصرف عنه . (٢) التشويف : التجميل .

(٣) لجماعته .

وسعيدةٌ (الغيطانِ) تروِيها المُنَى
مِن ناظريْك فصُنَّ عن تطفيفِ ! [1]
تهتزُّ (بالنَّبتِ) المُرنَّحِ بالهوَى قبل الهواءِ من الجمالِ الريفي !
ونقيَّةُ (الازهارِ) تعرضُ عشقَها في غير ما خَجَلٍ ولاتسويفِ !
لاتَنْهريها ! واسمحي بدعابةٍ تُحيي ! ففي تعنيفِها تعنيفي !
ومِن (اليمَامِ) مُسبِّحٌ في غبطةٍ بين (الطيورِ) شبيهةَ التعزيفِ !
و (النَّحلُ) تجذبُها اليكِ جواذبٌ (للشَّهد) والانعاشِ والتثقيفِ !
وأراكِ في عين الأديبِ فأشتهي
حظِّي لدى (الطَّنبورِ) [2] و(الشَّادوفِ) !
أوحظَّ « أعجم » قاد دَورةَ (نَوْرَجٍ)
جذلانَ قُربكِ ياحياةَ الريفِ !
أودار كالأعمى (بساقيةٍ) بكتْ طرَبًا لديكِ،وكان غيرَ كفيفِ!
واذا جَمعتِ (القُطْنَ) هشَّ اليكِ لا يشكو فِراقَ (اللَّوْزِ) شِبْهَ أسيفِ!
واذا مَرَرْتِ على (الحقولِ) نَزُوعةً
للماءِ أنْضَرَها سَناكِ ، فطُوفي !

---

(١) في هذا البيت اشارة لطيفة الى شكوى الفلاحين المتادة من قلة مياه الري .
(٢) الطنبور : الآلة المعروفة عاميا باسطوانة ارخميدس ، وهي مما يستعمله الفلاحون بعصر للري .

طُوفي ! وأعْطِي للملاحةِ حقَّها   في بَعْثِ أمواتٍ ومَنْحِ قُطُوفِ !
وتَعَهَّدي صُوَرَ الحياةِ جميعَها   مَثَّلَتْ لديكِ ولُحْنَ دونَ سُجُوفِ (١)
يازينةَ الرّيفِ الكفيلِ بعيشِنا   مَثَّلتِ (مصرَ) بخُلْقِكِ المَعْرُوفِ
وبحُسنِكِ الجذّابِ بين رشاقةٍ   تَسبي وبين وداعةِ المألوفِ
ومِنَ العجائبِ أن حُرِمْتِ هدايةً
كالنّاخباتِ، وعِشْتِ رمزَ كُسُوفِ (٢)
والشَّمسُ أنتِ (لمصر)، مهما أصغروا   جَدْواكِ، فهي عزيزةٌ لا أوفِ
ولو استطعتُ نداءَ (مصر) بريفِها   وصعيدِها لعُبِدْتِ بين صفوفِ !

المجهر

The Microscope

رفيقي الكشّاف

صحِبتُكَ عُمْراً في وفاءٍ ومُتْعةٍ   فكنتَ لفنّي مُلْهِماً ولأفكاري
وكم من بيانٍ لاحَ لي منكَ مُرشِداً   وكم من مَعانٍ قد وهبتَ وأسرارِ

(١) دون سجوف : دون أستار . (٢) يدافع الشاعر عن حق الفلاحة المصرية في الانتخاب حيث يمدها حياة الريف وبالتالي حياة (مصر) نشاطاً وهمة وفكراً وعملاً ، ويقدمها على الفلاح المصري .

وُيذهِلُ قوماًأن يحبكَ شاعرٌ وماعرفوا فنّي الدقيقَ وأشعاري
ففي كلّ مرْأًى لي سؤالٌ ومبْحثٌ وللغيبِ نزَّاعُ الحنين وأوطاري
أرى فيكَ سرَّ العيشِ والموتِ مُعْلَناً مراراً ، وآلامَ الوجود بتكرارِ !
ويارُبَّ خيطٍ عُدَّ جرثومَ قوّةٍ تناولتُ منهُ الوحيَ والأملَ السّاري!
وآخر قد عدُّوه بؤساً وشقوةً دعاني الى فحص التعاسةِ والعارِ !
فذلك استاذٌ لِلُبّي وخاطري وأكبر فنّانٍ يُخَصُّ باكباري !
ولستَ جماداًمن نحاسٍ ومَجْمَعٍ من العدَساتِ الهاتكاتِ لأستارِ !
اذا قلتَ كان القولُ للعقلِ حُجّةً
ولولاكَ ماعزَّ الطبيبُ ولا الداري [1]
وانْ لم تَبُحْ حيّرتَ فكراً منقّباً
وحيناً بمحضِ الصّمتِ تُفْصح عن واري [2]!

***

فيا قومُ ، صفحاً . . . لاتعيبوا الذي يَرَى
وينظمُ ما يلْقَى بدائعَ للقاري
وسيّانِ جاءتْ من صُخورٍ كئيبةٍ أوالطَّرَبِ الزاهي بضاحكِ أزهارِ

(١) الداري : العليم . اشارة الى نفع المجهر في شتى المباحث العلمية .
(٢) الواري : القيح الباطني المفسد ، يقال : ورى القيح جوفه أي أفسده وأكله . وهذه اشارة الى فائدة الدليل العلمي السلبي أحيانا في اثبات تشخيص المرض .

وسيّانِ مِن شلاّلِ نَهْرٍ مُردَّدٍ
أو المجهرِ الهادي [1] البخيلِ على الزّاري [2]
فَذَا عالَمٌ فيه الفُنونُ مُشاعَةٌ
وما حيلتي إنْ كنتُ أعشقُ أسفاري [3]
وأقرأُ شتّى مِن حقائق مثلما
أصوغُ من الآثارِ أرْوَعَ [4] آثاري؟!

الهجر الجميل والامل

رد على رسالة من صديق الشاعر ناشر هذا الديوان

جدّدتَ بذكرى شجيٍّ غرامي ونَدبتَ حظّكَ والضِّرامُ ضِرامي
ما أهونَ الهجرَ الجميلَ اذا أتت عُقباهُ صدقَ الوصلِ والأحلامِ
هوّنْ عليكَ ففي العذابِ لذاذةٌ انْ كان قربانًا وطوعَ هِيامِ
لولا ظلامُ الليلِ ماقدَرَ [5] الضُّحى لبٌّ، ولا عرفَ التطلّعَ سامي

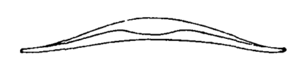
(١) أي الهادىء ، وكذلك بمعنى المرشد . والمجهر بمعنى المكرسكوب وهو المقصود ، وأيضا بمعنى المتكلم بصوت عال .
(٢) الزاري : المحتقر لشأن المجهر ، الذي لايعرف قدره .
(٣) يقصد آثار الطبيعة والعلم ، وقد سبق له أن قال : « ففي كل مرأى لي سؤال ومبحث ..... » (٤) أروع : أجمل . (٥) قدر : عظم .

روّضْ[١] عصيَّ الصّبرِ من معشوقِما
يُوحيهِ هـذا الليلُ من إلهامِ

مهما تظاهر[٢] حالكاً فلديك في ألقِ النجومِ عواطفٌ ومرامي !
فكنْ الجليدَ على الفِراقِ وإن قسا ريّانَ من أملِ الفؤاد الظامي !
وكن البصيرَ بخيرِ وعدٍ من غدٍ فالحكمُ بالاسعادِ للأيامِ
من طبعِها بعضُ الدّلالِ وقسوةٌ ثم الجزاءُ الأسمحُ المقدامِ
فانظر الى (أسيوط) نظرةَ واعدٍ جهدَ المحبِّ الى أعزِّ مقامِ
مِنْ حقّهِ وعدُ الأبيِّ المعتلي ما كان من يرضيه محضُ سلامِ
بلدٌ به ذكر الوفاء طفولتي فحنانُ الذكر الجميل أمامي
وقرأتُ عطفَكَ بين دمعٍ هائبٍ كشْفًا وقلبٍ مُثْخَنٍ[٣] بسهامِ
عمْرٌ مضى كم ذقتُ فيه تعاسةً وأظلُّ أرثي الميتَ من أعوامي
هي[٤] بضعةٌ منّي ، فعطفي فطرةٌ ولو انّها غَرْقَى من الآلامِ
فاذكر أخي (صنّا) شقاوةَ مخلصٍ يرجو لكَ النُّعمى وصفوَ سلامِ
وترقّبْ الآتي الكريمَ موفّقًا فلديكَ جمْعُ مواهبٍ لكرامِ
ضَمِنَتْ لك المستقبلَ السامي كما ضمِنَتْ لمثليَ منكَ نورَ ظلامي

(١) روض : ذلل وطوع . (٢) تظاهر : ظهر .
(٣) مثخن : موهن ومغلوب . (٤) أي الاعوام المائتة .

واهزأْ اخي بالعابسين ولاتخفْ عقبانَهم ، فالحظُّ للبسّامِ
دنيا أعاجيب ، وأعجبُ ما بها أن يرتقي للحكم شَرُّ نِيامِ
ولو انّ قدرَ الفضل غيرُ مضيَّعٍ إن لم يَهَبْ (١) ، مترفّعاً عن ذامِ (٢)
كم بدّد اليأسُ الحياة وكم أرى فضلاً يضيّعه دفينُ سقامِ
وأنا المزكّي (٣) فيكَ كنزَ مفاخرٍ فاقبلْ خلوصَ (٤) الحبّ في اعظامي



الى نصير الديمقراطية

الدكتور هيكل بك

لمناسبة تهديد زيور باشا باحالته
الى محكمة الجنايات نظير دفاعه الحار عن
الحقوق الديمقراطية .

هُدّدتَ بالجسم العريض ولم نكن لتهابَ بطشَ جبابرٍ وحديدِ
أيظنُّ حامي « الزُور » في غلوائه هذرَ الطغاةِ كصارمٍ ممدودِ ؟ !
أو انما يبرى يراعةَ (هيكلٍ) ويغلّها بسخائف التهديدِ ؟ !
يا أشرفَ الكتّابِ في إقدامهِ إضحكْ على الاسراف في التقييدِ

(١) لم يهب : لم يجبن .
(٢) الذيم والذام : العيب . (٣) المزكي : المادح .
(٤) خلوص : صفاء .

ماضرّ خائفك «الجريء» اذا انزوى في عزلةٍ أو لَى بكلّ فقيدِ ؟ !
فقدتْه أسباب الكرامة عن رضى فعلام يعبث في غرور عميدِ ؟ !
لا في الوزارة ، لا ، ولا في غيرها معنًى له ، كلاَّ ... ولا في البيدِ !
أُعجوبةُ الدنيا الجديدةِ ليتهمْ زفّوه تمثـالاً لغير جديدِ
ليعلّمَ النـاس الشهامة مثلما يوحي الجبانُ شجاعةَ لجنودِ !
خيرٌ لنـا إعزازُهُ في معرضٍ مِن هزلِهِ الجاني وحكمِ عبيدِ !

أبو قردان

(محمودُ)[١] متّعتَ العقولَ موفّقًا بدقائق الأدبِ العزيز الداني
في خفة الطير اللطيف ونفعهِ للغَرْسِ والأزهـار والانسانِ
فرأيتُه وهو الرقيبُ المتقي والقاتلُ الحشراتِ دونَ توانِ
أولى الطيور الرائعات[٢] بكل ما يُوحيه للحُسْنَى (أبو قردانِ)[٣]

---

(١) هو الاستاذ الشاعر الاديب محمود افندي رمزي نظيم صاحب جريدة (أبو قردان) الشهيرة .
(٢) الرائعات : الجميلة المعجبة .
(٣) هو الغرنوق الذي أوشك أن ينقرض لكثرة استعمال ريشه في قبعات السيدات ، وقد حمته الحكومة المصرية نظراً لنفعه في مقاومة الحشرات .

الحكم الدستوري

فيالنَّاسِ مَنْ ظَنُّوا الشعوبَ بهائمًا تُرْعَى وليس لحظِّها أن ترتقي
فرضُوا بذلَّ السائمين [(١)] وسخّروا ألبابهم وتفنّنوا بتشدُّقِ [(٢)]
ياقومُ إنْ كان التذلّلُ حُلْمَكُمْ فلْتهدأوا... ودعوا سواكم ينتقي [(٣)]
ما كان حكمُ الفردِ مظهرَ قوّةٍ بل كان مظهرَ أيِّ رأيٍ أحمقِ
فالناسُ ما بلغوا الحضارةَ بالهوى بل بالتشاورِ والحجا والمنطقِ
والحكمُ بالدستور مهما عِبْتَهُ
أجدى وأشرفُ من صَلَاحِ المُطْلَقِ [(٤)]

التقدير والرثاء

تَقَدّرُ آثارَ العقولِ يراعتي على العيشِ لا يومَ الرثاءِ على الموْتِ
فلا خيرَ في التقديرِ منْ بعد غربةٍ
فسدّدْ ديونَ الفضلِ قبلَ نوَى الفَوْتِ [(٥)]

---

(١) يقال سامه خسفا أي أذله . (٢) التشدق : محاولة التفصح عجزاً .
(٣) ينتقي : يختار . (٤) المطلق : ضد المقيد : الاستبدادي .
(٥) الفوت : الفقدان

أمير الكمنجة

سامي الشوا

وَقَّعْتَ من نَغَمِ البلابلِ صفوَها ومن الهزارِ وكم فتنتَ أديباَ
لولا يديكَ (١) وما عرضتَ لحُبِّرتْ
أسماعُنا ، فلكم نطقتَ عجيباَ
تتسابقُ الأوتارُ بالنغمِ الذي توحيهِ كالصوتِ الجميل حبيباَ
فنخالُ من شفتيكَ أعذبَ وقْعِهِ أوَ ليس عندكَ نائباً ومُنيباَ ؟!
أتقنتَ صوتَ الآدميِّ مغرِّداً وصوادحَ الطيرِ العزيز طَرُوباَ
مثلَ ابتداعك للشجونِ تثيرُها أو للدموعِ مودِّعاً وخطيباَ
فنظلُّ نتبعُ ما تبثُّ من الهوى وتظلُّ أنتَ معذِّباً وطبيباَ
طوراً تبلغنا السعادةَ كُلَّها وهنيهةً تُغري بنا التعذيباَ
يتبادلان دموعَنا وخفوقَنا وزفيرنا والشوقَ والتأنيباَ (٢)
ومن العجيبِ اذا اكتفيتَ رأيتنا نعصي سكوتكَ أو تكون مجيباَ (٣)

(١) أي لولا رؤيتنا يديك اللاعبتين .

(٢) التأنيب : التعنيف : اشارة الى تقلبه الجريء من حال الى حال ولعبه بعواطف السامعين .

(٣) لا تمنع شكوانا من تقلبك وتصرفك فينا اننا نزداد شكوى اذا سكت . . . !

ونحارُ في كنهِ اقتدارك بينما ملأ الاثيرَ مُموّجاً مسكوباً !

***

لِلهِ يا (سامى) العواطف رحمةً بقلوبنا فلقد عزفتَ مُذيباً !



الوطن الصغير

ألقى الشاعر هذه القصيدة ترحيبا وتشجيعا في حفلة نادي موظفي الحكومة ببور سعيد يوم ٣ يناير سنة ١٩٢٦ برئاسة محافظ المدينـة سعـادة اسماعيل باشا رمزي . واظهر صور القصيدة محاولة ايقاظ الجمهور وبث العناية بالنهضة المحلية أولا .

باسم الاخاء وباسم هذا النادي أهدي التّحيةَ من صميم فؤادي

وأقدّر البرَّ الصحيحَ بسعيكمْ للفضل والاصلاحِ والارشادِ

فلكمْ هنا الوطنُ الصغيرُ وجُهدكم لرجائِهِ جُهدٌ لهـذا الوادي

إنْ تهملوهُ فليس يقبلُ بِرَّكم وطنٌ أجلُّ ولا نداءُ بلادِ

فالأمةُ الافرادُ بعد جموعِها والشعبُ بالأجنادِ فالقوّادِ

فاذا أردتمْ للبلادِ نهوضَها فلتذكروا امثَلَ النهوضِ البادي (١)

قولوا لمن خذل الغرورُ عقولَهم القدرُ بالاعمالِ لا الميلادِ

لا تحسَبوا انّ الوقارَ بعزلةٍ شَرفُ الحياةِ لهشريفُ ودادِ

(١) البادي : أي البادىء ، وكذلك بمعنى الواضح .

يتساويان لدى الفخار : يراعةٌ بيد الاديبِ ومِنْجَلُ الحَصّادِ
كُلٌّ له عملٌ يُقدَّر فَضْلُهُ بالنفع والاخلاص ِ والاسعادِ
أما المَعِيبُ فنَزْوَةٌ[1] وبطَالةٌ وجهالةُ التفريق ِ والاضدادِ
اكرمْ بكم في العاملين لوَحْدَةٍ أعظمْ بكمْ في الدافعين لعادِ
في مَوْطِنٍ ملكَ الدخيلُ كنوزَهُ وغدا الأصيلُ مهدَّداً بنفادِ
لاتتركوه يئنُّ من آلامِهِ فيكمْ أُساةُ الروح والأجسادِ
لا تكتفوا بحياتكم ووفائكمْ بل فاعملوا عملَ النبيّ الهادي !
بلدٌ يزينُ (الشرقَ) جُودُ منارِهِ أولى بمشرقِ نورِهِ المتهادي
البحرُ بسَّامٌ له بتحيـــــةٍ وله القنالُ ذخيرةُ الاجدادِ
وتزورُهُ أممٌ وتحسدُ مالَهُ من عزةِ الماضي ووَحْيِ الغادي[2]
قد فرّطَ الآباء في آمالِهِ لكنْ له أمَلُ الكريم الجادي[3]
يُعطي ويلبثُ في السّخاء مميَّزاً بالبشرِ والايناسِ للوُفّادِ
وأرى العطاء له حدودُ سلامةٍ وأرى الحصافة في حكيمِ جهادِ
فتعاونوا واستمهلوهُ وعلّمُوا أبناءه عملَ المجدّ الصادي
ليعودَ للبرّ السليمِ بأهلِهِ قبلَ الاجانبِ فيه والقُصّادِ
ويكونَ قدوةَ غيرِهِ في امةٍ جلَّ النداءُ بها وقلَّ الفادي[4]

(١) النزوة لغة : الوثبة ، ومجازاً : الطيش . (٢) الغادي : الآتي : المستقبل . (٣) الجادي : المعطي . (٤) الفادى : المضحي .

راقصة البارتنون

ذهبت (مونّا بايفا Monna Paiva) الراقصة الحسناء « بالاوپرا كوميك » بباريس الى اليونان وقصدت أن تزور (البارتنون ـ Parthénon) ، فما وافت أعلاه وأخذ جماله منها ما أخذه حتى انتزعت ملابسها ورقصت عارية فوق « جبال الجمال والفن تلك » وسط الهواء السماوي الذي لم تلوثه أنفاس الشهوة البهيمية : وقد شكت حكومة اليونان تلك الفعلة وفاعلتها الى حكومتها وطلبت اليها لوم تلك الراقصة الحسناء . . . « ١ »

***

بَرَزْتِ بفنّكِ ياغايَهْ فللفنّ رقصتُكِ الغاليهْ

معطَّرةً من أريجِ الجبالِ مجدَّدةَ المُبَجِ الفانيهْ

مزوَّدةً من معاني الجمالِ ومن طهر آلهـة رانيـة

خلعتِ الذّتها الاحتشامَ وأبرزتِ حليتَكِ الخافيهْ

فمن حقّها أن يسودَ الغرامُ وأن تُسْعَدَ القُبَلُ الدّانيهْ

مِن النُّور والأثَرِ المزدهي برقصتكِ الحرّة الزاهيهْ !

ومن نظرات السّحابِ السريعِ يودُّ البقاء ولو ثانيهْ !

ومن بسماتِ الشّعاعِ البديعِ يذوبُ بأنوارك اللاّهيهْ !

ومِنْ عجبٍ شِمْتِ هذا المجالَ يردُّ مُنَى الشَّهوةِ الغاويهْ !

« ١ » هذا ما أشيع أولا عند ما نظم الشاعر قصيدته ثم أعلنت الراقصة فيما بعد ان غرضها كان غير ذلك .

وأُنسيتِ إنَّ الهوى والسؤالَ ... مُشاعان في العُصُرِ الخاليهْ!
وآثارُها حولكِ الخاشعاتُ ... كذلك في الصُّوَرِ الباليهْ!
وفي خافقات الجماد الصموت ... وأشواقِهِ الجمّةِ الظاميهْ!
فلا تغضبي إنْ شككِ (الهُداةُ) ... فذلك كيْ تغتدي راضيهْ!
وما هو الأعتابُ الهواةِ ... فليتك كنتِ لهم داعيهْ!

أميرة الشعر المنثور

الآنسة ميّ

يشوقُ الحسانَ نظيمُ العقُودْ ... وأنتِ افتنانُكِ في نَثْرِها
مجلّةً من بيانٍ يجودْ ... ومسعدةَ النفس في فقرِها
فكم لكِ من عارفاتِ الخلودْ ... جواهرُ تسحرُ من قدرِها
وتقبسُ من نور هذا الوجودْ ... مَناراً وتُوقظُ من سحرِها
وتُظهرُ أصباغَ حالي الورودْ ... فنُزْهَى وننشقُ من نشرِها
وتجمعُ آيَ الجمالِ الشرودْ ... فيغتبط الفنُّ من ذكرِها
وعندكِ لا يعتريها الصدودْ ... اذا تعبَ النظمُ في اثرِها

غوالٍ تجوزُ بعيدَ الحُدودْ بدهشتِها الفخمِ أو عُمْرِها !
وهيهات يَسْري اليها الجمودْ وهيهات.. فالرّوحُ من سرّها!
اذاما دعاها(١) الأديبُ الحسودْ دعته(٢) الى الصدق من بشْرِها
ويا ربما خصّها بالسجودْ ولم يظفرْ النظمُ من ظفرِها
فيا (ميُّ) يامَنْ بفضلٍ تسودْ ونُبْلُ العواطفِ من فخرِها
ويا من حَبَتْنَا كريمَ الوعودْ وأحييتْ مُنَى الفنّ من برّها
وجادتْ لنا بالخيالِ الوَدُودْ كما جادتْ السُّحْبُ في قَطْرِها
وطوراً لها البرقُ ثم الرُّعودْ لفكّ المشاعر من أسرِها
حُفِظتِ محرّرَةً من قيودْ ورافعةَ النثرِ في شعرِها !



(١) رغب اليها . (٢) ساقته الى ...

ذكرى محمود مراد

يرثيك مَنْ عرفوا حجاكَ عظيماً ... أمّا أنا فأزيدك التعظيما
فلقد عشقتك بالسماع بغربتي ... فهززتني شوقاً اليك جسيما
ولمحتُ فيكَ نبيَّ فنٍّ خالد ... والرافعَ الأدب المهين كريما
وأنا الطبيبُ أصون دفقَ عواطفي ... حيناً فأعجزني نواك أليما
للعارفيك إخاؤهم ووفاؤهم ... ولزفرتي أثرٌ يُظن نظيما!
والفنُّ يعلم غيرَ ذاك، فانه ... رجعُ الصدى ممّا نشرتَ كريما!
أرسلتَ همتك البعيدة داعياً ... واليومَ تجمعُ ما غرستَ زعيما
حتى بأقطار الثلوج (١)، فانني ... لم أنس سعيك مرشداً وعليما
ولديَّ في تلك الديار مظاهرٌ ... للفن قد تُنسي الغريبَ صميما (٢)
لكنْ هو الفذُّ النبوغُ موفّق ... يُهدي ضياءً سارياً وشميما!
وتكرُّ أعوامٌ ويلبث حقّه ... دَيْناً على كلّ الرجال مقيما
واليومَ نبدأُ بالوفاء وربما ... تمضي السنون ولن يزالَ (٣) عميما!
أسفي على هذا الوداع وانْ يكنْ ... فيه المماتُ محقَّراً وهزيما

---

(١) يشير الى البلاد الاوروبية التي اغترب بها الشاعر طويلا .

(٢) اي فنا نا أصيلا في وطنه . (٣) أي دينه علينا .

ما غُرمُ هذا القطر لو متّعتَه عمراً أجلُ وانْ بقيتَ غريماً ؟ !
كنتَ المجزّيء روحَكَ العالي هُدًى
فرحلتَ عنـه مكوّماً وسليما [1] !
وقتِلتَ من «مرضِ الملوك» [2] مبجلاً
وبعـلة الفقراء عاد سقيماً !
وعُرِفتَ خلاّبَ النُّهى ببيانِهِ والآن تُعْرَفُ بالصموتِ حكيماً !
وممثلاً بالأمس كان مروّعاً فاختَرتْ وعظَكَ في التراب جسيماً
العلمُ والأخلاقُ وهي مواهبٌ فقدتْ بفقدك موئلاً وحميماً
فاذا تقدم للرثاء كبيرُها تركتْ مناحتَها الفخارَ كليماً !
ولو الطبيعةُ في تنوّع رسمها سُئِلتْ لألبستْ السماء غيوماً
في كلّ جيلٍ قلما يُهْدي الورى نورٌ كنورك أو يكونُ نديماً
فاذا رُثيتَ فانّ من يُرْثَى الأُلى فقدوا إماماً للنهوضِ لزيماً
وأجِلُّ عقلكَ عن مصيرٍ نثيرِهِ ترباً ، فما كان الضياء عديماً !

---

(١) سليما : كاملا ، وايضا بمعنى لديغاً أو جريحاً .
(٢) اشارة الى المرض الذي ابتلى به .

عبد القادر

تحية صاحب « البلاغ » الاستاذ عبد القادر حمزة في مستهل العام الرابع لصحيفته الشهيرة .

حيّاكَ بالأمسِ العصيبِ أبي فدعْ قلمي وقد بانَ[1] الأصيلُ ينوبُ
في مستهلّ جديد سعيكَ بعد ما درجت سنونُ عواصفٍ وخطوبُ
كنتَ (القديرَ) ولم تزل في قدرةٍ للحقّ يفزعُ شطرَها المنكوبُ

فابدأ بعامٍ بالمفاخرِ حافلٍ
وانشرْ (بلاغك) تصطحبْه قلوبُ

وابعثْ بآياتِ البيانِ دقيقةً فلكم تفنّنَ نثرُكَ المحبوبُ
ولكم تضمّنَ كلُّ سطرٍ حجّةً ولكم تكشّفَ بينها المحجوبُ !
في قوّةِ الأعلامِ حولكَ نقدُهم يهتزُّ منه الغالبُ المغلوبُ !
فاذا الوفاء قضى بشكركَ والهوى فأحقُّ مشكوري الأديبِ أريبُ
واذا القريضُ لمثلِ جهدِكَ لم ينلْ حمداً فلا عرَفَ اليراعَ أديبُ !



(١) بان : نأى .

التمثيل

القيت في حفلة جمعية (الاتحاد الاخوي التمثيلية) ببور سعيد مساء ١٦ يناير سنة ١٩٢٦ حيث مثلت رواية صلاح الدين الايوبي بمساعدة الشيخ ممثلي مصر الكبير الشيخ ابراهيم احمد الاسكندري برعاية سعادة أسماعيل رمزي باشا محافظ القنال.

إنْ تَحتَفلوا بعلَى (صلاح الدين) فتذكَّروا لأخيهِ فرضَ مَدِينِ!
فهو الممثلُ ، مَنْ يُعيدُ لحِسِّكمْ ويكرِّرُ التاريخَ جدَّ أمينِ!
لولاهُ ما انطبعَ الجلالُ بصورةٍ للناس أروع من أعزّ يقينِ
لولاه لاكتفتْ العقولُ بسيرةٍ عَرَضًا، وماانتبهتْ لاشرفِ دينِ
دينُ العظائم لن يُذاعَ ضياؤه إلاّ بهمّةِ نَخْوَةٍ وفنونِ
كالشعرِ أوكالنقشِ أوكالعزفِ أو تمثيلِ غايتِهِ بحذقِ ضمينِ
قدّرتمْ الفضلَ الصحيحَ لنفسِهِ والفضلُ للعُشّاقِ غيرُ ضنينِ
أكرمْ بكم متسابقين لنصرهِ ومعزّزين لحقّهِ المغبونِ
ومعلّمين الغافلين فُروضَهم في سهرةِ الفنّانِ والمفتونِ
ومساعدين لمن شدا بغِنائه جيلانِ للمسرورِ والمحزونِ
فتلقَّ يا (ابراهيم) شكرَ خواطرٍ ومسامعٍ عشقتْكَ عشقَ عُيونِ

قيثارةُ الاحسانِ أنتَ وقدرُها ... يزدادُ بالتعميرِ لا التزيينِ
وبقيّةُ الماضي الذي يبقى كما ... يبقى شذا المسكيِّ المسكينِ
يتهافتون ورَمْزُ شخصك عندهم ... رمزٌ لجمعِ مفاخرٍ وقرونِ
فلكم بررتَ بكلِّ جيلٍ سابقٍ ... في قوّةِ التمثيلِ والتلحينِ
وأجدتَ حتى قد نظنُّ كأنما ... نلقى إذا نلقاك كلَّ ثمينِ!
من حكمةِ الماضي وحاضرِنا معًا ... والجاهِ والسلطانِ والتمكينِ!
شخصية مثَّلتْ بها أممٌ مضتْ ... وتظلُّ خالدةً بمرِّ سنينِ!
لاتحزننَّ إذا الزمانُ أمضّها ... فلكمْ ضحكتَ عليه ضحكَ مُهينِ!
ونشرتَ مَنْ ماتوا مُخلَّدَ ذكرِهمْ ... وبعثتَ للعلياءِ كلَّ دفينِ!
وأعدتَ في الساعاتِ أعماراً وكم ... حكّمْتَ فوق منيّةٍ وحنينِ!
متلاعباً بالناظرين، وقاسياً ... طوراً، وحيناً في لباسِ مَهينِ!
والصولجانُ وعرشُ مُلْكٍ باذخٍ ... لكَ طالما قرِنا بحُورٍ عِينِ!
قد ذُقتَ اضرابَ الحياةِ جميعها ... فوقَ المسارحِ مُبْدِعَ التبيينِ!
والحظُّ عبدُكَ والزمانُ مطاطيءٌ ... فانظرْ لثورتِهِ بصفحٍ رزينِ!
وانهض بفنّكَ مرة أخرى فكم ... للشَّيبِ من عزمٍ به مكنونِ
انهضْ ولقّنْ ما استطعت موفّقاً ... عِبَراً فكم أُغنيتَ عن تلقينِ!
وأرِ الشبابَ جميلَ فنك، انّهُ ... مَثَلُ التحرّرِ لامثالُ سجينِ
إن نالَ منك الدهرُ فهو محقَّرٌ ... ولديك للتقديرِ مايُعليني

وأراكَ ـ مهما كُنتَ ـ حُرّاً سيّداً تعتزُّ بالابداعِ والتكوينِ

الشليك النديّ

أبيات ارتجالية

ومَبسِمٍ زانَه حالي الشليكِ النَّدي!
لِحُسنِهِ أفتدَى وحُسنُهُ يَفتَدِي!
وعبدُهُ أغتدي لكن بخوفِ الغدِ!
فَعِتقُهُ مُرهِقي وأسرُهُ مُسعِدِي
ومُتعتي نظرةٌ انورهِ المُفرَدِ
وقُبلَةٌ عمرُها أبقَى من الفرقدِ!
فسحرُهَا مُوجِدي وذِكرُها سَرمَدِي!

* * *

فَخلّدي نعمتي وخلّدي خلدي!
وسامحي جُرأةً للعابدِ المهتدي
وغرّدي دَعوَةً تَشفي الفُؤَادَ الصدِي
يامَن لها ذِلّتي يامَن بها سُؤدُدي!

النشاط الشعرى

اسمحْ لشعري أن يبرَّ بقدرِهِ — ما الشعرُ بين تثاؤب وخمولِ!

شعري كنبعٍ مدَّهُ مِنْ عيني ومن — حسّي الدفين وخاطري المصقولَ

هيهات يرجعُ عن وفاه دافقٍ — للفنّ أو عن طبعِهِ المجبولِ

مهما يفضْ فسخاؤهُ لا ينتهي — في فيضِهِ المعشوقِ والمبذولِ

في كلّ يومٍ بل بكلّ دقيقةٍ — صُوَرٌ تُصانُ لحسنِهِ المأمولِ

حتى تسيلَ مشعشعاتٍ مِلأَه — سيانِ بين جداولٍ وسيُولِ

فهو المصوّرُ للحياةِ وسرّها — وهو الجديرُ بصالحاتِ رسولِ

ويُعَدُّ إقلالاً كثيرُ نشاطِهِ — في عصرِ أعمالٍ وجيلِ عقولِ

ما الشعرُ تفكهةَ العليلِ وإنّما — الشعرُ إلهامٌ ونهضةُ جيلِ

فاذا تدفّقَ راوياً بل مخصباً — سامِىَ[1]، وإلاَّ عُدَّ غيرَ جليلِ



(١) سامِى : فاخر .

بين نارين

تبدَّت واللفيفةُ (١) في دخانٍ ... بمبسمِها تُعبّرُ عن ضرامِ !
فقلتُ لها أنا الأولَى بدنّي ... دخاناً نمَّ عن ذاكي غرامي !
فجئتُ لها لأشعلَ ماحبَتْني ... بشُعلتهـا وأنفثَ من هُيامي !
فكانت قُبلةً من نار حُبٍّ ... ومبثوثَ الأُوامِ الى الأُوامِ!
ولـكن أعقبت صفواً كأنّا ... حرقنا الهمَّ في كأسيْ مُدامِ !

يوبيل المقتطف (*)

المهرجانُ يُعدُّ واليوبيلُ ... وبكلِّ عامٍ من سنيِنِك جيل !
ماذا يزيد الحـافلون بحبِّهمْ ... ولديك مُلْكٌ للفخار حفيلُ ؟
بنت العقولُ النَّاضجاتُ منارَه ... والمجدُ يخلدُ إنْ بنَتْهُ عقول
خمسون عاماً في الجهـادِ عزيزةٌ ... وأعزُّ منهـا عمرُكَ المأمولُ !
أنا لا أسمّي العـاملين لطوله ... فالذكرُ للرُسُلِ الهُداةِ يطول!

(١) اللفيفة : السيكارة من التبغ . ج لفائف.

(*) بعث الشاعر بهذه القصيدة الى مجلة (المقتطف) في السادس عشر من يناير سنة ١٩٢٦ وقد اكتفت لجنة اليوبيل بالقاء قصيدتين احداهما لخليل بك مطران والاخرى لحافظ بك ابراهيم .

وأرى الوجودَ غذاءكَ الباقي كما للعلمِ عُمْرُكَ ضامنٌ وكفيلُ!

ودُعيتَ (مقتطفا) ومثلكَ مانحٌ ما يستعزُّ بمثله (الانجيلُ)!

مِن كُلِّ بحثٍ للعظائمِ مُسْعِفٍ ولنهضةِ الخُلُقِ العظيمِ يجولُ

وبكل فَنٍّ للمآثرِ مُنْشِيءٍ فالفنُّ فيكَ على الهُدَى مجبولُ

في كلِّ فصلٍ من فصولكَ حكمةٌ وبكلِّ معنًى من حِجاكَ دليلُ

تبني العواطفَ والمشاعرَ والنهى حيناً، وطوراً بالدليلِ تُديلُ!

(سقراطُ) ثم التابعون ومَجمعٌ للنابغين تناوبوا وأُقيلوا!

وتظلُّ مدرسةَ الحياةِ بأسرها وتعيشُ فرقاناً له التقبيلُ!

وبلغتَ سنَّ الرشد يوم ولادةٍ ووُقيتَ شيبَ العُمْرِ وهو طويلُ!

بينا تناجيكَ المداركُ حرّةً للروحِ عندك منزلٌ مقبولُ

وأرى حياتي من حياتك، طالما مُتِّعْتُ منكَ ومَطْمحي مكفولُ

عشرون عاماً كم عرفتُ غضونَها فيكَ النفيسَ شعارُهُ المعقولُ

ونزحتُ عن وطني فكنتَ مصاحبي واذا احتجبتَ تعود حين أميلُ!

وبكلِّ شهرٍ رحلةٌ لكَ لاتني رغمَ البحارِ فما عداكَ خليلُ!

أبداً تجودُ وحاملاً لذخائرٍ من طبعها التجميلُ والتكميلُ

وتسوحُ في الدُّنيا وترجع باسماً خِلاًّ يُصانُ لبرّه التبجيلُ!

ومن العجائب انَّ برَّكَ شاملٌ سيان فيه مُغرَّبٌ (١) وأصيلُ!
وأعيذُ مَنْ عرفوك عن نسيانهم فاقبلْ وفائي الجمَّ وهو قليلُ
ومن الحقائق انَّ فضلك جامعٌ واليـه يرجعُ ناشطٌ وعليلُ
ومن المفاخر انّ رأيك حجةٌ فحجاكَ للحقّ الصميم ِ مُقيلُ
ولعيدِكَ الذهبيّ كنزٌ خالدٌ هو من صفاتك مُسعِدٌ مبذولُ
أنت الغنيُّ به ونحن لبرّهِ نسعى ، فما يُهدَى اليك فُضُولُ!
وعُرِفتَ بالأسرارِ أنصحَ عالِمٍ وبِمُشْرِفاتِ الغيبِ حين تقولُ!
ومشرّحاً خضعَ البيانُ لأمرِهِ وسلاحُهُ التدقيقُ لا التأويلُ
ومنسّقاً للزّهر في صفحاتِهِ للناسِ، وهو لقـدرِهِ اكليلُ
ومروّضاً جمحَى النُّفوسِ على الهُدَى
فيرى سبيلَ المهتدين كليلُ
ومغرّداً بالشّعر في جنـاته يحظى مشوقٌ عنـده وسؤولُ
ومترجماً شتّى المعارفِ بينما طبعُ الزّمانِ بنشرهنَّ بخيلُ
ومحرّراً أسرى العوائد إن طغت ونصيبُهـا من عـدله التكبيلُ
ومطبّباً مرضى النفوسِ وعنده تطبيبُهـا أولَى به التعجيلُ
ومؤدّباً باللطف ملءُ حديثـه واللطفُ للأدبِ السليمِ زميلُ
ومسائِلاً ومجاوباً ومحققاً لا تعتريه سـآمةٌ وخمـولُ

(١) المغرب : النازح .

وممثّلاً لحوادث الدنيا كما رسمَ الوقائعَ ناظرٌ منقولُ
ومؤرّخاً ينبيكَ مُبدعُ وصفهِ أنّ الزمانَ بوصفهِ مأهولُ !
ومهذباً للسان امته، وفي تهذيبه تهذيبُها المقبولُ
ومؤملاً حاشاه ييأسُ ساخطاً والنصرُ أولُ عُمرهِ التأميلُ
ومبادراً للصالحات يُعزّها في موطنٍ فيه الصلاحُ ذليلُ
ومحارباً بدعَ الخرافةِ بعدما قتل الحكيمَ بامسنا التضليلُ
ومنادماً هيهات يذبل انسُهُ والانسُ زهرٌ يعتريه ذبولُ
ومخاصماً للعابثين بقوةٍ أقلامُها عند الدفاع نصولُ
ومسالماً للفاتحين بعلمهم ما كان بين العالمين دخيلُ
ومُحكّماً يقضي ويُنصفُ شاكياً حتى اذا جهلاً شكاهُ جهُولُ !
ومخاطراً عند الدعايةِ إن قضى علمٌ، وإن بلغَ العليمَ أفولُ
ومُثابراً تفنى الزلازلُ حوله وهو الرصيدُ السائلُ المسؤولُ!

***

صرّوفُ (١) عِش كزميلك الجمّ العلى
علماً يُخصُّ بمثلِهِ التنزيلُ!
يتحدّثُ الاحفادُ عن آثاره والجيلُ عنه، بقدرهِ مشغولُ!

---

(١) هو العلامة الدكتور صروف رئيس تحرير المقتطف واحد منشئيه « وزميله » الدكتور فارس نمر.

وتلقَّ مِنْ مدحي عواطفَ مُكبرٍ والمدحُ للفضلِ النبيلِ نبيلُ
وأنا الذي شعري يعافُ تمدُّحاً الا لمثلك فالمديحُ جميلُ
يجري به قلمي طَرُوباً زاهياً في جلسةٍ فيها الشعورُ جزيلُ
لا يعرف التنميقَ محضُ خلوصِهِ وصفاؤه طبعٌ لديه صقيلُ
مرآةُ أحوالٍ وصفحةُ عالمٍ وخواطرٍ عنه ومنه تسيلُ
ولحقَّ ربُّ النورِ عكسُ شعاعِهِ صُوَراً، ولو أنَّ الأصيلَ جليلُ!

الشعر العزيز

وتساءلوا : « ما الشِّعرُ ؟ » قلتُ : « أعزَّةُ
لغةُ الجمالِ وصُورَةُ الاحساسِ
لا خيرَ في النظمِ المُنمَّقِ لاهياً
بالسَّمعِ لا يَغذُو (١) عقولَ الناسِ
يستحضرُ الفَخمَ الخيالَ مُزَوَّقاً للوهمِ لا للخاطرِ الحسَّاسِ
متجرِّداً عن فهمِ آمالِ الورى وحقائقِ الدُّنيا وواجبِ آسي (٢)

---

(١) يقال لغة : غذا الطعام الصبي اي نجع فيه وكفاه .
(٢) الاسي : المداوي ، ومجازاً : الحكيم الفيلسوف .

متكلفاً يرضى القشورَ غذاءه ... وخياتُهُ مقرونةٌ بلباسِ
وأرى الجمالَ مجملاً في ذاتهِ ... وأرى الملاحةَ في بساطةِ كاسي
والعمقَ في التفكيرِ قبلَ صياغةٍ ... وما أثرَ التفكيرِ المتناسي
فدعوا الزخارفَ والوساوسَ إنها ... كملاعبٍ بُنيتْ بغيرِ أساسِ!
لا الصدقُ يقبلها وليس لمثلها ... نفعٌ ولا أثرٌ من الايناسِ
الشعرُ مرآةُ الشعورِ، مقامهُ ... أسمى من التلفيقِ والوسواسِ[1] »

الطبُّ الجديد

نظمها لسانا لحال صديق

قال الطبيبُ وقد أراد تماثلي ... الآنَ نورُ الشمس محمودُ الاثرْ
فارحلْ الى البلدِ الجميلِ بنورهِ ... متمتعاً بالنُور تمتيعَ الزَهَرْ
فشكرته، لكنَّ قلبي قال لي ... لاتنسَ انَّ البُرءَ من نور(القمرْ)!
الشمسُ للطبِّ القديم وقد غدا ... للبدر مأمولُ الشفاء المنتظرْ!
نورٌ يفيضُ عن الغرامِ بجينهُ ... متجلبباً بالطهرِ والبرِّ الابرْ
وبه الغريقُ يرى الحياةَ رخيصةً ... بينا يراها نعمةً لا تحتقرْ!

---

(١) الوسواس: اضطراب الفكر.

الرق الابدى

حنانكِ !...رحماكِ !...ياناثرَهْ لسحرِكِ بالنّظرةِ الآسِرَهْ !
ألا تكتفين برقّ القلوبِ بدنياكِ ، والعتقِ في الآخرَهْ ؟!

مصرع أبي هيف

عميد كلية الحقوق المصرية سابقاً ومدير دار الكتب المصرية بالقاهرة.

كالبرقِ مَصرَعُكَ العَجولُ الخاطفُ
جَمْعٌ يَشكُّ به وجَمْعٌ خائفُ !
والرَّعدُ وَقْعُ صَداهُ حين نُبُوءَتِهِ
يا هَوْلَ ما يجني الزَّمانُ الواجفُ (1) !
فاذا اليراعُ وحُرقتي لِتَسابُقٍ هذي تُذيبُ أسىً وذلكَ ذارفُ !
والحيرةُ الكبرى تُساوِرُ خاطري فَيَرُدُّ ما قد يدّعيه العارفُ !
مالي اضطرارٌ للشُّروحِ فانني في مثلِ نكبتِكَ الحكيمُ الكاشفُ

(1) الواجف : المضطرب .

حَسَبَ الزّمانُ نبوغَ عقلكَ وافيًا
بالعُمْرِ فانتقَصَ[1] السنينَ الحاذفُ[2] !
أَلمثلِ همتكَ الرّثاء ؟ ! فانّها تبقى كما أبقَتْ حِجاكَ مواقفُ !
حَقُّ الرّثاءِ لمن تركتَ بحسرةٍ
ولخاسري فضلٍ بكتهُ عوارف[3]
كُنتَ السخيَّ بهِ كثيرَ تواضعٍ بينا يتيهُ ويستعزُّ الزائفُ[4]
أمّا بنوكَ فما الرّثاء لمجدِهم بعلاكَ، فالمجدُ المكرّمُ شارفُ[5] !
لكنّه لعواطفٍ بكَ أينعتْ فأعزُّ ما خسرَ البنُونَ عواطفُ
ولربما عزّاهمو في رُزْئهم صُوَرٌ تناجيهمْ وحُبٌّ آلفُ[6] !
ليس اليتامى مَن يموتُ عظيمُهم بل مَنْ نأى عنهم فخارٌ وارفُ[7] !
وفخارُ مثلكَ لن يزولَ فانّهُ فخرٌ بنتهُ مكارمٌ ومعارفُ !
تَذْرُو[8] الرياحُ الناسفاتُ بغيره والحقُّ لا تطغى عليه عواصفُ !
أعظمْ بموتِكَ للأنام محققًا أنَّ الحياةَ مآثرٌ وصحائفُ !

---

(١) انتقص الشيء : نقصه .
(٢) الحاذف : الرامي ، وأيضاً بمعنى المنتقص .
(٣) العوارف : جمع عارفة ، وهي العطية .
(٤) الزائف : الحقير المدعي المردود .
(٥) شارف : أي ما له الشرف . (٦) آلف : أي آنس اليهم
(٧) وارف : ناضر . (٨) تذرو : تطير وتفرق .

دَيْنٌ يوفّيه القديرُ لجنسِهِ

فاذا انتهى ولّى وعاش الخالفُ (١) !

وأراكَ قد أسديتَ فوقَ وفائِهِ

بينا الدّعيُّ لبعْضِ فضلِكَ واقفُ (٢)

أسفي على الانسانِ وهو مُؤَلَّهٌ (٣)

بالعقلِ يفْنى، والجمادُ يخالفُ !

ولو انَّ حرّاسَ الأثيرِ (٤) تصونُه

صُوَراً وتنشأ بالاثير خلائفُ (٥)

لُغزُ الوجود يحارُ كلُّ محقّقٍ فيه، وفي طيّ الضمائر هاتفُ

شكٌّ يقود الى اليقين بأنَّ ما يَفْنى هو العَرَضُ السقيمُ التالفُ

والخالدُ الباقي المشاعرُ كلّها فيطوف منها بالعوالِمِ طائفُ !

---

(١) الخالف : الاحمق ، وأيضاً بمعنى المتخلف .

(٢) واقف أي حابس لما يملك ، وأيضاً بمعنى متردد من قولهم وقف في المسألة أي ارتاب .

(٣) يشير مجازاً الى سيطرته العظمى على العالم الارضي .

(٤) الأثير : عند الاقدمين الفلك التاسع ، وعند علماء الطبيعة (وهو قصد الشاعر) مادة لاتقع تحت الوزن تتخلل الاجسام ويكون امتداد الصوت والحرارة والكهربائية بواسطة تموجاتها .

(٥) خلائف : جمع خليفة وهو من يخلف غيره ويقوم مقامه .

أصْغِرْ بأجسامٍ لعلَّ كِيانَها
غذَّتْهُ من رِمَمِ الجُدُودِ سوالفُ[1]
صارت تراباً أو سماداً يُشترى
فالجِرْمُ في تكوينها متضاعِفُ
تحوي مراحَ الفكر وهي هياكلٌ[2]
وبها كنوزُ الذهن وهي سفاسفُ[3]
فليحْذَرْ الانسانُ في أوهامِهِ
إنْ عدَّ أنَّ الجسمَ سوفَ يحالِفُ[4]
أمّا أنا فأرى الحياة كما أرى
والصِّدْقُ أولى أن يراه الصادفُ[5]
وأرى (أبا هيف) ضحيَّةَ حِلْمِهِ
ولَّى كما ولَّى الشُّعاعُ الصائفُ[6]

---

(١) سوالف ، جمع سالفة : أي ماضية مندثرة .
(٢) هياكل : صور عارية .
(٣) سفاسف ، جمع سفساف : أي حقيرة .
(٤) اشارة الى بعض معتقدات من يدعون مناجاة الارواح وغيرهم .
(٥) الصادف : الراغب عن الشيء .
(٦) الشعاع الصائف : أي الشعاع الحار الممتلىء بالحياة والقوة . والحلم : العقل .

من بعدما وهَبَ الحرارةَ نورُهُ ... فليبكِهِ نَبْتٌ وتبكِ طرائفُ (١)

وليبكه وافي الشباب لنفعِهِ

في مَوْقِفِ التذكيرِ وهو مُشارِفُ (٢)

صحِبَ المجامعَ والرسائلَ فانقضى

عُمْرٌ وقام كتابُهُ المتآلِفُ (٣) !

سِفْرٌ من الأخلاقِ معشوقُ السَّنَى

عن كُلِّ زلاّتِ الخمولِ صوادفُ (٤)

إنْ تسألوا عن عِلَّةٍ لمماتِهِ

فَظَماؤُهُ للبَحْثِ وهو الهائفُ (٥) !

أبداً ينقّب في المباحث مُبْدِعاً

حتى دَهَتْهُ من الجهود مَتَالِفُ (٦)

ويُعلِّمُ الجيلَ الطموحَ الى العُلى ... قانونَها مهما يَعِبْهُ مُخَالِفُ

---

(١) طرائف : جمع طريفة وهي الحديث النادر المستحسن ، والمقصود سيرة الفقيد .

(٢) مشارف : يقال شارف الشيء أي اطلع عليه من فوق .

(٣) المتآلف : المجتمع ، وأيضاً بمعنى الاليف لها .

(٤) صوادف : مرتدة منصرفة ، أي الاخلاق

(٥) الظماء : العطش ، والهائف : الشديد العطش .

(٦) متالف : جمع متلف وهو محل التلف والهلاك .

فارقدْ فقيدَ العلمِ رقدةَ هازىءٍ بالموتِ، فالفذُّ العظيمُ يجازفُ

وانظرْ بروحِكَ للغراسِ تركتَها
تنمو وليس بها الضعيفُ الآسفُ

إلّا لمصرعِكَ الأليمِ فانها
ريعتْ وأذبلها عليك ذوارفُ[1]

جسمٌ كجسمِكَ في الطهارةِ حقّهُ
حقُّ الملوكِ فتحتويه لفائفُ[2]

مِنْ كلِّ مأثورِ الفضيلةِ والحجا
وبكلِّ ما يُرضي المحبةَ واصفُ

مهما سموْتَ بعبقريتكَ[3] التي
عانتهُ ... [4] إني باسْمِ قدرِكَ حالفُ !

---

(١) لأن الدموع ماء حياتها .

(٢) يشير الى صيانة أجسام ملوك مصر الفراعنة .

(٣) العبقري لغة : كل ما يتعجب من كماله وقوته وحذقه

(٤) اشارة الى هجر كماله الفكري لجناياته العاثر .

ذكرى ١٣ نوفمبر (*)

نظمت لمناسبة الذكرى الثامنة سنة ١٩٢٦م

في مِثْلِ هذا اليَوْمِ مِن أعْوَامِ ... خَطَّ الخلُودُ صحيفةَ الإِقْدَامِ

وأضاء أحْرُفَها تألّقُ ثَوْرَةٍ ... للحقّ بين دَمٍ وبين ضِرَامِ

وكأنَّ (أُوزِيرِيس) بارَكَ وَحْيَها

فَسَخَتْ فرائدُها عن الابهامِ

أو أنّ (هورَسَ) كالمجاهد عن رَعٍ (١)

لم يألها رفعاً غداةَ يُحامي

أملَى بها الشُّهَدَاءُ مِن أرْوَاحِهِم ... آيَ الفِدَاءِ بكلِّ جرْحٍ دامِ

لِيَرى الذين أتَوْا على آثارهم ... كيْفَ الحياةُ تُصَانُ بالآلامِ

حَيُّوا بني وطني سريَّ منارها ... ملءُ النفوس يُشِعُّ والأفهامِ

واستقبلوا الذّكرَى كأوْفى أُمّةٍ ... عَرَفَتْ جلالَ المجدِ والإلهامِ

(*) راجع قصيدة الشاعر في الذكرى الخامسة لهذا العيد الوطني بديوان (مصريات) ص ٣٣ - ٣٥ .

(١) أوزيريس : كان معبوداً إلهاً للخير والاصلاح والنهضة عند قدماء المصريين ، و (هوروس) إله الظفر تحت امرة المعبود (رع) .

عادتْ موحَّدَةَ الصفوفِ كريمةً | كالجوهرِ المتفرِّدِ المتسامي
ألقتْ مقاليدَ الامور لشيْخها | في غيرِ نُكرانٍ ولا استسلامِ
حامي حمى الدستور (سعْدُ) رجائها | والمِدْرَهُ العاتي على الظُّلاَّم
والوالدُ الحاني عليها فَوْقَ ما | يحنو العَمُّ الوافي على الأيتام
(النِّيلُ) عُدَّ أبًا (لمصر) و(سَعْدُها)
عُدَّ الكفيلَ لهـــا على الأيَّامِ
وكأنَّ (حابي) قامَ فيه مُمَثَّلاً | واختُصَّ معبوداً بخفض الهامِ
أو أنَّها (عذراء بخْتِنَ) تيَمَّمَتْ
(رمسيسَ) عن حُسنٍ وصدق غرام[1]
عَلَمُ البطولَةِ والجهادِ: حيَاتُهُ | أبقى وأعْرَقُ من عُلى (الأهْرَام)
طالتْ برغم التضْحياتِ وانَّها | لَجُمُوعُ آمالٍ بحِصْنٍ سامِ
عالي المَهابَةِ لا المَشيبُ يشوبُهُ | ضَعفًا، وليس لظاهُ غيرَ سلامِ
حَقَّ له ولصاحبيه[2] على المدى | الشكرُ، وهو على التعاقُبِ نامِ
شُكْرُ القلوبِ الواعياتِ لما انقضى | مِنْ حالِكِ الأحداثِ والآثامِ
والسيْفُ يلعبُ، والرَّصاصُ مُدَمْدِمٌ
هَزَجاً، وما في القُطْرِ غيرُ ظَلاَمِ

(١) حابي: اله النيل. راجع قصة عذراء بختن في كتب الميثولوجيا.
(٢) المغفور له شعراوى باشا، وسعادة عبد العزيز باشا فهمي.

وإذا العواصفُ لا تنامُ وإن تكنْ بَخلَتْ بكاذب بَرْقها البَسَّامِ
والنَّاسُ في جزَعِ الخُطوبِ هُمُومُهُم ودموعهم موصولةٌ لدوامِ
حتى علا صَوْتُ اليقين مؤذِّناً فتلاه بذْلُ النَّفْسِ قبلَ حطامِ
وبَدَتْ من الضيْمِ الأثيم عزيزةً (مِصْرُ الفَتَاةُ) نبيلةَ الأقسامِ
ظفِرَتْ من الصـبر الطويل وكافحت
بالجُهْدِ بعـد بسالةِ الإحجام
ذاق العَدُوُّ خسارتيها خاشياً روحاً طبيعتها كسيل طـام
إيهاً أبا الأحرار يومُكَ فَخرُهُ ما كان مفتقراً الى الأعلام
سِيَرُ البُطولة شِعْرُها آثارُها وَهَوَى البنُوَّةِ ليس عذبَ كلامِ
أُنزِلتَ منزلةَ الجلالِ مُقدَّساً فانْعَمْ برغم الشانيء المتعامي
وتملُّ أفئدةً حيالكَ نَبْضُها مِنْ حُبٍّ رافع قدرها المِقْدَامِ
أسْدَى لأُمَّتِهِ وتاجِ فَخارِها ولِرَبِّ هذا التاجِ ـ وهو السَّامي ـ
شَرَفَ الدفاعِ ونادِرَ الشَّمَمِ الذي حفظتْهُ للأمثال والأحكام
وأتتْ جموعُ الذاكرين نيابةً عن (مصر) فاشملْهُمْ بعطفِ إمام
عيدٌ كهذا العيدِ مِنْ شاراتِهِ نَوْحُ الدُّموعِ وصدحةُ الأنغامِ

اعتراف

ما زِلتُ مُعترفاً بجهلي دائباً | في دَفعِ أخطائي ورَفعِ يقيني
فاذا ضحِكتُ من الذين تهافتوا | زُمَراً على نقدي وبخسِ ثميني
فالحقُّ يعلم ليس ذاك ترفُّعاً | مِنّي عن التصحيح والتبيينِ
لكنّه أنفُ المبجّل جُهدَه | عن سُخرِ أطفالٍ ولهوِ ظنينِ (١)
أدبي ـ وإن هو لم ينلْ أُمنيّتي ـ | ما زال لي تاجاً يزين جبيني
مِن صدقِ إحساسي وكلِّ جوارحي | وتطلُّعي السامي نظمتُ حنيني
وإذاً فكيف أسومه نقدَ الهوى | للخاملين الحاسدين رنيني ؟!
وبرغمهم أن يستعزَّ لغايةٍ | في الخلد لم تُمنَحْ لغيرِ أمينِ !
الشهرةُ الكُبرى لمثلي لم تكنْ | قَصداً، ولكنْ مِنبرَ التلقينِ !
مَنْ عاشَ عاشَ لغيرِه، وأرى الذي | يحيا لشهرتِه بموتٍ مهينِ !

التعاون الفكري

إنّما مُتعةُ (الحياةِ) لنَا | لَذَّةٌ بَعْضُها الذي نجدُ

(١) الظنين : المتهم أو المكروه لسوء ظنه وسوء الظن به . والانف : التنزه والاستنكاف.

خيرُها ما نزال ننشدُهُ   مَثَلاً للعلى فنجتهدُ

والعلى لم تكنْ لذي مَرَضٍ   يهدم الخيرَ ثم ينتقدُ

العُلى غايةٌ لقوّتنا   وقوانا الاخاء والجلدُ

وائتلافُ النبوغِ حليتنا   إن أعزَّ ائتلافَهُ الجسدُ

إن يغبْ (١) غاب فيه مأملنا   فهوينا ولم يفُزْ أحدُ

هكذا أعانتْ ثقافتنا   ولديها زجاجةٌ ويدُ

وأيُّ مجدٍ وأيُّ مفخرةٍ   لحاسدٍ بالضلال يتقدُ ؟!

يشتهي لذّةَ التفرُّد في الخلْ   قِ بمجدٍ والمجدُ يبتعدُ

الحياةُ الاخاء ، والجنّةُ النّا   رُ اذا غابَ طائرٌ غرِدُ !

كم يُسيء الغرُورُ للناس ، كم يُزْ   دِي ، وكم يُصغِرُ النُّهى الحَسَدُ

عنوان الرجل

المرْأةُ عنوانُ الرَّجلِ   كالزَّهْرَةِ للنّبْتِ الحالي

تبْقَى مِرْآةَ حقيقتِهِ   وضمانَ الخُلْدِ لأجيالِ

وتجُودُ بشهْدٍ مُنتهَبٍ   للكونِ وسِحْرٍ فعّالِ

فاذا امتُهِنَتْ واذا شقيتْ   شقيا بذُبُولِ الآمالِ

---

(١) أي التعاون .

التناقض

اذا بَحَثْتَ الحَيَاةَ تَلْقَى	مِن الوَرَى عبْئَهَا الثَّقيلْ
وَغَيْرَهم قد غَدَا يُعَانِي	مِنْهَا ، ولكنْ بلا مُقيلْ !
وهكذا النَّاسُ في اختلافٍ	فَمن جليلٍ الى ضئيلْ
فان أردتَ الشُّيُوعَ عَدْلا	فانتَ تسعَى لِمُسْتَحيلْ !

علة الدهر

يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكم	يا أيُّها النَّاسُ احْفَلُوا بالحَيَاهْ
أصْغَرْتُمُ العقلَ بأوهامِكم	واخترتم الوهم لدينِ الالَهْ
والدِّينُ ما كان سوى سعيكم	للخيرِ لا ذُلاًّ لهذي الجِبَاهْ
مَنْ عاشَ في دُنياه أعمى الحِجَى	لم يغنمْ الدّنيا ولا مُنتهاهْ !

العظمة

يكاد يُعَدُّ مع الأنبياءْ	رجالُ العُلُومِ وأهْلُ الذّكاءْ

ففي كُلِّ يومٍ لهم بِدْعَةٌ ... تهزُّ الثرَى وتُناجي السَّماءْ
ولكنَّ أوفى الورى للورى ... وأولى الورى بالعُلى والرجاءْ
عِظَامٌ يصونون خُلْقَ الأنام ... ويُحيون فيهم معاني الاخاءْ

الشكوك

يَعَافُ صفْوَ اللَّيالي ... مَنْ في شُكُوكٍ يَهيمُ
والعُمْرُ أُنسٌ وأُنسٌ ... وإنْ تَوَلَّى النَّديمُ
فأينَ فتَّشتَ تُبصِرْ ... حُسْناً كريماً يُقيمُ
فكيف تُشجَى وتَنْسَى ... أنَّ الحزينَ الغَرِيمُ ؟ !

وسائل

مِن الأماني حَياةٌ ... لحالمٍ دُونَ نَوْمِ
ورُبَّ نَوْمٍ مَماتٌ ... ورَبَّ جَهْلٍ كَعِلْمِ
فلا تعشْ في سُبَاتٍ ... ولا خصيماً لِحُلْمِ
فَكُنْ لآتٍ وآتٍ ... واجمعْ خيالاً بِحِلْمِ (1)

---

(1) أي واجمع خيالا وعقلا معاً .

طب العاشق

كم يشتهي العاشقُ في حبِّه ... ما يُدهِشُ الخالي وما حيّرا
كذلك الطبُّ لطلّابه ... النعمةُ الكبرى ومحيي الورى
والسالمُ الغانمُ في صحةٍ ... لا يشكر الطبَّ اذا ما درى
فلتعذرْ العاشقَ فهو الذي ... في سُقمِهِ قدَّر ما قدَّرا !

لقاء

يحنُّ لنظرتي (النيلُ) ... وللأمواجِ تهليلُ
يجودُ عليَّ مبتسماً ... بنورٍ فيه تقبيلُ
كأنّي في لقاهُ أرى ... أباً آمالُهُ الجيلُ
يباركني ويُسعدني ... وروحي منه تأميلُ
وأمضي حاملاً ظمأً ... كأنْ لم يكفِهِ (النيلُ)!

الانسانية

ما زلتِ سابحةً بتيّارِ الدّمِ ... فتنبّهي مِنْ قبْل أن تتهدّمي !
وتعلّمي سرَّ النجاةِ ، وحققي ... معنى (الحياةِ) بحكمةِ المتعلّمِ

إنَّ (الحياةَ) تضافرٌ وتعاوُنٌ ... سِيَّانِ بين غنيِّها والمعدِمِ
حتَّى الجمادُ فقد يُؤازرُ بعضُهُ ... بعضاً، فكيف بمَنْ لِرُوحٍ ينتمي؟
رُوحُ الوُجودِ هو (الجمالُ) فماله ... قد شاهَ بينَ أذىً وخبْثٍ مُضرَمِ
وأُذيلَ بينَ تكالُبٍ وتناحُرٍ ... وهو الذي لولاهُ لم تتنسَّمي(١)!

مرَّتْ ملايينُ السنين فهل كفتْ
لِتفهُّمِ (الدُّنيا) ونقْضِ توَهُّمِ؟!
ما لامَكِ اللُّوَّامُ عنــدَ طفولةٍ
والآنَ ما يكفيكِ لَوْمُ اللُّوَّمِ
ما بَيْنَ (شمسٍ) بدَّدَتْ إشعاعَهَا
لِتُضيءَ نَهْجَكِ بعد عيْشٍ مُظلِمِ
وعوالمٍ في (الأرْضِ) مثلَ سمائِهَا(٢)
تُعْطيكِ مِلْءَ هوَائِهَا والمَنْجَمِ
قد سُخِّرَ (الكوْنُ) العظيمُ بما وَعَى
لرِضاكِ إن آثرتِ أنْ تتقدَّمي

---

(١) شاه: قبح، وأذيل: أهين، والتكالب: التخاصم كالكلاب. ولم تتنسمي: لم تتجسدي ولم تنمي.

(٢) ذكر الشاعر الشمس وغيرها من عوالم سماوية وأرضيه بين لوام الانسانية على جهلها وضلالتها واساءتها الى نفسها بنفسها.

فأضعتِ عمراً ـ لا يُقاسُ ـ بتافهٍ
والقَيْنُ مشغولٌ بشحذ الَّهْذَمِ [1]
وجرَحْتِ نَفْسَكِ بالجهالةِ مِثْلَما
في ظُلمةٍ بيدَيْهِ قَدْ جُرِحَ العَمِي !
ماذا جنيتِ من الحُروبِ سوى الرَّدَى
لبنيكِ في الحالينِ [2] ؟! فلتندَمي !
في الجسم ليسَ يَعيبُ عيناً ساعدٌ
فَعَلامَ جسْمُكِ للتخاصُمِ ينتمي ؟!
ولو اهتدَيتِ فتحْتِ كلَّ حصينةٍ
وطَرقتِ ممتنعَ العُلَى والأنجُمِ
ووهبْتِ مالكِ للثقافةِ لا الوغى — في عالمٍ قدْ ذاقَ نارَ جهنَّمِ
فرفعتِ للأحقابِ أكرَمَ صورةٍ — لا حسْرَةَ الثَّكلى ودمعَ الأيِّمِ
وزففتِ للدُّنيا الثَّناءَ لِما جنَتْ — ووهبتِها ما فاتَها مِنْ بَلْسَمِ
وجعلْتِ عَيْشَكِ نِعْمَةً لا تنتهي — لا مأتماً يتلوهُ أشجى مأتَمِ
ولكنتِ في نور (السَّلامِ) أعزَّ مِنْ
مرْآكِ في نورٍ يُلوَّثُ بالدَّمِ

(١) القين : الحداد ، والهذم : الحد القاطع للسيف .
(٢) أي في حالي النصر والهزيمة .

ولكنتِ مُلتجأ (الحقيقةِ) دائماً   تهفو اليكِ وفي ظِلالِكِ تحتمي
لا خصمَها الجاني عليها كلما   أهدتك للإصلاحِ حتى تنعمي
أسفي على عهدِ الطفولةِ عندما   أوفى (أتونُ) برحمةٍ وبسُلمِ
فنبذتِهِ، وقبعتِ في ظُلمٍ وما   فارقتِها الا لكلِّ مُحرَّمِ
وتركتِ للتاريخِ أبشعَ صورةٍ   بينَ التخبُّطِ والجنونِ المبهمِ

قدْ كانَ عهداً (للتسامُحِ) بالغاً
عهدَ (المحبةِ) و(الإخاءِ) الأكرمِ
عهدٌ بهِ (فِرعونُ)[1] لاقى شعبَهُ
جذلاً، وعلَّمَهُ بروحِ المُلهَمِ
كم قدَّرَ الرجلَ الصغيرَ لنفعهِ
للناس فوق عُلَى الكميّ المُعلَمِ[2]
وشدَتْ بصفوِ (النيلِ) نُخبةُ طيرهِ
والسِّلمُ شغلٌ للجوارحِ والفمِ
سبقَ (المسيحَ) فما اتبعتِ كليهما
وابثتِ في ليلٍ ولم تتعلَّمي

---

(١) عهد (أخناتون)، وقد كان أول داع الى التوحيد في العبادة، وكان نصير السلام وصديق الانسانية الحميم.

(٢) المحارب الممتاز.

والخلقُ بين دمٍ يُراقُ وفتنةٍ
تذْ كى وعَيْشٍ بالسَّعادةِ مُفعَم

فيَتيمتٍ مِنْ ذاكَ العَظيمِ برُشْدِهِ
ولو اتبعْتِ دَليلَهُ لم تُيتَمي

خَلّي طِرازَ عُلاكِ نُورَ محبةٍ
ونَوَحّدي في ذِكرهِ [1] وتبَسّمي!

ودَعِي لشعرِ الجيلِ نظمَ رَجائِهِ
في (المطلبِ الأسمى) بما لم يُنظمِ!

الحياة الثانية

او روح الأدب

إنْ تُعَرِّفْ (الأدَبا)	فأروعنه ما وهَبَا
كم ترَى (الحياةَ) بهِ	تملأُ النُّهى طرَبا
أو تُثيرُنا أسفاً	أو تُهزُّنا عجبا
دائمــاً يُمثّلنا	أو يضيءُ ما احتجبا
فهو صورةٌ صدَقتْ	وهو نَبتةٌ وثبـا

(١) أي في ذكر (اخناتون).

لم يكنْ لنا عَبثاً   لم يكنْ لنا لعِبا
بل مُنًى مجدَّدة   عن شعورنا كُتُبا
كلُّهُ حقائقُنا   ليس بهْرَجا كَذَبا
في صميم بيئتِنا   يَنْتَهي لنا نسَبا
لا يسِفُّ مُصطَنِعًا   لا يُذالُ مضطربا
مِلْؤهُ مَفاخِرُنا   مُذْغدَتْ لنا حَسبا
وَازِناً عواطفَنا   مثلَ حاسِبٍ حَسبا
مُعلِنًا دخائلَنا   مُفْصِحاً بما وَجبا
مُظهِراً تجارِبنا   النجاحَ والعطَبا
ثائراً لثورتنا   ناشراً لنا أرَبا
سابِراً مَشاعِرَنا   رافِعًا لها طُنُبا
يستحثنا وَيلي (١)   عند وَحْيِهِ الطَّلبا
(الوُجُودُ) أجْمَعُهُ   منْ وَفائِه اكتسبا
لم يَدعْ عظائِمهُ   دُونَ مَنْحِها سَببا
صاعِدٌ تَطَوُّرُهُ   في زَمانِهِ رُتَبا
لم تكنْ عناصِرُهُ   زُخْرُفاً ولا خَببا

---

(١) يلي: يتبع:

بل هُدوءُ حكمتنا واشتمالها نَصَبَا

والذي يُسيِّرنا نازحًا ومقتربا

مِنْ عَوالِمٍ ومُنىً خلَّدتْ لنا حُقَبا

كلُّ ما يُمثِّلهُ عَيْشُنَا به انسَكَبَا

والبعيدُ من عُصُرٍ تزدهي به شُهُبَا

فالجنيبُ يجهلهُ أو يخالهُ خرِبَا

حاسبًا سخافته والصناعةَ (الأدبا)

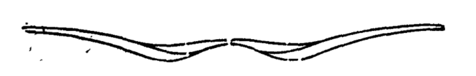
والأديبُ يَنْهَمُهُ عمرُهُ الذي طلَبَا

كم يرى دِرَاستَهُ نِعمةً ومُنتهبا(١)

عابداً مآثِرَهُ جاذبًا ومجتذبا

لا يراه مهزلَةً بل جلالَهُ الأشِبا(٢)

(للحياةِ) مُنتظِمًا (للخلودِ) مصطحِبا!



(١) المنتهب : مصدر ميمي بمعنى الانتهاب .

(٢) الاشب : الممتد المتنع .

بأمر الحاكم بأمره

لفت نظر الشاعر صديقه الصحفي الاديب والقصصي المطبوع الاستاذ حبيب جاماتي الى هذه القصة التاريخية التي نشرتها مجلة (المصور) في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٦ م والتي تناسب الوصف الشعري سواء للرواية أو للمسرح ، فلما اطلع عليها أعجب بها وتأثر من مواقفها ، ولبى اقتراح صديقه بحرارة وعواطف هذه آثارها في سبعة عشر نشيداً منغمة في البحر متنوعة القوافي واقعة في ستة وعشرين ومائتين من الابيات :

(١)

يَكفيكَ إذْ يَرْثِي (حَبيبُ) حبيباَ
ذَوْبٌ من الاحساس فاضَ مُذيباَ !
مِنْ نَبْعِ وِجْدانِي أبثُّك وَجْدَهُ
وبكلّ بَيْتٍ ما يجيشُ خطيباَ
وترى لِحُزْنِ الوَصفِ حُزْناً آخراً
مِنْ لَوْعَةِ الشِّعْرِ المُطيلِ نحيباَ
لِلشِّعْرِ تَنْتَسِبُ العواطفُ مثلما
هو للعَواطفِ ما يزال نسيباَ
ومن الفُرُوضِ عليه يومَ بُكائها
أن يُرسلَ الدمعَ السَّخِيَّ صبيباَ

لا كان شِعْرٌ لا يُوَفي حَقَّهـا

قَلَقاً ، وقد نبذ الشعورَ جنيبَـا !

فاسْمَعْ روايةَ حِكْمَةٍ وعَوَاطِفٍ تَدَعُ الأديبَ اذا استفادَ أريبَا

وتُثِير أشْرَفَ نَخْوَةٍ وَحَمِيَّةٍ للمِرْضِ حين تَزِيدُنا تَهْذِيبَا !

* * *

(٢)

في ظُلمَةِ الأمْسِ البَعيدِ ـ وإنَّهُ لِلْبَاحِثِ الرَّائِي يَلُوحُ قَرِيبَا ـ

حيث استطالَ (بمصر) أفسَقُ (حاكمٍ)[1]

وأطَالَ في غلوائِهِ تخريبَا

وَصَمَتْ بُنُوَّتُهُ (العزيزَ)[2] وعنده صار الجَلالُ (الفَاطِميُّ) غريبَا

(١) «الحاكم بأمر الله» أو «بأمره» كما كان يسمي نفسه (حكمه : ٩٩٦م ـ ١٠٢١م) كان كثير الغلو في فعاله عظيم الميل الى العسف والجبروت والتفنن في الاساءة ولا سيما الى النصارى واليهود ، شديد الغيرة على النساء والولوع في الاضرار بهن ، ولا نعرف عنه حسنة واحدة سوى شغفه بجمع الكتب ومعاضدة العلم ، وهو الذي أتم « الجامع الحاكمي » الذي بدأه والده (العزيز) .

(٢) والد (الحاكم بأمر الله) . وكان (العزيز) ملكاً محبوباً لحسن تدبيره وشجاعته وتواضعه وسياسته الاصلاحية التي كونت له ملكاً واسعاً ممتداً من اليمن الى أعالي الفرات ومن شرقي الحجاز الى المحيط الاطلنطي ، (وحكمه : ٩٧٥ ـ ٩٩٦م)

باغٍ تلوّث بالفُجُورِ ، وطَيْشُهُ ما زال مَعْدومَ المثالِ معيبا
بلَغتْ سفَاهتَهُ الجنُونَ فكم له مِنْ حادثٍ جعَلَ الصوابَ مُريبًا!
وعجائبٍ شتَّى من النَّزَق الذي لا ينتهي خطأً ولا تصويبًا!
سَلْ مُدْهِشَ التاريخ عن إرهاقِه يُنبيكَ عن عَجَبٍ يدوم عجيبا
كم مِنْ مَخازٍ أو مظالمِ لم يقف عند ارتكاب فظيعها تأنيبا
ويخالُ أمرَ الله في أمرٍ له حتى ولو أذكى البلادَ لهيبًا
في ذلك العَهْدِ الذي أشقَى الوَرَى
جَمْعًا وذَاقَ نِساؤُهُ التَّعذيبا
وَمَضَتْ به الأعراضُ مثلَ ذَبائحٍ (للحاكم) العاتي ودُمْنَ نصيبًا!
وَجَنَى على أبْهَى الكنائس هادماً وأهانَ بالنَّزَقِ السقيمِ (صليبا)
وأساء حتى للكُرُومِ[1] بنَزْعِها وافتنَّ في سَخَفِ الصغَارِ ضُرُوبا
وَقَعَتْ حوادثُ ما سأروي شاعراً بفوادحٍ افنتْ مُنًى وقلُوبًا!

* * *

---

(١) بلغت سخافة (الحاكم بأمر الله) وهو ذلك الفاجر العاتي — في سبيل النكاية بالنصارى واليهود على الأخص — انه بعد تحريم شرب الخمر تمادى فأمر بقلع جميع الكروم من الديار المصرية!

(٣)

قد كانَ في (الاسكندريَّة) زارعٌ وله ابْنَةٌ تَذَرُ (الجَمالَ) أسيرَا

عاشا بكوخٍ بين فَقْرٍ صاحبٍ وَمَحَبَّةٍ لهما تُمَدُّ نَصيرَا

قَنِعَا من الدُّنْيَا بعزْلَةِ راحةٍ متجنِّبين أذىً لها وشُرُورَا

رَأَيَا الحقارةَ في النُّفُوسِ فباعدا للنَّاسِ ما جعلَ العظيمَ حقيرَا

واستأنسا برضى (الطبيعة) وَحْدَها وقناعةٍ تَهَبُ الحزينَ سُرُورَا

أما الفتاةُ (فعَمْرَةٌ) ، ولحُسْنِهَا وَصْفُ (الربيع) مُنَوَّراً مشكورَا

مَلأتْ أباها نِعْمَةً موصولةً بجمالها ، وحَبَتْ مُنَاهُ النُورَا

أغْنَتْهُ في الفقرِ المقيمِ عن الغنى وكَفَتْه في الكُوخِ الحقيرِ قُصُورَا

لم تَعْدُ سِنَّ (البَدْرِ) في أعوامها[1] لكنَّها فاقتْ سنًى وشُعُورَا

وغدا أبُوها خاشياً ما حَوْلَها من كلِّ ذي خطرٍ ، فكان بصيرَا

منعَ الفتاةَ من التجوُّلِ راحماً لا غاشماً يجني ، ولا محسورَا

لكنهُ بِرٌّ وخشيةُ فاسقٍ مَلأَ البلادَ خبائثاً وفُجُورَا

لم يحترمْ عِرْضَاً لأيِّ مليحةٍ جُلِبَتْ إليه ولم يكن مقهورَا

بَثَّ العيونَ لرصدِ كلِّ جميلةٍ حتى ينالَ جمالَها منصورَا

كم من فتاةٍ بعد سَلْبِ عفافها ألقى بها في قَصْرِهِ تحقيرَا

---

(١) ناهز عمرها أربعة عشر ربيعاً .

تُرِكَتْ لتندبَ حظَّها في ظُلمةٍ — وتؤبِّنَ الشرفَ القتيلَ شُهُورَا
وشبابَها الذَّاوِي بلا حُرِّيةٍ — ينهدُّ مِنْ وقع الأسَى مأسورَا
في مِثْلِ ذاك العَهْدِ لاحَرَجٌ على — مَنْ كان يحبسُ بِنتَه مذعورَا
السجنُ أكرمُ مِنْ مَمَاتِ دَعَارَةٍ — والحُرُّ إنْ يَجْزَعْ يكنْ معذورَا

***

(٤)

يا حِرْصَ (عَمْرَةَ) وهي تذهبُ خُلْسَةً
للبحر ثم تفوتُه مَسْحُورَا!
فتبثُّه أحلامَها ووجاءَها — بل تُودِعُ الاشجانَ فيه قُبُورَا
جاشتْ بها طَبْعًا عواطفُ حُسْنِها — ونَمَا بها الحُبُّ الأصيلُ نضيرَا
فتُحَمِّل المَوْجَ السَّمِيعَ غرامَها — والموجُ يحمل للغرامِ سُطورَا!
لا البحرُ يدري مَنْ تُحِبُّ ولا دَرَتْ — لكنّه حُبٌّ ذكا ليثورَا!
حُبُّ الشَّبابِ كعِطْرِ زَهْرٍ يانعٍ — مَنْ يَمْنَعُ الزَّهْرَ النضيرَ عُطورَا؟!
ولطالما مَزَجَتْ دمُوعًا عذبةً — بمياهِهِ ورثتْ أخًا مقبورَا
وحنانَ والدةٍ مضتْ وكِلاَهُمَا — طبعًا بذاكرةِ الحَنَانِ شُعورَا
ماتا وكانت في طُفُولتِها فما — سكنتْ وما نسيَتْ هوًى مبرورَا
ولعلَّ أبقى الذكرياتِ جميعِها — ذِكْرُ الطفولة نامِيًا معمورَا

* * *

(٥)

واعتادَ والدُها بعودَتِهِ لها ... مِنْ حقلِهِ يزهي رضيِّ وحبورا
مستصحباً صنارتينْ لصيدِهِ ... ولصيدِها سمكَ العشاءِ قريرا
فتعود تطبخُهُ كأشهى مَطعَمٍ ... ومن البساطةِ ما يلذُّ فقيرا
ولكم أصاختْ في احترامٍ للذي ... أفضى الأبُ الحاني بهِ تحذيرا
مِنْ شرِّ أشرارِ الرجالِ ومن أذى ... تلكَ العيونِ الراصداتِ كثيرا
وأفاضَ في يومٍ فقال لها هُدًى : ... «لا تحسبي بين الرجالِ ظهيرا
أي (عمرَنِي)! فعيونُهم صنارةٌ ... للطاهراتِ رمَوْا بها تغريرا
فتجنّبيهم يافتاتي واحذري ... خطراً ينال الفاتناتِ كبيرا!!»
فمضتْ على حَذَرٍ وحرْصٍ دائمٍ ... زَمَنًا بهِ أمنا البلاءَ مريرا
حتى اذا ما الصفْوُ دام تنكرتْ ... لهما الظروفُ فأخطأ التقديرا
عرفَ الجواسيسُ الفتاةَ فبلَّغُوا ... عنها المليكَ وبالغوا تصويرا
بل ما تعدَّوْا حُسْنَها في وَصْفِهِمْ ... لـكنَّهم قد شوّقوا تعبيرا
فاستاقَها وقضَى بحـكمٍ مالَها ... في قصْرِهِ لا يعرف التقصيرا
وله صفاءُ المطمئنِّ لوالدٍ ... في فقره يعنو اليه ضريرا
ظلنَّ النفوسَ جميعهنَّ سوائماً ... أبداً تساق وما عرفْنَ ضميرا!

***

(٦)

... وإذنْ فقد بعث الغنيُّ برُسْلهِ

لأبي الفتـــاةِ مطالباً بفتاتِهِ

ما جال في خَلَدٍ له أنَّ امرءاً
في الناس يجرؤ رافضاً رغباتِهِ

دَعْ عنك فلاَّحاً بفقرٍ مُدْقعٍ
يَعْصي له أمراً برغم أذاتِهِ!

لا سيّما والأمرُ تشريفٌ له
في ظنّ مولاه وظنِّ وُلاتِهِ!

لكنَّ حُبَّ الوالدِ الحاني له
في موقفِ الخطر الفِدَى بحياتِهِ

يَرْعى بُنَيّتَهُ حريصاً حارثاً
لا يرهبُ الجبَّارَ في قوّاتِهِ

فأبى! وَرَدَّ الرُّسْلَ غيرَ مسلّمٍ
كنزاً يُفديه بمهجةِ ذاتِهِ

ما كان معتوهاً ليدفنَ بنتَه
بيديْه أو ليخونَ طُهْرَ صفاتِهِ

ثم ارتضى حظَّ الهروب مشرَّداً

معَها كطيرٍ غاب في غاباتِهِ

قد خاف كيد الباشقِ العادي فلَم

يهدأ، وطار وبان خوف شتاتِهِ

ما أعظم الرجلَ الأبيَّ بفقرهِ
وأحطَّ ذا مُلْكٍ لدى شهواتِهِ

وأجلَّ غضبةَ والدٍ دفعَ الأذى
يومَ الكريهةِ عن عفافِ فتاتِهِ !

* * *

(٧)

هرَبا وجالا في البلادِ بلا وَنًى جزَعاً من الباغي ومِنْ أعوانهِ
هرَبا ولكنْ شقَّ أن يتواريَا عن باعهِ العاتي وعن سُلطانِهِ
رُصِداً على طولِ البلادِ وعَرْضِها
وكأنَّما الأشجارُ من فرسانِهِ !
وتحمَّلا رُعْباً بكل دقيقةٍ كتَماهُ عند العجزِ عن كتمانِهِ
والنَّاسُ في فزَعٍ كذاكَ، وكلُّهم
يَخشى خيالَ العَسْفِ مِنْ شيطانِهِ
فقضى القَضاءُ بخيبةِ الأملِ الذي
واساهُما في الخوفِ مِنْ عدوانِهِ
قبض الجُنودُ عليهما، ومَضَوْا بها
للقصرِ تضحيةً الى ثعبانِهِ
ومَضَوْا به للكوخِ في سجنٍ الى
أن ماتَ أقسى الموتِ في أحزانِهِ !

***

(٨)

قيدَتْ لفسقةِ الأمير وقبلها قيدَتْ سبَايَا مثلها لبلائِهِ

ذُبِحَتْ طهارتُها وأُهمِلَ حُسْنُها

مِنْ بَعْدُ في القصرِ الشقيِّ بدائِهِ

ولكم قضَتْ في حسرَةٍ لا تنتهي

بمرارةِ العاني وروْعِ التائِهِ

أمضتْ لياليَ في ظلامٍ أقتمٍ منها، ولَوْنُ الصُّبحِ لونُ مسائِهِ

تبْكي الذي يُبكي عليه لقيمةٍ

في هذهِ الدُّنيا ضياعُ رجائِهِ

تبْكي لها شرَفًا أُضيعَ وراحةً فقدَتْ وعيشًا بان عن نعمائِهِ

حُرِّيَّةُ المأسور أغلى عنده مِنْ عزَّةٍ في السجن رَهْنَ ندائِهِ

فبَكَتْ بِحُرْقةِ قلبها حُرِّيَّةً غابتْ غيابَ النورِ عن أحيائِهِ

وبكتْ أباً لم تدرِ هلْ هو ميِّتٌ

فتنوحُ أم ترجو اقترابَ لقائِهِ

حتى أذابَ الدَّمْعُ نضرَةَ وجهها

فغدا سليبَ جمالِهِ ورُوائِهِ!

* * *

(٩)

وقضى احتراسُ (الحاكم) الباغي بأنْ
يختارَ حُرّاساً طغاةَ رجالِهِ
من كلِّ ذي نظرٍ يصيبُ مقاتلاً
وجراءةٍ تُخشى أمامَ خيالِهِ !
وقد اصطفى بين الجميع فتًى له أوفى الوفاء لعرشه ولمالِهِ
هذا الفتى هو (قاسمٌ) ، وهمومُهُ
أن يحرسَ الشرفاتِ في تجوالِهِ
ويُراقبَ الغادينَ حتى إنْ قضى
شكٌّ هوى بالسيف فوق الوالِهِ !
ولكم ليالٍ كان يسمع عانياً أنَّاتِ (عَمْرَة) تستقلُّ ببالِهِ
ونداءها لأبٍ بعيدٍ مُرْهَقٍ في صوتها المشجي برغم جمالِهِ
وَمَدَى مناجاةٍ لأمٍّ غُيِّبَتْ والقلبُ لم يبرح رهينَ سؤالِهِ
فيودُّ (قاسم) لو يهدِّمُ ظافراً بيديه ذاكَ القصر في زلزالِهِ !
حتى يخلِّصَ هذه الأنثى التي لم يَلْقَها ، ويفوتَ عارَ مآلِهِ

حتى يُعيدَ الى الضحايا بعضَ ما　　جُرِّدْنَ من شرفٍ بفضل فعالهِ
حتى يكفِّرُ عن وفاءٍ فاسدٍ　　للظالم الباغي وعن إجلالهِ
بدأت عواطفُهُ بصورة رأفةٍ　　ثم انتهتْ بهيامه وملالهِ
متحينا في كلّ يومٍ فُرْصةً　　ودَسيسةً تُجْدي لهدمِ ضلالهِ
فيُنيلُ عانيةً سعادةَ قلْبها　　ويفوزُ فوزَ الحظّ في إقبالهِ
ما ضَنَّ بالدَّم لو يُفيدُ مُحرِّراً　　تلكَ الفتاةَ وهارباً من حالهِ
الحبُّ تيَّمَهُ وانْ هو لم يَنلْ　　وَعْدًا ، ولكن خصَّه بنبالهِ

بين الهوَى ومُنى الرجولة هكذا
صار الفتى مثَلَ الهُدَى لمثالهِ !

* * *

(١٠)

وكذا ارْتضَى القَدَرُ العجيبُ بأن يُرى
في أُخْتِ (حاكمنا) خِلَافُ طِباعِهِ
وُسِمَتْ (بستّ الملكِ) وهي كوسمها
وبها أُنيلَ القَصْرُ كلَّ شُعَاعِهِ

ولطالما كانت تُوامي مَنْ سَبا
غَدْراً أخوها قاسياً بطَماعِه (١)

فتُعيدُ آمالاً مضَتْ اضحيَّةً وتردُّ رُوحاً غابَ بعدَ وداعِهِ

فرأتْ بوَجْدٍ (عَمْرَةَ) فرَنَتْ لها
وبكتْ جمالاً مُؤْذناً بضياعِهِ

وشقاءها القاسي العميقَ بوقعِهِ وبوجهها قرَأَتْ دفينَ نزاعِهِ!
قدْ هالَها منها الذي قد راعها فحنَتْ على حُسْنٍ هوى بدفاعِهِ
أصغَتْ الى ما ردَّدَتْهُ روايةً والدمعُ يفضحُ حزنَها بقِناعِهِ!
ومضَتْ ولكن بعدوعدٍ صادقٍ بالسَّعي في تخليصها من باعِهِ
والنَّفسُ يُنقذها الرجاءُ وربَّما غنيتْ وانْ شقيتْ بمحض سماعِهِ!

وكذاك (عَمْرَةُ) آمنتْ فتجدَّدت
برجائها وتبسَّمَتْ لشراعِهِ!

* * *

(١١)

أنعيمُ (بستُ المُلْكِ) وهي مُجدَّةٌ
في البَحْثِ تنشدُ للخلاص سَبيلاَ

(١) الطماع: الحرص.

ما أجملَ الاحسانَ من نفسٍ بكتْ
في عزّها الشاقيات طويلاَ
فغدتْ تُضحّي في سبيلِ مُروءةٍ وترى السعادة أن تبثّ جميلاَ
بحثتْ فلم ترَ غيرَ رشوةِ (قاسمٍ)
عوناً باحرازِ النّجاحِ كفيلاَ
فدعتْهُ ثم حكتْ له ما أزمعتْ وحبَتْهُ خبْزَ وعودِها تعليلاَ
فتملّكته عوامِلُ الفرحِ الذي يكفي لينقذَ بالرّجاءِ عليلاَ
فهوى يقبّل — والدّموعُ مُعينةٌ — قدمَيْ جلالتها ، وكان نبيلاَ
أفضى لها بهيامهِ وولوعهِ بجمالِ (عمْرةَ) بُكرةً وأصيلاَ
ولو انه لم يَلقها . . . لكنّه في عشقهِ تخذَ الخيالَ رسولاَ
وهنا علينا أن نُشيرَ الى الذي قد حيّر التفكيرَ والتأويلاَ
في كرهِ (حاكِمِنا) النّساءَ واخته أيضاً ، فكان بما يسومُ وبيلاَ
ما كان إشباعاً لشهوةِ فاجرٍ ما نال مِنْ أعراضهنّ مُذيلاَ
بل كان أغلبُهُ انتقاماً فاضحاً وتشفّياً مِنْ جنسهنّ ثقيلاَ
وقضتْ سفالتُه بتهمةِ اختهِ يوماً بما غرَسَ النّفورَ أصيلاَ
وأثار نارَ البغضِ مِلْءَ ضلوعها وهوًى انتقامٍ يرفضُ التحويلاَ
ورأتْ بقصةِ (عمْرةٍ) مأمولَها فسعتْ ، وكان لها الدّهاءُ مُنيلاَ
وغدتْ تهيِّئُ للضحايا نجوةً مِنْ شرّهِ فتسومُهُ تذليلاَ

وكذا استفادتْ (عمْرَةُ) بخصومةٍ جعلتْ لها تأميلها تمثيلا [1]
ولو انَّ (ستّ الملك) في أخلاقها مُجْلِيَ الجمالِ مكمِّلاً تكميلا
ما فاتها بِرٌّ ، وان لم تستطعْ بذلتْ من العطفِ الصحيحِ جليلا

* * *

(١٢)

وأتى الأوانُ لكيْ تحقّقَ ثأرَها منْ بعد ما عُنِيَتْ به تفصيلا
درَستْهُ درْساً واستشارتْ (قاسماً)
حتى أعدّا للفرار وسيلا [2]
وكذلك انسلّتْ كلصٍّ ماهرٍ في ليلةٍ صُرِعَ الضياء قتيلا
وأتتْ لغرفةِ (عمْرَةٍ) في عزمةٍ لا تستطيب عن الفرار مُحيلا
أدلتْ بها من شرفةٍ في خفَّةٍ حيث استقلّتْ سلّماً مفتولا
صنعتْهُ حيلةُ (قاسمٍ) وهو الذي يقظاً تلقّاها وطار عجولا
ولّى بهـا والليلُ في كتمانهِ مثلُ الزميل اذا أغاثَ زميلا
حتى اذا انتهيا الى (النيل) الذي
كمْ أنقذَ العاني استقلا (النيلا)
في قاربٍ منْ قبلُ كان مهيّأً وبمال (ستّ الملك) كان ذلولا
فبه اشترتْ ومنى الوعودِ رجالهُ والمالُ أعظمُ منْ يُعِدُّ حلولا

(١) تمثيلاً : تحقيقاً .
(٢) جمع وسيلة .

وكذلك انتقمتْ امزّتها كما ... نال المحبُّ رجاءَه المسولاَ
فبدا (لعمرة) بعد ذُلِّ شقائها ... في الأَسْرِ نورُ سلامها مَسْلولاَ
تركتْ مخالبَ أيّ وحشٍ قاتلٍ ... في خُلْسةٍ فغدا بها مَخْذُولاَ
لم يَدْرِ بَعْدُ ، وحين يدري لا تَسَلْ ... كيف استشاط أذًى وكان مهُولا!

* * *

(١٣)

بلغَا حِمَى (الاسكندريةِ) بعدما
أَمِنَا اللحاقَ وحاكَمَا مجنونَا
لم تَرْضَ (عَمْرَةُ) أن تؤجّل زورةً
لأبٍ تحنُّ الى هَوَاهُ حنينَا
فتطلَّعتْ شوقًا اليه ولم تكنْ
أبداً لتحسبَ للقضاء ديونَا!
حتى اذا بلغا محلَّةَ كوخِهِ
وجداه قَفْراً مُحْزِناً محزونَا!
متداعيَ الجدرانِ ، ملءُ سكونه
رَوْعٌ يبثُّ الناظرين شجونَا!

فَبَكَتْ بُكاءً كانَ مُرّاً مُدْمِياً ... وسَمَتْ بِمَدْمعِها هَوًى مَدْفونَا:
قَبْراً لوالِدِها الحَنونِ وَبَعْدَهُ ... لم تَلْقَ في دُنْيَا اليَتيمِ حَنونَا
وَمَضَتْ بِمَا في قَلْبِها مِنْ نارِها ... لوفاءِ مُنْقِذِها تَبُثُّ أنينَا
لم يَبْقَ غَيْرُ هَوَاهُ مَلْجاً دَمْعِها ... فَغَدَتْ تُبادِلُهُ هَوًى مَكْنُونَا
وَتَناسَتْ القَدَرَ الخَفِيَّ شَرَّهُ ... وكأَنَّ ما خَشِيَتْ بَدَا مأْمُونَا
وَتَصَوَّرَتْ طُهْراً بِأَنَّ سَماءَها ... رَأَفَتْ بِها بَعْدَ الشَّقاءِ فُنُونَا
لكِنَّ ذاكَ (الحاكِمَ) الطّاغي أَبَى ... الاَّ انْتِقاماً رائِعاً وَجُنُونَا
فَبَدَا يصُبُّ كُؤوسَ نِقْمَتِهِ على ... حُرّاسِهِ وَنِسائِهِ مَلْعُونَا
خَنَقَ العَديدَ مِنَ النُّفُوسِ ومِثْلَها ... في (النِّيلِ) أَغْرَقَ مَنْ رآهُ خَؤُونَا
بلْ دُونَ ظَنٍّ عِنْدَ ثَوْرَةِ حُنْقِهِ ... فِيهَا يَرَى أَقْصَى الأَذَى مَقْرُونَا
هُوَ جِلٌ تَعوَّدَ أَنْ يكُونَ مُخَرِّباً ... بِهُدُوئِهِ، إنْ طاشَ كانَ رَعُونَا[1]!
ثُمَّ انْتَقَى رُسلاً وَجُنْداً وُزِّعُوا ... لِلبَحْثِ عَمَّنْ غَاظَهُ سُكُونَا
وكذاكَ (سِتُّ المُلْكِ) لم تَسْكُنْ فَقَدْ ... خَشِيَتْ أَذاهُ لِأَنْ يَعُودُ سَجِينَا
خَشِيَتْ اذا هُوَ نالَ (عَمْرَةَ) ثَانِياً
في الأَسْرِ أَنْ تَلْقَى المَصَائِبَ هُونَا

(١) الرعون : الشديد .

وإذا تمكّن من مقاتلٍ (قابيم)
سيذيقهُ الموتَ الزؤامَ الدُّونا (١)

فتسابقا - وهو الجهولُ بسرِّها - كلٌّ يبثُّ مراصداً وعيونَه
فإذا النضالُ على نهايةِ عنفِه هذي تبثُّ هدًى وذاك متونا!
ودّتْ فرارُها الى قطرٍ به يجدان أمنَ العيشِ دامَ حصينَه
وسعى ليرجعَها ويرجعَ خلَّها ليعذّبا شرَّ العذابِ مكينَه
ويمثّل «الوقحُ» الذي قد خانَهُ بمماتِه فزعاً يروعُ سنينا!

***

(١٤)

والآنَ هيّا ننظرُ الصبّينِ في أنسِ الغرامِ على الصخورِ نديمَه
متأمّلينِ البحرَ وهو بموجِه متهلّلٌ نظمَ السلامَ نظيما!
يشدو هديراً تارةً وهنيهةً الموجُ يرقصُ باسماً وسليما
في غيرِ ما تعبٍ وغيرِ تكلّفٍ حيّا الجمالَ - وإنْ أطالَ - كريما!
جلسا على أشهى التبادلِ للهوى يتساقيانِ من الحديثِ منيما
متذوّقينِ بمنتهى حريّةٍ قبلَ الغرامِ المنعشاتِ نسيما

---

(١) الدون: الخسيس.

والبَحْرُ يوحي بانطِلاَقٍ دائمٍ ومُوسوِسٌ (١) انَّ السَّلاَمَ أقوما
فتمادَيا في نشوةٍ وتحجَّبا بالحُبِّ عَنْ دُنْيَا تَفيضُ هُمُوما
سكرا فَمَا فَطِنَا لرُزْءٍ داهمٍ والصفْوُ شيمتُهُ يودُّ كتوما
وكذا السَّعادَةُ لا تدومُ لِنابذٍ سَتْرَ الحِذارِ فيغتدي مَهْمُوما
هي ساعةٌ نسيا بها خصماً طغى يهتزُّ (وادي النّيلِ) منهُ غريما
نَسِيَا بأنَّ دماً أباحا هكذا قد باتَ مهدوراً لهُ مَقْسوما
وبأنَّهُ لن يستريحَ منعماً حتّى يُذيقَهُمَا القصاصَ أليما
وهُناكَ أقبلَ جندُ إبليسٍ وقد حاطُوهُمَا بسلاسلٍ تأثيما (٢)
ثمَّ انتهتْ بهما الفجيعةُ مرّةً لِلقبرِ في سجنِ المماتِ صَميماً !

***

(١٥)

زُفتْ الى الباغي المؤمَّرِ هكذا بُشْرَى العُثورِ عليهما كي يأمُرا
واليهِ راحَ الوصفُ عَنْ حالَيهما في الحُبِّ حينَ تماديا فتعثَّرا

---

(١) موسوس : متحدث بما لاخير فيه .

(٢) مطلين بالاثم .

فَتَبَسَّمَ البَاغِي وَقَهْقَهَ خُبْثُهُ
في ضَحكَةٍ نَمَّتْ على أدْهَى الوَرَى!

ثمَّ انتَهَى لنَصيحةٍ أفْضَى بهَا ‏ للرُّسلِ لم تخطُرْ لإنْسانٍ درى!
هيَ أمْرُ شَيْطَانٍ وقسوَةُ فاجرٍ ‏ راعَ السَّماءَ بجُرْمِهِ بَلْ والثَّرَى!
قالَ الخبيثُ: «دعوا الحبيبيْنِ كما ‏ كانَا ليشتكيَا الغرَامَ الأطْهرَا
أفضوا بذلكَ للجنُودِ وحاذروا ‏ مِنْ سَيْفِ جلَّادٍ يرفّ ليُشهَرَا
حتى اذَا عادَا الى أُنْسِ الهوَى ‏ في جَلْسَةٍ سَبَقَتْ فعَادَ مُكرَّرَا
فهُناكَ تحفرُ هوَّةٌ وبقاعِها ‏ ملءُ الحَياةِ يُشيِّعانِ ليُقبَرَا!»

***

(١٦)

يا حَسرَةَ (الدُّنيَا) متى هيَ رَاجعَتْ
تَاريخَها وبكَتْ ضَحَايا (الحَاكِم)

فلقَدْ تقمَّصَ فيهِ كُلُّ مهدِّمٍ ‏ ومغرِّرٍ ومُخرِّبٍ ومُخاصِمِ
تستشعر الآلامَ عند تنبُّهٍ ‏ لِصغَارِ ذلكَ المُستبدِّ الظَّالمِ
لولا يَدٌ لعنَايَةٍ قتلتهُ ـ إذْ ‏ غَالَى غُلوًّا فاقَ رَوْعَ الحالمِ

بيد (ٱبْنِ دَوَّاسٍ) وحيلةِ أُختِهِ ووفاءِ أعْوَانٍ ورَحْمةِ رَاحِم

ـ لغدتْ إذَنْ (مِصْرُ) الأَسيفَةُ خِلْوَةً

مِنْ كُلِّ تَمْدِينٍ وعَيْشٍ نَاعِم

فرموهُ في أرْضِ القَرافَةِ خِفْيَةً كأَحَطِّ موبوءٍ وأَدْنَسِ جارِم

قتلوهُ أَشْنَعَ قِتْلَةٍ بحَمَاسَةٍ

وكَذَا انقضَتْ عدلاً حياةُ (الحاكِم)!

***

(١٧)

ـنْ بَعْدِ هـٰذا العلم لا تُحْجِمْ اذا

فـكَّرْتَ في نجْوَى شَهِيدَيْ ظُلْمِهِ

ما زالَ قبرُهُمَا «بطابيةِ[1]» غَدتْ

الآنَ بُنيانًا يبُوحُ بِعلْمِهِ

ويُشيرُ في صَمْتٍ لسِرِّ جدارهِ وَتلُوحُ في شَجَنٍ مَظاهرُ هَمِّهِ

سَمَّوْهُ (سِلْسِلةً)، وفيـهِ اشارةٌ

لمصائبٍ هَدَّتْ رَهينَيْ حُكْمِهِ

(١) «طابية السلسلة» بالميناء الشرقي بالاسكندرية.

دُفِنَا وما نُسِيَا وما زالاَ هُنا ... حَرَماً يُزارُ لِرَمْزِهِ ولِوَسْمِهِ
وكَأَنَّ هذا البَحْرَ في «مينائِه» ... ما زال يسكبُ دَمْعَهُ في رَسْمِهِ
في أمْنِهِ قُتِلاَ، وَطَوْعَ حديثِهِ ... فُتِنَا بسِلْمٍ ليسَ الاَّ في اسْمِهِ
والشِّعْرُ والتَّاريخُ والفَنُّ الأُلَى ... يتآلفونَ رَثَوْا مَجالي رَسْمِهِ
فكأَنَّما هوَ ذَنْبُ دُنْيا كُفِّنَتْ ... وجَنَتْ على إنسانها في فَهْمِهِ
وكأَنَّما هوَ رُشْدُ دُنْيا أقبلَتْ ... ورأى بهِ الإِنْسانُ حكْمَةَ يومِهِ!



سعد

سُبْحانَ مَنْ أَرْجَعَ التاريخ مُقْتَدِراً
وأَظْهَرَ الحاكِمَ الجبَّارَ مَجْنونَا !
يُحارِبُ اسْمَكَ يا (سَعْدُ) وما بَرِحَتْ
لِمَجدِهِ حُرْمَةٌ تُرْعَى المدَى فينَا
كأنَّمـا عادَ (اخناتونُ) في عَمَهٍ[1]
مُحارِباً في غُرُورِ المُلْكِ (آمونَا) !
لـكِنَّهُ كانَ بالإِصْلاحِ مُفْتَتِناً
وَشِبْهُهُ جاءَ بالإِفْسادِ مَفْتُونَا !



(١) العمه : الضلال . وقد حارب أمنحتب الرابع (الذي أبدل اسمه فيما بعد بأخناتون) المعبود « آمون » وأمر بحذف اسمه من جميع الهيا كل والتماثيل وغيرها . . . وهذه الابيات من قصيدة مفقودة نظمت في شدة محاربة الحكومة المصرية لسعد وذكراه أثناء نفيه في زمن الاحكام العرفية .

تأملات

تأملتُ زَلاّتِ الأَنامِ فلمْ أجِدْ
بأَقْبَحِها الاّ غوايةَ ظالمِ
ولوْ عرَفَ الإنْسانُ ما كُنْهُ عَيْشِهِ
لما دامَ في جوٍّ منَ الخرْفِ فاحِمِ
تدَبَّرْتُ ما حَوْلي فَيقنْتُ أنّني
جديرٌ بانْعاشِ لموْتَى العزائمِ
فَسلَّحْتُ عرْفاني بصيتٍ يمدُّني
وَنادَيْتُ فاهتزَّتْ أماني العظائمِ
وما كنْتُ مَنْ يَسْعَى الى شُهْرَةِ الهوى
غُرُوراً على جَهلٍ لجرِّ المغانمِ
ولا أنا مَنْ يَلقَى غِنىَ. الصِّيْتِ غايةً
فانَّ معاني الصّيتِ أحلامُ حالمِ
ولٰكِنَّهُ عندي وسيلةُ عاملٍ
على شَرَفِ الاصْلاحِ لا مَجْدُ ناثمِ
وسيّانِ إنْ كوّنْتُهُ أوْ أتى بهِ
اليَّ جهادي في سبيلِ المكارمِ

فما هُوَ فخرِي في الحَياةِ ، وإنما
فخارِي التّفاني في بناءِ الدّعائمِ

ومِنْ نكبتي في العيْشِ أنّي ببيئةٍ
تُصيخُ لذِي صيْتٍ ولوْ غيْرَ عالمِ

فزَوَّدْتُ نَفْسي بيْنَ صَحْبٍ أعِزَّةٍ
بقُوَّةِ جبَّارٍ أبيٍّ مُهاجمِ

فأُرْغِمَ مَنْ طاحوا فدَى سَكرَةِ الهوى
على يقْظَةِ النُّورِ بعدَ الغمائمِ

فلما مَلكتُ السَّمعَ أرْهفتُ مِقْوَلي
ونادَيْتُ مَنْ ضَلُّوا لنبْذِ السخائمِ

وقلتُ لهم : ما (الكوْنُ) الاَّ روايةٌ
تسامتْ بمَغْزًى عنْ مهاوِي المآتمِ

وقد تجْمَعُ الأفْرَاحَ إنْ شِئْتمو ، وقدْ
تَصيرُ بها الأفراحُ مثلَ المآتمِ

فعيشوا لِنَفْعِ للوُجُودِ فانّهُ
لَدَائنكم ، لكنّه جِدُّ راحِمِ

ولا تَهدِموا إبدَاعكمْ تحتَ غيْرَةٍ
فما تنشر الإِصلاحَ غيرَةُ هادمِ

خُلِقْنا جُمُوعاً ليْسَ فيهـا مُماثلٌ
سِوَاهُ ، وكُلٌّ لازمٌ نَفعَ لازمِ
فما أسْرَفَتْ هذي (الطبيعةُ) مرَّةً
بِشَخصيْنِ أوْ نُورَيْنِ بيْنَ العَوالمِ
وما كانَ فيها التَّشابُهِ مظهرٌ
كبيرٌ وإنْ كانتْ فرائدَ ناظِمِ
فهيْهاتَ أنْ يُغني غِناءً وإنْ سمَا
رفيعٌ ، فكم مِنْ قائمٍ جنْبَ قائمِ
وَلوْلاَ تآخٍ في الحيـاةِ لمـا انتَهتْ
بِنسفٍ لأغلالٍ وردْعٍ لغاشِمِ
ودَامَ الفَسادُ المحضُ داءً يسوقُها
الى العارِ في نَوْعٍ مِنَ الذُّلِّ دائمِ
فخلُّوا الذي يستَشْعِرُ العزمَ دائماً
دَليلاً يشُقُّ النَّهْجَ في حزمِ صارمِ
ولا تُنكروا إعلانَهُ عنْ جُهودِهِ
فما كانَ بالإعلانِ في حَظٍّ غانمِ
ولـكنَّهُ كالفارسِ الواثبِ الذي
يعرِّضُ ما يُبدِي لضَرْبِ اللهاذِمِ

وَما قيمةُ الإنسانِ الاَّ بنفعِهِ
بَني جنسِهِ أوْ في تحاشي المحارمِ
وكم مِن جهودٍ ضُيِّعتْ دُونَ علَّةٍ
سِوَى غفلَةٍ طالَتْ بلا لَوْمِ لائمِ
فلا تَسأَلونا أنْ نجدَّ وأَنتمُو
نيامٌ كأَنّا في عِدادِ البَهائمِ
علينا حقوقٌ للعُلَى ونفوسَنا
فلا تُرْهِقونَا بالظنونِ الحَوائمِ
وحَيُّوا صُنوفَ التّضحياتِ التي لكُمْ
وَهبْنا وللأَوْطَانِ مِنْ غيْرِ نادمِ
قَنِعنا بهمٍّ في الحياةِ وشهْرَةٍ
تمرُّ بحسَّادٍ بطَبْعِ الأَرَاقمِ
وأنتُمْ قنِعتُمْ دُونَ شكرٍ بنقدِنا
مراراً، وعند الشكرِ كنتُمْ كناقمِ
ولكنَّ للفنّانِ رُوحاً عزيزةً
وَقلباً لهُ في البؤْسِ خفقةُ باسمِ
يَعيشُ كَعيْشِ النَّجْمِ بَعْدَ فنائِهِ
ملايينَ ذرّاتٍ عوالٍ بوَاسِمِ

وأنتم بموتٍ في الحياةِ ، وبعدها
تزولون حتى عن بقايا الجماجمِ !

الاشراك بالحب

إن صحَّ أنَّ القلبَ عندَ خفوقهِ يهتزُّ عافيةً بخفقين معَهْ
وهو المحالُ ، فعندَ ذلكَ صدِّقي حبِّي سواكِ وأن أكونَ موزَّعهْ

فتاة العصر

بروحِ الصبِّ ما تبدي وبعضُ العطفِ كالصدِّ
فتاةٌ من محاسنها جمالُ الطبعِ والقصدِ
تجلَّتْ للعيونِ كما تجلَّى المسعدُ المجدي
سخيٌّ حسنُها أبداً فيقصينا عن الزهدِ !
وبعضُ جزائهِ نهبٌ بلا حمدٍ ولا حدٍّ
بروحي طولَ متعتِها بروحي لطفُها المسدي

أُغازِلُها على أَدَبٍ فتَسْقيني من الشَّهْدِ
كأَني نحلةٌ رَشَفَتْ من النسْرينِ والوَرْدِ !
بلا لَفْظ سوى قُبَلٍ حَوَاها الصَّمْتُ في مَهْدِ !
تأمَّلْها تجِدْ مَلَكاً رشيقَ اللَّفْظِ والقدِّ
كريماً عندَ مُكْرِمِهِ رَحيماً عندَ مستْعدي[1]
جريئاً من جلالتِهِ جلالةَ حاكمٍ فَرْدِ
عَتِيًّا نحوَ جاهِلِهِ والنكَّاثِ بالعَهْدِ

***

ويَوْماً جئتُها فرحاً لأَعْشَقَ حسنَها وَحدِي
فكانتْ في تجرُّدِها مزيجَ الضدِّ بالضدِّ
فتُغريني برقَّتِها ونظْرتِها وما تُبْدي
وتُقصيني بما جَمَعتْ من الكِتْمانِ والرَّدِّ
وحالي حالُ ذي ظمأٍ أمامَ الكَوثرِ الشَّهْدي !
يذوقُ بمَحْضِ نظْرَتِهِ وليسَ الشَّوْقُ كالوِرْدِ
وحَوْلَ مُناهُ أسلاكٌ من الأَخْلاقِ كالسَّدِّ !

***

فهذي حالُ فاتنةٍ مَثارُ النقْدِ والحَمْدِ

(١) المستعدي : المستعين

لهـا حرِيَّةٌ غلبتْ   هوَى العادَاتِ والوجدِ
تُسيطِرُ غيْرَ هائبةٍ   ولا تقسُو على العبْدِ !
وتهزأُ بالظُّنونِ ولا   تخافُ سوى هوًى يرْدِي
ولوْ زلَّتْ لمـا حفظتْ   جلالَ الحُسْنِ و المجدِ
تُخاطِرُ غيْرَ عائبةٍ   كملْقِي الحظِّ للنَّرْدِ !

لذة الصعاب

كم لَذَّةٍ في صِعابٍ ذُقْتُها ثِقَةً
بالنفْسِ والجُهدِ والتَّفكيرِ في الآتي
مثلُ الطبيبِ عَياهُ الداءِ يفْرِحُهُ
في موقِفِ العالِمِ الفنِّيِّ لا العاتي !
لا تجزَعنَّ لأَهوالٍ حُذِفْتَ بها
كُلُّ المخاطِرِ في الدنيا لميقاتِ !
وادْأَبْ بجرأةِ ذِي عَقلٍ وتجْرِبةٍ
يمشي معَ الفكْرِ لا يجري وعاداتِ
الوَهْمُ سُلِّطَ في الدُّنْيا فسخَّرَها
والرَّاضِخُونَ له في حُكْمِ أمْواتِ

مُمَلَّكٌ فاتحٌ والجهلُ عسكرُهُ
والجُبْنُ عَوْنٌ له عندَ المُلِمَّاتِ
لهُ عُروشٌ على الدنْيا بأجمعِها
وقوةٌ فوقَ أقيالٍ ودُولاتِ
وهو الضعيفُ الذليلُ المرتمي جزَعاً
شَطْرَ النُّهى والعقُولِ المُستَحدثّاتِ
يَهْوي صَرِيعاً أمامَ العلْمِ مُخْتَبطاً
في حَمْأةِ الذَّنْبِ مَقتُولاً بآفاتِ
فانْ يكُنْ شأنُهُ هـذا ورُتْبتُهُ
فـكَيْفَ ننصرُهُ في طُولِ أوْقاتِ ؟!
وكيْفَ نرْضَى إساراً مِنْ تحكُّمِهِ ؟!
وكَيْفَ نَنْشُدُ مِنهُ وَهْمَ لذّاتِ ؟!

***

لوحارَبَ النّاسُ داءَ الوَهْمِ ماجزِعوا
عندَ الخطوبِ ولا خَوْفَ الصعوباتِ



الطريد

قالها الشاعر في عادة قص الشعر التي ذاعت بين الجنس اللطيف

قَصَّتْ غدائرَها الحِسانَ وما رَعتْ
نجْوى القلوبِ العاشِقاتِ رَوِيَّها (١)

يا الطَّريدِ وكمْ تغزَّلَ شاعرٌ ... ومُتيَّمٌ فيهِ وشاقَ نَجِيَّها (٢)
شَعْرٌ تمنَّاهُ البخيلُ كُنوزَهُ ... وأعزَّ خُصلتَهُ وكانَ وليَّها (٣)
أيُسامُ هذا القطعَ بعد عزازةٍ ... والهجْرَ، وهوَ لها، وَعدُوّ فيَّها؟!

والبدْرُ يكسِفهُ (٤) النهارُ فهلْ رأتْ
نورَ النَّهارِ خليلَها وصفِيَّها ؟!

فسألتُها متألِّماً متعجِّباً ... فأمالتْ العُنُقَ الجميلَ حَنِيَّها! (٥)

باسْمِ الدَّلالِ فكانَ سحراً ضاحكاً
منِّي، وعوَّضني وكانَ خفِيَّها!

---

(١) الروي من الشراب : التام المشبع ، ويقال كأس روية . وأيضاً بمعنى السحابة الشديدة المطر .
(٢) النجي : من تفاوضه في السر ، وأيضا بمعنى المحدث .
(٣) وليها : نصيرها ـ يشير الى لون الشعر الذهبي .
(٤) يكسفه : يغلب ضوءه .
(٥) الحني : القوس .

فَلثمتهُ لثْمَ التّحيةِ عاشقاً
كالنّحلِ والأَزْهارِ رُمْنَ خبيئها ! (١)

ثمّ اشرأبّتْ للعناقِ وأمتعتْ منّي المشاعرَ صفوَها وسَنيّها
وتسلسلتْ لهواً جميلاً مُنسياً شكْوايَ بل كان الوصالُ نعيّها ! (٢)

كيفَ الشكاةُ ، وكيفَ ينقصُ حُسْنَها
عرَضٌ ، وقد غلبَ الهناءُ هنيّها ؟!

فلبثْتُ مأسورَ الجمالِ وَعبدَهُ
أضعافَ أمسٍ ، وهلْ أكونُ عصيّها ؟!

وشهدْتُ للحسْناءِ ليْسَ يَعيبُها
الاّ الغرُورُ وأنْ تُطيعَ غويّها (٣)

فتمتّعي يابنتَ عصرٍ مُدْهِشٍ
ماشِئتِ من دُنْيا تعزّ كميّها (٤)

وترجّلي (٥) حيناً ، وحيناً حقّقي
أملَ الرّجالِ العارفيكِ حُليّها (٦) !

---

(١) خبيها أي خبيئها ، والخبي : ما خبيء ، أي الشهد .
(٢) أي نعي الشكوى .
(٣) غويها : مضلها .
(٤) كميها : شجاعها . (٥) ترجلي : تشبهي بالرجال .
(٦) حليها : الضمير عائد الى كلمة دنيا .

جزائي

نَدَبْتُ⁽¹⁾ جزائي في حيــاةٍ شقيةٍ
وكانَ ٱبْتِسامي مِنْ عذابي وأشْجاني !
أعيشُ بدُنْيا كم بَذَلْتُ لخيرها
فما حَفِظَتْ جُهْدِي ولا عَرفتْ شاني
وعُمْرِي الذي ضَحَّيْتُ بِهِ بَيْنَ دِراسةٍ
وبَحْث وتَنْقِيبٍ وأشْرَفِ إحْسانِ
تَوَلَّى كأنّي كُنْتُ في اللَّهْوِ غارقاً !
فعُنِّفْتُ تَعْنِيفاً ، كأنّي أنا الجاني !
ففي ذِمَّةِ الأَيّامِ ما قدْ بَذَلْتُهُ
لِعلْمٍ وآدابٍ وفِكْرٍ ووجْدانِ
شَبابٌ وأعْوامٌ بعزْلةِ جاهدٍ
توارَى وأعطى غيرَهُ رُتْبةَ الباني
على كتِفَيْهِ اعتزَّ قَوْمٌ تَناوَبُوا
على الصّيتِ حيثُ الصّيتُ مقبرةُ الفاني

(١) ندبت : بكيت .

أساءوا الى ماضي حَيَـاتي وَهِمَّتي
وقدْ غبنوا برّي وَصِدْقي وإيماني
فزَالوا ، ولـكِنْ أيْنَ جهدٌ أضَعْتُه ؟
وماتوا ، ولكِنْ أيْنَ حظِّي كحِرْماني ؟
وقوْمٌ سواهُمْ قدْ تمَـادَوْا بغيِّهم
وقدْ نَسيوا فَضْلي وسابِقَ عرْفاني
ألاَ في سَبيلِ العِلْمِ وَالأَدَبِ الذي
أُحَرِّرُهُ جهْدِي وفي نَفْعِ أوْطاني
شَقَائي وأحْزاني التي قدْ شَرِبتُها
مراراً الى أنْ صِرْتُ أنْشُدُ أحزاني !
وأصْبَحْتُ ذاكَ الجازِعَ الباسِمَ الذي
تفاءَلَ مِنْ يأسٍ بنَزْعةِ فنّانِ
وصارَ — اذا لاقىٰ أمامَ إجادَة
ثناءً — كثيرَ الشَّكِّ في مَدْحِهِ الثّاني !
تعوَّدْتُ أن ألقى جِهادِي مُشَوَّهاً
وما فاضَ لي الاَّ بلاعجِ خُسْرَانِ
وإني لآبىٰ مَحْضَ عِرْفانِ وَاجبي
فانّي الفتى الوافي لأَبْلَغِ إتقانِ

فانْ عُدَّ جودِي غايةَ البُخلِ أوْ غَدا
وَلُوعِي بعِلْمٍ مَحْضَ جَهْلٍ وَنُكْرانِ !
وإنْ صارَ حِلْمي آيةَ الطَّيْشِ وَالهوَى
وَإنْ باتَ إيمـاني مَثيلاً لِكُفرانِ !
وإنْ قيلَ شِعرِي لا حيـاةَ بنظمِهِ
وإنْ عُدَّ تَصْويري بهارِجَ ألْوَانِ !
وصارَ نَشاطِي صورَةَ الزَّللِ الذي
يُذَمُّ لمنْ يقْضِي الحيـاةَ كوَسنانِ !
فدَعْني اذَنْ أبكي وأضْحَكُ هازِئاً
بدُنيا لهـا الأوْهامُ أجْملُ قُرْبانِ !
وَدَعْني أعِشْ في عَالَمِ الشِّعرِ هائِمـاً
فذلِكَ أوْلى مِنْ عبادَةِ أوْثانِ !
أعيشُ بدُنيا غيْرَ هذي وَعالَمٍ
مِنَ الفِكرِ معتزٍّ وآخرَ رُوحاني
وقدْ رَضِيتْ نفسي المزِيَّةَ في الوَرى
ولٰكِنَّها سادَتْ على كلِّ سُلطانِ !
وعافتْ صَغاراً في الحيـاةِ وصاحَبتْ
جلالاً منَ الكَوْنِ الأبَرِّ بها الحاني

هنيئاً لمنْ غالَوْا بذَمّي ومَا دَرَوْا
بأنَّ غُلوَّ الذَّمِّ والمَدْحِ سِيّانِ!
وإنّي وإنْ أُصْليتُ نارَ جهنّمٍ
أعيشُ كعيْشِ النّحلِ أكرَمَ بُسْتاني!

اللص الشريف

النظر السارق

لا تسأمي نظري الشغُوفَ فكم لهُ
فَضْلُ البقاءِ على نَعيمِ فتاكِ
يَغْذُو الشُّعورَ ومُهْجَتي بنفائسٍ
مِنْ وجهكِ الفتَّانِ لا الفتّاكِ
ويظلُّ يختَطِفُ الجمالَ مُشَعْشَعاً (١)
مِنْ صَوْتِكِ الضَّاحي ومن مَرْآكِ
تلك الملامحُ كالمواهبِ للنُّهى
والعبقريّةِ قوّةُ الإدراكِ
صَفْحاً عن اللصِّ الشريفِ مُجدِّداً
رُوحي وإبداعي بفضل نداكِ

(١) مشعشعاً : ممزوجاً منوعاً

ناقد المسرح

الاستاذ محمد عبد المجيد حلمى

تُدافِعُ مَغْبُوناً وتُصْلِحُ مُتْعَباً
وأنْتَ على الحالين أصدقُ نقّادِ!

ويَنسى الأُلَى أمتعتَهمْ خيرَ مُتْعَةٍ
منَ الأَدبِ المعشوق فضْلَكَ في الوادي

كَدُوداً مُحِبّاً للفنونِ مُهذِّباً
وأعظَمُها التَّمْثيلُ فهو لها الهادِي

فعِشْ مُصلِحاً (عبد المجيد) مُوَفَّقاً
فمِثْلُكَ أَوْلى بالجهودِ لأَمْجادِ

وأَنْصِفْ بِلاداً للمآثرِ أبدَعتْ
ولا زَالَ يَدْعوها الحَنينُ لاجْدادِ

لها في حقير الأَرْضِ مَجدٌ ودَوْلةٌ
وفي كلِّ رسمٍ ما يَبوحُ بانْشادِ!

تجمَّعَ مُلكُ الفنِّ فيها ولم تزلْ
لها مُلهِماتٌ من سوابقِ أعيادِ!

ولو كرّمتْ تاريخها الاغتدى لها — من الفنّ عمرٌ لا يُقاسُ بميعادِ!
وكان لها في المسرحِ الفخرُ كُلُّهُ — يُشعُّ لِنُظّارِ الشُّعوبِ ووُفّادِ!
فهيّئْ لها مِنْ نقدِكَ الحرِّ حالةً
تُعيدُ جميلَ الذِّكْرِ للأملِ البادي
وتَنْعشُ رَبّاتِ الفنونِ وأهلها
كواكبَ للآتي الشغوفِ والغادي
تألّقُ إبْداعاً وقَدْراً وسيرةً
فلا خيْرَ في قدْرٍ يُحَفُّ بإفسادِ[1]

رُحماكِ

رُحماكِ ! كلُّ ضراعتي : رُحماكِ! — ذابَ الفؤادُ أسًى بنارِ هَواكِ
ويظلُّ يَطْمَعُ في حنانِكِ مرّةً — قبلَ الفناءِ بلحظِكِ الفتّاكِ
إنْ كان إثمُ الحبِّ فرْطَ وَفائهِ — أيْنَ السؤالُ على يَدِ السفّاكِ؟!
المجرمُ المحرومُ يُسألُ عَنْ مُنًى — قبلَ المماتِ، فهلْ يُرَدُّ فتاكِ؟!

(١) يشير الى حالة الافساد الحاضرة المهددة لمنزلة المسرح ، المنافية لشرفه الحقيقي .

نادِيه يا أملي يُجِبْكِ بلفظةٍ هي لفظةُ الرُّوحِ الشجيّ الشاكي
لا تحْسبي رمقاً به يقوى على غيْرِ الوداعِ ولوْ دعتْ شفتاكِ !
مَحْضُ السؤالِ اذا أجبْتِ عزاؤُهُ فيكون خاتمةَ اللهيبِ الذّاكي!
رفقاً بحُسنكِ لو أطاقَ مودِّعاً يأبى اباءً أنْ يُقبِّلَ فاكِ !
فلظاهُ يُحرِقُ كلَّ غضٍّ يانعٍ وسناكِ يأمُرُ انْ يموتَ فِداكِ !

أمالى القالى

كتبها الشاعر مداعباً وشاكراً لصديقه الدكتور حنفي بك ناجي اهداءه اليه كتاب (أمالي القالي) :

شُكْري لفضلِكَ يا (ابنَ ناجي) مثلما
شَكَرَ البحارَ [(١)] مُوَفَّقٌ للآلي
مَتّعْتَ وِدِّي منْ صِفَاتِكَ قدْرَ ما
مَتّعْتَ ذهني منْ (أمالي القالي)
هذي هديّةُ مَنْ يجودُ وشُكْرُهُ
للحالِ لا يُنْميهِ فضْلٌ تالِ [(٢)]

---

(١) اشارة مزدوجة الى سعة كرمه وسعة التأليف الذي أهداه الى الشاعر.
(٢) اشارة الى وعده بهدية لاحقة !

إنَّ الهديَّةَ لا تُقاسُ بنُدْرَةٍ
قدرَ القياسِ ببرِّها المتوالي!
وأنا المنعَّمُ مِن كتابِكَ : مالَهُ
بُخْلُ الغنيِّ ، فلن يَرُدَّ سُؤالي
في أيِّ وقتٍ بَلْ بأَيَّةِ حالةٍ ألْقاهُ بالبِشْرِ الجميلِ يُوالي
نِعْمَ الرسولُ لمثلِ صدقِكَ وافياً نِعْمَ الممثِّلُ صادِقاً لِكمالِ

الطراز

كتب مداعباً صديقاً أديباً ، راجياً أن يعيره كتاب (الطراز : المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز !) :

أَرِني (الطِّرازَ) اذا سَمحتَ فانَّني
أشتاقُ من طُرَفِ (الطِّرازِ) بديعَا
واذا خشيتَ من افتتاني لا تخَفْ
بِرِّي الضَّمينَ لمـا عشقتَ رُجُوعَا!

ثم كتب اليه عند اعادة الكتاب :

والآن أبعثُ بالتحيةِ ثانياً شُكْرَ المُقِلِّ[1] لما بذلت صنيعَا

(١) المقل : الفقير .

وأُعيدُ أسرارَ البيانِ لصاحبٍ ناجاهُ أعلامُ البيانِ جميعَا (١)
وتضيَّفوا بجوارِهِ ، وتمتَّعوا بوفائِهِ ، واستعذبوا التمتيعا
وأنا الفقيرُ فنعمتي في ساعةٍ للزائرينَ العائدينَ سَريعًا ! (٢)
لولا (الطبيعةُ) في تنوُّع شرحِها كُتُباً لعِشتُ لماحُرِمتُ مَرُوعَا !
إنَّ الأديبَ يُرَدُّ عنْ أحلامِهِ مِثْلُ المحبِّ وقد أُذيبَ دُموعَا !

أدب العصر وتقديره

الى الاستاذ الجليل أحمد حافظ عوض

لمناسبة تكريمه لاصداره كتاب (فتح مصر الحديث)

لفضلِكَ مَجْدٌ فوقَ مدْحٍ عظيمِ ومِثْلِيَ في مدحي أبرُّ حَميمِ
نأى بيَ داعٍ للحياةِ وما نأى لحبِّك إخلاصي وعطفُ نظيمي
اذا احتفلَ الأعْلامُ حَوْلَكَ مرَّةً فشِعْريَ سبَّاقٌ بفخرٍ عليمِ (٣)

---

(١) اشارة الى مكتبة صديقه الجامعة .
(٢) اشارة الى سرعة اعادته لما يستعيره من الكتب !
(٣) يشير الى قصيدته الموسومة (يوم دمنهور) المنشورة بديوان « مصريات » والى تقديره الاسبق .

فمنْ حقّهِ يومَ الوفاءِ زهورهُ (١) ولوْ سطعَتْ آياتُ كلِّ حكيمِ
وان كُنْتُ منسياً بعيداً وحالتي وقد حفّك الأَصحابُ حالُ يتيمِ
أيُطريك في نشْرِ الحقائق جمعهم وإنْ نشْرُها نشرٌ لكلِّ قويمِ
وفي كلّ يوْمٍ أنْتَ مُرْسِل حكْمةٍ وتَطْلعُ آياتٍ برَأْيِ زعيمِ ؟
فمهما أصابَ المدْحُ جيْداً بذلته عنِ الأمْس فالمشهودُ ايُّ جسيمِ
تُحلّلُ أسْرَارَ الحياةِ كما ترى بمُجْهرِ طرْفٍ أوْ بعقْلِ حليمِ
وتَسْردُ أحوالاً وجمعَ حوادثٍ تشاهدُها فينا بحذْقِ نديمِ
سخياً بفتانِ البيانِ فما نرى سوى كلِّ غالٍ في البيانِ وسيمِ
فخفّةُ رُوحٍ أنْتَ تظْهرُ لُطفها تهشُّ عطاياها ببرٍّ نسيمِ
ومتعةُ آدابٍ جَمعْتَ كنوزَها لتبْذُلها بذْلاً بجودِ كريمِ
ونَفْحةُ ايناسٍ نَظلُّ نَشمُّها طويلاً وَلا نرْضى بطولِ شميمِ
ونظْرَةُ كَشّافٍ لأَعضلِ مبْحث اذا حارَتْ الأَلْبابُ بينَ هشيمِ
وحكمةُ سوّاسٍ تخبّرُ دائماً عَن الخطرِ الخافي خفاءَ جحيمِ
وصورةُ تاريخٍ دَقيقٍ لعصرنا لكلِّ صحيحٍ رائعٍ وسقيمِ
وواضعُ أحكامٍ نخالُ صفاتها صفاتِ رسولٍ للشعوب قديمِ
ومُلهمُ أقلامٍ ببعض ذكائه وكمْ بينَها مِنْ نابغٍ وسليمِ

---

(٢) زهوره : تلألؤه .

فيا (حافظاً) ودَّ القلوب وما نحاً
من الأَدبِ المحبوبِ كلَّ مُقيمِ
أمثلكَ مَن يُحْيِيهِ شعرُ مُسَوَّدٍ
على الشّعر [١] أوْ يُغنيهِ قدحُ لئيمِ
فلا تكُ مَنْ يأبى الفخارَ تواضُعاً
فما احتاجَ للتّخليدِ غيرُ عديمِ !

الكتاب

يقصّرُ في ثنائِكَ يا كتابي ... وفائي الجمُّ أوْ طُولُ اصطحابي
فكم عَوَّضتني خِلاًّ كريماً ... اذا عزَّ الكرامُ من الصِّحابِ
وما فضْلي سوى حُسْنِ اختيارٍ ... واقْصائي القشورَ عن اللُّبابِ
وأنْتَ بمسحةٍ لك مِنْ جَمالٍ ... تُجاذبُ نزعتي خيرَ اجتذابِ
فأَنْت المحسنُ السبّاقُ أصلاً ... وداعي العقلِ للطُّرَفِ العِذابِ

---

(١) يشير عاتبا الى قول حافظ بك انه « طمع دائما بأن يلقى زاوية من بيت من بيوت شوقي الشعرية ليخلد ، والآن يشكر الله الذي من عليه بهذا الخلود ، لان شوقي خالد بشعره ويخلد سواه معه بهذا الشعر ! ».

وُمتّبِعُ دَعوةٍ بجزيل بِرٍّ تنوَّعَ في المآثر والطِّلابِ
ومِنْ عجَبٍ اذا ما رُمْتُ سؤْلاً وليسَ لدَيْكَ لم تنْهرْ شبابي
وكنْتَ مُنيبَ خالِكَ في حديث (١) كما أهْوَى يُضاعِفُ من صَوابي
فللتّاريخِ حيناً ثمَّ حيناً لآياتِ الفُنونِ بكلّ بابِ
وللآدابِ آونةً وطَوْراً لأَزْهارِ العُلومِ وللسَّحابِ
فيا ابنَ الفكرِ والقلمِ المُعلَّى بما يُعطي العُقولَ بلا حِسابِ
ضَمِنْتَ لسيرةِ الانسانِ خُلْداً وعِشْتَ له عزاءً في التُّرابِ !

شذا الحسن

في مدح التعطر وذم التبرج

لا تحفلي بتبرّجٍ يا فتنةً للنَّاسِ لم تعرفْ دَعاوَةَ مُلْحِدِ (٢)
الروْضُ أنْتِ بزَهْرِهِ وبعطْرِهِ فُوحي اذنْ ماشئْتِ كالزَّهْرِ النَّدِي
مَهْما نثرْتِ العِطرَ نثرُكِ سائغٌ فهوَ التوَضُّؤُ للجمالِ المهتَدِي !
يدعو القلوبَ الى عبادَتهِ كما
بعدَ الضَّحايا ينتحي لتعبُّدِ (٣) !

(١) اشارة الى تبديل المطالعة من كتاب بآخر

(٢) الدعاوة : الاسم من الادعاء . والمقصود بالملحد من يجحد فتنتها .

(٣) يقال : انتحى للشيء أي مال اليه .

فيمَ الذُّرُورُ (١) وكلُّ لَوْنٍ رائعٍ
ما لَمْ تكُنْ أصْباغَ ألفٍ مُسَهَّدِ ؟!
خلِّي الذُّنوبَ اذَنْ وعيشي نِعْمةً
بشَذاكِ الألبابِ إنْ تتَوَدَّدي !

ربكا

حديث أنس

بربِّكِ يا (رِبكا) حدِّثينا — حديثاً يُنعشُ الرُّوحَ الأمينا
ويفتحِ جنةَ الخُلْدِ المُرَجَّى — لمن دانوا لحبكِ مؤمنينا
فحُسْنُكِ نعمةُ الدُّنيا وأُخرى — تزفُّ لنا حياةَ الخالدينا
نسينا شقوةَ العمرِ لمَّا — سمعنا منكِ نُعْمى اليائسينا
بلفظٍ موسويٍّ مستعزٍّ — يسيلُ سلافةً ويطيبُ دِينا
وما سِرُّ الخلودِ سوى جمالٍ — يبثُّ الحبَّ بين العالمينا

(١) الذرور والذريرة أيضاً ما تعرف تجارياً بالبودرة . ومما يذكر لهذه المناسبة ماروي عن الآنسة ما تيلدا يزمبارت — ملكة الجمال في باريس — فانها « تكره التجمل والتطرية » وقد فازت على منافساتها وعددهن احدى وعشرون حسناء يمثلن جمال أقسام باريس » .

تضحية الطبيب

يَصِفُ الطَّبيبُ مِن العلاَجِ أَجلهْ
خَطَراً عليْهِ لِكيْ يُغيثَ مَريضاً
والطِّبُّ تَضْحِيَةٌ، فإِنْ هُوَ لَمْ يكُنْ
لم يَرْتَفِعْ شَرَفاً وكانَ مَرِيضَا

الحياة

ما العَيْشُ الاَّ الهَوَى ... واللَّهْوُ جَنْبَ العبادَهْ .
وأَنْ يَجِدَّ الفتَى ... فَيَسْتَطِيبَ اجتهادَهْ
جَميعُهــا وَحْدَةٌ ... مِثلَ «الفُصول[1]» المُعادَهْ
تبايَنَتْ بينَها ... تُعْطِي الزَّمانَ امتِدادَهْ
عوَامِلٌ كَوَّنَتْ ... للكَوْنِ هذي السِّيادَهْ
فكَيْفَ يَحْيى الوَرَى ... على دَوَامِ البَلاَدَهْ ؟!

---

(١) فصول الطبيعة — Seasons .

القدرة

لا تحسبَنَّ اذا تردَّدتِ المُنى ... لهْواً عليكَ بأنّكَ الفعَّالُ
إنَّ القديرَ هوَ المُجدُّ ويكتفي ... بالنقْدِ ذاكَ العاجزُ المِكسالُ
شتَّانَ بيْنَ أسيرِ حُلمٍ خاذلٍ ... ومُحرّرٍ أحلامُهُ الأعمالُ !

التفاؤل

مرّتْ ملايينُ السنينْ ... والكوْنُ ما زالَ الجنينْ
فلِمَ التشاؤمُ و (الحيا ... ةُ) ما لها الصبْحُ المُبينْ
لا خيْرَ في أدبٍ يسُو ... قُ الناسَ سوْقَ اليائسينْ
سُنَنُ (الطبيعةِ) أن تُهيِّ ... ئَ للصلاحِ وأنْ تُعينْ
ما كانت العقَباتُ فيـ ... ـها غيْرَ مِعوانٍ أمينْ
(الجهْلُ) يجهلُ كُنْهَها ... والعِلمُ بالنجْوى قمِينْ
أوْلى بصمْتٍ راحمٍ ... صيحاتُ قوْمٍ غافلينْ
بالنظْمِ كمْ عبثوا كما ... عبثوا بروحِ الناشئينْ !

توبة الحب

يُجَدِّدُ العُمْرُ ذِكْرى لَوْعَتي فيكِ
وإنْ نَسيتُ فمـا أنْسى تَنَاسيكِ

وَدَّعْتُ حُبِّي وأحْلاَمي فَعاوَدَني
حُلْمُ الوَدَاعِ وأبكاني تجافيكِ

وزُلْزِلَ القَلْبُ مِنْ ذِكْرَى مُؤرِّقَةٍ
فَخفقُهُ ثورانٌ كَمْ يُناجيكِ !

رفقاً بِعانٍ قضى الأعوامَ في جزعٍ
يُخنيه الاّ على عمىً تُراعيكِ !

لعلَّ نوراً كأنسٍ طابَ مَوْرِدُهُ
لَدَيْكِ يدفعُ عنّي مِنْ تجنّيكِ !

وفي تجنّيكِ يا صَفوي وَيا شَجَني
حتّي المُضاعُ ، فهلْ يَرْتَدُّ راجيكِ ؟

لهواكِ حتى وإنْ أقسَمْتُ في ألمي
بأنّني لَسْتُ مَنْ يَهْوى لُمَى فيكِ !

أُعِيدُ اليَوْمَ في حزْنِي بِلا أَمَلٍ
حتى العزاءُ تخلّى مِنْ تخلِّيكِ
وَأيُّ ذِكْرَى لميلادِي تُحبِّبُنِي
في العيشِ ، والعَيشُ مأساةُ الهوى فيكِ ؟!
إلاّ شعُورِي بأنِّي حين أبذُلُها
أغدُو الضَّحِيَّةَ والتعذيبُ يُرْضيكِ
كم تُبْتُ مِنْ شَجْنِي القاضِي على نِعَمي
والحُبُّ يَضْحَكُ مِنْ وَهْمِي وَيُدْنيكِ !
فصِرْتُ ما بيْنَ آلامٍ مُكَتَّمَةٍ
تحزُّ قلبي ، وَهذا القلْبُ يفديكِ
وَبيْنَ آلامِ شَوْقٍ ما أبحْتُ بها
الاّ ائتناساً بشَوْقٍ كَمْ يُؤاتيكِ
وتَوْبةُ الحبِّ إعلانٌ لِثَوْرَتِهِ
لانَّ الفُؤادَ اذا أخفاهُ يُدْنيكِ !
يكفيكِ ماضٍ أليمٌ كلُّهُ نِقَمٌ
وأنقذيهِ فما يُشقيهِ يُشقيكِ
مِنَ الصَّبابةِ بُرْكانٌ لَوافِظُهُ
ذَوْبُ الحياةِ ، فصُونِي مَنْ يُوافيكِ !

صحبة الآلام

من قصيدة مفقودة نظمت قبيل عودة الشاعر الى الوطن سنة ١٩٢٢ م .

نشأْتُ على الآلامِ حتى أَلِفْتُها
وأُسقيتُ مِنْ مُرِّ الحياةِ مَدَى عُمْرِي!
فصارَتْ كَخِلٍّ لا غِنًى عَنْ لِقائِهِ
أُشاطِرُها رِبْحِي وَتَتْرُكُ لي خُسْرِي!
وَأَضْحَكُ في بُؤْسِي فأُحْسَبُ هانِئاً
وَهيهَاتَ أنْ يُفْشَى لِمُرْتَقِبٍ سِرِّي!
وَكَمْ يشتكِي مَنْ لَيْسَ يَشقَى وإنَّما
شكَى مِنهُ طَبْعَ الضعفِ والعَجْزِ والفَقْرِ
فما خذَلَتْ نَفسي يَقيني ولا وَنَتْ
وإنْ هي لَم ترْجِعْ مِنَ السعيِ بالظَّفَرِ
فَعِشْتُ جَرِيئاً أستَبِيحُ مَتاعِبي
وَمَنْ كانَ لا يَخشَى رأى الصَّعْبَ ما يُغرِي!
وَما زِلتُ أُجزَى بالتَّعاسَةِ بَيْنَمَا
أُضَحِّي بِلا حَدٍّ مِنَ الجهْدِ والفِكْرِ

طُفُولَةُ مَحْرُومٍ وَرُشْدُ مُعَذَّبٍ
شَجِيٍّ يُعاني أَقْتَلَ الحُبِّ والأَسْرِ
وغُرْبَةُ مَخذُولٍ طَرِيدٍ مُقَسَّمٍ
مِنَ الوجدِ والتَّحنانِ والبُغضِ والذِكرِ
يَئِنُّ وحيداً كاتِماً جُلَّ هَمِّهِ
وَيَعْمَلُ للإِصلاحِ في عِصْمَةِ الصبْرِ
ويَرْفَعُ في بِرٍّ سِواهُ، فما يَرَى
جزاءً لَهُ غيْرَ النِّكايَةِ لِلبِرِّ!
وَيفتَخِرُ الأَغرارُ بينَنا فُتُوحُهُ
تُحَجَّبُ أوْ تُنسَى، فتَنأى عن الفَخرِ
ويكفيهِ منها أهوَنُ الجُهْدِ مَظهَراً
لِعَزْمٍ وإِحْسانٍ وهِمَّةِ مُسْتَذْرِي(١)
الى العِلْمِ والآدابِ والوَطَنِ الذي
يُفَدِّيهِ يُحيي وَاجبَ العَبْدِ لِلحُرِّ
فَيُغمَطُ حقاً بعدَ حَقٍّ ومالَهُ
مُوَاسٍ سِوَى طُهْرِ الضَّميرِ الذي يَدْرِي!

(١) المستذري: من ينشد الذروة أي السمو.

ثلاثونَ عاماً قَدْ تَوَلَّتْ بغُمرِها
عليهِ، وَما أَسْدَى اليْهَا سِوَى الخيرِ

وَكَمْ مِنْ أُناسٍ أَصْبحوا مِنْ عِنائِهِ
بنُعمى ويُسْرٍ، وَهوَ يعثُرُ بالعُسْرِ

وكم مِنْ دَعِيٍّ باتَ يُنْكِرُ فَضْلَهُ
ويُشجيهِ بالمَنِّ الأَمَرِّ مِنَ المُرِّ

وكم مِنْ غريقٍ بعدَ إنقاذِهِ نَسا[1]
فُرُوضاً، وجازَى أَشرَفَ الخيرِ بالشرِّ

مهازِلُ آلامٍ بدُنيا غريبةٍ
تَناقضُها يَحْكي التَّناقُضَ لِلسُّكْرِ!

مآتِمُ لِلإِحْسانِ فيها أَليمةٌ
مُرَوِّعَةٌ لِلنُّبْلِ والصِّدْقِ والطُّهْرِ

يُهَيِّئُها الإِنْسانُ وهوَ مُهدِّمٌ
أخاهُ ويعزو ما جَناهُ الى الدَّهرِ!

ويجْزَعُ مِنْ قبرٍ سيلْقاهُ مَيِّتاً
ويُرْضيهِ أَنْ يَحْيا حياةَ أُولي القبرِ!

---

(١) خفف نسأ بمعنى أخطأ .

***

ولمّا رأيتُ الحظَّ للعدلِ ضائعاً
قنعتُ بحظّي من شعوري ومن شعري!
وعفتُ نُواحَ النائحينَ فانّ لي
عزيمةَ قهّارٍ، وما النوحُ من قدري
وخلّفتُ أهلَ الأرضِ في نزواتهمْ
ورحتُ بروحي (للطّبيعةِ) في بِشرِ!
فصاحبتُ دُنيا غيرَ هذي بما وعتْ
منَ (المثلِ الأعلى) القريبِ الى السحرِ!
وأمتعتُ روحي بالوجودِ الذي قضى
ملايينَ أعوامٍ صديقَ أولي الذِّكرِ[1]!
فأبدلَ همّي لذّةً، وتعاستي
نعيماً، وأقصاني عن العبثِ المُزري
فعشتُ لفنٍّ عالميٍّ ومتعةٍ
منَ الحبِّ والإيمانِ لا المدحِ والشكرِ

---

(١) أولي الفطنة .

وصرْتُ اذا عانَيْتُ بؤساً وشِقْوَةً
تأمّلْتُ خلْفَ الشّوْكِ ماغابَ مِنْ زَهْرِ !
وأقنعْتُ هذا الكوْنَ أنّي مُخَبَّرٌ
وَأنّي حَرِيٌّ بالتّفرُّدِ في أمْرِي !

الموسيقى

عَنَا لكِ مسحورٌ وَحيّاكِ ساحِرُ
وأُولِعَ بالشّعرِ الذي فيكِ شاعرُ!
وناجاكِ باسْمِ (الفنّ) كلُّ مُعبِّرٍ
عن الفنِّ حَيْثُ الفنُّ حولكِ دائرُ!
قصيدٌ وَتمثيلٌ ورَسْمٌ مُجَسَّمٌ
تطوفُ بأنْغامٍ حِسانٍ تُحَاوِرُ!
فتُسْمِعُنا مِنْ عبقرِيّ بيانِهَا
ونُسْمِعُها مِنْ رَوْعِنا ما نُحاذِرُ!

ونُسْمِعها أُنْساً طرِبْنا لِوَقْعِهِ
كريماً وما يَسْخو كجدوَاهُ زائِرُ
نَطقْتِ وقدْ خاطبْتِ كلَّ كمينَةٍ
مِنَ النفْسِ، واهتزَّتْ اليكِ المشاعِرُ
فأفْصَحْتِ إفصاحاً ولمْ تَنْسِ خاطِراً
فَسِحْرُكِ في كلٍّ العَوالِمِ خاطِرُ!
تَبَنَّتْكِ أمْواجُ (الأثيرِ) فزِدْتِها
ثَراءً، وكم يَعنو لحكْمِكِ ثائِرُ!
نِظَامُكِ غَلاَّبٌ وَحُسْنُكِ قاهِرٌ
زَهَا منهُ مُلْكٌ (للطَّبيعةِ) قاهِرُ
فهمناكِ، بَيْنا كُلُّنا عاجِزٌ اذَا
سُئِلْنا عَنِ التِّبْيانِ، والكلُّ قادِرُ!
كأنَّكِ للجيلِ القَصيِّ لِسانُهُ
وَقدْ جِئْتِ قَبْلاً وَهُوَ في الخلقِ آخِرُ!
كأنَّ (الشَّبِزْمانَ) الذي نَنْتَهي بهِ
تربيِّهِ مِمَّا تُبْدِعينَ مآثِرُ!

وَهلْ كَوّنَ الأَنْغامَ الاّ مُؤَلّهٌ؟!

فأَنت لُغاهُ الدَّهْرَ والمرْءُ قاصِرُ!

وَلٰكنْ اذَا ما الوَحْيُ أَحْيا شُعورَنا

لَدَيْكِ تَسامَتْ للْخُلودِ السَّرائِرُ!

وَجزْنَا ملاَيينَ القُرونِ التي تلي

الى (اللهِ) فاستَعْلَتْ اليْهِ الضَّمائرُ!

فننْسَى منَ الدُّنيا الصَّغائرِ كُلّها

وكلٌّ بأَرْقى الحِسِّ سامٍ وكابرُ

وقدْ طَهّرَتْ أنغامُكِ (الرُّوحَ) فاغتدَتْ

جَمَالاً رَقيقاً كلُّ ما فيهِ طاهِرُ!

تبرّأَتِ مِمّا كانَ لَغطاً وَضَجّةً

فَلوْلَكِ إبْداعٌ شَهِيٌّ وآسِرُ

ومِلوْلَكِ إعجازٌ وآياتُ قوّةٍ

مِنَ الوَعظِ لم تَبلُغْ مداها المَنابِرُ

فيَغدو الجبَانُ العاثرُ النابهَ الذي

لهُ الفوْزُ خِلٌّ والشّجاعةُ ناصِرُ

وُيضْحِي الفتى العاني قَرِيراً وَحَسْبُهُ
رَجاءٌ وَفاءٌ مِنكِ خافٍ وَظَاهِرُ
مُحَوِّلَةَ (الإنسانِ) عَنْ شَرِّ هَمِّهِ
لأَنتِ صلاةٌ للقلوبِ وَزاجِرُ!
فكَمْ مِنْ نُفوسٍ قدْ رُوِيْتِ فأَنبَتَتْ
صلاحاً وإحْساناً وَوَحْيُكِ آمِرُ
وما كُنتِ أَلحاناً تَجَرَّدَ صَوْتُها
مِنَ الرُّوحِ بلْ نَلْتَماكِ رُوحاً يُجاهِرُ!
جَمَعتِ السُّرورَ المحضَ والشَّجْوِ والأَسَى
فَما كانَ بيْنَ النّافِرينَ تَنافُرُ
وما عرَفَتْ فيكِ الحيـاةُ تناقُضاً
فكَمْ حُجبتْ تحتَ القُصورِ المَقابِرُ
عليكِ الى (الجنّاتِ) نَعبُرُ هكَذا
وَقدْ غفرَ الزَّلّاتِ والإِثْمَ غافِرُ!
فكُنْتِ صِراطَ المهْتَدِين (بِفَنِّهِمْ)
وَكُنْتِ شَفِيعاً لَمْ يُتابِعْهُ كافِرُ!

وَمِلَّةَ إحسانٍ ودِينَ سَعادةٍ
لِمَنْ هُوَ يَدْرِيهِ ، وساليهِ عاثِرْ
وفيكِ انتَهَتْ شتَّى المعاني بما وَعَتْ
مِنَ الكَوْنِ، والكَوْنُ المُنعَّمُ شاكِرُ!
فأَنْتِ عَزاءٌ للحيَــاةِ بأَسْرِها
وفيكِ غِذاءٌ للنُّهى وذَخائِرُ
وصُورَةُ ما ضَمَّ الوُجُودُ مُنوَّعاً
مَجامِعُ ألحانٍ حَوَانٍ شَوَاعِرُ
فما فُتِنَ حتَّى الرّيحَ والصَّخْرَ والحَصى
بذِكْرٍ لهُ الهاوي المُوَفَّقُ ذاكِرُ
فنقرأُ بالسَّمْعِ الأَسيرِ حَياتَنا
ونعتَبِرُ المــاضي وَما هُوَ حاضِرُ!
ونَسْمَعُ حتى (النَّحْلَ) وهيَ مُعيدَةٌ
نَشيداً الى نَجْواهُ حَنَّتْ أزَاهِرُ
ونَعلَمُ سِرَّ الحَرْبِ والحُبِّ والعُلى
ونَفْهَمُ ما تُخْفِي وتُبْدِي العناصِرُ!

وندركُ آلافَ المعاني التي بها
نمرُّ ولمْ تُدْرِكْ غِناها المحابرُ!
فنبْصِرُ دُنيانا بأصدقِ ما وعَتْ
ونَشْهدُ أُخْرانا وفيها المَفاخرُ!
ونلتقِطُ الأنغامَ في حُلْمِنا كما
ترِفُّ بأَيْدِي المُعْدِمِينَ الجَواهِرُ!
فمنْ لم يكُنْ في التَّابعِينَ فميِّتٌ
وما هوَ انْسانٌ ولاَ هوَ طَائِرُ!
فَطَوْعكِ حتى كُلُّ أبكمَ جامِدٍ
وكلُّ فؤادٍ خافقٍ منكِ عامرُ!



ألوهة الحب

إذا صَحَّ أنَّ الشّاعرَ الفَحْلَ مَنْ لَهُ
بمَمْلكةِ النَّفْسِ الحيـاةُ بِتَجْوالِ
يُفَتِّشُ عن مكْنونِها متطلّعاً
الى العالَمِ الخالي وللعالَمِ التّالي
ويُمْتِعُ بالفَنِّ السَّماوِيِّ جيـلَهُ
كما يُمتعُ الذِّكْرى ومُقْبِلَ أجْيالِ
وَيَرْفَعُ ألبابَ الأنامِ لربِّهِمْ
بأَطْهَرِ أحْلامٍ وأكملِ آمالِ
فَما كُنْتُ يوْماً مَنْ يَدينُ بِشِعْرِهِ
اذا جلَّ إلاَّ للصَّبابَةِ لا الآلِ!
لِحُسْنِكِ دَيْني ما حييتُ، وَإنْ أَمُتْ
فشعْري لَكِ المَدْيونُ في خُلْدِهِ لا لي!
بِعينَيكِ دُنْيايَ التي في عِبادَتي
أُرَتِّلُ ذِكْراها، وَعَيناكِ آجالي!
غَرامٌ وَتَعْذيبٌ وَنَفْيٌ وعودَةٌ
ووصلٌ وَهِجْرانٌ ببُؤْسٍ وإقبالِ

تقلَّبْتُ فيها لاَ أتوبُ وإنْ أكُنْ
أُعاني وأَلقَى بينَ أَنْيابِ أَغْوالِ!
وعَلَّمْتِنِي في العَيْشِ خِبْرَةَ باحِثٍ
فكَمْ لكِ خِبْرَاتٌ يَهِجْنَ بِلبالي!
أتيهُ بأَعْماقِ الهوى فيكِ مثلما
أتيهُ بِشَجْوِي فيكِ مُضْطَرِبَ البالِ
وأقنعُ مِنْ هذا الوجُودِ بنِعْمَةٍ
لديكِ كأنَّ الكَوْنَ دارِسُ أطلالِ!
تَنوَعَتْ الأَشكالُ والرُّوحُ واحِدٌ
وعنْدَكِ هذا الرُّوحُ والأَلَقُ الغالي!
كفاني هواكِ العذْبُ وحْيَ ألوهَةٍ
وفي صوْتِكِ الفتَّانِ أُنْسي وإعْوالي!
هوَ الرَّاحِمُ الجاني، هو الخالقُ الذي
يُغَنِّي أناشيدَ الحياةِ لإِبلالي!
فأنقلُها شِعْراً لِدُنيا جَحودَةٍ
فما عَطفتْ يَوْماً على قلبيَ البالي

فيا عالَمي الأَسْمى أضيئي وأشعِلي
فؤادي بِسِحْرٍ مِنْ جَمالِكِ فَعّالِ!
وغنِّي بقدسيٍّ مِنَ اللّحْنِ هكذا
معانيَ غرامي المُتيَّمِ والخالي
فأحكي ترانيمَ السَّعادةِ للوَرَى
بنظمٍ حبيبٍ عنْ لِسانِكِ عسّالِ
وأنقِذُهُمْ منْ بُؤرَةِ الهمِّ والرَّدى
الى عالَمِ الرُّوحِ النقيّةِ لا المالِ
أُمتِّعهم مِنْ جنَّةِ الخُلدِ بيْننا
أخُصُّ بنفْسي ما تذُوقُ بأهْوالِ!
جُبِلْتُ على أنّي أكون ضَحيّةً
أعيشُ وأمضي مثْلَ شاهقِ أجْبالِ!
فمِنْ طَبْعِها مَنْحُ السُّهولِ كُنوزَها
منَ البِرِّ في ماءٍ تدفَّقَ سلسالِ
وتفنى أخيراً في السُّهولِ اذا طغى
جُحودٌ فأردتْها ثوائرُ زِلزالِ!

كذلكَ حالي في الحيــاةِ فهلْ ترُى
أُجازَى بهَدْمي رغمَ بَذلي وإفْضالي ؟!
حَكَمْتِ بتَشْريدي وأنْتِ إلٰهي
فكيفَ بخَلْقٍ في الحقارَةِ أمْثالِ ؟!
بثَثْتُ بهمْ حُبَّ العُلُوِّ فمــا اعتَلَوْا
لنُبْلٍ، وليْسَ الذَّنبُ مِنْ أدَبي العالي
ولـكِنْ طِباعٌ فَجّةٌ في خُمودِها
تَظلُّ على الآبادِ راكِـدَةَ الحال!
فياليْتَني لَمْ أحْيَ في عالَمِ الأذى
فقدْ شِئْتِ أنْ أسْلُ وَما أنا بالسَّالي
ومَنْ عاشَ مَحْروماً غَبيناً وثائِراً
فلا المَدْحُ يَعْنيهِ ولا عَبَثُ القالي!



حياتي

أو روح الشاعر

وقالَ فقيهُ القَوْمِ : مالَكَ مُولَعاً
بِسِجْنٍ أرَى الدُّنيا تَحولُ به قَبْرَا ؟
فقلْتُ : «وما هذا ؟» فقالَ : « إقامَةٌ
بِمَمْلَكِ الموبوءِ تَحْسَبُهُ قَصْرَا !
أتحْمِلُ هذا الوِزرَ[1] في صَمْتِ شاعِرٍ
وعَهْدِي بِكَ الحُرَّ الذي ينفضُ الوِزْرَا
لغيْرِكَ تَأْبى الظُّلْمَ لا تَستَسيغُهُ
فكَيْفَ إذَنْ تَرْضى لِمُهْجَتِكَ القَهْرَا ؟
حياتُكَ لَمْ تُخْلَقْ لِهذا فَخَلِّهِ
وكُنْ لِحياةٍ تُسْعِدُ النَّحْلَ والزَّهْرَا !
علامَ جهودٌ أنْتَ تُعْطي بلا وَنًى
وَغيْرُكَ في هذا المجالِ بِهَا أحْرَى ؟

(١) الوزر : العبء الثقيل .

وهمُّكَ أَوْلى بالحياة طَليقةً وتَرْسُمها سِحْراً ونَنظُرُها شعْراً!

لأَنتَ قمينٌ أنْ تكونَ مُطَبِّباً
نفوساً، فأهْلُ الطِّبِّ قدْ غلبوا الحَصْرَا
فدَعْهُمْ ورَفِّهْ عنْ فؤادِكَ آسياً
جراحاتِ ألْبابٍ ولا تَلْتَمِسْ عُذْرَا
ودَعْ طَرِباً هذي البَواتقَ (١) مثلما
تُوَدِّعُ إظلاماً بهِ عَيْشُكَ أغبَرّا
وَدَعْ كُلّ هاتيكَ الزُّجاجاتِ حامِداً
إلهكَ اذْ أصبحتَ تَهْجرُها هَجْرَا
روائحُ أسقامٍ وألوانُ خُبْثِها
أضعتَ عليها الجُهْدَ والصفوَ والعُمْرَا ..!!»

* * *

فقاطَعْتُه في غيرِ شُكْرٍ لمَدْحِهِ
فما كان مَدْحُ الجوِل يستأهلُ الشُّكْرَا!
وقلتُ له : « عفْواً ! فانكَ رافعٌ
لقدْري كثيراً حَيْثُ تُخْجِلُني جَهْرَا!

فما أنا الاّ ذاتُ فَرْدٍ حياتُهُ لِرُوحِ جلالِ العِلْمِ أَوْفى بها نَذْرَا!!

(١) المناوب : Crucibles .

وما دَوْلةُ الآدابِ إلاّ قَرِينةً
لدَولةِ علمٍ جُندُها فكَّتْ الأسْرى

أنا في مَجالي معمَلي مثلُ جائلٍ
يرى عالَمَ الدُّنيا ويَلقى بهِ الأُخرى!

أرى الُحسْنَ والإبداعَ فيهِ كما أرَى
صُنُوفاً منَ القُبْحِ المُذمَّمِ والشَّرَّا

وألْقى غُرُورَ النَّاسِ في نُورِ مَبْحَثي
أقلَّ مِنَ الوَهْمِ الذي يعدُلُ الصِّفْرَا

وأشْهدُ ما خَلفَ الحياةِ مِنَ الأذَى
وشَرَّ أعادِيها كما أَلمَحُ الخيْرَا

فأضحكُ في حزْني وأعجبُ مِنْ ورًى
نَسُوا ضعفهم حتى استَباحوا له الفَخْرَا!

ولي مُتْعةُ الفنَّانِ — في ظلِّ وَحْدَةٍ
منَ الفنِّ — يَلْقى الكَوْنَ في جُمْلةٍ سِفْرَا

كأنّي بأفْوافِ الخمائِلِ ناظِرٌ
الى الزَّهْرِ بَسَّاماً الى مُهْجتي بِرَّا

كأنّي أرى سَحَّ الغمامِ مُعبِّراً
بتوكافِهِ عنْ رَوْعةٍ خلْفَهُ كُبْرى!

كأنّي أرى العُصْرَ الخوابي[1] التي قضتْ
شهيدةَ جهلٍ تُرسل النّظرَ الشزْرا !
ومُصْطَفِقَ الأحلامِ في بحْرِ أمسنا
تَعودُ بلا خوفٍ الى مُجْهِرِي تَتْرى !
وأقرأُ ما تُخْفِي الشموسُ ، وما وَعَتْ
نُجومٌ ، وما أوحَتْ ، فما حَجَبَتْ سِرّاً

فما بَضّ بالرِّبْحِ القليلِ تأمُّلي وما كانَ عِلمي ما يُباعُ وما يُشْرَى
ولكنه قد كان أُنسي ونِعْمتي كما كانَ إنقاذاً لمهجتيَ الحرّى

تَعلَّمْتُ منهُ أنَّ في الكوْنِ آخراً[2]
ويا ربّما الدُّنيا الكبيرةُ كالصغْرى
وما خَضِلُ الأزْهارِ فوْقَ غدائرٍ
تَرَقْرَقُ بالمـاءِ الذي شاقني سِحْرا
ولا مُرْزِمُ السُّحْبِ التي قد تَطاحَنتْ
بحَرْبٍ وكانَ الغيثُ عسكرَها المَجْرا !
ولا ذلكَ العَجّاجُ عندَ اصْطِخابهِ
مُغيراً يَهُدُّ الشّاطيءَ المشتكي الغَدْرا !

---

(١) الخوابي : الماضية المطفأة .
(٢) أي كوناً آخراً .

ولا ذلكَ الصدَّاحُ في فَنَن له
أميراً على الأَزْهارِ تُصغي له سَكْرَى!
ولا قُنَنُ الأَجْبَالِ في طُهْرِ شَيْبِها
مُفضَّضَةً تحكي نجوماً لها زُهْرَا!
ولا ليلةُ البدْرِ الوَشيكِ زوالها
وقد تركتنا نعبُدُ البدْرَ والبَدْرَا!
ولا طلعةُ الشَّمْسِ السخيَّةِ في حُلًى
وقدْ أَذَّنَ الدِّيكُ الذي دَاعَبَ الفَجْرَا
بأروعَ عندي مِنْ عوالمِ معمَلي
وإنْ كُنْتُ في فقرٍ فقدْ تغمرُ الفقْرَا
بها خُلصائي مثْلُ أهلِ عداوتي
وأهونُ ما عندي حكى رُتبةَ (الشِّعْرَى)
فلا كان نَسْجُ الشِّعْرِ إنْ عِشْتُ جاهِلاً
بأسخَفِ أوْهامٍ لترْفعني قَدْرَا
ولا كان حَوْكُ الشِّعْرِ عنوانَ ضَلَّةٍ
فما الشِّعْرُ إلاَّ أنْ نكونَ له الشِّعْرَا
ومثْلي يُقَضِّي عُمْرَهُ في دَقائقٍ
منوَّعةٍ حُرّاً وإنْ كُنْتُ مُضْطرّاً

فلوْ أنا جانبْتُ الذي هو شائقي لغالبني جذباً وسخّر لي فِكْرا

حياتي بيافي ، والوُجودُ بأسْرِهِ

أمامي ، وإنّي منه أنظِمُ ما اقترا

عزاءً لدُنْيا في الشقاءِ وناشِراً رَوا كدَ أحلامٍ تعافُ لها نَشْرَا

وإنْ كُنتُ أحياناً أقُصُّ شقاءَها

فيلذَعُها ناراً مُؤَجَّجَةً زَجْرا

كما لذَعَتْ نفسي عواطِفُ حَسْرَتي

وإنْ كُنْتُ أُخفيها وأكْتُمُها حَصْرَا

فلا تغتَرِرْ بالصمْتِ في جوّ معملي

ولا تحقِرَنَّ الماءَ فيهِ ولا الجمْرا !

ولا تَصْغرنَّ العيْشَ فيهِ فرُبّما

بهِ استروحَ الفنّانُ نَشْقَةَ ما استذرى[1]

وما نُورُ عيْشي في الخمائِلِ وحدها

ولا العيشُ أن ألقى الغطارِفَةَ الغُرّا[2]

ولا هو في كَنْزِ اليسارِ، فربما

غدا المرءُ مقبوراً معَ الكنزِ إنْ أثرى !

---

(١) ملاذاً .

(٢) السادة الوجهاء.

ولكنَّ عيشي رهنُ حِسٍّ يَهزُّني
ويغمرُني معنًى ويملؤني ذِكرا!
فلي رُوحُ فنّانٍ ولي نفسُ عالمٍ
قد ازدوجا حتى غدَتْ هذهِ الأُخرى
فانْ كان غيْري يحْسَبُ الوهمَ ذُخرَهُ
فانّي أرى العلْمَ المُبجَّلَ لي ذُخرا
وما العِلْمُ يوْماً ناقضَ الفنَّ لُبُّهُ لمهجَةِ فنّانٍ بها كشفَ الدَّهْرا!
وما أنا في أسْرٍ لفِكري وبيئتي
فانَّ حيـاةَ الفنِّ لا تقبلُ الأَسْرا
وتشملُ أدْوارَ الحياةِ جَميعها وَتلبثُ تَستجْلي العقيدةَ والكُفْرا
وإنْ مثَّلَتْ عصرِي حيـاتي فانّني
أمثِّلُ أحلاَمي بِشِعْري وما مَرّا
أمثلُ إنْسانِيَّتي وَرجاءَها وآلامَها والفجرَ واليوْمَ والذِّكرى
فدعْني إذنْ والعلْمَ فالفنُّ طَيُّهُ
وإنْ يحْتجبْ كالرُّوحِ عنْ ناظرٍ قَصْرا
وليْسَتْ قيودِي غيْرَ حرِّيةِ الحجى
فما أنا صبٌّ بالتقيُّدِ أوْ مغرى

أرى خافَ ما يَلْقَى البصيرُ الذي له
تناؤبُ أعمى أو ضَلالُ الذي اغترّا !

وبيني وبين الكونِ جمعُ أواصرٍ
من العطفِ حتى لستُ أعرِفها شَطْرا !

وما استحكَمتْ بي للسآمةِ حالةٌ
فكنتُ الذي قد أصغرَ العيشَ وازورّا (١)

أنِسْتُ بما حَوْلي وإنْ كانَ صخرةً
وناجَيتُهُ فَنًّا، وما عِبتُهُ صَخْرا !

ومَنْ كانَ هذا طَبعُهُ وشعورُهُ
فلا حِسُّه يَخبو، ولا عَينُهُ تَكْرَى (٢)

تَحَرَّرَ من قَيْدِ الجُسومِ ورُوحُهُ
ترَى الشعرَ فيما أنتَ تحسَبُهُ قَفْرا

ويا ربما هذي الجرائمُ قد حكتْ
بِرَوْعَتِها الرَّوْضَ المُجَمَّلَ لا العَفْرا !

---

(١) ازور : عدل عنه وانحرف .

(٢) يخبو : تخمد حرارته ، تكرى : تنعس .

ولو لا حجى الفنّانِ ما كانَ فارقٌ
وساوى رهيفُ السمعِ مَنْ يشتكي الوَقْرَا[1]
وما رَجحتْ الآَ المظاهرُ وَحدَها
ولَمْ نَدْرِ مِنْ خافي بدائعِها أمْرَا!»

***

فَراقبَ[2] حتّى كأنّي بسكرَةٍ
وقد مَسختْني مَسْخَ مَنْ عَبَدَ الخمْرَا!
فلمّا رَآني لستُ حقًّا بهازِلٍ توهّمَ بي مَسًّا ففارقني ذُعْرَا!
وصِرْتُ بِدَوْري كالصبيّ مُقهقِهاً
ولولا احْتِشامٌ كِدْتُ أُتبعهُ طَفْرَا[3]!
ومِنْ نكدِ الدُّنيا أُناسٌ تَصدَّرُوا
لفلسفةٍ في النَّقْدِ تُركِبهُمْ وَعْرَا[4]
نواظِرهُمْ شِبْهُ الزّجاجِ، ومِثْلُها
عقولٌ لهمْ إنْ نُوقِشَتْ مُحِقَتْ كَسْرَا!

---

(١) رهيف السمع: حاد السمع، والوقر: الصمم.
(٢) أي الفقيه المنتقد. (٣) طفراً: وثباً.
(٤) أي مركباً مخيفاً

النور والظلام

نَظَرْتُ الى دُنْيايَ بيْنَ تَفاؤُلٍ وَسَعْيٍ كأَنَّ السَّعْيَ ليس لهُ حَدُّ !
ولم أَرْضَ تضييعاً لجُهْدٍ بَذَلْتُهُ فإِنَّ حياةَ المرْءِ أَكْرَمُها الْجُهْدُ
فوجَّهْتُهُ في غيْرِ مَنٍّ ولا قِلًى الى حَيْثُ تَرْضاهُ المآثِرُ والمجْدُ

وَعاهَدْتُ نَفْسي أنْ أعيشَ لمبْدَئي
وإنْ حالتْ الدُّنْيا فما حالَ لي عَهْدُ
بحيثُ حياتي كلّها قَدْ وَهبْتُها
الى (المثلِ الأَعلى) وَإنْ هيَ تَنْهَدُّ
فانْ فُزْتُ كانَ الفوْزُ نِعْمَةَ خاطِري
وإنْ لم أفُزْ عزَّى عنِ الفشَلِ الكدُّ
نجاحي لِغيْري ، ثمَّ غيْري نجاحُهُ
أراهُ فَخاري حيثما اتَّفقَ القصْدُ !
رَضيتُ لنفْسي بالتَّفاؤُلِ نِعْمَةً
وثُرْتُ لغيْري حينَ باعدَهُ السَّعْدُ
وبيْنا أرَى في الشَّوْكِ وَرْداً يَطيبُ لي
فإنّي الذي يُشْجى لمنْ فاتَهُ الوَرْدُ !

تقلَّبْتُ في النّعماءِ والبُؤْسِ مثلَما
تمُرُّ على النَّبْتِ الطراوَةُ والصَّهْدُ (١)
وآثرْتُ أنْ أحيا بغيرِ تَذَمُّرٍ
وللدّهرِ في الحالَيْنِ منْ مُهْجتي الحمْدُ !
ولكنَّني الرّاني بعيْنٍ حزينةٍ
الى شقْوَةِ الإنْسانِ وهُوَ لها عَبْدُ
يَحُزُّ فؤادِي ما يُعاني أخو الجوى
وحيداً ، ولا صَبْرٌ لدَيْهِ ولا وَعْدُ
فكمْ مِنْ فَتًى يَشْقى بِعزْلَةِ مُجْرِمٍ
يُسخِّرهم في غنْمِهِ جاهلٌ فَرْدُ !
وكم مِنْ ذَكاءٍ ليْسَ تَبْزُغُ شمْسُهُ
وتُنكرُها سُحْبٌ مِنَ الجهْلِ تمْتَدُّ
وكم مِنْ جَمالٍ باعَهُ الفقْرُ عابِثاً
كأنَّ جَمالَ الفقْرِ غايَتُهُ اللَّحْدُ !
وكم منْ صِغارٍ يكرَعونَ منَ الأسى
وهُمْ مَنْ لهمْ في الكونِ قد خُلِقَ الشَّهْدُ !

---

(١) الطراوة عصرية الاستعمال بمعنى النسيم البليل .

يعيشونَ في مِثلِ المغاوِرِ ما لَهم
غِذاءٌ ولا ضَوءٌ ولا أَمَلٌ يَبدُو
ويكلؤُهم جَيْشُ الذئابِ وغَيرُهُمْ
يحُفُّ به التَّقْديسُ والمالُ والجُندُ!
وقدْ ماتَ أَهلوهُمْ ببُؤسِ حياتِهِمْ
وكان بفضْلِ البُؤسِ بينهمُ الوَغْدُ
وأصْبحَ للإِجْرامِ حظْوَةُ سيّدٍ
لدَيْهِمْ، وصارَ المُجْرمَ البطَلُ النَّجْدُ[1]!
حَيَاةٌ لهــا مِنْ ظُلْمةِ الليْلِ صِبغَةٌ
ولـٰكنّها ليْستْ معَ الليــلِ تَرْتَدُّ!
وقالَ مُواسٍ: هـٰكذا العَيْشُ هـٰكذا
كبحرٍ!.. فما البَحْرُ الذي ما لَهُ مَدُّ؟!
ولوْ أنْصفَ الإِنسانُ أبناءَ جِنْسِهِ
وكان لُحكْمِ العِلْمِ والشَّرَفِ الحَشْدُ[2]

---

(٢) النجد: ذو النجدة وهي البأس والشجاعة.

(٣) الحشد: الحفاوة به.

إذنْ لتجلّى النُّورُ وانجابَ غَيْهَبٌ
تُكَوِّنُهُ الاطماعُ والجَهْلُ والحِقدُ
ولا كان فخرُ النّاسِ إنْ عاشَ جُلُّهُمْ
بموتٍ منَ التكرارِ ليْسَ لهُ حَدٌّ !

غناء الحياة

غَنَّيْتِ أحلامي على مسمعي فأصبحَ الحُلْمُ عياناً معي!
ما أعذبَ الصَّوْتَ وأحلى الهوَى
ينصبُّ في الرُّوحِ وَفي مِسْمَعي!
ويَخْفُقُ القَلْبُ على نشْوةٍ كأنَّما في العُمْرِ لم يَجْزَعِ
وَتسكُبُ العينُ نَدَى دَمْعَةٍ على الخدِّ مِنْ جامِها المُتْرَعِ
أصغي وأصغي في افتتانٍ بلا حَدٍّ ولا أرضى مَدَى مَطْمعي!
وأنتِ في برٍّ بلا مُنتهَى وقلبيَ الرَّاقِصُ لم يَقنَعِ!
كفَّرْتِ عنْ ماضي شُجُوني فيا أشجانيَ الحيرى كفَى واخْضَعي!
غنِّي وَغنِّي ياحَيَاتي فما يُغني سوى مِنْ سحرِكِ المودَعِ

وَأَسْرِفِي أَنْتِ بِتَجْدِيدِهِ فَإِنَّهُ فِي الصَّفْوِ كَالمُوجَعِ!
ماصَدْمَةُ الهجرِ وإنْ عُوجِلَتْ تُشْفِي على العُمْرِ وإنْ تَبْدِعِي
لا بدَّ مِنْ جَرْحٍ دَفِينٍ وكم يَهْتَاجُنِي الجَرْحُ فلا أَدَّعِي
أُخْفِيهِ عَنْ نَفْسِي وعَنْ عالَمٍ وأُغْرِقُ الحَسْرَةَ في مَدْمَعِي!
وأُودِعُ الشِّعْرَ قليلَ الأَسى والجانبُ الأكبرُ في أضلعي!

الفن السماوي

هوَ الشِّعْرُ حَيْثُ الشَّاعِرُ الفَذُّ عالَمٌ
يَطُوفُ بدُنيانا ويَنْعَمُ بالشِّعْرِ
تَبَنَّتْهُ «أَرْبابُ» السَّماءِ وهكذا
تَبَنَّتْهُ آياتُ (الطَّبِيعةِ) و (الدَّهْرِ)
فصالَحَها بالبِرِّ والحُبِّ شائِعاً يُقَسِّمُه ما بَيْنَها دائِمَ البِرِّ
يَعيشُ مَلِيكاً: مُلْكُهُ الرَّحْبُ نَفْسُهُ
ويَقْنَعُ مِنْ كَنْزِ البدائعِ بالزَّهْرِ
ويطمعُ في هذي القناعةِ، إنما تناقضُه لا يستحيلُ لمن يدري

يمثِّلُ آياتِ الجمالِ بوَحْيِهِ
وُيعلنُ عن خافي العواطفِ والفِكْرِ
وحَوْلَ سماءِ الكونِ يَرْقىٰ مُجَنَّحاً
عزيزاً ولا يَلْقى الموَانعَ إذْ يَسْرِي
يفتِّشُ عنْ اعجازهاوعجيبها ويَنشرُها فينا ملطَّفَةَ النَّشْرِ
ويُطلِقُ موسيقى الأُلوهةِ حَولنا
فيُسْمِعنا سِحْراً تنزَّهَ عنْ سِحْرِ
ويبحَثُ عنْ معنىٰ الحياةِ وكُنْهِها
فيُنشدُ ما يلقاهُ في البَحثِ من سِرِّ
بَصيراً ضريراً عالماً جاهلاً لَهُ
شعورُ الوَرىٰ حيناً وحيناً كمستذرِي(١)؟
يرى في القصيّ الغيبِ كلَّ مُحَجَّبٍ
ويرْوي عن الآتي المحجَّبِ من عَصْرِ
فيُحْسَبُ مجْنوناً، وليسَ جنُونُهُ
سوى المستعزِّ المستحيل من القَدْرِ
رأىٰ ما الورىٰ والخلد والصفو والأسىٰ
وما العمر والدُّنْيا وما جلَّ عنْ حصرِ

(١) المستذرى : السبرمان .

وما الحِكْمَةُ الكبرى وما النبُلُّ والحجى
وما النَّفعُ في حُرٍّ منَ العَيْش للحُرِّ
ولم ينْسَ هذي الأرضَ وهيَ وديعةٌ
لَدَيهِ، فأغناها مِنَ الوصْفِ والذِّكْرِ
وأرشدَها للخيرِ - خيْرِ أُلوهةٍ -
وإنْ شرحَ المطْبوعَ فيها منَ الشَّرِّ
فلا تُسْرِفوا في نَقْدِه عَنْ غباوَةٍ
اذا كانَ مَنْ يَسمو بعالَمِهِ الفِكْرِي
ولا تُنكِرُوا إلهامَهُ وكِتابَهُ
وإنْ كانَ في نَبْتٍ وإنْ كانَ في صَخْرِ
له البعثُ والإحياءُ فيكمُ وأنتُمو
كمَوْتى أبَوْا أنْ يستعادُوا مِنَ القبْرِ!
أفيقوا! أفيقوا! واسْمَعوا كلَّ لوْمِهِ
وإنْ مرَّ، فهوَ المُستطابُ منَ المرِّ!
فانْ كان فنّاناً فقَدْ كانَ آسياً
يطوفُ بأكسيرِ السَّعادَةِ في الشِّعْرِ!



جنى

من قصيدة قديمة مفقودة

الشاعر الساحر من أسكره؟! ... من علم الشاعر هذا الثمره؟!
عيناك يا روحي ويا نعمتي ... عيناك إلهام الذي صوره
في طلعة أحييت نهى المجتلي ... كالجنة المزهرة المثمره
في ظلها كانت عباداته ... في نورها أفشى الذي أضمره
مرآته أنت ووجدانه ... وخمرة الحب الذي أسكره
يوحي له! يوحي! ولا تنكري ... أسرار ما حاول أن يستره
قولي له: شوقك في كتمه ... لن يخدع الحب ولا مصدره!

***

ما سكرة الشاعر غير الهوى ... الخالق الحي الذي نوره
مثلته أنت فأغنيته ... عن أجمل الكون الذي قدره!
يلقاك أنغاماً ونوراً كما ... يلقاك آيات هدى سطره
الروض والطير بأفنانه ... والجدول المفشي لنا مزهره
والبحر إذ يهذر في رقة ... والدر في موج له طيره

والشَّهْدُ إذْ يُقْطَفُ في رَحْمَةٍ — مِنْ طيبةِ النَّحْلِ الذي عطَّرَهْ
والقَطْرُ إذْ يَسْقُطُ في خِفَّةٍ — قد تُنْعِشُ النَّبْتَ وما زَهَّرَهْ
والحَظُّ مِنْ بَعْدِ غيابٍ له — والخِصْبُ في أرْضٍ بدتْ مُقْفِرَهْ
والشَّمْسُ في لُطْفِ الرَّبيع الذي — قدْ كرَّمَ الشَّمْسَ بما استحضَرَهْ
والنَّاسُ والدُّنْيا بما أبْدَعوا — مِنْ بَهْجَةِ الخُلْدِ لِمَنْ لم يَرَهْ
والعالَمُ التَّالي بإِنْعامِهِ — من بَعْدِ حرْمانِ المُنى المُدْبِرَهْ
ما جَمْعُها ساوى سوَى ذَرَّةٍ — مِنْ حُسْنِكِ المُفْرَدِ كالجَوْهرَهْ
لآسرِ الفاتِنِ في عِزَّةٍ — لا تُحْوِجُ الصَّبَّ الى مَفْخَرَهْ
ياجَنَّةَ الحُبِّ ويا خُلْدَهُ — لا تَحْرِمي العاشِقَ مِنْ مَغْفِرَهْ



الراقصة

وَهَبَتْ دولةَ (الفُنونِ) جَمالاً فَتَّها المنتمي الى كُلِّ فَنِّ

فاذا (الشِّعْرُ) دائماً في التفاتِ

لمعانٍ شرَحْنَ مَعْنىُ (الحياةِ)

قابِساً مِنْ بدائعٍ نيِّراتِ

كُلُّها عبَّرَتْ عن (الُحسْنِ) حتَّى أمتعتْ هكذا حنينَ التمنِّي!

واذا (العازِفُ) الموقِّعُ رانٍ

مُصْغِياً بيْنَ مستَمِدٍّ وحانٍ

يُبْصِرُ اللَّحْنَ صامِتاً (١) في افتتانٍ

غيْرَ أَلحانِ عازِفاتٍ تُراعي رَقْصها صُحبةً بلحْنٍ ولحنٍ!

واذا (النّاقِشُ) المُنَمِّمُ ساهٍ

تارةً ، ثمَّ تارَةً في انتباهٍ

في ظِلالٍ وفي ضياءِ الإِلهِ

---

(١) اشارة الى أن رقصها نوع من اللحن الصامت ، وهو غير ألحان الآلات المصاحبة رقصها بالعزف!

فهوَ[1] في (الحسْنِ) ماثلٌ دُونَ شكٍّ

وهوَ في (الفَنِّ) واهِبٌ نُورَ عَيْنِ!

وإذَا (النَّاحِتُ) المُشَوَّقُ يُبْدِي

مُعْجَباً شُكْرَهُ بِعَطْفٍ وودٍّ

دارِساً ما تَبثُّهُ دونَ حَدِّ

في تَثَنٍّ وفي خُفوقٍ جَميلٍ مِنْ حُليٍّ لجسمِها المتَثَنّي!

وإذا مُهْجَةٌ لهٰذي (الطَّبيعَهْ)

صقَلتْها وكوَّنتْها بَديعَهْ

نَظَرَتْ نحْوَها وراحَتْ مُذيعَهْ

في فَخارِ صِفاتِ حُسْنٍ رَعَتْهُ مِلْءَ رقْصِ الوُجودِ، مِلْءَ التَّغنّي!

فارْقُصي وارْقُصي لهٰذي الجُموعِ

وابْذُلي سِحْرَ وَحيكِ المتبوعِ

واذْكري انّهُ حليفُ الشُّيوعِ

في ربيعٍ، وفي نفُوسٍ، وشَتَّى مِنْ جَمالٍ يراكِ أجْمَلَ فَنِّ!

---

(١) أي الاله جل شأنه .

حسدتني في عذابي

أنشودة غنائية

حَسَدْتَني في عذَابي　　وخِلْتَ فيهِ نَعيمي !
فهلْ رَحِمْتَ شبابي　　مِنَ العذابِ الأليمِ ؟!

***

أيُّ الحيــاةِ الهَنِيَّهْ　　اذا خلَتْ مِنْ حَبِيبي ؟!
فكلُّ أُنْسِ البَرِيَّهْ　　يَقْضي عليْهِ لهَيبي !

***

ما الحَظُّ الاَّ تَناجٍ　　ما بيْنَ قلبيْنِ حَبّا[1] !
فالكَوْنُ لهفانُ داجٍ　　اذا بكى القلبُ قَلْبَا !

***

رُوحي تُعاني وتَشْقى　　وأنْتَ تلْهو بِظَنّ !
أموتُ وَجْداً وحَرْقَا　　فهل تَسَمَّعْتَ أنِّي ؟![2]

---

(١) حبا : أحبا .
(٢) أني : أنيني .

***

إِرْحَمْ وأَشْفِقْ عليَّ ! أُعْذُرْ وسامِحْ شَبابي !
فكلُّ جاهٍ لَدَيَّ لم يُنْجِني مِنْ عذابي !

الدنيا

خُلِقْنا مَطَايا للعُلَى نحوَ غايةٍ مَدَاها توانَتْ عنه أحلامُ حالمِ
تُسيِّرُنا الدُّنْيا الى مأرَبٍ لها ونحْنُ برَغْمِ السَّيْرِ في نَوْمِ نائمِ
و يسقطُ منَّا في الطَّريقِ كثيرنا ضَحَايا عناءٍ أوْ ضَحايا المغانمِ
ورابِحُنا كالخاسرِ العاثرِ الذي تولَّى ، كلانا نادِمٌ بعد نادِمِ !
رأيْتُ عزائي في الحياةِ تمثُّلي لمطْلبها الأعلى بجهدي الملازِمِ
وانقاذَ مَنْ حَوْلي كأنِّي أنا الذي يقودُ المُنى سَمحاً بتوْفيقِ راحمِ
فأنْشُرُ رُوحي في الفضاءِ مصاحباً حياةً وآمالاً لهذِي العوالمِ
وأرْفعُ أفهامَ الأنامِ ليَهْتَدوا
بما في الوُجودِ الرَّحْبِ خلْفَ الغمائمِ

فيعرِفُ كُلٌّ أنَّ في الكَوْنِ نِعمةً
وإنْ حُجِبَتْ عنْ كارهٍ للعظائمِ

وأعظَمُ دُنيانَا الجَمالُ ، فنورُهُ
صلاحٌ وإحْسانٌ ونَشْرُ المكارمِ

فقلْ للذي قدْ راحَ في النَّاسِ عاتياً
خسئتَ فليْسَ المَجْدُ حوْلَ المظالمِ

وإنك فانٍ لا سبيلَ لخُلْدِهِ
فما اعتزَّتْ الدُّنيا بهٰذي المآثمِ

تدوسُكَ في السَّيرِ الطَّويلِ نِعالُنا
ونمضي على رُشْدٍ لآمالِ عالِمِ !

وقُلْ للَّذي قد لَجَّ يبغي خُصُومةً
سَبيلَكَ عنِّي ! ما فخارُ المخاصمِ ؟!

نَعيمي سلامُ الحُبِّ لا نارُ حِقْدِهِ
وحظِّي بناءُ الخيرِ لا جهْدُ هادمِ

وقدْ رَضِيَتْ نفْسي ببذْلي نفيسَها
لغيْري ، فهلْ تُجزَى بعُدْوانِ ناقِمِ ؟!

اذا حُسِدَ الباني على شُهْرَةٍ لهُ

يَراها لزاماً في بِناءِ الدَّعائِمِ !

فماذا يُفيدُ الحاسِدَ الشَّانِيءَ الذي

لهُ الذُّلُّ في الحالَيْنِ أوْ مَوْتُ غاشِمِ ؟!

يظَلُّ النبوغُ الفذُّ جَذْلانَ باسِماً

وحُسَّادُهُ الأَغْرارُ رَهْنُ المـآتِمِ !



الهام الشاعر

دفاع عن الادب المنتج

لا تَلُمْ شِعْرِي اذا حِسِّي بِشِعْرِي مَثَلَا
أَوْ تَظُنَّ الْجُهْدَ إِعجَازِي فأَضْحى مَثَلَا
إنما (الشاعرُ) للإلهامِ فيهِ امْتَثَلَا
كُل إبداعٍ وإنْتاجٍ يَعافُ الكَسَلَا!

***

لا تَقُلْ ذَنبِي — ولا ذَنْبٌ — ظُهُورٌ أو زُهُورْ (١)
(فالرَّبِيعُ) السَّمْحُ لا يبخل في نَشْرِ الزُّهُورْ (٢)
لا يُعادِي (الفَنَّ) في عَرْضٍ ولا يَرْضَى القُصُورْ (٣)
ومعانيهِ سواءٌ في كفُورٍ وقُصُورْ!

***

(١) تلألؤ .
(٢) النور ولا سيما نور الاشجار المثمرة (blossoms) ، وهو جمع وضعي مولد وقد ورد في « تاج العروس » .
(٣) العجز .

مِنْ حياتي وتجاريبي ورُوحي أستمِدُّ
غيرَ عانٍ نظْمَ دُنْيا مِلْؤُها جزْرٌ ومَد
كُلُّ إكثاري قليلٌ جنْبَ حِسٍّ لا يُحَدُّ
بمجالي الكوْنِ، والكوْنُ مُصِيخٌ لا يُرَدُّ !

***

إستَمِعْ واعلَمْ بأنّي لا أُجاري أوْ أُغالي
إنما طَبْعي وإلْهامي بِغالٍ بعدَ غال
إنَّ وجداني رهينٌ لمناجاةِ المَعالي
والمَعالي تَرْفُضُ العَجْزَ، فنَبْتُ العجزِ بال !

***

هذه (الشَّمْسُ) أناءَ اليوم في إعلانِ نُورِ
فاغْتَفِرْ ذَنبي اذا شعْري أَبَى سَتْراً لِنُوري[1]
وبَدَا مِلْءَ اعتدادي في سُمُوٍّ أوْ عثُورِ
ساطِعَ الإشْعاعِ مِنْ لُبِّي ومِنْ ذهني الجَسُورِ !

***

(١) لفكري وعواطفي .

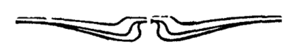
إنْ تَلُمْ جهْدِي وهَمِّي واشْتِغالي وانكِبابي
فلتَلُمْ مِنْ قَبْلُ شمْسِي وسمائي وسَحابي
ولْتَلُمْ آلافَ ذرَّاتٍ تجلَّتْ في خِطابي
مِنْ نجُومٍ وهَواءٍ ورياضٍ وعُبابِ !

***

لا تُصَدِّقْ أنّني أملِكُ رَغْمَ الفِكْرِ نَظْمي
إنّه نَبْعٌ وإلهامٌ بلا ضَبْطٍ ونَظْمِ
غيْرَ ضَبْطِ الوَحْيِ ، والوَحْيُ اذا ما قلَّ يُظْمي
جائِشَ الشعرِ فما يرْضي بصَمْتٍ أو بكَظْمِ !

***

هٰكذا يَسْتأهِلُ التقديرَ إلهامٌ لشاعِرْ
إنّه أصلٌ لما فاضَتْ بهِ هٰذي المَشاعِرْ
والذي يَحْسَبُ في الإقلالِ حُسناً فيُفاخِرْ
ليْس بالأوَّلِ في وَهْمٍ ولنْ يُلفى كآخِرْ !



حرمة الماضي وحق العلم

إلى عمدة المحققين الاستاذ الجليل أحمد زكي باشا

إنْ يَهْزأ (الغَرْبُ) الغيورُ بما بقي
فلقدْ رَددْتَ بمُشْرقٍ عنْ (مَشْرقٍ)!

في كلّ آونةٍ لفضلِكَ آيةٌ سطعتْ بجهدِ مُحقّقٍ ومدقّقِ
لا غروَ انْ بالغتَ في تَنميقها مثلَ الجواهرِ من غرام منمّقِ!

انّي المُقدِّرُ للحضارَةِ قدرَها
وعظائمَ (الغربِ) السعيدِ بها الشقّي

وكذا أُقدِّرُ للجدودِ مآثِراً يَبلى الزّمانُ وذِكرُها لم يخْلَقِ
الحقُّ ليْسَ يلجُّ في انكارهِ الاَّ الضّعيفُ المُرْتمي لا المُرْتقى
مَنْ لم يُعظِّمْ للجدودِ جهُودَهُم فهوَ المحقِّرُ نفسَهُ في المَنطقِ
وهو الملقِّنُ للبنينِ بجهلِهِ درسَ التقاصُرِ لا دروسَ تشوّقِ
الصبرُ أنتَ مثالهُ في مَبْحَثٍ والحقُّ أنتَ منارُهُ في مَرْمَقِ

تجري يراعتُكَ (الزّكيةُ) عَذْبَةً
بالفَضلِ جرْيَ الجدْولِ المُترَقرِقِ

ومناهلُ الأدب الجميل تخصُّها ... بنوافحِ الماضي الذي لم يُسبَقِ
وأراكَ في عُمر الأصيل وإنما ... عُمُرٌ يطول ببهجةٍ وبرونقِ
مِثلُ الصَّباحِ سخاؤُهُ وجمالُهُ ... وله على الاصباحِ عطفُ مشوَّقِ
انظُرْ إليهِ(١) كما تشاءُ وكنْ لنا ... مرآتَهُ توحي بأروعِ منطقِ !
مَنْ كان وضَّاءً بعقلِكَ لم يكنْ ... يَعيَ بإرشادِ المحبِّ المشفقِ
كلاّ ولا يخشاه طالبُ حجةٍ ... أبداً ، ويسترضيه قلبُ المتقي
وكذا العليم مقامُهُ في أمةٍ ... عرفتهُ يستعلي بحظٍّ موفَّقِ
وعلى الأديبِ فروضُ مفتونٍ به ... فاقبلْ تحيةَ عاشقٍ لم يَلتقِ
ان أرخصَ الشعراءِ تاجَ مديحهم ... فأنا الضنينُ بهِ لغيرِ محلِّقِ

وأخصُّ بالمدحِ العليمَ مزكِّياً
سيّانِ في (مِصر) ودولةِ (جلّقِ)

فالعلمُ قدسيُّ الحياةِ ، وأهلُهُ ... مثلُ النجومِ وانْ نأَوْا لتألُّقِ

هيهاتَ يجحدُها البصيرُ ضياءَها
مهما تحيَّرَ في الظلامِ الحدقِ !



---

(١) يعني الى الصباح أو عهد النهضة الاولى .

(٢)

برقية الاستاذ زكي باشا

قصيدتك فريدة في بابها ، وخليدة تتيه على أترابها ، وتعزّ على طلابها ، وأنا أعلم الناس بأني والله لا أستحق هذه الدرة التي بزّت الدراري . فاقبل يابنيّ وابن أخي شكر سميّك ؟

المخلص

احمد زكى

(٣)

رد الشاعر

ناجَيتَ « بالبرْقِ » المُطيعِ فؤادَا
وجَميلُ طَبعِكَ كمْ يَنالُ مُرادَا
عفواً حكيمَ البَحْثِ قدرُكَ مدْحُهُ
فرْضٌ على جيـلٍ بفضْلِكَ نادى
وأرى لآثارِ الجُدودِ تحيَّةً
وأنا ابْنُ (مصر) فهلْ أُعَدّ جمادًا ؟ !
عَلَمٌ بجودِكَ قد يَهِشُّ له الثرَي
و (النيلُ) والزَّهْرُ الذِي يتَهادَى

وسكنتَ (**بالفسطاط**) أو بجوارِها
جِسْماً ورُوحاً باحثاً نقّادَا
والناسُ تحسَبُ أنّ كُتبكَ وَحدها
تُعطيكَ عِلْماً للفَخارِ وزَادَا
وأنا أراكَ مُحَدِّثاً ومُسائِلاً
ما عزَّ من أجيالِ أمسِ وسادَا
فاذا شكَرْتُكَ عنْ شَبيبَةِ أُمّتي
فلقدْ شكرْتُ بِشُكْرِكَ الأَجْدادَا !

(٤)

برقية الاستاذ زكي باشا

غلبتني بشعرك فلأبعثنَّ بالجاحظ وابن فضل الله لشكرك عن أخيك وعمك ما ؟

زكى باشا



سليم سركيس

نَعاكَ يَراعٌ أم نعاكَ خطيبُ ؟ فكلٌّ أديبٍ للأديب قريبُ
وحيّر أفهاماً بكَتْكَ كأنما لمثلكَ تهديدُ المماتِ يخيبُ !

برغمي (سليم) أنْ أحاولَ راثياً
حجاكَ وأن يُشجي الحبيبَ حبيبُ

وكان بودّي أن أموتَ مودَّعاً بودِّك، فالموتُ الهنيءُ يطيبُ !

وكنتَ عظيمَ الرُّوح تُنعِشُ هامداً
فهلْ انْ رثيتَ الميتَ ليس يُجيبُ ؟!

وأنّى لنا بالقوَّة الآنَ ملؤُها
حياةٌ اذا ناجتكَ كنتَ تؤوبُ ؟ !

ويا ربما لم تُعْنَ حتى بصوْتنا فأنت بتقدير الحياةِ عجيبُ !
بذلتَ من المجهودِ كلَّ مُخلَّدٍ فأنتَ قصيٌّ بالنَّوى وقريبُ
ويشهد فينا شاعرٌ مثل كاتبٍ ويُؤمن فينا عالمٌ وأريبُ
وتشهد آثارُ المروءةِ يتمها بفقدكَ يُتمٌ للقلوبِ يُذيبُ
وتشهدُ آياتٌ تُجلّك مُبدِعاً بصيراً بأحلامِ النفوسِ يصيبُ

يجدِّدُ رغمَ النّاقدينَ موفَّقاً فيتبعهُ النُقّادُ حينَ يُهيبُ

ويبتكر الاحسانَ في كُلِّ مطلبٍ

وانْ شابَ موضوعاً فليس يَشيبُ !

سَمِيرٌ ولا يُعييه شوقُ جليسِهِ ونادٍ لسلوانِ الهموم رحيبُ

وعُمدتهُ الفكرُ السليمُ وذخرُهُ تألَّقَ فتاناً وليس يُريبُ

فمتْ ياشهيدَ الفكرِ ميتةَ ناقمٍ على عالَمٍ فيه الذكيُّ جنيبُ !

لقد كنتَ فينا زائراً ثمَّ شاكراً

لما كنتَ تُسديهِ ! فكيفَ نُثيبُ ؟!

وما الفكرُ الاَّ الجوهرُ الفردُ ، انّه

على كل آمال الوجودِ رقيبُ !

وهيهاتَ أنْ يُرْثى ولوْ ظُنَّ ميِّتاً

فكَمْ في جُمودٍ موجِدٌ وخصيبُ !

فانْ نحنُ أعطينا الرثاءَ دموعَنا فأولى بمسكوبِ الرّثاءِ جديبُ

رُزئنا بفقرٍ مِنْ رحيلِكَ مثلما

كسبتَ ثراءً ما ادّعاه غريبُ !



اسرة الأدب

ومن عَجَبٍ يُنْحي عليَّ لموْقفي
مع الحقِّ من أهلِ الحقوقِ (١) كبيرُ
ويُرضيه أنّي أغمطُ النّاسَ فضلَهمْ
وانْ كانَ فيهمْ عاجزٌ وصغيرُ

وما كانَ مثلي مَنْ يحقّر جوهراً ... اذا ما احتواهُ في التراب حقيرُ
ولا أنا منْ يُعْلي كواذبَ حليةٍ ... اذا ما اقتناها سيدٌ وأميرُ

ولكنّني أستعذِبُ الحقَّ وحدَهُ
ومثلي باقرارِ الحقوقِ جديرُ

ولستُ أُبالي بالسؤالِ عن الذي ... حمدتُ له ما يشتهيهِ قديرُ
فانّيَ فنّانٌ أُمجّدُ مذهبي ... وأعشقُ آياتٍ اليه تسيرُ

ولولا ابتغائي دَفْعةَ النّاسِ للهُدَى
وفاءً لمَا أرضى مُنايَ ظهورُ

فما المرءُ الا عاملٌ اثرَ قوّةٍ ... تسيّرُهُ للنفعِ فهوَ أجيرُ
فمن عَبَثٍ هذا الفخارُ بضعفهِ ... ولو أنّني يومَ الوَفاءِ فخورُ

---

(١) يعني من رجال القانون .

فيا اخوتي في مطلبِ الأدبِ الذي
يُقدِّسه فوقَ الشعورِ شعورُ
ألا فاسمحوا أن تُنصِفوا كلَّ جهدكم
فيُكْرَمَ فيـهِ ناقدٌ وشكورْ
ولا تنظروا عندَ الجزاء لشُهرةٍ فيا ربما لم يستَطِعهُ شهيرُ
ولكنْ تغالَوْا بالمآثرِ وحدَها
اذا سطعَتْ ، انَّ المآثرَ نورُ !

القديم والجديد

لا تحسبنَّ من الغوايةِ خاطري أو تحسبنَّ الى الخيالِ رُجوعي
انّي أُقدِّسُ في القديم جمالَه والى الجمالِ تحيتي وركوعي
وأرى الجديدَ كذاكَ في أضرابهِ
شطرين بين مُهلهَلٍ وبديعِ
فأصفحْ لذوقي إنْ تخيَّر تارةً
نُخَبَ القديمِ السيّدِ المتبوعِ

واذا بآونةٍ وأخرى لجَّ في
ثَوَرَانِهِ بنظيمِهِ المطبوعِ
ويَظَلُّ في الحالينِ أشرَفَ مُنتجٍ
- في نَهْجِهِ - الإحسانَ للمجموعِ
قُلْ ما تَشاءُ من العيوبِ مؤنباً
أدبي ، ولا تَنْعَتْهُ بالمصنوعِ !

البعث القاتل

جدّدتِ لي قلباً أُميتَ قتيلاَ !
أو ليسَ بِرُّكِ بالحياةِ كفيلاَ ؟!
فأعدتِ شعري للخفوقِ مُرَنَّحاً ... بهواكِ يبعثُ للجمالِ جميلاَ
وبعثْتِ كلَّ مشاعري من رَقدةٍ ... لبثتْ بنيرانِ الشقاءِ طويلاَ
وأذقتِ وجداني السعادةَ بُرْهةً ... مرّتْ كما مرَّ النسيمُ عليلاَ
فنسيتُ عمراً بالتعاسةِ مُرْهقاً ... ولّى وأمّلتُ الهناءَ بديلاَ
ووصفتُكِ الوَصْفَ الذي مِنْ بعضِهِ
تُهْدي الحسانُ لراحتي التقبيلاَ !

يُصغي له الشعراء بين مُمَتَّعٍ ... سُكراً وبين مؤمّلٍ تأميلاَ !
ويصفّقُ الأدبُ الفخورُ لما به ... من مُعجز الفنّ الدّقيق أصولاَ !
وأنا المقرُّ لوحْيِ حبكِ دائماً ... فهل اعترفتِ بما منحتُ قليلاَ؟
ودّعتُ في عام الفراقِ شبيبتي ... وسعادتي والعُرْسَ والإكليلا

ورضيتُ موْتي للغرامِ ضحيّةً
وأبيتُ لوْماً فيكِ أو تعْليــلاَ
واليوْمَ بعدَ سنينِ حُكْمٍ صارمٍ
ـ حُكْمُ العناءِ ولم يُصِبْ تَعديلاَ ! ـ

تتقدمين هوًى لنقْضِ قساوةٍ ... جبلتْ لما عانيتُ منكِ مثيلاَ
حتى اذا هنّأتْ قلبي فَتْرَةً ... جدّدْتِ بالهجر المَرُوعِ قتيلاَ !

وطرحْتِ أحكامَ الوَفاءِ بلا هُدًى
ورميتِ في وجهي الهوى تضليلاَ !
والآن أكتبُ من دمي ومدامعي
هذي السطورَ مناحةً وعويلاَ !
أرثي بها حُسناً عشقتُ ولم أزَلْ
أهواهُ في موتي الأَليمِ بخيــلاَ !

وأودِّعُ الحَظَّ الذي لو خصّني ... بوفائه لرأى الوفاءَ جليــلاَ

واهاً على الحسنِ العزيز يُذِلّهُ … نزقٌ ويتركُ قدرَه مبذولا
وأسًى على شوقي الجريحِ مجاوراً
قلبي القتيـلَ مُضرَّجاً مخذولاَ!
قدَّستُ فيكِ أعزَّ ما أحببتهُ … وعرفتُ فيكِ عبادةً وهيُولَى!
وأظلُّ في نارِي أسامحُ داعياً … لكِ بالنعيمِ مخلَّداً ، أهولاَ!
كُلِّي فداؤكِ والعذابُ مكرَّرٌ … مثلَ الفداءِ، ولا عرَفتِ عذولاَ!

اغاني البيان

(١)

الى الصديق الأوفى طبيب الشعراء وشاعر الاطباء

أَطلّي واكشفي عنكِ القناعَا
فانَّ النفسَ قدْ ذَهبتْ شَعَاعَا
علامَ قد احتجبْتِ وأنتِ أدرى
بما كتمَ المحبُّ وما أذاعا
عرفتكِ يافعاً في المَهدِ حتى … شأى في الدَّهرِ منزعُنا وشاعَا

فلا تتهيَّبي في الحبِّ أمراً | فما في الحُبِّ من أمرٍ يُراعى
أعينيني على أمري وصوني | عهوداً لم أنمْ عنها اضطجاعا
ومدّيني بعطفكِ إنَّ نفسي | قد اهتزَّتْ من البيْنِ ارتياعا

* * *

فتاةَ الشعر هلْ لكِ من سبيلٍ | الى النّبقِ الذي ملكَ اليَراعا
فتى متَرَصِّنٌ فكِهٌ أبيٌّ | يصوغُ المجْدَ عفواً وابتِداعا
اذا ما جئتِ ساحتَهُ اطمأنّي | فقد أدركْتِ حَجًّا مُستَطاعا

طبيبُ القومِ إنْ مَرِضوا (وشادٍ)
اذا صَحُّوا وأكرَمُهم طِباعا

فيا عجباً لآسٍ عبقريٍّ | وشهْمٍ طالَ في العظماءِ باعا
يُريك من الحصافةِ كلَّ معنًى | ومن آياتِ سؤدُدِهِ اختراعا
اذا مَرِضَ القريضُ مشى اليه | فقوَّمَ منهُ ركناً قدْ تداعى !

أراهُ وقدْ تنقَّلَ منْ مصيفٍ
لآخرَ، بلبلاً ألِفَ الرِّباعا !

أقمنا في (العريشِ) على وَفاءٍ
ولم نَشْكُ الرَّحيلَ ولا الزَّماعا

وكنتُ أراهُ يَعطفُ نحوَ شخصي
فيدرِكُ ما أُكابِدُهُ التياعَا
يخففُ مِنْ لواعجِ ما أعاني ويدفعُ عادِيَ الدَّهرِ ادّراعَا

***

(**أبا شادى**) ! سلامُ اللهِ . . . إنّي
هجرْتُ كهجرِكَ اليومَ البقاعَا
تركتُ هناكَ فتياناً سِمَاحاً وخلّيتُ المــآرِبَ والمتَاعَا
وها أنا ها هُنا أقضي حيــاتي
(**برأس البر**) لا ألقى « صِراعَا »
فهاتِ مُحدِّثاً عنْ (**بُرْسعيد**)
أجئكَ بمــا أراهُ هنا مُشاعَا
لا تجعــل (**لفردينان**) ذِكــراً
(**فشمبليون**) كانَ هنا مُطاعَا !
وذكرنا بنهضةِ (**مصر**) وانظمْ
عقودَ المجــدِ والأَدبِ اجتماعَا !

الاسكندرية في ٩ فبراير سنة ١٩٢٦ م — المخلص

محمد فضل اسماعيل

(٢)

عزيزي فضل افندي :

شكرتُ (لفضلك) الأدبَ المُذَاعَا

ولولا السقْمُ لم أُلقِ اليَراعا

فخيرُ هديةٍ أدَبٌ وَدُودٌ لذِكرِ ولادتي يَهَبُ الشُّعاعَا [١]

وخيرُ البُرْءِ منْ هَمٍّ دَفِينٍ حَنَانُ الشِّعرِ يبتسمُ ابتِدَاعَا

بعثتَ به الوفيَّ فقلتُ أهلاً

ومِثلَ شَذَا الأَزاهِرِ حينَ ضاعَا [٢]

فلم أعتبْ عليهِ لأنَّ حبِّي لشعرِ الودِّ أنْ يضي مُشَاعَا

ولكنِّي أُعاتِبُ في ثناءٍ غلوّاً في المديحِ أو اندفاعَا

ويكفي في بيانِ صميمِ ودِّي وتقديري بياناً واختراعَا

شعوري بالأديبِ وإنْ تنَاءَى كنَدي رحمٍ يُبادِلِي الطِّباعَا [٣]

المخلص

أحمد زكي أبو شادي

بور سعيد في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٦ م

(١) اشارة الى صبح عام جديد في حياة الشاعر حيث ولد يوم ٩ فبراير سنة ١٨٩٢ م .

(٢) اشارة الى نشر فضل افندي قصيدته .

(٣) في هذا البيت يعزز الشاعر عقيدته ووفاءه الأدبي المتمثل بقصيدته « اسرة الأدب » .

المؤتمر الوطني

١٩ فبراير سنة ١٩٢٦

حاشايَ أن أدعو الديارَ دياري وأخونَ في يومِ الوفاءِ شعاري!
شعري الأحقُّ بروعةٍ صدّاحةٍ يومَ الوئامِ الدافقِ المدرارِ
كانَ الوحيدَ مجاهداً في دعوةٍ لتآزرِ الإخوانِ والأحرارِ
بينا المساعي كالجداولِ ضيعةً فاذا بها اليومَ الأتيُّ الجاري
لِمَ لا أُغرّد ضاحكاً في غضبتي ؟
لِمَ لا أسيرُ بطلعةِ الثوّارِ ؟ !
الشاعرُ المطبوعُ قائدُ قومِهِ بالفكرِ والإلهامِ والآثارِ
في كلّ بيتٍ لي نوازعُ حكمةٍ وعواطفٌ تفترُّ عنْ أنوارِ
لستُ الفخورَ ـ وانْ فخرتُ ـ فانّني
طَوْعٌ لنَهْضةِ أمّتي بفخاري !
والذكرُ ينفعُ مَنْ أساءَ لقومِهِ متفنّناً في اللّهوِ بالأشعارِ !

***

هاتي بناتِ الشعرِ كلَّ سنيةٍ في حالِ تهنئةٍ وحالِ عِثارِ !

يلقى بها الأَخْيارُ بعضَ جزائهم
شُكراً ، ويخشاها الرَّدى المتواري
فترِفُّ باسمةَ الضياءِ لطيفةً للصَّحْبِ ، قاسيةً على الفُجَّارِ
نورُ الهُداةِ العاملينَ لشعبهمْ ولغيرِهم أبداً شُواظُ النَّارِ
هاتي ! فهذَا العيدُ يومُ ولادَةٍ للرأي والإِخلاصِ والاقرار !
هاتي ! فهذا مأتمٌ لمصائبٍ عمَّتْ بفرْطِ تخاذُلٍ وصغار !
والقِمَّةُ المرْهوبُ مصعدُها كما
يخْشى عواقبَها الجريءُ الزَّاري !
يوْمٌ له حَظُّ النقيضيْنِ ، فَيا للهِ بيْنَ بنايةٍ وَدمارِ !

***

قُوموا بني وطني لصَوْن سيادةٍ لشعورِكم منْ رِبْقَةِ الجبَّار !
قوموا بِعزَّةِ مَنْ يُجِلُّ حقوقَه وضميرَهُ ويَعِفُّ عندَ الثَّار !
لا تحْسَبوا انَّ الحيــاةَ بِرَقْدَةٍ انَّ الحَيــاة منارُها كَمَنارِ !
لا يستريحُ اذا المصائِبُ داهَمَتْ
بتلاعبِ الأَمواجِ بإعْمــارِ
فيظلُّ دَوّاراً بنورِ هِدايةٍ وكذا الحيــاةُ بعهدِها الدَّوّارِ

أنتم دليلُ مصيرِها ومآلهـا وشبوبها ، ولها الزنادُ الواري
لا تثقلوا بالتّركِ عبءَ زعامةٍ انّ الزعيمَ يسودُ بالأنصارِ
أو تحفلوا باليائسينَ ووهمِهمْ فاليأسُ موتُ الصبرِ والصبّارِ

ما أبسطَ الحقّ الصريح وانْ يكنْ
ينساهُ عندَ الوهمِ عقلُ الساري
هيهاتَ تفلحُ بالتطاحُنِ امةٌ أوْ تَستعزُّ كرامةٌ بشِجارِ (١)

واذا الرجالُ تَشاحَنوا وتكبَّروا
جُوزوا بحكمِ الدّهرِ مثلَ صِغارِ
يَهْوُونَ صَرْعى في التراب وعندما
يَهْوُونَ تَهوِي دَولةٌ لبَوارِ !
والحكمُ شورى انْ رأيتَ رُسوخَهَ
فهي الضمينةُ دائماً لقَرارِ
والفرْدُ والجبْروتُ ليسَ كلاهما
الاّ سلالة مُظلمِ الأعصارِ
كالبومِ يَختارُ الظّلامَ لعُشّهِ فاقضوا على ايثارِه المختارِ

وطنٌ (كوادي النيل) تضحكُ شمسهُ
ونجومُهُ أولى بكلِّ فخارِ !

(١) بمشاجرة .

وبصادحِ الأَطْيارِ ـ رمزُ سلامِهِ

وهنائِهِ ـ لا ناعبِ الأطْيارِ

فليَحْيَ هذا اليومُ ذكرى وثبةٍ للنُّورِ والآمالِ والأَزْهارِ

شبَّ التضامنُ فيهِ جِدَّ موفَّقٍ في طَفْرَةِ الغلاّبِ للأقدارِ !

يأبى إباءَ الحرِّ موْتَ دعارةٍ ولربَّ عيْشٍ فيه موْتُ العارِ

مستهزئاً بالظّالمينَ محقِّراً ذمماً كحالِ السُّوسِ في الأشجارِ

تخذَ الحقيقةَ في أعزّ زُهورِها علماً يَشقّ حصينةَ الأَسوار

ولطالما خشيَ الحقيقةَ باطشٌ واهتزَّ رغْمَ الجحفَلِ الجرَّارِ

واللهِ أنتمْ ما أردْتمْ ، حظُّكُمْ بصلابةِ التَّدْبيرِ لا الإِدْبارِ

فاذا وَزَنْتُمْ للمواقفِ جُهدَكُمْ فُزْتُمْ ولوْ فوْقَ الشّفيرِ الهاري

فالحقُّ عوْنٌ في صميمِ وفائهِ ان لم يذَرْهُ تبايُنُ الأوطار

فيمِ التخاذُلُ؟ ما الرجاءُ وكلُّكُمْ ذاكَ الجريحُ بسيْفِهِ البتّارِ؟!

تركَ العدوُّ لكُمْ مجالَ خصامكُمْ سَمْحاً ومهّدَ باسْمِ الاستعمارِ!

ودعا لكم منْ قلبهِ بتشاحُنٍ يبقى على الأجيالِ والأَدْهارِ!

ولقد مضى جيلانِ في هذَيانكُمْ ومدامعٍ كالوابلِ المدْرارِ !

كانتْ ختامَهما مناحةُ أمةٍ بجراحِ كلِّ مظفَّرٍ قهَّارِ !

منْ سيفِهِ المكسورِ لا منْ خصمِهِ وغرورِهِ والوهمِ والإيغارِ !

فلتُدفَنْ اليومَ البقايا كلُّها لسنينَ آلامٍ رحلْنَ عواري
أو فلندعْ همَّ البــلادِ وشأنَها
لنساءِ (مصر) فلسن للأخدارِ !

***

حُييتَ (مؤتمراً) - تَجَمَّعَ باسمِهِ
نُخَبُ الرّجالِ ـ و ندوةَ الأخيارِ !
متباينين منازِعاً وعواطِفاً
وموحِّدين (بمصر) في الأقطار
لا يجهلونَ مقامَها وجلالها رغمَ الزّمانِ الخائنِ الغدّار
ويحقِّقونَ على التعاوُنِ نفعها متجاهلينَ تباينَ الأفكار
المرءُ المجموعِ في غاياتِهِ فعلامَ قُبحُ تنازُعٍ وشِرارِ
مثل السفينةِ لا يسوغُ لأهلها طَرْقُ النّزاعِ بموقفِ الأخطارِ
لا شيءَ في الدُّنيا الجديرُ بضَجَّةٍ ـــ
الاّ هوًى شرف ــ وخوْضِ غمارِ
ومن البليّةِ أنْ تُسَخِّرَ أُمّةً نَــكِرَاتُها بوزارةِ الأوْزارِ !
الأمرُ جِدٌّ والمخاطرُ جَمّــةٌ للحزْمِ لا لمجالس السُّمّارِ
والعهْدُ للصّبرِ العظيمِ وقُوّةٍ مِنْ يقْظَةٍ لا نشْوةِ الإسكارِ

وصفاءِ أفئِدَةِ الذينَ اليْهمو نجوى القلوب بساعةِ الإصدارِ

والآنَ حانتْ ! أي نعمَ حانتْ ! فلا

تترددُوا في وُجهةِ التيّارِ !

نادوا (بمصر) اذنْ لترْفعَ رأسها

بينا الجنيبُ يُصابُ بالاذْعارِ !

نادوا أبيّاتِ الفضائل كلَّها لتردَّ سَطْوَ سوائمٍ وضَواري !

نادوا الحصافةَ وهي ركنْ ممالكٍ لتقولَ قولةَ حاكمٍ أمّارِ !

نادوا القناعةَ كي تعلم شعبنا انَّ التحاسُدَ صنوُ الاستهتارِ !

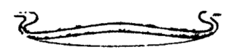
نادوا حُفاةَ (النيل) قوّةَ أهلهِ أنْ ينزعوا المذْمومَ منْ أطمارِ !

نادوا الذي دَفعَ الضَّريبةَ جازعاً

لشجاعةِ التقديرِ والإنكارِ !

فاذا أجبتم - والجوابُ مُحقّقٌ -

فلكم صحائفُ نهضةٍ للقاري !



هبة ركفلر

عشرة ملايين من الدولارات لاقامة متحف أثري فخم وانشاء معهد للابحاث الاثرية في القاهرة

قال الدكتور (برستد) : ان الذي حمل مستر (ركفلر) على تقديم هبته الكبيرة هو ان العالم بأسره ـ والعالم الجديد بصفة خاصة ـ مدينان لمصر بدين تثقيفي ظهر ازدياد جسامته بالابحاث الاثرية والعلمية الخارقة للعادة التي جدت في السنوات الاخيرة .

هِبَةُ العظيمِ الى العظيمْ ... وهديةُ الكرمِ الصميمْ
مِنْ سيّدِ المالِ (١) الجسيـ ... ـمِ لموْطِنِ الأثرِ الفخيمْ
مِنْ عالَمِ الحذْقِ الجديـ ... ـدِ لعالَمِ الفنِّ القديمْ
مِنْ مُحسنٍ (٢) احسانُهُ ... أبقى من المجدِ المُقيمْ
مِنْ مُصلحٍ يكفيهِ أنْ ... يُدْعَى (بركفلر) العظيمْ
عرفَ الشقاءَ بنشأةٍ ... في البؤسِ والحظِّ العديمْ (٣)

(١) يعد (ركفلر) أغنى أغنياء العالم . وقد قدرت ثروته في سنة ١٩٢١ م فبلغت ٨٤٠ مليوناً من الجنيهات !

(٢) حسب ما أنفقه (ركفلر) في البر والاحسان فكان زهاء مائة مليون من الجنيهات !

(٣) نشأ (ركفلر) نشأة البؤس والضنك الشديد ولم يبلغ غناه الحاضر الا بعلو همته وحسن تقديره الفرص التجارية والصناعية وحسن انتهازها . والفظ (ركفلر) صوتاً معناها « قاطع الصخر » .

وبنى الحياةَ بهمّةٍ	غلّابةٍ الصعبِ الجسيمْ
حتى أستوى فوقَ العرو	شِ بقوةِ العقلِ الحليمْ
لا بالخداعِ المستبا	حِ ولاَ بإرْهاقٍ نميمْ
مستثْمراً كنزَ الطبيـ	ـعةِ واهبَ الكنزِ العميمْ
يَذَرُ الملايينَ الكثيـ	ـرةَ للحضارةِ والعُلومْ
ولمحضِ خيرِ الناسِ وال	إصلاحِ والأملِ المَرُومِ (١)
ولو أستطاعَ لملّكَ ال	انسانَ تسخيرَ النجومْ !
رجلٌ ولا كلُّ الرّجا	لِ بصدْقِهِ الجمُّ الحميمْ
تعريفُهُ : شَرَفُ الغِنى	بالجودِ لا اليُسْرُ العقيمْ
عيْشُ البساطةِ حظُّهُ	ونَبالةُ القصْدِ النّديمْ
متديّنٌ بالنفْعِ لِلْ	بشرِ أعتقاداً عَنْ عليمْ

(١) أعلن أن هبة المستر (ركفلر) لمصر « ليست الا حلقة من حلقات خدمة الانسانية التي يرمي بها الى سد وجوه النقص الكبيرة في أنحاء العالم بأسره . وما مكافحة الحمى الصفراء الى درجة التغلب عليها في امريكا الجنوبية والوسطى ، وما الحرب التي شهرت على الاوباء الفتاكة التي تهدد الجنس البشري وما انشاء مدرسة طبية كبيرة في الصين وتشجيع معاهد التعليم في الولايات المتحدة وأوروبا ، وما تعمير (ريمس) و (فرساي) و (فونتنبلو) بعد الحرب — ما كل هذه الاعمال كان من الميسور قيامها في عالم الوجود الا بفضل المساعدات السخية التي قدمها لها مستر (ركفلر) » .

طَوْراً لصحتهم وآ ناً للفقيرِ ! واليتيمْ
ويُعمِّ الأقطارَ مَدْ فوعاً بإنصافِ الظليمْ
بينا الحروبُ تبعثرُ الـ أشلاءَ بعثرةَ الهشيمْ!
يسعى لتضميدِ الجرو حِ ولاَ يُبرِّر أيَّ ضيمْ
ويكافحُ الأمراضَ والـ أوهامَ بالجُنْدِ السليمْ
ومعاهدِ البحثِ القويـ مِ لنُصْرَةِ الرأيِ القويمْ
في كلِّ أنحاءِ البقا عِ له مَبرَّاتُ الكريمْ
واليومَ يقْرِنُ فضلَهُ في (مصر) بالفضلِ الحكيمْ
لدارسةِ التاريخِ في مهدِ الحضاراتِ الوسيمْ
والحفْرِ والتنقيبِ عنْ فخرِ القرونِ المستَديمْ[1]
وليُنقذَ المصريَّ منْ عقبى تخاذلِهِ الوخيمْ

***

حُيِّيتَ ياملِكَ المُلو كِ[2] وعشتَ كالربِّ الرحيمْ له

---

(١) يقال لغة : استدام الطائر أي حلق في الهواء ، ومجازاً هنا بمعنى الطائر الصيت . والوسيم : الجميل .

(٢) يلقب (ركفلر) بملك البترول ، وقد أصبح البترول بعد أعظم قوة مسيطرة على مآل العالم .

حُييتَ مِنْ هادٍ يدلُّ - الناسَ حقًّا للنعيمْ !
ما أحسنَ الدنيـا بـه ، مذْ نأى حلّ الجحيمْ !
وعنايةُ الإنسانِ بالـ إنسانِ دِينٌ العظيمْ !

العزاء الكريم

في سنة ١٦٦٧ م كان النقاش المثال الاسباني (ألونسو كانو - Alonso Cano) يحتضر ، فتقدم له القسيس الصليب وعليه مثال السيد المسيح مصلوباً ، ولكنه كان مصنوعاً صنعاً قبيحاً ، فأشاح الفنان بوجهه عنه كرهاً لتشويه الفن ، فذهل القسيس وقال له : ماذا تصنع يا بني ؟! ألا تعلم ان هذا مثال مفتدينا الذي نرجو بواسطته وحده الخلاص ؟ فأجابه (كانو) : هذا ما أعتقده يا أبي ، ولكن لا تفظني بهذا الشيء المشوه !... أعطني صليباً بسيطاً وأنا أرى عليه بعين خيالي مثالا جميلا !

* * *

نَبَذْتُ عزاءً هامَ غيري بنفعِهِ وآثَرْتُ أنْ أحيا الحياةَ غبينَا
شآني [1] جَمالٌ في الوُجودِ مُعزِّياً
وعِفْتُ غِنًى يُرْدِي الغَنِيَّ دَفينَا

---

(١) شآني : أعجبني .

كما يُؤثر الصدّاحُ جيرةَ جدولٍ
وَيَأْبى حياة في « النعيمِ » سجينا
وأرفضُ طِبّي منْ يَدٍ لا تَشُوقُني
بِطُهْرٍ ، وإنْ عَدَّ العزُوفُ جُنونَا!
طَبيعةُ فنّانٍ يرى الحسْنَ دِينَهُ
ولو كانَ وَهْماً دَيْسَقاً [1] وظنُونَا
وأحسَبُ فقري عارضاً، دُونَ منزلي ،
وهيهاتَ أغدو منْ أذاهُ حزينَا
ولكنّني أشقى بفقدانِ نفْحةٍ من الحُسنِ تَسقيني النعيمَ فُنُونَا
فدَعْني سعيداً في تَصوّفِ مُهْجتي
ولا تَرْعَ لي غيرَ الجمالِ فتُونَا
وقدْ أرْفُضُ الجَنّاتِ إنْ كانَ قائدي
إليها مُسيئاً للجمالِ خَؤُونَا!
كما رَفَضَ المثّالُ (كانو) شفاعةً
برَمْزِ صليبٍ كادَ يحقِرُ هُونَا!

---

(١) الديسق : بياض السراب .

رأى السيِّدَ الفادي عليهِ مشوَّهاً
فماتَ وماتَ الفنُّ فيهِ شُجُونَا !
فآثَرَ إعراضاً وقالَ معاتباً : بحسيَ صليباً في الجلالِ مصونَا
تَخلَّى عنِ القبحِ الشنيعِ فكانَ لي
عزاءٌ بموتٍ لا أراهُ شَطُونَا [1]
وحسبي خيالي مُسْعِفاً في تصوُّري
عليهِ [2] مثالاً للمسيحِ مُعِينَا !
أراهُ جمالاً منْ جمالِ محبَّتي ولا خيرَ في قُبحٍ يسوءُ مُهِينَا

***

كذلكَ حالي في الحياةِ وفي الرَّدى
أرى الكَوْنَ في ظلِّ الجمالِ ثميناً !
وتهتاجني الآلامُ لكنْ أسيغُها
اذا نلتُ منْ عطفِ الجمالِ حنيناً !
وأُعرِضُ عنْ صفوِ العزاءِ اذا بدا
خصيماً لفنٍّ صارَ عنديَ دِينَا !

(١) شطونا : بعيداً .
(٢) أي على الصليب .

اذا الكونُ عادَى الفنّ صارَ فناؤُهُ

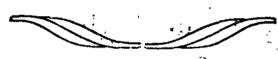
حلالاً ، وكانَ العيشُ فيهِ أنينا !

عزاءُ الورَى نفحُ الجمالِ ، فانْ مضى

فهيهاتَ أنْ تبقى السَّعادَةُ فينا !

تبلبلتْ الأَحلامُ بالوهمِ بينما أبى الحسنُ الاَّ أنْ يظلَّ أمينا

بخيلٌ على مَنْ عاشَ يُصغرُ مُلكَه وليسَ على الرّاجي حِماهُ ضنينا



على غير رضاك ...

قالتْ : « أقبلُ بِنْ حزينٍ جوارحي

مرآكَ ... لا أرجو(١) جميلَ رضاكَا

نُبِّئتَ أنّي قدْ خدَعتُكَ ... ليتني

قد مُتُّ قبلَ ملامِ مَنْ تهوا كَا ! »

فأجبتُ : « يا أملَ المعذَّبِ دائماً

حظّي مضى وقضى بأنْ نتشاكى ! »

(١) لا اؤمل .

ما كُنتُ أطمعُ في حنانِكِ باقياً

ولتعذُري قلباً بكاه وباكى[1]!

لِمَ لا يُصدِّقُ كلَّ همٍّ مُنذرٍ

وهوَ الذي عانى الهمومَ شِباكا؟!

ويظلُّ مغترباً بحالكِ حالِهِ

لا بِدْعَ أنْ صَرْفُ الحوادِثِ حاكى!»

قالتْ: «فصدِّقني وحسبكُ عاتباً

ظُلماً، وقبِّلْ لي بحقِّكَ فاكا!

إنْ كنتَ ترفضُ قُبلتي فلديكَ في الـ

ـمِرآةِ ما أهوى وما أرضاكا!

أنت الوفيُّ — ولا أشكُّ — فنظرةٌ

لكَ منكَ، أو قُبَلٌ، تصونُ وَفاكا!»



---

(١) رثاه كما بكى منه .

جزع عاشقة

في مرض حبيبها

جلستْ و نافذةَ [1] الضياءِ حزينةً
تبكي فأبكتْ للضياءِ زَميلا

وتدفّقَ الصدْرُ الحنونُ عواطفاً | بخُفوقهِ تذَرُ الجمادَ عليلا
ورنتْ لكلِّ سحابةٍ قمريةٍ | مرّتْ والبدْرِ الأسيفِ طويلا!
وتأملتْ صُوَرَ الظلامِ ولم تدعْ | وهماً تناشد عونَه مسؤولا!
وهنيهةً حسبتْ تلألؤَ كوكبٍ | نبأً أتاحَ بهِ الغرامُ عجولا!
وبساعةٍ أخرى تخالُ زهورَهُ | دمعاً وتحسبُ للنسيمِ عويلا!
بينَ الرّجاءِ وبينَ كلِّ مؤرِّقٍ | يدعُ الرجاءَ معذَّباً فقتيلا
وأقلُّ همسٍ قد تخالُ تعلّةً [2] | أو دعوةً تهبُ السرورَ جميلا
فتبلّلُ المنديلَ بينَ مدامعٍ | خوفاً وبينَ مدامعٍ تأميلا
تتلاعب الساعاتُ غيرَ رحيمةٍ | بشبابها وتردّها تضليلا
لا النومُ يعرفها بليلةِ همّها | والنومُ في الأشجانِ بئسَ خليلا

---

(١) الواو هنا واو المعية .
(٢) التعلة : ما يتعلل به .

كلا ، ولا أدنى الهدوء وربما عندَ الهدوء ترى الشقاء ثقيلاَ
حتى تملّكها النعاسُ برغمِها بعد العناءِ ، ولا أقولُ بديلاً !
فاذا بأحلامِ الهمومِ حيالها بعد العيانِ مثيلةً ومثيلاَ
وأتى الشروقُ مبدِّداً لظلامها برسالةٍ رفّتْ لها تقبيلاَ
حَملتْ لها بُشرى الحياةِ وردّدَتْ عذباً من الحبِّ الوفيِّ نبيلاَ
وأمِنَ ما يهبُ الوفاءُ من الأسى
أنّى تلمّسَ للعزاءِ سبيلاَ
فتبدّأتْ من ظلمةٍ في يأسها قمراً لآمالِ الحياةِ دليلاَ
سبحانَ مَن جعلَ المحبةَ نقمةً تُشقي وحظّاً بالنعيم كفيلا !!

التقدير الباقي

وإذا الودادُ دعا الصّحابَ لحفلةٍ
لبستْ من الانسِ الجميلِ نضيرَا !
وإذا الهوى المُوفي[1] فمدْ يُوفي معا
شرفٌ يزيدُ[2] لربّهِ التقديرَا

(١) الموفي : المعطي الحق (٢) ينمي .

ما كانَ تقديرُ الرجالِ بمظْهرٍ　　حتى ولو كانَ الزمانُ ظهيرًا (١)

كلاَّ ولا كانَ الكمالُ بثروةٍ　　لكنَّه مُلكُ النزيهِ كبيرا

يتطلَّعُ القومُ الصغارُ لقدرهِ (٢)

وهوَ الكفيلُ بأنْ يُعينَ صغيرًا

فلكلِّ نفسٍ حقُّها منْ نهضةٍ　　لو أنَّها تأبَى الوجودَ حقيرًا

وأجلُّ ما يُهدي الخليلُ لخلِّهِ　　نُصْحاً بأنْ يلقَى الحياةَ بصيرًا

متحاشياً شبهَ الأنامِ ودائباً　　فيما يُعِزُّ كرامةً وشعورًا

فيدومُ قِبلةَ مَنْ يجلُّ ودادَهُ　　ويعيشُ بالخُلُقِ العظيمِ فخورًا

واذا أتى يومُ الوداعِ تخلَّفتْ　　شِيَمٌ تُردِّدُ فضلَه المأثورًا



(١) ظهيراً : معيناً　　(٢) الضمير عائد الى النزيه .

نقلة «الزهراء»

انتقلت «الزهراء» الى دارها الجديدة بشارع الاستئناف بالقاهرة ، وهذه الدار كما يعلم جمهور الادباء تاريخية فى نشأتها الأدبية حيث كانت مقراً لصحف ومجلات شتى تعهدها بالرعاية الأدبية والمادية او أنشأها فقيد الصحافة العربية والمحاماة والوطنية المغفور له الاستاذ محمد أبو شادى بك ، وكانت منتدى لصفوة أهل البيان فى ذلك الوقت . فدفعت هذه الذكريات الشاعر الى نظم هذه الأبيات الوجدانية وبعث بها الى صديقه محرر «الزهراء» ؛ ويلى هذه القصيدة رسالة وفاء وأدب من الاستاذ محب الدين الخطيب ورد الشاعر عليها تنويهاً بفضل صديقه الأديب الغيور.

***

(١)

جدّدتَ (للزهراء) فجرَ شبابي
وأعدتَ لي صوَراً منَ الأحبابِ
قَسَماً (محبَّ الدين) مِثلُكَ أُنسُهُ
يُنسِي عديمَ الحظِّ كلَّ طِلابِ

بالأمسِ كنتَ مذكِّري بطفولتي
في مجمعِ العرفانِ والآدابِ !

واليومَ تنشرُها حياةً غضةً — في معهدٍ جدرانُهُ أولى بي !
لي فيهِ أعوامُ البيانِ حفيلةً — بمنىً وأحلامٍ صدقْنَ عذابِ
وما ثرٍ للكاتبينَ عرفتُهمْ — كلٌّ بقدرتِهِ العزيزُ الآبي
قد كانَ مدرسةَ الصحافةِ وقتهُ — وأبَ البيانِ الباذخَ الاحسابِ
وحظيرةَ الأدباءِ تجمعُ شملَهمْ — ومباءةَ الاعلامِ من كُتّابِ [1]

عنهمْ عرفتُ الفنَّ يعشقُ فاتناً
وعرفتُ كيفَ تساندُ الأصحابِ

ولو استطعتُ اليومَ نقشَ فخارِهمْ
ما كانَ يكفيني فخارُ كتابي !

لم يُسعفوا الأدبَ المهيضَ فحسبُ بلْ
رفعوا (لمصر) منارةَ الطلّابِ !

ومضَوْا ضحايا لم ينلهمْ مَغنمٌ — الأحياةُ الذكرِ في الأحقابِ

---

(١) حظيرة الادباء : ملجأهم المنيب . يقال حظيرة القدس أي الجنة — والمباءة : المنزل .

والآنَ أنتَ على غِرارِ(١) نُبوغِهِمْ
تأتي فتفتحُ مُغْلَقَ الأبوابِ

خُلُقُ الكريم المستعِزِّ بفضلِهِ
وبنهْضَةِ الأَخْلاَقِ والأَلبابِ

جِيلٌ مضَى بأبي ونُخبةِ عصرِهِ
وتعودُ أنتَ أخاً يَزِينُ شَبابي



(١) غرار : مثال . يقال هم على غرار واحد أي متماثلون .

(٢)

رد الأستاذ محب الدين

القاهرة في ١٤ شعبان سنة ١٣٤٤ و ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٦

سيدي الأستاذ المبدع الكبير،

اسمح لي أن أشكر لك من صميم فؤادي عطفك على "الزهراء" وصاحبها بمنظومتك ذات البدائع، وسأنشرها لما فيها من تخليد ذكريات مقدسة ستجعل لدار المطبعة السلفية الجديدة مقاماً عندي فوق مقام المنزل الذي فيه وُلدتُ وفيه استنشقت عبير الحياة في بدايتها. أما حسن ظنك بأخيك هذا العاجز الصغير فمنبعث عن نظرة بعين الرضا، وهي عين كُرمت عن أن ترى ما فيّ من عيب. جعلك الله قريراً بالسعد، وجزاك عني خيراً

واقبل فائق احترام المخلص

محب الدين الخطيب

(٣)

شكراً لشكرِكَ يا (مُحبَّ الدين)

ولو أنّه قد زادَ دَيْنَ مَدِين !

مَنْ ذَا بِخُلقكَ في جلالةِ بِرِّهِ   بالموطنَيْنِ[1] وفي جَمالِ حَنِين ؟

متواضعٌ يهبُ الأَنامَ جهودَهُ   وسخيُّهمْ بجزائِهِ كضَنِين !

مضتْ السّنونُ عليهِ في استبسالِهِ

ويظلُّ لا يعيا بمرِّ سنين !

ومحرِّرٌ للباحثينَ والحجا   وعلى دفاترِهِ شبيهُ سجين !

جرتْ اليراعةُ عن دِماءِ شعورِهِ[2]

جرْيَ الرِّسالةِ عَنْ نبيٍّ يقين !

تمضي ويشقى في سبيلِ ذُيوعِها

وهُداهُ بالعُقبى أبرُّ ضمين !



(١) يعني مصر وسوريا .

(٢) الاستاذ محب الدين الخطيب شغف بالكتابة بالحبر الاحمر .

تخفيف العبء ...

سرقة لعمان باشا الأعصر

أضخم عمدة في العالم

أيُّ «الأعاصيرِ» الشقيـ[1] ـةِ قدْ تلاهَتْ في غِيابكْ ؟!

ورمتْكَ باللصِّ الجري ءِ فما تهيبَ[2] مِنْ عقابكْ

خطبَ «النعيمَ» «مكرّراً» تبعاً لوصفِكَ أو لما بكْ

وسعى لحقّ «الانتخا ب» فما تعثّرَ عندَ بابكْ !

شهمٌ يُنفّذُ ما تقرّ رَ[3] يومَ أمسِ لدى صحابكْ !

متسلّقٌ «ضخمَ» الجدا رِ ليستحقَّ رضى جنابكْ !

ومطبّبٌ يخشى عليـ كَ العبءَ حتى من ثيابكْ !

لكنّما حبُّ القنا عةِ والتسامح في رِغابكْ

أبقى عليها فاكتفى بز كانِ جسمِكَ أو ثوابكْ !

---

(١) الاعاصير هي الرياح التي ترتفع بالتراب أو بمياه البحر وتستدير كأنها عمود . وفي هذا اشارة الى تسلقه المنزلة فضلا عن مناسبة اللقب .

(٢) أي تهيب أذى من عقابك.

(٣) يشير الى قيام المؤتمر الوطني بتشجيع الانتخاب ، [illegible] .

أغرته خِفّةُ روحِكَ الـ ـمُثلى فخفّفَ من «حسابِكْ»(١)!
فاقبلْ عزائي ان رَشَدْ تَ(٢) ولا تُضاعِفْ من عذابِكْ
واضحكْ على نُوَبِ الحيا ةِ فربَّ خيرٍ في مصابِكْ!

المنارة

أنيري وحَيِّيني فاني وخاطري
سفينةُ نفسٍ مائجٌ حولها البحرُ
أنيري فبعضُ النورِ للجرحِ بلسمٌ
ومِنْ سحرِكِ الفتّانِ قد يُبعثُ السحرْ
أنيري فاني قبلَ سُنْنكِ أشتهي
ضياءَكِ نبراساً يحنُّ له الفكرْ
كأنّكِ قد ألهمتِ نفسي مصيرَها
وكانتْ بتيهِ اليمِّ يملؤها الذعرْ

(١) يشير الى سرقة صك كبير القيمة منه . (٢) رشدت : اهتديت .

رَأَتْ منكِ أنَّ العُمْرَ بَحْرٌ وشَطُّهُ
سَلَامٌ ونُورٌ عِنْدَهُ يَقِفُ العُمْرُ
تَهِشُّ الى الآمالِ حتى اذَا دَنَتْ
اليْها تَساوَى عِنْدَها اللَّيْلُ والفَجْرُ
أُنيري كَخَطْفِ البَرْقِ ظُلْمَةَ خاطِري
فألمحُ في نجْوَاكِ ما حَجَبَ الدَّهْرُ
تدورينَ مِثْلَ الأَرْضِ وهيَ أسيرَةٌ
وطَوْراً لها نُورٌ وطَوْراً لهـا سِتْرُ
وتَصطدمُ الأمواجُ حَوْلَكِ في وَغًى
مِراراً ، وحيناً في عِنَاقٍ لهُ سِرُّ
وعَيْنُكِ يَقْظَى لا تنامُ وإنْ صفَتْ
سماهُ وخانَ البحْرَ عَسكَرُهُ الْجِرْ
توحَّدَتْ الأَضْدادُ حَوْلَكِ في حِمًى
ولم يُثْنِ عن إلهامِ طَلْعتِكِ البَذْرُ
وآمَنْتِ بالإِنْصافِ والنفعِ دائماً
بعزْلَةِ نُسْكٍ عَوْنُها الماءُ والصَّخْرُ
وهيْهاتَ تَعْنُو للعَواصِفِ مرةً   وهيْهاتَ يُزْجيها الى غفْلَةٍ شُكْرُ

حياتُكِ جهْدٌ لا يكلُّ ولا يَني
وليْسَ لها زَهْوٌ وليْس لهــا فَخْرُ
وتلقاكِ في ضَوْءِ النهارِ حيية وصمتُكِ جهْدٌ آخَرٌ رَمْزُهُ البِرُّ
تؤمُّكِ سفْنٌ مِنْ نواحٍ عديدةٍ
وتمضي اليكِ البيضُ والسُّودُ والصفْرُ
سواءٌ بليْلٍ أوْ نَهارٍ فقدْ بدَتْ
عليكِ سِماتٌ للهدايةِ تفتَرُّ
كما اجتَمَعتْ أحلامُنا عندَ غايةٍ
منَ الأَملِ السَّاني فأخطأَها الحصْرُ
وكُنْتِ دليلَ الحشْرِ للنَّاسِ في رِضًى
وقدْ طابَ للنَّاسِ التَّراحمُ والحَشْرُ
وكُنْتِ شُعاعاً للضيافةِ هادِياً
وحِيناً نذيراً مُخْلِصاً ليْسَ يَغْتَرُّ
يُذكِّرُنا أنَّا ضِعافٌ وأنَّنا
الى العوْنِ والإِخْلاَصِ يدفعُنا الفقْرُ
ولو كانَ جهْدُ النَّاسِ يأتمُّ هكذا
بنورٍ كهذا النُّورِ ليْسَ لهُ قَصْرُ (١)

(١) قصر : تقصير .

دَليلٌ بصيرٌ بالسلامِ ونفعِهِمْ ومَطْلعهُ بِشْرٌ وغايتهُ بِشْرُ

إذَنْ ما رأى الإِنسانُ أنَّ سفينَهُ
لها الحظُّ مَوْفوراً وغايتهُ الغَدْرُ

هَدَيْتِ بناتِ البحْرِ والليْلُ خادِعٌ
فما بالُ أهلِ الأَرضِ مَرْكبُهُمْ وَعْرُ ؟ !

وكيفَ يخافُ النَّاسُ ضُرَّ متاعِهِمْ
وينسونَ ألباباً يَعيثُ بها الضُّرُّ ؟ !

فما بَرِحَ (الإِنْسانْ) عبداً لشَهْوَةٍ
نُعَاماهُ[1] أوْ غاياتهُ الحَرْبُ والأَسْرُ

وما كانَ أسْراً مثْلَ أسْرِ سفينِهِ
لدى المرفأ الحاني وقد بَسَمَ الثَّغْرُ

ولـكِنَّهُ أسْرُ التوَحُّش دائماً
بكيْدٍ وأطماعٍ يضيقُ بها العذْرُ

عقولٌ وآثارٌ تُضَيَّعُ هكذا
بمصطخَبِ الأَمواجِ وهي لها قبْرُ

ولو أدْرَكَ الإِنْسانُ قيمَةَ رُوحِهِ
لقدَّسَهُ حُرّاً كما طُبِعَ الحُرُّ

(١) نعاماه : قصاراه ·

وهامَ بفتحِ العُلى قبلَ همّهِ
بحَرْبٍ لديها يستوي النصرُ والقهرُ
وكانتْ له العلياءُ مرفأَ جهدِهِ
وفي (المثلِ الأعلى) المنارةُ والذِّكْرُ!

***

ضَرَبْتَ لنا الأمثالَ والناسُ نوَّمٌ
وقَوْلُكِ وَضَّاءٌ، وفي صَمْتِكِ الجهْرُ
فيا لَيْتَ شعري هَلْ سبيلٌ معبَّدٌ
الى وَعْظِهِمْ بالشِّعْرِ إنْ صَدَقَ الشِّعْرُ؟!

طانيوس عبده

مُتَّ كالطَّائرِ القتيلِ المُعَنَّى جَرَحَتْهُ الشُّجونُ لمَّا تغنَّى
ماتَ، وتبْنِ: من فؤادٍ كليمٍ بِسهامِ الزَّمانِ لمَّا تجنَّى
وعذابٍ أقامَ في كبدٍ حرَّى فذابَتْ وذابَ أنَّا فأنَّا
وهوَىً دونَ أنْ يُخَصَّ بدمعٍ مِنْ نظيمٍ حباهُ بالأمسِ فنَّا
عَرفتْ أُنسَهُ البَشارِفُ والأَعْـ ـوادُ والحُبُّ بيْنَ مَغْنىً ومَغْنَى

كيفَ لم ترثهِ ؟ ترى هدَّها البيْ ‌ ‌ نُ فبانت ؟ أم غُيِّبَتْ فيهِ عنا ؟

أم سلتهُ الافراحُ والنَّاسُ والدُّنْ ‌ ‌ يا كأنْ لم يكنْ حبيباً الينا ؟ !

نكبةٌ للذكاء ياعاثر الجِـــدِّ وكفرٌ بمحسنٍ ما تمنّى

في زمانٍ أجلُّ مرتبةِ التقْ ‌ ‌ دير للمالِ لا لشعرٍ ومعنى !

في مجالٍ يموتُ فيه أولو الفضْ ‌ ‌ لِ ويحيا مبجلاً مَنْ تدنّى !

يالَخطْبِ الجمالِ فيكَ ! فقدْ كُنْ ‌ ‌ تَ تهزُّ الجمـالَ أنّى تثنّى !

يالخطبِ البيانِ في لفظِكَ العذْ ‌ ‌ بِ يبثُّ المُدامَ لوناً فلونا

يا لخطبِ العقولِ إذْ تبصرُ النا ‌ ‌ بغَ يَفْنى وغيرَه ليسَ يفنى

غُيِّبَتْ فيكَ نضرةٌ من حنانٍ ‌ ‌ عنْ ضميرٍ مهذَّبِ الطبْعِ أحنى

غُيبتْ دولةٌ منَ الأدبِ الصا ‌ ‌ في ومِنْ مبدِعٍ كفى الشعرَ حسنا

ما احتفى النّاسُ بالوداعِ سوى الخلْ ‌ ‌ لانِ عفواً ، فبُدِّل الحقُّ غبنا

وأبتْ حولكَ (الطبيعةُ) في (لُبْ ‌ ‌ نان) الا بكاءَ مَنْ ذابَ لحنا

أرسلتْ شعرَها الينابيعُ والطيْ ‌ ‌ رُ ولهفى الأشجارِ غصناً فغصنا

والیتامی الأَزهارُ في سَوْرَةِ الحُزْ
نِ ، ولولاكَ ما اغتدى البِشْرُ حزْنَا

***

یاشَهیدَ الألحانِ ! إضحكْ من الدُّ
نیا وسامحْ دُموعَ وافٍ مُعَنَّى !



الفتاة

يعد من الشعر المرسل نسبياً ما تجرد من التزام القافية الواحدة ، وان يكن ذا قافية مزدوجة أومتقابلة ، ولكن الحقيقة أن « الشعر المرسل » (Blank Verse) لا يوجد فيه أي التزام للروي . وفي القصيدة التالية مثل لهذا الشعر المرسل مقترناً بنوع آخر يسمى « بالشعرالحر » (Free Verse) ، حيث لا يكتفي الشاعر باطلاق القافية بل يجيز أيضاً مزج البحور حسب مناسبات التأثير . وهذا المزج (من البحور المتجاورة) قد حاوله الشاعر من قبل في النظم المقفى وفي التواشيح ، وفي الشعر الغنائي على الاخص .

***

تَقدَّسَ في لُبِّ الوجودِ مُعبِّراً عن (الفكرَةِ) العظمى بهِ لألبَّاءِ

تُترجم أَسْمى معاني البَقَاء
وتُثْبتُ بالفنّ سِرَّ (الحياةْ)
وكُلُّ مَعْنًى يَرِفُّ لديكَ في (الفنّ) حيٌّ !
اذا تأمّلتَ شيئاً قَبَسْتَ منهُ (الجمالْ)
وصُنْتَهُ كَحَبيسٍ في فنِّكَ المتلالي !
تبُثُّ فينا العبادَهْ
تَبُثُّ فينا جلالاً لا انْقِضاءَ له !
أَنْتَ المُعزّي لنا في رُزْءِ دُنيانَا !
فأَنتَ أَنْتَ الأَمينُ على (الجمالِ) العزيزْ
وأنتَ أنتَ الأَمينُ على نعيمِ الوجودْ
وكلُّ ما أنتَ تحكيهِ وترسُمُه هو المسيطرُ في الدُّنْيا وأُخْرانا !
وما تركْتَ قشورٌ نثيرُها في الهوَاءِ !

***

لٰكنْ ـ وأنتَ سَخِيٌّ بفنِّكَ المُتَعَالي
وأنْتَ ترسم ما في الكونِ منْ عَجَبٍ وما تَحَجَّبَ خَلْفَ الشكلِ مِن أَلقٍ،
وأنت تُنْتِجُ آياتٍ منَ (الفِكَرِ)
وأنتَ تُسْعِفُ دُنْيا في تعثّرِها لم تَسْتَطِعْ حُسْنَ تعبيرٍ لأَذْهانِ

وأنتَ تشْرحُ رُوحَ (الُحسْن) للنّاسِ
وأنتَ تُعْطي كريماً إشْعاعَ هذا الذّكاء
وأنت تُنْقِذُ خَلْقاً مِنْ أسْرِ دُنْيا الغُرُورْ —
ماذا أفادَكَ هذا سِوى الخصاصةِ ؟!... قُلْ لي!
فأطْرَقَ (الفنّانُ)....
وقالَ في غَيْرِشَكٍّ : بلغتْ مجْدَ (الألوههْ)!....



فداء السعادة

نظمها الشاعر لتغنى في عرس صديقه الاديب نابغة الطب الدكتور عبد الله بك جلال .

أَبَحْتُ هَجْرِي لِخِلِّي ... لولا الهوىٰ لن يُجِيزَهْ !
فإنَّ أَوْفَى عزيزٍ ... أَوْلَى الوَرَى (بعزيزَهْ)
وبِتُّ أشكو وأرضى ... حُكْمَ الأماني العزيزَهْ
ما بَيْنَ أحلامِ قلبي ... وبَيْنَ نَهْيِ الغريزَهْ (١)
كواهبٍ كَنْزَ عُمْرٍ ... يَزِينُ أبهى حريزَهْ (٢)
وكم عَصَيْتُ فِرَاقاً ... على ليالٍ وَجِيزَهْ
حتى رأيْتُ (جَلالاً) ... له السَّعادَةُ مِيزَهْ (٣)
فقلْتُ يا نَفْسُ طِيبي ... والفِراقِ مُجِيزَهْ (٤)
فدًى له صَفْوُ رُوحي ... وإنْ أَبَى أنْ يُجِيزَهْ !

---

(١) اشارة الى توزعه بين أماني السعادة لصديقه ودافع الاستئثار به .

(٢) حريزة : أي نفيسة .

(٣) أصل الكلمة مفتوحة الميم ثم كسرت مجاراة للمد بعد حذف السكون الذي على يائها ، وهي عصرية الاستعمال .

(٤) أي « وكوني للفراق مجيزة » .

لو كان...

انشودة

لَوْ كانَ قلْبي اشتَفَى   كانَ الغبِينْ
لكنَّه ما اكتفَى   رغمَ الأَنينْ !

***

نَاجاكِ في بُعْدِهِ   رَهْنَ العَذابْ
نجوَاكِ في سُهْدِهِ   أحلى الثوابْ !

تِيهي وصُدِّي كما   يَهْوَى الجمالْ
رُوحِي اليكِ انتمى   حتى الخيالْ !

دَوْماً بفِكْري وذِكري   والحبُّ دِينْ
نَبْضِي وأنفاسُ شعْرِي   لو تعلمينْ

أشْكو وقَلبي الشَّكورْ   في أسْرِهِ

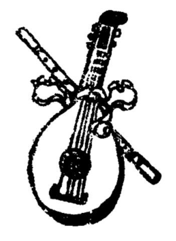
أبكي ومنكِ الشُّعورْ في شعْرِهِ !

تِيهي إذَنْ في البِعادْ أوْ فارْحَمي
عَيْشي حليفُ الجِهادْ كالمُعْدِمِ !

وأنتِ لي نِعْمَةٌ مهْما شَقيتْ
وتَرْكُها نِقَمةٌ مهْما كُفيتْ !

***

لوْ كانَ قلبي اشتفى كانَ الغبينْ
لكنّهُ ما اكتفى رغمَ الأنينْ !



وفاءُ الدَّين

أَلم يكْفِهمْ بَذْلي طويلاً لنفعهمْ

وأني أُضحِّي حين بَذْلي كَفَنَّانِ ؟

وأَنقذُهمْ مِنْ وَهْدَةِ المَوْتِ هذِهِ برحمةِ قدّيسٍ وخبرةِ إنْسانِ

وأُعْطي لهذا الجيلِ ما ليْسَ وَحْدَهُ

حَرِيًّا به مُذْ كانَ ذُخْراً لأَزْمانِ !

أَلمْ يكفِهمْ أَنّي ردَدْتُ دُيونَهمْ

وضاعفتُها رِبحاً بشِعْري وأَلحاني ؟ !

وقلتُ لِفَنّي : « بيئتي أصلُ نَشأَتي

فلا تَنْسَها مهما سَمَوْتَ بوجداني

فإنكَ لنْ تَهْوِي اذا ما شملتَها

بعطفٍ ، فأنتَ القادِرُ الرّافعُ الباني !

تَواضُعكَ المشكورُ ليسَ تبذُّلاً

ومَنْ ذا الذي يُزْرِي بأكرمِ إحسانِ ؟!

فقلْ في صَريحِ اللَّفْظِ وَحياً مُنَزلاً

دعائمَ آثامٍ وصَوْلَةَ طُغيانِ

وجُلْ في نواحي بيئتي قاضياً على
شُرورٍ وآلامٍ وضَيْمٍ وأحزانِ
وفَسِّرْ لها معنى (الجمالِ) وما وَعى
فلولاهُ مَحْضُ العيشِ والموتُ سِيّانِ!
وكُنْ مِثْلَ قسّيسٍ عزيزٍ مُحبَّبٍ
فقدْ يسكنُ الفنّانَ بالفنِّ ضدّانِ
وأنتَ قمينٌ أنْ تُسخِّرَ وعظَه
لشعرِكَ في نَظْمٍ منَ الحُسنِ روحاني
تجلّى بهِ سِرُّ (الحقيقةِ) مثلما
تجلّى بهِ الحُبُّ الأبَرُّ بها الحاني!»

***

ألم يكفِهمْ أنّي شُغِلْتُ بنفعِهمْ
كثيراً كأنّي ذلكَ الخالقُ الثّاني؟!
ولم أبقَ في دَيْنٍ، ولكنّهم غدَوْا
مَدِينينَ لي دَيْنَ الأنام لديّانِ؟!
فطابَ لهمْ إنكارُ فَضْلي وأسْرفُوا
جُحُوداً، كأنَّ الفضْلَ مات بِسُلوانِ!

وقدْ وَصَمُوا طُهْري وسمَّوْهُ زَلَّةً
كما قبَّحُوا شوقي اليكِ وتحناني
وأنتِ التي تُنْهَى اليْها عبادَتي
وأعشقُ منها الرُّوحَ عشقي لجُثمان !
تناهيتُ فيهـا فهيَ جنَّةُ نِعمتي
وَحلَّلَ عِشقْي أنْ أكونَ كَجنَّانِ !
وأنتِ التي منها استَمدَّتْ مشاعِري
على البُعْدِ أوصافي وسِحْرِي وأوزاني
رأيتكِ ديوانَ (الطبيعةِ) كلها
فيا أملي لو كانَ فاتكِ ديواني
وما كانَ شَوْقي في تغاليهِ مُسْرِفاً
وهلْ كانَ إسْرافا تحَرُّقُ ظمآنِ
ووَحدْتُ فيكِ الحبَّ مثْلَ عبادَتي.
فكيفَ وفاءُ الحبِّ يُسقِطُ منْ شَاني؟!
عرفتُكِ ميزاناً لكلِّ ملاحةٍ
ولا أرتضي الاّكِ في الشعر ميزَاني
فما اخترْتِهِ كانَ الجميلَ مُخلَّداً وماعبتِهِ هيهاتَ يوصَفُ بالسَّاني
وكلُّ نظيمٍ فيكِ شِعرٌ معزَّزٌ ولولاكِ لم يعتزَّ أجملُ تبياني

دعوني إذَنْ أُزْجِي لفنّانِ حسْنِها
حشاشةَ نفسي في نظيمي وأشْجاني
ولا تحسبوا هذا التغزُّلَ سقطةً فأيُّ عباداتٍ تؤولُ لخسران ؟
ولولا غَرامي ما تفتّقَ خاطِري
ولا جُمِّلتْ شِعري روائحُ رَيحاني
ولوْ أنّني مُتِّعْتُ منها عَدَالةً
لجاءَ لكم شِعْري بآياتِ قرْباني !
فلا تنهروني ! حسْبُكمْ ما وَهَبْتُهُ
ولا تمنعوا عنّي مواردَ إتقاني !
هيَ المُتْعَةُ الكُبْرى لِرُوحي وانّني
لأنقلُ إمتاعي اليكم كبستاني !
ولولا هَوَاها وادّكاري وصالَها
وتَرْديدُ لذّاتي حُرِمْتُمْ كحرْماني
فمَنْ قالَ هذِي شَهْوةٌ كانَ حُكْمُهُ
دليلاً على جهْلٍ وغَبْناً لعرْفاني !
فما شهوَةُ الفنّان شَهوَةُ عاطلٍ
ولا متعةُ اللاّهي كمتعةِ فنّانِ



ساموئه

مامونه

إله الثروة

للمصور الانجليزي الشهير جورج فردريك واتس (١٨١٧م. ـ ١٩٠٤ م .) طائفة من الصور الرمزية الفنية المؤثرة ، من أشهرها الصورة الموسومة « مامون » (Mammon) أو اله الثروة ، وهي مودعة في متحف تيت (Tate Gallery) بلندرة وتعد من أروع آثاره الفنية . وفي هذه الصورة يتجلى ذلك الاله القبيح الذي يمثل القسوة المتناهية في سبيل جمع الثروة ـ جالساً على عرشه الدموي ، وله أذنا حمار ، متوجاً ولابساً كساء ذهبياً وخلفه ستارة حمراء ، وقد لاحت وراءه من بعد النيران والدخان رمزاً الى التعاسة التي تتبع نهجه ، بينما يزدان عرشه بالجماجم ، وفي حجره صرر الاموال التي من أجلها ضحى بالمرأة المرتمية على ركبته قهراً ، وقد سقط عنها رداؤها الاخضر الذي كان رمزاً لآمالها ، وأما الرجل فقد هوى صريعاً مهدماً عند قدميه . وقد عبر الشاعر في الابيات الآتية عن الروح الفني الذي أوحى الى المصور هذه الصورة الخالدة .

***

تَجَهَّمْ ! تَجَهَّمْ ! أيّها الباطِشُ الذي

يدوسُ على الإنسانِ في جَهْلِ غاشِمِ

قُصاراكَ أنْ تَفْنَى بنارِكَ هاوِياً
مَرُوعاً متى اشتدَّتْ رياحُ المظالمِ
تتوَّجْتَ بالإبريزِ وهو كأنَّه
لَظًى ، وكِساءِ التِّبْرِ أوهامُ حالمِ
ومُلِّكْتَ عرْشَ العَسْفِ والموتُ رُكنه
فأبْشِرْ بموتٍ مِنْ شُرُورِكَ قادِمِ
وضَحَّيْتَ حُسْنَ المَرْأةِ الحُرَّةِ التي
هَوَتْ ، وهَوَتْ آمالُها للدَّراهِمِ
جلسْتَ على رَمْزِ الدّماءِ وحَوْلَهُ
دِماءٌ ، ونارٌ نُقِّطَتْ بالجماجمِ
وتَحْسَبُ أنَّ الدَّهْرَ أقسَمَ وافياً
بمجدِكَ موفوراً بهذي المآتمِ
وتَحْسَبُ أنَّ المالَ شمْسُ شُمُوسِنَا
وغَايةُ دُنْيانَا ورُوحُ العَوالِمِ
ومَنْ كان مزهُوّاً باذْنيكَ بينَنا   هما أُذُنَا عَيْرٍ غبيٍّ وغارمِ
فهيهاتَ يَدْري أنَّ في الكَوْنِ قُوَّةً
أجلَّ وأقوى في بناءِ الدَّعائمِ

فُتِنْتَ بإيذاءٍ ولٰكنْ مَنَحْتَنَا
قُوى ثورةٍ تقضي على خبْثِ هادِمِ
ستُشْعِلُها الأحفادُ في يوم هبَّةٍ
الى الثأرِ مِنْ عرْشٍ كعرشِكَ جارمِ
وَوَاحَرَبَ الإنسانِ إنْ هانَ هكذَا
بِعَصْرٍ جلالُ المُلْكِ في مُلْكِ عالِمِ
مَضَى زَمَنٌ كُنْتَ المُغَرِّرَ قاضِياً
على الجُهْدِ والآمالِ بلْ شَرَّ حاكمِ
وقد بَلَغَ الإنسانُ بالنُّورِ رُشْدَهُ
وبَادَلَ هذا النُّورَ وحْيَ العظائِمِ
وعاهَدَهُ أن لا يَدِينَ لِغيْرِهِ إلٰهاً ، فيحيا سالماً جِدَّ سالِمِ
ويسمو الى مَجْدِ (الألوهَةِ) بالحجى
وبالفنِّ والعرفانِ أسعدَ باسِمِ
تَجَهَّمْ اذَن ! وانظُرْ بغضبةِ جازِعٍ
يرىْ حَتْفَهُ يأبى توسلَ نادِمِ !



الحبُّ الضرير

سَلَامٌ عليكَ زمانَ (الشَّبابِ) على أَملِ (الْحُبِّ) والمُلْتقى!
نُكِبْتُ بعمْرِ الجَوى والفِراقِ فلمَّا التقَيْنا حُرِمْتُ اللقَا!
كأَنْ لم تكُنْ فَتْرَةٌ للوصالِ نسيتُ بها الخطَرَ المُحْدقَا!
عَناءٌ جديدٌ، وقلْبٌ وحيدٌ يقطِّعه الدَّهرُ ما فرَّقَا
وصفوٌ تولّى كمَوْتِ (الرَّبيعِ) وقدْ شوَّقَ الرُّوحَ ما شوَّقَا
فياجزَعي لِفؤادِ العميدِ[1] يعودُ الى نَفْيِهِ مُرْهقَا
ويُفْضي بآلامِهِ للنَّظيمِ فيجرِي بِهِ[2] دَمُهُ مُهْرَقَا!
ويحسدُه في الشقاءِ الخليُّ ويحسَبُهُ الشَّاعِرَ المُفْلقَا!

***

نَشَأْتُ على (الْحُبِّ) منذ الصِّبا ودُمْتُ وإنْ شَيَّبَ المَفْرِقَا
وأُوذيتُ مِنْ أجْلِهِ في الحياةِ وما زلتُ أرْعى له المَوْثِقَا
أدينُ لهُ بمعاني (الجمالِ) وكم ألهمَ الأَملَ الرِّيِّقا[3].

---

(١) العميد: الشديد الحزن والوجد. (٢) أي بالنظيم.
(٣) الريق: الاول الافضل.

وكنتُ أراهُ الشّفاءَ الاكيدَ لرُوحي فأصبحَ لي مغْرقا
وكنتُ أراهُ الهدَى والندىٰ فضلَّ وعِشْتُ بهِ مُخْفقَا !

***

فؤادِي الحزينَ العَصيَّ المُنىٰ
تَشَجَّعْ ! وعِشْ في الأَسىٰ مُشْرِقَا !
ائنْ خانكَ (الحظُّ) طولَ الشّبابِ
كما خانكَ (الحُبُّ) مُسْتغرِقَا [1]
فلا تنسَ انكَ مِلْكُ (الجمالِ)
وقد ملأَ (العالَمَ) المطلَقَا
فنُحْ إنْ تشأ مِنْ هُمومِ (الغرامِ)
فَكمْ كانَ في ظُلمِهِ مُحْرقَا !
وذُبْ إنْ تَشأْ (للوَفاءِ) المُضَاعِ فلنْ يُستعَادَ ولنْ يُشْفِقَا
ولُمْ ما استطعْتَ فلن تنتهي بلومِكَ (للحظِّ) في مُرْتقىٰ
اذا كنْتَ إلْفَ (الغرامِ) الضَّرير
فماذا تُفيدُ المُنىٰ والرُّقىٰ ؟!

(١) من « استغرق الغاية » بمعنى جاوزها .

***

تَشَجَّعْ فُؤَادِي ! تَشَجَّعْ ! فكمْ تذوقْتَ عُمْراً صُنُوفَ الشَّقَا
وقدْ سامَكَ (الدَّهْرُ) كل العَذَابِ
فكنتَ بهِ السَّاخِرَ المُشْفِقَا !
فلا تُلْقِ حزْنَكَ يومَ الأَسَى
وقد خَذَلَ (الُحبُّ) فيكَ (التُّقَى)
تَناسَ المُنَى والوِصالَ القصيرَ وعهْداً يظلُّ لكَ المُقْلِقَا
وخَلِّ الهوَى وبناتِ الهوَى ولُذْ (بالطبيعةِ) مُستَوثِقَا
حياتُكَ (الكونِ) وهوالأمينْ فناجِ السَّنا الشَّائقَ الشَّيِّقَا
خفُوقُكَ نَبْضُ بِشعرِ (الجَمالِ) وكم رَفَّ مبتَسِماً رائِقَا
فعِشْ (الجمالِ) الشَّريفِ العزيزِ
فما الكوْنُ في حُسْنِهِ ضَيِّقَا !
تسمَّعْ خَرِيرَ المياهِ الشَّجيَّ يغنِّي أغاني الهوَى والبَقَا
وحصباءَها وهي تُصْغي اليهِ ببشْرٍ وتُوشِكُ أنْ تَنْطقَا !
وراقِبْ تودُّدَ (زَهْرٍ) نضيرٍ إليكَ (وطَيْراً) لهُ زَقْزَقَا
وراقصةَ (النَّحْلِ) بَيْنَ الأَشعَّةِ و (الرّوضُ) مِنْ أُنسِها صَفَّقَا
وحاليةً مِنْ جُمُوعِ (النَّخيلِ) تعافُ الهمومَ فلنْ تُطْرِقَا !

ولا تنسَ موجاً (لبحرٍ) دؤوبٍ يُحاكي المفكّر والأحمقا !
فيمضي بعسكرهِ في هجوم ويرجعُ في خيبةٍ مُحْنقاً !
ويلبثُ طوراً يُناغي[1] الرمالَ فيغنمُ منها الذي نَسَّقا !
ويصفو فيحظى بشكْرِ (الحِسانِ)
و(بالحُسْنِ) يَكسبهُ رونقا[2] !
وكمْ مِنْ جمالٍ عزيزٍ طَرُوبٍ يراهُ البصيرُ الذي حقّقَا
ومُلْكُ (السَّماءِ) بآياتِهِ حياةٌ حوتْ سرَّنا الأَعْمَقا
اذا شئتَ مزَّقْتَ هذا الستارَ فشِمْتَ بِعقلِكَ ما مزّقا !
وإنْ عشتَ طوْعَ الهوى والشُّجُونِ
فأنتَ الضَّريرُ الذي ما ارْتَقى
جَمالُ (الحياةِ) حياةُ (الجمالِ) وفي (الكونِ) ما يُشْبعُ المَنْطِقا
فودّعْ هُمومَ (الغرامِ) الضَّريرِ وناجِ (السَّنا) الباسمَ المُونقا
حياتُكَ أَوْلى بحسنِ (الخلودِ) أضاءَ (الوجودَ) ولن يَخْلُقَا[3]
وخفقُكَ أجدى لبثِّ (الصَّلاحِ)
فلا كُنتَ إنْ لم تمتْ مُوبِقا !

---

(١) يناغي : يغازل . (٢) اشارة الى استحمامهن في البحر .
(٣) ولن يبلى .

ولا تبتئس[1] لخداع (الحياة) ونل أنت ناموسها[2] الأصدقا

وكن للضحية قبل الغنيمة كالنجم ضحى متى أشرقا!

وحسبك غنماً بأن (الممات) يساوي المتوج والمملقا!

وأنك بعض لهذا (الوجود) وفي مجده مجدك المنتقى!

***

وداعاً اذاً يا دموع (الشباب) ويا من فتنت بها مغرقا

جدير بقلبي العظيم الهوى بحب العظائم أن يخفقا

تجشمت منك ضروب العذاب وآن لعزمي أن يشرقا

وقد عشت عبداً حزين الفؤاد وها آن للعبد أن يعتقا!



(١) ولا تحزن . (٢) ناموسها : وحيها .

ضمير الخالق

قصيدة تصوفية

قَلْبي هوَ الإِنسانُ في تفكيرِهِ ... ولِعلمِهِ هذا الوجودَ وُجودَا
لِمَ لا أُحِسُّ بأنَّ رُوحي صُورَةٌ
لضميرِ مَنْ شَغَفَتْ بهِ معبودَا ؟!
وأنا المُقِرُّ بأنَّ كلّي قِطعَةٌ ... مِمَّا أراهُ مُجدِّداً ومُعيدَا
أفنى به حَيًّا أحِسُّ بِحُكْمِهِ
ومتى قَضيْتُ فلنْ أموتَ شَريدَا !
انّي ضميرُ الخالقِ الموحي بما ... أبقى أُتابعُ نُورَهُ الممْدُودَا
ويظلُّ نَوْعي[1] حافِظاً لوفائِهِ ... ومُعبِّراً عنهُ هوًى وخُلودَا !

***

لا تضحكنَّ من اغترابِ خَواطِري
عمَّا أُلِفْتَ وما عرفتَ جُمودَا
عقلي هو الفنَّانُ ينْشُرُ شِعْرَهُ ... نُوراً يُقرّبُ بالخيالِ بعيدَا

(١) النوع الانساني .

ويعلّم الحيْرانَ أصدقَ ما يرى ... ويُحِسُّ لا وهماً ولا تقليدَا
فيرى الإلهَ الكوْنَ في مجموعه ... المُعْلنَ المعْرُوفَ والمرْدودَا
فهو(١) المَدين لكلّ شيءٍ عاملٍ ... بل للوجودِ بأنْ غَدا موجودَا
ويكادُ يَستْوحي الجمادَ شعورَهُ ... متبادِلَيْن تحيّةً وسجودَا !
أبداً هو المعبودُ(٢) في استعلائه ... بينا يفيضُ عبادةً ونشيدَا !
طوراً ترى فيه القديرَ المعتلي ... وهنيهةً عبداً يسوقُ عبيدَا !
واذا تغزّل في (الطبيعةِ) لا تلمْ ... حبًّا يذوبُ بما أحبَّ قصيدَا
فهيَ الحبيبةُ والإلهةُ والمُنى ... والعيْشُ والخُلْدُ الشهي مديدَا
و(المرأةُ) الحسنُ الأعزُّ: بحُسْنِها ... مَنْ دامَ عاشقَها أُميتَ شهيدَا
وجمالُها زَيْنُ (الطبيعةِ) كُلِّها ... فلوحْيها نَظْمَ الحنينَ عقودَا
وكفاهُ منْ هذي (الطبيعةِ) خالقٌ
ولو آستَشفَّ(٣) إلاهَها المفقودَا !



(١) الضمير عائد الى العقل . (٢) أي اله الطبيعة ذاتها المجهول المزعوم وجوده . (٣) استشف : تبين .

الابوة رحمة الوجدان

نظمها الشاعر وقد رزق غلاماً أسماه (أميناً)

قالَ المهنّيء مازِحاً : «صِرْتَ الأمينَ أبا (أمين) !
والأمسَ كنتَ لنا (أبا شادى) ، فهل ولّى الرّنينْ ؟!
أينَ ابنُكَ المحبوبُ للـ أرواحِ والشعرِ الرّصينْ ؟
أتراهُ مذْ بلغَ الرّجو لةَ راحَ يبحثُ عنْ قرينْ ؟
وتركْتَ أنت لِتتْحفَ الـ وطن العزيزَ المستعينْ !
بعد البيانِ العذبِ منْـ كَ بمستحَبٍّ في البنينْ ؟ »

***

قلتُ : « الحيـاةُ قصيدةٌ وبها صنوفٌ مِنْ فُنونْ
والمرءُ انْ رُزِقَ الأبوّ ةَ عنْ صوابٍ لا يَهونْ
كلّي عواطِفُ شاعرٍ فاضتْ عن القلْبِ الحَنُونْ
انّ الأبوّةَ رحمةُ الـ وجدانِ انْ قَسَتْ السّنونْ
وعذابُها الشّجْوُ الجميـ لُ ، وشَدْوُها ملءُ الشجونْ ! »



تحية مولود

مراجعة شعرية

(١)

ملزومة

الى الصديق الأديب الدكتور أحمد زكي أبو شادي

إنّي سمعتُ من الصِّحابِ كلامًا : إذْ قيلَ إنك قد رُزِقتَ غلاما
قد جاء من قِبَلِ (الربيع) مبشّراً ويقولُ للمتوسّمينَ : سلامًا !
فسررتُ ثُم شرعتُ أكتب رقعة
أبْري لنظْمِ سطورِها الأَقلامَا

قامتْ بتهنئتي اليكَ ،وقّتاً حتى أزورَ فلا أهاب ملامًا
إني حلمتُ بأنني في منزلٍ رفعوا عليــه لزينةٍ أعلامًا
فيه أكلتُ ، وقد شَرِبْتُ مُغاتَهُ
هلاّ تفسّرُ يا (ذكي) الأَحلامًا ؟ !

صديق
(الاستاذ عبد الله بكري)

(٢)

تفسير الأَحلام

عزيزي بكري افندي

شُكْراً لبرِّكَ بالنظيمِ تَسامَى وأفاضَ بالودِّ السليمِ سلامَا
متنوِّعَ الأَزْهار يبسمُ حالياً فكأَنّما وهَبَ الرَّبيعَ غلامَا!
ودَعا الوليدَ المستعِزَّ لِصُحبةٍ فاليكَ تهنئةَ الشَّكورِ نِظامَا
فاذا حلمتَ بها شربتَ وزينةٍ
فلقد حلمتُ بأَنْ سقيتُ مُدامَا !
ولعلّها الشّعْرُ الذي أهدَيْتَهُ متلألئاً بحَبابهِ بسَّامَا
فتعالَ ! علاّكَ مَنْ يَزيدُ تمتُّعي مِنْ فيهِ ثمَّ أزيدُهُ إلهامَا
واشربْ وذُقْ حلْوى الوِدادِ فانّهُ
تفسيرُ ما قدْ ذُقْتَهُ أحلامَا !

أبو شادى



الجمال الفريّد

الى الشاعر رامي

قُلْ للتي تَخِذَتْ غرامكَ لهوَها: لولاكِ ماعرَفَ الأنامُ غرامي
لولاكِ ما أشجى الوُجودَ تألُّمي عطفاً ، ولا أبكى الشبابَ هيامي
لولاكِ ما استمعَ الأَنامُ لزفرتي مِنْ فيكِ في شجنٍ من الأنغامِ
لولاكِ ما فتَنَ الهُواةَ تأوُّهي متردِّداً بغنائكِ المتسامي
يقسُو عليَّ السّامعونَ وانْ رثَوْا ويُناشدُونَ على المدى آلامي !
حتى أكونَ لهمْ حرارةَ حُبِّهم ولو انَّها معنى فؤادِي الدّامي !
فنعيمُهمْ في أنْ أذوبَ صبابةً وسقامُهمْ في أنْ تهونَ سقامي !
يا لَلْمُحبِّ وقدْ تحالفَ فنُّه وهواهُ فاصطلحا على الإيلامِ !

يا رحمةَ القلْبِ الشقيّ ! ألا هوًى
يدعوكِ منْقِذَةَ الجريحِ الظامي ؟!
إنَّ الجمادَ يَهزّ (١) مِنكِ اذا حكى (٢)
وأراكِ أنتِ بشيمةَ الظُّلّامِ !

---

(١) يهز : اشارة الى التأثر .
(٢) يشير الى حاكي الصدى (الجراموفون) الناقل لتغنيها بشعره .

وأراكِ راميةَ السّهامِ بلا وَنًى
عمداً ، وزاعمةً [1] بأنّيَ رامي !

خالان

خالان : خالٌ يَستعِزُّ بوجنةٍ وأخوهُ بالشَّفةِ الجميلةِ ضاحِ !
متوشّحانِ منَ السّوادِ بحلْيَةٍ
ضحكَتْ من الأصباغِ والأوْضاحِ
خَصِبا بنفحِ المسكِ واعتزَلا فما عَبِثا بغيرِ تَفرُّدٍ ونُفَاحِ [2]
الحسْنُ حولهما مَجالُ بُحيْرَةٍ لٰكنّها امتلأتْ بأعذَبِ راحِ !
لهما حِراستُها بخِفّةِ طائرٍ لٰكنّهُ المأسورُ دونَ جَناحِ !
مَنْ مُبلِغُ الحسناءَ بعضَ تشوُّقي لمذاقِ بعضِ جمالِها المتاحِ ؟
طوراً بمشمومٍ يَرُدُّ مشاعري للخُلْدِ ، ثمّ بأكرَمِ الأقداحِ
وبِعضّةِ الثّغْرِ الشّفيقِ كأنّها
ذكرى على « أثرِ » الجمالِ الضّاحي !

---

(١) زاعمة : ضامنة : كافلة . (٢) نفاح : طيب .

يأبى اباءً حارساها مَنْحَها   ما لم تكنْ مسبوقةً بسَماحِ [1]

فأقبّلُ الخاليْنِ رشوةَ عاشقٍ
وأنا الأسيرُ وقدْ رَميتُ سلاحي !
وأبيتُ طوْعَهما القنوعَ وانْ يكنْ
بعضُ القناعة حُكْمُهُ كطِماحِ
مَنْ مبلِغُ الحسْناءَ خطرةَ شاعرٍ
تاقتْ لنظْرَتِها خُدُودُ مِلاحِ ؟
فدعَتْهُ [2] شاعرَها الرّقيقَ يزيدُها
شَرَفاً ، وأشرفَ طيرِها الصدّاحِ !

الزهرة الذابلة

يا رمْزَ أسنى الُحبِّ كيفَ تضاءلتْ
حاجاتُهُ فغدَوْتِ لَهْفَى ذابلَهْ
بعد التبرُّجِ والتعطُّرِ والُحلى   بعدَ التمنُّعِ للنفوسِ السائِلَهْ

---

(١) سماح : عطاء .   (٢) أي خدود الملاح .

عُمرٌ مَضَى ، وكذا الزّمانُ اذا أنقضَى
أرَبٌ لهُ خَذَلَ الحيـاةَ الآمِلَهْ

يرثيكِ عُودٌ كُنتِ جَوْهَرَ تاجِهِ
وأشِعَّةٌ كانَتْ لتاجِكِ حامِلَهْ!

وشَقيقةٌ قُطِفَتْ لزينةِ مجْلسٍ
فذَوَتْ وكُنْتِ لهـا بِعَطْفِكِ قاتِلَهْ!

ووفيَّةُ النّحلِ التي لمَّـا تزَلْ   تهتزُّ حوْلكِ في رَجاءِ العاطِلَهْ

ذَاقَتْ شَهِيَّ الشَّهْدِ مِنْكِ ، ومَنْ تَذُقْ
جدْوَاكِ هلْ تَغدو لحبِّكِ جاهِلَهْ ؟!

وعزاؤكِ المَوْلودُ فيكِ ، حيـاتُهُ
تُحييكِ في صُوَرِ الجديدِ القابِلَهْ ! (١)

فتى هويتِ الى التُّرابِ صَريعةً
أملاً بذَرْتِ هوى الحياةِ الكامِلَهْ !

بيْنا شقيقتُكِ الضَّحيَّةُ وَحْدَها
للّهوِ والإعْجابِ ، فهيَ الزّائِلَهْ

فجزاؤُها مِثْلُ الذي عانيْتِهُ
ممّنْ أحبّتْني فكانتْ خاتِلَهْ !

---

(١) اللقبلة .

باقة السلام

جاءتْ وفي يدِها العزيزةِ باقةٌ بَسَمَتْ فكانَتْ للسَّلامِ شِعارَا!!

فأجبتُ دُونَ سُؤالها : أيْ مُهجتي !

حُسْنٌ كحسنِكِ يأمُرُ الأَزْهارَا !

لا أنْ تكُونَ لهُ(١) الشَّفيعةَ عِنْدَ مَنْ

يَهْواكِ حتى إنْ قسَوْتِ جِهارَا

تكْفيكِ(٢) عطفَةُ نظرَةٍ يدْري بها

كُنْهَ النَّعيمِ فيجتليهِ مِرارَا !

أقبلتِ مُذْنِبَةً وأنْتِ مليكةٌ

فازْدَدْتِ بالتَّوْبِ الجميلِ فَخارَا !

هاتي شَفاعتَكِ السَّنيةَ باقةً منْ وجنتَيْكِ وفيكِ تُطفيء نارَا

خطَّافةُ الأبصارِ في استِعلائِها وبِبرِّها لي تُذهِل الأبصارَا

فأُمتِّعُ الوجدانَ مُتْعةَ عابدٍ وأشُمُّ حينَ أشيمُها أسْرارَا

يا باقةَ الحُسْنِ النَّضيرِ بعَطفِها مَنْ شَمَّ زَهْرَكِ أنْشدَ الأَشْعارَا!!

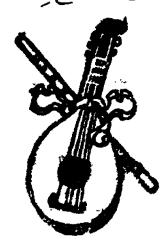
---

(١) أي لحسنها . (٢) أي تكفيك ذوبا .

عشق النظرة الاولى

كالنُّور في فَجرِ العليل اليائس ِ مرّ آكِ بيْنَ تَهافُتي ووَساوسي
يا نَظْرةً ما كنتُ أحْلُمُ قبلها أنَّ الغرامَ يردُّ بؤسَ البائسِ

غلبتْ جميعَ مشاعري وعواطِفي
وتملَّكتْ أيِّي بصولَةِ سائسِ
فتَخلَّفَ الضِّدَّانِ : نَشوَةُ ظافرٍ
فَرِحٍ وأُخرى في لذاذَةِ يائسِ
فكأنما قلبي الذي راعيتُه
خطفَتْه فاتنتي بغفْلَةِ حارسِ !
لكنْ أبَتْهُ فعادَ يَرْقُبُ عَوْدَها
مثْلَ الجريحِ صَبَا لِعطْفِ الفارسِ !



الجريح المنسي

أنشودة

جَرَحْتِ بلَحْظِكِ الفتّانْ   فؤادَ العاشقِ الفاني
وكيفَ لِمثلِهِ السلوانْ   وعندكِ عُمْرُهُ الثاني ؟!

يُنادي : آهِ يا قلبي !   ويأبى غيرَكِ الآسي
كذلكَ شيمةُ الحبِّ   عبادةُ حُسْنِكِ الناسي !

قَضَيْتُ بحُرْقتي عمري   على الآلامِ في ذِكْرِكْ
وغايةُ مُشْتهى أجْري   لقاءُ الطيفِ في فكرِكْ !

فَشِبْتُ بنارِ أحزاني   ولم تَرْحَمْ (١) مُنى سِنّي
ونُحْتُ لطولِ نسياني   بجُرْحٍ نائلٍ مِنّي

فيا معبودَ أحلامي   وليتَ الحُلْمَ مِنْ حُلْمِكْ
أطيلي كلَّ آلامي   اذا ما كُنَّ في عِلْمِكْ !



(١) أي النار.

الصبا والحب

مترجمة عن روبرت لويس استيفنسن الشاعر الانجليزي

(١) – الترجمة

لدى فؤاد الصبا دنياه عبر السبيل
وانه دائماً ماض بها في رحيل!
تخفى على جانبيه (في طاويات الحدائق
يكنها حضن نور[١]) مذهبات الجواسق
ونم في البعد عنه على انبساط الأديم
تدعو بمشكاة نور عند الظلام البهيم!

***

مثل النجوم (اللواتي لما يغيب القمر
تبدو الكثيفة ليلاً) غزاه جمع الحبور!
لكنه في تسام كما يشاء القدر
يمضي كما كان يمضي على اتصال المسير
ملوحاً بيد متى دنا شطرها

(١) زهر أشجار الفاكهة .

مُنادياً يكتفي بلفظةٍ نحوَها
أثناءَ سيرٍ له أمامَ بابِ الحديقهْ
ولا يغنِّي سوى دَوْرٍ برُوحِ الغُلامْ
وعِندَها وَجْهُهُ وَلَّى ووالى طَرِيقَهْ!



(٢) — الأصل

Youth and Love

To the heart of youth the world is a highwayside.
Passing for ever, he fares: and on either hand,
Deep in the gardens golden pavillions hide,
Nestle in orchard bloom, and far on the level land
Call him with lighted lamp in the eventide.

Thick as the stars at night when the moon is down,
Pleasures assail him. He to his nobler fate
Fares: and, but waves a hand as he passes on,
Cries but a wayside word to her at the garden gate,
Sings but a boyish stave and his face is gone.

Robert Louis Stevenson



القيامة

يرى بعض علماء الفلك أنه سيأتي وقت بعد ملايين السنين يقف فيه دوران الأرض وحينئذ يسقط عليها القمر فيتلفها اتلافاً ، وآية ذلك أن كل يوم أطول من سابقه بنسبة ١/٣٤ مليون من الثانية ، وهذا بسبب حركة المد والجزر واحتكاك التيارات ، مما يسبب تباطؤاً منتظماً مستمراً في دوران الارض . وقد كانت الارض في طفولتها تدور بسرعة عظيمة بحيث كان طول اليوم نحو أربع ساعات فقط ، وعندها انفتق القمر من رتق الارض وبعد عنها ، ثم اضطرته الجاذبية الى الدوران حولها ، وسوف يأتي الوقت الذي تنعكس فيه هذه الآية فيعود القمر الى الارض ويسبب خرابها !!

***

« مَرْحَباً مَرْحباً بيَوْمِ القِيامَهْ !

يا هلاكَ الطَّغام كيفَ المَلامَهْ ؟!

لك شُكْري وأنتَ فينَا جَنينٌ لِقُرُونٍ قَصيَّةٍ قُدَّامَهْ !

عُمْرُ ميلادِكَ الشقيِّ المُرَجَّى هوَخَطْفٌ كبُرْهَةٍ في الإِقامَهْ !

سوْفَ تَقْضي على مظالمِ كوْنٍ مُذْ تمادَتْ وسَوْفَ تفْني ظَلامَهْ !

ولعلّي أكونُ في ذلِكَ العهْـ ـدِ أثيراً أوْ لَمْعَةً بَسَّامَهْ !

أرقُبُ الأَرْضَ في انفِجارٍ مرُوعٍ

واصطِدامٍ عفَّى دوارَ السَّلامَهْ

بوفيٍّ كم طافَ في دَوَرانٍ حوْلها وهيَ مِثْلهُ مُسْتهامَهْ

ذلِكَ الأزْلَمُ (١) المُميتُ نُجوماً

ليْسَ ينْسى نذُورَهُ والعلامَهْ ! »

***

قالتْ (الأرْضُ) في عتَابٍ كأُمٍّ :

« بعضَ هذا (٢) لمَنْ حكى أوْهامَهْ !

إنَّ عُمْري السَّلامُ للأَزَلِ (٣) الباقي

ولنْ تدْرِكَ العقُولُ دَوامَهْ

لا تُصَدِّقْ ما يدَّعي فلَكِيٌّ

ليْسَ يدْري ، وإنْ دَرى أحلامَهْ !

كم شُؤونٍ محْجوبةٍ سوْفَ تقْضي

بحياةٍ جديدَةٍ في كَرامَهْ

وإذا ما فَنِيتُ فالبَعْثُ لنْ يُخْطِيءَ عقْباي حُرَّةً مُلْتامَهْ

---

(١) الازلم : الحدث الذي لا يهرم . (٢) أي دع بعض هذا .
(٣) الازل : القدم .

بحياةٍ جديدةٍ لَنْ تُضاهَى   بحياةٍ وَسَمْتِهَا بالنَّهامَهْ
هيَ ذَاكَ الفرْدوسُ حيْث تَناهَى   خُلَصائي[1] كما أحبُّوا نِظامَهْ
حينَ تغدو الأَجْرامُ مَلْأَى بأبْنا
ئِي جلالاً وهمَّةً واستِقامَهْ!
فاتحينَ السَّماءَ : ذاكَ هوَ البَعْ
ثُ الى الخُلْدِ والعُلَى ، والقِيامَهْ ! »

الأهواء

النقد لغير النقد

أعشَيْتَ طَرْفي[2] أمْ ضَلَلْتَ فانَّني
ألقاكَ في عَمَهٍ[3] ولسْتَ بناقِدِ ؟!
أهلاً بنَقْدٍ يُضْحِكُ الثَّكْلى أساً[4]
ويُثيرُ مِنْ عَجَبٍ شعُورَ الجامِدِ !

(١) أي صفوة أبنائها .
(٢) أي هل جعلت بصري كليلا فعجزت عن رؤية حقيقتك ؟!
(٣) العمه : عمى البصيرة .
(٤) أساً : مداواة ، من أسى يأسو بمعنى داوى .

فيرَى اجتهادي زَلَّةً ، وَتَفنُّني
ضَعفاً ، وآيَاتِي كَوَهْمٍ شارِدٍ !
ويَرَى مُغالاتي بنَقْدِ قصائِدِي
رَمْزَ الغُرُورِ مِنَ الجَنانِ الرَّاكِدِ !
ويرى وَفائي للنَّوابغِ ـ حامِداً
إبداعَهم ، فَرِحاً ـ طبيعَةَ حاسِدِ !
ويَرَى ابتِكاري مَحْضَ جَهْلٍ فاضِحٍ
وسُمُوَّ وِجْداني هَوانَ الرَّاقِدِ !
ويَعيبُني ويَعيبُ صَحْبي إنْ أبَوْا
مِثْلي غَوايَةَ جاهلٍ أو جاحِدِ
مِنْ وَعظِهِ أنْ لا أُدَافِعَ مَرَّةً
عنْ مَذْهبي فأرُدَّ كَيْدَ الكائِدِ !
وهُوَ الذي يُلْقِي جُزَافاً حُكْمَهُ
ويَعيبُ إحْساني وكُلَّ مَحامِدِي
ويعيبُ تقديرَ الصِّحابِ لما بَنَى
قلمي منَ الشِّعْرِ الرَّصينِ الخالدِ

لـٰكِنَّه هيهـاتَ يلمَحُ عَيْبَهُ
في الخطِّ مِنْ أدَبي وسِحْرِ فرائدي !

متحاملٌ يَصِمُ الذي أبدَعْتُهُ بالقُبْحِ لا يَرْضى عيونَ قصائدي

ويَظُنُّ أنّي مَنْ يهونُ بطَعْنِهِ وبرَفْعِهِ للمَجْدِ غيرَ الماجدِ !

فَضْلي هوَ الذَّنْبُ العظيمُ ، وعَجزُهُمْ
سِحْرٌ وإعْجازٌ ونُورُ فَراقِدِ !

قُلْ ما تَشاءُ من الغَوايةِ خادِعاً
أحلامَ مَنْ كانوا كصَيْدِ الصائِدِ !

أكسَبْتَني شَرفاً بِذَمّي مادِحاً
مَنْ طالما جَمَعُوا فُتاتَ مَوائِدي !(1)

مَنْ لستُ أرضاهمْ تلامِذَتي .. فكَمْ
منهمْ دَفينٌ في الزَّمانِ البائِدِ !

ويَهونُ عِنْدي أنْ أُشاهِدَ هـٰكذا
سُخْفَ الحياةِ ، فذاكَ مُتعةُ شاهِدِ !



(1) موائده الادبية : يعني المتطفلين على أدبه .

الشيخوخة

أَطلَّتْ من الماضي بعُكّازِ ضَعْفِهِ
مَلاَكاً بلا حُسْنٍ ودُونَ جَنَاحِ !
لهُ طُهْرُ ما تُوحِي الثُّلوجُ بِشَيْبِهِ
وخلفَ سَلاَمِ الطُّهْرِ نَبْضُ جِرَاحِ !
وما الطُّهرُ فيهِ غيرَ عَجْزٍ مُحَوَّلٍ ولا الصَّمْتُ الاَّ رقدةٌ لِرِياحِ !
يحاكي سُكوناً للشتاءِ اذا وَنَتْ أعاصيرُهُ قبلَ اقترابِ رَواحِ !
فيخلفُهُ حُسْنُ الرَّبيعِ مُجَدِّداً
ويمْحوهُ مِنْ غَدْرِ (الطبيعَةِ) ماحي !

***

ولاحَتْ بأُمٍّ في حنانٍ وإنْ يكنْ
بَنُوهَا كِباراً في وَفاءِ حَنَانِ
كأَنَّ بياضَ الشَّعْرِ نُوَّارُ نَفْسِهَا
وفيهِ منَ الوَحْيِ الجميـلِ مَعانِ !
وقد جملتْ حتى تجاعيدُ وَجْهِهَا بخيرِ حديثٍ عنْ جهادِ زمانِ !
فكانتْ مثالاً للشتاء بحسنِهِ اذا ما تَلاَقَى والرَّبيعَ بآنِ !

نُودِّعهُ بالشُّكرِ والذِّكرِ مثلما نُوَدِّعهُ في لَهفةٍ لِجَنانِ .

***

وأنتَ بطَيْفٍ في التَّعبُّدِ ذَاهلٍ وليْسَ لها الاَّ ظِلاَلُ غرُوبِ !

وقدْ ذَهَبَ الإِصْباحُ في اللَّهْوِ مثْلما

تولَّى الضُّحى في فاتِناتِ ذُنوبِ

وقد أطفأَ الإشعالَ ريحُ أصيلها

وكانت ترجِّيها لِطُولِ هبُوبِ !

فلمَّا دنتْ شطْرَ المَغيبِ تَهَشَّمَتْ

بزوبعةٍ تُعْنَى بِهَدْمِ قُلوبِ !

وماتتْ قُبيْلَ الموتِ مِنْ فَرْطِ ضَعْفها

مَماتَ صغارٍ لا ممَـاتَ حرُوبِ!

***

فساءَلتُ نفْسي – والنَّماذِجُ جَمَّةٌ

أمامي – اذا ما عِشْتُ : كيفَ مآلي ؟

أتعرفني شيخوختي في قناعةٍ وأحيا بوجداني حياةَ جَمالِ ؟

وألْقى اذا ما العُمْرُ دَارَ كأرضِنا

ازاءَ غروبي روعَةً لِظلالي ؟!

وليسَ غرُوبٌ ما أُلاقي وانَّما   تَنَقُّلُ نفسي أو تجدُّدُ حالي

أمْ العمْرُ تمثيلٌ وأحلامُ ضَلّةٍ ؟ !

. . . فحِرْتُ ونفسي في جوابِ سُؤالي !

الربيع

إنْهَضْ وغرِّدْ فأشهى صَفْوِكَ الآنْ

صَفْوٌ تَهَشُّ لَهُ حُورٌ وَوِلْدَانُ !

لا تَشْكُ منْ نَكَباتٍ مَرَّ عاصِفُها

فيمَ الشَّكاةُ وقدْ عفَّى[1] الأَسى الآنْ ؟

عاد (الرَّبيعُ) فعادَ البِشْرُ وانبَجَستْ

منَ (الطَّبيعةِ) أنغامٌ وألوانُ !

وآزَّيَّنَتْ هذهِ الدُّنيا لِمَوْكبِهِ   كأنما في مَجالي العُرْسِ تزْدَانُ !

سَما الشُّعورُ سُمُواً منْ رَوائِعِهِ

حتى كأنّي بإحساسي (الشُّبْرُمَانُ) !

(١) عفّى : محا .

وما (الرَّبيعُ) سوى رُوحٍ يجدِّدُنا
فكلُّ شيءٍ بهِ رُوحٌ وريْحانُ

تكلَّمَتْ ألسُنُ الأزْهارِ وانطلَقتْ
لُسْنُ الطُّيورِ فما في الرَّوْضِ غفْلانُ

ونبَّهَ الشَّاعرُ الوَسْنانُ مِنْ حُلُمٍ
فالكوْنُ فَرْدٌ ودُنْيا الشِّعْرِ أكوانُ!

خُذْ يا نديمي مُدامي من بدائعِهِ وانْهلْ منَ الشِّعرِ ما يهْواهُ ندمانُ!

تلْقَ الرَّبيعيْنِ في شِعْري وفي بهجٍ
منَ الحياةِ، كلا النوريْنِ فتَّانُ

فذاكَ عيدٌ لأهلِ الشعرِ قاطبةً تُصغي لهمْ فيهِ أطيارٌ وعيدانُ

وإنَّني الصَّامتُ الغِرِّيدُ، انْصدحتْ
عواطِفي فهيَ ما يرْضاهُ وِجدانُ

ما صُغْتهُ كانَ مِنْ طَبْعي ومِنْ أدَبي
فإنَّما الشَّاعرُ المَطْبوعُ فنَّانُ

وإنْ أبى خاطِري نَجْوى لهُ صمتتْ
مشاعِري حينَما غنَّاهُ مَنْ هانوا!

ما الشِّعْرُ الاَّ لسانُ الكوْنِ نِسْبَتُهُ
الى الأُلوهَةِ حَقٌّ ، فهوَ دَيَّانُ !

والشَّاعرُ العبقريّ الرُّوحِ آيتهُ تُوحي فيَحْيا بهِ فَنٌّ وإنْسانُ !

مِنْ وَقْدَةِ الوجدِ يُذْكينا ويُشْعِلُنا
حِيناً ، وتُسعدُنا مِنْ فِيهِ أحيانُ

يَعيشُ في ملكوتِ النَّفْسِ مُقْتَبِساً
مِنْ كلِّ مَعنًى ولا يُرْضيهِ إجنانُ(١)

مُصَوِّراً حالَها في كُلِّ عارِضَةٍ
فلَيْسَ يكفيهِ تَسْجيعٌ وإرْنانُ(٢)

واستوْزَرَ العَقْلَ والإحساسَ فانْطلقَا
يُشَيِّدانِ لهُ ما فيهِ غُنْيانُ

هواجسُ النَّفْسِ يجلوها لنَدْرِكَها
وما اَستَسرَّ(٣) ، وماصانَتْهُ أزْمانُ!

يجولُ في حُقُبِ الأَجيالِ معتبِراً مصوِّراً عِبَراً شتَّى لِمَنْ كانوا !

ونازِعاً حُجُباً عنها فتُمْتِعُنا بآيِ أسْرارِها العذْراءِ ألْحانُ !

***

(١) اجنان : كتمان . (٢) ارنان : رنين .
(٣) استسر : استتر وتوارى .

* * *

عادَ (الرَّبيعُ) فطوبانا بِعَوْدَتِهِ هذي موائِدُهُ الفَيْحاءُ والحانُ!

نَذُوقُ بالشَّمِّ مثلَ السَّمْعِ نِعْمَتَهُ كُلُّ الجوارِحِ في نُعماهُ حِبَّانُ[1]!

ولا أَخُصُّ بِرَوْضٍ شاقَ رَوْنَقُهُ

ذِكْرِي فإنَّ جميعَ الكَوْنِ بُسْتانُ

في كلِّ رَسْمٍ لعينَيْ شاعِرٍ لَبِقٍ[2]

حُسْنٌ، وفي كلِّ حُسْنٍ لاحَ إحْسانُ

حَسْبي سَماءٌ تبثُّ البَحْرَ زُرْقَتَها عُرْيانَةُ الحُسْنِ شاقَتْ وهو عُرْيانُ!

والشَّمْسُ في كَبِدِ الجوزاءِ سابِحَةٌ

ورَسْمُها فوقَ مَوْجِ البَحْرِ جَذْلانُ!

ولا تُودِّعُ هذي الأرضَ في أسَفٍ

إلاّ وتغنمُ منها الذِّكْرَ أصْلانُ[3]!

تَزْوي السَّماءَ بألوانٍ مُشَعْشَعَةٍ

كالرَّاحِ تَسْكُبُها، والكَوْنُ نَشْوانُ!

أُنظُرْ جَمالاً على ماءِ (القنالِ)[4] بدا

ملءَ ابتسامٍ له سِحْرٌ وإيمانُ

---

(١) حبان : أحباب ، وللفرد حب (بكسر الحاء) .

(٢) لبق : حاذق . (٣) أصلان : آصال .

(٤) قنال السويس، حيث نظم الشاعر هذه القصيدة في ابريل سنة ١٩٢٦ على شاطىء القنال بثغر بور سعيد .

وذلكَ الفَلَجَ[1] الجارِي بجانبه يرجو حِماهُ كأنَّ الرَّمْلَ خَوَّانُ!

وذلكَ الرَّمْلَ في وَشْيٍ وفي ألَقٍ
كأنما هُوَ للأضواءِ تحنانُ!

يَنْفي بِرِقَّتِهِ في لُمْعَةٍ خَلَبتْ
شكاًّ نَمَتْهُ على الأجيالِ أضغانُ[2]!

ورَوْنقاً لسُكونِ الصَّفْوِ يشمَلُنا
كأنما ليْس طَيَّ الدَّهْرِ حِدْثانُ[3]

كأنَّما في شبابٍ ريِّقٍ[4] رَجَعَتْ
ملاحةُ الكوْنِ، وهو الآنَ يقظانُ

نَضَا مَشِيبَ شِتاءٍ في تَنسُّكِهِ
وقادَه للبَريءِ اللَّهْوِ شَيْطانُ!

سَلْ العصافيرَ عمَّا باتَ يُسكِرُها
حتى تُرَتِّل ما يَهْواهُ وَلْهانُ!

وسَلْ سَخِيًّا منَ النُّوَّارِ مُغْتَبِطاً
بزَوْرَةِ النَّحْلِ: هلْ نادتْه كِرْوانُ[5]؟!

---

(١) الفلج لغة: النهر الصغير، والمقصود هنا الترعة الاسماعيلية.

(٢) أي الاضغان الطبيعية ما بين الرمل والماء.

(٣) حدثان الدهر: نوائبه

(٤) ريق: ناشيء بهج. (٦) الكروان: الكراوين.

وسائِلْ الزَّهْرَ عَنْ سِرٍّ نُرَاقِبُهُ
فيهِ الوُجُودُ ولكنْ نحْنُ عُمْيانُ!
وسَلْ نَسيماً بليلاً في حلاوَتِهِ
للرُّوحِ : هلْ هوَ الأرْواحِ مَيْدانُ ؟
يُعتَامُ (١) للحُبِّ والعُشَّاقِ ناصِفَهم(٢)
كأنَّه في جِنانِ الحُبِّ (رِضْوَانُ)
وسَلْ طِرازَ غرُوبِ الشَّمْسِ في أُفُقٍ
جَمِّ الشعورهلِ الأَصباغُ أحزانُ ؟!
وارْقُبْ نجُوماً تُحيِّينا وإنْ بَعُدَتْ
خَفَقْنَ في طَرَبٍ واللَّيْلُ نَعْسانُ
كأَنَّما هيَ جُنْدٌ في حِرَاسَتِهَا والبدْرُ حينَ نُناجيهِ (سُلَيْمانُ) !
وسابِقْ الفَجْرَ كي تحْظَى بفلسفَةٍ مِنْ بِشْرِهِ حينَما ساءَتْكَ أشجانُ !
كأَنَّما هوَ في أُنْسٍ وَفي دَعَةٍ
دَاعي (الرَّبيع) ومِنْهُ النورُ إعلانُ !
بِشَارَةُ اللُّطْفِ والإسْعادِ حاليةٌ
والكوْنُ في حِضْنِها النَّدْيانِ مَيْسانُ(٣) !

---

(١) يعتام : يختار. (٢) ناصفهم : خادمهم. (٣) خافق في نومه .

وللعبير تحيّـاتٌ لتوقظَنا
كأنما الفجرُ في الفِردَوْسِ جَنّانُ[1] !

***

وَمَنْ مُعيدي الى الغابات في وَطَنٍ نأَيْتُ عنهُ وقلبي مِنهُ ملآنُ ؟!
كم جولةٍ لِيَ فيها و(الرَّبيعُ) بها طِفْلٌ يلاعِبُني والنُّورُ قُضْبانُ !
عزّتْ بها زُمَرُ الأَطْيارِ لاهيةً بمُلْكِها ولها الأَشْجارُ أَوْطانُ
وكُنْتُ أَنْسى بها دُنيا مُخَلَّفَةً[2] كأَنمـا الطيرُ إخْوانٌ وخِلّانُ !
أَوْ أَنّمـا هـذِهِ الغاباتُ في حُلُمي
كَوْني وَليْسَ سوى الأَطْيارِ سُكّانُ !
واحوالّتْ[3] الأَرضُ وازْدانَتْ حَشائِشُها
وآمَنَتْ بفُتُونِ الشدْوِ آذانْ
وكنْتُ أغنَمُ مِنْ صَيْدِ الفَراشِ بها
غُنْمَ الذي صَيْدُهُ دُرٌّ ومَرْجانُ
وأينَ آصالُ تَجْوالي على أَمَلٍ
بشاطِيءِ (التَّمْزِ) حيثُ الشطُّ ضَحْيانُ ؟!

---

(١) الجنان : البستاني .
(٢) تركتها خلفي .
(٣) احوالت الارض : اخضرت واستوى نباتها .

تفترُّ فيـه الغواني فهوَ جوْهرَةٌ
تزْهى المرُوجُ بها ، والنورُ مزْدانُ!
أطّتْ (١) بليلاً بهنَّ الرِّيحُ وافيةً
وأرّجَ الرِّيحَ نِسْرينٌ وسُوسانُ
مِنْ كُلِّ هيفاءَ قدْ حاكتْ بساطتُها
هذي (الطبيعةَ) حيثُ الذَّوْقُ مِيزانُ!
صبيحةُ الوَجهِ في الإِشْراقِ ساذجةٌ
وما لإِشْرَاقِها المحْبوبِ فقْدانُ
مَرِيعةُ (٢) الأَرضِ في بِشْرٍ بطَلْعتها
وظِلُّها في مجَالِ البِشْرِ (٣) غيْرانُ
والطَّلُّ بينَ هنيْهات يُغازِلها كأنَّه مِنْ حَنانِ الرَّبِّ تهْتانُ!
وللزَّوارقِ فوْقَ النَّهْرِ أدْعِيـةٌ
على المجاديفِ حيثُ الحسْنُ عجْلانُ
والجوّ صَحْوٌ بإيناسِ الهوى ، عَبِقٌ
بالحبِّ واللُّطفِ ، بيْنَا الجوُّ غيْمانُ (٤)!

---

(١) أطت : رقت . (٢) مريعة : مخصبة .
(٣) نهر التمز . (٤) غيمان : كثير الغيوم .

وأشربُ الشّايَ من كوبٍ تُهيئه
يدٌ تُقبّلُها شمسٌ وشُهبانُ!

كأنني أنهلُ الاكسيرَ ذوّبَهُ من الشّعاعِ إلهٌ، فهوَ مفتانُ!

يُنفّقُ[1] الصّفوَ فينا دونَ ما ثمنٍ
شرابُهُ، ولغالي الصّفوِ أثمانُ

وأين أيامُ تجوالي بلا مَللٍ
في الرّيفِ، والريفُ فاروزٌ وعقيانُ؟!

شاقتْ لهُ ولنا طُرقٌ معبّدةٌ قد زانَها نورُهُ الحالي وأفنانُ

ونثرُ أكواخهِ البيضاءِ كلّلَها
قشٌّ، وجمّلها في الصّمتِ قنعانُ[2]

رفَّ (الرّبيعُ) عليها في بشاشتهِ
فمنْ معانيهِ نُزّالٌ وضيفانُ[3]!

وكمْ حسدتْ أليفاً منْ دواجنها
فكلّها في نعيمِ العيشِ جولانُ[4]!

---

(١) ينفق: يروّج. (٢) قنعان: رضى وقناعة.
(٣) نزلاء وضيوف.
(٤) جولان: جائل.

حتى الدَّجاجُ تراهُ في طَبيعتِهِ
يُفَتِّشُ الأَرْضَ ، لكنْ وهوَ خجلانُ!

قد عمَّها الخيْرُ من جُودِ الربيع كما
قدْ عمَّنَا منْ جَدَاهُ السمْحِ غِشْيانُ[1]

قُوتُ النفوسِ وقُوتٌ للجُسومِ بهِ
فمنْ عطاياهُ أرواحٌ وأبْدانُ!

وإنْ نَسِيتُ فما أنْسى مُسَامَرَةً
للبدْرِ والنَّهْرِ حَيْثُ الليلُ نعْوانُ

أصطادُ في الشّاطيءِ المهْجورِ في كَنَفٍ
مِنْ غَرْسِهِ سَمَكاً خانتْه أجفانُ!

فما أصيدُ سوى صَبْرٍ ألوذُ بهِ!
والصَّبْرُ للْبالغِ الغاياتِ دَيْدَانُ[2]

وإنْ غَنِمْتُ نَسِيمَ الليْلِ يُسكرُني
وقدْ أغاثَ فؤادي وهوَ غَلاّنُ[3]

---

(١) غشيان : اتيان .
(٢) ديدان : دأب وعادة .
(٣) غلان : صديان ، من الغل (بالضم) وهو العطش الشديد .

كما غَنِمْتُ وِدَادَ العُشْبِ بَلْ شَجَرٍ
أَلِفْتُهُ ، ومنَ الأَشجارِ صُحْبانُ[1] !
حتى أعودَ الى بَيْتي بِمُنْتَصَفٍ
لِلّيْلِ ، والليْلُ مِنْ نجْوايَ يقظانُ !
وصوْتَ العندَليبُ[2] الحرُّ ما فُتِنَتْ
بهِ (الطَّبيعةُ) حيثُ الشَّدْوُ رَنّانُ
فكانَ شاغِلُ حِسِّي ما حَكى ، فبكى
قلبي على الحُبِّ ، حينَ الحُبُّ زَهْرانُ[3]
كُلُّ الوُجودِ حيالي في مُغازَلَةٍ
وذاكَ قلبي بذِكْرى الحُبِّ غَصّانُ

*
* *

واهاً على زَمَنٍ كانَ (الربيعُ) بهِ
رَبيعَ قلبي ، وكانَ العُمْرَ (نَيْسانُ)
ووشّجَتْ بيْنَ أحلامي وغايتهِ
خواطِرٌ غَضّةٌ للحُبِّ أعوانُ !

(١) صحبان : صحاب .
(٢) العندليب : الهزار : Nightingale .
(٣) زهران : مزدهر . وغصان : شديد الحزن .

كنتُ الصبيَّ ، وفي رُوحِ الرَّبيعِ صِباً
وليسَ بينهما في الحبِّ وَهْنانُ[١]
وكان لي مِنْ فَتاتي نُبْلُ ما طَمَحَتْ
اليه في عفةٍ للحبِّ رُهْبانُ !
وإنْ تَذَوَّقْتُ في الرُّوحيِّ مِنْ نَهَمي
ما لا يُكَيِّفُهُ وَصْفٌ وتَبْيانُ !
نُورُ الرَّبيعِ كنُورِ الحبِّ أَلَّفَنا
وللرَّبيعِ كما للحُبِّ إرْغانُ[٢] !

تزاوَجا ، وكأنَّا هكذا لهما طفلانِ ما بِهِما خَوفٌ وإدْهانُ[٣] !
فينُصِتانِ لما تَحْكي عَواطِفُنا كلاهما بِشُبوبِ الغَرْسِ فَرْحانُ !
وأَسْبَغا حُلَّةً للحُسْنِ ضَافيةً على الدُّنا ، فرَحيبُ الكَوْنِ إيوانُ !

وشَذَّبا بِرَشيقِ الفَنِّ ما حَكَما
كما أجادَ صَناعُ الكَفِّ دَهَّانُ[٤] !

ونَسَّقا كُلَّ شَيءٍ في نواظِرِنا فناظرَ الزَّنْبقَ المُسْتَمْلَحَ البانُ
وما رأينا الحَصَى الاَّ جَواهِرَنا وليْسَ يُعْوِزُنا في الحُكْمِ بُرْهَانُ !

---

(١) وهنان : ضعيف . (٢) ارغان : اطماع ، من أرغنه بمعنى أطمعه .
(٣) ادهان . مصالحة . (٤) نافش ماهر .

اذا الرَّبيعُ خَطَا للْحُبِّ فاجْتَمَعا   فكلُّ شيءٍ لدَى العُشّاقِ حَلْيانُ

* * *

يازورةً لَسْتُ أنْساها مدى زَمني
الى رُموسٍ لهـا في صَمْتِهَا شانُ !
خَرائبُ في ثَرَى (سَقَّارَةٍ) دُفِنَتْ
وللخرائِبِ بالتَّقْدِيس عُمْرانُ !
ما فاتَها مِنْ رَبيعٍ زَارَ مَسْحَتُهُ
فليْس في أهلها الأمواتِ مَوْتَانُ[1] !
ولا عدَاها بِزَوْراتِ الهوى رَوَعٌ[2]
فالحُبُّ يتْبعهُ حُسْنٌ ورَيْعانُ[3]
نَرْنو اليهـا فلاَ الآثارُ تُصغِرُنَا
حيثُ التفتْنا ، ولا الأَوثانُ أوثانُ !
وأُنْشِدُ الحبَّ أشعاري فيُكرِمُها
كما وَفى لنبيِّ اللهِ (حَسّانُ) !
وللرَّبيعِ أناشـيدٌ تُلقِّنُني
شِعْرَ الحياةِ الذي لي فيه نِشْدانُ[4]

---

(١) الموتان : الموت . (٢) روع : جمال وأناقة .
(٣) ريعان : نضارة . (٤) نشدان : مطلب .

أصوغه قُبَـلاً مِنّي على قُبَـلٍ
للحُسْنِ وهُوَ لشَرْعِ الحُبِّ مِذْعانُ(١)

اذَا الرَّبيعُ أتى فالُحسْنُ مُمْتثِلٌ
والعطْفُ مُتَّصِلٌ ، والهجْرُ ذَبْلاَنُ !

كلُّ الوُجودِ تخلَّى عنْ شَوَاغِلِهِ
وخَنْقَهُ لعزاءِ الْحبِّ صَدْيانُ!

وذٰلِكَ (النيِّـلُ) مُفْتَرٌّ يُسائِلُنا
عمّا غَنِمْنا ، وخَلْفَ النيل (حُلْوَانُ)(٢)

وذلكَ (الهَرَمُ) الوَاهِي يُعاوِدُهُ(٣)
منْ نَضْرَةٍ للصِّبا المعبودِ صَوَّانُ(٤)

وذاكَ (بَلْهُوبُ)(٥) يبدو في بُلَهْنِيَةٍ(٦)
بالذِّكْرِ منّا فلم يَخْذُلْهُ حِرْمانُ

(١) مذعان : مطيع .

(٢) ضاحية القاهرة المشهورة ، وهي تقابل سقارة أو البدرشين من الجانب الشرقي للنيل .

(٣) هرم سقارة المتدرج وهو مقبرة الملك (زوزر) ، والمظنون أنه أقدم الاهرام ، وقد مر نحو ستة آلاف من السنين .

(٤) صوان : حريص على صيانته .

(٥) بلهوب : أبو الهول الصغير المصنوع من حجر الالبستر .

(٦) بلهنية : رخاء العيش .

ذِكْرُ الصِّبا والجمالِ السَّمْح ان جُمِعَا
غِنًى ورُوحٌ وتجْديدٌ وإتْقانُ !
وما أحَبَّ اقترابي في تَسَلْسُلِنا
الى المَزارِعِ حيثُ الزَّرْعُ ظمآنُ
فيَسْكُبُ الحبُّ في عَوْنِ الرَّبيعِ لهُ
مِنْ مائِهِ فَوْق ما تُعطيهِ غُدْرانُ !
وإنْ تئِنّ السَّواقي في مُعاتبةٍ
والماءُ في الجَدْوَلِ المنْسيِّ غَضْبانُ !
حتى السَّوائمُ لم تَسكُنْ لِعزْلَتِها
كأنَّ أصْواتَها في البُعْدِ تأنانُ (١) !
لم يكفِها أنَّها تُرْعى كسائمةٍ وحَظُّها عندَها جهْدٌ وألبانُ
سُبْحانَ مَنْ جعلَ الحبَّ المُشاعَ هدًى
للْخَلْقِ كالدِّينِ لا تَمْحوهُ أدْيانُ !
كُلُّ الوُجودِ به في وَحْدَةٍ جُمِعَتْ
فلا شِقاقٌ ولا شَكٌّ وعدْوَانُ
كذا الرَّبيعُ مَدينٌ في جلالتِهِ وما لِسُلْطانِهِ إلاّهُ (٢) سلْطانُ

(١) تأنان : أنين . (٢) الا الحب .

والخالقُ الكونَ(١) لا عَتْبٌ عليهِ اذا
ما مَنَّ ، لكنّهُ قاسٍ ومنّانُ !

***

أتى الرَّبيعُ وولّى للّذي حَنِظَتْ
ذِكْراهُ حبًّا وقدْ أشقاهُ هِجْرانُ
يَلقاهُ بالدّمْعِ لا الآفاقُ صافيةٌ
ولا تجلّى بشِعْرِ الكوْنِ دِيوانُ
وليْسَ يَستَمريهِ الألوانَ ضاحيةً
فكلُّ لوْنٍ لَهُ هَمٌّ وإدْجانُ(٢) !
وليْسَ يفْصِحُ عِذْقُ(٣) الياسمينِ له
الاّ عنِ الغدْرِ في استِحْضارِ مَنْ مانوا(٤) !
وليْسَ في الرّوْضِ الاّ ما يعذّبهُ
وكانَ قبْلاً لهُ في الرّوْضِ قُرْآنُ !
وليْسَ في اليمِّ الاّ كُلُّ خادِعَةٍ
وليْسَ للْحُسْنِ في مَرْآهُ رُجْحانُ !

(١) اشارة الى الحب . (٢) الادجان : الظلمة الشديدة .
(٣) عذق الياسمين : غصنه المتشعب .
(٤) في تمثل خادعيه وادكارهم .

وليسَ في الأُفقِ مايدْعو تأمّلَهُ وكانَ مِنهُ لهُ بالأمْسِ تيجانُ !
وليْسَ للشَّمْسِ أضْواءٌ معزِّيَةٌ وانمــا هيَ تعذيبٌ وإثخانُ !

وليْسَ للبدرِ معنىً من حبيبتِهِ
بلْ مِثْلهُ شَبَحٌ في الثَّلْجِ لَهْفانُ!
وليْسَ في طَرَفٍ جاءَ الرَّبيعُ بها
ما يُسْتَطابُ لهُ حِرْصٌ وقُنْيانُ!
وليْسَ في الشِّعرِ تأساءٌ فتُلْهِمُهُ
وليْسَ بيْنَ بناتِ الشِّعْرِ حُسَّانُ(١)!
وليْسَ في الُحبِّ الاَّ ما يُؤَجِّجُهُ
وفيهِ قَبْـلاً لهُ نورٌ ونيرَانُ!
نوافِحُ المِسْكِ قدْ ضاعَتْ تحيَّتُها
كما تُغيَّبُ ذِكرى الطلِّ كُثْبانُ(٢) !
كأَنَّما الـكَوْنُ فَوْضى لا جَمالَ بهِ
لا الُحسْنُ حُسْنٌ ولا الأَوْزَانُ أوزانُ!

---

(١) قنيان : اقتناء . وإثخان : تقتيل . وحسان : جمع حسانة وهي الحسناء الفاتنة . (٢) الـكثبان : تلال الرمل .

وما تَبَقَّى منَ الدُّنْيا وزُخْرُفِها
ووَشْيِها غيْرُ ما قدْ شامَ أسْوانُ(١)!

وما تعلّقَ بالتَّأميل بلْ قُطِعَتْ
خيُوطُهُ، وَعفَتْ(٢) للنُّورِ خيطانُ!

كأنّما هوَ في عُمْرِ الشتّاءِ، فمـا
لغيْرِ هـذَا الشتّاءِ المُرِّ إيذانُ!

يُشْجى بكلِّ الذي يَحْيَا سواهُ بهِ
كأنّمـا كفَّنتْ نُعْماهُ أكْفَانُ!



(١) أسوان : حزين . (٢) عفت : امحت .

البحر

الصديق المتقلب

أَ كذا يليقُ الغَدْرُ بالأَصْحابِ ؟

أَ كذا تروعُ مشاعري وَشبابي ؟

كم جئتُ في دَمْعي أبثُّك حَسْرَتي

فاذا بأُنسكِ غاسلٌ أوصابي !

متموّجٌ بعَواطِفٍ مَحْبوبةٍ ومُقهقِهٌ بالبِشْرِ والتَّرْحابِ !

والشَّمْسُ — في وَهَجِ الأَصيلِ وذَيلُها

فوْقَ المياهِ — مُطيلَةٌ لِعتابي !

واذا النَّسيمُ مبلَّلٌ بدُعابةٍ كتبلّل الأطفالِ مِنْ ألعابِ !

وَاذا الرِّمالُ طَرُوبةٌ مُختالةٌ بتغزُّلِ العُشّاقِ والأَحْبابِ !

واذا القوارِبُ في انتِظامِ جُموعِها

كمواكبِ الأَملاكِ فوْقَ سحَابِ !

واذا الطُّيورُ السَّابحاتُ جَريئةٌ

تنْسابُ عارِضَةً لكلِّ عُجابِ !

واليوم يا خِلّي القديمَ نَهرْتَني وزَجرْتَني بزَئيرِكَ الغَلّابِ

ماذا دهاكِ وما صنعتُ لأغتدي ... أهلاً لغضبةِ نقمةٍ وعقابِ ؟!
والشمسُ غطّاها السحابُ كأنما ... مرضت وآذن عمرُها بغيابِ !
وقضى النسيمُ فلا بقاءَ لذكرهِ ... وأتت عواصفُ جنّةٍ وخرابِ !
كنتَ الصديقَ ليَ الحليمَ ، وشدّ ما
يُلقى الحليمُ بثورةٍ وغضابِ[1]
وجعلتني بعدَ الذي علّمتني
أخشى اضطرابَ الودِّ في الأصحابِ
ضاعَ الوفاء ولا بقاءَ لغيرِ ما ... يرضاهُ حكمُ الكونِ من إيجابِ !

لو كنتِ علمتِ ...

ـ لسان حال العاشق المريض الى محبوبته الجاهلة بحبه ـ

لوْ كُنْتِ منْ علِمَتْ دفينَ شعوري
لعطفْتِ عطفَ حنانكِ المأثورِ
تتساءلينَ ، وما عرفْتِ تنهُّدي ... وتُجاملينَ ، وما قدرْتِ سروري
وتداعبينَ عواطفي وخواطري ... لا تُدركينَ تعاسة المأسورِ

(١) اشارة الى أمواج البحر المصطخبة .

النورُ منكِ يزينُ بهجةَ مجلسي ... والقلبُ لا يحظى ببعض النورِ!
أُصغي وأبسِمُ في التفاتٍ مؤنسٍ ... وفؤاديَ المهجورُ كالمذعورِ!
متخبّطاً في خفقِهِ ووثوبِهِ ... يأبى وفيَّ جوانحٌ وستورُ!
وأراكِ رانيةً اليهِ، وانما ... أخطأتِ في الحسبانِ والتقديرِ!

شخصتِ سقمي من متاعبِ جاهدٍ
مَنْ قالَ إنَّ الجهدَ أصلُ زفيرِ؟!

وهنيهةً ألقاكِ غيرَ موزّعٍ ... وهوَ السكونُ عبادةُ التفكيرِ!
وتصدّقينَ القائلينَ بنعمتي ... المادحينَ نزاهتي وضميري

ولو اعتقدتِ بأنني لكِ خادعٌ
بالصمتِ ما حوسبتِ عن تحقيري!

نهمُ الغرامِ لذيذةٌ محبوبةٌ ... وله شريعةُ سيدٍ وحقيرِ
الصدقُ فيهِ فضيلةٌ لو لم يكنْ ... بالخوفِ والكتمانِ أيُّ جديرِ!

فتأمّلي باللهِ فيَّ تأمّلي
تجدي العواصفَ في سكونِ شعوري

سترتْ على رغمي، فحسنكِ قدرُهُ
أنْ لا يُحَضَّ بثورةِ المهجورِ!



دار الفلاح

في المعرض الزراعي الصناعي المصري

(مارس سنة ١٩٢٦ م)

قد دِنْتِ للحُبِّ الشريفِ بنشأةٍ ... وبناكِ من أسمى العواطفِ باني

وخصبتِ بالنُّعمى كونكِ بينما ... أثمرتِ أحلى البرِّ بالإنسانِ

ووقفتِ صاحبةَ الجلالِ كأنَّما ... يعتزُّ من نظراتِكِ الحرمانُ!

ولسانُ فخرِكِ للذين تهافتوا : ... انَّ الديارَ[1] دعائمُ الأوطانِ!

فى المعرض

عرَضُوا العجائبَ للعيونِ فليتهم ... عرَضوا فؤادي للقلوبِ الناظرَهْ

لترَاكِ في عهدِ الشيوعِ فريدةً ... فيهِ، وحاكمةً عليهِ وآمرَهْ!

أيُعَزُّ مِنْ نُخَبِ المتاعِ مُجَمَّلٌ ... ويُذَلُّ من آثرْتِهِ يا آسِرَهْ؟!

(١) استعمل الشاعر كلمة « الديار » ترجمة لفظة « Homes » بكل معناها الدقيق .

الجمال المقسم

سافر الشاعر صحبة صديقه الاستاذ الاديب المفضال حسن افندي الحطيم من الاسماعيلية الى القاهرة في يوم ماطر فلفت لنظره تقسيم الخط الحديدي لمبدأ هذه المنطقة الى قسمين : قسم زراعي ، وقسم صحراوي ، ولكل منهما جماله وروتقه ، فقال :

يَجري القطارُ بنا فيشطرُ حاكماً ... مُلكاً منَ الإِبريزِ والفيْرُوزِ
فاذا الأَشعَّةُ والرِّمالُ تحيةٌ ... واذا الحُقولُ تبرّجتْ لعزيزِ
واذا النَّخيلُ معزِّزٌ بعَساكرٍ ... للنبْتِ مثْلَ البَيْرَقِ[1] المهزُوزِ
حيّا الطَّبيعةَ في سخيٍّ جلالَها ... فتبسّمتْ بالعطْفِ والتّعزيزِ !

فقال حسن افندي :

متّعْ عيونَكَ يا صديـ ... ـقي إنْ ركِبْتَ قِطارَا
فعلى اليَسَارِ زراعةٌ ... وعلى اليَمينِ صحارَى
كيْما تُريكَ الفرْقَ بيـ ... ـنَ المنظَرينِ جهارَا
أُنْظُرْ الى غُرَرِ (الطَّبيـ ... ـعةِ) تخطفُ الأَبْصارَا
فتخالُ خُضرَتَها الجميـ ... ـلةَ معطفاً وإزارَا
وتخالُ صفْرتَها البديـ ... ـعةَ دَائِراً وسِوارَا !

---

(١) البيرق : العلم المزدان ، والكلمة من الدخيل .

فأجازه شاعرنا بهذه الابيات :

وترى الملاحة أمتعت ... في نقشها [1] أزهارا
وترى الجداول خططت ... للعاشقين شعارا
حاكت وإن لم تستمع ... في نبضها الأوتارا
والشمس في استحيائها ... وجه الحبيب توارى
تخذ السحاب نقابه ... لكن حبا الأنوارا !

خط الحظ

أخذت يدي وتأملت فيها كما ... تتأمل الحسناء في المرآة !
فاذا بها تجد الحياة كما أرى ... واذا حياة غرامها كحياتي !
قالت : وهذا خط قلبك إنه ... خط الطهارة صادق ومؤاتي
وكذاك عمرك قد تمثل خطه ... رمزاً تسر بوحيه خطراتي
لكن حظك قد تعثر خطه ... حيناً فعاد مسدد الخطوات

(١) الضمير عائد الى غرر الطبيعة .

فنظرتُه ونظرتُ صورةَ حظِّها   فاذا هما صِنوان في اللّمحاتِ !
فضممتُ كفّينا كضمةِ حظّنا   وتسابقَ الثغّران للقبلاتِ !

عِبرة الوجود

وصف واقعة حال

يكفي التأمّلَ أنْ يموتَ مُسافرٌ   عند انتهاءِ رَحيلهِ بقضاءِ
مِنْ بعدِ ما بلَغَ الرَّجاءَ مآلَهُ   فاذا بهِ المخذُولُ عند رجاءِ !
ضحِكَتْ عليهِ مُنَى الحياةِ ولم تكُنْ   الاَّ تمرَّ تغرُّبٍ وفناءِ !
فمضَى برحلَتِهِ الطَّويلةِ بعدَها   سفراً الى القدَرِ الرَّهيبِ النَّائي !
وأتى ولم يعلم بسابقِ خَطبهِ   صَاحي الشَّبابِ الضَّاحكِ الوضَّاءِ
مترنّمينَ وعازفينَ كأنّما   الحظ كلُّ الحظِّ في الضرّاءِ !
سُننَ الوُجودِ فكل ما تلْقى بهِ   جَمعٌ منَ الظّلْمَاءِ والأَضواءِ !

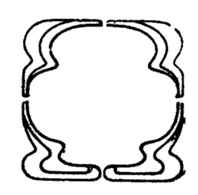


الفراق

سلامُ اللهِ يا (زينبُ) فإنّي أعودُ بغيرِ إيناسِ الأنيسِ
أعودُ وقدْ تركْتُ أعزَّ نفسي ولم أحملْ سوى ألمِ التعيسِ
كذاكَ العُمْرُ أحلامٌ وتمضي ولا يُبكَى سوى الغالي النفيسِ

الفاتح الجريح

عُدْنا كعودَةِ فاتحٍ مِنْ بعدِ معركةِ الغَرامْ
فإذا القُلوبُ جَريحةٌ لكنْ تخافُ على السّهامْ
تأبى انتزاعَ نِصالِها فكأنّها ذِكرى تُقامْ
أو أنّها عُقْبى الشّجاعةِ مِنْ ضِرامٍ أوْ وِسامْ !



زهر البنفسج

أبيات ارتجالية

وكأنما زَهْرُ البنف	سج بَسْمَةُ القلْبِ الحزينْ
بينا تُهَزُّ له القلو	بُ جوًى تَقَرُّ بِهِ العيُونْ
وتراهُ في تقسيمهِ	مزْجَ السُّرورِ معَ الشجونْ
فكأنَّما هوَ مستَلَذُّ الرَّا	حِ والماءِ المَعِينْ
أو أنَّما هوَ خمرةٌ	جادتْ بِها زُرْقُ العيونْ
وتمثَّلتْ في كفِّ مَنْ	أهوى جَمالاً لا يَهُونْ
متعطِّراً بأريجِها	فكأنَّهُ نفحُ الفنونْ
يجْري بهِ ماءُ الحيا	ةِ ورحمةُ الصدْرِ الحَنُونْ
وتراهُ رَغمَ صُموتِهِ	وسكونِهِ يأْبَى السُّكُونْ
متوزِّعاً بيْنَ الوَفا	ءِ لمهجةِ القلْبِ الأَمينْ
والعَوْدِ للحُسْنِ الذي	أهداهُ ، يُشقيهِ الحنينْ !



ذكرى ر. هوايت

فقيد العلم والانسانية

الصديق الحميم للشاعر والنحال الايكوسي الشهير ، وقد مات احتراقاً بجانب أحد ولديه بعد انقاذه الآخر .

كالنَّحلةِ المفقود دَولتها بكيتُكَ ياصديقي [1]
كحياتها عشْتَ الوَفيَّ ومُتَّ من جَوْرِ الحريقِ !
كنْتَ الشُّجاعَ الشَّهْمَ لا ينسى الوِدادَ بأيِّ حالْ
وقضيتَ عنوانَ الشَّجاعةِ والابوَّةِ والكمالْ
أنساكَ ؟ ... هلْ ينساكَ وافٍ طالما أمتعتَهُ
بالشَّهْدِ مِنْ عطفٍ ؟ فذُقْ عطفي بموتٍ ذُقتَهُ !
مُتَّ الشَّهيدَ وحوْلَ رُوحكَ لفحُ نيرانِ القلوبْ
فكأنَّما ذَابتْ فزادَتْ مِنْ لهيبكَ إذْ تذوبْ!
مُتَّ المُعذَّبَ والهنيءَ قضى أمامَ الواجبِ

---

(١) من العادات القديمة بين النحالين في بريطانيا القضاء على طوائف النحل في نهاية الموسم وحرقها بعد أخذ خيراتها ، ثم الاعتماد على طوائف جديدة متوالدة في الموسم التالي .

بجوارِ فلذةِ كبْدِهِ جذَبَتْهُ قوَّةُ جاذِبِ!

يا ليتَ دَمعي كانَ قُربَكَ وقتَ ما حُمَّ القضاء

يا ليتني خُيِّرتُ في عيشي أو اخْتَرَ الفِداء!

أسفي على عَهْدٍ مضى بحلاوةِ البرِّ الصَّحيحْ

أسفي على حُكمِ النَّوى بمرارةِ القلبِ الجريحْ!

مِنْ جُرحِهِ خطَّ اليَراعُ سطورَ آلامِ الاخاء

لغة الوَفاءِ تمثَّلتْ فيهِ ، فما فيها خفاء!

تجري اليكَ وان نزحْتَ وبنتَ أنتَ عن الدِّيارْ

جريَ التموّجِ والأَشعَّةِ لا تهابُ مِن البحارْ!

واذا رثيتُكَ أو بعثتُ الى ذَويكَ أسى العزاء

فالحقُّ يعلمُ انّني أوْلى لنفسي بالرثاء!



عَبدَة الألفاظ

والتماثل اللفظي في الشعر

يا مَنْ توَهَّم لي شبيهَ سِرَاجِه
لِمَ لا تُضيء إذنْ بقوَّة نورِي ؟!

هَوِّنْ عليكَ فما المظاهرُ وحدَها
تكفي ، وما المنّانُ غيْر فقيرِ

واعلمْ أخي أنَّ المَشاعرَ دَفْعُهَا
لشعرِ كالتيَّارِ دفْعُ قديرِ

فاذا تعلَّق سابحٌ بملاذِها
وهيَ العظيمةُ لمْ تقِفْ لحقيرِ!

والشَّاعِريَّةُ ليْسَ يُنقصُ قدْرَها
الا انتِقاصُ تخيُّلٍ وَشُعورِ

إبدأْ بأنماطِ القرِيضِ مفنّداً
قبلَ الغلوِّ مفنّداً تعبيري

أوْ فاتخِذْ مِنْ جُرْأتي و تفنُّني
رغمَ اشتراكِ اللفظِ علمَ خبيرِ

خيرٌ لفكْرِي أنْ تُداسَ يَراعَتي
إنْ فاتَ شعْرِي الحُرَّ وَحْيُ ضَميرِي!



تحامل الغرور

دعابة شاعرين

(١)

عزيزي الاديب الطبيب .

لمْ يَحُلْ دُونَ أنْ أُنفِّذَ وعدِي
غيْر سحّ الأَمطار أمسِ الشَّديدَهْ
فاقبل العُذْرَ يا (ذكي) وِلاكَ الشكْـ
ـر كثيراً منّي ، وهاكَ الجريدَهْ !
إنّ فيهـا مقالةً بكَ زُوراً
عرّضتْ ، وهيَ قَطُّ غيْرُ سديدهْ
فتمطَّ ! واَهبدْ [١] دعياً جناها
بمقالٍ يُخْزِيهِ ، واقطَعْ وريدَهْ !

المخلص

عبد الله بكرى

---

(١) يقال لغة : هبده بمعنى أطعمه الهبيد وهو الحنظل .

(٢)

عزيزي الاستاذ بكري افندي :

أيْ أخي ! نحنُ في زمانٍ مريضٍ
عقايِيسهِ الضِّعافِ الفَريدَهْ !
يُوهِمُ الناسَ أنَّ في ألَقِ المِصْ
باحِ شمساً سنيّةً معبودَهْ !
ويرى الشَّمْسَ قِطْعةً منْ نحاسٍ
لفظتْها الدُّنيا فهانتْ بعيدَهْ !
انَّ ذَنْبي لشاعريّةُ لُبّي   وخصيمي غُرُورُ نَفْس بليدَهْ
غيرَ أنّي الغفورُ فالشِّعرُ روحي
ومن البرِّ أنْ أكونَ شَهيدَهْ !
قُلْ لمنْ يدَّعي الإمارَةَ فيهِ
رُبَّ بيْتٍ أذابَ ألفَ قصيدَهْ !
أنا واللهِ لستُ أشْري ببعضي
كلَّ ما صُغْتَهُ وعِشْتَ مُعيدَهْ !

المخلص

أبو شادي

تسامى الحرمان

تَسَامَى فؤادي (لفُنونِ) عِبَادَةً
ولولاكِ ما شَاقَ الفؤادَ تَسَامي !

وما «مَثَلي الأَعلَى» سِوَاكِ وانْ مضَتْ
نوازِعُ رُوحي (للجمالِ) أمامي

وما آنصرَفَتْ نفسي اليهِ بداهةً
ولٰكنْ لحِرْماني وكبْحِ غرَامي

وكُنْتِ شِفائي في سِقَامِ فُتُوَّتي
فأصبحْتِ لي بعدَ الشِّفاءِ سِقامي !

ومنكِ تلقَّيتُ الهدايةَ والهوَى
فكيْفَ أبحْتِ اليوْمَ كلَّ مَلاَمِ ؟!

ولٰكنْ لكِ الشُّكْرُ الذي أنتِ فوْقَهُ
لِرَفْعِكِ أحلامي بوَحْيِ إمامِ !

صَرَفْتِ حَنَاني (للجَمالِ) مُنوَّعاً
فأنتِ قِوامٌ للسَّنَى[1] وقِوامي

(١) الجمال .

وكلُّ معاني الكونِ بلْ كلُّ منظرٍ
سَرِيٍّ له في روْعةٍ ونِظامِ
يمثِّلُ في كُنهِ سَناكِ لخاطري
وأنْهَلُ منهُ ما يَبُلُّ أوامي !
فلا شيءَ في الدُّنيا سواكِ لشاعرٍ
رآكِ لهُ نُوراً بكلِّ ظلامِ !
ويا ليتَهُ بالرَّغمِ منْ كُلِّ مدْحةٍ
تُكالُ لهُ أوْ منْ تحاسُدِ ذامِ (١)
تخلَّى عنِ الوصفِ الذي اختُصَّ فنّهُ
بهِ لوصالٍ منْ جمالكِ سامِ !
فذاكَ خُلودٌ في جِنانٍ شهيَّةٍ
وما أدَبي الأ لهيبُ ضِرامي !



(١) من التحاسد الذي ينطوي عليه الذم .

ملك النيل

تمثل هذه القصيدة دعوة الشاعر الصريحة الى استقلال أقطار حوض النيل ووصلها بوحدة جامعة مستمدة من ثقافة وسياسة مشتركة . وقد تفرد بهذه الدعوة الحرة في منظومات أخرى من قبل .

أبناءَ (مِصْرَ) ألاَ يسوغُ لشاعرٍ
منكم غُلُوُّ صَرَاحَةٍ ووَفاءِ ؟
لا تَغْرِسُوا الأَوْهامَ طَوْعَ جَماعةٍ
صاحَتْ طَويلاً صَيْحَةَ الجُهلاءِ
لا تُثْمِرُ الأَوْهامُ غيْرَ نَظيرِها ولربَّما مَنحَتْ أمرَّ بلاءِ !
لا تُهْمِلوا استِقلاَلكمْ ، لٰكنْ بلا جَهْلٍ لحقِّ تجاوُرٍ وإخاءِ
هذا هوِ (السُّودَانُ) عَوْنُ حياتِكمْ
فلْيَحْيَ بيْنَ تَعَاوُنٍ وولاءِ
نادُوا بدُسْتورٍ لأَهليهِ ، ولا تتَرَدَّدُوا بتَرَدُّدِ الأَهْواءِ !
وَعِدُوهُ باستِقْلالِهِ الوافي متى
قدْ شَبَّ ، بل وعِدُوهُ كُلَّ رَجاءِ !

وتنظَّروا [١] الآتي ليومٍ صالحٍ
تُحيونَ فيهِ وصيَّةَ الشُّهداءِ
أمنيَّتي استقلالُ كلِّ ديارِنا موصولةَ الأعضاءِ والأجزاءِ
فيصيرُ (حَوْضُ النيل) مُلْكاً واحداً
بثقافةٍ وبغايةٍ ونداءِ
يتضافرُ (السودانُ) و(الحبَشُ) الأُلى
حَنِظُوا لكمْ إبليزَ هذا الماءِ
فتضافرُوا معهم لِتُحيُوا جَمْعَكُمْ
في (وَحْدَة) بكرامَةِ الأحْياءِ
لكمُ المِثالُ لحيلةٍ وكياسةٍ
في الحُكمِ عندَ رَوابطِ الأعداءِ
أُمَمٌ يجَمِّعُها اتحادُ صوالحٍ لا حُكْمُ أسيادٍ وذُلُّ إماءِ [٢]
مَنْ شاءَ إنْصافاً لهُ فعليْهِ أنْ يُعنى بإنْصافِ الشقيقِ النائي
ولقدْ مضى عهدُ الهوانِ وأصبحتْ
كُلُّ الشُّعوبِ تَدِينُ بالعلْياءِ [٣]

---

(١) تنظره : تأنى عليه وانتظره فى مهلة .

(٢) جمع أمة : وهي الخادمة المملوكة .

(٣) تتخذ العلياء ديناً .

وأرى الجحودَ(١) الحقَّ يُذْعِنُ صاغراً
من بَعْدِ ما يلْقى من الأرزاءِ
فدعوا غُرُورَ الوَهْم والتمسُوا العُلى
بتعاوُنِ الخلَصاءِ لا الدُّخلاءِ
ليْسَ الصيّاحُ دليلَ قُوّةِ قادرٍ
انَّ الصيّاحَ وسيلةُ الضُّعفاءِ!

المرأة

مترجمة عن الاصل الانجليزي للشاعر أوليفر جولد سمث

(١) — الترجمة

متى هَوَتْ الحسناء طَوْعاً لطَيْشها
وقد عَرَفَتْ غدْرَ الرّجالِ أخيرا
فما ذلِكَ السِّحْرُ المُلَطِّفُ وَجْدَها؟
وما الفَنُّ يُودِي بالدّموعِ قديرًا؟

(١) الجاحد .

***

أرى الوَاحِدَ الفَنَّ المُحَجِّبَ إثمَها
ليسترَ ذاكَ العارَ عن كلِّ نظرَةٍ
ويُوحي بتَوْبٍ للّذِي قد أحبَّها
ويُشقِي له قَلْباً — لِقَاءَ مَنِيَّةٍ

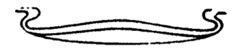
(٢) — الأصل

WOMAN

When lovely woman stoops to folly,
And finds too late that men betray,
What charm can soothe her melancholy ?
What art can wash her tears away ?

The only art her guilt to cover,
To hide her shame from ev'ry eye,
To give repentance to her lover,
And wring his bosom is — to die.

Oliver Goldsmith



الأطلال

كم كُنتُ أضحكُ مِنْ جوَى الشُّعراءِ
النّائحينَ على الزّمانِ النّائي
المُكثِرينَ منَ «الطُّلولِ» وندْبها
في الشّعرِ، في جَنَفٍ[1] عن الأحياءِ
حتى نُكِبْتُ بما قضَيْتِ فطابَ لي
ذِكرُ الطلولِ ولوْعَتي وبُكائي

وكأنّني الطَّلَلُ المَهيلُ بنفسهِ ... مِنْ بَعْدِ ما قدَّرْتِ أنتِ فنائي!
أمْشي كأنّي ظِلُّ أمسٍ ضاحكٍ ... وأخْتصُّ دُونَ الأمْسِ بالظّلْماءِ
والنّاسُ لا يدْرُونَ خافيَ لوْعتي ... لو يفقهونَ مظاهرَ الشُّهَداءِ
وأزورُ بيتاً كُنتِ أنتِ نجُومَهُ ... وسماءَهُ، فغدا بغيرِ سماءِ!

وأطوفُ في حَجّي وإنْ هو لم يَبِتْ
عندي سوى طَلَلٍ ينوحُ إزائي!

طَلَلٌ على طلَلٍ يَئِنُّ وهكذا ... قضّيتُ ساعةَ عَبْرَتي ودُعائي!
وبكيتُ في حَرَقٍ زمانَ شبيبتي ... فلقدْ أميتُ مُضرّجاً بدِمائي!

---

(١) في بعد.

وتركْتُ والدهُ المُسِنَّ أخُصُّه بمدامعي وتلهّفي ورثائي !

أرديْتِهِ بِهوَاكِ ثمَّ تركْتِني

ـ وأنا الجريحُ ـ أذوقُ كُلَّ فَناء

وأرى العزاءَ هُنيْهةً في خالِقي وأعودُ أهجرُ خالقي وعزائي !

وأعودُ أسألُ عنكِ كلَّ شَهيدَةٍ للأمْسِ في نَبْتٍ لقِيتِ وماء

وأُسائِلُ الأطْيارَ فوْقَ منازلٍ

شَحَبَتْ(١) فلا تَدْري حزينَ ندائي

وأُسائلُ الأشْجارَ وهيَ بأَمسنا كانتْ كأطفال منَ الرقَباء

وأُسائلُ اللَّيْلَ الذي ما خانني قَبلاً ، فما يدري زَمانَ ولائي

حتى الكواكبُ في السَّماء تنكَّرَتْ

والبدرُ ، أو صارتْ من البُلَهاء !

نَسِيَتْ زَماناً كانَ منكِ ضياؤُها

عندَ اللقاء ، وكنْتِ أنتِ ضيائي

وكأنَّما هذي العوالمُ أصْبحَتْ

بِنَوالكِ أطلالاً بغيْرِ رَجاء !

---

(١) شحبت : تغيرت من سقم ، أي المنازل .

مجد الهزيمة

أسيرُ بأسمالٍ على رغمِ عزَّتي
يُكرِّمُها خُلْقي وطُهْري وإيماني
ولوْلاَ زَكاةٌ قدْ تَفانَى ببذْلها
وفائي لما أصْبَحْتُ مِنْ أجلها العاني
سجيةٌ مَنْطُورٍ على خيْرِ نوْعِهِ
فيَنْسى حقُوقَ الذَّاتِ في نَفْعِ إنسانِ
ضَحيَّةُ أقدارٍ ، ولَسْتُ معاتباً
فما كانَ خُسْراني كذاكَ بخُسْرانِ !
ولي لذَّةٌ في البُؤْسِ ما دُمْتُ شاعراً
بأنّي طليقٌ : كُلُّ دَيْني لِوجْداني !
ولي متعةُ الفنَّانِ : بيْنَ خصاصةٍ
تَمضُّ ، وكَنْزٍ في العوالمِ رُوحَاني .
ويرْشقُني الباغي الفخورُ بطيْشِهِ
ويهْوى أذاتي في تفنُّنِ شيطانِ !

ويحسدُني حتى كأنَّ خَسائري
غِنًى، وكأنّي صِرْتُ صاحبَ سُلْطانِ !
ويُسْعِفُهُ المـالُ الذي كمْ شَرَى بهِ
صحائفَ أقلامٍ وهمّةَ أعوانِ
فيحسَبُ أنّي في الهزيمةِ صاغرٌ وما هيَ الاّ رمزُ مجْدٍ لعرْفاني
ورُبَّ انتِصارٍ كانَ عاراً لربّهِ
ورُبَّ اندِحارٍ كانَ فَخراً لشُجعانِ!
وتُزْعِجُ قَوْماً هِمّتي وتَفَنُّني ويخذلُهمْ حُسْبانُهُمْ قَدْرَ حُسْباني
يَرَوْنَ جهُودِي لا حُدُودَ لفضْلها
ولستُ ـ وإنْ أعجزْتُ ـ أرْضى بإِمكاني
فيُدْهِشُهُم هذا التناقُضُ مثلَما يحيّرُ طِفلاً طَيْفُ نُورٍ بألوانِ !
كذلِكَ نَفْسي في ظُهورٍ تنوَّعَتْ
كَنُورٍ، وما أزْرَى بِها الحظُّ منْ شاني
وآبَى اعتِدَادِي في مَقامٍ تطَلُّعٍ
الى (الغَرَضِ الأسمَى) وأُنكِرُ إتقاني
وإنْ كُنْتُ في حال الدِّفاعِ مُهَنَّداً
أذودُ بحَقٍّ عنْ مَفاخرِ بُنْياني

فينقدُني مَنْ كانَ بالأَمْسِ ساعياً

لهدْمي كأنِّي في دِفاعي أنا الجاني!

كأَنَّ قبيحَ الذَّمِّ إنصافُ ناقدٍ

يُكالُ لمثلي كالجزاءِ لإِحْساني!

وأمَّا دِفَاعي أوْ مديحٌ يخُصُّني

بهِ الصَّحْبُ جَنْبَ النقْدِ فهوَ ككُفْرانِ!

***

فيا قَوْمُ إني قدْ رَضيتُ هزيمَتي

بعالَمِكُمْ زُوراً كأَشْرَفِ سلْوانِ!

تعيشون صَرْعى في المقابحِ دائماً

بجوٍّ كثيفٍ بالمفاسدِ غيمانِ [1]

وتأبوْنَ الأَ الزَّهْوَ والشُّهْرَةَ التي

مبادِؤُها تعزيزُ أسوأ بُهْتانِ

فلا عَيْشُكُمْ فيهِ رَجاءٌ لنهْضَةٍ

ولا مَوْتُكُمْ فيهِ فخارٌ لأَكْفانِ!

وإنْ جاءَ مِثْلي في تحرُّقِ نفْسِهِ يبثُّ بكمْ رُوحاً جديداً لأَذْهانْ

(١) غيمان : متلبد بالغيوم .

سخطتمْ عليهِ سُخْطَ غَدْرٍ كأنَّني
زَلَلتُ ببِرّي مِثْلَ أغدَر خوَّانِ!

فلا أنتمو اخترتمْ هُدًى في سبيلِهِ
ولا قد نأيتُمْ عنهُ في نبْلِ أقرانِ

ولكنْ أبَيْتُمْ أنْ يعزَّ مجاهِدٌ
وشئتُمْ لهُ ذُلاًّ كذُلِّ لكُمْ شاني!

فلمَّا أبَى هـذا الهوانَ وردَّهُ
جُنِنْتُمْ ورُحْتُمْ بيْنَ باغٍ وطَعَّانِ!

هنيئاً لكُمْ هـذا الجلالُ بعارِكم
وأهلاً بقَدْحٍ كانَ أكْرَمَ إعلانِ!

يُرَدِّدُهُ كالبَبَّغاءِ مُلَقَّنٌ
وأصداؤُهُ ما بيْنَ عِيرٍ(١) وأوْثان!



(١) العير : قافلة الحمير .!

تل العمارنة

أهذي بقايا الذِّكْرِ عن مَجْدِنا الأَسْمى
نحِنُّ لها طَيْفاً وتؤلمنا رَسْما ؟

أهذي (رسومُ الشَّمْسِ) أوْدُورُ مَنْ عَنَوْا
اليها تُناجينا فنُشبِعُها لَثْماً ؟

مَضَتْ ومَضَى الأهْلونَ والشَّمْسُ لم تَزَلْ
تنوحُ عليهِمْ في أشعَّتِها سَجْمَا !

كأنْ رَجمَتهُمْ للقرونِ حَواسِدٌ
فوَلَّوْا وهذِي الشَّمْسُ تدفنُها رَجْما!

تفيضُ سناءً كانَ تاريخَ أمْسِنَا
ونارَ سَعِيرٍ أحْرَقَ الجهلَ والوَهْما!

فما عاشَ الأَ مَنْ فُتِنَّا بنُورِهِ (١)
كأنَّا بها نَلْثُمُ الهُدى مِنهُ مُؤْتَمَّا!

فأجمِلْ بها نوراً ، وأكْرِمْ بها هُدًى
ووَحياً يُعزِّينا ويُلهِمُنا العَزْمَا !

(١) يشير الى (اخناتون) العظيم

* * *

وقفتُ على الأطلالِ في الحُلْمِ وَقفةً
فـكانَتْ ليَ الأمْسَ المُحقَّقَ لا الحُلْمَا!

فألفيْتُ نَفْسي قُرْبَ فِرْعَوْنَ ماثلاً
على (النِّيلِ) في بَخْتٍ يَشُقُّ بنا اليَمَّا

كأنّي وَزيرٌ قدْ حَكَمْتُ بأمْرِهِ
وهذّبْتُ في المُلْكِ العَضوضِ لهُ الحُكْمَا!

وأخلصتُهُ نُصْحي بغيرِ تحَرُّجٍ
فأخْلَصَني حبّاً وقَدَّرَني نَجْمَا!

ترَكنا مغاني (طِيبةٍ) منْ كراهةٍ
لشيعَةِ (آمُونَ) الذي بَسطَ الضَّيما

نُفتّش عنْ أرضٍ لعاصِمَةِ العُلَى
نُبجِّلُ في تبجيلها دِينَنَا الفَخْمَا

نُعامَاهُ توحيدُ العبادَةِ للْوَرَى
وللرَّبِّ تَوْحيداً نقدِّسهُ وَسْمَا

فُتنّا بوَحْيٍ منْ (أتُونَ) مُطَهَّرٍ
كأنّا رأينا ما عَداهُ لنا إثْمَا

فلمَّا انتقينا بقعةً طابَ حُسْنُها

بجَوْنٍ بديعٍ زانَ أجبالَه الشَّمَّا

تُقابِلُهُ حُسْناً حُليُّ جزيرةٍ تُداعِبُه لُطفاً وفي قُرْبِهِ تُحْمى

غمرْنا خشوعاً للجمال، وعندَها وجدْنا حِمى هذا الجمالِ لنا الغُنْما

وقدْ طَفَرَ الحُلْمُ اللذيذُ بنَشْوَتي

فكانَ مَقَرُّ المُلْكِ في لَمْحةٍ ينمى!

وذاكَ (بِكُ)[1] الفنَّانُ يَبْني صَوامِعاً

بِهَنْدسةٍ شاقَتْ بآيِنها العُظْمى!

تُمَثِّلُ دُنْيا للخلودِ، وغيرُها

برَغْمِ خُلودِ الفَنِّ قدْ مثَّلَ الهَدْما!

وقدْ بَسَمَتْ فوقَ الجزيرةِ شطْرَها

جواسقُ (أخْناتونَ) أُنْساً لنا جَمَّا

وفي حافةِ الجَوْنِ السَّعيدِ تنسَّقَتْ

بساتينُ قَصْرٍ زِدْنَ نِعمَتَهُ نُعْمى

مشاهِدُ أوْحَتْ للحياةِ جلالَها

وهزَّتْ صخوراً حوْلها حُسِبَتْ صُمّا!

---

(١) Beck ـ المهندس المصري الشهير في ذلك العهد .

غوالي قُصُورٍ في جِنانٍ تحدُّها
شَوَاهدُ[1] تأبى أنْ تُجيزَ بها هَمَّا !
وهذي تَرانيمُ الهيا كلِ أنْعَشَتْ
بأعذبِ موسيقى لها الرُّوحَ والفهْمَا
وهذي تَغاريدُ الطُّيُورِ تجاوَبَتْ
تُبثُّ بنا الإيمانَ والحُبَّ والسِّلْمَا
وهذي دَوَالي كَرْمَةٍ بعدَ كَرْمَةٍ[2]
وَهبْنَ الهوى قُرْبانَهُ اللَّثْمَ والضَّمَّا!
وهذي ذُرَى القصْرِ المنيفِ وقدْ حوَى
فُنوناً كما أرْضَى بهِ المَلِكَ الشَّهْمَا
تغنِّي الغَوَاني فيهِ قُرْبَ بُحيْرَةٍ
مقدَّسَةٍ حُسْناً ، مُنَمَّقةٍ رَسْمَا
وأسْرَةَ (أخناتون) ترْعَى بحُبِّها
رضَاهُ وتُسقيهِ الهوى الصِّرْفَ والنوْمَا
رَوائع يُشْفي الصُّمَّ والبُكْمَ سِحْرُها
ولمْ تُغْفِلِ المَوْتَى ولا شيْخَها الهمَّا !

(١) حجارة الحدود العاصمة . (٢) كرمة : Villa .

وهذي وُفودُ التَّابعينَ تتابَعتْ
تُرجّي من الأسعافِ ما يَمْحَقُ الحصا
فيُعرِضُ (أخناتونُ) عنهمْ مُفدِّياً
بملكِ بني الإنسانِ مهْما هوَى ظُلْمَا !

***

صَحَوْتُ فلم أُبْصِرْ سوى الأَمْسِ ظامِئاً
الى اليَوْمِ ، بَيْنا اليومُ في شَوْقِهِ أظْمَا !
رِمالٌ وأعْشابٌ تُعَفِّي خُطُوطَهُ !
ولكِنَّ قلبي لَنْ يفوتَ لها عِلْمَا !
و(مَعْبدُ طيفِ الشَّمْسِ[1]) مازالَ دَاوِياً
بِسَمْعي له شَدْوٌ فُتِنْتُ بهِ نَظْمَا !
وتِلْكَ القُصورُ الباذِخاتُ تلألأتْ
وشَفَّتْ عن المجْدِ الذي خَصَّها قِدْمَا
وتلْكَ البرُوجُ الشَّامخاتُ تَجلْبَبَتْ
بفضيٍّ لوْنٍ زَادَ بَسْمَتَها بَسْمَا

(١) هو المعبد الفخم الذي بناه (أخناتون) تكريما لوالدته الملكة (تي ـ Tiy).

وما (قصرُ آيٍ)[١] غيرَ آيٍ عزيزةٍ
من الفنِّ رَغْمَ الدَّهرِ تنفحنا اليوْمَا
طَواهَا البِلَى في أعيُنٍ لم ترَ السَّنَا
وفي سَرْنَجَ[٢] البيداءِ تلْقى العُلَى وَهْمَا!
وَخلَّدَها حُبُّ الجمالِ لخاطري
فأمتعتْ العيْنَ الشَّغوفةَ والشَّمَّا!
لمحتُ بها إبداعَ (أُوتا) وَجَنْبَهُ
(تُحُتْمُسُ)للاعجازِ في فَنِّهِ أوْمَا[٣]!
وألفيْتُ هذا (الدَّهْرَ) وهو يخصُّها
بوَجْدِ حيالي نادِماً فائضاً لوْمَا!
وملءَ النَّدى دَمْعٌ يُبَثُّ مُجدَّداً
وفي الشَّفقِ الباكي جُرُوحٌ لهُ تَدْمى!
وملءَ نُواحِ الطَّيْرِ شِعْرُ رِثائِها
لطيْرِ التصاويرِ التي خَلَفَتْ يُتْمَا!

(١) قصر آي (Ay) ــ وهو حمو أخناتون ــ كان معدوداً من أجل مباني العاصمة المصرية في ذلك العهد .

(٢) السرنج : الارض الواسعة المضلة التي لا يهتدى فيها لطريق .

(٣) كان أوتا (Auta) وتحتمس (Thutmose) معدودين في طليعة رجال الفن المبدعين في ذلك العصر، وكانت لهم آيات فنية جليلة .

وفي ألَق الفَجْرِ الحَزينِ بُكاؤُهُ
مفاخرَ عصْرٍ لمْ يكنْ جُودُهُ زَعْمَا!
وللبدْر في جَمْعِ الكواكبِ وقفةٌ
عليْها تُنادِي للفُنون بها أُمًّا!
ومِنْ كلِّ أرْبابِ (الطَّبيعةِ) هزَّني
سؤالٌ وتَحْنانٌ وهَمْسٌ لها أصْمَى [1]!
بكَتْ في عِبادَاتٍ لعصْرِ عبادَةٍ
سَمَا بشعور الرُّوحِ للمَطْلبِ الأَسْمَى!



(١) أصمى: جرح وقتل.

ممنون الفيلسوف

أو الحكمة الإنسانية

من أخص فروع الأدب الغربي ـ لا سيما في هذا العصر ـ التأليف القصصي سواء للمطالعة أو للتمثيل . والتأليف القصصي للمطالعة ينقسم عرفياً الى ثلاثة أقسام : (١) « الاقصوصة » ـ (Short Story) وأهم ما تعنى به تصوير حادثة فردية تصويراً محكماً كتصوير أزمة أو مفاجأة أو واقعة معينة خاصة بالحياة الانسانية ، و (٢) « القصة » ـ (Short Novel) وهذه عبارة عن رواية صغيرة ، وغايتها عادة دراسة الطبائع والسجايا ، فليست وقفاً على شرح أو تصوير حادثة أو أمر معين ، و (٣) « الرواية » ـ (Novel) وهذه قصة طويلة جامعة لمناظر وحوادث شتى ، كاشفة للغرائز والطباع والاخلاق الانسانية بما فيها من حل وتشريح وتفصيل . ومثال الاقصوصه : « طبيب المركز » لترجنيف، وممنون « الفيلسوف » لفولتير وهي موضوع هـذا النظم المرسل ، ومثال القصة : « كارمن » لمرميه و « شجرة التفاح » لجالزورثي ، ومثال الرواية : « أليفر توست » لدكنز و « تاييس » لأناتول فرانس . والنماذج الجيلة لهذا النوع من الادب الغربي تعد بالمئات وهي ذوات ألوان شتى ، فالغرض من عرض هـذه الاقصوصة (منظومة شعراً مرسلا في مائتي بيت بأمانة وافية للمعنى والسياق الفني) هو أولا التنويه بمثال من أرق الامثلة الاوروبية للأدب القصصي ، وثانياً لفت الانظار الى هذا النوع من النظم (وان يكن قديماً في الشعر العربي) حيث نعتقد أننا نخدم به الأدب العربي ونتصفه معاً ، فانه مثال لارضاخ النظم للشعر (وهو ما ينبغي أن يكون نهج الشاعر المطبوع) بدل ارضاخ الشعر للنظام (كعادة أهل الصناعة) ، وهكذا يؤدي ما ينشده المؤلف من وصف وشرح وتحليل . ويدعو القارىء الى متابعة المعنى والمغزى بكل تفكيره ، بدل التأثر بجرس الالفاظ وشعوذة البديع والقوافي .

(الناظم)

* * *

شاءَ (مِنُّونُ) أنْ يكونَ حكيماً بلْ إماماً وفيلسوفاً عظيماً
وقليلٌ هُمُو الذينَ تخلَّوْا دائماً عَنْ مثيلِ هذا الخيالِ!
قال (مِنُّونُ) : « ليْسَ لي حينَ أرْجوفي جلالِ أنْ أُصبحَ الفيلسوفا.
وأصيرَ السَّعيدَ حقّاً سوى هجْرِي جميعَ الأهواءِ... والأمْرُ سهلٌ!
أولاً ينبغي عليَّ التَّخلّي عنْ غرامٍ وعَنْ جمالِ النِّساءِ!
فاذا شِمْتُ ربَّةَ الحُسْنِ خاطبْتُ فؤادِي مُحَذِّراً عنْ يقينٍ
فأقولُ : الحذارَ منْ فتنةِ الخدَّيْنِ.... لا بُدَّ يعرِفانِ الذُّبولا!
وكذاكَ اللَّحظانِ سوْفَ يُحاطانِ بصبْغٍ مُنفِّرٍ قرْمزيٍّ!
وكذا الصَّدْرُ سوْفَ يُصبحُ رَخْواً ومُدَلّى : والرَّأْسُ أصلعَ يُفْلَجُ[1]!
ليْسَ لي غيرُ أنْ أُصوِّرَ للذهْنِ ما لا كذاكَ يؤذِي خيالي.
وبهذا التَّفكيرِ هيْهاتَ أنْ يبدُوَ لي الحسْنُ في وُجوهِ المِلاحِ!
ثانياً - واجبٌ عليَّ اعتِصامي دائماً باعتدالِ طبْعٍ ونفْسِ
فمِنَ اللغْوِ أنْ يُحاولَ إغْرائِي بلهوٍ أوْ خمْرةٍ واجتماعٍ
ليْسَ لي غيرُ أنْ أُمثِّلَ عقبايَ لنفْسي مِنَ الغُلوِّ المُسيءِ
في صُداعٍ وفي اضْطرابٍ بأمْعائِي وجِسْمي وفقْدِ رُشْدِي ووَقتِي

(١) يقال فلج (الرجل بالبناء للمجهول) أي أصابه داء الفالج.

وإذن سوف يصبح الأكل عندي بانياً ما هوى بفعل الطبيعه
فاذا صحتي دواماً بخير ولفكري خواطر وضاءه !
كل هذا سهل الى حد أني لا أرى في اتباعه أي فضل !
غير أني أرى التأمل فرضاً في انتهاجي سبيل هذا الرشاد !
فأنا ألمح اعتدالاً جميلاً دائماً في رغائبي وميولي
وأرى أن ثروتي في أمان عند رب الأموال جابي (بنيقه)
وأراني من يستطيع حياة مستقلاً ، وتلك أكبر نعمه
وأراني لن أصبح المضطر للسعي ماثلاً في (البلاط)
وأراني لن أحسد الناس عمري ، لا ولن يوجد الحسود لشاني
كل هذا سهل ، كذلك سهل أن أراعي الخلان دون خلاف
كل أقوالهم لدي حسان ، وكذا كل ما أقول لديهم ! »

***

هكذا كان حظ غرفته وضعاً لما ظن خطة الفيلسوف
ثم لما أتمها راح للشباك يرنو الى الطريق القريب
فرأى في جوار دانية الأشجار شخصين في تناقض سير
هذه منهما العجوز تراءت في صفاء ولا اضطراب لديها
بينما الغادة الجميلة لاحت في انفعال وفي زفير ونوح

وكأنَّ النوَاحَ والشَّجوَ زَادَاها جَمالاً على جَمالٍ أصيلِ
فاذَا « الفَيلسُوفُ » يغْلِبهُ المَشْهَدُ بالحزْنِ لا بحُسْنِ الفَتاةِ
فلقَدْ كانَ مزْمِعاً أنْ يردَّ الحُبَّ ، فاهتزَّ آسِفاً لِشَجاهَا
ومَضَى نازِلاً اليْها وَقد أضمَرَ وَعظاً (لِنيئيْتي) الصغيرهْ
ورَأى أنَّ أفْعلَ الوَعظِ حقًّا ما رأى أنَّهُ هُدَى الفيلسوفِ !

***

لاقَتْ الغَادَةُ الجَميـلةُ (مِمْنُونَ) فباحَتْ لهُ بما قَدْ دَهَاهَا
خَبَّرَتْهُ بلَهْجَةٍ شَفَّها الطُّهْرُ ورُوحُ التأثيرِ جنْبَ السَّذاجَةْ
وشكَتْ مِنْ أذَاةِ عَمٍّ لها قاسٍ ، وَما كانَ عَمُّها غَيْرَ وَهْمِ !
وَصفَتْ خبثهُ بسلْبِ غِناهَا المَوْهومِ في تفنُّنِ لصٍّ
وَبكَتْ خشْيةً مِنَ الغضَبِ العاتي الذي خصَّها بهِ في احتِكامِهْ
ثمَّ قالتْ : « أراكَ شهْماً حكيماً يرْتَجى نُصْحهُ بأزْمةِ عانِ
فاذَا جُدْتَ بالتنازُلِ تشْريفاً لبيْتي لفَحصِ عقْدَةِ أمْرِي
فيقيني أني سأنقذُ مِنْ قاسي هُمومٍ لها ارتباكي وخُسْرِي ! »
وكذا رَاحَ يتْبعُ (مِمْنُونُ) خُطاهَا لكيْ يُسرِّيَ عنها[1]
ولكيْ يفحَصَ الشؤونَ بإحكامٍ ويُبْدِي نصائحَ الفيلسوفِ !

(١) لكي يلقي عنها الهم .

***

بَلغتْ بيتَها فقادَتهْ كالغرِّ الى غرفةٍ تَبِشُّ بعِطْرِ
وبِلُطْفٍ دَعَتْهُ للمَجلِسِ الدَّاني اليها على الأريكةِ فَوْرَا !
بدأ بالجلوسِ وجهاً لوَجْهٍ في احْتِشامٍ والسَّاقُ فوْقَ السَّاقِ
وهيَ في لهفةٍ تقصُّ عليهِ ، وهوَ مِلءَ انتباهِهِ في استماعِ
وكذا أطرَقتْ تحدِّثهُ شَجْواً وبَعْضُ الحديثِ دَمْعٌ نثيرُ ...
ثمَّ أنّى رَنَتْ اليهِ رَأتهُ دائماً ناظِراً اليها بعَطفِ
كانَ ذاكَ الحديثُ عطفاً وعطفاً نامياً عِنْدَ مُلتقى النظَراتِ !
فاذا الصَّاحِبُ الجديدُ كثيرُ الهَمِّ يُعْنَى بشأنِها مِثْلَ فَرْضِ
ويَرَى كُلَّ لحظةٍ غايةَ الواجبِ إنقاذَ طُهْرِهَا منْ شَقاءِ !
وخِلالَ التَّحْديثِ منْ شِدَّةِ العَطفِ بفِعلِ التدرُّجِ المُسْتَحَثِّ
وكما تقتضي الحَرَارَةُ للبحْثِ تدَانى الأليفُ شَطرَ الأليفَهْ !
وتفانى (مِمْنونُ) في العَطفِ عنْ قُرْبٍ سَخياً بكلِّ أُنْسٍ رقيقِ
وتَمادَى ، وهكذا نَسيا البَحْثَ ولمْ يفطُنَا لما يَصْنَعانِ !

***

ثمَّ شاءَ القضاءُ في هذهِ اللَّحْظَةِ حَيْثُ السُّرُورُ يَطفُرُ طَفْرَا !

أنْ يكونَ الدَّخيلُ لا أحداً يُخْشَى سِوى العَمِّ ، وهوَ ذاكَ الخصيمُ !
قد كساهُ السِّلاحُ مِنْ قِمَّةِ الرَّأسِ الى الكعْبِ مُرْهِباً حَيْثُ لاحا !
قال فوْراً — وكانَ أوَّلَ ما قالَ — بأنَّ المماتَ حَتْمٌ جزاءٌ !
سوفَ يقضي على الفتى وعليْها . . . ذاكَ عدْلٌ وحقُّهُ دُونَ شكٍّ !
غيْرَ أنَّ الفتاةَ لم تَسُؤ الصاحِبَ رَغْمَ اقْتِدارِها في الهُرُوبِ !
فدَعَتْ للفِداءِ (مِمْنُونَ) إذْ أَوْحَتْ اليهِ الفِداءَ بالمالِ سَهْلاً . . .
طالما لمْ يضِنَّ حيثُ ترى العَمَّ جواداً بالصفْحِ طوْعاً لمالِ !
فاشترى هكذا بكلِّ الذي كانَ لديهِ الحياةَ دُونَ انتِظارِ !
حامِداً ربَّهُ فقدْ كانَ في رَوْعٍ ويأسٍ وحَيْرَةٍ وارْتباكِ !
وبتِلْكَ الأيامِ كانَ منَ الحظِّ التَّصافي بمثْلِ تلْكَ السُّهُولَهْ !
لم يكنْ وَقْتَها اكتِشافٌ لأمْريكا ، ولا الشاكياتُ كالشَّاكياتِ
حيثُ أصبحْنَ مظهَرَ الخطَرِ الجاني بهذا الزَّمانِ وازْدَدْنَ خُبْثاً !

***

عادَ (مِمْنُونُ) في ارْتباكٍ وفي عارٍ الى بيتِهِ يَئِنُّ خَجُولاً !
فرأى دَعوَةَ العشاءِ أتَتْهُ منْ فَرِيقٍ مِنْ أخلصِ الخِلاَّنِ
عندَها قالَ : « لو بقيتُ ببيتي في اعتِزالٍ لزِدْتُ ذهني ارتباكاً

وتجنبتُ ـ في اشتغالي وهمّي بالذي ذُقتُه ـ مذاقَ الطّعام

وبهذا أكونُ مَنْ يجلبُ السقمَ الى نفسِه فأغدُو مريضاً .

فأرى الاحكمَ القُبولَ فأقضي فترةً بيْنَ أصفيائي هنيئا

آكلاً بعضَ وَجبةٍ في ائتنَاسٍ سوفَ أنْسى بهِ ذُنوبَ جنوني !»

وكذا رَاحَ شاكراً دَعوةَ الصّحْبِ ومستَسلماً الى الأُنْسِ فيها

ورَأوْه على اكتئابٍ فقالوا : أغْرِقْ الهمَّ في الشّرَابِ المعين!

عِنْدها لم يَلجْ (لممْنونَ) الاّ كلُّ خَيْرٍ وراءَ هذِي النّصيحَهْ

فقليلٌ مِنَ الشّرَابِ بقَصْدٍ[1] كعزاءٍ لِقَلْبِ رَبٍّ ومَرْءِ[2] !

هكذا شاءَ أنْ يُعلَّلَ حتى صارَ بالبَحْثِ هكذَا سكرانَا !

ثمّ بَعدَ العَشاءِ حَنُوا الى النّرْدِ فما خافَ مِنْ مُحِبّيهِ شرّا

ذاكَ أنسٌ لا شكَّ بينَ مُحِبّينَ وما كانَ مِثْلُ هــذا يَضُرُّ ..

وبهذا الشُعورِ ضَيّعَ في اللّعْبِ جميعَ الذِي لديْهِ وزَادَا !

زادَ أضعافَه دُيوناً عليهِ واعِداً ردَّها ، فضاعَتْ وضَاعَا !

ثمّ قامَ النّزاعُ في سَوْرَةِ اللّعْبِ وزادَتْ حرارَةُ الانقِسامِ

(١) القصد : الاعتدال . (٢) المرء : الانسان أو الرجل ، مثناه مرآن ، والنسبة اليه مرئي ، والجمع رجال من غير لفظه ، وقيل مرؤون كما في حديث الحسن : « أحسنوا املاءكم أيها المرؤون » . ـ (أقرب الموارد) .

فاذا صاحبٌ حميمٌ له يَرْمي على رأسِهِ بصندوق نَرْدِ!
وقَفى الشُّؤمُ أن يكونَ مُصيباً عَيْنَهُ هكذا فيفقأَ عَيْنَهْ!
وكذا الفيلسوفُ (مِنُونُ) إذْ يُنقَلُ في نكبةٍ الى عقْرِ بيْتِه
فاسِدَ الرُّشْدِ خاوِيَ الجَيْبِ فاقِدَ عيْنٍ بلا عزاء يُؤاسِي!

***

ثمَّ لَمَّا أفاقَ منْ ذلِكَ الهوْلِ كمَنْ ذاقَ نكبةً بعْدَ دَعارَهْ
أرسلَ الخادِمَ الأمينَ — ليأتي بنقودٍ لهُ — لجابي (— نِنيقَهْ)
طَلَبَ المالَ كيْ يردَّ الى الصَّحْبِ دُيونَ القمار ، وَالدَّينُ دينُ...
غير أنَّ الخدَّامَ في فشَلٍ عادَ بذكرى خرَابِ مَنْ رَاحَ يَرْجو
حيْثُ في صُبْحِ ذلكَ اليوم قد أُعلِنَ إفلاسُهُ كشَرِّ مُدَلِّسْ
وبهذا أضحى مئاتٌ منَ النَّاسِ بفقْرٍ وفي نهايةِ يأْسٍ!
صار (مِنُونُ) شبْهَ أعزَلَ لا خِلَّ لهُ ولا قَريبٌ معِين
وعلى عينِهِ براحتِهِ ألْصَقَ بعْضَ الدَّواءِ قبْلَ الخُروجِ
ذاهِباً (للبلاطِ) يلتَمِسُ العَدْلَ وفي جَيْبِهِ عريضَةُ شكْوى
سائلاً مِنْ جلالةِ الملِكِ النَّصْفَ منْ ذلِكَ المدلِّسِ بَغْيا [(١)]
ثمَّ لَمَّا أوْفى على البَهْوِ [(٢)] ألفاهُ مَليئاً بسيِّداتٍ حِسانٍ

(١) النصف : الانصاف . (٢) بهو القصر .

في اختيالٍ بواسِعات مِنَ الاطواق[1] يرفلن في ابتهاجٍ عظيمِ

فرَنَتْ شَطرَهُ فتاةٌ وقدْ كانَتْ على أهْوَنِ اتّصالٍ ضئيلِ !

ثمَّ صاحتْ « أوّاهْ : ما أفظعَ الوَحشَ ! » وجاءَتْ أخرىاهْ كصديقه

في اعتراض ، فبعدَ أنْ هيَ حيّتهُ تحايا موَدَّةٍ ، سألتْهُ :

« علّكَ الآنَ رَهْنُ خيْر ... ولكنْ كيفَ قدْ صِرْتَ فاقدَ العيْن ؟! ... قلْ لي ! »

ثمَّ دُونَ انتظارِ أجوبةٍ منهُ تولّتْ بخفّةٍ بلْ بسُخْرٍ ! !

فتنحّى (ممْنُونُ) واختارَ رُكناً لاحتِجابٍ حتى يَلُوحَ المليكُ

ثمَّ يَهْوي أمامَ موْطِىءِ نَعليْهِ فيرجو الإنصافَ مِنْ شَرِّ ظُلْمِ

وأخيراً دَنا المليكُ فحيّاهُ ثلاثاً مقبِّلاً لِثراهُ

رافِعاً نحْوَهُ العريضةَ في ذُلٍّ كثيرِ الخضوعِ والاضطِرابِ

غيْرَ أنَّ المليكَ لاقاهُ باللُّطفِ وقَدْ خَصَّ بثّهُ بالرِّعايهْ !

فدَعَا والياً بقرْبِهِ منهُ لدرْسِ العريضَةِ المُستفيضَهْ

طالباً منه أنْ يُوافيَهُ بعْدُ بصفْوٍ[2] الذي بها مِنْ شَكاةٍ

بيدَ أنَّ الوالي تنحّى (بممْنونَ) الى جانبٍ وقالَ بسُخْرٍ :

---

(١) Hoops · (٢) بخلاصة .

«إيهِ يا أعورَ الأنامِ ! ... أتدري انكَ اليومَ مثلُ كلبٍ سخيف؟!
أنتَ حقًّا هــذا ! والآ فما معنى تخطّي مثلي الى التّاجِ فورًا ؟
ثمَّ كيفَ اجترأتَ تلتمسُ الحكمَ لِغرْمِ امرِىءٍ شريفٍ عديمٍ
كانَ إفلاسهُ شريفاً ، وأيضاً هوَ عندي بمنزلِ المحسوبِ
جمعتهُ قرابةٌ بفتاةٍ حظُّها أن تنالَ خدمةَ زوجي . [1]
فلتقِفْ يا «صديقُ» في ذلكَ السّعيِ اذا شئتَ حفظَ عينٍ تبقّتْ!»

***

كانَ (منونُ) رهنَ غرفتهِ يقسِمُ أنْ يهجرَ النّساءَ بتاتَا
وكذاكَ الإسرافَ في الأكلِ والشّربِ وفي اللعبِ والتّشاحنِ أيضَا
وأخصَّ الأقسامِ في عزمهِ الأوفى مدى عمرِهِ اجتنابُ (البلاطِ)
وهوَ في فترةٍ مداها يومٌ سلبتهُ رشيقةٌ مختالهْ !
ثمَّ صارَ السّكيرَ واللاعبَ النّردَ وغرًّا مشاجراً ثمَّ أعورْ
ثمَّ لمْ يحظَ في (البلاطِ) بشيءٍ غيرَ سخرٍ بهِ وغيرَ شتيمه !

***

عادَ (منونُ) صوبَ منزلهِ يشجى بحزنٍ بهِ تهدَّمَ قلبُهْ !

---

(١) تطلق هذه الكلمة على البعل وعلى الزوجة سواء، حسب المناسبة .

حَجَّرَتْهُ الأحداثُ في دَهْشَةِ الظُّلْمِ فما كانَ غيرَ إِلْفٍ ليأسِ

وهوَ بينَا يُريدُ أن يَدْخُلَ البيْتَ رأى شُرْطةً بنقْلِ متاعِهْ !

حضرُوا في غِيابهِ وتولَّوْا بَيْعَ هـذا كما اقتضى دائِنوهُ !

فَهوَى في الأسى كَمَيْتٍ طَريحاً تحْتَ إِحْدى الأشجار.. والمَوْتُ أَرْحَمْ !

فرأى غادَةَ الصَّباحِ وذاكَ « العَمَّ » في مِشيةٍ بلَهْوٍ مُباحِ

نَظرَاهُ فأطْلقَا ضحكةَ الْهزْءِ بمـا فوْقَ عينِهِ منْ رُباطِ !

ثمَّ جاءَ المساءُ فاضْطُرَّ (ممْنُونُ) الى أنْ ينامَ قُرْبَ جدارِ

نَامَ في قُرْبِ بيْتِهِ فَوْقَ قشٍّ ، فأصابتْهُ نوبةُ البُرَدَاءِ

وبأثنائِها تداركَهُ النَّومُ ، وفي النَّوْمِ لاحَ طيفٌ سماوي !

***

كان طَيْفاً له تألُّقُ نورٍ ولَهُ في الجمالِ ستَّةُ أجنُحْ

إِنمـا لمْ يكنْ لهُ قَدَمَانِ ، لا ولا الرَّأسُ ، لا وَلا شِبْهُ ذَيلِ

وإذَنْ لمْ يكنْ شبيهاً بشيءٍ بيننا في مجالِ هذِي الحيـاةِ !

قال (ممْنُونُ) : « مَنْ تُرَى أنتَ » ؟ . . . قال الطيفُ :

« رُوحٌ مُصَادِقٌ وكريمُ » !

قال (مِمْنُونْ) : « فلْتعِدْ لي إِذَنْ عَيْني ومالي وصِحَّتي وجَناني . . . ! »

ثم قَصَّ الذي نجنى بهِ اليَوْمُ عليهِ مِنَ المُصابِ الأليمِ
فأجابَ الخيالُ : « هذي أعاجيبٌ ولنْ يُلتقى بها في دُنانا »
قالَ (مِمْنُونُ) : « أيُّ دُنْياكَ هٰذِي ؟ » فأجابَ الخيالُ :
« دُنْيايَ كونٌ :

بُعْدُهُ خمسةُ الملايين بالفَرْسَخِ عَنْ منزل لشَمْسِكَ هٰذي :
هوَ نَجْمٌ يَدُورُ في جيرَةِ (الشِّعْرَى) وهٰذِي اذَا نَظَرْتَ تَرَاهَا »
« مَوْطِنٌ مُعْجِبٌ ! » .... تفاءَلَ (مِمْنُونْ) ، وقالَ : « النِّساءُ
- لا شَكَّ - فيهِ

غيرُ أمثالِ مَنْ يُبِحْنَ خِدَاعاً لفتًى ضائعِ المُنَى مسكينِ !
لا يبزُّ الصِّحَابُ مالَ صديقٍ ، ثم يَغْدُو وَعَيْنُهُ مفقودَهْ !
لا ولا فيهِ مَوْطِنٌ لأُولي التَّدْليسِ والخُسْرِ أوْ لوالٍ خبيثِ
ضاحِكٍ منكَ هازِيءٍ بينما يأْبَى وَفاءً لِفَرْضِ حَقٍّ وَعدْلِ ! »
فأجابَ « النَّجْميُّ » : « لا ! ... ما لدَيْنا مِنْ شؤُونٍ وَصَفْتَها
بعضُ شيءٍ !

ما عَرَفْنا إساءَةً منْ نِساءٍ في خِداعٍ فليْسَ فينَا نِسَاءُ !
لا وَلا سَاقَنا التوَرُّطُ في الأَكلِ الى مَا يَسُوءُ مِنْ إفرَاطِ

حيثُ لَسْنا نَدْري مِن الأكل شيئاً وكذاكَ الشّرابُ ليسَ لدَينا

وحَمِينا مِنْ مُفلِسِينَ فلَسْنا مِنْ أولي المَالِ مِنْ نُضَارٍ وفِضَّهْ

وحَمِينا فَنَدَ العيُونِ لأنّا ما خُلِقْنا مِثالَكم في جُسومِ

وحَمِينا ظُلْمَ الوُلاَةِ لأنّا كانَّا دائماً بقَدْرٍ سَواءٍ! »

قال (مِمْنُونُ) : « إيهِ مولايَ! قُلْ لي : كيفَ تقضُونَ وقتَكمْ في الحيَاةِ

حيثُ لا نِسْوَةٌ لديكم ولا أكلٌ؟! » فقال الجِنّيُّ : « بيْنَ العَزَاءِ

حيثُ نَرْعَى عوالمًا قد سُئِلْنا أنْ نُوَاسَى، فجئتُ كيما أُواسِي »

قالَ (مِمْنُونُ) : « كيفَ لم تأتِ بالأمْسِ حؤولاً بَيْني وبَيْنَ ذُنُوبي؟ »

فأجابَ الجِنّيُّ « قد كنتُ في صُحْبةِ سَلوَى لبائسٍ منكَ أشقَى

كنتُ أُعنَى بما جنى (حَسَنٌ) - وهوَ أخوكَ المِسكينُ - عُقْبى لذنبِ

إذْ قَضَى صاحبُ الجَلالةِ سُلْطَانُ (الجُزُرِ الهِنديَّةِ) الأمسَ فيهِ

كانَ قدْ شرَّفَنهُ خدمتَهُ قبلاً بنُعمَى مُوَظَّفٍ في (البَلاَطِ)

ثمَّ مِنْ أجلِ هَفْوَةٍ صارَ مَغضُوباً عليهِ فغَابَ في السِّجْنِ ذُلاَّ

وقضى عدلُ صاحبِ التَّاجِ أنْ تُفقَأَ عَيْناهُ وَهوَ في الأغلالِ؟! »

قالَ (مِمْنُونُ) : « ذاكَ حظٌّ سعيدٌ حيثُ أنتَ المَعدُودُ نِعمَةَ أسْرَهْ

حينَ أمسى أخي ضريراً وأمسيتُ شقياً بفقدِ عيني أيضاً ! !
وهوَ يقضي حياتهُ رهنَ سجنٍ ، وأنا ها هنا رهينٌ لنعشٍ ! »
فأجابَ النجميُّ : « سوفَ تحولُ الحالُ ... لا تخشَ بعد ذلك شرّاً !
وصحيحٌ هيهاتَ يُؤمَل أن ترجعَ عيناً فقدتَها دون عوْدِ
إنما رغمَ فقدِها سوفَ لا تعدم صفواً اذا تعهّدتَ صدقاً
باجتنابِ الوسواسِ في الرأسِ يدعوكَ لكي تقتدي الحكيمَ الأتمّا »
« أتُراهُ المحالَ ؟ ! » ساءلَ (ممنونُ) ... فقالَ الجنّيُّ :
« طبعاً محالُ !
« مثلهُ مثلُ أنْ تنالَ كمالاً بجنانٍ وقوةٍ وسرورِ
وترانا حتى على قدرِنا نبعدُ جداً عن مثلِ هذا الكمالِ
وُجِدَ العالمُ الذي فيهِ هذا مستطاعٌ ، لكنّهُ كالمحالِ :
فهوَ ينأى عنّا مئاتٍ لآلافِ الملايينِ في العوالمِ نائيا
كلُّ شيءٍ في الكونِ يمضي بمقدارٍ وينمو على نظامِ التدرّجْ .
فترى ثانيَ العوالمِ يحوي منْ حجىً أو هوىً نصيباً أقلّا
وترى ثالثَ العوالمِ أدنى هكذا منْ نصيبِ ما كانَ قبلهْ
وأخيراً تضيعُ فلسفةُ الفكرِ فلا يُرتجى سوى البلهاءِ ! »
قالَ (ممنون) : « إنّي صرتُ أخشى أنَّ دُنيايَ في ترابٍ وماءٍ

هيَ مَأوَى جُنونِ شتّى المَلايينِ لتِلكَ العَوالمِ المُسْتعِزّهْ

حيثُ شرّفْتني بذِكركَ يا موْلايَ عنها ، كذاكَ شوّقْتَ أُبّي ! »

فأجابَ الجنّيّ : « ليْسَتْ تماماً هكذا بينما تعدّ شبيهَهْ !

كُلّ شيءٍ لا بدّ مِنْ مَنْزلٍ يسكنُ فيهِ تدرّجاً بانتِظَامِ !! ... »

قال (مِمْنونْ) : « هلْ فلاسِفةُ النّاسِ وأهلُ الاشعارِ أهلُ الضلالِ

فلكم صوّرُوا لنا هذهِ الدّنيا جَمالاً وكُلّ شيءٍ لخيْرٍ ؟ »

فأجابَ الجنّيّ : « قد صدَقُوا حقّاً اذا عُدّ حُكْمُهمْ نِسْبيّا

أيْ اذا نحْنُ لم يفتْ ذِكرُنا الأشياءَ في نِسْبةٍ لحُكمِ التدرّجْ

ونَظَرْنا الى الوُجودِ جَميعاً لا الى عالَمٍ وَحيدٍ صغيرٍ ! »

فأجابَ المِسكينُ (مِمْنونُ) : « هيْهاتَ ! لمثْلي تصديقُ هذي الحكايَهْ

قبْلَ أنْ أستَعيدَ ناظِريَ المَفقُودَ في نكبَتي بِالأمْسِ يومْ !! »



عذراء الربيع

لعلها في زفيف[1] الريح لاعبة
جاءت مع الفجر تحيي ميت أحلامي

هذي خيوط لها مدت فأحسبها
نوراً من الشمس ، بينا الشمس أوهامي

وذاك إغواؤها المزجي عنادلها
الى افتتان فيذكي حبي النامي

وذاك نفح أريج من خمائلها
كأنه جاء بالمعسول من جام !

فليس هذا أوان النوم يسعدني
فبرها لم يكن طوعاً لنوام

عبادها في المروج الخضر قد مرحوا
وذاك عيد لها بل زينة العام

عيد النسيم وعيد الزهر قد جمعا
وعيد ظمأى لأرواح وأفهام !

(١) مريه .

***

(شَمُّ النَّسيمِ) وما أحلَى مَوا كبَه
يومٌ يُتوَّجُ فيهِ حُسنُها السَّامي !
و(الفنُّ) قُرْبانُها المحبُوبُ أرفعُهُ
فاغنَمُ الحظَّ منهُ غُنْمَ إلهامِ !
في كُلِّ ما حاطَني مِنْ لُطفِها قُبَلٌ
جاءتْ شِفاءً لجُرْحٍ غيرِ مُلتَامِ
وإنْ تكنْ صوَّبتْ نحوي مُسَدَّدَةً
سِهامَ (كوبيدَ)[1] مِنْ سِحْرِ الهوَى الرَّامي
فأشْتَفي مِنْ هوًى عامٍ مَضَى بهوًى
ويخْلُفُ الجُرْحَ جرْحٌ آخرٌ دَامِ !
مُسْتَمْرِئاً ألمي المحْبُوبَ مِنْ نَهَمي
وراضياً (للجَمالِ) السَّمْحِ[2] إيلامي
مُؤَلِّهاً مَنْ زَهَا حُسْنُ (الرَّبيعِ) بها
مُسْتَعْذِباً أمْرَها ما بَيْنَ أنْغامِ !

(١) Cupid ـ اله الحب . (٢) السخي الكريم .

الشفق الباكي

لا الشِّعْرُ شِعْرٌ ولا الأَوْزانُ أوْزانُ
انْ فاتَهُ من شُعُورِ الكَوْنِ ميزانُ

هـذا هوَ الشَّفقُ الباكي بحرقتهِ
وهذهِ السُّحْبُ فيها الدَّمعُ نيرانُ!

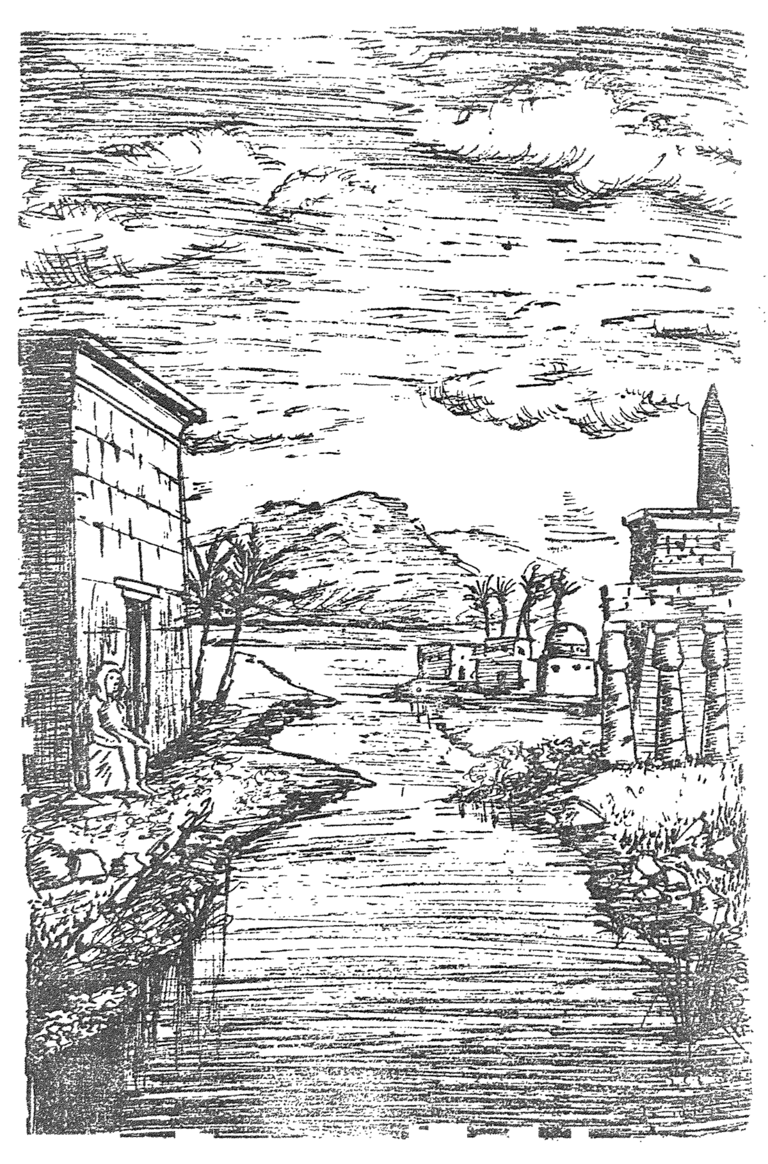
بانتْ عن الشَّمْسِ فارتاعَتْ لفُرقتها
كما يُراعُ لدَفْنِ الحسنِ هيمانُ!

وذلكَ الهيكلُ المَصْدُوعُ يملؤهُ
حزنٌ، وتَطْفو على مَرْآهُ أحزانُ!

وهذهِ العُمُدُ - اللاتي يُشقّقها
ذِكرٌ وَوَجْدٌ - بَراها الآنَ تحنانُ!

لها الشُّعاعُ غِذاءٌ تستَعينُ بهِ
على الزَّمانِ، إذا لم يَقْوَ إنسانُ!

وهذهِ الشَّمْسُ في الأجْيالِ تحرُسُها
كأنَّما هيَ بعدَ اللهِ رَحْمنُ!



فإنْ تَغِبْ فجمالُ (الفنِّ) مضطربٌ
والجوُّ ملتهبٌ ، والماء أسوانُ !
يَجْرِي الغديرُ بهِ في رَوْعةٍ عكَسَتْ
نارَ السَّحابِ ، كأنَّ الماءَ ظمآنُ !
وتُبْصِرُ السَّاكنَ التِّمثالَ في أسَفٍ
كأنَّما ذَلِكَ التِّمثالُ فنَّانُ !
وتَحْسَبُ السُّحْبَ قدْ لاقتْ مِسلَّتهُ
وقدتشاكيْنَ ، بينَا الليْلُ خَجلانُ !
والبَدْرُ في الجانب الشَّرْقيِّ مُرْتقِبٌ
حبًّا ، وما لجديدِ الحبِّ إيذانُ
وهذِهِ القَريَةُ الآسي النَّخيلُ بها
قد لفَّها بظِلالِ النَّارِ شيطانُ !
وذلِكَ التَّلُّ لا شيءٌ يُقاسُ بهِ
في بُغْضِهِ الليلَ ، حيثُ الليْلُ خوَّانُ !
يمُوتُ مَوْتَ شريدٍ في الظَّلامِ الى
أنْ تَبْعَثَ الخلْقَ أضواءٌ وألحانُ !
أمَّا أنا فأنا الباكي الصِّبا حرَقاً
ولن تُعيدَ مُضاعَ الأُنْسِ أشجانُ

والنَّادِبُ الحبَّ ، والحبُّ العزيزُ اذا
وَلَّى فما لشهيدِ الحبِّ سُلْوَانُ
كأنما الشَّفَقُ الباكي يمثلني
لكنَّ حزْنِيَ أضعافٌ وألوانُ!
الأرْضُ تُشْجَى التياعاً للفراقِ وإنْ
جاءَ الصَّبَاحُ بوَصلٍ منهُ تزدانُ
فكيفَ بي وأنا المحْرُومُ في زَمني
وكُلُّ عُمْري تباريحٌ وحِدْثانُ ؟ !



ثورة الرأس

تاقتْ لِلبْسِ القُبَّعَا ... تِ من الرُؤوسِ الثائِرَهْ
فاذا بقَوْمٍ أعلنوا : ... « هذي عقولٌ خائرَهْ
الشَّمْسُ تلفحها فتبـ ... قيها بسقْمٍ حائِرَهْ
أوْلى بهـا طبُّ الجنو ... نِ أو احتضانُ القاطِرَهْ !
لا خيْرَ يُرْجى مِنْ مرا ... ضِ الفكرِ حتى الآخرَهْ ! »

***

واذا سِواهمْ أعلنوا : ... « بئسَتْ نفوسٌ جائرَهْ
متحكّماتٌ في اللبا ... س ، وفي المفاخرِ عاثرَهْ
فيمَ التمسكُ بالقديـ ... مِ اذا طرّحتَ مفاخرَهْ ؟!
ننسى مآثرَهُ ونرْ ... ضى أنْ نُذِلَّ مآثرَهْ
وأعزُّ ما نُعْنى بهِ ... أوْهامُ ماضٍ آسِرَهْ ! »

***

فسمعتُ ما احتكما بهِ ... بأسمِ الظُّرُوفِ القاهرَهْ

فإذا الحقيقةُ أصدرَتْ ... حُكمَ الحيـاة الآمِرَهْ :

« إنَّ الحيـاةَ تجدُّدٌ ... انَّ الحضارَةَ كافِرَهْ !

ما كانَ أجدى لن يد ... ينَ ولا لحـكمٍ جبابِرَهْ

والأصلحُ الأبقى ولوْ ... لاقى الجيوشَ الكاسِرَهْ !

في الغَرْبِ أمْ في الشَّرْقِ أم ... في ظلِّ (مصرِ القاهِرهْ) ! »



أدب الأمير

(١)

رومة ٥ مارس ١٩٢٦

حضرة الاديب النابغة نفع الله به

فضلك على رأسي فيما خصصتني به من الخطاب
في ابياتك الأبيّة وابديته ولا تزال تبديه من
الحمية العربية واني والله لخجلان من تأخري عن اداء
واجب شكرك وكنت اهمّ بذلك كل يوم ولكن فظائع
الفرنسيس في بلادنا اذهلتنا عن كل عمل الا المكافحة
فتقبل عذري بكرمك وتهنئتي لك على خلقك وأدبك
ونفع الله بك العرب والسلام عليك ورحمة الله

المخلص
شكيب
ارسلان

العنوان الدائم في
Hôtel Balmoral, Lausanne

(٢)

سيدي الأمير شكيب أرسلان

كالثَّلجِ (١) يبسِمُ للنواظِرِ نُورَا
أمْتَعْتَ وجدَاني الوَفيَّ شعُورَا

وافَى كتابُكَ في جميــلِ تواضُعٍ
ومنَ التَّواضُعِ ما يُجلُّ أميرَا !

وبدتْ (لِرُومة) فيهِ عِزَّةُ (قيصَرٍ)
وإباؤُهُ ، فلثَمْتهُ تقدِيرَا !

ايهاً أميرَ الفَضْلِ في آدَابهِ
عِشْ ما استطَعْنَا أنْ تَعيشَ كبيرَا

في غيرِ أُبهَةٍ وغيرِ تفرُّدٍ في جهْدِ مَنْ نَفعَ العبادَ قديرَا

انّي أُحاذِرُ من ثنائِكَ مثْلَمَــا
يَخْشَى المُغرَّقُ بالضياءِ النُّورَا !

واذا ضَمِنْتَ ليَ السلامةَ لم أزَلْ مستغفِراً حَمْداً بذَلْتَ وَفيرَا

دِينٌ على كلٍّ الذينَ تنعَّموا
بحجاكَ أن تلقَى حِجاكَ فخورَا !

(١) اشارة الى طبيعة سويسرا التي اتخذها الامير وطنا ثانيا له .

بالأمسِ حرَّرْتَ البلاغةَ قادراً ... واليومَ تُنقِذُ شعبكَ المأسورَا[1] !

المخلص

أحمد زكي ابو شادي

(١) للأمير شكيب ولآل أرسلان جميعاً جهود شريفة مشهورة لتحرير سورية ، وللأمير شكيب خاصة فضل عظيم على الادب العربي الذي هو في طليعة أعلامه . وبهذه المناسبة يروقني أن أنقل هذا التقدير عن صحيفة (كوكب الشرق) الغراء من قلم كاتب عربي كبير . قال : « أمراء آل أرسلان ، التنوخيون المناذرة القحطانيون ، ساكنو اليمن فالعراق فسورية ، تاريخهم قبل الاسلام وبعده ، منذ خمس عشرة مائة من السنين بل أكثر ، تاريخ جهاد شريف في سبيل العرب ، وذب عن سياج العشيرة والأهل والديار ، حملوا ملكا وتاجا حقبا من الدهر طويلة ، فكان ملكهم عربيا بحتا من العرب وللعرب ، وكان تاجهم خالصا مرصعا بمفاخر عظيمة يظل التاريخ حافظا لها على منقضى الاجيال . ولما قامت الفتوح الاسلامية في سورية حمل أمراء هذه الاسرة العلية الشأن أعلام الفتح ومشوا من العراق فنزلوا سوريا أمراء حكاماً أعزة كراماً ، واستوطنوا جبل لبنان استيطانا منيع الحمى ، عامر الدار ، فاعتز بهم الاسلام اعتزازاً كبيراً ، وكانوا ممكنين للعرب والعروبة العرباء في تلك الربوع تمكينا باقيا الى يوم الدين ، فاذا ما جئت تتصفح تاريخ الامراء الارسلانيين وجدته كناية عن جماع الشرف والفخر ، تتجلى لك فيه نفوس هؤلاء الغطاريف مفطورة من خالقها الذي أبدعها على حب حفظ الذمار القوميـة ومنافحة أعداء العرب والطامعين فيهم ، عزهم منتزع من لباب الجهاد في سبيل العرب ، ومصدر مفاخرهم مشتق من أكرم المعادن وخيرها ، تراهم في كل عصورهم وهم يبنون مجدهم ويخلدون ذكرهم تمرون أمامك في التاريخ قواداً مجاهدين عظماء كباراً ، معقودة عليهم ألوية الدفاع الوطني ، وملوكا أمراء أهلا للامر والحكم ، فهم تحت جناح الحرب في الطليعة ، وتحت جناح السلم في المنزلة الرفيعة . عرقهم أطهر عرق متحدر من أرومة العرب ، ولحاؤهم لا ينتفض الا على عود العرب . هذا شأنهم خلقاً وجبلة طيلة تاريخهم وهم عرب اليمن والعراق وسورية » .

الحياة المشتركة

أبيات ارتجالية في واقعة حال ، حيث وصف الشاعر فراشة سقطت على طربوش صديقه العلامة الاستاذ عبد القادر عاشور

وترى الفَراشةَ فوْقَ زينةِ رأسِهِ
مجْذُوبةً لجِنانِهِ المُزْدانِ !

فكأنما عبَقُ الشّعورِ بدا لها ... وكأنما سكِرَتْ بشَهْدِ جنانِ !
فتظَلُّ باسِمَةً عليْهِ بلوْنِها ... وبتيهِهَا في نَشْوَةِ السكرانِ !
وكذا نُبُوغُ العقلِ يجذِبُ فاتِناً ... في الخَلْقِ نحوَ جمالِهِ الفتّانِ !

إنَّ الطَّبيعةَ في تنوُّعِ شكلِها
مَثَلانِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ احسانِ

وبها الصَّغيرُ قرينُ كلِّ مجلّلٍ ... في الرُّوحِ انْ طُبِعَا على الاتقانِ
مَنْ ذا يقولُ بأنّ ذلِكَ خالدٌ ... وأخوهُ في حُكمِ الطبيعةِ فانِ ؟!
وكلاهما نوْعُ الحيـاةِ دقيقةً ... وكلاهما نوْعٌ منَ الإِنسانِ !
إنَّ الحَياةَ اذَا بحثْتَ مُشاعةٌ ... ولرُبَّ ما اختَلفَا بها صِنوانِ



تمثال دلسبس

أبيات ارتجالية

تلقاه أروع [1] شامخاً ... في موقف البطل الخطيب !
في بزة الرجل الشريـ ... ـف وخضرة الوادي الخصيب
يرنو ويومي مثلما ... يرنو الحبيب الى الحبيب !
وهو الرقيب وليس يعـ ... ـيا من مشقات الرقيب
وهو العجيب ممثل ... ما شاء من معنى عجيب
حفوه بالصخر الأصـ ... ـم وحوله سور القلوب !
وجميل تقدير الشعو ... ب كأنه علم الشعوب
وعلى السفين أمامه ... عطف القريب على القريب
وله و (مصر) ازاءه ... وعظ الصديق لدى الخطوب
يوحي بناطق صمته ... عتب الأصيل على الجنيب
وينوب عنها في بليـ ... ـغ السخط في اليوم العصيب
والموج ينشد حوله ... بشراه الأمل القريب !



(١) الاروع [: من يعجبك بشجاعته وشهامته .]

مقامات أبي الشمقمق

وهي المقامات التهذيبية الفكاهية التي تنشرها صحيفتا (المؤدب) و (النهضة النسائية) الأديب المتفنن الاستاذ عبد الله بكري

أكملْ سُرُورَكَ بل شُعو رَكَ من حديثِ (أبي الشمقمقْ)
تشتاقهُ منْ جلسةٍ وتعودُ للتكرارِ أشوقْ
وهو الفتى اللَّبِقُ الأَدِيـ بُ بنقدِهِ الحرِّ المُوَفَّقْ
جمعَ الرَّجاحةَ والفكا هةَ والدُّعابةَ والتَرقرُقْ
في حُسْنِ اسْرَافِ الظَّرِيـ فِ وحكمةِ الشَّيْخِ المُحقِّقْ
في رقَّةِ المصْرِيِّ ، والـ مصريُّ بالإِبْداعِ أخلَقْ

جسر التنهد

في مدينة كيمبردج

أيا جِسْرَ التنهُّدِ هلْ سبيلٌ الى نجْواكَ منْ قلْبٍ شجيِّ
ذكرْتُكَ بعدَ أعوامٍ وذِكري
كتحْنانِ الوَفيِّ الى الوَفيِّ

فما زِلتَ الذي عبرَتْ عليهِ شُجُونٌ للقَريب وللقَصيِّ !
الى الجنّات حَوْلَكَ يا وَليّاً يُراعيها بإيمانٍ الوَليِّ (١)
تُغالبني السُّنونُ ولستُ أَنسى وهل يَنسى سوى اللّاهي الخَليِّ
فمن حقِّ الصِّبا المفقُودِ أنْ لا أُحاوِلَ هَدْمَ أَحلامِ الصبيِّ
فلولاها لمـا آنَسْتُ صفْواً بِدُنيا لا تَهشُّ الى حيِّ
ذكرْتُكَ ذاكراً أُنساً توَلَّى وأَجمَلهُ بساعَاتِ العَشيِّ
على تغْريدِ جدْوَلِكَ الموَافي وفي بَسَماتِ نجْمٍ لُؤْلُئيِّ
فيالله كيفَ غدَا ظَلامي ظلاماً بعدَ بُعْدِي عن صَفيِّ (٢)
وكانَ اللّيْلُ لي معشوقَ أُنسٍ فصِرْتُ أَرُدُّهُ ردَّ العَصيِّ (٣)
كذا الدُّنْيا تُضيءُ بها الأَماني فانْ غابتْ فلا نُورٌ لحيِّ !

صُحف الطبيعة

أُنْظُرْ الى صُحُفِ (الطَّبيعَةِ) إنّها لُغَةُ البيانِ ووَحْيُ كُلِّ أَديبِ !
كم جامعٍ كُتُباً وقارِيءٍ جَمْعِها لم تُغنِهِ عن نظْرَةِ التّهذيبِ !

(١) الولي : الحبيب كما في الشطر الاول من البيت ، وأيضاً بمعنى القديس كما في الشطر الثاني . (٢) الصفي : الصديق المخلص .
(٣) العصي : العاصي .

ومُحدِّث أصغى الرِّجالُ لنقْلِهِ   في جهلِهِ المَرْئيِّ غيرُ نجيبِ

خيرٌ لبيَ أنْ تضيعَ دفاتري
ويظلَّ لي بصَري ووَحْيُ حبيبي!

لأرى الوُجودَ بنظْرَةِ القَاري له
وأخطَّ مِنْ غُرَرِ القريضِ نسيبي!

لا تحْسبْ الشِّعرَ الأصيلَ روايةً
أو أنه المكسُوبُ بالتَّدْريب

الشِّعرُ فِطْرَةُ صادِحٍ بنَشيدِهِ
في كلِّ اشْرَاقٍ وَكلِّ مغيبِ

يَرْنو فيستوحي (الطَّبيعةَ) رَبُّهُ (١)
فتجيبُ مُلْهِمةً جَوابَ أريب!

لا تذكرْ الكتبَ التي احتفلتْ بهِ
ونوَادِرَ التصْديقِ والتكذيبِ

واَذكرْ لنا صُوَرَ الوُجودِ فانَّها
الأَصلُ في الإِنْشادِ والتَّعريب!

لو أنصفَ الأُدباءُ وحْيَ عيونِهِمْ   وعقولِهِمْ لأتَوْا بكلِّ عجيبِ!

---

(١) أي صاحب الشعر.

غُنم وغُرم

الفكاهة في الشعر

(١)

أتاكَ يا ابنَ الكِرامِ ساعي ... لحاجةٍ تُبتَغى وَداعي
وَعَدْتني أمسِ وَعدَ حُرٍّ ... ولم تؤكِّدْهُ في وَداعي
فأعطِهِ ـ إنْ سمحتَ ـ فوْراً ... طوابعَ المعرضِ الزِّراعي ؟ !

عبد الله بكري

(٢)

لكَ ابتِداعٌ على ابْتِداعِ ... ونشوةُ السمْعِ والبَراعِ
طوابعُ الفَنِّ ترتجيها ... وأرتجي زينةَ الطِّباعِ
فها كها ! . . . ما غَنِمْتَ مِثْلي ... نظيمَكَ الباسِمَ الشُّعاعِ !
وما مَتاعٌ بجنبِ شِعْرٍ ... يُجَلُّ عنْ رُتْبةِ المَتاعِ ؟ !

أبو شادي

العليل المنفى

ذِكرَاكِ في القلْبِ الحبيبْ ... أبقى مِنَ الدَّهرِ الرَّقيبْ
وكأَنَّ لي رَغمَ النوى ... أنساً بذِكركِ لا يَغيبْ
لا تسأليني أنْ أعو ... دَ فلستُ في الحُبِّ «الطَّبيبْ»
وأنا «العليلُ» بحرقةِ الـ ... ـمنفيِّ لا أدري الذُّنوبْ!
وأنا الأَحقُّ بعَطْفِكَ الـ ... ـمأمول يانجوى القُلوبْ
واذا اَستحالَ[1] لنا الوصا ... لُ فرُبَّ تحنانٍ يَنوبْ
انّي القنوعُ بهِ على ... رغمي ولكنْ لا أتُوبْ!
فتعطّفي بجميلِ كُتْـ ... ـبِكِ فهيَ أنفاسُ الأديبْ
وكأنّها في صِدْقِ حبّـ ... ـكِ باقةُ الروْضِ الخَصيبْ
مَنْ ذا يظنُّ عبيرَها ... يُغْني عن الحسْنِ الرَّطيبْ
هيْهات يُغْني! غيْرَ أنَّ الـ ... ـحظَّ من «خطِّ»[2] الحبيبْ
فكأنّما في شكلهِ الـ ... آمالُ للآتي القريبْ
وكأنّما مِنْ رَسمِهِ ... «خطُّ السَّعادَةِ» يَستنيبْ[3]!

(١) صار محالا .
(٢) يشير الى «خط الحظ» في الكف ، كما يعرفه أهل الفراسة .
(٣) يقال استنابه استنابة أي طلبه نائبا عنه .

القيثارة الميتة

معربة عن الانكليزية للشاعر همبرت ولف

(١) — التعريب

هذي هي القيثارةُ الميتهْ !	تأمَّلْ الكسْرَ بها من نَغَمْ !
وهيهاتَ أن تَهْتَدي ناطقهْ	بحُسْنٍ كشأنٍ لها في الألَمْ !
فلا تسألْ الآنَ عَنْ كَسْرِها	وعن سَبَبِ الكَسْرِ في الانتهاء
وعمّا اذا كانَ مِنْ أمْرِها	غُلُوُّ الوَجيعةِ فَوْقَ البهاء !
بحسبكَ هاتيكَ قيثارَةٌ	وقدْ نطقتْ هكذا سابقًا
ولكنّها الآنَ مُنْهارَةٌ	فلمْ يَبْقَ صَوْتٌ لهـا ناطِقًا !

(٢) — الأصل

THE DEAD FIDDLE

This is the dead fiddle. Look where the wood
broke with the music. Never again
Will it speak, as only the fiddle could
of beauty in the deep of pain.

Ask not why in the end it broke,
nor if pain than beauty was stronger
This was a fiddle, and thus it spoke,
and now it speaks no longer.

Humbert Wolfe

الرُؤيا

في وسع الشاعر المطبوع أن يبث في شعره - كيفما كان موضوعه - ما تنطوي عليه نفسه من معان فلسفية وأسرار كونية وعواطف سامية وأخيلة جميلة ، وهذا مشاهد في تاريخ الشعر منذ القدم ، وإنما الذي يعاب التصنع وفقدان الاخلاص الأدبي أو ضعفه . وفي هذه القصيدة تتجلى حرية الفكر والنظم وسمو الموضوع ، فهي فتح آخر جديد في الشعر المصري جامعة لأجل ما نكرمه في الشعر الحي .

***

(١)

فِي ليلةٍ مِنْ ليالي الصيْفِ في شَغَفي بِرَوْعَةِ النُجُومِ الزُهْرِ تلقاني

جلستُ أرْقُبُها حتى اتّصلْتُ بِها بالرُّوحِ في مِثْلِ إيحاءٍ وإسْراءِ

وبينما أنا أرْنو غيْرَ مُلْتَفِتٍ حَوْلي شعرتُ باغماءٍ يُغالِبُني

كأنما سَحَرَتْني قوّةٌ خَفِيَتْ فأرْغَمَتْني ، وقدْ كانتْ تُراقِبُني

وكانَ آخِرُ ذِكْري أنْ وضَعْتُ يدِي خَوْفاً على تُكأَةٍ(١) قدهيَّأتْ نَومي

(١) تكأة : Armchair .

تُريحُني في وَفاءٍ مِنْ رِعايتِها بشَرْقي بَعْدَ جهْدِ الفكْرِ واليَوْمِ
وبعد ذلِكَ لم أشعرْ بعالَمِنا وَقتاً طويلاً كأنّي تائِهٌ حائرْ
ما بينَ دُنْيا نأَتْ عنّي وَثانيةٍ لم تَبْدُ بَعْدُ كأنّي الصاعِدُ الطّائرْ!
حَوْلي فَضاءٌ ولا فِكْرٌ يُخامِرُني وَلا شُعُورٌ سِوَى جَهْلي وإعيائي
كأنما أنا مَيْتٌ ما يَزالُ بهِ شَيْءٌ مِنَ الحِسِّ لٰكنْ رُوحُهُ ناءِ!
حتى أفَقْتُ ولٰكِن لم أجِدْ زَمَني ما قد عَهِدْتُ ولا حَوْلي الذي حَوْلي
كأنما ذاكَ نَوْمٌ آخرٌ وأنا غرْقانُ في بُحْرَانِ شِبْهَ مُعتَلِّ!

***

(٢)

رأيتُ أنّي على طيَّارَةٍ وَقَفتْ فوْقَ السَّحابِ بلا خَوْفٍ وَلا حَرَكهْ
وشكلُها في انتِظامٍ مِثْلُ باخِرَةٍ وَحَجْمُها رَائِعٌ للعَيْنِ والذِّهْنِ
فَحِرْتُ في أمْرِها حتى رَأَيْتُ بها قِسْماً تَوَشَّحَ « باللاَّسِلْكِ » مَنْظَرُهُ
وكنتُ أخشى سؤَالَ النَّاسِ في جزَعي مِمّا رأيتُ ومِنْ حالي وَمَرْآهمْ
رؤوسُهمْ ضَخْمَةٌ ما كنتُ أعرِفُها قبْلا لنوعٍ مِنَ الإنسانِ مَشْهُودِ
وما عرَفتُ ذُكوراً مِنْ اناثِهمِ فكلُّهُمْ شِبْهٌ في الشَّكلِ والرُّوحِ

مُرْدٌ عليهمْ سِماتُ اللُّطفِ باديةٌ لكنّهُمْ فقدوا أسنانَهُمْ فَقْدَا !
فحِرْتُ في أمرِهِمْ حتى بَدَا شَبَحٌ عندَ اقترابي منَ المِرْآةِ في البَهْوِ
وكان تبدُو عليهِ دهشَتي ، ولَهُ عيناي ، والوَجْهُ وَجْهي في مُبالَغةٍ
وقد تخَلَّى عن الأَسْنانِ فكاهُ وإنْ تناسَبَ لولا الرَّأسُ مَرْآهُ
فرُحْتُ مُقْتَرِباً منها (١) فقارَبَني حتى كأَنَّ الذي شاهدتُ تِمثالي
فصِرْتُ أبدي حراكاً وهوَ يُشبِهني في كُلِّ شيء ، فصارَ الشَّكُّ إيمانا
أيقنتُ حينئِذٍ أنّي غدَوتُ كذا نوعاً مِنَ الجنِّ في شكلي وما حَوْلي!
فكِدْتُ أُصعَقُ من ذُعرٍ وصِحْتُ كَمَنْ قد مَسَّهُ الجنُّ في عقلٍ وفي بدنِ!
فخَفَّ لي نفرٌ منهمْ يُسائِلُني عمّا أُصِبْتُ بهِ ، حتى أنِسْتُ بهِمْ
وبعدَ وقتٍ قصيرٍ جاءَ ناحيتي فتًى مهيبٌ ، ولكنْ مِلْؤهُ عَطفُ
فقال أقرَبُهُمْ منّي : « الطَّبيبُ أتى! » ... لكنّني كُنْتُ في صَمْتٍ وفي حَيْرَهْ !
فصار يفحصُني هذا الطّبيبُ وقَدْ بدَأْتُ أحسبُ أنّي واهمٌ ثَمِلُ !
وقال لي : « لا تخَفْ مِنْ نوبَةٍ رجعتْ فسوفَ تُشفى تماماً مِنْ تَرَدُّدِها »
وجاءَ لي بدَواءٍ ملءَ ملعقةٍ شعرْتُ بعْدَ تعاطيهِ بانتعاش

---

(١) أي من المرآة .

فقلتُ يا قومُ : « ما حالي ؟ ألا خَبَرٌ فانّني لستُ أدْري ما جرى
حَوْلي ؟ »

قال الطبيبُ : « كَفى ! لا تخْشَ ! نحنُ هنا نصطَافُ في مثالِ
إخوانٍ وخِلّانِ ،

وأنتَ أكرمُنا نَفْساً وأرجَحُنا عَقلاً فلا تخْشَ منْ وِدٍّ لنا بادِ

لٰكنْ أصابَتْكَ نوباتٌ مُمثِّلةٌ لكَ الزَّمانَ بعَصْرٍ منذ أدْهارِ

كأنما أنتَ في (مصرٍ) لدى زَمَنٍ جَمِّ النضالِ يُنادِي باسْمِهَا (سَعْدُ)

وما تزالُ بها الأحداثُ غاشِمَةً والحقُّ للسَّيْفِ والشعبُ الفَتَى عبدُ

وذاكَ في العلمِ نوعٌ مِنْ مراسلةٍ للرُّوحِ ما بيْنَ أعصارٍ وأعصارِ

كأنما أنتَ تحكي عنْ نُهَى زَمَنٍ ولَّى بأحداثِهِ منْ مائَتَيْ قَرْنِ !

كأنما كنْتَ فيهِ حينَ تَشْرحُهُ كما وصفتَ بتَمْحيصٍ وتدقيقِ

فتِلْكَ رَجْعَةُ فِكْرٍ ليْسَ يفهمُها الاّ أُولو العِلْمِ ، لٰكنْ فهمُهُمْ عجزُ

ألستَ تعرفني ؟ » .... لٰكنْ مُحاولتي إجابةً لم تكن منّي
سوى صَمْتٍ !

كان الذُّهولُ حَليفي لا أرى وأعي الاّ عجائِبَ أحلامٍ وأحلامِ !

فقالَ : « هيَّا معي ياصاحبي ! » ومضى يقودني نحو رُكْنٍ
مِنْ سفينتنا ،
على انفرادٍ بحيثُ الجوّ ينعشُنا نوراً ولُطْفَ هواءٍ باردٍ صافِ.
فقلتُ : « ياصاحبي إنّي على ثِقةٍ مِنْ نُبْلِ نفسِكَ ملمُوحاً بمرآكَ
ألا تحدّثني صِدْقاً وترْشِدني إذَنْ ، فانّي كمحْمُومٍ ومَذْهولٍ ! »
فراحَ يُخبرُني إخبارَ مُعْتقدٍ بمـا يقولُ فأوْحى رَجْعَ إيماني
مؤكّداً أنّني ماعِشْتُ في زَمنٍ مَضى ولـكنّ رُوحي في تناجيهِ !
وانّي عالمٌ بالطّبِّ أنهكَني جهْدي فعُدْتُ الى نوباتِ أحلامي
كذَاكَ أنّي أديبٌ شاعرٌ ولهُ جَولَاتُ شِعْرٍ بوَصفي رِحلةَ القَمرِ !
وأنّنا نحْنُ في قَرْنٍ عجائبُهُ بُلوغُنا القَمرَ المعْدُودَ كالأَرْضِ ،
وما عرفْناهُ مِنْ أخبارِ جيرَتِنا بين الكواكِبِ (كالمرّيخِ)
عنْ أهلِهْ !
فقدْ تطوّرَ بأسُ العلمِ منتَصِراً على (الطّبيعةِ) حتى قد تأَلّهْنَا
وقد خَبرْنا ونِلْنا الأَثير قُوَى صِرْنا بها سادَةً للجسْمِ والرّوحِ
وأصبَحتْ هـذهِ الدُّنيا الجِنانَ لنا فما حلُمْنا بجنّاتٍ تُمادِلها
فـكلُّنا طَوعُ أحكامٍ تُسيِّرُها حكومةٌ لبني الإنْسانِ أجمعهمْ

وإنْ تكنْ ذاتَ أقسامٍ منوّعةٍ في كلِّ قُطْرٍ كما تقضي طبيعتُهُ
لكنّها في اتّصالٍ تمّ مَرْكزُها بُرْجٌ على الجوِّ كالمسحورِ موقوفُ
من بعد ما أصبحَ «اللّاسلكُ» عمدَ تنافي الدّفعِ والجذبِ والإحياءِ والموْتِ !
وصار عُمْرُ بني الإنسان متّصلاً رغمَ الطّبيعةِ حتى مائتَيْ عامِ !
وصارَ مَنْ كان يُرْجى مِنْ مواهبِهِ تقضي الحكومةُ بالتطويل في عُمْرِهْ !
وذاكَ سَهْلٌ بذرّاتٍ مكهربَةٍ للرّادِ (١) تنفثُ فيهِ نفثةَ السِّحْرِ
ومَنْ عداه فلا ترضى حكومتُهُ بعيشِهِ بعدَ ما تقضي طبيعتُه
والناسُ باتوا سواءً لا تفرّقُهُمْ الاّ قُوَى العقلِ فهوَ السيّدُ النّاهي
وصار أحجى الورَى عقلاً وأوفرُهُمْ علماً رجالاتِ هاتيكَ الحكوماتِ
وأصبحَ النّاسُ لا الأسقامُ تزْعجُهُمْ ، ولا المَماتُ سوى نوْعٍ منَ الرّاحهْ !
وقد تقدّمتْ الدّنيا بهندسةٍ تحولُ دونَ وُقوعٍ في مصائبِهَا !

***

(١) الراديوم - Radium .

(٣)

وهكذا مَضَتْ الأيَّامُ مقتنعاً بأنّي كُنْتُ في سقْمٍ فحوَّلني
وصِرْتُ أدْرُسُ ما حَوْلي وأحفظُهُ كأنّي طالبٌ للعلْمِ مبتدِيءُ!
علمْتُ أنّي مقيمٌ فوْقَ (مِصر) وقد صارتْ بلاداً لها في العِلْمِ إمكانْ
وأهلُها عرفوا تاريخَ غابرهمِ مِنْ غيْرِ شكٍّ وأحيَوْا سرَّ موتاهمْ
وبرَّزوا في مجالِ البَحْثِ وانتفعتْ بهمْ شعوبٌ وصار العِلْمُ رائدَهُمْ
وقيلَ لي إنّني تلقاءَ مأثرتي للعِلْمِ يُعْنَى بتطْبيبي وإنعاشي
وسوفَ أبقى أُراعَى أشْهراً ومتى شُفيتُ عدتُ كأستاذٍ بجامعتي!
فلستُ في حاجةٍ للمالِ أنفقهُ وليْسَ في النَّاسِ مَنْ يُدْعَى بذي فَقْرِ
فكلُّ فَرْدٍ لهُ دَخْلٌ على عَمَلٍ، وللحُكومةِ تدبيرُ الحيــاةِ لنا
منَ الولادَةِ حتى الموْتِ تشملُنا منها الرعايةُ في سقْمٍ وفي صِحَّهْ
وأنّني لمْ أصِرْ بَعْلاً فلا حَرَجٌ عليَّ في عزْلتي حتى المعافاةِ
كذا اطمأنَّ شعُوري رَغْمَ ثورَتِهِ الى حياةٍ هدُوءٍ جنْبَ تفكيرِ
وكلُّها عَجَبٌ يفْضي الى عَجَبٍ من الجليلِ الى الأدْنى منَ العيشِ
فكُنْتُ أسكنُ في هذي السَّماءِ كما عهِدتُ مِنْ قبلُ سُكنى
الأرْضِ في أمْنٍ!

وقدْ شَهِدْتُ صفوفاً لا انتهاءَ لها منَ المنازلِ كالسُّفْنِ الهوائيّةْ!
صُفَّتْ كأنَّ أثيرَ الجوِّ يمسكُها وبينَها طُرُقٌ محدودةٌ شتَّى
مدينةٌ حُرَّةٌ لكنْ مُكهْرَبَةٌ تعتزّ فوقَ أعاصيرٍ وأنواءْ
فيها التنقّلُ سَهْلٌ في مُجنّحةٍ منَ القواربِ تُزْجَى دونَ أخطاءِ
فيها العمائرُ لا تُحْصَى كما جمعتْ من الدّ كما كنّ أنواعاً وأحجاما
كانَ الغذاء خلاصاتٍ منوّعةً منَ النباتِ بأشكالٍ وألوانِ
فما تكلّفتُ مضغاً ،لا ولا زمناً ، في أكلها دُونَ جُوعٍ أوْ مضايقةٍ
وما حُرِمْتُ رياضاتٍ منوّعةً في مسكني وبدُورِ الرَّقصِ والفنِّ

وفي مَراصِدَ أشهى ما رأيتُ بها مناظرُ القمرِ المسكونِ بالنّاسِ :
حيث استطاعوا انتقالاً ثمّ صارَ لهمْ بالعِلْمِ أهلاً لسكناهم وراحتِهمْ!
أمّا المعابدُ فيما قد خبرْتُ فلم تكنْ سوَى دُورٍ تاريخٍ وفلسفةٍ
فكان يَشْرحُ أعلامٌ لنا صُوَراً من أمسنا في مناجاةٍ لغادينا
والمعبدُ الأكبرُ المُمْتازُ صبغتُهُ كمَرْصدٍ جامعٍ أضواءَ أفلاكِ!
وركّزوا النورَ من مختارها فبدَا مصوِّراً (مِصرَ) في عهدِ الفراعنةِ!
وهكذا بَرْهنوا أنَّ الزَّمانَ بلا حَدّ وانَّ حياةَ الأمْسِ حاضرُنا
وأنَّ عِبْرَةَ ماضينا تُسيِّرُنا بيوْمِنا وَدليلُ اليوْمِ آتينا

وشوّقونا الى سَعْيٍ بلا مَللٍ الى فتُوحٍ وآمالٍ لنا أُخرى
وقيلَ ذلكَ إيمانٌ ، وغايتهُ دِينٌ وترْدِيدهُ أسمى العِباداتِ
وليسَ وَقفاً على فكرٍ يُحَدُّ بهِ بل دائماً يتسامى في تَطوّرهِ
وكانَ يذهبُ صَحْبي في تنقُّلهم الأرضِ في قُطرِ طيّارةٍ تجْري
وتارةً في فُرادَى الطّائراتِ بلا خوْفٍ ، فآلاتُها لا تخطِئُ القَصْدَا !

تَطيرُ منْ دَفْعِ « لاسلكٍ » يُسيِّرُها بالضّبْطِ وهوَ لها الهادِي كرُبّانِ !

فعند ما سَمحتْ لي صحتي عَرضوا عليَّ أنْ أشهَدَ الأرْضَ التي تحتي
فكنتُ أطوعَ مشتاقٍ لدَعوتِهمْ وطِرْتُ في جَمعِ أصْحابٍ الى وطني!
فيا لدَهشَةِ نَفْسي عِنْد رُؤيتِها ما قامَ مِنْ عجبٍ في قطرِنا العَجَبِ !
هذي قُصورٌ مِنَ الفُولاذِ رائِعَةٌ ملءَ المدائنِ والأُخرى منَ الوَرَقِ
وهذِهِ طُرُقُ المطّاطِ حاليةٌ وغيرُها بالزّجاجِ المُنتقى فُرِشَتْ
وثَمّ شُمُّ عماراتٍ مُجمّلةٍ منْ كلِّ شائقٍ بلُّورٍ لحيطانِ
ولا تسلْ عنْ طِباقٍ منْ شوارِعِها ، ولا تَسَلْ عنْ حياةٍ باطِنِ الأرْضِ !

ولا تَسَلْ عنْ جَمالٍ في مصانِعِها منَ النَّظافةِ والإتْقانِ والرَّاحَهْ
وعن وسائلِ شتّى للتنقُّلِ لا تَلْقى بها غيْرَ إعجابٍ وإمتاعِ
و (النيلُ) أضحى مزاراً (للطَّبيعةِ) لا يُعنَى بهِ الناسُ في
ريٍّ وفي شُرْبِ !

فالماءُ مُنبَجِسٌ منْ أرضِهِمْ أبداً بآلةٍ طَبْعُها أنْ تجذِبَ الماءَ !
والشُّرْبُ سَهْلٌ بآلاتٍ مكلَّفةٍ أنْ تصنعَ الماءَ في رُخْصٍ بلا تَعَبِ !
ولا تَسَلْ كيفَ صارَ الزّارعونَ على حظٍّ عظيمٍ من الدُّنيا
وقدْ كرُمُوا ،

منْ بعدِ أجيالِ تسخيرٍ وسخْريَةٍ منْ جهْدِهِمْ وهم المَوْتى بلا مَوتِ
فأصبحوا أهلَ تمدينٍ وتربيةٍ وعوْنُهمْ ذُخُرُ آلاتٍ وعرفانَ
ولا تَسَلْ كيفَ أنَّ النَّاسَ قد حُصِرُوا في النَّسْلِ طَوْعَ
مشيئاتٍ لحكّامِ !

وكيفَ أصبحَ شغْلُ النّاس خدمتهمْ للنَّوْعِ في جَمٍّ إخلاصٍ بإحكامِ
وكيفَ أفنَوْا بتدْريجٍ وتنقيةٍ كلَّ الضعافِ بموتٍ حانٍ راحمٍ
وأسعدوا (نِتْشةً) في قبرهِ وغدوْا يسعونَ سعياً الى حظِّ (السبرمانِ)!؟

***

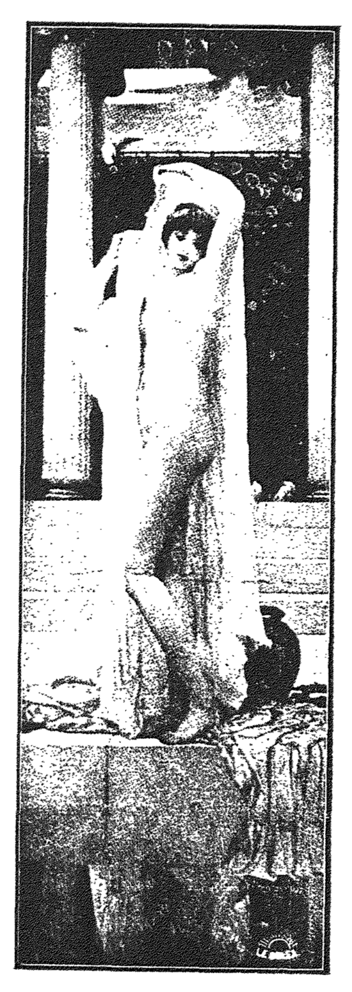
(٤)

وهكذا سحتُ في أرضٍ مقدَّسةٍ في كلِّ ذِكرايَ ، فهيَ الموْطنُ الغالي :

حيثُ الجمالُ عزيزٌ في ملاحتِها وحيثُ آمالُها الشمّاء آمالي
فأطربتْني بها نُظُمٌ مُنوَّعةٌ وكلُّها بيْنَ إتْقانٍ وإحْسانِ
حيثُ الفضيلةُ قانونٌ وحيْثُ لها دِينُ السَّعادَةِ إسْعادٌ لإنْسانِ
وحيثُ للعلْمِ إرشادُ يسيِّرُها ومنهُ للدِّين تهْذيبٌ وإيحاء
كأنما الدِّينُ أضْحَى خيرَ فلسفةٍ تحيي النفوسَ ويرْجوها الألِباء
وبينما كنْتُ أمضي ذاهباً لأرى عَوْداً لقوْمٍ أتوْا مِنْ عالَمِ القمرِ
في جوفِ سارُوخهم ، في ساعةٍ ذُكِرَتْ في ساحةٍ هُيئَتْ للعَوْدِ والسَّفرِ
سمِعتُ في فجأةٍ صفَّارَةً صفرَتْ كأنما هيَ إنذارٌ لإعلامي
وزادَ تصويتُها جداً فنبَّهني لمَّا (صَفيَّةُ)[1] أنْهتْ طيفَ أحلامي !
فقمتُ أضحَكُ مِنْ وَهْمي ومنْ خَبَلي وطفلتي بيْنَ تصفيرٍ تُلاعبُني
وبينَ وَثْبٍ وَقَفْزٍ شِبْهَ طائرَةٍ برُوحِ دُنيَا الأحلامِ تُداعِبُني !



(١) بنية الشاعر . وقد نظمت هذه القصيدة في أغسطس سنة ١٩٢٦ م .



حمام سابك

حمام سايك

The Bath of Psyche

للورد ليتون

كُنْتُ في مَيْعةِ الصِّبا مَنْ يُنادي

مِنْ فؤادٍ رَهْنٍ (الجمالِ) تَعبُّدْ :

« مَذْهبي في جلالةِ الحسْنِ أنْ لا يغتدي نِعْمةً تُحَبُّ لِتفْسَدْ

أكثرُ الحسْنِ ما يُصانُ لِيَشْقى

إنما الحسْنُ ما يُصانُ ليُعْبدْ ! » (١)

ثمَّ دارَ الزَّمانُ دَوْرَةَ نحْسٍ وفؤادي بحُرْقةٍ يتوقَّدْ

وغدوْتُ الشَّهيدَ مِنْ رُوحيَ السا

جدِ (للحُسْنِ) بل إلهي الموحَّدْ

قَذَفتْني أحكامُهُ في يَدِ النفْـ ـي الى البُؤْسِ والعذابِ المُجدَّدْ

وأنا الثائرُ الذي دَامَ في الثوْ رَةِ كالخاضعِ الوَفيِّ المُسهَّدْ

نافراً ساخطاً حَزيناً ذَليلاً والجَوى كالهوى به ليْسَ يَنفدْ

(١) راجع ديوان (زينب) ص ٢٧

فاذا بي ما زِلتُ مَنْ يحسَبُ (الحسْ
نَ) عزاءَ الورَى الثَّمينَ المُخلَّدْ

هو أُبِّي ومُلهِمي وغِذَائي ورَجائي منَ النَّعيمِ المُجَسَّدْ !

***

أنا في العَيْشِ أنشدُ النُّورَ واللَّوْ نَ وحُسْناً منْ فَنِّهِ أتزوَّدْ !

فاغفروا لي تَقْدِيسَ ما صَوَّرَ (الفَ نّ) مِنَ الوحْيِ في الجمالِ المُجرَّدْ

رَضِيَ اللهُ عنكَ يا (لوردُ ليتو
نُ) فهذا هوَ « التَّسامي » المُسوَّدْ !

صُورَةٌ تِلكَ ، أمْ هيَ السُّورَةُ الكُبْ
رى ، أم الشِّعْرُ بالتَّأمُّلِ يُنْشَدْ[1] ؟ !

تَتَعالى الاحلامُ منها وتلتذْ ذُ عيونٌ بنعمةٍ تتعدَّدْ !

هذِهِ فِتْنةُ (الجَمالِ) تبدَّتْ فاذا النُّورُ حولها ما تبدَّدْ !

---

(١) تمثل هذه الصورة الحسناء (سايك Psyche) وهي المرأة الجميلة التي فتنت الاله (ايروس ـ Eros) فجذبته اليها دون أن تعلم أنه اله ، وقد اتفق معها على التردد عليها ليلا بشرط أن لا تحاول معرفته ، ولكنها في احدى الليالي حنت الى عرفانه ، فأوقدت شمعة واقتربت منه ، فسقطت نقطة من الشمع على وجهه فاستيقظ وهجرها ! وهذه اسطورة ذات فلسفة حقة من خلق المرأة وعن عبادة الجمال المتأمل المفكر .

نَضَّتْ الملْبَسَ الشَّغوفَ بها الآ
سي[1]، فلاحَتْ بها (الطبيعةُ) مَعْبَدْ!

وقفةٌ كلُّها الرَّشاقةُ والسِّحْ ـرُ على جانبٍ كبَسْمَةِ فَرْقَدْ:

في انسجامِ الإبداعِ للخالقِ المُفْ
تَنِّ كأنَّ الأعضاءَ فَنٌّ مُنضَّدْ!

وبهذا الجمالِ قد يُصْبحُ المسا ءُ شفاءً لنا ونحاولَ عَسْجَدْ

حسبيَ الرَّسْمُ واعذُروني فإني
في سوى ما حَبا عُلَى الفنِّ أزهَدْ

أنا مَنْ يعذرُ المؤلَّهَ (إيروس) وقدجاءَ يشتهيكِ ليَسْعَدْ

لم يكنْ بالحقيرِ اذْ دانَ للحُسْ ـنِ فانَّ الحقيرَ مَنْ كان يجحدْ

أنتِ قد خُنْتِهِ بحبكِ للبحْ ـرِ، فولَّى وهذَّ حلمٌ مُشيَّدْ

وأنا هدَّني مثالُكِ في النا سِ جزاءً على وفاءٍ تفرَّدْ!

فبقيتُ الوفيَّ للمَثَلِ السا مي وفيٌّ له السَّبيلُ المُعبَّدْ:

عاشقاً رَسْمَكِ الملقِّنَ روحي صلواتٍ بذُخرها أتعبَّدْ!

وجميعُ الحياةِ عنديَ أطـ ـلالُ سوى الحسنِ فهو دينٌ ومَعْهَدْ!

---

(٣) الآسي: الحزين، من أسا يأسو أساً.

لغة الدموع

إرْبأ بقلبِكَ أنْ يُريقَ دُمُوعَا
فلقدْ تُذِيبُ اذا ظَلَمْتَ مَرُوعَا!
لُغَةُ الدُّموعِ الُحزْنُ في إرْهاقِهِ
ودُموعُ غالي الصفْوِ لسْنَ دُمُوعَا!
قالوا «عزاءُ النّفْسِ في بلوائها»!
هيْهاتَ يُنْتَمَذُ طِبُّها المَفْجُوعَا!
تمضي ببعْضٍ مِنْ حُشاشَةِ نفْسِهِ
فاذَا الذِي وَلَّى يعافُ رُجُوعَا!
والمرءُ صُورَتُهُ بصُورَةِ كلّهِ فاذا تناثَرَ لمْ يَعدْ مجموعَا!

على قبر أخوىّ

وقفتُ عليكما بخفُوقِ قَلْبٍ يجاذِبُهُ الحَنانُ للحْدِ[1] قبرِ!

(١) اللحد هو الشق المائل بجانب القبر .

وفي ذِكراكما ذِكرى حياتي فانّي أنتما والقلبُ يدْرِي !

ومن أقسى الظُّلَامةِ[1] أنَّ بعضي
يعيشُ وأنتما في موتِ غدرِ

فلا عجبٌ اذا رفَّتْ ضُلوعي
وضاقَ بوحدةِ الإِحْساس صدرِي !

فكادَ الرُّوحُ يُقْسَمُ مِنْ حناني
وكادَ الرُّوحُ نحوَ القبْر يجْري !

فيا اخوَيَّ في جسْمي وحسِّي ويا نجْوايَ في أحزان عُمْري

أنوبُ اليوْمَ عنْ أمٍّ حنونٍ بكيتُ بكاءَها مفقُودَ زَهْرِ

مضتْ وبنِمّتي الذِّكْرى ، وَحسبي
دُموعٌ لا تضيعُ ببحرِ شِعْرِي !

ذكرى المستر جنل

الوطني الارلندي الشهير وصديق مصر والمصريين

ودّعتَ في هذي الحيــاةِ الجيلاَ
ولَقِيتَ أجْيالاً رأتْكَ جليلاَ !

(1) الظلامة : ما يحتمل الانسان من الظلم ، أو ما يؤخذ منه ظلما .

لستَ الغبينَ مودِّعاً أحبابَه
مهما أسفتَ، فما عدمتَ خليلاً !
سيعيشُ ذِكرُكَ في قلوبٍ جمَّةٍ
كُنتَ الصديقَ لها وكنتَ مَقيلاً
مِنْ لَفْحِ نيرانِ الطُّغاةِ تُظِلُّها
ويَظَلُّ ذِكرُكَ في العزاءِ ظليلاً
ونَعُدُّ فقدَكَ فقرَنا ومُصابَنا وعوالمٌ أخرى تراه جميلاً !
فكأنما أنتَ السَّخيُّ بِرُوحِهِ
ليبثَّ في الدُّنيا الشُّعورَ نبيلاً (١)
وكأنما ضَحَّى وَودَّع أهلَه لِيزيدَ في ألَقِ النجومِ طَويلاً !
مَنْ ذا يكابرُ والحياةُ مشاعةٌ ؟ !
مَنْ ذَا يفنِّد ما أُحِسُّ دَليلاً ؟ !
والموْتُ مِنْ صُوَرِ الحياةِ وإنما
في النَّاسِ مَنْ لا يفهَمُ التَّحْويلاَ !
وكأنَّهُ أقوى الحياةِ تنوُّعاً وكأنه المُلقي الشقاءَ ذليلاَ
في راحةِ المنْصورِ أنتَ وإنْ تدُمْ متنقلاً ومُجاهِداً وعليلاَ

(١) أي ليطلق روحه من قيودها وينشرها في عوالم الدنيا فتبث فيها الحس النبيل .

نَفْسٌ من الحِسِّ الدَّقيقِ تكوَّنتْ
وصِفاتُها تأبى الهوانَ زَميلاَ
بذَلَتْ لموْطنيَ الحزينِ وَفاءَها
واليومَ أُكرِمُ حبَّها المَبْذولاَ
وكأنما أملىٰ عليَّ رثاءَها (١)
واَختارَ من باكي المدادِ (النبلا) !
هي صفحةٌ في سِفرِ عمرِكَ فلأدعْ
لمفاخرٍ أنشأتَها التكميلاَ !

أسرٌ وأسرٌ

يشقَى الغنيُّ بمـالِهِ	وينوءُ بالفقرِ الفقيرْ
ذاكَ الفخيمُ بأسْرِهِ	وأخوهُ في ذُلِّ الأَسيرْ !
وكلاهما يشكو الحيـا	ةَ ويستغيثُ ويستجيرْ
وكلاهما صِنْوُ الحقيرِ الـ	ـعبدِ أو مثـلُ الأَجيرْ
ياليتَ شعرى مَنْ سوى الـ	ـمالِ المُسَخِّرِ والأميرْ ؟!

(١) الضمير عائد الى الموطن .

الميت الحيّ

قالها الشاعر في طالبة حسناء مترجلة تشرح جثة للفائدة العلمية . وقد نقلنا هذه الأبيات عن مجلة (فتاة الشرق) الغراء المؤرخة ١٥ فبراير سنة ١٩١١ م بفضل معاونة صاحبتها الاديبة السيدة لبيبة هاشم ، وتمثل نموذجاً من نظم الشاعر في صباه ، وكذلك نقلنا عنها طائفة من القصائد التالية وأشرنا الى مآخذها.

***

ومشرِّحٍ تثبُ القلوبُ (١) لوثبةٍ

مِنْ سحرِهِ وتنفُّسٍ من طيبهِ !

يهفو له الفاني فينفرُ ضاحكاً

ويغارُ هذا الميتُ مِنْ كلفي بهِ !

متنعّماً ببنانهِ ، متشوّقاً لحنانِهِ، مستهدِفاً لصبيبهِ (٢) !

يحيا بأقتل رَشقةٍ من لحظِهِ ويموتُ جِدَّ الموتِ في تقطيبهِ !

وهو المنعَّمُ في الفَناءِ وفي الرّدى ينهدُّ مغبوطاً على تعذيبهِ !

---

(١) يقصد قلوب الموتى ، فضلا عن قلوب الأحياء ...

(٢) الصبيب : طرف المبضع .

* * *

يا باعثَ الصبِّ القَتيلِ [1] كرامةً

ضيعتَ عُمرَ الصبِّ في تأديبهِ !

تركَ الدُّنَى [2] ومضى ، وما تركَ الهوى

فعلامَ لا تصبو الى تطبيبهِ ؟!

ومن القساوةِ أنْ تظلَّ مرنَّحاً

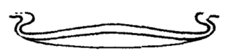
بعدَ المماتِ بصمتهِ ووجيبهِ !

وتكونَ أنتَ — وأنتَ أجملُ شاعرٍ —

من يَقْصِر [3] الوافي على تنقيبهِ [4] !

صَفْوُ الحياةِ وبؤسُها ودَوامُها

وفناؤُها طَوعٌ لما تقضي بهِ !



(١) يشير الى الميت المشرحة جثته .

(٢) الدنى : جمع دنيا — أي مظاهر الحياة الحاضرة .

(٣) يقال : قصر الشيء على كذا أي لم يتجاوز به غيره .

(٤) التنقيب الفحص البليغ ، يعني التشريح .

بعد الفراق

من مجلة « فتاة الشرق » لشهر ديسمبر سنة ١٩١٠

ويومَ أثار البينُ كامنَ لوعتي
وأغرقتُ في شكوى تخفّفُ مِنْ همّي (١)

نفضتُ الكرى وارتحتُ للبثِّ بعدَما
تهالكتُ ما بيْنَ الصَّبابَةِ والسُّقْمِ

يكادُ يكونُ الحبُّ ديناً أعزُّهُ
وهذا الشقاء العذبُ من منتهى همّي (٢)

ولكنْ يهونُ البُؤسُ في كلِّ لحظةٍ
اذا زادَ حِفظُ العهدِ غمًّا على غمّي !

نزحتُ عَيوفاً عنْ بلادٍ أحبُّها
تُساقُ بها الأحرارُ للخَسْفِ والضيْمِ

أقمتُ بها عُمْراً على الوجدِ صابراً
وخلّفتها بيْنَ التلفُّتِ والأمِّ !

(١) همي : حزني .
(٢) بمعنى ارادتي ورغبتي .

ذكرتُ بها بدراً ضللنا لبُعدِهِ

فأرسلْتُ توديعَ الفؤادِ على اليَمِّ

سلامٌ على حُسْنٍ دَفنّا سِهامَهُ

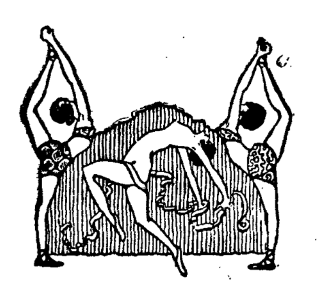
بأضلُعِنا بيْنَ التكتُّمِ والنَّمِّ !

سلامٌ وفي نفسي شجونٌ كثيرةٌ

تفيضُ لدى التذْكارِ في مَدْمَعِي الجَمِّ

تحمَّلتُ قلباً دامَ رَهنَ ودادِهِمْ

وما زالَ مملوكاً على الطَّوْعِ والرَّغْمِ !



شعر الغناء (١)

أبق الرحيل وخل الحسن يهديني

عن مجلة « فتاة الشرق » لشهر ابريل سنة ١٩١٢ .

أبقِ الرَّحيلَ وخلِّ الحسنَ يَهديني
إنْ باتَ غيْري سليبَ العقلِ والدِّينِ !
يا باعثَ الأملِ المفقودِ مطلعُهُ
أشرقْ على وهدةِ القوْمِ المساكينِ
لولا سناكَ ولولا مهجةٌ عشِقَتْ
لما بقيتُ على الدُّنيا الى حينِ !
وأنتَ لولا شعورٌ تستَخِفُّ بهِ
لما شكوْتُ عذاباً ليْسَ يُقصيني

(١) هذا مثال من نظم الشاعر فى أواخر العقد الثانى من عمره ، وقد نشرت فى ديوانه « انين و رنين » امثلة من شعر طفولته الأدبية ولم يكن الشاعر متجاوزاً وقتها الخامسة عشرة سنة . وا كثر شعره المفقود هو شعر العقد الثالث ويمتاز بجمال الرقة فى الغزل على الأخص وبشعر الحماسة الوطنية المشتعلة .

لِلهِ قلبكَ أفديهِ ويعذُلُني
يا ليتَ قلبكَ بالإِخْلاصِ يَشفيني
تُنْئي المشوقَ الذي يرْعاكَ مبتسِماً
على الجفاءِ، وكم تقسُو وتُبكيني!
أشفِقْ على الصبِّ إنْ أودى البعادُ بهِ
وارْحَمْ أسيرَكَ من بأسٍ ومِنْ لِينِ!
أصغرتُ كلَّ جمالٍ لا تَهشُّ لهُ
وما أضعتُ وفاءً منهُ تُشقيني!
نفسٌ تُديمُ على لُقياكَ راحتَها
اللهَ في حظِّها إنْ بتَّ تُضنيني!
حيِّ الشبابَ الذي يُعطيكَ نَضْرَتَه
أوْ تِهْ عليهِ، فما يُرْضيكَ يُرضيني!
ومِنْ دَلالِكَ ما يَحلو ويُسعِدُني
ومِنْ صُدودِكَ ما يُبكي ويُفنيني!



في شرشرصو

« شرشر صو اسم جنة من جنان البسفور واقعة على بعد نصف ساعة من شاطئه الغربي للراكب من بيوكدرة ـ احدى الضواحي المشرفة على ذلك المرسـ وفي تلك الجنة الفيحاء نخب من أجل المناظر الطبيعية ، وبها عين ماء فرات ينصب متمهلا في مثل الخيط ، ويزدحم الناس من جميع الطبقات مبكرين متسابقين حول منهله الضنين . ويعز الحصول بغير ذلك على هـذا النوع من الماء المعدني الثمين الذي يتداوى به الوطنيون والاجانب من كثير الأمراض الـكلوية » . ـــ من مجلة « فتاة الشرق » لشهر مارس سنة ١٩١٢

***

يا مَنْ تصونُ الماءَ صَوْنَ جمالها الصَّبُّ أَوْلى بالحيـاةِ لديكِ !

يجري مُنًى ومَحبَّةً وسلاسةً

ويسيلُ قبل « العيْنِ » بيْن يديكِ !

مِنْ أُنْسِكِ المبقي عليهِ شبابَهُ وكمالكِ المبقي الشبابَ عليْكِ!

وَدَّ العليــلُ وقالَ فيكِ طبيبُهُ:

علَّ الشفاءَ الشهدُ مِنْ شفتيكِ ! (١)



(١) ارتجل الشاعر هذه الابيات في زيارته لشرشرصو وكان عليلا .

أنات وعواطف

من مجلة « فتاة الشرق » الغراء لشهر يوليه سنة ١٩١١ م

يشكو لرحمتِكَ المُسَا ء بصمْتِ مبسمِكَ الضنينْ
المستَحَبِّ وانْ جنىٰ عَمْداً على القلبِ الحزينْ
ويذوبُ في نَجْوَى الفؤا دِ وعلَّةِ الُحبِّ الكمينْ
صَبٌّ على النُّعمىٰ وفي الـ شكوى لغيْرِكَ لا يَدِينْ
يُربي بايثارِ الوفا ء على عهودِ المتَّقينْ !
صنْهُ منَ الجزَعِ المُميـ تِ وثِقْ بخافقِهِ الأَمينْ
الواهبِ الدُّنيـا لُحِسْـ نِكَ في السُّرورِ وفي الأنينْ!
المُسْتهينِ بكلِّ با رِقَةٍ وفتَّانِ الرَّنينْ
الضاحكِ الباكي لِقُرْ بِكَ والمُذَلِّ من الحنينْ
لا يستطيعُ البثَّ مِنْ وَجْدٍ ولا الكتمَ الدَّفينْ
أَتُراكَ مُسْعِدَه ومنْـ صِفَ قلبـهِ الُحرِّ المَهِينْ
أفنىٰ الوفاءَ رجاءَهُ وقضَى على العُمْرِ الثَّمينْ
يفديكَ بسَّاماً وكم تقسو عليْهِ وكمْ تبينْ !

مُلكُ القلوبِ ملكتَه أَوْلَى بمثلِكَ أن يَلِينْ !
ويُعِزُّ مَنْ يحيا بطلـ ـعتِهِ على الودِّ المكينْ !
بالكِ على عهدِ الشَّبا بِ وذِكرِ حُبِّكَ وهو دينْ !



همزات الزمان

قالت مجلة (فتاة الشرق) الغراء بعددها المؤرخ ١٥ فبراير سنة ١٩١٢م :
الشاعر الناثر الطائر الصيت خليل افندي مطران نبوغ خاص ومقدرة غير محدودة في ابتكار المعاني الدقيقة وأساليب الكتابة المؤثرة لظم أم نثر .
ويزيد ما يخطه قلمه جلالا ورونقاً انه حقيقة ما يريده ويشعر به لا ما يريده القلم في يده ، وانه اذا كتب فانما يكتب رجاء نفع عام أو نفع خاص يؤدي الى ذلك النفع العام الذي يشغل ذهنه المتوقد الكبير في كل أعماله .

ومن بين حسناته الادبية الكثيرة جل حكيمة ساقنا الحظ للاطلاع عليها في خطاب ودي أرسله ذلك الحكيم المجرب الى صديقه الاديب أحمد افندي زكي أبو شادي في مبحث من أهم المباحث التي يجدر بكل شاب أن يمعن النظر فيها .

وقد اطلعنا كذلك على رد شعري نفيس أرسله الاخير الى صديقه (الخليل) فأحببنا اثبات القطعتين لسمو مغزاهما ومبناهما ، وجمال الحقيقة في المنثور ، ورقي الخيال في المنظوم ، وشرف الاحساس في كاتبيهما .

وكنا نود لو سمح لنا بأن نكتب بيانا موجزاً لمبعث هذه المراسلة التي لا نشك في أنه ليس بها غير اشارات بسيطة فقط لذلك ، دون تعرض لدقائق موضوعها الذي كله دروس في الاخلاق تستحق التأمل والاعتبار بها .

قال خليل افندي مطران في كتابه :

بُنيّ الكريم أحمد

ساءني أيْ بُنيَّ ما ساءك وبقدر ما ساءك ، وتمنَّيتُ لو أنّ مابي من الجَلَدِ انتقل اليكَ مع بقائِكَ على حداثة سنّك لتتحمَّل كتحملي وأنتَ قويٌّ أيِّدٌ ، على أنني اعتقدتُ منذ الساعةِ الاولى

وما زلتُ على عقيدَتي تلك : اعتقدتُ أنَّ شرف نفسك وسعة حلمك يتغلّبان على الحدث الذي مرَّ بك ، وانْ هو الا أُولى همزات الزمان ، وهكذا الدُّنيا ـ ويا للأسف ـ من مبدئها الى نهايتها . وخيرُ ما فيها على ما أكسبني « الاختبار » ـ ومعناه : « الصَّلابة من توالي الجراحات » ـ هو أن يشتغل الرجل بما هوَ أليق للرجال ، هو أن يكافح في سبيلِ مجدٍ فيُعَزَّ غالباً ويُعَزَّ مغلوباً ، هو أن يكون مثلك شغفاً بالمعنى ، ولكن على أن يكون المعنى المشغوف فيه لا يُمثَّل باحدى صوَر الانوثة ، بل يُخيَّل في مطلبٍ جلل من مطالب نفع الناس وخلود الذكر .

إعلمْ ذلك ياطبيبَ الغد ، ولعلَّ علمكَ قد شفاك ، والله يتولّى رعايتك وصيانة قلبك ، واطالة بقائك ، على ما أحبهُ لكَ من المجد وعلوّ النفس م

الاسكندرية فى ١١ مارس سنة ١٩١١ — المخلص

خليل مطران

وهـذا هو الرد الذي كتبه زكي افندي أبو شادي في ذلك الوقت بين عواطف متنازعة الى صديقه ومرشده :

الى شاعر الامتين

خليــل مطران

يامُنعشَ الفاني بسحْرِ بيــانهِ
لِلّهِ آية شعرِكَ المنثورِ !
الموتُ يصغُرُ – ياحكيمُ – كرامةً
للمجْدِ بعــد حنانِكَ المسطورِ !
والحُكمُ حكمكَ ياطبيبَ مُسَهَّدٍ
يشكو اليكَ تعسُّفَ المقْدُورِ
ألفى [1] الجمالَ فحبَّ غيرَ مُوَفَّقٍ
وأتى الوداعُ فماتَ غيرَ صبورِ !
والعُمْرُ بيْنَ رخيصِهِ وثمينِهِ
في البحْثِ ضاعَ ولم يفزْ بسرور !

(١) ألفى : وجد .

أحيـا الشَّبابَ معذَّباً بشعورِهِ
وطوى الشَّبابَ مكفَّناً بشعورِ! [١]
ولعلَّ غايةَ حظِّهِ مِنْ سعْيِهِ
أنْ لا يُبَرَّ بسعيهِ المبْرورِ [٢]
ويُذالَ [٣] رغمَ ابائِهِ وحيائِهِ
ووفائِهِ وغرامِهِ المقبورِ
ولعلَّ مبعثَ همِّهِ المُودِي بِهِ
أنْ يُستَخَفَّ بقلبِهِ المأسورِ !
والنفسُ إنْ وَثِقَتْ بغيْرِ حقيقةٍ
مُنِيتْ بعلةِ وهمِها المأثور [٤] !
أمَّا (الجلالةُ) ـ يا عظيمُ ـ فنِعْمةٌ
ليستْ منَ التَّمحيصِ والتفكيرِ !
واعلمْ ـ ومِثْلُكَ لا يُهينُ عقيدَتي
وأنا المعزَّكَ في سماءِ ضميري !

(١) راجع أبياته « وداع الشباب » في ديوان (زينب) ، صفحة ٢٦ .
(٢) المبرور : ما لا شبهة فيه ولا كذب .
(٣) يذال : يهان .
(٤) المأثور : المنقول الشائع كما تنقل عدوى المرض . ويقال منى بكذا : أي امتحن واختبر به .

انَّ الذَّكاءَ وكلَّ أسبابِ العُلَى
همٌّ بغيرِ نتيجةٍ ومصيرِ !
ولَرُبَّ موفورِ الجلالِ جلالُه
من رشْقِ ألحاظٍ ونُورِ ثغور (١) !
والمالكُ الدُّنْيا بحُكمِ عواطفٍ
غيرُ المَجدِّ لهـا بحكمِ غُرُورِ !
فاشْفِقْ عليَّ اذا عذلتَ فانما
عَذْلُ الكثيرِ البرِّ غيرُ يسيرِ !
وخفيُّ أسْرَارِ القُلوبِ وحالها
ليْستْ كحالةِ خَفْقِها المنظُورِ !
كم في الخيالِ مباحثٌ لا تنْتهي
لتبيُّنِ المعروفِ والمنكورِ (٢)
كم في النَّسيمِ مُبدِّدٌ ومُجدِّدٌ ومؤيِّدٌ لصبابةٍ وحبُورِ

(١) من القصص التاريخية الادبية المفسرة لهذا البيت والمعززة لمغزاه قصة بهرام جور وابنه (راجع الجزء الثاني من كتاب « نهاية الارب في فنون الادب » للنويري ص ١٤٠) . وراجع أيضا كتاب « أشهر قصص الحب التاريخية » لسلامة موسى .

(٢) المنكور : المجهول ، من نكر الامر بمعنى جهله .

ولقدْ ترى المصدُورَ ليسَ بمالِكٍ   بثَّاً لحسرَةِ قلبهِ المقْهُورِ

يدْري ويجهَلُ ما كآبةُ نفسِهِ   في نفْسِهِ وأنينِه المَوْفور

وتنوُّعُ الإِحْساسِ يُحْرِجُ ناقِداً

في فهمِ صُورَةِ حِسِّهِ المستورِ !

وحقائقُ المُهَجِ الحزينةِ والمُنى

وصوابُها ليْستْ لكلِّ خبيرْ[1] !

يا مَنْ يقدِّرُ عقْلَ كلِّ مفكِّرٍ   أنتَ الحَرِيُّ بميْزَةِ التَّقديرِ !

عفْواً اذا صَرَّحْتُ أنكَ في الهوَى

أولى بحَقٍ أنْ تكونَ عذِيري[2] !

---

(١) مثل هذا الرد الفلسفي على ملاحظات الاستاذ (مطران) ، وما تضمنته هذه القصيدة الفياضة بالشعور من معان وجدانية دقيقة كثيرة ، لما يهزني تأثراً ، لا سيما وقد كان الشاعر وقت نظمها (في منتصف مارس سنة ١٩١١) في التاسعة عشرة من عمره . وهي مثال لقسم كبير مفقود من شعره ما بين سنة ١٩١١ م وسنة ١٩٢٢ م بسبب الحرب والأحكام العرفية واغترابه الطويل عن مصر وغير ذلك من ظروف عائلية قاسية أشرت الى بعضها فيما نشرته سابقا من دواوينه .

(٢) لعله يشير الى تبادله المحبة مع صديقه (مطران) ، أو لعله يشير الى غراميات (مطران) في صباه ، وبين شعره الشهير قصيدته التي يقول في مطلعها :

سُررتَ في العُمرِ مَرَّهْ   وكنتِ أنتِ المَسَرَّهْ !

فتّشْ عن الوجدِ المميتِ شبيبتي
ظُلْماً ، وكم بدّتْ لغيرِ نَصيرِ !
وعن الوفاءِ المُصغرِ الدُّنيا لهُ   المستحلِّ له شقاءَ مَصيرِي !
وأنصتْ لما يُوحي الفؤادُ الى النُّهى
وحنينهِ الخافي عن التّعبيرِ !
أنْصِتْ ! وكنْ باللهِ أعدلَ حاكمٍ
في الخُلْفِ بين رَوِيَّتي وشُعوري !
أبغي[1] السلامَ لقوَّةٍ أحيا بها
ونفورُها عفواً يجرُّ نفوري !
والعقلُ يُطفئهُ المغيبُ وعلَّني
أيقنتُ أنَّ النورَ[2] بعضُ النّورِ[3] !
فأدركْ بحلمكَ[4] مهجةً أرشدْتَها
حبّاً ، وعيقتْ عن هواكَ بسُورِ[5]
لتسير بيْن مفاخرٍ وعظائمٍ   لا بيْنَ أطلالٍ وبين قبُورِ !

سراي القبة في ١٤ مارس سنة ١٩١١   المخلص

أحمد زكى أبو شادى

---

(١) أبغي : أطاب . (٢) ذكاء العقل ورجاحته .
(٣) أي مستمد من اشراق الحبيبة ، فاذا انقضى اشراقها اطفأ المغيب العقل .
(٤) بحلمك : بعقلك . (٥) يعني حاجز الحنين والوفاء لمحبوبته النائية .

الزهرة الصائمة

او حسناء رمضان

صامت كصوْمِ الزَّهرَةِ الـ ـمحسودِ رونقها النَّضِرْ
فكأنَّ ماءَ شبابها أغنى عن الرِّيِّ الكثيرْ !
وكأنَّ رشفَ جمالها لم يُفقرْ الحسنَ الوفيرْ
وكأنَّ بعضَ زكاتها هذا الزَّكيُّ منَ العبيرْ !
أو أفطرتْ سهواً وانْ صا متْ بالذَّاتِ الشعورْ !

فتنة العود

وصف ارتجالي وصورة شعرية أمينة لحفلة غناء وأنس ، وفي القصيدة اشارات كثيرة الى وقائع ومناسبات ، والى ما وقع من لغمات وأدوار ومقاطيع وقد ارتجلها الشاعر بيتا بيتا مجاراة للواقع ، وكان زينة المجلس سعادة الاستاذ القانوني الجليل والموسيقي المبدع خرشيد بك من مؤسسي (نادي الموسيقى الشرقي) بالقاهرة والاستاذ الاديب عبد الله افندي بكري .

أنْصِتْ (لخرشيد) الرَّشيـ ـدِ[1] يُداعبُ العُودَ الرَّشيدْ[2] !

(١) اشارة الى مركزه الاجتماعي وخلقه الرزين .
(٢) اشارة الى قدم العود المستعمل في الحفلة .

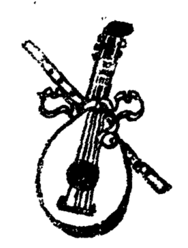
وكأننا في مجلسٍ للأنسِ في عهدِ (الرَّشيدْ) !
نغماتهُ شَرْحُ المُدَا مِ وسكرَةُ القلْبِ العميدْ !
وكأنما (تقسيم) تقسيمُ ألبابِ شهُودْ !
طوْراً (قرارٌ) عنـدَهُ إقرارُ آمالِ الوَدُودْ
وهنيهةً مِنْهُ (الجوا بُ) وكم يجيـد وكم يُجيدْ !
ويجيءُ (بشرف) الشَّجِيُّ ببِشْرِ أحلامٍ تزيدْ !
واذا (النهضة) أعقبَتْ جاءَتْ بآياتِ العُهُودْ !
واذا ترنَّم حبُّهُ (بالنيل) ناجانا الخُلُودْ !
واذا شكى شكوى المحـبِّ (الصبِّ) بلَّلتْ الخدُودْ !
واذا (الحجازُ الطارُ) أنْشِدَ أنصتَتْ مُدْنٌ وبِيدْ !
وكأنَّ حُلْوَ (دلاله) يحْلي لنـا مُرَّ الصُّدُودْ !
وكأنما تفهامُهُ وآسْ الأنّاتُ رُوحُ الشَّهيدْ !
(سُفْرُ الصحيح من الهوى) مِنْ فيهِ يخشاهُ الجَليـدْ !
واذا (الصبا) أشجى فما يَعْصيهِ صَبٌّ مستزيدْ !
وكأنما توقيعهُ تعذيبُ منفيٍّ وَحيدْ !

واذا أشارَ (**لجنة الا** **متحانِ في نار**ِ) يُبيدْ
ويُعيدُ مفتنًا بتشْ ويقٍ وإغراءٍ شديدْ !
واذا أرَدْنا شُكرَهُ نادَى بشُكرٍ عَزْفُ عُودْ !
وأتَتْ تُغنّي بالثّنا ءِ كمُنْجَةُ (**البكري**) المجيدْ
فكأنّها وكأنّهُ صبّانِ في وَصْلٍ أكيدْ !
وكأنّما القَوْسُ المُزَنَّ حُ عارضُ الرقصِ الفريدْ !
جُمعَا وكانَ من ازدوا جِ اللّحْنِ اعجازُ النَّشيدْ !
وتفرّقا كتفرُّقِ الـ أحلامِ بالحُلْمِ الجديدْ !
فاذا (**أحاديثُ القر** **م**) تعودُ في عقدٍ نضيدْ
نُصغي لها نَشْوَى كما نُصغي الى (**الذِّكر**) الحميدْ
وكأنّها حَلْوىُ السَّحُو ر[1] تُذاقُ في حلوى القصيدْ !
والعُودُ صَدّاحٌ بنغ ردِهِ كمعنًّ فريدْ !
وعلى (**السواقي**) مُنْشِدٌ كالبلبلِ الشّاكي القيُودْ
وهوَ الطليقُ وانما (**بَصماتُهُ**) نجْوَى شَهيدْ !
لكنْ (**فريدُ** **للامحا** **ـون**) جاءَ ينقذُهُ بجُودْ

---

(١) كانت الحفلة في ليلة من ليالي رمضان .

والليـلُ منتصِفٌ فطا ب النَّوْمُ للهُجِ الهُجُودْ
وكأنه الشُّكرَانُ لل فنَّانِ أوْ معنىً السُّجُودْ!
لـكن (رأينا في الطر وِ العاشِقِ) الباكي يجودْ!
فاذا بنا في (ضحكةٍ) الـ إنعاشِ لا نخْشَى الحَسُودْ
(فدعا علينا) أنْ نذو قَ سقامَهُ حتى نبيدْ!
لـكنَّ من (بدْعِ الحبيـ ـبِ) نهايةَ الطَّرَبِ الفريدْ
لولا (الجفاء) وقسوةُ الـ تَشْويقِ للحسنِ الجليدْ
(وعلى هواهُ) قد حيد نا وهو (بالعفو) المُعيدْ
وأنا لهُ (العبدُ المرجى) وصلُه المُحْيي العبيدْ
قضيتُ في تيهِ المتوَّ ج والمُنَعَّمِ يومَ عيدْ!



عودة العود

الى الاخ الاديب عبد الله افندى بكرى .

إنْ يرجعْ (العُودُ) بلا مهلةٍ
ما كان في (السُّرْعة) [1] ذلُّ الرَّخيصْ
لكنه شوقُ الوَفيِّ الذي يهواكَ لا يُعْنى بأنسٍ خصيصْ
فاشكرْهُ إذْ شُكري قليلٌ لهُ
واَغنمْهُ معتزًّا بشوْقِ الحريصْ
واَسمعْه صدَّاحاً بشكراننا [2]
فالشكرُ مِنْ فِيــهِ أحبُّ النّصوصْ

(١) يشير الشاعر أيضا الى نظمه هذا الايذان من البحر « السريع » الذي يهواه صاحب العود .

(٢) يشير الى تقدير الجمع الذين حضروا حفلة الانس وهي التي وصفها بقصيدته السابقة : « فتنة العود » .

قسوة رمضان

قالها مشيراً الى تفشي الملاهي والخلاعة في ليالي رمضان والى مظاهر التقوى المزيفة

(رَمضانُ) أنتَ لرَحمةِ العُشَّاقِ تُحيي لَياَ لِيَهُمْ بطيبِ عِناقِ !
قدْ عُدْتَ عَوْدَ الوصل بعْد تَشَتُّت
وعَذُبْتَ بعدَ مَرارَةِ الأَشْواقِ
راعَوْكَ صَوْماً بالنَّهارِ وَأقْسَمُوا أن يفْطِرُوا بسُلافةِ الأَحداقِ!
وبرشْفِ ما يقضي الجمالُ لعابدٍ عندَ الزَّكاةِ وساعةَ الاشفاقِ !
ماذا جَنَيتُ وماذُ نوبُ عبادَتي حتى تُبيحَ بقسْوَةٍ إرْهاقي ؟ !
وتجودَ بالأرزاقِ غيرَ محاسِبٍ وتضنَّ لي بمُنىُ اليَسيرِ الباقي؟
نجْوايَ والبرُّ الذِي أسْعىٰ لهُ في شهرِكَ المبرُورِ حَلَّ وثاقي
لأَرى الحبيبةَ عن قريبٍ ظافراً منها ببسْمتِها وكأسِ فراقِ [1]
لا أنْ أصوم على ظماءٍ دائِمٍ وعلى أنينٍ يُتْعِسُ اُسترْقاقي [2]
والنَّاسُ تَفْرَحُ بالتَّسامُرِ والهوىٰ وأنا الوحيدُ لهُ شَكاةُ مآقي!



(١) يشير الى تبادل العهود على الكؤوس قبل الفراق أو لعله يشير الى قبل التوديع . (٢) أي يجعل الاسترقاق شقاء .

الحاكمة

وَقَفْتِ وُقُوفَ « الرَّبِّ » في بُرْجِهِ الأَسْمى

تشيرينَ للدُّنيا كما شِئْتِها رَسْماً !

تسرْبلتِ بالطُّهر الذي عَزَّ قدْرُهُ

وإنْ لُحتِ للأَبْصار عرْيانةً جِسْماً !

كأنكِ تستَوْحينَ حِكْمَةَ خالقٍ

حَباكِ العُلَى والُحسْنَ منْ حُسْنِهِ الأَسْمى

عَبَدْناهُ في هٰذي الملاحةِ قَبْلَ ما

عَبَدْناهُ في حُسْنٍ يُوزِّعهُ جَمّا !

وَقفْتِ على الصَّخْرِ المُنيفِ إلٰهة

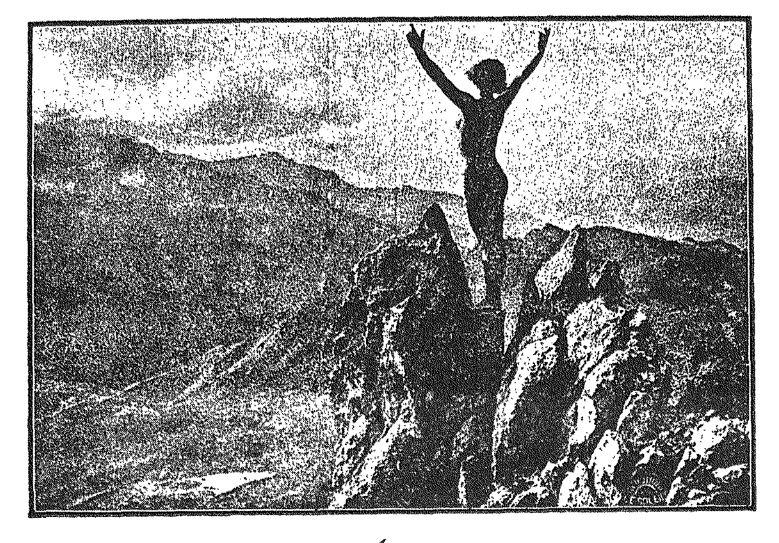
تُبيحينَ للأَضْواءِ منْ جِسْمِكِ اللَّثْمَ !

تَزيدينَ نُورَ الكوْنِ نُوراً معطَّراً

وتُحيينَ أَشْهى ما تلمَّسَ منْ نُعْمى !

إليكِ انتهتْ كلُّ (الفُنونِ) كأَنما

هيَ الَخمْرُ لمَّا كُنْتِ أنتِ لها الكَرْمَا !



الحاكة

فمنْ جِسْمِكِ الفتّانِ إعجازُ راسِمٍ
ولولاكِ لمْ يُبْدِعْ بفِتْنَتِهِ يَوْمَا !

ومِنْ سِحْرِكِ المَعْسُولِ آياتُ شاعرٍ
رآكِ مُنى الدُّنْيا وآيَتَها العُظْمى !

ومِنْ هذهِ الأمواجِ للنُّورِ قد حَبَا
أغانِيَهُ الفنّانُ والنّاظِمُ النَّظْما

ومِنْ هذِهِ الألْوانِ يغْشَى نعيمَنا
من الحُلْمِ ما نأبى البقاءَ لهُ حُلْمَا !

ومِنْ ظِلِّكِ المَثّالُ أنْطقَ صُنْعَهُ
وأشْبَعهُ نُوراً وأكْسَبهُ غُنْمَا !

ومِنْ لُطْفِكِ الصُّوفيُّ ألَّهَ رَبَّهُ
فأخْلصَهُ حُبًّا وقدَّرَهُ فَهْمَا !

فأنْتِ اذنْ أصْلُ (الفنُونِ) جميعها
ولولاكِ ماتتْ، أوْشكتْ بعدَكِ اليُتْمَا !

وأنتِ اذَنْ مَلْقى العبادَاتِ كلِّها
ولولاكِ باتَ الدِّينُ في كوْنِنا وَهْمَا !

وَقفْتِ على صَخْرِ الوُجودِ رَشيقةً
وصَوَّبْتِ نحْوَ السُّحْبِ من لحظِكِ السَّهْمَا

فبدَّلْتِ السُّحْبُ الصَّخورَ، فأصبحتْ
جِنَاناً تَشُوقُ العينَ والسَّمْعَ والشَّمَّ!
وحولكِ مِنْ كُلِّ الجوانبِ نَضْرَةٌ
لدُنيا وأُخرى كنتِ أنتِ لها بَسْماً!
وأوحيتِ للشَّمسِ الوفاءَ فأطلعتْ
لأجلكِ هذا النورَ والبدرَ والنَّجْمَا!
وَبَثَّتْ حياة منكِ في كُلِّ بَهْجَةٍ
فكلُّ الذي نَهْوَى عليكِ إذَنْ نَمَّا!
وما كانتْ الصَّحْراءُ جدباءَ للوَرَى
اذا لُحتِ، بلْ كانتْ جمالاً لهمْ فَخْماَ!
فدُومي لنا إلهامَ كلِّ عظيمةٍ
وكوني لنا دِيناً نُقدِّسهُ دَوْمَا!
يَذلُّ لهـا عُبَّادُها بإسْمِ شَهْوَةٍ
فترفعهمْ للحُسْنِ في رَفْضِهَا الوَهْمَا!
لديكِ الأَذَى والخيرُ، فلتطْرحي الأَذَى
وكُوني إلهاً في سَنَا بِرِّهِ نُحْمَى
ومَنْ لمْ يكنْ إيمانهُ فيكِ كاملاً
فما هوَّنَ الكفرانَ أنْ يُحْسَبَ الأَعْمَى!

المرآة

«أنظُرْ ضحايا الهوى   في نارِ هذا الشفقْ!
تشبعتْ هكذا   بكلِّ قلبٍ خفقْ
وانظُرْ همومَ الورى   كشُعلةٍ تحترقْ
تسربتْ منهمو   بينَ الأسى والأرقْ
وسُطِّرَتْ لوعةً   بصفحةِ الغسقْ
وانظُرْ معاني الصِّبا   فيها زَهَا واتَّسقْ
مِنْ كُلِّ لونٍ لهُ   أنفاسُ روضٍ عبقْ
لولا زوالٌ لهُ   في اللَّيلِ مِثْلُ الغرقْ
لذاكَ يبْدُو على   رَوْعٍ كثيرَ القلقْ
فيهِ حياةٌ كما   فيهِ مماتٌ صدَقْ!»

***

فلم يُجِبْ لهفتي   هذا الحبيبُ الارَقْ (١)
لكنَّهُ قدْ رَنا   في بَسْمةٍ تُسترَقْ (٢)
الى السَّماءِ التي   فيها الأسى والحَرَقْ

---

(١) الارق : الالطف .
(٢) تسترق : تملك ، كناية عن نفاستها ، وكذلك بمعنى تسرق .

فأشْرَقَتْ ثانياً مِرْآتُها في ألَقْ !
وأخجلتْ خاطري وطال عُمْرُ الشَّفَقْ !

المنديل

مَرَّتْ سنونٌ عليهِ وعِطْرُهُ لا يَضيعْ
كأنَّما العِطْرُ فيه ذِكْرَى الغَرام الصَّريعْ
أو رُوحُ ماضي وَفاءٍ مَضَى مُضِيَّ (الرَّبيعْ)
فأنشَقُ الحُبَّ مِنْهُ كَشَمِّ زَهْرٍ بديعْ
وأشتكي في جنوني وهوَ الحَزينُ السَّميعْ !
كأنَّما هوَ قلْبي والعِطْرُ فيهِ النَّجيعْ !
يشكو بصَمْتٍ بليغٍ شَكْوَى المهينِ الوَديعْ
مِنْ بعدِ ما نسيتُهُ نِسْيانَ حُبِّي الرَّفيعْ
فحالُهُ حالُ نَفْسي وما لَهُ مِنْ شفيعْ
وما لَهُ منْ عزَاءٍ غيْري، فلا أستطيعْ !
وما العَزَاءُ بنفْيٍ على الشَّقاءِ المَنيعْ ؟ !



مجمع الفنون

الشِّعر

عَزَفتُ مِلءَ رنينِ القَلْبِ أشْعاري
وكانَ لي منهُ أصدائي وأوْتارِي
قيثارَةٌ صدحتْ باللَّحْنِ ضاحكةً
حيناً ، وآناً بَكَتْ في وَجْدِيَ النّارِي
كم بين جَنْبَيَّ منْ شِعْرٍ ومِنْ نَغَمٍ
أُحَبُّهُ لم يزَلْ سرِّي وإضْمَارِي !
فانْ سِمِعتُمْ أناشيدِي مُرَتَّلةً فما سمِعتمْ مزاميري وأسْرارِي !
لكنْ كفتكم أغاني مُهْجَتِي نُخَباً
مِنْ كلِّ لحنٍ عجيبِ الرُّوحِ سيَّارِ
غنيتُ باللفْظِ عنْ عُودٍ يؤيِّدُني
وكانَ لي كُلُّ ذِهْنٍ شِبْهَ مِزْمَارِ !
والشِّعْرُ يُحيي الأغاني في النفوس كما
يُحْيِي النَّسيمُ أغاني الجدْولِ الجاري

وكم يُصَوِّرُ جنبَ العَزْفِ مِنْ صُوَرٍ
في أبدعِ النَّقْشِ أوْ في قُوَّةِ الباري
بل كم يمثِّلُ في نحْتٍ لناظِرِهِ
بالفكرِ آيَ تماثيلٍ وآثارِ !
كأنما جُمِعَتْ فيـهِ (الفنُونُ) كما
يؤلِّفُ الرَّوْضُ أطياراً بأزْهارِ
فلا تَعيبوا جمالَ الشِّعْرِ عنْ خَطَلٍ
جَمالُهُ رُوحُ أرواحٍ وأفكارِ
إنْ لم يحرِّكْ دفيناً منْ عواطفكم
فَعُذْرُهُ أنَّها في حُكمِ أحْجارِ !
وإنْ جهلتُمْ جلالا مِنْ نُبُوَّتِهِ
وما أَسَغْتُمْ نَشيداً ملءَ أشْعارِي
وما تَضَمَّنَ مِنْ سِحْرٍ ومِنْ عَبَقٍ
ومِنْ دَليـلٍ لِسِرِّ الكوْنِ جبَّارِ
وما يمثلُ مِنْ (دُنْيا) يُصاحِبُها
ومِنْ مُحَجَّبِ (أُخْرَى) بينَ أنوار

وِمِنْ مَلَاحِنِ حُورِ الْخُلْدِ في طرَبٍ
ومِنْ رَوائعِ ما يَحْبُوهُ للقارِي
فكلُّ ذَنبيَ أنّي ما ضَنَنْتُ بهِ
ولم أصُنْهُ لأَرْبابٍ وأقمارِ !
والحُسْنُ إنْ باتَ مبْذُولاً لسائِلِهِ
ـ وإنْ سَما ـ هانَ عند الجاهلِ الزاري !
أعيشُ حرًّا بأكْوانٍ أسامِرُهَا
وناقِدِي عاثِرٌ يلهو بأسفارِ !

بعض الصيام حرام !!

كتب الأديب عبد الله افندي بكري في يوم من رمضان :

أسائلُ عَنْ صحةِ السيّدِ لعلّك في رَغَدٍ جيدٍ ؟

فأجابه الشاعر :

سؤالُكَ معشوقُ زَهْرٍ ندي ترفُّ به في حنانٍ يدي !
تناوَلْتُهُ ثمَّ قبّلْتُهُ فأفطرَني دونَ أنْ يعتَدِي !

فانّ لهُ نكهةً عذبةً ... تُذاقُ لدى الشم عند الصدي !

كأن الشاعرَ مِنْ شوقها ... تمثّلُ في حسّها المُفْرَدِ !!

فقال الرَّفيقُ وقدْ شامني ... طَرُوباً كصبٍّ على موعدِ :

« لكَ اللهُ ! أفطرت من قُبلةٍ ... وأسكرت ! ياللكَ من مُسْعَدِ !

فلا تجزعنَّ ! فبعْضُ الصّيامِ ... حرامٌ اذا القلْبُ لم يَحْمَدِ » !

فمنْ كانَ في نِعمةٍ هكذا ... بعطْفِكَ يُحْسبُ في سُؤدَدِ !

ويُغفرُ ذنبٌ لهُ ، فالهوى ... يكفّرُ عن خطأ المهتدِي !



كليمنصو في منفاه

يوجد في شمال فرنسا على شاطىء البحر كوخ صغير قديم أناخ عليه الدهر بكلكله وفي داخله شيخ ينوء تحت اعباء السنين التي أثقلت كاهله ، يتسمع الى صدى الامواج المتكسرة على أقدام الصخور ، ويتمعن بسكون في زبد المياه التي تزوره أغلب الاحيان في وسط منزله : ذلك هو كليمنصو أحد أقطاب السياسة في الحرب العالمية الكبرى ! ...

« كليمنصو » ... كلمة كانت اذا قيلت قبل سنين دلت على القدرة والحنكة والسياسة . . . دلت على أحد مسيري الكون القابضين على أزمة أوروبا . أما الآن فشيخ هرم بعيد عن العمران يقطن كوخا على شاطىء خضم مضطرب ، منعزلا عن العالم وضوضائه فكأن كليمنصو أراد — بعزلته الموحشة وعيشته البسيطة بعد عجزه وكبره ، وتمضية البقية الباقية من حياته بهدوء — التكفير عن خطيئاته ، وما أكثر خطايا السياسيين ! ... فسبحان مغير الاحوال !

— عن « كوكب الشرق » .

***

(كليمنصُ) هذي غايةُ العَبْثِ بالعُلَى!

فما كُلُّ قَدْرٍ بالبقاءِ جديرُ !

وانَّ «جلالَ» الظُّلمِ وهْمٌ مبدَّدٌ وليسَ لهُ غيرَ الزوالِ مَصيرُ

وانَّ هناءَ النفسِ غيرُ أُدِّكارهِ
وفي الذِّكرِ ما يَبكي عليهِ ضميرُ !
نزحتَ لكوخٍ قيلَ أنتَ فخارُهُ !
وكم مِنْ حقيرٍ عُدَّ وهوَ كبيرُ !
تمتَّعْ — ولٰكنْ شاقياً غيرَ هاديءٍ —
بِطُلَقِ عيشٍ يَشْتَهيهِ أميرُ !
وقدِّرْ نعيمَ المرْءِ وهو محرَّرٌ
من الأسْرِ ، فالعصْرُ الجديدُ أسيرُ !
وكم كنتَ عوناً للقيودِ مكبِّلاً
شُعوباً على نار الشقَّاءِ تسيرُ !
فهلاَّ رأيتَ اليوْمَ كيفَ ترَكْتَها
وفيها عليلٌ مُرْهَقٌ وأجيرُ ؟!
وهلاَّ اعترَفْتَ (١) اليوْمَ أنك نادِمٌ
فحالكَ عُقْبَى ما ادَّعاهُ غُرورُ ؟!
فلا أنتَ مَنْ أنمى الحضارةَ جُهْدُهُ
ولا أنتَ مَنْ أبْقَى عُلاهُ ظُهورُ

(١) عرفت .

ولا أنتَ من أحيْا الزّمان لجورهِ

خلوداً ... وهلْ تُحيي الخلودَ شرُورُ ؟!

تعيشُ وحيداً في الصّفاء معذّباً !

وتمضي وما يبكي عليكَ شعورُ !

كأنَّ مياهَ البحرِ حولكَ أدمُعٌ

ضحايا ، ومن شمسِ النهارِ سعيرُ !

كأنَّ نجومَ الليل شتّى قنابلٍ تحدّثُ عن ماضيكَ ثمَّ تغورُ !

كأنَّ اندفَاعَ الموْجِ نحوكَ ساخِطاً

شعورٌ من الكونِ الجريحِ يفورُ !

وهيهاتَ للتفكيرِ محْوُ جريمةٍ

تنوءُ بها الدُّنيا ... فتوْبُكِ زورُ !

اذا هَدمَ الإنسانُ آمالَ جِنْسه[١]

فليْسَ لهُ في العالمينَ شكورُ !

وهيهاتَ يُفني التّوبُ آثامَ قسوَةٍ

تُردِّدُها طُولَ الابُودِ[٢] عُصورُ !



(١) يعني الجنس البشري . (٢) الابود : جمع الابد وهو الدهر .

الكبرياء القومية

ليستْ بغطرَسةِ الغُرُورِ وإنَّما — هي عِزَّةُ المعتزِّ بالآثارِ !

الشَّاعرُ الرَّاوي جلالةَ أمسِهِ — والعاملُ السَّاعي لعيْش فخارِ

والباذِلُ الجُهْدَ العظيمَ لنهضةٍ — قد تستهينُ بغضبةِ الأَقدارِ

يُنمي «واهبَهُ» ، وتصعدُ حولَها — أحلامُهُ كمنارَةٍ للسَّاري

ويخطُّ خطَّتَهُ الجريئةَ للعُلَى — ويخصُّها بالحبِّ والاكبارِ

وكأنَّما هي رُوحُهُ وغذاؤُهُ — ومَلاذُهُ في الخطْبِ والاعسارِ

هيهاتَ تحيا أمةٌ لمْ تعتَمِدْ — في حقِّها المتغلِّبِ القهَّارِ !

إنَّ الحياةَ مشاعرٌ وعواطِفٌ — وعقائدٌ وتشبثٌ بِشِعَارِ !

والموتُ في هذا الوُجودِ تضاؤلٌ — وتخبُّطٌ بمذلَّةٍ وعِثارِ

والشَّعبُ إن فقدَ اعتِدادَ شعورِهِ — بصفاتِهِ فمصيرُهُ لِدَمارِ !



ذكرى دنشواى

— من قصيدة قديمة مفقودة —

ضجّتْ لنكبةِ أهلكِ الأقطارُ   وغدوْتِ قبراً للبكاءِ يُزارُ

جُنَّ الطغاةُ فأرهقوكِ وأقسَموا

أن تستحِلَّ خطوبَكِ الأَوْغارُ [1]

فاذا المشانقُ والسِّياطُ تَسابقتْ   واذا البنادِقُ والقنا الخطّارُ

عاثوا فقامَ بكلِّ بيْتٍ مأتمٌ   وتيتّمَتْ بيدِ الجُنَاةِ صِغَارُ

ياسوءَ ما يجني الذينَ تشدّقوا   باسمِ الحضارَةِ ضلّةً وأغارُوا

صادُوا النفوسَ كأنّهنَّ حمائمٌ   واسترسلوا في الموبقاتِ وجاروا!

لاتذكرُوا ظُلُماتِ أدهارٍ مضَتْ   جُزْتمْ مدى ما أفزعتْ أدْهار!

(نيرون) لم «يُسْعَدْ» بأقبَحَ عصبةٍ

منكم ، ولا أمثالهُ الفُجّارُ!

وفظائعُ الجبرُوتِ قدْ شَهِدَتْ كما

شهِدَ (المغولُ) بعسفكم و (تتارُ)!

(١) الأوغار : الاضغان .

صَبْراً وحَزْماً (دنشواى) فانما ‏ ‏ يتغلَّبُ المستبسلُ الصَّبَّارُ !

شُرِّفْتِ بالقَدَرِ الخطير ضحيّةً ‏ ‏ لحياةِ (مصر) فما أتاكِ العارُ !

وتلطّختْ بدمٍ زكيٍّ دَوْلةٌ ‏ ‏ زعموا بُناةَ جلالها الأحرارُ (١) !

إنَّ الشَّهيدَ مضرَّجٌ بدمائِه ‏ ‏ فوقَ الأَثيمِ بدا عليهِ الغارُ !

والشعبُ لن يرْقى الى آمالِهِ ‏ ‏ إنْ رَوَّعتهُ بطعنِها الأَقدارُ

ومن المصائبِ قُوَّةٌ وجلادَةٌ ‏ ‏ ومن المصائبِ للأُباةِ فخارُ !

ومع التمسكِ في الكوارِث رحمةٌ ‏ ‏ كالصُّلْبِ رُدَّتْ عن حِماهُ النّارُ !

غُمَمُ الحوادِثِ لن تدومَ وانما ‏ ‏ يبقى الحِجَا والعزمُ والأَوطارُ

في ذمّةِ اللهِ الكريمِ جراحنا ‏ ‏ في ذِمّةِ الشُّهداءِ ما نختارُ

جاءتْ مقدَّمةَ الكتابِ وقبلَه ‏ ‏ سِيَرٌ ، وقد تتعاقبُ الأَسفارُ !

حتى يُخطَّ جهادُ (مصرٍ) من دَمٍ

مِنْ قَبْلِ أنْ تتبلّجَ الأَنوارُ !

لنْ يَقتلَ الوطنَ الجريحَ إباؤُهُ ‏ ‏ بل يقتلُ الوطنَ السَّليمَ صَغارُ !

---

(١) كانت وزارة الاحرار الانجليز قابضة على زمام الحكومة البريطانية في ذلك الوقت ، ومن تقاليد الانجليز المعروفة المباهاة بنصرة الحرية .

والغاصبُ الغلاّبُ في استعلائِهِ ... هاوٍ متى عصفتْ به الإعصارُ!

⁂

دارَ الشّهامةِ ـ والشّهامةُ عِزّةٌ ... للعارفينَ ـ بكتْ عليكِ دِيارُ!

ولأنتِ في عيْني أجلُّ من البُكا
فلمثلِ أهلكِ يُعْرَفُ الإكبارُ

بالأمْسِ حَفَّ بكِ الجُنودُ كأنّهم
لِمَشَاهدِ الشّرَفِ الأبيِّ إطارُ!

واليوْم يحرسُكِ النّخيلُ كأنه ... سُورٌ، ومن أشجاننا أسوارُ!

يُزْجَى اليكِ حَنانُنا ووفاؤُنا ... واليكِ تقديرُ الرّجالِ يُسارُ

وبعضُنا منكِ النّواحُ، فخفّفي! ... إنَّ الزّمانَ مُكافيءٌ دَوّارُ!

إنَّ العنايةَ أظهَرتْكِ لِنَهْضَةٍ ... فاذا شُعورُكِ للنهوضِ شِعَارُ!

قد صِيغَ من شَمَمٍ ومن حُرّيةٍ ... وشدائدٌ شَهِدَتْ لهُ وغمارُ!

فاذا بخَطْبِكِ خَطْبُ (**مصر**) بأسْرِها
وإذاهُ نَصْرٌ صانهُ الأنصارُ!

وأرى الأُلى عاثوا يودُّ زعيمُهمْ ... لو بُودِلَ المَقْهُورُ والقهّارُ!

وأرى ظلامكِ كالنّهارِ بما وَعَى ... مِنْ سِيرَةٍ هي لِلحُماةِ مَنارُ

ومعَ اليقينِ رَباحُ كُلِّ كرامةٍ ... ومعَ التّشكّكِ والبُكاءِ خَسارُ

وذخيرةُ الامم المَبادِيءُ بيننا ... أمَمٌ تُساءُ ببأسها وتُضارُ!

بلاد النيل

من قصيدة وطنية طويلة مفقودة ارتجل الشاعر مقدمتها على ظهر الباخرة « بلاد العرب ـ Arabia » فى ديسمبر سنة ١٩١٣ وقد لاحت أرض (مصر) العزيزة ، ثم أتمها فى أوائل الحرب العالمية . وحدثنى الشاعر أنها كانت مثار تحقيق على يد (فيلبيدس) بمصر و رؤساء (اسكتلند يارد) بلوندرة وكانت خاتمتها أن نالها الضياع نهائياً بجمرك الاسكندرية سنة ١٩٢٢ م مع مجموعة شعره الكثير المنظوم أثناء غيبته الطويلة بانجلترا !

بلادَ (النيل) يا أمَّ البلادِ ! ويا وَطناً يقدِّسُهُ فؤادي !

أتيتُ اليكِ يدفعُني غرامي ويُغْنيني الهوى انْ قلَّ زادِي!

ويُنعشني النّسيمُ ـ نسيمُ (مصر) ـ
تعبِّقُهُ تحيـــــاتُ الودادِ

أبَرُّ بنيكِ مَنْ شبُّوا وشابوا على ذِكراكِ مِنْ عهدِ المهاد

غلا الحُبُّ الصَّحيحُ فرُمتُ بخْلاً ولم أرَ فيكِ مبدأ الاَقتصادا!

وما شِعْرٌ أصوغُ عليكِ جزْلاً سوى إلهامِ هاتيك البَوادي

وما هوَ غيرَ وِجدانٍ تجلَّى لمحرومٍ تعذَّبَ في بعادِ

أطلِّي وانظريه ترَيْهِ يَجْرِي   اليكِ حنينهُ قبلَ الجمادِ [١] !
ولو تركوهُ منسياً بنوْمٍ   لأيقظه شُروقُكِ من رُقادِ !
ولو كانَ العليـلَ بلا شفاءٍ   لأرجعه هواؤكِ للجِهادِ !
وقدْ ظنّوه يحلمُ في غَرامٍ ...   وكيفَ الحُلْمُ والمحبُوبُ بادِي ؟!
تزيَّنَ ثوبهُ الورْدِيُّ سِحْراً   من الشَّفَقِ الجميـلِ المسْتجادِ
فيا للهِ مَرأًى مستحيلٌ
شُروقٌ في غروبٍ [٢] في مَعَادِ !

توَلَّى العامُ بعدَ العامِ يجري   وشوقي في آزدِيادٍ وازدِيادِ !
كأنَّ الحرْبَ أشعلها عَذولٌ   ليقتلني بنيرانٍ شدادِ !
فيا أسفي على هجران أهلي   كأنَّ الدَّهْرَ أغْرَى باضطهادي !
وكنتُ أنا الأحقَّ اليوْمَ برّاً
بساحة مجد (**مصر**) المستعادِ !
أجودُ لها سَخِيًّا دونَ مَنٍّ   بروحي ، فالضحيةُ من مُرادي !
ولو خُيِّرْتُ عنْ غيْبٍ أليمٍ   كهذا ما تركتُ ثرى بلادِي

(١) يعني السفينة   (٢) أقبلت السفينة على المياه المصرية قبل الغروب .

فُروضُ العِلْمِ مهما ناشدَتْني

تهونُ متى دعا الوَطَنُ المنادي (١)

ولو أنِّي أرى الموتى حيارى   من الموتِ المسلَّط في العبادِ !

كأنَّ ديارَنا ليستْ جِناناً   لأهليها ولكنْ للأعادي !

فيا أبناءَ (فرعونه) و (عمرو)

هلمّوا للنهوضِ والاتحادِ !

هلمّوا وارفعوا الاصغارَ عنكم   وإلاَّ فالبَسوا ثوْبَ الحدادِ !

نُفرّقُ أيدياً أوْلى بجمْعٍ   وكانَ الخيْرُ في جمع الأيادِي

شَغَفْنَا بالمظاهرِ عنْ خُمولٍ   فباتَ جميعُنا سهلَ القيادِ

وآفةُ شعبنا خُلقٌ يؤدّي   الى بطْشِ الطغاةِ والفَسادِ

وما دامَتْ أئمتنا سكارَى   فأيُّ رجاحةٍ يرجو المُنادِي ؟!

وما كان النيامُ ولا الحيارَى   بأهلِ السبْقِ في عهدِ السهادِ

وما كانَ الذليلُ بربِّ حقٍّ   ولا نيلُ الحقوقِ بلا عتادِ

ولا أبقى الضعيفَ حليفَ رقٍّ   سوى داءِ الخمولِ والاعتمادِ !

---

(١) المستغيث.

وما كانَ الخصيمُ على خداعٍ | سوى نار تُخبأُ في رماد !
ولا كان التيقُّظ دونَ داعٍ | يموتُ النبتُ من ضعفِ السّمادِ !
فغذّوا همّةَ الأجدادِ فيكم | وكونوا للكفاحِ وللجلادِ
وخلّوا ما يغالبكم مَثاراً | لنخوتكم وعيشوا عيشَ فادي
اذا الضَّرباتُ من جانٍ توالت | فردّوها على السُّمر الصِّعادِ !
وعُدّوها سلاحاً في الأيادي | فانَّ العسفَ أقربُ للعتادِ
يوحِّد أمةً ويردّ شعباً | الى عَلَمِ الشَّهامةِ والسّدادِ.
أروني أمةً عاشتْ وسادَتْ | على غيرِ العظيمِ من المبادي !
أروني دولةً نامتْ فبادَتْ | وقد غنمتْ سوى الذكرِ المُبادِ !
أو انتبهتْ وهمّتْ فاستقلّتْ | بلا علمٍ ولا عملٍ مُجادِ
اذا حرِّيّةُ الناسِ اضمحلّتْ | فقدْ ولّى لهمْ أقوى عِمادِ !
ولم أرَ أمّةً ولّتْ سواها | مرافقَها فكانتْ للسّدادِ
ذروني أُعلنْ الهيجاءَ عنكم | فاني في مجالِ البرّ بادي !
ولو أني الصغير أخافُ أنّي | أعيبُ بجرأتي أهلَ البلادِ !
ويا أسفي فمنهمْ كلُّ ضخمٍ | من القوادِ مشهور النِّجادِ !
ومَن ذا قبلَهمْ أولى بدفعٍ | عن الأوطان إن نادتْ بِفادِ ؟!
وانَّ الحربَ أوّلها اعتمادٌ | على الأخلاق ثابتةِ العمادِ

وعُدَّتُها يقينٌ ثمَّ سيفٌ　　فليسَ السيفُ نوعاً من جمادِ !

ولكنْ قوّةٌ من عزِّ نفسٍ　　ورأيٌ ثارَ ثائرةَ الجهادِ !

فلا تَهِنُوا وكونوا سِرَّ نُورٍ　　(لمصر) تراهُ في داجي السَّوادِ

تناشدُ خلفكمْ أسمى حقوقٍ　　لوادٍ لم ينلْ ذِكْرَاهُ وادِي !

وبثُّوا ما استطعتُمْ بَثَّ حقٍّ　　مبادِيءَ الاتحادِ والاعتِداد

وخلوا الكبرياءَ لكم بصِدْقٍ　　اباءَ الضيم ، لا للارْتدادِ !

وخلوا الدينَ توحيداً (بمصر)　　فحبُّ اللهِ مِنْ حُبِّ البلادِ !

ولا تتعجلوا الأحداثَ لكنْ　　حذارِ منَ التقهقرِ والعنادِ

فما غيرُ الثَّباتِ ضمينُ نصرٍ　　ولا غيرُ العقيدةِ من عتادِ

ولا غيرُ القناعةِ موتُ خسرٍ　　أمام تقاتلِ الامم الشِّدادِ

ولكنَّ الحيــاةَ على وُثوقٍ　　من الحقِّ المنزَّهِ عن نفادِ

وسعيٌ مُنْقِذٌ مهما توالتْ　　خطوبٌ في ضرامٍ واتِّقادِ !

فيا قلبي اتقدْ عزماً وحزْماً　　فأنتَ المستقلُّ أو الُمفادِي !

تخرُ الرَّاسياتُ ولا سبيلٌ　　الى هدمِ الكريمِ من اعتقادي !

وكيفَ أهابُ إمَّا مُت حَيا !!

وكيفَ أعيشُ إنْ ماتتْ بلادي ؟ !

الحقيقة

La Vérité

للنقاش ا . فوجيرون

A. Faugeron



تجلَّيْتِ في أبْهى نصوعِكِ للوَرَى ‏ ‏ وما كنتِ الأَخيرَ ما هو فيهِمْ

ولمْ تُغفِلي المِشْكاةَ في يَدِكِ التي ‏ ‏ تَحَدَّتْ بنُورٍ جَهْلَهُمْ وغُرُورَهمْ

فحارُوا وَوَلَّوْا هائبينَ وربّما
على خَجَلٍ وَلَّوْا أمامَ بَنيهِمْ
وما خجلوا الاّ لأَنَّ حياتَهمْ
ضَلاَلٌ وغِشٌّ يَستَبيحُ شُرُورَهُمْ !

●●●

ولم تَلْقِ في هذي (الطبيعةِ) كلّها
مُحِبًّا سوى هذي (الطبيعةِ) وَحْدَهَا
فحولكِ في بِشْرٍ تحيّيكِ دائماً
فانّكِ قد مثّلْتِ صِدْقَ مُنَاهَا
وقد خانكِ (الإنْسانُ) الاّ وَليدُهُ
فعوّضَ للامِّ (الطبيعةِ) فَقْدَهَا
وناداكِ مَسْرُوراً ، وحيّاكِ بَيْنَمَا
ذَووهُ على جُبْنٍ رَأَوْكِ أذاهَا !



صدى الليل

الجُدْجُد

The Cricket

كُنتُ أتلو بلذةٍ وائتناسٍ قصةً من طريفِ (ديكنز) [1] وصفا!
قصةَ (الجُدْجُدِ) الذي لم يُنَهْنِهْ بَعْدَهَا ساكناً بدفءِ بَيْتِي!
فاذا أقبلَ الظلامُ تَغَنَّى بل تمادى مُزَقْزِقاً لا يَكِلُّ
وأنا كلما غضبتُ عليه أوحتْ القصةُ العتابَ الشديدَا!
ليتني ما شكرتُ مُنْشِئَها المبدعَ ما دُمْتُ قد جُزِيتُ عقابَا!
أنا باللهِ أستغيثُ من (الجُدْجُدِ) مثلَ استغاثةِ المنكوبِ!
قد سئمتُ الربيعَ والطيرَ والعزفَ وكلَّ الغناءِ من أجلِ صوتِهْ!
بلشُعُوِيٌّ بالطبعِ في نزوةِ الثائرِ لا يعرفُ السكينةَ ليلا!
وهوَ مثلُ الجبانِ في حصنِهِ الخافي على ناظري المُنقِّبِ عَنْهُ
وهوَ زَيْنُ الشجعانِ في ظلمةِ الليلِ بصوتٍ يرنُّ حولي رنينا

(١) هي قصة (الجدجد على المدفأ — The Cricket on the Hearth) من تأليف القصصي الانجليزي الطائر الصيت (تشارلس ديكنز — Charles Dickens).

وأنا وَحْدِيَ الجبانُ على سُخْطِي اذا الليلُ قد دعاني لنومِ
أكبرُ الخوفِ أنْ يُشَرِّفَ لَهْواً غُرْفةَ النومِ مُسرفاً في نَشيدِهْ !
فهوَ شِبْهُ السكِّيرِ ! هيهاتَ أنْ تدريَ إنْ ثارَ مُنْتَهَى لأذاهُ !
ويُغَنِّي بِمِبردٍ ، فتأمَّلْ في عجيبٍ لِحِذْقِهِ المَكْرُوهِ !
ويَرَى الحُسْنَ أنْ يُغازِلَ جَهْراً هكذا في نِداءِ أُنْثاهُ لَيْلاَ !
أنا واللهِ لا أضَنُّ عليهِ بِمُهُورٍ لو أنّه يُعْفيني !

قال لي صاحبي : « بحسبك حَظّاً أن تكون البعيدَ عن (ايطاليا)
حيث قد عَزَّ في (صِقِلِّيَةَ) الجُدْجُدُ ، إذْ صارَ صَوْتُهُ غلاّبا !
فوقَ ميلٍ في اللَّيلِ يَسمعُ أُنْثاهُ اذا زَقْزَقَ اللعينُ ونادى !
فتأمَّلْ ! وقُلْ لربِّكَ : شُكراً ! ، ولْتُصاحِبْ صديقكَ الغِرِّيدا
فهو فَألٌ لليُسْرِ في مُقْبِلِ العُمْرِ ، فلا ترفضْ اليَسارَ وفألَهْ ! »
قلتُ : « يا صاحبي ! رويدَكَ إنّي قد وجدتُ اللعينَ ، وهو حبيسُ !
فهنيئاً بهِ لبيتِكَ مني حيثُ أوصيْتُ خادِمي بالهديهْ ! . . .
فأنا أعلمُ ائتِناسَك حقّاً بدراساتِ هذهِ الحشراتِ ! »

فمضى صاحبي يُهَرْوِلُ خوْفاً ليردَّ الهديةَ الملعونَهْ !
وكذا الناسُ في عَزاءٍ ووعظٍ يمدحونَ الذي يخافونَ منهُ !

الغضب

إنْ أنْسَ لا أنْسَ ذاكَ الشَّيْخَ في غَضَبٍ
وقد بدَا شِبْهَ مجنونٍ بثورَتِهِ
فلاحَ كالميْتِ لَوْناً ثمَّ حالَ الى
لونِ الدّماءِ كمشبوبٍ بغضْبَتِهِ !
وكُلُّ أجزاءِ ذاكَ الوجهِ خافقةٌ
كأنّها صاخبٌ للموْجِ يلتَطِمُ
وملءَ عينيْهِ نارُ السّخطِ تلمحُهاَ
وحاجباهُ دُخانُ النّارِ تضطَرِمُ !
بلَحْظَةٍ مَرَّ هذا ، ثمَّ ثارَ فما رَأيْتُ أقبحَ منهُ عند ما وَثَبا
كأنّه « الوُصْلَةُ المفقودَةُ »[1] اكتَشِفَتْ
فراعَ خَصْماً له قدْ فاته هرَبَا !
شَعْرٌ وزأرٌ ونارٌ كلُّها اختلطتْ
وهَجْمَةٌ حيَّرَتْني حَيْرَةً كُبْرَى!

---

(١) حلقة الاتصال في مذهب النشوء والارتقاء ما بين الانسان والقرد الاعلى .

فقلتُ سبحانَ ربِّي كيفَ يُرْجِعُنا
بالسُّخْطِ كالحيوانِ الساكن القفْرَا !
وعادَ يَبْسِمُ ذاكَ الشَّيْخُ في خَجَلٍ
فسرَّني بتجاعيدٍ تزيِّنه
وصارَ مِثْلَ سماء لا غيومَ بها
الاَّ خطوطُ سحابٍ ليْسَ يحْزِنهُ !

اليوم الجديد

رأس السنة المصرية

النوروز أو أول توت (١)

لم يَنْسَكَ النَّاسُ بالذِّكرى وإنْ نَامُوا
فانَّ ذِكْرَكَ للأَجْدَادِ إكْرامُ

(١) ذكر الشراح أن (توت) بالقبطية « سمي من اله المعارف ـ رب القلم مخترع الكتابة ومقسم الزمن ـ المعروف عند اليونان بهرمس ، ولدى العرب بادريس ، وعند الاسرائيليين بأخنوخ . وكان الاحتفال به يبقى أسبوعاً ، وسمي اليوم الاول منه بالنيروز أو النوروز ، والكلمة فارسية معربة ومعناها « اليوم الجديد » وهو عندنا رأس السنة المصرية . وكان يحتفل به رسميا حتى أيام السلطان برقوق في منتهى القرن الرابع عشر المسيحي ، ولكن نصارى مصر ومسلميها ما يزالون يحتفلون به احتفالا شعبيا :

يا مُسْتَهِلاً لعامٍ لا أُشَبِّهُهُ
بغيرِه ، فهوَ مِصريٌّ وبَسَّامُ
طلعْتَ في فيضانِ (النّيل) مبتَهِجاً
كأنَّما أنتَ خيراتٌ وإنعامُ
ووَجْهُ (تُوت) المُعلَّى مِنْ مآثِرِهِ
رَبُّ الحِجى : مَنْ لهُ الأَقلامُ خُدَّامُ
المُبْدِعُ العِلْمَ والتحبيرَ مُقْتَدِراً
فكيفَ تنساهُ ألبابٌ وأفهامُ ؟
كانَ الجُدودُ ـ احتِفاءً عندَ طَلْعَتِهِ ـ
يعيِّدونَ بحيثُ العيدُ أيَّامُ
فكيفَ نُغْفِلُ هذا العيدَ في عَمَهٍ
ونحنُ بعدَ جلالِ الأمْسِ أيتامُ ؟ !
عيدُ (الخريفِ) وعيدٌ (للرَّبيعِ) بهِ
تلاقيَا ، فهوَ أحلامٌ وأنْغامُ
تَهْفو (الطَّبيعةُ) فيهِ للسكونِ بلا
غَبْنٍ ، وتصدقُ للزُّرَّاعِ أحكامُ

يومُ الوفاءِ بخِصْبٍ وآبتِداءِ مُنًى
جديدَةٍ وعليْها (النيلُ) قَوَّامُ !
فكيفَ تُصْغِرُ ذِكْرَاهُ وقد كثُرَتْ
أعيادُنا ، وهيَ أوهامٌ وأوهامُ ؟ !
وليسَ أوْلى بتَعييدٍ وتَكْرِمَةٍ
مِنْ ذِكرَياتٍ لها مَجْدٌ وإلهامُ

النجوم

مترجمة بنظم مرسل حر عن الانجليزية للشاعر و . هارفى

(١) — الترجمة

لاشيءَ أكثر ودًّا معمرًا ، في الأَرض
يَدْري بهِ الإِنسانُ ، مِنْ هذِهِ السَّاطِعاتِ :
تلكَ التي باركَتْهَا تحيّةٌ للرُّعاةِ
على الُحقُولِ ، وأيضاً على البُحُورِ أتَتْها

تحية الملاّح (١)

***

لكنْ ملايينُ دهرٍ من السنين العجيبهْ
مضتْ ، وتلك بوجهٍ مُغبرٍّ (٢) للسماءِ
تشدو بشدْوِ اعتزالٍ برقْصِها في الفضاءِ !

(٢) — الأصل

STARS

Nothing more friendly . old.
Man knows on earth than these
Bright shapes that shepherds and sailors
have blessed
In fields . on seas.

Yet millions of strange years
They , set in Heaven's dark face,
Have sung of loneliness , dancing
To empty space.

F. W. Harvey.

---

(١) جمع ملاح (بفتح الميم) وهو النوتي .
(٢) مغبر : أقتم .

الكوكايين

رحمته ونقمته

يا راحماً يخدعُ اشفاقُهُ ويُبرىءُ السقمَ ويُعطي السقامْ
لولاكَ كم ذاقَ العليلُ الضنى لولاكَ كم ذاقَ السليمُ السلامْ
يا مُحسِناً يُحسِنُ في بُخلِهِ بالجُودِ كم تُشقي وتُذكي الغرامْ
كم تذبلُ الحسنَ بلا رحمةٍ كم ترهقُ الفكرَ الذي لا يُضامْ
يالابساً نورَ الرجاءِ الذي في طيّه أقسى صفاتِ الظلامْ
يا باسماً يفتنُ في زهوِهِ وقلبُهُ ليسَ عليه ابتسامْ

هل أنت تخشانا . . . ؟ ! فحدِّثْ لنا
ما شئتَ من شتّى صنوفِ الملامْ

في سيرةِ اللاهي الذي غرَّهُ تغريرُ أوهامِ اللصوصِ الائامْ
في سيرةِ العاشقِ لم يمتثِلْ للطُّهرِ في الحبِّ وروحِ الغرامْ
في سيرةِ الشاعرِ لم يعتبرْ للشعرِ إلهاماً رفيعَ المقامْ
في سيرةِ العاملِ لم يحتفِظْ بالرِّزقِ ، أفناهُ ارتيادُ الحرامْ
في سيرةِ المرأةِ قد ضيَّعتْ ما عزَّ ، فالعِفّةُ أسمى وسامْ
في سيرةِ الشمسِ التي أُطفِئتْ في سيرةِ البدرِ عداهُ التمامْ

في سيرَةِ الفضل الذي قد غدا
مستقبَحاً، مستأهِلاً كلَّ ذامْ (١)

في سيرَةِ التَّقوى التي زُيِّفتْ — لا العقلُ يرضاها ولا الاحتِشامْ
في سيرةِ الفِطْنةِ أوْدَى بها — أنْ لا ترى الفطنةُ فرضَ النظّامْ
سيرةُ مَنْ جنُّوا جنُوناً بما — لا يقبلُ العلمُ ولا الاعتِصامْ
في كُلِّ ما حُرِّمَ حُسْنٌ لهمْ — وكلِّ ما حُلِّلَ قُبْحٌ يُشَامْ
وكلِّ ما خُبِّيءَ كَنْزٌ وَفَى — والموتُ قد خُبِّيءَ تحتَ اللِّثَامْ
لا يَعْدَمُ الرّحمةَ في جُرْمِهِ — مثلُكَ إنْ يوماً أفاقَ الأنامْ
تلعنُكَ الأجيالُ في جهلِهمْ — والمدحُ منْ حقّكَ لا الانتِقامْ
حَدِّثْ ولا تسأمْ، وأرْشِدْ فما — يكفيكَ في وعظِكَ عامٌ وعامْ

●●●●

المرء في القُوَّةِ مِنْ عقلِهِ
إنْ خاصمَ الحكمةَ لاقَى الرَّغامْ (٢)

والشّهوةُ الموتُ لعُشّاقِها — لكنّه موتُ أُلخطوبِ الجِسامْ!



---

(١) الذام : الذم . (٢) الرغام : التراب .

النقد السليم

والتجديد في الأدب

إنْ تَطْلُبْ النقْدَ السليمَ فلا تكنْ
متحاملا أو جاهلاً وعَجُولاَ !
إبْدَأْ بنفسِكَ مُرْشِداً ومهذَّباً
وتلقَّ منْ دَرْسِ البيانِ أُصُولاَ
واْعلمْ بأنَّ الفَنَّ غيرُ روايةٍ للفْظِ كم نَشَرَتْ عليكَ فصُولاَ !
تتعاقبُ الأَجيالُ وهيَ بعينها وتدُومُ مُلْقاةً عليْكَ فُضُولاَ !
وتنوُّعُ الأَصْباغِ وهيَ مريضةٌ فيخالُ مظهرَها الغبيُّ جميلاَ !
أيقِظْ شعورَكَ !... لا تَعِشْ في غفلةٍ
واْنشدْ بديعاً للجمالِ جليـلاَ !
واْعطِ المجدِّدَ حقَّهُ ، فجهودُهُ
فتحتْ الى المُلْكِ الجديدِ سبيلاَ !
لولاهُ عاشَ الجيـلُ عيشاً مائتاً
متقهقراً ، متصدِّعاً ، مَغْلُولاَ [1] !

---

(١) مغلولا : مهزوما .

خَلِّ الأَديبَ الفَذَّ ينْشُرُ وحْيَهُ

حُرًّا ، ولا تكُ في السبباتِ عَذُولاَ

ما المُومياءُ وانْ تحدَّثنا بها   أجْدَى من الحَيِّ المعِزِّ الجيلاَ !

وتَعيبُ ـ لا تَدْرِي ـ خيالاً شارِداً

ولطالما كانَ الخيالُ دَليلاَ !

هو قُوَّةُ التصويرِ ، بلْ ونُبوَّةٌ

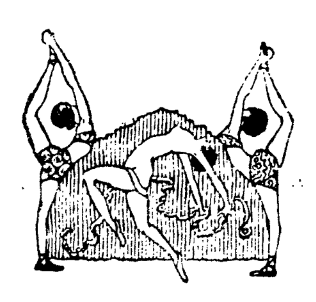
هيْهاتَ تلتمسُ السكونَ بديلاَ

تسري الى الدُّنيا البعيدَةِ كُلِّها

وتبُثُّ مِن شَتَّى الحياةِ نبيلاَ !

فاذا وَقَفْتَ هنيْهَةً لتأمُّلٍ

فلكم وقفْتَ لتفهمَ (التنْزيلاَ) !



جنوني

وقالوا : « عزاءً ! قد جُنِنْتَ بحُبِّها ! »

فقلتُ لهم : « إنَّ النعيمَ جنُوني !

ومَنْ لي سواها في القيامَةِ شافِعاً

لدى الربِّ إنْ جلَّتْ لديهِ دُيُوني ؟ !

أقولُ : إلهي ! أنتَ تَدْرِي عبادَتي

لحسنِكَ في حُسْنٍ أحلَّ فتُونِي !

فكلُّ ذُنوبي جنْبَ ذلِكَ تمَّحِي

وما بذُنُوبِ الحبِّ غيرُ فنُونِ !

عرَفْتُ بها معنى الحياةِ فشاقني

ولم أخْشَ في حُبِّي الجمالَ منُونِي !

فإنِّي تذوَّقتُ الخلودَ بعطفِها

ونزَّهتُهُ عن ريبةٍ وظنُونِ !

ومنها عرفْتُ الكوْنَ حيًّا ، ودونَها

أرى الكوْنَ ميْتاً أو خيالَ سكُونِ !

إليها ضَرَاعَاتي وفِكْرِي ولَذَّتي

وما نَارُ أشْجاني لها بشُجُونِ

ولٰكِنّه الإيمانُ يُشعِلُ مُهْجَتي

ويُطْلِقُ مِنْ نَفْسي بَنَاتِ سُجُوني

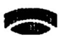
فيحسَبُهُ الشّاقي جنُوناً ، وما دَرَى

جنُوني ، وما أحْلَى عَذَابَ جنُوني !

***

بَني الأَرْضِ ! مِثْلي ليسَ في الأَرضِ وَحدَها

يعيشُ ، فعندي عَذْلُكم كمُجُونِ ! »



أخي حسن

من ناظم الديوان الى ناشره

يا أخي (حَسَنْ) عِشْتَ للمِنَنْ !

كيفَ فُتَّني أشْرَبُ الحزَنْ ؟!

دونَ مُؤْنِسٍ سُلْوَتي شَجَنْ !

كنْتَ رحمةَ الـ نفسِ والبَدَنْ

كنتَ صُحْبةً ما لهـا ثَمَنْ
كنتَ بلبُلي كـنتَ لي الفَنْ
وأنا الذي عندكَ افتتَنْ
كـنْتَ مُلهمي الا شّعرَ يا (حَسَنْ)
حسنُهُ سَنَى طبْعِكَ الحَسَنْ
كمْ أصابني بعدكَ الوَهَنْ
مَنْ سواكَ لي مَنْ سواكَ مَنْ ؟!
فادّكرْ وزُرْ يبسمْ الزَّمَنْ !

نوعٌ من البرّ

وكأنَّ عتبَ جمالها نَوْعٌ من البرِّ الجميـلِ !
أنا أشتهي منهـا العتا بَ فربَّ في عتبٍ مُنيلي !
ولو أنَّ في ايلامها سهمَ الغرام الى القتيلِ
في لحظةٍ تُغنيهِ ثُمَّ تُعيدُهُ عودَ الجميلِ [1] !
يا مطلعَ الانسِ الشَّهيِّ وانْ قسا تِيهاً أطيلي !

(١) الاحسان .

دعابة الغفران

أرسلها الشاعر الى صديقه الأديب الطروب محمد افندى عبد الغفور

(١)

يا عارفاً معنى السُّرو ... رِ بَقيتَ في كَنَفِ السُّرورْ
انّي غفرتُ لكَ اعتيا ... دَ الهجرِ يا (عبدَ الغفورْ)
حسبي اشتغالك في افتنا ... نٍ بالنّحورِ وبالثغورْ !
فكأنما أنتَ الممثّـ ... ـلُ لي هوًى ، وأنا الشكورْ
أو ليسَ قلبانا على ... صلة العواطفِ والشعورْ ؟!
فاذا مَرِحْتَ فانَّ لي ... رغمَ النوى نصفَ الحبورْ !
واذا أثِمْتَ فانَّ لي ... منْ بِرِّكَ الشطرَ الطَّهُورْ !
بِرٌّ يدومُ على البعا ... دِ ، مزاجهُ حُبٌّ ونورْ

(٢)

رد عبد الغفور افندى

يا (شادياً) جعلَ النَّظيـ ... ـمَ أرقَّ من نَغَمِ الطُّيورْ !
أهدي اليكَ تحيـةً ... تُشتقُّ من أرجِ الزُّهورْ !

حسبي البعادُ فانهُ ... يُشجي ويَحْرِمُني السرورْ
هيهاتَ يُشغلني الهوى ... بين القلائدِ والنُّحُورْ
القلبُ مني مَعْبَدٌ ... مِحْرابُهُ الحبُّ الطَّهورْ!
واذا غفوتُ فانَّ طيـ ... ـفَكَ في وفاءٍ كم يزورْ
حُبٌّ تعهَّدَهُ الإخا ... ءُ بكلِّ أنواعِ الحُبورْ
أو ليسَ هـذا شاهداً؟ ... فالصفحَ عن(عبدالغفورْ)!

زيارة الكبير

بعث بها الشاعر الى صديقه العالم الكبير الدكتور علي بك توفيق شوشه

يا مَنْ وعدتَ بزوْرَةٍ ... هلاَّ لفضلكَ أن يزورْ؟
انَّ الكبيرَ اذا تعطـ ... ـفَ زائراً فهوَ المَزُورْ!
هيَ مُتعةٌ للعقلِ والـ ... ـوجدان من علمٍ ونورْ
وكأنها عيــدُ الربيـ ... ـع محجَّباً طولَ الشهورْ[1]
مَنْ فاتَ علمكَ يا(علىُّ) ... يفوتهُ صِدْقُ الشعورْ

(١) اشارة الى ندرة زيارته للناظم .

راحٌ ، وريحانٌ ، واذ عاشٌ ، وعرفانٌ غزيرْ
انّي القَنُوعُ ولو بيو مٍ ، فهو بالنعمى جديرْ
مِنْ طبعكَ الحرُّ التقـيُّ وفضلِكَ الجمُّ الـكبيرْ
يشتاقهُ القلبُ الوفيُّ ويشتهي الفكْرُ القريرْ
نفسٌ كنفسِكَ يستعزّ بقُرْبها حُكمُ الضميرْ

روح الصائم

زار الاديب عبد الله افندى بكرى الشاعر فى الساعة الثانية بعد الظهر ليوم فى رمضان بعد محاولات سابقة فلم يجده ، فترك له هذه الابيات عن بطاقته :

أتيتُكَ في الساعة الثّانيهْ ونفسيَ مِنْ صومِها عانيَهْ
وقلبيَ يخفقُ من جُوعِهِ وعيني الى (مغربٍ) رانيهْ!
فلمّا أجدْكَ ـ وهذا الذي تحيّنتُ مِن فُرَص فانيهْ
فعذْراً اذا قصرتْ زورتي لأنَّ هنا فقط الآنيهْ !
سآتيكمو بعـدُ كي أجتني قُطوفَ وصالِكُمُ الدّانيهْ...

فلما عاد الشاعر الى مكتبه واطلع على هذه الابيات بعث اليه بهذه الرسالة معتذراً وراجيا تكرار زيارته :

سَمحتَ بزورتِكَ الفانيهْ[1] ولـكنْ كأحلاميَ الفانيهْ !
وكم كانَ حظّي فواتُ السّرورِ فانْ جاءَ لم يصطبرْ ثانيهْ !
فياليتني لم أغبْ لحظةً ولم ألقَ نفسيَ كالجانيهْ !
تحمّلْتَ منها ازدِيادَ العناءِ فصارتْ بلوْمي لها عانيهْ
فهل لك توْبي ؟ وصفحاً لها... بزورتك الحلوةِ الثانيهْ
لعلَّ بها مِنْ حديثِ الصِّيام شهيّاً يُعوِّض مِنْ آنيهْ ...!



(١) الثانية : الغنية بحسنها .

الكرامة القومية

الى الاستاذ فكري اباظه لمناسبة مقاله « مستشار تحت المراقبة » (١)

أرسلتَ سُخطكَ شعلةً من نارِ   يا أوحدَ الكتَّابِ يومَ الثارِ !
هذا الشُّعورُ المستثيرُ بعينهِ   هو منقذُ العاني لحكم العارِ

(١) هذا هو نص المقال الوطني المؤثر للاستاذ محمد فكري أباظه :

مستشار تحت المراقبة ؟!

محكوم عليه بالأشغال الشاقة ؟! — لا . . .
مزيف ؟! — لا . . .
لص ؟! — لا . . .
قاتل ؟! — لا . . .

اذن لم يوضع تحت « مراقبة البوليس » والمادة ٢٨ من قانون العقوبات لا علاقة لها بالمستشارين — وانما بالمجرمين . . وهي توجب ـ فقط ـ وضع المحكوم عليه باشغال شاقة أو بسجن في جناية مخلة بأمن الحكومة ، أو في تزييف ، أو في سرقة ، أو في قتل . . الخ الخ تحت مراقبة البوليس . . .

اذن لم يضعون « علي سالم » التقي النقي الشريف العيوف تحت عيون البصاصين والمخبرين يتعقبونه حتى منزله . . . ويتناولون المحافظة أسماء زواره وأصدقائه ؟ !!

الجواب عند « البوليس » . . . « أولا » ، وعند وزير الحقانية الافخم وطلعت باشا الأعظم . . . « ثانيا » ، وعندسيد الجميع وحاكم الجميع « بسبع » الحكومة « ثالثا » وأخيراً ؟ !!

ادأبْ ولا تيأسْ فحولكَ أمّةٌ ... تهتاجُ عِزّتَها قُوى الجبّارِ
ابعثْ لها أشجى العظاتِ فانّها ... أقوى من البتّار للقهّار !
هيهاتَ تبلغُ أمّةٌ آمالَها ... وتسودُ وهي مَطيّةُ الفُجّارِ

***

عشنا وشفنا سنين !

ومن عاش ـ ياعيني ـ يشوف العجب ! كم لقنونا في المدارس ان انكلترا هي أم العدالة وأبو العدالة ، وكم علمونا أن « القضاء » عند الانجليز حرم مقدس ، وكم أفهمونا أن « القضاء المصري » هو فقط ، وفقط هو ، العنصر الوطني الاهلي الوحيد الذي لم يمس الانجليز استقلاله .. وها قد دار الزمان دورته وديس الحرم المقدس ووزير الحقانية خافض الرأس خاشع البصر كل مأموريته أن ينقل الكلام من الموظفين الانكليز العظام ... الى طلعت باشا الهمام ؟!!

أيها الناس : اجمعوا عصيكم بالله عليكم و « انزلوا » على « صداغي » أنا لطما ، وضربا ، وتنكيلا ، وتعذيبا ، فاني أشعر بخجل مميت ، وأرى أن المصري اليوم لا يستحق أن يموت الا بضرب المرارة في عهد جبن فيه الرجال وتسلط فيه الانذال !!!

***

... اذن ألفوها محكمة عسكرية انكليزية استعمارية فوالله لاستقلال القضاء عند أعدائنا أضمن ؟!!

... ووالله ان يجرؤ كبير الانكليز أن يوعز لموظفيه الانكليز الكبار ـ بأن يوعزوا لوزير الحقانية ـ بأن يوعز لرئيس محكمة الاستئناف ـ بأن يوعز لعلي سالم ـ بأن ينسحب من منصة العدالة والحق والواجب !!!

... وبأن يتخلى عن وظيفته لان ..... و « نجيب الهلباوي » ليجد ... رأوا أنه يزور ويزار ! وكيف يزور المستشار ويزار المستشار ؟!!

***

واجتمعت الجمعيـة العمومية لمحكمة الاستئناف ... اجتمع ليوث الغابة ،

هيهات يعتزُّ الأصيل ببيتِهِ وهو المطأطئُ للدخيل الزّاري

اداْبْ أبيَّ النفسِ !... جُهدُكَ حقُّه

حَقُّ الكرامةِ في مجالِ فخارِ

يزهوعلى غَسَقِ الظلامِ فينتحي

لشعاعهِ الشَّعبُ النبيلُ السّاري !

غلبَ الحوادِثَ والمصائبَ جاهدٌ

عرفَ الشَّهامةَ قبلَ كلِّ شعارِ !

أبناء الكريمة ، وفحول العدالة ، وحماة الحق ، وأرفع الناس رأسا ، وأشمخهم أنفاً . . .

فماذا فعلوا ؟ ؟

الي « بالمراوة » مرة أخرى ، واقتلوني بها مرة أخرى ، ثم اذا مت بشكل حاسم فاقذفوا بي الى حفرة واهتفوا على قبري قائلين : الى أحقر قرار أيها المصري القذر ! ما بذلت من الفداء في سبيل حريتك ، وعدالتك ، ونزاهتك ؟ ! !

مت دفينا في أحقر حفرة ! كما دفنت كرامتك في أحقر حفرة ! ! !

***

بما أن . . . ولو أن . . . ومع أن . . . تداولت . . . وتناقشت . . . وتأسفت . . . هذا هو قرار الجمعية العمومية لمستشاري محكمة الاستئناف : فليحي العدل !!! وليحي استقلال القضاء !!!

***

لا ! لا !

الوداع أيها السادة . . .

أسدلوا الستار على ماض تأخر . . . ثم ارفعوا الستار عن مستقبل الله به أعلم ! ! !

الطيار المصرى

حسن أنيس باشا

لمناسبة حفلة تكريمه فى ١٦ يوليو سنة ١٩٢٦

هَمَمْتَ ورُمْتَ الفَتْحَ والمَثَلَ الأَعْلَى
وطِرْتَ مَطارَ النَّسْرِ حَوَّمَ واَستَعْلَى

وحاولتَ أنْ تُحْيِي لقوْمِكَ سِيرَةً
تَسيرُ مَسيرَ الرِّيحِ في هِمَّةٍ عَجْلَى

وقُلتَ: « اذا ثَلَّتْ خُطوبٌ عُروشَنا
فما ثلَّتْ العزْمَ المكافحَ والأَصْلاَ

وانْ هدَّتْ الأمراضُ(1) مُلكاً وأمَّةً
فقد يُبْتَنى طِبًّا، وقدْ تُرْتَجَى عَقْلاَ

يَميناً سأسْعَى في يقينٍ وَوثْبةٍ
لأُعلنَ فضلاً للأُلى أنكرُوا الفضْلاَ! »

---

(١) يشير الى الامراض الطفيلية التي ذهبت بدولة الفراعنة ولا تزال جانية على مصر.

وَبَيْنَا السَّرِيُّ الفَحْلُ يختالُ غاشِماً
على الأرضِ كُنْتَ الطائرَ السيِّدَ الفَحْلاَ !
ملكتَ بِساطَ الرِّيحِ في غيرِ نَشْوَةٍ
ولم تعتززْ بالنَّصْرِ أو تنتقِصْ أهْلاَ
وكنتَ الفتى الوافي بفوْزِكَ دائباً
تُعِدُّ (لمصر) الفخرَ والحَقَّ والعَدْلاَ
فَطِرْتَ ولم يُشْغِلْكَ حُبُّ سَلاَمةٍ
فقد كان نجْوَى (مصر) هَمَّكَ والشُّغْلاَ !
كأنك أشهدْتَ القُرُونَ التي خَلَتْ
بِمَرْقَبِها الأعلَى على دأبك الأعلَى !
فلم تخْشَ الاَّ أَنْ تُقَصِّرَ زلَّةً
وما خِفْتَ حَرْقاً في الفضاءِ ولا قتْلاَ
كأنك في تمثيل (مَنْفٍ) وَمَجْدِها
ضمنتَ لكَ المجدَ المحقَّقَ لا الذُّلاَّ !
وكنتَ مِثالَ النَّحْلِ ضحَّى لشَعْبِهِ
وفي مركبِ الأخطار قد تفضلُ النَّحلاَ

فَخُضْتَ الخِضَمَّ الوَعْرَ : قد عُدَّ كُنْهُهُ
هواءً ، وظنّوا خوضَهُ مطلباً سَهْلاَ !
وما هوَ الاَّ البحرُ والبَحْرُ كالثرى
وكم مِنْ رَشيدٍ فيهِ خُودِعَ أَوْ ضَلاَّ!
الى أنْ تولَّى العِلْمُ فَتْحاً مُجَدَّداً
وضَرَّجَتْ[1] الحَرْبُ الهَواءَ من القَتْلَى !
فأصْبَحَ يُزْجِي (الغربَ) ألفُ مبشِّرٍ
وَصلَّى لغلاَّبِ الأثيرِ الذي صَلَّى!
وعدَوا (الفرَ) المرجوَّ رَهناً لعزَّةٍ
على ذلكَ الموْجِ[2] الذي لم يكنْ يَبْلى!
ولم تَرْضَ الاَّ أنْ تكونَ إمامَنا
وأن تُرْخِصَ الجهدَ المبجَّلَ والبَذْلاَ
فصدَّكَ قَوْمٌ (كالخوارج) قادَهمْ
قرينُ (أبي جهلٍ) وقد طفحوا جهلاَ !

---

(١) ضرجت : لطخت بالدم . ويريد بالحرب : الحرب العالمية الكبرى .
(٢) موج الهواء .

ولٰكنَّ شعباً أنتَ زَيْنُ شبابِهِ
يصونُ لكَ الوعدَ المحقَّقَ لا العَذْلاَ

الى قنبرة

سَكتِّ بِقُرْبي، ما عَرَفْتِ الذي دَنَا
إليكِ وَفِيًّا في حَنان له اَفْتَرَا
ولو أنتِ قَدَّرْتِ الجمالَ بِرَحْمَتي
لأَلْفَيْتِ في حِسِّي الصَّبابةَ والزَّهْرَا!
فغرَّدْتِ أضعافاً، وكُنتِ لمهجتي
شِفاءً، وما جانبتِ لي مُهْجةً حَرَّى
وناولتُكِ الحبَّ الذي تشتَهينهُ
وأُسقِيتِ مِلءَ الأَمْنِ مِنْ يَدِيَ القَطْرَا
ولم تُشْمِتي بي مَنْ تَطَفَّلَ هازِئاً
بحُبِّيَ هذا الرَّوْضَ والماءَ والطَّيْرَا.

ولم يَدْر أني بَعْضُهُ ، وحيــاتُهُ
حياتي ، وأني أسكنُ الكَوْنَ والدَّهْرَا!
وما كانَ شِعْري في نَظيمٍ أصوغُهُ
ولكنَّ شِعري أنْ أكونَ أنا الشِّعْرَا!

خرافة

الشرق والغرب

رد على كبلنج

«الشَّرْقُ شَرْقٌ والغَرْبُ غَرْبٌ وما التَّلاقي لتوأمَيْن »[1]
خُرافةٌ قالها قديمـاً مُسَخِّرُ (الشِّعْرِ) لِلْحُرُوبِ!
كأنما (الشِّعْرُ) ليس فنًّا لخدمةِ الحَقِّ والجمالِ!
وأيُّ قَدْرٍ لأيِّ فَنٍّ مُبَشِّرٍ بالعداءِ فينا؟!
فكلنا وَحْدَةٌ وفينا جميعنا الجِدُّ والصِّغارُ
وما افترقنا بغيرِ جَهْلٍ وما اتَّحدْنا بغيرِ عِلْمٍ

(١) من نظم رديارد كبلنج الشاعر الاستعماري الانجليزي الشهير .

وليسَ (للشَّرقِ) في قديمٍ　　به تَسَامَى انحِطاطُ فِكرِ !
وليْسَ (للغَرْبِ) في زَمانٍ　　بِهِ تَدَلَّى عُلُوُّ مَجْدِ !
عوارضٌ تلكَ أو شؤونٌ　　لهـا ظُرُوفٌ مُسَبِّبَاتُ
فمن سخيفِ البيَانِ حقًّا　　تَبَذُّلُ (الشِّعْرِ) بالخرافَهْ
مُحَقِّراً غايةَ التآخي　　ومُبْعِداً قِبْلَةَ (الحيـاةِ)
وجُهْدُها في القُرُونِ دَوْماً　　يُوَجِّهُ الخَلْقَ للتَّعالي
وكان أحْرى بِمَنْ يُباهي　　بشِعْرِهِ أنْ يُرَى نبيًّا !
يُحَبِّبُ الناسَ في (السلامِ)　　وفي (الجمال) وفي (السُّمُوِّ)
فما رجاءُ (الحيـاة) الأ　　بنهضةٍ وَحَّدَتْ بَنِيهَا !

لغتي

قُلْ للذي ما دَرَى ما عبَّرَتْ لُغَتي
به عن النَّفْسِ مِنْ حِسٍّ وتفكيرِ
وقالَ ذلكَ زِنديقٌ بلهجتِهِ :
خفِّفْ ملامَكَ !... لا تلْجأ لتكفيرِ !

لعلَّني أفهمُ الرَّحمٰنَ خالقَنا فَهْماً جديراً بالهامي وتفسيرِي

أعيشُ عيشةَ صُوفيٍّ ببهجتِهِ
في كلِّ آنٍ ، وحسبي رُوحُ تعبيرِي

وكم دَعِيٍّ بتفكيرٍ وفلسفَةٍ
وكلُّ أحلامِهِ أضغاثُ تَغْريرِ !

الدِّينُ والعِلْمُ ليسا في محابِرِكمْ
بلْ في الحياةِ ، فخصُّوها بتدبيرِ !

وهل مقالةُ زُورٍ جِدُّ شافعةٍ وأنتمُ بيْنَ عُبَّادِ الدَّنانيرِ ؟!

خذُوا الهدايةَ مِنِّي ! إنَّني رَجلٌ
أعيشُ للحُبِّ حُرّاً غيْرَ مأسورِ

أعيشُ في ملكوتِ اللهِ مقتبِساً
النُورَ منهُ ، وأُفْشِي حِكمةَ النُّورِ

وفي الطبيعةِ ألقى اللهَ بارِئَنا
بكلِّ حُسْنٍ برُوحٍ مِنْهُ معمورِ

اللهُ حرَّرَ وجداني وأطلقَهُ
وأنتمُو ترفضُونَ اليوْمَ تحريرِي !

لا كنتُ شاعرَ قومي إنْ خذلتُهمُ
طوْعَ الوشايةِ مِنْ جهلٍ لتحقيري

(الكونُ) ديوانُ أشعاري ، ولي لغةٌ
فوْقَ القيُودِ بتعبيرٍ وتقديرِ !

وليسَ لي مِنْ رَقيبٍ غيرُ ما حفِظَتْ
جوانحي مِنْ وفاءٍ غيرِ مستُورِ

ومَنْ يكنْ ذا ضميرٍ لا حياةَ بهِ
فليسَ يُغْنَى بإرْشادٍ وتحذيرِ !

ومَنْ خلاَ شِعرُهُ مِنْ رُوحِ فلسفةٍ
فشِعْرُهُ سخْرِياتٌ للمقاديرِ !



السجين

دعوة الى اصلاح السجون

أذى السّجن أقسى أم أذى السّجن أرحمُ
اذا كانَ في الأحياءِ مَنْ ليسَ يرحمُ ؟!

وللخيرِ ما يُشقي السَّجينَ وهلْ ترى
مدى الرِّفقِ أولى أمْ مدى البأسِ أحزمُ ؟!

يعيشُ وحيداً ، والشّقاوةُ عزلةٌ
وحبسٌ ، فما النّفسُ السعيدةُ تحكمَ !

وقد كانَ في بؤسِ الشُّذوذِ بأمسهِ
فأصبحَ في بؤسِ النّظامِ يُقسَّمُ !

كفاهُ بني الدّنيا وداعُ متاعِكُمْ
وصفْحاً ، ففي نُعْمى السُّجونِ جهنّمُ !

فلا تتركوهُ بيْنَ أسْرٍ وظُلْمةٍ
كفاهُ مِنَ الحظِّ الذي هوَ أظلمُ !

ذَرُوهُ يَذُقْ بعضَ الحياةِ لعلّه
يُخفّفُ من سُخْطٍ بهِ القلبُ مفْعَمُ !

وانْ كانَ خُلقُ الجرْمِ فيهِ طبيعةً
فيا ربما يُجْدِي بصُنْعٍ ويندَمُ
فخلوا السُّجُونَ اليومَ للرُّوحِ معْهداً
فانَّ وَفاءَ النَّفْسِ للنفسِ أكرَمُ !
أعزُّ متاعِ المرءِ حُرِّيَّةٌ له
ويا ربما فيها الوُجودُ المجسَّمُ
ومهما يكنْ ذُلُّ النُّفوسِ فانها
تعودُ لمحرابِ العُلَى تتألَّمُ
وما السجنُ تعذيبُ السَّجينِ وانما
وِقايةٌ وإصْلاحٌ ووَعظٌ ومَغْنَمُ
تُميتونَ فيهِ الشرَّ بالخيْرِ سائغاً
ويُنْشَرُ فيهِ النُّورُ برّاً بمنْ عمُوا
وليسَ عذاباً يُرهِقُ الجسمَ باطشاً
ولا ملْكَ (ابليسٍ)بهِ الشَّرُّ يُعْلَمُ !
فأحيوا مواتاً للنفوسِ وعلِّموا
فانَّ الصَّلاحَ السَّمْحَ بالعلمِ يُغْنَمُ

وقد يُوقَظُ الغافي الشُّعُورُ فيرْتقي
ويتبعهُ الرُّوحُ الجديدُ المُقوّمُ
فكونوا أُساةً للمشاعرِ ، فالُهدَى
يُنَالُ بعطف ، والُهدَى الُحرُّ أقوَمُ
وعارٌ على أهلِ العدالةِ عدْلهُمْ
اذا كان منه يَقطرُ العسفُ والدَّمُ !

السواد المحبوب

ابيات ارتجالية فى واقعة حال

وترى سوادَ ردائها يجْلي السوادَ الى العُيونْ !
سترتْ محاسنَها ومِنْ طبع المحاسن أنْ تبينْ[1]
فكأنَّ تحْتَ ردائها يتخطرُ المَلَكُ[2] المصونْ
وكأنَّ ما حجبَتْ بدَا في غير تقتيرِ الضَّنينْ
وكأنَّ رَمزَ حدادِها يَعْني سوى حزْنِ الحزينْ
وكأنَّ خَطْرَةَ حسنها مِنْ عِزةِ الحسنِ الحصينْ

(١) تبين : تظهر . (٢) المفروض فى الأساطير عن الملائكة ان لا يحجبها جلباب.

ارسطو

المعلم الأول



يا ناظراً نظرةَ التفكيرِ مضطلِعاً

بالبحثِ للنّاسِ ما فاتتكَ أعباءُ !

لا يَطْلُبُ الشِّعْرُ في ذِكراكَ أخيلةً
فَمِلْؤُهَا [1] صُوَرٌ للشِّعْرِ حَسناءُ !
وحَسْبُهُ مِنْ قوانينِ الحِجى عَجَبٌ
ما زَالَ حيًّا يُغَذَّى منهُ أحياءُ
ومَنْطِقٌ لا يزالُ الدَّهْرُ يُعلِنُهُ
صِدْقاً ، ويَعْنُو لِنجْواهُ الألِبَّاءُ
وعِلْمُكَ الحقَّ في الدُّنيا فَتُرْشِدُنَا
لا الخَيْرُ خيرٌ ، ولا الأرزاءُ أرزاءُ !
وإنما أحكمُ الأخلاقِ أوْسَطُها
وفي التطرُّفِ أدواءٌ وأدواءُ !
وما الحكومةُ أوصافٌ مُحَدَّدةٌ
بل الحكومةُ نِشدانٌ وإيفاءُ
وخَيْرُها ما تَمنَّى الشَّعْبُ جُمْلَتُهُ
وما تلاءَمَهُمْ نَفْعاً كما شاءوا
قواعدٌ لم تزَلْ في الخُلْدِ ساطِعةً
عِلْمٌ وَفِكْرٌ وآدابٌ وإنشاءُ !

---

(١) أي ذكراه .

تحالفتْ وأبودُ الدّهرِ عن شَرَفٍ
فسرُّها بأبودِ الدّهْرِ مشّاء !
كأنما نحن « مشّاؤونَ » نحفظُها [١]
والكونُ ذاتُكَ والأحياء أصداء !
ماهزّ (فيليبَ) أو (اسكندراً) فتنتْ
على المَدَى منهُ أفرادٌ ودَهْماء [٢]

كل العقولِ تساوتْ في محبتِهِ ... فانَّ نفحكَ إسعادٌ وإحياء
مآثرٌ ضخمةٌ شتّى معارفُها ... وكلُّها حُجَجٌ غرّاء شمّاء
فانْ تحدّاكَ خصمٌ في مُجادَلَةٍ ... فما لهُ غيرَها عونٌ وإيحاء !

أجلِلْ بعلمِكَ أن لا يُستطالَ له
الاّ بعلمِكَ ، لا ترْقاهُ أهواء [٣] !
فيعتلي ذهنَكَ الوضّاء مقتحماً
دُخانَهمْ ، وبجسْرِ الوهْمِ قد باءوا !

(١) اشارة الى « مدرسة المشائين » وهي معهده الدراسي الشهير حيث كان يلقي دروسه ماشيا مع تلاميذه في الحديقة .

(٢) كان أرسطو صديق (فيليب) ملك مقدونيا ومربي ولده (الاسكندر) العظيم .

(٣) اشارة الى اعتماد خصومه على نفس اساليبه المنطقية التي ابتدعها في محاولتهم النيل من آرائه !

ياناقلا رُوحَ (أفلاطُونَ) مؤتلقاً
قد زِدْتَهُ ألقاً زادتهُ أنباء !

رُوحاً كما جمعاً فيما فُتِنْتَ بهِ فأنتما الآنَ أجزاء وأجزاء !

وإنْ تكنْ أنتَ وسْمَ السفْرِ نعشقهُ
وأنت وحدَك بالإعجازِ وَضّاء

حَسْبُ الحياةِ بحُوثاً في سَعادَتِها قد زانَها منكَ تفكيرٌ وإملاء

هي الفضيلةُ في ذات مُنزّهَةٍ فما السّعادةُ أسبابٌ وأشياء

وما أبى العَقْلُ إنطاقاً لحِكمتِه حيثُ الطّبيعةُ عجماء وخرساء

وقلتَ لا بُدَّ مِنْ عقْلٍ ومِنْ بَدَنٍ
ومِنْ مزَاجٍ لها حُسْنٌ وإرْضاءُ

يَشقَى الحكيمُ بآلامٍ تُعانِدُهُ كذاكَ يَشقَى بفقْرٍ منه إيذاءُ

وما الحكيمُ بخالٍ من منغصةٍ لكنّها نِسْبَةٌ في الضّرِّ جوفاءُ

أمّا السّفيهُ فعانٍ مِنْ نقيصتهِ وليسَ ينقِذُهُ يُسْرٌ وإغناءُ !

وما الفضائلُ في ناسٍ بِعَيْنِهِم وغيرُهُمْ ما لَهُمْ لِلْخيْرِ إصغاءُ

فانها وُزّعَتْ في النّاسِ وانْتشرَتْ
مع الشّرُور ، كما تفترّ صَهباءُ !

وكم قرينٍ لأخلاقٍ مجمَّلةٍ فيهِ من الشهوةِ العوراء هَوْجاء
وقدْ قدرْتَ وَفيًّا من مشاعرنا لولا المشاعرُ ما كانَ الأجلاّءُ
وقلتَ لافخرَ في زهوٍ لمنتَسِبٍ إنْ لم تؤَهِّلْهُ للعلياءِ علياءُ !
والفيلسوفُ مُطيعٌ محضَ رغبتِهِ وما لهُ غيرَها وَحْيٌ وايماءُ

بينَما سِواهُ يُطيعُ الشَّرْعَ مزدجراً
كأنّما الشَّرْعُ للخاشينَ أنواءُ !
وكنتَ تعلمُ أنَّ الكونَ متَّصلٌ
وليسَ يدركهُ عجزٌ وإفناءُ !
بل كلُّهُ صُوَرٌ من وَحدةٍ خلدَتْ
وكلُّها بمآلٍ فيهِ أكفاءُ !
فليسَ في الكونِ شيءٌ يمَّحي أبداً
لا الموتُ موتٌ ، ولا الأشلاءُ أشلاءُ !
فكيفَ تنساكَ أفهامٌ مقدَّسةٌ
وأنتَ شمسٌ لها خَلْقٌ وأضواءُ ؟!
وأنتَ جنّةُ ألبابٍ مفتّحةٌ للخلقِ طرًّا فتجزي البؤسَ نَعماءُ
تمضي القرونُ ولا تمضي روائعُها
ولا شُعاعٌ لها للفكرِ بنّاءُ !

تعالى ! تعالى ! حبيبة قلبي !

معربة عن الانجليزية للشاعر و . هـ . ديفز

(١) — التعريب

تَعَالي ! تعَالي ! حبيبةَ قلبي ! فانَّ الصَّباحَ الجميلَ انتظرْ
وما أبْهَجَ السِّحْرَ منه ارْتقاباً لنا ليُحَيٍّ لَدَيْنا النَّظَرْ
فيا لَلْفَرَاشِ
أمامَ العُيُونِ
سيَمْضي ويفْنى بطَلْقِ الضياءِ، سيمضي ويَفْنَى بنُورٍ سَفَرْ !

تَعالي معَ الشَّمْسِ قبلَ انتباهِ لقوَّتِهَا في انْطلاقِ الحرارَهْ
فهاتيكَ نيرانُنا المنزليّةُ ماتتْ ولن تُرْتَجَى مُسْتَثارَهْ
فيـا لَلنَّسيمِ
اللطيفِ الهُبُوبِ
مَتَى ما مَضَى — ناهباً هكذا — بِحَقْلٍ من التِّبْرِ أبْدَى نُضَارَهْ

تَعالي ! فنَمْضي الى حاجزٍ يُنمِّقهُ الوَرَقُ المُزْدَهي
فنُبْصرُ في خَلْفِهِ مِثْلَ ثَلْجٍ بياضاً وَلِيدَ اِنْحِرافِ البَهي
فما لحظَتْهُ
منَ النَّاس عَيْنْ
بحيثُ نرَاهُ على رَقْدَةٍ نَؤُوماً يرَاعى لَدَى أُمِّهِ

تَعَالي ! تَعالي ! حَبيبَةَ قَلبي ! فانَّ الصَّباحَ الجميلَ انتَظَرْ
وهٰذي هي الشَّمْسُ تَعْلو سَريعاً كما قد تولَّى النَّدى وانتَثَرْ
ونورُ الهَواءِ
الكثيرُ الرُّواءِ
تجَلَّى كَجَمْعٍ لتكرارِ صُبْحِ (لنيسانَ) مِنْ نُورِ إثنَيْ عَشَرْ [1] !



(١) معروف عادة بأن نيسان (مايو) أبهج الشهور فى انجلترا. وهذه المنظومة فى اصلها الانجليزى عدها النقاد أجمل ما ظهر فى لغتها فى سنة ١٩٢٥ م. وقد اعتبرها المستر جون اوستين (John Austin) فى طبقة شعر شلى (Shelley) الغنائى - (الناظم)

(٢) — الأصل

COME, COME, MY LOVE

Come, come, my Love, the morning waits,
What magic now shall greet our sight!
What butterflies
Before our eyes
Shall vanish in the open light!

Come, while the Sun has power to strike
Our huosehold fires all dead and cold!
How softly now
The wind can blow —
When carrying off a field of gold!

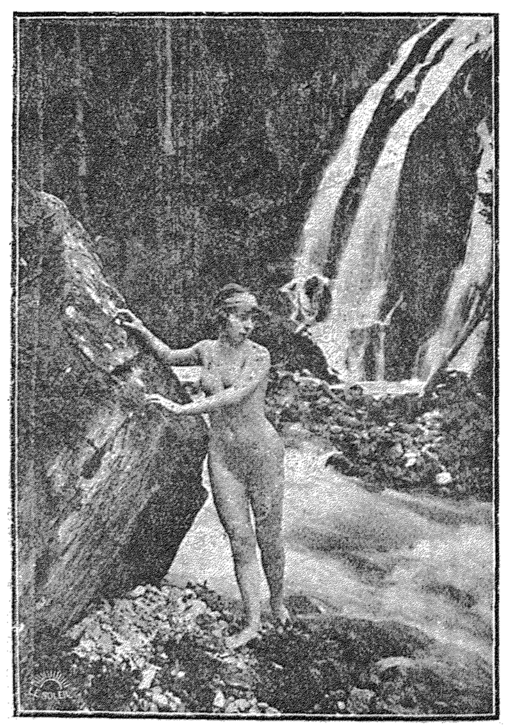
Come, when behind some leafy hedge
We'll see a snow - white, new - - born lamb
No man has set
His eyes on yet - -
Where it lies sleeping near its dam.

Come, come. my Love. the morning waits,
The Sun is high. the dew has gone!
The air's as bright
As though the light
Of twelve May mornings came in one.

W. H. Davies.

الشلال

او روح الطبيعة



رَأَتْ في (الطَّبيعةِ) تمثالهَا   فراحتْ تُسائلُ مثالهَا !

وَحنَتْ لِنَجْوَاهُ قُرْبَ الصخورِ   حَرَسْنَ المِياهَ وشَلاَّلَهَا !
فنضَّتْ ملابسَها في خُشوعٍ   كأَن بذلِكَ إجلاَلَهَا !
وساءلتْ الماءَ في دَفْقِهِ   فلمَّا تمهَّلَ غنَّى لَهَا !
كأَنَّ بِهِ جارِياتُ الحياةِ   وقد أشبعَ الماءُ آمالَهَا !
فسالَ يُحمِّلُ أنوارَها   ويُهْدِي الى الخَلْقِ سَلْسالَهَا !
وينقلُ إلْهَامَها للحَياةِ   كأَنَّ المياهَ وَعَتْ بالَهَا !
عليها رَفيفُ الجَمالِ الشَّهيّ   جواهرَ مازجْنَ سيَّالَهَا !
وقدْ حوَّلَ الماءُ منْ فِضةٍ   نضاراً يمثِّلُ آصالَهَا
لجينٌ بمرآةِ جسمٍ لها   وتبرٌ اذا نالَ إقبالَهَا
ونارٌ على البُعْدِ في مُنْحَنَى   تُطيلُ بهِ الشَّمْسُ إشعالَهَا
وأُخْرَى بأقصى دَويٍّ لها   سقوطاً ولَهْواً شكَتْ حالَهَا !
دَوَتْ خلْفَهَا في احتِفاءِ المشُوقِ   تناسى الخُطوبَ وأهوَالَهَا !
وقدحَسَدَتْ ما ازْدهَى من حصَى   حَبَتْهُ المليحةُ إظلاَلَهَا !
وصَخْراً أشمَّ عليهِ اتكتْ   فلا عَجَبٌ إنْ هُوَ استأْ لهَا !
ولم يَكْفِهِ حِسُّهُ بالحياةِ   وكان الجمادَ فما خالَهَا !
وفي البُعْدِ عنها بَدَتْ غابةٌ   تَخالُ البواسِقَ أطْلاَلهَا !
فقد حُرِمَتْ سِحْرَها البابليَّ   فكانَ بها الخِصْبُ إمحالَهَا !

كذلكَ حكمُ العزيزِ (الجمالِ) بدُنْيا يُجَدِّدُ آجالَهَا
وينشرُ مِن لُطفِهِ أنْسَهَا ويحفَظُ بالحبِّ أجيالَهَا
ويُسْعِدُ بالفَنِّ أحوالَها ويرْفعُ بالعَطْفِ أثقالَهَا
فانْ ضِيمَ زالَ النعيمُ السليمُ وكسَّرَتْ «الأمُّ»[1] منوالَهَا
فلاحتْ كعرْيانةٍ مالَها جَمَالٌ ، ولم تبْقِ سِرْبالَهَا
فما (لاطبيعةِ) رُوحٌ سِوَاهُ عزيزاً شَريفاً حَمَى آلَهَا
ولولم يكن (لِفِنوسَ) الخلودُ[2] لزَلْزَلَتْ الأرضُ زِلْزالَهَا :



(١) يعنى الطبيعة . (٢) Venus : الهة الجمال والحب مجتمعين .

في مرقص

ابيات ارتجالية

جُودِي، أموسيقى العوا طفِ ياإمامَ الرَّقصِ جُودِي!
نَغَمٌ يرفُّ لهُ الفؤا دُ كرفِّ لاعبةِ النُّهُودِ!
أطَربْتَ مِنْ طَرَبِ الحسا نِ وخفَّةِ الحُسْنِ الوَدُودِ؟!
يرْقُصْنَ في حُلَلِ البنفْـ سجِ والزمُرُّدِ والوُرُودِ
في هزَّةِ السكْرَى وا كنْ سُكرُهنَّ على حُدُودِ!
متثنِّياتٍ في فنُو نٍ للقلوبِ وللشهودِ
وترى الجمالَ مُسَوَّداً وترى الهيامَ على الخُدُودِ
وترى الخصورَ أسيرَةً لكنْ تنعَّمُ بالقيُودِ!
وترى الصُّدُورَ شفيعةً! وترى القُدُودَ على القدُودِ!
وترى الحريرَ مُمَوَّجاً من نَشْوةِ الطَّرَبِ الفريدِ!
وترى السواعدَ غضَّةً تنبضْنَ بالحُبِّ السَّعيدِ!
وترى الصدورَ بواسما دلَّتْ على نِعَمِ الوُجودِ!
وتُطَقْطِقُ الأقدامُ في غَزَلٍ على غزَلٍ جديدِ!
وكأنَّها القُبُلاتُ تأ مُرُ بالعبادَةِ والسُّجودِ!

وترى مواطِئَهاَ الشّفا ه أعزَّ من زَهْرٍ نَضيدِ!
واذا الغواني راقصا تُ الشعرِ من عَجَبِ القصيدِ!
ولهنَّ آياتُ الفصا حةِ ما يَخَلْنَ لمستزيدِ!
ينطِقْنَ بالمعنى الشَّهيِّ يطيبُ للفكرِ الشَّرُودِ!
في غيرِ ألفاظٍ سوى الـ إيحاءِ للرَّاني الشَّهيدِ
وهنيهةً بينَ انسيا بٍ في وُثوبٍ في جُمُودِ
فكأنَّها سُوَرُ الخلو دِ زَهَتْ على حُورِ الخُلودِ!



فلسفة العبرات

رَسَمَتْ ـ وحاشا أنْ أقولَ دُعابةً ـ

قلبيْنِ قد ذَرَفَا سخيَّ دموعِ

فاذا هما خِلاَّنِ أعرفُ : بائِساً ــ منها، وصاحبهُ نزيلُ ضلوعي

فبكى بألحانٍ سُمِعْنَ (١) وخافقي ــ يبكي كذاكَ بشعري المَطْبُوعِ !

والدَّمْعُ يندرُ أنْ يَهُونَ بمائِهِ ــ أو أنْ يظلَّ بحظِّهِ المفجُوعِ !

بلْ يَستحيلُ مُنَوَّعاً لمظاهرٍ ــ شتّى، وملتَجئاً لكلِّ بديعِ !

فتراهُ مَسْمُوعاً بلحنٍ مُحْزِنٍ ــ حيناً تحنُّ لهُ دُموعُ سميعِ !

وتراهُ منظُوراً بمرأى عاطِفٍ ــ وتراهُ محسوساً كثيرَ شيُوعِ !

وكأنّما نقشتْ كذلكَ رَسْمَها ــ بمدامعٍ حُرِّرْنَ من توقيعِ (٢) !

وكأَنّما هذِي الحَياةُ بأسْرِها ــ صُوَرٌ منَ العَبَرَاتِ في المجموعِ !



(١) يشير الى اجادتها الغناء ، وكذلك حال قلبها الباكي !

(٢) أي ان هذه الدموع كانت تحولت قبلا الى ألحان ثم تحررت من التوقيع واستحالت الى الرسم الذي بدأ الشاعر أبياته بالاشارة اليه .

المصلح الاثيم

الاستاذ البحاثة الشيخ علي عبد الرازق

أخطأتَ يا عَلَماً يقودُ الجيلاَ ويُعيدُ للذكْرِ الجميلِ جميلا
ويعلِّمُ الأبناءَ ذنبَ جدودهمْ ليخطَّ للرُّشْدِ السليمِ سبيلاَ
لو كنتَ مَنْ زعَمَ النبوَّةَ باطلاً لَعددتَ أهلاً للخلودِ نبيلاَ !

أوْ كنتَ مَنْ شرَحَ الحياةَ خرافةً
لَحسبْتَ فينا مُصْلِحاً ومقِيلاَ !
لِمَ قدْ طلعْتَ على الضَّلالِ بجرْأةٍ
هزَّتْ صغاراً صاحَبوا التضليلاَ ؟!
لِمَ لمْ تنِلْهُمْ مِنْ سُكوتِكَ حظَّهُمْ
فلقدْ أثرْتَ مناحَةً وعَويلاَ ؟!
أزعَجْتَ حالِمَهُمْ ورُعْتَ دَعِيَّهُمْ
بالصَّالحاتِ تجدُّ التنزيلاَ [1]

(١) نشرت هذه القصيدة بجريدة (السياسة) في مبدأ الحملة على فضيلته من أقلام (الاتحاديين) ، وقد أثبتت مجلة (العالم) فيما بعد انه لم يكن لهذه الحملة في الواقع أي باعث من النعرة الدينية ، وانما كانت سياسية بل شخصية [المنشأ دبرها الوزير يحيى باشا ابراهيم.

فاشربْ منَ الحقدِ الذميمِ كؤوسَهمْ
وارْجعْ لنفسِكَ لائماً وذليلا !

وَيحي (علىُّ) اذا نَصَحتْكَ نُصْحَ مَنْ
جَبُنوا فلستَ - وانْ ظُننْتَ - عليلا
إنَّ التي خَطَّتْ سُطُورَ رَجاحَةٍ
يُهْدِي في لبنانها التقبيلا
حبِّرْ وحَرِّرْ ما أرَدْتَ فكمْ بهِ
تُحيي مَواتاً أوْ تَرُدَّ وبيلاَ !
أنقِذْ جُموعَ الغارقينَ بوَهْمِهمْ
وابْعثْ منَ العقلِ الحكيمِ سليلاَ
وادفنْ خرافاتٍ تولّى عصْرُها
وانْشُرْ (كلوثرَ)[1] للصلاحِ زميلاَ
فلقدْ سئِمْنا طولَ عهدِ عبادَةٍ
(ايزيسُ) خصتْها (بمصر) طويلاَ

(١) هو مارتن لوثر المصلح المسيحي الشهير . وبهذه المناسبة نذكر ان من رأي الاستاذ الشيخ علي عبد الرازق الاستعاضة عن الخلافة الفردية بهيئة ضامنة للجامعة الاسلامية ، والظاهر أن بعض كبار المصلحين مثل الاستاذ الثعالبي قد جاراه أخيراً في هذا الرأي .

حتى مضتْ دُنيا الظُّنونِ ولمْ نَزَلْ

للجهلِ أَسْرَى لا نرُومُ بديلاَ !

واليومُ عَهْدُ الفِكْرِ لا عهْدُ الهوى

فليحيَ فِكْرُكَ للنُّهوضِ خليلاَ (١)

للعلمِ لا التأويل يرجعُ رأيُنا   وله نصونُ الحبَّ والتبْجيلاَ

فأنْشرْ « إمامَ العصْرِ » حكمَكَ هادِياً

تُكْرِمْ به (القرآنَ) و (الانجيلا) (٢)

(١) لقد تراجع شوقي بك (كعادته حينما يتبدل مهب الريح ويخذل الجمهور جماعة الرجعيين) فقال في قصيدته « الخلافة » :

القَيْدُ أفسحُ من عقولِ عصابةٍ   زعموا فكاكَ العقلِ في الالحادِ

ثم قال طاعنا في علماء الاسلام :

فاشفوا الممالكَ منْ قضاةِ صيُدٍ   قعدوا لصيْدِ ولايةٍ أو زادِ

وتداركوها من عمائمَ صادفتْ   مَرْعًى من الأَوْقافِ والأَرصادِ

وحشر في قصيدته ماشاء من الاعتذار المزيف من مواقفه الرجعية وجبنه المعروف عن القيادة الفكرية لأمته ، وخذلانه المحررين المجددين أو عدم نصرته اياهم ، الى أن يصبحوا في غنى تام عن هذه النصرة منه ـ بفضل مابلغوه من قوة ـ ثم يتظاهر حينئذ بتعضيدهم !!

(٢) اشارة الى مذهبه في التسامح والتعاون والتجرد من الاوهام.

انَّ الذينَ طغَوْا عليك (١) تَسابقُوا
لزوالِ دولتهمْ ، فقُمْتَ مُديلاَ !

بدعة المحمل

وفاجعة مِنَى

لا العَقْلُ ما يَجْنِي ولا المِقْدَارُ
يَهوِي (٢) الأَنامُ فتَلْعَنْ الأقدارُ !
يا هولَ طُغيانِ الجَهالةِ إنّه
عارٌ ، وهل يُحيِي النّفوسَ العارُ ؟ !
أَتُهانُ في سمعِ الحجيجِ شعائرٌ ويُفجَعُ الأطْهارُ والأبرارُ ؟!
ليسَ الجُناةُ هُمُ الرُّماةُ (٣) وإنما الجهْلُ والإغراءُ والايغارُ

(١) يشير الى جماعة (الاتحاديين) أصحاب السلطة والنفوذ فى ذلك الوقت .
(٢) يسقطون من علو الى أسفل .
(٣) اشارة الى من رموا جند المحمل وابله بالحجارة والرصاص عند استنكارهم عزف الابواق والمزامير فى مكان الخشوع والاحترام ، ووقع ذلك فى أول عيد الاضحية الحادي عشر من ذي الحجة سنة ١٣٤٤ هـ .

يا بئسَ (محملكم) وسوءَ شِعارِهِ

إنْ كانَ للوَهمِ العتيقِ شِعارُ ؟

هو بدعةُ الأَخدار في عصرٍ مَضى

واليومَ تنزَعُ للهُدَى الأَخدارُ

ما كانَ مظهرَ عزّةٍ لديارنا — أتُعَزُّ بالوهمِ السَّخيفِ دِيارُ ؟ !

إنّا بعَصْرٍ نُورُهُ في حكمةٍ — ولهُ منَ العقلِ السليمِ نِجَارُ[1]

وجميعُ ما يأباهُ علمٌ سيّدٌ — زُورٌ وغايةُ أمْرِهِ أوزارُ

باللهِ أفتوني لأيِّ كرامةٍ

(المحملُ) المنصوبُ والمزْمارُ

ولكُمْ منَ الحسناتِ خيرُ مظاهرٍ

ولكم من الأدبِ الصحيحِ فخارُ ؟!

ولِمَ التشبُّثُ بالذي هو ضَلَّةٌ

لا الشَّرْعُ يرْضاهُ ولا الكُفَّارُ ؟!

مَضَتْ القرُونُ الباكياتُ ولمْ نزلْ

نُؤْذَى ، ونُؤْذِي تارةً ، ونُضَارُ

---

(١) النجار : الحسب .

حتى حُجِبْنا عن حقائقِ عصرِنا　　أو أنما ليستْ لنا أبصارُ !

فاذا الفقيهُ مُرَوِّجٌ لخلافةٍ　　ماتتْ ، وآخرُ ما كرَّ أمّارُ !

واذا المقاومُ كلَّ بحثٍ مُرْشِدٍ

يُزْجَى لهُ الإيثارُ والاكبارُ !

واذا المصغِّرُ كلَّ صاحبِ حُجَّةٍ　　يهذي كأنَّ عقولَنا أصفارُ !

واذا المعاندُ للحضارةِ خاطئاً　　تَبَعٌ لهُ الآمالُ والأَوْطارُ !

حتى غَدَوْنا عِبْرَةً بجُمُودِنَا　　بَينا الزمانُ مُجاهِدٌ دَوَّارُ !

شُهَداءَ (نجد) جرى القضاءُ بحُكمِهِ

وكأنَّهُ الزِّلْزالُ والإعْصارُ !

ما أذنبَ الفُرْسَانُ عندَ دِفاعِهِمْ

كلاَّ ، ولا السُّنَهاءُ والأَشْرارْ !

بلْ أذنبَ النَّفَرُ الذين تحكّموا

وتشبّثوا برِضى القديمِ ومارُوا (1)

هُمْ مَنْ تَمادَوْا في الوساوسِ وابْتَغَوْا

أنَّا نُقَادُ بطيْشِهِمْ ونُسَارُ

---

(١) ماروا : ماجوا واضطربوا .

والْيومَ مِنْ جرَّائِهِمْ تَلْقَى الرَّدَى
تلكَ النفوسُ وتُسْتَهَبُّ[1] النَّارُ
لِمَنْ الدّماءُ أيا عصابةَ خِزْينا ؟!
لمن المــآتمُ أيُّها الأغرارُ ؟!
اليومَ يَدْفِنُ باقياتِ غُرُورِكم
شَطْرَ الرَّدى (**الاخوان**) و (**الأنصار**)[2]

شعبان هَمَّا للحياةِ بعَزْمةٍ سيخرُّ مِنْ ضَرَباتِها الفُجَّارُ
فُجِعا، ولٰكنَّ الوَفاءَ أبى القِلَى لهما، وأُسْدِلَ للعَزاءِ سِتَارُ

والآنَ ياوَطني الحزينَ تأسِّياً ماشابَ فخركَ في الزّمانِ صَغَارُ
خُذْ عِبْرَةً تُجْدِي لآتٍ حافلٍ
جَرْحَى النُّفُوسِ تَثورُ حينَ تُثَارُ
واَهْدِمْ كهُوفَ التَّائهينَ بنومهمْ
في ظُلْمَةٍ، بينا الوجودُ نَهارُ!
قد يبلُغُ الإِعْراضُ عنهمْ فوقَ ما
ترمي المعاولُ والقنا الخطَّارُ

---

(١) تستهب: يطلب هبوبها.
(٢) يعني النجديين والمصريين.

فأنشدْ حقوقَكَ واحتفِظْ بوقارِها

ما كانَ عنــدَ العابثينَ وَقارُ !

واعملْ لتوطيدِ الوئامِ واخوةٌ ما للخصامِ بدِيننا أعذارُ

العلمُ (**الاسلام**) من جَنَباتِهِ

ما فيــهِ منبوذٌ ، ولا مُخْتارُ !

فجميعُ ما تُوحي الحَضارةُ باسمهِ[1]

رُكنٌ من (**الاسلام**) لا ينهارُ

و (**المسلمون**) هم الذين تآزروا

في الصَّالحاتِ ، وللمفاخرِ ساروا

عرفوا التعاونَ رُوحَ كلِّ (**خلافة**)

إنَّ التعاوُنَ للنّهوضِ جِدارُ

واليومَ لا ظلَّ (**الخليفة**) سيِّدٌ

كلاَّ ، ولا غيرُ العقولِ كبارُ

والحقُّ للدّستورِ في أحكامِهِ لا الوهمُ سلطانٌ ولا الجبّارُ

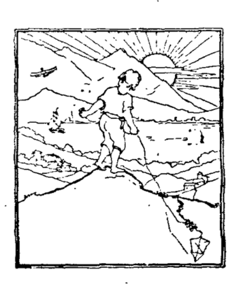
---

(١) أي باسم العلم .

تحيا الشعوبُ على الكرامةِ إنْ غدتْ
ترعَى كرامةَ مجدِها وتَغارُ

والجاحدونَ لعصْرِهمْ (١) فمآلُهمْ
بيدِ الهوانِ مصائبُ ودَمارُ

عيشي منارَ الشَّرقِ (**مصرُ**) وحقِّقي
أنَّ الحضارةَ للشُّعوبِ منَارُ !



---

(١) متعلقة بمحذوف تقديره : خاسرون .

وحدة الحب

قَلْبي الخفُوقُ مُصاحِباً أنْفاسي
شِعْري ، وما شِعْري سوى إحْسَاسي

هو مِلْءُ أنفاسي وفي مَجْرَى دَمي
كالحُبِّ ، فاتَّحَدَا معَ الأَنْفاسِ !

وكلاَهما لُغَةُ العَواطِفِ حينما
هذا جَمالُكِ صامِتٌ مُتَنامي

سأعيشُ أنظمُهُ لحسْنِكِ دائماً
رَغْمَ التجائِكِ لِلصُّموتِ القاسي

لا أستطيعُ ـ ولو أَرَدْتُ ـ تمنعاً
مَنْ ذَا سِوَاهُ ـ وقد هَجَرْتِ ـ يُواسِي؟

والشِّعْرُ مِنْ صُوَرِ الحياةِ لخاطِري
والحُبُّ في جسْمي كَراحِ الكاسِ!

فالكاسُ دُونَ الرَّاحِ غيرُ عزيزةٍ
وكذاكَ خالي الناسِ بينَ الناسِ !

سأعيشُ شاعِرَكِ الأَمينَ وإنْ هَفَتْ
رُوحي الى حُسْنٍ شَبِيهِكِ آسي !

مَنْ ذا الذي يَنْسَى غرامَ شبابهِ
ما دامَ للأحلامِ ليسَ بناسِ ؟
لي وَحْدَةٌ في الحبِّ أستعلي بها
وخُلودُ إيمانٍ كحُبِّيَ راسي
عِيشي وتِيهي في صُدُودِكِ رَبَّةً
تَتَنَعَّمِينَ بحُرْقتي وبيأسِي !
وعَلَيَّ أنْ أشقى لأجلكِ أو أرى
مَثلاً يَنِمُّ عليكِ دُونَ قياسِ
فأبثُّهُ حُبِّي لأَجْلِكِ ، إذْ أرى
مَرْآهُ مِنْكِ ومِنْ سَناكِ الـكاسي !
وأعيشُ في دُنيا الخيالِ بحسْرَتي
وجَمالُها عندي جَمالُ الياسِ !



مذهبي

أو دين المستقبل

اذا أنا قَضَّيْتُ الحيـاةَ مُجَاهداً
كَدُوداً فما في النَّاسِ الاَّ المُجَاهِدُ

وقد ذُقْتُ صابَ العيشِ مَرَّاتٍ حينا
دأبْتُ ، ولي بالرّغمِ خاشٍ وحاسدُ

وما أنا مَنْ يَلْقى معَ النَّوْم حَظَّهُ
ولو ساد في الأحياءِ غافٍ وراقدُ

تأمَّلْتُ في الماضي السَّحيقِ بخاطري
وفي المقبلِ النائي كأنّيَ شاهدُ !

وآثَرْتُ إخفاءَ الشقاوَةِ مُعْلِناً
رجاءً لهـذا الـكَوْنِ يَلْقاهُ عابدُ

وما احتَجبتْ عنّي تجاريبُ بيئتي
ولا سُنَنُ الدُّنيا كما أنا وَاجدُ

وكلُّ الذي فيها منَ اللُّؤْمِ والأَسى
ولـكنني في القُبْح واللُّؤْمِ زاهدُ

أرى الدَّهْرَ الأجيالِ خيرَ مُؤَدِّبٍ
وليْس سوى السامي المكمَّلِ سائدُ
تَسيرُ بنا الدُّنيا الى الُحسْنِ والعُلَى
وإنْ كانَ في الوَعْرِ الطريقِ مفاسِدُ
فأحجى بمثْلي أنْ يزيدَ جمالَهَا بياناً وتحبيذاً ، فذلكَ خالدُ
ولا خيْرَ في نَشْرِ الشُّكوكِ فانَّها
تُحَجِّبُ آمالَ العُلى وتُباعِدُ
أرى الحقَّ كلَّ الحقِّ رهنَ تفاؤُلٍ
وما كانَ في ليْلِ التشاؤمِ ماجدُ
وما احتقرتْ نفسي عواملَ قُوَّةٍ
منَ المالِ والذِّكرَى وإنْ ذَمَّ ناقدُ
ولٰكنَّني لم أرْضَها محضَ غايةٍ
فمنْ يَرْضَها قَصْداً فعانٍ وبائِدُ !
أعيشُ لنوْعي لا لنَفْسيَ وَحْدَها
صدوقاً أميناً ليسَ يَثْنيهِ واجدُ
وآبَى خنُوعاً في نِفَاقٍ وذِلَّةٍ
وإنْ كُنْتُ مَنْ ضَحَّى فما أنا فاقدُ !

أبثُّ جمالَ الُحبِّ في النَّاسِ هانئاً
فذلكَ دِينٌ للسعادةِ قائدُ
وغيري يَرى أنْ ينشرَ النقصَ حكمةً
كأنَّ مآلَ النَّاسِ صيْدٌ وصائدُ!
وما الشِّعْرُ الاَّ أنْ يكونَ هدايةً فترْفَعُ أحلامٌ ويُنعَشُ جامدُ
ولا خيْرَ في شعْرٍ يبثُّ ضغينةً
وسُخْطاً كأنَّ الشِّعْرَ للخير جاحدُ
له واجبٌ كالأنبياءِ تَطَلُّعاً الى غايةِ الإنْسانِ إنْ زلَّ كائدُ!
ليكشفْ جمالَ الكوْنِ للنَّاسِ صاعداً
بألبابهمْ إنْ أرهقتهمْ شدائدُ
وما عابه الوَصْفُ الصَّحيحُ لعارِهمْ
ولكنْ به الأوْلى العُلَى والمحامِدُ
فيخلقُ بالتكرارِ دُنيا جديدةً على مرِّ أجيالٍ لها الُحسْنُ رائدُ
يعزُّ إخاءُ النَّاسِ فيها، ولا يُرَى أقاربُ فيها للورَى وأباعِدُ!



العاطفة المحبوسة

في لحظها ألقٌ ، وبينا صوتُها بجنونه يغوي يعود يُرَدُّ !
تُصغي اليها ـ لستَ تدري هل لها سرٌّ تبوحُ به ، وهل يمتدُّ !
وهنيهةً في غفلةٍ محبوبةٍ تهواكَ في صمتٍ ، وبعدُ تصدُّ !
تُبدي التظاهرَ بالحياةِ وشغلها وتعافُ ذكرَ الحبِّ حين تودُّ !
فاذا أردتَ تحدُّثاً عن شأنهِ في هذه الدُّنيا بدا لكَ حدُّ !

واذا اشتهيتَ منَ الملاحةِ قُبلةً
منحتكَ ، وهي برغمِ منحكَ سدُّ !
ترنو الى الوجهِ الصَّبيحِ فلا ترى
الاَّ الحبورَ طغى عليهِ الوردُ !

معنًى ولونٌ في عراكٍ دائمٍ وعواطفٌ تشتدُّ أو ترتدُّ !

فتحار : لا تدري أحبُّكَ ماثلٌ
وضياءُ ذاكَ الوجهِ فيهِ الوعدُ ؟ !
أم أنها تلهو ، وأنتَ بغفلةٍ
تلهُو كما يلهُو الضريرُ العبدُ ؟ !



اللؤم

تَبَسَّمَ في رِقَّةٍ ذاكراً قديمَ الصَّداقةِ منذ الطُّفُولَهْ
وعاتبَ صاحبَه ناسباً اليهِ التَّناسي لحقِّ الإِخاءِ
وفَسَّرَ هٰذا بحِرْمانهِ فُرُوضَ المساعدةِ الواجِبَهْ
أليسَ عليهِ لأَجْلِ الاخاءِ مساعٍ لصاحبهِ المُعْرِضِ؟!
فكيفَ تنكَّبَ تكاليفَه بخدمتِه وهيَ أقْصى مُناهُ؟!

ولٰكنَّ صاحِبَهُ لم يَجِدْ من الوَقْتِ فُرْصَةَ شُكْرانِهِ...
فقد طرَقَ البابَ في لهفَةٍ شَقيقٌ لِيُعْلِنَ إفْلاسَهُ!
وَحيَّرَهُ أنْ يرَى خَصْمَهُ يؤانِسُهُ، وهوَ داعي خَرابِهْ!
فكشَّرَ مَنْ كانَ في بَسْمَةٍ، وقال: «أهنْتَ الصَّديقَ الوَفيَّا
فلا تنتظِرْ أنْ ترى ثانياً وُجُودي هنا!» ... ثم وَلَّى سريعَا!



الرأى الناضج

صورة من الدنيا

للنَّاس في الرَّأيِ « الأَصَحِّ » خُرافَةٌ
محبوكةُ الأَوْهَام الأَوْهام!
هُوَ ما يُرَدِّدُ حينما ترديدهُ خاوٍ من الأصداءِ والأَحلامْ!
(عُمَرٌ) يقولُ، و (بكرٌ) يذكرُ قولَه
كمقالِهِ، و (بَخيتُ) بُوقُ كلامِ!
حتى يجيئك (خالدٌ) بِرَأيِهِمْ لِتَرَاهُ أنتَ نهايةَ الأَحكام!
فاذا لحظْتَ به « التَّسَلْسُلَ » رافضاً
تقديرَهُ حُوسِبْتَ مِثْلَ غُلامِ!
واذا رأيتَ بهِ خَصيمكَ ساتراً حِيَلاً لهُ، فعليكَ ألفُ سلام!
الحكمةُ الكبرى خُضُوعُكَ خاشِعاً
لزرايةِ الجُهلاءِ واللُّوَّامِ!
أمَّا الإباءُ: إباءُ مَنْ هُوَ عارفٌ حقًّا لهُ فسخافةُ المُتعامي!
واذا أطَعْتَ دَسيسةً محبوكةً لعدوِّكَ الرَّامي فأنتَ السَّامي!

خُذْ ما تَشاءُ من الحياةِ تجِدْ بها
عَكْسَ الحقيقةِ شهوةَ الأَحْزامِ (١)
الُحسْنُ فيكَ يَراهُ خَصْمُكَ غايةً
في القُبْحِ حينَ يراكَ مثلَ رَغامِ
ويرى أحبَّ الطَّعْنِ طعنكَ هكذا
بيدِ الصَّديقِ ، وما الصَّديقُ الرّامي
فتعودُ تَسْمَعُ منْ صديقِك ذمَّه (٢)
في قالبِ النُصْحِ السَّخيفِ الذَّامِ !
وتُذَاعُ عنكَ غرائبٌ يكفي لها تَرديدُها لتَدُومَ كالآثام !
لا يعرفُ الجمهورُ قُوَّةَ منطقٍ وقواعدَ التَّفكيرِ للأَفهامِ
بلْ يكتفي بعقيدَةٍ غلاَّبَةٍ بتكرُّرٍ ، ويُسَاسُ كالأَغنامِ
ولطالمــا حاكى « الأَئِمَّةُ » جَمْعَهمْ
في الوَهْمِ ، وامتُدِحُوا على آستِسْلامِ !
ما أكثرَ « الدَّهماءَ » في « الافرادِ » ، بل
ما أَشبهَ « الأَفرادَ » بالأَصنامِ !

---

(١) الأحزاب . (٢) اى ذم الخصم لك على لسان صديقك المخدوع .

الخير والشرّ

الخيرُ والشرُّ توأمانِ ... مِنْ خالدِ الكونِ والزمانِ !
تفرّقا ظاهراً ولكنْ ... تلاقيا عندَ كلِّ آنِ
كلاهُما عاملٌ ، مُجِدٌّ ... لنهضةِ الفكرِ والجَنانِ !
كلاهُما خادمٌ أمينٌ ... لواهبِ الخُلدِ والجِنانِ !
تأصّلا في الوجودِ حتى ... تملّكاهُ بلا توانِ
أصلاهما واحدٌ ، وهذا ... سليقةُ النبلِ لا الهوانِ
كلاهما هادمٌ لخلقٍ ... وهادمُ الخلقِ بعْدُ بانِ
يُنقّحانِ ويُصلِحانِ ... ويفحصانِ ويَهديانِ !
وربَّ شرٍّ قدْ عُدَّ خيراً ... وربَّ خيرٍ أباهُ(١) عانِ !
مُناسَباتُ الزمانِ تقضي ... بذلكَ الخُلفِ ، والمكانِ
ونحنُ في جهلِنا مِراراً ... بخلطِ أحكامِنا نُعاني
فما الشيوعيُّ بالشيوعي ... ولا الأناني بالأناني
ننسى اتّجاهَ الحياةِ دوْماً ... الى سموٍّ وللأمانِ
ولو ذكرْنا لما كفرْنا ... بالعلمِ ، والعلمُ كالضمانِ
مُنَبّئٌ أنّنا سنَمضي ... لغايةِ النُّبلِ والأماني

(١) رفضه .

وليْسَ خيرٌ هُناكَ مَحْضٌ كلاَّ ولا الشَّرُّ في رِهانِ
وأحْكمُ النَّاسِ مَنْ تخلَّى في الحُكمِ عن شَهْوةٍ لفانِ
ومَنْ رأى الكوْنَ في اطّرادٍ للنبلِ في ذمةِ الزَّمانِ !



الضريبة

أتى بأقذرِ أسمالٍ يُنقّطها عدَّ الخُروقِ ذُبابٌ في أبابيلِ
ووَجهُهُ وَجهُ خنزيرٍ ، ومِشيتُهُ
كالتّيْسِ في عَرَجٍ حيناً وكالفيلِ !
وحَوْلَهُ صِبْيَةٌ لا هَمَّ يشغلُهمْ
الاَّ اقتِناصُ البرَايا بالأضاليلِ
تمسكنوا تارةً والذُّلُّ شارتُهُمْ
الاَّ لعارفِ هاتيكَ الأحابيلِ
فحظُّهُ أنْ يلاقي مِنْ شتائمهمْ
وسخْرِهمْ ـ حرَجاً ـ أحْجارَ سجّيلِ

ومِنْ بذاءَةِ ما يُلقيهِ قائِدُهُمْ
ما بينَ شَرْحٍ لهمْ حيناً وتكميل !
تحرّكوا كوباءٍ لا تُطهّرُهُ
نارُ الجحيمِ ولا رِضوانُ (جبريلِ) !

ومَرَّةً كنتُ أمشي قُرْبَهُم فاذا
بجَمْعِهِمْ بينَ تكبيرٍ وتَهْليلِ !
وذلكَ السَّائلُ المَلْعونُ تحْرُسُهُ
عِمامةٌ مِثْلَ أسيادٍ بهاليلِ !
خضْراءُ صفراءُ كالبرسيمِ خالطَهُ
رَوْثُ البَهائمِ في حُسْنٍ وتحجيلِ !
و (أمُّ زينب) تدعو أنْ يُباركَها
وقدْ أتتْ بنذورٍ في المناديلِ !
بينْما يُمادُ تجاهَ «القِسْمِ»[1] في غضَبٍ
باسْمِ النِّظامِ فتًى في غيرِ تضليلِ

---

(١) مركز الشرطة.

هـذا الأمينُ الذي يدعو لِسِلْعَتِهِ
عانٍ ، وسارِقُنا زاهٍ بتكليلِ !
فَنَهُمْ آسفاً ، بلْ ناجياً ، وأنا
أظنُّ لي هيبةً تَحْمِي ، وتكْفِي لي!
حتى اذا جئْتُ بيْتِي راعني خَجَلاً
جيبي الجريحُ ، فلم أحتجْ لتعليـلِ !

الهجاء

قالوا الهِجاءُ له فُنونٌ جَمّةٌ ! آمنْتُ ! لكنْ كُلُّها هَذَيانُ !
ليسَ الفَتى الهَجَّاءُ رَغْمَ ذَكائِهِ الاّ فَتًى قدْ فاتَهُ البُرْهانُ !
وأرى الأَديبَ اذا تَسَفَّلَ هاجياً غيرَ الأَديبِ سَمَا بِهِ الوِجدانُ
فيمَ الهِجاءُ وفي الأنامِ جميعِهِمْ خيرٌ ؟ فيكفي العَذْلُ والتّبيانُ
ما هانَ مَنْ خَدَمَ (الحقيقةَ) مُخْلِصاً
بلْ نال مَنْ يَطْغَى عليهِ هَوَانُ

بين ملك وجندى

ابن السعود وعسكري مصري

«لم يقع ما شغروبه لجندي من جنود نابليون ولا لعسكري من عساكر العصور الحربية المشهورة ، وانما وقع لجندي مصري ، فقد روى لنا بعض الذين رافقوا المحمل المصري بالحجاز قصة ظريفة وهي انه لما اعتدي على المحمل في (منى) أمر أمير الحج الحرس بأن يحيط بالمحمل وركبه ومن معه من جميع الجهات ويضرب حوله نطاقا ، وأمر الجنود بأن لا يسمحوا لأحد باختراق النطاق . ولما وقع الحادث جاء الملك ابن السعود ومعه امراؤه واخوته وحاشيته وكانوا جميعا بملابس الاحرام . ولما وصلوا الى النطاق العسكري تقدم الملك لاختراقه ، فقال له العسكري الذي كان في مواجهته ان الأوامر تحرم عليهم أن يسمحوا لأحد باختراقه . فقال : ولكني الملك ! فقال العسكري : ان الاوامر التي لدي عامة وليس في استطاعتي أن أخالفها . فقال الملك : ولكني سأمر . وتحرك الملك يريد اختراق النطاق . فقال العسكري اذن سأضطر لمنعك بهذا ! وسدد السونكي الى صدر الملك ابن السعود ؟

ولما لم يجد ابن السعود سبيلا للمرور أرسل الى أمير الحج فبادر اليه ، ولما روى له الملك القصة قال عزمي باشا : مثل هذا الجندي يعد من خيرة جنودي»

من صحيفة (الاهرام) المؤرخة أول أغسطس سنة ١٩٢٦

أنتَ الصغيرُ العظيمُ　　يَجِلُّ فيكَ النَّظيمُ

وحارسٌ مستعِزٌّ　　علاهُ مجْدٌ قديمُ

وقفتَ وَقْفَةَ سَدٍّ حَوَاهُ حِصْنٌ جسيمُ!
يخافُ منه شَقِيٌّ (١) ويرتجيهِ الحكيمُ (٢)!

أكْرِمْ بمثلِكَ أكْرِمْ! أنتَ الأبيُّ الكريمُ
تَضَنُّ بالعِرْضِ ضَنًّا كما يضَنُّ العديمُ!
وقدْ تَجُودُ بروحٍ ولا يُقالُ الغريمُ!
فالواجبُ الفَرْضُ دِينٌ لدى حِماكَ يُقيمُ!
إغفالُهُ أيَّ جُرْمٍ وإنْ أطاقَ الجحيمُ!
أبَيْتَ سُؤْلَ مَليكٍ حتى أجازَ الزّعيمُ
فكُنْتَ نِعْمَ المُفادِي وكنْتَ نِعْمَ الحليمُ
وكنْتَ (للنيل) فَخْراً اذا تحدَّى الخصيمُ
سلمتَ خُلْقاً متيناً فكانَ نَصْرٌ سليمُ
واعتزَّ جيشٌ وأهلٌ وريعَ جانٍ أثيمُ
أُلخلقُ بُنْيانُ مَجْدٍ أُلخلقُ شيءٌ عظيمُ!

---

(١) اشارة الى الاعراب المناوئين .
(٢) اشارة الى موقف الملك ابن السعود ٠٠٠ .

تَمضي شعُوبٌ ويَبقى   بالخلقِ شعبٌ قويمُ

الضَّعْفُ ذُلٌّ، ولكنْ   الجبْنُ موتٌ ذَميمُ

ليْسَ الفَخارُ بفَرْدٍ   إنَّ الفخارَ العميمُ

دُعيتَ جُنديَّ (مصرٍ)   وأنتَ أنتَ الزَّعيمُ !

سعد القاهر

وآمالنا القومية

نظمها الشاعر لمناسبة فوز السعديين الساحق بالانتخاب البرلماني
في مايو سنة ١٩٢٦

عُدْ للشَّريفِ الحُكْمِ بعدَ غيابِهِ
لولا إيابُكَ ما ازْدَهى بإيابه !

وارقأْ ،كانَكَ في السِّياسةِ فاتحاً
بمـآثرِ الفذِّ العظيمِ النّابهِ

تتناثرُ العَقَباتُ حولكَ مثلما
يرمي الأتيُّ السَّيلُ نثرَ عُبابهِ[١]
مُلِّكتَ ما تهبُ الحياةُ بخبرةٍ
مِن نقمةِ الماضي وهولِ صعابِهِ
وبلغت مرتبةَ الزَّعامةِ مثلما
جازَ الشَّمُوخُ الرأسِ[٢] حِصْنَ سحابهِ

خدعَ المعاندُ وهْمَهُ وغُرُورَهُ ـ مثلَ النَّعامةِ ـ في لقاءِ مُصابهِ!
إنّا بعصرٍ للمشورةِ أمرُهُ لا للطُّغاةِ القابعينَ ببابهِ
وعليَّ تهنئةُ الذينَ تضافروا والعرشَ للدستور يومَ مآبهِ
سيبثُّ شعري مِن بيانِ مشاعرِي
في يومِ عودتهمْ وفيَّ خِطابهِ
اليومَ حسبي يا عظيمُ تحيَّتي لوقارِ عقلكَ أو لنُورِ صوابهِ
لله آيةُ صبركَ الباقي كما يبقى هُدى الإيمانِ بعدَ سرابهِ
لا يعرفُ الشعبُ الهزيمةَ إنْ رأى
نهجَ الفلاحِ فسارَ فوقَ شِعابهِ[٣]

---

(١) عبابه : موجه . (٢) اي الجبل الشاهق .

(٣) الشعاب : طرق الجبل ، والمقصود الطرق الشاقة .

والعمرُ للأممِ القُرونُ ورُبمــا
تمضي القرُونُ وعمرُها بشبابهِ !
وغِذاءُ قوتهــا متَانةُ خُلقها
ودوامُ نهضتِها دوامُ جوَابهِ
إنْ نالها التَّشكيكُ (١) في آمالها
هجمَ الزمانُ بظُفْرهِ وبنابهِ
واذا أبتْ الاَّ البلوغَ لحقِّها
فالحقُّ مردودٌ الى أصحابهِ
وأرى الجهادَ منَ الجلادَةِ (٢) سيفهُ
وأرى مآلَ الظُّلمِ تحتَ حِرابهِ !



(١) التشكيك : الالقاء في الشك .   (٢) الجلادة : الثبات والصبر .

الدستور الفاتح

١٠ يونيو سنة ١٩٢٦

أرأيتَ كيفَ مصارعُ الأهواءِ ؟ !
كيفَ الحُقوقُ تعودُ للعلياءِ ؟ !
كيفَ الحُماةُ اذا المصائبُ رَوَّعَتْ
وقفوا لها سدّاً وحِصْنَ اباءِ ؟ !
كيفَ الأساةُ اذا الجِراحُ تعاقبتْ
هرعوا الى التضميدِ والإحياءِ ؟ !
كيفَ الرجالُ اذا الخُطوبُ تحكّمتْ
غلبوا بحكمةِ أشرَفِ الحكماءِ ؟
نفضوا [1] النزاعَ كما ينفّض رُدْنَهُ
مَنْ كانَ مُلتقيًّا على الغبراءِ !
وتدثّروا بمباديءِ يُسْمَى بها كتحصن الطيّار في الأَجواءِ !
هي دِرعُهم ومَلاذُهم بعواصِفٍ وضمانةٌ لحَرَارَةٍ ورجاءِ

(١) نفضوا : أسقطوا . والملقي لغة بمعنى الممتحن الذي لا يزال يلقاه المكروه ، ومجازا هنا بمعنى العاني المنهزم .

فخروا كما فخرَ الأسيفُ لامسِهِ ... المستَعِزُّ بيومِهِ الوضّاءِ

والحِلْمُ كلُّ الحِلْمِ مَحْوُ خطيئةٍ ... بالتَّوْبِ والتكفيرِ لا الاغضاءِ

اللهَ في جرْمِ التّشاحُنِ بينما ... يَبكي لهم وَطَنٌ أمرُّ بكاءِ !

قد كفكفوا عبراتِهِ بصُدورهم

وتَصدَّروا شَرَفاً ليوْم نداءِ !

وتساندوا شطرَ الجنيبِ كأنهم ... سَدٌّ يصدُّ تدخُّلَ الدخلاءِ

أو (حائطُ الصين)[1] العظيمُ مكرَّراً

إعجازُهُ من نخوةٍ وإخاءِ !

وكأنما عرفوا الحقيقةَ ثانياً ... بمشاعِرِ الأحياءِ في الشُّهداءِ !

قتلوا بأيديهمْ ودُونَ ندامةٍ ... ما شَبَّ حولَهمُو من الأهواءِ !

وهيَ التي انتَسبتْ لهمْ ببنوَّةٍ ... فأبوْا ابوَّةَ نقمةٍ وشقاءِ !

ومَشَوْا على اشلائها ودمائها

مشْيَ الشجاعِ أسًى على الرَّمضاءِ[2] !

وكأنما (دارُ النيابةِ) مَعْبَدٌ ... وكأنمــا المحرابُ عهدُ وفاءِ !

---

(١) هو سور الصين الذي بناه الامبراطور (تسن شيه هوانجتي) الذي حكم الصين من سنة ٢٤٦ الى سنة ٢٠٩ قبل الميلاد ليحمي مملكته من التتار، وكان طوله ١٤٠٠ ميل ، وارتفاعه ما بين ٢٠ و ٣٠ قدماً .

(٢) أسى : صبراً . والرمضاء : الارض الحامية من شدة حر الشمس .

أهلاً أُباةَ الضَّيْمِ بعدَ تناطُحٍ !
أهلاً بُناةَ الخُلدِ بعدَ فناءِ !

أهلاً بعودَتِكم الى سلطانكم   فالعرشُ عرشُ نيابةٍ وقضاءِ

سلطانُكم تاجُ الجلالِ ، وحكمُهُ
حكمٌ على الأفرادِ والدَّهماءِ

مَنْ هدَّ قوَّتكم تزعزعَ بأسُهُ   فالشعبُ موئلُهُ لربِّ سماءِ !

أهلاً ! يرفُّ بهِ الفؤادُ وخاطري   وتَهشُّ من طَرَبٍ له أعضائي

ولو ٱستطعْتُ اليومَ جئتُ مقبِّلاً
آحادَكم فرَويتُ بعدَ ظماءِ !

مَرأًى يحن لهُ المحبُّ بلادَهُ   بعدَ الجوى ويقرُّ عينَ الرَّائي

ويُكبُّ طاغوتُ العداةِ أمامهُ   ويخرُّ حكمُ الظلمِ بعد سناءِ

وكأنما عِيدُ العدالةِ كلِّها   هذا العظيمُ النَّصرُ شاقَ ازائي !

***

أنْصت الى هذي المدافعِ ! قَصفُها
ما كانَ أبلغَ مِنْ عزيزِ ندائي !

ومن الحوادثِ والمَواعظِ ما بهِ   توفي الجلالةَ ألسنُ الشعراءِ !

واسمعْ (**خطابَ العرش**) : إنَّ بيانَهُ

هذي النفوسُ ، وروحَهُ املائي !

فالشعبُ سيدُ نفسهِ ودیارهِ   إنْ صانَ حرْمَةَ حقِّهِ لبقاءِ

وانظرْ الى هذي الوجوهِ تلألأتْ

والى الصدورِ تدفّقتْ برضاءِ

والى المشاعرِ بُلِّغتْ آمالَهَا   والى العواطِفِ متِّعتْ بجزاءِ

والى مَعالمِ عهدِ صدق بالغٍ   للنفعِ والإصلاحِ بالعُلماءِ

وتعالَ شاطرْني الحُبورَ مصفقاً   ومهلّلاً ، ومهنّئاً بشفاءِ

وتحلَّ بالعلمِ الخفوقِ مموَّجاً   طرباً كسندسِ أرضِهِ الخضراءِ

إنا لسانُ الشعبِ قبلَ عيونهِ (١)

وكذا تكونُ مراتبُ الأُدَباءِ

ولنا « خِطابٌ » في النصيحةِ سيدٌ

يُشْتَقُّ منْ حُبٍّ وطُهرِ ولاءِ

قُلْ في مقامِ الذّكر : هٰذا يومُكم

لضمانِ عصرِ تعاونٍ وعَلاءِ

---

(١) العيون : صفة « الاشراف » و « السادة » .

وِلعِزَّةِ الدُّستورِ كلُّ جلالِهِ   ولقوَّةِ الدستورِ عَوْدُ بِناءِ
لا تحسَبوا أنَّ المشا كلَ حولكم
هيَ دَفْعُ مُحْتَلٍّ وقِسمةُ ماءِ!
ليستْ وحقٍّ اللهِ غيرَ شعوركمْ
حقَّ الشعورِ بواجبِ الزملاءِ
كلٌّ يقدّسُ ما يحقُّ لغيرِهِ   مهما أُجيزَ تباينُ الآراءِ
كلٌّ بذمّتهِ خلاصُ بلادِهِ   فتُوجِّهونَ لها أبرَّ وقاءِ
وتهذِّبونَ وتُنشئونَ بلا وَنًى   وتحرِّرونَ مرافقَ الأبناءِ
فمتى غدَوْتمْ سادَةً ببيوتكم
هانَ الدخيـلُ فراحَ غيرَ مُرائي!



قبلة الجمال

يا سمائي يا سنائي | يا إلهَ الشُّعراء !
يا سَقامي يا دَوَائي | ياهمومي يا رجائي !
أنتِ مِحْرَابي وربّي | في صلاتِي ودعائي !
أنتِ رَيحاني ورُوحي | لم تُجزّأْ في التّنائي !
تجذبينَ الحُسنَ جذباً | يا ملاذاً للضياء !
قُرْبُكِ المعشوقُ قربٌ | لا فناءِ الهناء
والنّوى شِبهُ امتِحان | لثباتي ووفائي !
فاذا كلّي مطيعٌ | وصَبورٌ في عنائي
لستُ غيران ، فاني | أنتِ ، يانُعْمى شقائي
كلُّ ما يهفو اليكِ | لا يُساويني بدائي !
ماليءٌ(١) ذرّاتِ جسمي | فائضٌ فيضَ الإناء
ليتني مُتُّ بنارٍ | منكِ في يوم اللقاء
كفَراشٍ(٢) في جنونٍ | حولَ نُورِ الكهرباء !
ليتني أفنيتُ عمري | فبكيتِ في رثائي !

(١) أي داء الهوى . (٢) فراش : جمع فراشة ، وهي الحشرة الطائرة المعروفة التي تتهافت على السراج فتحترق .

صديق الروح

ابيات ترحيب ارتجالية بالأديب المفضال الاستاذ عبد القادر عاشور

أهلاً (بعبد القادرِ) أهلاً بأنسي النادرِ !
المُستطَابِ لخاطِرِي والمستحَبٍّ لناظري
يأتي كما يأتي الحيا متعطّراً بأزاهرِ
متواضعاً بمفاخرٍ متلألئاً ببشائرِ
تتفتّحُ الأكمامُ عندَ لقائهِ كخواطري
فيخصّني بجميلهِ وأخصّهُ بسرائري !
ويبثّني آمالَهُ آمالَ قلبٍ عامرِ
فيسيلُ منّي الشعرُ بالاعجابِ غيرَ مُفاخرِ
الاّ بتحقيقِ الوفاءِ لصاحبي ومَشاعري
ومِنَ الصّداقةِ مُلْهِمٌ كالرّوْضِ حوْلَ الطّائرِ
فيسيرُ بعدَ رضائهِ شعري كحُبٍّ سائرِ
أستافهُ مِنْ فضلهِ كسُلافةٍ لمحاجرِ
وأعيدهُ النغَمَ الشجيَّ لعاشقٍ ولشاعرِ
أهلاً ! وأهلاً يا صديقَ الرّوحِ قبلَ دفاترِي !

نشيد الملائكة

CHORUS OF ANGELS

قصيدة تصوّفية

معربة بشعر مرسل حر من نظم « شكسبير هولاندا » (جوست فان دن فوندل - Joost Van Den Vondel) اعتماداً على ترجمة السير جون بورنغ المذكورة في الجزء السابع من (الموسوعة الدولية للآداب الشهيرة - International Library of Famous Literature) والتي يحول ضيق الفراغ دون نشرها في هـذا الديوان للمقابلة

ولد هذا الشاعر العبقري في سنة ١٥٨٧ م . وتوفي سنة ١٦٧٩ م ، والصورة الرمزية التالية من رسم النقاش الخالد الذكر رينولدز . (الناظم)



مَنْ المُسْتَوِي فَوْقَ أَعْلَى السَّماءِ جليـلاً ويمْلأُ عُمْقاً لِقبْرِ
وراءَ الخلودِ وخَلْفَ الزَّمَانِ وخلفَ الفَضاءِ القَصِيِّ السَّحيقِ ؟!
على نَفْسِهِ وَحْدَهُ في اعتمادٍ يَظَلُّ دَواماً جليـلاً خَفِيَّا
وفي ذاتِهِ قاهِراً ينتهي جميـعُ الذي حَوْلَهُ ولَدَيْهِ.
ومِمَّا جهلنا ومِمَّا علمنا عنِ الأَصْلِ والمبدأِ الأَوَّلِ :
خضمٌّ ومِنْ فَيْضِ أَمواهِهِ على الأَرْضِ مِنْ تحتِهِ نِعمةْ
تذيبُه أَبْهى الشُّعاعِ الجميلِ لأَكْرَمِ ما عزَّ مِنْ غِبْطَةٍ .
بقوَّتِهِ ثمَّ مِنْ حبِّهِ وحكمتِهِ كانَ مبدأُ دُنيا
فمجَّدَها موْقِظاً مِنْ سُباتٍ ، وكَوَّنَ قَوْساً لها مِنْ نجومٍ
ومَعْقُودَ قَصْرٍ هُناكَ ، وأَسْمَى سَماوَاتِهِ ، في ٱبتِسامِ لأَرْضٍ !
ومِنْ أَلَقِ الجلالِ لهُ ظَلَّ بأَجْنِحَةٍ ساتِرَةْ
لَنَا ، بينما نحنُ في خَشْيَةٍ ورَوْعٍ وفي رَعْشَةٍ غالبةْ
نَزُفُّ الثَّناءَ لأَسْمَى الملوكِ بلحظٍ كليـلٍ وحِسٍّ تحيَّرْ :
أَلا فاذْكُرُوا ٱسْمَهُ ، بلْ صِفُوا العظيمَ المُسَوَّدَ فَوْقَ العِظَامِ !
لِيَتْبعهُ مِنْ قُدُسيِّ الثَّناءِ ثناءُ الملائكةِ السِّرِّ فيهِ !
فإنْ عزَّ هذا فهلْ كانَ ذلكَ بحثاً عظيماً سَماَ عنْ كلامٍ ؟!

تلبية

RESPONSE

إنَّهُ الرَّبُّ مَنْ يُرِيقُ وَهيجاً لحياةٍ في النورِ : نَبْعِ الوُجُودِ !
اغفرْ المَدْحَ ، فهوَ واهٍ ضئيلٌ مِنْ جُمُوعِ الأَحْياءِ والأَمْواتِ!
لم يقلْ اسمَكَ الفريدَ لسانٌ ، فَهوَ رَوْعٌ لا يَحْتويهِ فضاء !
والمَلاكُ الذي تَطَلَّعَ للسرِّ كسيرُ الجناحِ لنْ يَسْتَطيعا ،
بينما كُنْتَ ، ثمَّ انكَ باقٍ ، وستَبقى بلا تحوُّلِ حَالٍ .
أخْرِسَ القوْلُ ، والتَخيلُ والعرْفانُ والعِلْمُ في سقوطٍ لِعَجْزٍ
فهيَ جَمْعاء كامتهان مُذال حينَ يا ربُّ تحتوي كلَّ شيء !
عَبثٌ أنْ نُطيلَ في ذلكَ الفكْرِ ! فَمَنْ ذا الذي تَعرَّفَ سِرَّكْ ؟
أنتَ ربُّ الخفاء ؟ هلْ كانَ للأملاكِ أنْ يَعْتَدُوا لسانًا لوحيكَ
أنْتَ يا مَنْ يَدُومُ خالصَ نفْسِهِ ؟ !
ليسَ منْ يستطيعُ أنْ يتبعَ الإثْرَ لهذا الجلالِ منْكَ قديرًا
حيثُ لنْ يَسْتَطيعَ في الخلْقِ فَرْدٌ يقبسِ النورَ مِنْ سَنَا إشْعاعِكْ
أنتَ يا رَوْنَقَ الوُجُودِ ونَبْعَ الوَقْتِ بلْ أنتَ يا خُلودَ الخلودِ !
إنَّ نورَ النورِ الذي فاضَ يُعْطينا خلاصاً في طيْرِهِ[1] الفرْدَوسي

(١) بمعنى طيرانه . وفي الأصل : flight elysian .

وهوَ أبْهى من نورِ رَحمتِكَ العُظمى ولٰكنْ أبصارُنا في كَلالِ!

فهيَ لَنْ تَستطيعَ مَهْما أرَدنا لعياءٍ تَطَلُّعاً نحوَ ذاتِكْ:

ثمَّ إنّا ما بَيْنَ يَوْمٍ ويومٍ نتلاقى والعُمْرَ في الشَّيْخوخهْ!

حينما لا نُلاقيكَ يارَبُّ يوْماً ، فَقُوَاكَ الحياةُ حِفْظاً ودَفْعا!

نحْنُ نُثْني عليكَ ، نحنُ بشَدْوٍ دائِمٍ أيُّها المقدَّسُ نَدْعُو

فليكُنْ دائماً ثناؤكَ حيّاً في جميعِ الوُجُودِ ، في كلِّ أرْضِ

ولتكنْ عندكَ السَّلامةُ ذخراً ، بينما أمْرُكَ المُقدَّسُ دَوْما!



أمل الانسانية

أذمّ زماني لا عناً سوءَ أهلهِ
فأحسبُ أنّي لا أرى فَضْلَهُ فضلاَ

وما أنا مأسورَ السوّادِ (١) وانمــا
أحنّ الى الإصلاحِ والمَثلِ الأعْلى

وعنديَ أنَّ الخلقَ في حالِ ظافرٍ
يئنُّ بعبءِ المُرْتقِي كلّما استعلى!

وأنّا بعصْرِ الضّعْفِ حيناً وغالباً
بعصرٍ يرَى أهليهِ بالمُنتَهى (٢) أهلاَ

فعُذْراً على بعضِ الشّكوكِ ولا تكنْ
على بَعْض وَجْدِي مَنْ يرى حقّه العذْلا

فانّي رسولٌ في الرّجاءِ الى غدٍ
أبَشّرُ بالآتي الذي يُكرِمُ العقْلاَ

(١) يعني ليس سوداوي المزاج .

(٢) اي بمنتهى الرفعة .

لئنْ طَحَنَ الدَّهْرُ الأَنامَ فانّ

أحِسُّ بأنَّ الدَّهْرَ لنْ يطحنَ الأصلاَ

وأنَّ ممـاتَ الخلْقِ عُمْرٌ مُجَدَّدٌ

فانْ تَنْعَ فَلْتَنْعَ المظاهرَ والشَّـكلاَ

وثِقْ بالغدِ الآتي لجنْسِكَ (١) بالمُنى

فلا يعرف الإنْسانُ ضَيْماً ولا ذُلاًّ !

ويملِكُ أسْرارَ (الطَّبيعةِ) فاتحاً

ويعبدُ فيهِ (٢) الحقَّ والعلمَ والعَدْلاَ !

ويبلغُ غاياتِ الخلودِ بنُبْلِهِ

ولا يكرَهُ التُّرْبَ الذي صانه قبْـلاَ

ويعتقدُ العيْشَ البقاءَ وانْ غدَا

جَماداً ، وأنَّ المجدَ أنْ يَهْزَمَ الجهلاَ !



(١) الجنس البشري . (٢) أي في الغد

القدر

من ناظم الديوان الى ناشره

أتاني شجيٌّ بدمعِ الطَّريدْ ولو أنَّه في ثيابِ العميدْ !

فقلتُ : « ومَنْ أنتَ يامَنْ أُهينْ ؟ »

فقال : « أنا (المالُ) نجوايَ دينْ !

ولٰكن صديقكَ لمْ يَرْضَ حكمي

وحقّرني رغم دِرعي وسهْمي !! .... »

وإذْ كاد يفرغُ منْ بثِّهِ ومن سُخطِهِ الجمِّ أوْ عبثِهِ

هنالكَ أقبلَ في إثْرِهِ ينوحُ ويجبرُ منْ كسرِهِ

عظيمُ العِمامةِ في جبَّةٍ كأنْ هيَ مُدَّتْ على دُبَّةٍ :

فقلتْ : « ومنْ أنتَ يا ابنَ الكرامْ »

فقالَ : « أنا الحسَبُ المُسْتضامْ » (١)

وقاطعهُ ثالثٌ صارخٌ ! وآخرُ في همِّهِ راضخُ !

وآخرُ كمْ سادَ قوماً ونالْ وكم أوْرثَ المُضعفين السُّلالْ !

فقلتُ : « اذنْ فارقوني فانّي صديقي برُوحي وعقلي وذِهني !

(١) أي المستضام الحق . يقال : استضامه حقه أي انتقصه اياه .

فكلُّكمو مِن أذلّ الأنامْ ... بمحْض الخداعِ وسُبْلِ الحرَامْ!

ولولا الجهالةُ لم يحتكمْ ... سوى الفكر، فهوَ الأَجلُّ الأتم!

فراحوا وأذهشَهُمْ ما لقوا ... فكم قد تعبَّدَهُمْ مُرْهَقُ

ولكنْ أتى بعدهم شامخًا ... وحيَّا وقال: أتنْسى أخًا؟

فقلتُ: «ومَنْ أنتَ؟» قال: الرَّسولْ

أُمَثِّلُ صِدْقًا صديقًا سَؤُولْ[1]!

«وإني لهُ كلُّ ما في الحياهْ ... ثراءٌ[2] وبأسٌ ومُلْكٌ وجاهْ»

فقلتُ: «ومَنْ أنتَ باللهِ قلْ لي؟

ألستَ (النُّبوغَ) بحذْقٍ وفضْلٍ؟»

فقالَ: «نعمْ..!» قلتُ: «نِعمَ الخليلْ

ونِعمَ الرَّسولُ ونِعمَ المثيلْ[3]!»

❖

فيا (حسنُ) ألفَ شكرٍ لُحلْمي

فقدْرُكَ في الحُلْمِ تمثالُ عِلْمي!

فقلْ للغبيِّ الذي ما دَرَاكَ: «حِجايَ يساوي مِراراً غِناكَ!»

---

(١) السؤول: الكثير السؤال. (٢) الثراء: الخير.

(٣) المثيل: الشبه والنظير، وأيضاً بمعنى الفاضل.

اليها ...

مقتبسة من قصيدة لجان ريشبان نقل عباراتها الى العربية الناشر
ونظم معانيها صاحب هذا الديوان

لجميلِ صَوْتِكِ نغمةُ البلُّورِ
فلكم أذوبُ له بذَوْبِ حبُورِي!
وأكادُ مِنْ فرْطِ اغتباطي والهوى
يُغْمى عليَّ لعطْفِكِ المبرُور !
أطبقْتُ عينيَّ التِذاذاً مُمْتِعاً
بَينا انحنيْتِ على الفتى المصدُورِ
وهمستِ فوقَ الصدْرِ همسةَ رحمةٍ
وكأنمـا حدّثتِ لُبَّ ضميري !
فاذا سكرْتُ - وقد سكرتُ - فانما
مِنْ صَوْتكِ الفتّانِ سُكْرُ شعوري
ولو انَّ أنفاساً لديكِ طهورَةً
جادَتْ على حلواكِ بالتعْطيرِ !
هيَ وحدَها تكفي لسحْري، انما في صَوْتِكِ المحبوبِ سِحْرٌ قديرِ

تَمتصُّ (١) مَصَّ الثَّغْرِ بينَ تدلُّلٍ
وأنا الأحَقُّ بعطْرِكِ المَنْشُورِ !

أُصْغي اليكِ ولستُ أدْري ما الذي
نبّأْتِ في عذْبٍ منَ التَّعبيرِ

حُلْوُ السَّماحِ وانْ جَهِلْتُ بيانَهُ
وكأنّه لُغَةُ السَّما والحُورِ !

فأظلُّ في بَحْرِ السَّعادَةِ غارقاً
وأحسُّ رفقَ بنانِكَ المَشكورِ (٢)

يَجري (٣) على جسمي المجرَّدِ (٤) نِعْمَةً
فكأنَّ صوْتَكِ ذو بنانٍ خبيرِ

اعتادَ لَمْسَ الصَّبِّ لمسةَ مُشْفقٍ
وكسا أسيرَ النُّورِ حُلَّةَ نُورِ !

---

(١) اي الحلوى التي في فمها المعطرة بأنفاسها .

(٢) البنان : جمع بنانة وهي اطراف الأصابع ، وهو جمع يوحد ويذكر . قال الامام الرازي في (مختار الصحاح) : « ويقال بنان مخضب لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء فانه يوحد ويذكر » .

(٣) اي البنان . (٤) المجرد : العاري .

الرجل الجهير

يا طالما حَسَدُوهُ للصِّيتِ والمَظْهرِ !
وهو الأسيرُ الذي عانى شقاءَ الذُّيوعْ[1] !
يا طالمَا حَسِبُوهُ في عِزَّةِ المُزْدَري
ما هانَ بينَ الورى بينا يهابُ الجُموعْ !
قالوا لهُ قُوَّةٌ أوْ هِمَّةٌ ظاهِرَهْ
وما دَرَوْا أنَّهُ لولاهمو ما اعتَلا
كم منْ نُبوغٍ هَوَى في بيئةٍ عاثِرَهْ
هيهاتَ تبقى العُلَى إلاَّ بأهلِ العُلَى !
انَّ العظيمَ الذي يغدو الامامَ الجهيرْ
نَبْتُ البلادِ التي أعطَتْهُ حقَّ الذَّكاءْ
وليسَ مِنْ حظِّهِ عِبءُ الزعيمِ الشَّهيرْ
لكنَّ مِن حظِّها مجهودَهُ والوَفاءْ !



(١) الذيوع : الشهرة .

تزكية الأدب

قيلت في تعزيز انتخاب الدكتور محمد حسين هيكل بك رئيس تحرير « السياسة » ومرشح الأحزاب المؤتلفة لعضوية البرلمان المصري

حيِّ باسمِ (الشِّعرِ) قدْرَ النابهينْ
ليسَ شِعْرُ الحقِّ في مدْحٍ مَهينْ
وسَلْ القلبَ يَبُحْ في خَفْقِهِ   بمعانٍ وأمانٍ لا تَبِينْ (١)
بينما يجْري بها في عِزَّةٍ
نظمُكَ الوثَّابُ مِنْ فَرْطِ الحنينْ
يُنصفُ الإبداعَ في دَولتهِ   ويؤدِّي من حقوقِ النابغينْ
ويُحيي قوَّةً أكبَرَها   سيِّدُ القُوَّةِ والبأسِ المكين
شُعلةٌ مِنْ همَّةٍ لا تنطفي   وذكاءٌ لاحَ كالصُّبْحِ المُبِينْ
يقبسُ الأبناءُ منْ بَسْمتِهِ   مثلما يُفزِعُ مُلْكَ الظالمينْ.
ويؤدِّي مِنْ رسالاتٍ له
صفوَ ما أوحاهُ في الماضي (أمونْ)
ويرَى عَهْدَ (فتاحٍ) عهدَهُ   فيُعيدُ الأمسَ حيًّا للعيونْ!

(١) لا تبين : لا تظهر .

قلْ طروباً اذ تُناجي (هيكلاً) :

أنت مِثل (الهيكل) الغالي مَصُونْ !

يا أديبَ الأَمْس في تلقينهِ

منْ هُدَى (مَنْفٍ) دُروساً للبنينْ

وأديبَ العصر في استثمارهِ لبيانِ العصرِ والعلمِ الثمينْ

أوحديٌّ أنتَ في نزعتهِ بينَ رَهْطٍ منْ خيار الكاتبينْ

وخِلافُ الرأي ما خادَعَهمْ فيكَ أوفي عقلكَ الفذّ الرَّصينْ

وأرى قوْماً على غفلتهمْ في ضلالِ الجاهلينَ الحالمينْ

يسألونَ اليوْمَ عنْ تزكيةٍ

قلْ لهمْ : تزكيتي أسمى اليقينْ

في جهادٍ عرَكَ الدَّهْرَ كما

ردَّت (الأَهرامْ) أحداثَ السنينْ

حَسْبُ فضْلي أنَّ مَنْ يمدَحُني

ليسَ مِن حزبي ولا في الهاتفينْ

منْ مُنى (مصرَ) ومن آلامها

رُوحُ مِثْلي ، ليْسَ منْ ماءٍ وطينْ !

وشعاري حقُّها الباقي على كرِّ أجيالٍ وذِكرى الخالدينْ!

يا بني قوْمي! ألا موْعظةً؟!

رُبَّ وعظ جاءَ بالإصلاحِ دِينْ!

صدِّقوني كلُّ ما يجْدِي لكمْ حَدُّهُ في حدِّ اخلاصٍ متينْ

عِلمهُ أنْ تبذُلوا منْ علمكم وندا كم بذْلَ مفتونٍ أمينْ

كلكم أبناءُ شعْبٍ واحدٍ بالإِخاءِ الحُرِّ والحُسنى قمِينْ (1)

مَنْ يُهِنْ منكمْ أخاهُ قدْ يُهِنْ نفسهُ، اذْ كلكمْ ذاكَ الخدينْ

إنْ تطاحنتمْ غدوْتمْ رِمماً فحُسِبْتمْ في عدادِ البائدينْ

فابذُلوا الجهْدَ لفتْحٍ مقْبلٍ مستعِزٍّ بالرّجالِ العاملينْ

واندُبوا مَنْ يخدمُ الشُّورَى ومَنْ كانَ في ايمانهِ كالمُرْسَلينْ (2)!

مِنْ نجومِ الرَّأيِ انْ طاحُوا غدا

مَن تناسَوْهم بحالِ الآفلينْ!

وعجيبٌ أنني في موْقفي

سائلٌ (3) تعضيدَ أقوى الفاتحينْ!

كلُّهمْ أعلامُ فضلٍ باذخٍ و(حسينٌ) بينهمْ حِرزٌ حصينْ

(1) الحسنى: الظفر. (2) واندبوا: وانتدبوا. (3) من سأل بمعنى استدعى.

رَجُلٌ في خُلْقِهِ العالي كما
هوَ عندَ الخطْبِ من أُسْدِ العرينْ

يخدِمُ الآدابَ أسنى خِدْمةٍ ... في صفوفِ الهادِمينَ الخالقينْ
لا يبالي بظهُورٍ بينما ... هوَ في الإِحسانِ بيْنَ القائدِين
كم لهُ منْ آيةٍ سطّرَها ... في مآلِ الزّارعين (الفالحينْ)
كم له منْ وثبةٍ في لغةٍ ... أرسلت نوراً وأحيتْ ميّتينْ
وجديدٍ في اطّرادٍ دائمٍ ... وفِكاكٍ لأسيرٍ وسجينْ
ثائرٌ في غيرِ عنفٍ للعُلَى ... هازِمٌ في غيرِ مكْرِ الخادِعينْ
يَسْتمد الوَحْيَ منْ حاضِرنا ... وكذا نجْوى قُرُونِ الغابرين
فاذا زكّيتهُ زكيتُ في ... برّهِ آمالَ كلٍّ البائسينْ

هُمْ سَوادُ الشّعب بلْ حِليتُهْ
في لباسِ المُجْدِبينَ المُسْنِتينْ (١)

عرفوا الفقرَ لهمْ اذْ بذروا ... للوَرَى التبرَ ومنثورَ الجبينْ!
واذا عظّمتهُ عنْ شغفٍ ... فهوَ عشقي لنبوغ المصلحينْ
إنْ توارَوْا فتْرَةً أوْ حُجبوا ... لم تجدْ منهُمْ لدى الجُلّى ضنينْ

لنْ تدومَ السُحْبُ مهْما اجتَمعتْ
فضياءُ الفضْلِ يجْلو (٢) بعدَ حِينْ!

(١) يشير الى جمهرة الشعب : « الفلاحين » . (٢) يجلو : يظهر .

المجد الشخصي

وعظمة الفن

حسبي شِعارَ المجدِ أنْ يُصْغي الورَى
لعواطفي ويمجِّدوا انشادِي
ما الزَّهْوُ مِنْ طلبي ولا هوَ عزَّتي
لكنْ أعزُّ بما يسرُّ فؤادي
يُزْجي بيانَ الصِّدْقِ في نَبَضاتِهِ
ويمدُّ لي قلماً وسَيْلَ مِدادِ
قالَ الصَّديقُ وقدْ أطالَ بمدْحتي :
« أقسمْتُ أنكَ بالعظائمِ غادِي
أعطيتَ تاجاً للقريضِ مُجوْهَراً
فليرهُ فوقَ جبينِكَ الوقّادِ! »
فضحكتُ ثمَّ أجبتُهُ متعجباً :
« أعلمتَ أنَّ التاجَ كالأقيادِ
والشاعرَ الفنيَّ ليسَ لنفسهِ لكنْ لمُلْكٍ بالمفاخرِ بادِي ؟

والعرْشَ والتَّاجَ الصحيحَ لدوْلةٍ
الفنُّ سـيِّدُها على الآبادِ ؟

والمبدعينَ النَّابغينَ وانْ سَمَوْا
ليسوا سوى القُوَّادِ والأَجنادِ

لو أنَّ مَنْ زَعَمُوا الامارَةَ أنصفوا
أقدارَهمْ لتعاوَنوا بودادِ

فجميعُهمْ رَهْنُ الزَّوالِ جَلاَلُهمْ
والفنُّ ـ لا الأفرادُ ـ للإِخلادِ

انِّي الشَّكورُ اذا أذَعْتَ عقيدَتي
ومدَحْتَ كيْ يُصغي الورَى لمرادِي

أمَّا الغُرورُ ومجدُهُ وسماؤُهُ فوساوسٌ لم تقترِنْ بجهادِ

وأَحبُّ من صافيتُهُمْ مَنْ قَدَّروا
رَأيي ، وانْ عُدُّوا مِنَ النُقَّادِ!»



عبد الوهاب

أتُراكَ افتتَنْتَ عندَ افتتانكْ ؟!
فتنةٌ أنتَ لا مُغنّي زمانِكْ !

صوتُك العذبُ نفحةٌ منْ خلودٍ ورسولٌ دَعا الى ايمانِكْ
وكأنَّ الذي شَدَوْتَ علينا سُوَرٌ أُنزلتْ على وجدانكْ
يانبيَّ الغناءِ في دَوْلةِ الحظِّ تعطّفْ على سكارى جنانكْ
وترفّقْ بمنْ سَحَرْتَ بصوْتٍ منْ جمالِ الصبيِّ ومنْ عنفوانكْ
حلَّلَ السكرُ للعبادةِ والسّحْرُ لمنْ يسمعونَ أحلى بيانكْ
وقلوبٌ يقالُ أقسى من الصَّخْرِ أُذيبتْ ورُنِّقت (١) مِنْ حَنانِكْ
انما الصوْتُ قطعةٌ منْ حياةٍ وكذاكَ الحياةُ منْ احسانِكْ
وتُنادِي بحرْقةِ القلْبِ (ياليلُ) فيهتزّ بالصَّدى في مكانكْ
ماثلاً مُصغياً شجياً يؤدّي صيغةً ماحجبْتَ عنْ ترجمانِكْ
وتُذَنّي بدمعةِ الصوتِ (ياعيْنُ) فتندَى النجومُ مِنْ أشجانِكْ!

(١) يقال لغة : رنق الماء أي صفاه .

وتُناجي الأرواحَ نَشْوَى فلا تدْ
ري أنشوى الُحبُورِ أم أحزانِكْ
واذا انفضَّ مجلسُ الانْس رَغْماً
فُضَّ [١] تَحْنانُها على اردانِكْ !

يا أمل...

يا أَمَلْ ! يا أَمَلْ !
يا هَوَى مَنْ عَمِلْ
يا حُلًى للبَطَلْ
يا قُوىً في الجَلَلْ
يا دَواً للكَلَلْ
يا لَظًى للكَسَلْ
يا عُلًى مَنْ وَصَلْ [٢]
يا حِمًى منْ فَشَلْ
يا شَذاً يا قُبَلْ

(١) يقال فض العطر اي نثره (٢) اي من وصل الى العليا.

يا سَنًى للغَزَلْ
يا نَدى مَنْ نَهَلْ
يا فِدًى كم قَتَلْ
يا جنًى[1] كالعَسَلْ
يا رَدًى للشَّلَلْ
يا هُدًى للرُّسُلْ
إنْ تَضِعْ فالمِلَلْ
والمُنى والحِيَلْ
والوَرَى والدُّوَلْ
مَوْتُهـا محْتَمَلْ!



(١) الجنى : ما يجنى .

الكؤوس

نظَمُوا الكؤوسَ كأنَّها مثُلُ الاحبةِ في عِناقِ !
فاذا اقترَبْنَ الى الشفا هِ أثرْنَ في دَمْعِ الفِرَاقِ !
ورَنينُها عنــدَ التحيّ ةِ كالحنينِ الى التلاقي
أوْ كالتأوهِ منْ جَوى الـ اهراقِ أو ألم احترَاقِ !
قالَ النَّديمُ : أعِدْ لنا دَوْراً منَ الطَّرَفِ الدِّهَاقِ (١)
فملأتُها وكأنّني بنوعِ اللّذاتِ ساقي
وكأنَّما مَوْتى الكؤو سِ مجدَّداتٌ في ائتِلاقِ !
وكأنّني الخلاَّقُ أُحْ ييها ويفْنيها التَّساقي !
وكأنَّما الرَّاحُ السنيّ ةُ رُوحُ أحلاَمِ الوفاقِ !
يهفُو الصِّحابُ لنفحِها هَفْوَ الوفيِّ منَ اشْتياقِ !



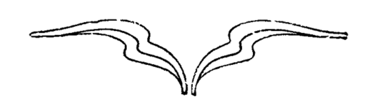
(١) الدهاق : الملآنة . والطرف : الملح .

غادة البحر

هيفاءُ يَنْبضُ بالملاحةِ جِسْمُها
فتَرى الحياةَ منَ الثيابِ تُطلُّ !
فكأنّها الزَّهْرُ المُحجَّبُ بَعضُه
بالطَّلِّ ، لو يُخْفي الملاحةَ طَلُّ [1] !
أو انما هذي الثيابُ تحوَّلتْ
فغدَتْ مِثالاً للحياةِ يَجلُّ !
كشفتْ جَمالَ الساعدين : كلاهما
سِحْرٌ لهُ في المُقلتيْنِ مَحلُّ
فأغازِلُ الألوانَ منْ نُورٍ حَلاَ
متناسقٍ صافي الشُّعاعِ يَدِلُّ [2]
وأعافُ نُورَ الشَّمْسِ جَنْبَ صَباحةٍ [3]
تستأسِرُ الفنَّانَ [4] أوْ تحْتَلُّ !

(١) ندى . (٢) يتكسر تدللا .
(٣) يريد اشراق الحسناء . (٤) تأخذه أسيراً .

وَهفَتْ[1] الى المَوْجِ الطَّرُوبِ فأظهرتْ
قَدَمينِ لونُهُما حكاهُ الفُلُّ !
لهما الرَّشاقةُ مثلَ ساقيْها ، فما
تبتلُّ خِفَّتُهَا كما نَبْتَلُّ !
تَجْرِي وتَمْرَحُ في سُرُورٍ لاعبٍ
والماءُ يرْقُصُ والرِّمالُ تَعِلُّ[2] !
والناسُ قد شُغِلوا بها عنْ لَهوهمْ
وعن الحسانِ اللاعباتِ تَخَلَّوا !
فتأمَّلوها ذاهلينَ ، وأسْرَفُوا بتأملٍ هيهاتَ منهُ يُمَلّ
ونَظَمْتُ شِعْرِي منْ شُعُورِ عبادَتي
(للحُسْنِ) فهوَ من (الحياةِ) أجلُّ !



(١) تاقت .
(٢) تشرب تباعاً، كأنما هي نشوى من الفرح بهذه الرشاقة التي تلامسها!

الوطنية والانسانية

تعزيز الاخاء الانساني

أَتجذِبُ الخلْقَ في التَّقْدِيسِ أَوْطَانُ
وليْسَ يجذِبُهُمْ كَوْنٌ ودَيَّانُ ؟!

(اللهُ) في الكوْنِ هذا ، وهُوَ صُورَتُهُ
فكيفَ تَعْلو على الدَّيَّانِ أَوْطَانْ ؟!

أليستْ النَّاسُ أَسمى ما يمثّلُهُ
إبداعهُ ، فعلامَ النَّاسُ قدْ هانُوا ؟!

تنابَذُوا ونَسَوْا ما نَوْعُهُمْ[1] ، وَمَضَوْا
كلٌّ بسخريةِ الأقدارِ فرحانُ !

يأْبَوْنَ بِرّاً بدُنيا كم تبرُّ بهمْ
وجَمْعُهُمْ في انقِسامِ الطَّيْش غفْلانُ

أَجْمِلْ بتَقديسِنَا الأوطانَ لو عرفتْ
عقولُنا أنّها رِبْحٌ وخُسْرانُ !

(١) أي النوع الانساني .

فيها الوَفاء ولٰكنْ عنْ أنانيةٍ أمَّا الوَفاء المُعلَّى فهوَ إيمانُ

بحيْثُ نَلْقَى بني الإنْسانِ إخوتَنا

برغمِ بَيْنٍ وخُلْفٍ أينما كانُوا

هذا هوَ الدِّينُ عِنْدِي لا حماقتُنَا

كأنّما هذهِ الأوْطانُ أضْغانُ !

وإنّي الرَّجُلُ الحاني على وَطَني

فانّه صُورَتي الكُبْرَى ووجدانُ

وأفتديهِ برُوحي مِنْ مَحَبّتِهِ

فانَّ قلبي بهذا الحبِّ مَلْآنُ

لكنّ غايةَ أحْلامي ـ وإنْ بَعُدَتْ ـ

أنْ يَشْمل الأرْضَ باسمِ (الْحبِّ) سلْطانُ

وأنْ أُغالِبَ ما يُوحي الضَّلالُ به

للنّاس ، حيثُ جُمُوعُ النّاسِ عُمْيانُ

عقيدَةٌ لستُ أدْري كيفَ يُصغِرها

مَنْ يَدَّعي أنّه سامٍ وإنْسانُ !

حياة النوع

ومَا دَامَ جُرْمُ (الأَرْضِ) يَحْفَظُ « نَوْعَنا »

فلسنا وإنْ مُتْنا بِمَنْ صَحِبَ المَوْتَا !

تُصَانُ بِها أشْلاؤُنَا ونفُوسُنا مُوَزَّعَةً فيها ، منوَّعَةً شتَّى

وما المَوْتُ الاَّ في الفناءِ لأَرْضِنا

فانْ دَامتْ الدُّنْيا فما غُبِنَ المَوْتَى !

عظمة النفس

لا في الزُّهُورِ ولا في ملبسي البالي

حَظُّ الجلالِ ولا فُقْدانُ آمالي !

في قُوَّةِ النَّفْسِ والإِيمَانِ لي عُدَدٌ

ولَسْتُ أَنشُدُها في وَهْمِ جُهَّالِ !

ولا أُبالي ، وكم سُخْرِي بمنتقدٍ لِبزَّةِ العَلَمِ الرَّاقي لأَجْيالِ (١)

(١) البزة : الثياب ، والعلم : الرجل الجهير ، وكذلك بمعنى سيد القوم ، والراقي : الصاعد . ضرب الشاعر المثل بمن يرقى الى الاجيال متدثراً عما يجدي غير حافل بالمظهر ، وهو المبدأ الخليق بطالب العلى .

أنا الزَّعيمُ لنفسي وهيَ في دَعةٍ
آبى الخنوعَ وآبى زَهْوَ مختالِ !
ديني التعاوُنُ لا أرْضى بمملكةٍ
ولا بتسخيرِ أحلامٍ وآجالِ !
ولو شعَرْتُ بأنّي مِنْ جبابرةٍ
لَما حفَلْتُ بتهليـــلٍ وإجلالِ !
حسبي جلالٌ لفنّي أستعزُّ بهِ
وأنْ يعيشَ بياني ذُخْرَ أجْيالِ !
وخاطيءٍ ظنَّ لي صلْفاً بمعتقدي
وكلَّ ماغابَ عن خُلْقي وعنْ بالي
وتارَةً ظنَّ بي ضَعفاً لأنَّ لهُ
حِقْدَ الحسودِ لاخوانٍ وأخْوالِ [1]
فقلتُ: حسبكَ وَهْماً ... إنّي رَجلٌ
لي في العَلاءِ شعورُ الصدْقِ لا الغالي [2]

(١) المقصود باخوان وأخوال: اخوان الادب وشيوخه، وشاعرنا من ينكر التحاسد بين الادباء. راجع قصيدته «اسرة الادب» وغيرها.
(٢) الغالي: المبالغ. يقال غلا بالدين أي شدد وتصلب حتى جاوز الحد.

لي عِزَّةُ المخلصِ الوافي لذمَّتهِ
ولي اعتدادُ العُلى بالعقْل لا المالِ
وانْ أُقيِّدَ غيْري في مُتابعتي
فكيفَ أطلبُ تقييدي بأغلالِ ؟!

الاخلاص

لم ألقَ كالمخْلِصِ الأَمين | أوْلى بحُبِّ الوَرَى الثَّمينِ
حَياتهُ بينْهُمْ تُضَحَّى | لهمْ بصِدْقِ الهوَى المَدِينِ
ومِثْـلهُ غالباً غَبينٌ | مُسْتعْذِبٌ شِقوةَ الغبينِ !
يَنْسَى الاساءاتِ في التفاتٍ | الى غَرَامٍ لهُ ودِينِ
لمثْلِ هـذا أسوقُ مَدْحي | وإنْ تباعدتُ في يَقيني (١) !
وقدْ أذمُّ الذي حكاني | لـكنْ بلا نَزْعةِ الأَمينِ !
فليْسَ يكفي اتّفاقُ رأيٍ | اذا تخلَّى عن اليقينِ
سئِمْتُ عَيْشَ النفاقِ حوْلي | مِنْ كُلِّ مَنْ خِلْتهُ خَديني
وَصِرْتُ أحْنُو على خصيمي | بفضْلِ إخلاصِهِ المكينِ !

(١) في عقيدتي

هلْ قيمةُ النَّاسِ في مَرَاءِ وفي مَقالٍ وفي رَنينِ
وقدْ تخلَّوْا بلا حَياءٍ عنْ كلِّ صِدْقٍ وعنْ حنينِ؟!
وقدْ تمادَوْا بلا انتهاءٍ تماديَ المُجْرِمِ اللَّعينِ ؟!

البشير

ه . ج . ولز

H. G. Wells

بَشيرَ الحيـاةِ لنا والسَّلامْ رَجاؤُكَ أَسْمى أماني الأنَامْ
هَمَمْتَ كأنَّكَ أنْتَ (المسيحُ) تَعُودُ لِفَضِّ الأذى والخِصامْ!
تَجِدُّ لخلْقِ وُجُودٍ جديدٍ وتَبعثُنا مِنْ قُبُورِ الظَّلامْ!
وتعتبرُ الأرْضَ ـ في حِكْمَةٍ ـ كقُطْرٍ لِشَعْبٍ حليفِ الوِئَامْ
وكلُّ العقائدِ مثْلُ الوَرَى تُوَحِّدُهَا نَزْعَةٌ للسَّلامْ
وسَعْيٌ جميـلٌ الى حالةٍ يَعيشُ بها النَّاسُ عيْشَ الكرامْ
لهمْ كلُّهُمْ غايةٌ ما لَهَا خُصُومٌ ، ولا باعِثٌ للخِصامْ
وَهَبْتَ سُلالاتِ أحفادِهمْ رعايةَ قلبٍ عظيمٍ هُمَامْ!
فكمْ مِنْ كتابٍ وكمْ مِنْ مقالٍ لَهُمْ صغْتَهُ في أبرِّ اهتمامْ

تُخبّرُنا عَنْ حقوقٍ لهمْ
وعن نَكبةِ الأرْضِ يومَ الزِّحامْ

وتدعو الى دَفْعِ هذا الرَّدَى بتجديدِ نَسْلٍ ونَبْذِ الحُسامْ
وتدعو الى كلِّ ما يرتقي به العقْلُ والرُّوحُ فَوْقَ السَّوامْ

وهمك أنْ يُصْبحَ الساكنون
على الأرْضِ أهلَ العُلى لا الرَّغامْ

فأنفقْتَ عُمْرَكَ في خَيْرِهِمْ وما ضاعَ جهْدُكَ رَغْمَ اللِّئامْ

فأصبَحَتْ الأرْضُ تجري لديكَ
كأنك مِحْوَرُها في دَوَامْ !

كأنَّكَ أنْتَ الضَّمينُ لآتٍ عظيمِ الضِّياءِ جليــلِ المَقامْ
ورُوحُكَ نَفْحُ الإلٰهِ العزيزِ يجدِّدُنا بعــدَ موتٍ زُؤَامْ !
فانّ حيــاةَ الوَغى في سِباقٍ الى الشَّرِّ مَوْتٌ قبيحٌ لِزَامْ
وأنتَ الذي عافَ هذا المماتَ لهمْ ، جاهِداً مُستقِلاً تُلامْ
لأَهْلُ التقديسِهِمْ في الخُلودِ بَمَرِّ القُرونِ وكَرِّ الأَنَامْ !



الحقيقة الموزّعة

أنا مَنْ يُفتِّشُ عن محاسن ناقدي
فأُذيعُها كمَحاسِنٍ لجناني
حُبُّ الجمالِ أراهُ فوقَ خصومةٍ
وأرى الجمالَ موزَّعَ الاحسانِ !
وأرَى الحقيقةَ لا تُحَدّ فما لَنَا
نَهْوَى التعصبَ في غُرورٍ جانِ ؟
لِمَ لا نُفَتِّشُ في شعورٍ مُخلِصٍ للحقِّ دُونَ تَحَزُّبٍ وهَوانِ ؟
ليْستْ أنانيةُ الحياةِ جميلةً كلاَّ ولا عَجزُ الضَّريرِ الوَاني
واذا تأمَّلْتَ الخلاَفَ وَجدْتَهُ يَحْوي بذُورَ الحقِّ للإِنْسان



السلام والحب

كِلاهُما قِبْلَتي وراحتي بلْ عزَائي
كِلاَهُما مُنْتَهى جُهْدي ومَعْنى رجائي

فقلْ لِمَنْ يَشْتهي لمحْضِ خُبْثٍ عَدَائي :
لقدْ غَنِمْتَ انتِحاراً اذا قتلتَ إخائي !
فلستُ أحيا لِفَرْدٍ بلْ لِلْوُجُودِ ازائي
فانْ فقدتُكَ منهُ فما فقدْتُ سمائي !

أميرنا الصعلوك

هو ذلِكَ (الفلاَّحُ) ـ يا قَوْمي ـ الذي
يَحْيا حيـــاةَ سوائمٍ ورَغَامِ
مِثْلَ السوَائمِ بلْ أحطُّ بعيشِهِ مثــلَ الرَّغام بذِلّةٍ و بذامِ
وهوَ الذي لولاهُ ما ارْتفعتْ لنا رأسٌ ولا كُنَّا منَ الأقوامِ
إنَّا جميعاً مجرمونَ ازاءَهُ
حتى يُخَلَّصَ مِنْ هَوَى الإجْرامِ
حتى ينالَ حقوقَه في عيشةٍ خلصتْ منَ الأدْرانِ والاسقامِ
انَّ الجذورَ هيَ الحياةُ وانْ تكنْ
في التربِ نامية بغيرِ تسَامِ

الشاعر الإنساني

لا أرَى غيْرَهُ قميناً بعرْشٍ　　لنظيمٍ يَعيشُ في الأجيالِ
هو يَبْني معَ (الطَبيعةِ) مُلْكاً　　لحيـاةٍ غنيةِ الأجْيالِ
ليسَ يكفي للشّعرِ فنّاً تَلاَهٍ　　فهوَ رُوحُ النُبوّةِ المتعَالي
كلُّ شِعْرٍ سِوَاهُ لَحْنٌ ضئيلٌ　　وشُعاعٌ يموتُ طيَّ اللَّيالي !

الكرامة البشرية

الفكر الحر

أَسْمى الكرَامةِ مَجْدُ الفِكرِ لا صُوَرٌ
مِنَ التَّظاهُرِ في بأسٍ وفي عِظَمِ
حُرِّيَّةٌ تِلْكَ لا تُشْرَى ، ولا ثَمَنٌ
لها ، فكم كوّنَتْ مَحْسُودةَ الأُمَمِ
إنْ عُدَّتْ الحرْبُ جُرْماً والسُّجُونُ رَدًى
فضَيْعَةُ الفكْرِ أنْكَى في مَدَى التُّهَمِ

تلكَ العُبوديّةُ النكراءُ ليسَ لها
الاَّ قُرُونٌ مضَتْ بالبَطْشِ والنقمِ
واليومَ تتّجهُ الدُّنْيا مُوَفّقَةً
رَغْمَ العراقيلِ شَطْرَ النُّور والشَّمَمِ
فلن يُصَفّدَ عقلٌ في غَدٍ عُرِفَتْ
بهِ الكرامةُ للأذْهانِ والذِّمَمِ
غَدٌ يَسودُ إخاءُ النّاسِ نَزْعَتهُ
حينَ السُّمُوُّ بفكرٍ غايَةَ الهِمَمِ

العطف الالهي

وأُحِسُّ أنّي في انْدِماجٍ دائمٍ
بالكَوْنِ ، والكَوْنُ العظيمُ حَياتي
أتأمّلُ السّاعاتِ في أجْرامِهِ وكأنّني متأمِّلٌ مرْآتي
وأنالُ عَطْفاً مِنْ جميل حَنانِهِ يَسْري الى رُوحي بغيْرِ فَواتِ
حِسٌّ خَفِيٌّ لستُ أُدْرِكُ كُنْهَهُ وكأنما هو مُعْجِزُ الآياتِ
بلغَ الضَّميرَ ، وكانَ خيْرَ مُؤذِّنٍ باللهِ في مَلَكُوتِهِ لحَياتي

الزمن

عن نظم ماثيو أرنولد الشاعر الناقد الانجليزي الشهير
(١٨٢٢ — ١٨٨٨ م .)

(١) — التعريب

أرى (الزَّمَنَ) المَشْكُوَّ مِنهُ بكثرةٍ
ومَنْ ليْسَ بالإيثارِ يَبْدُو لإِنْسانِ
يُعيدُ الى كُلِّ الرِّجالِ مُوَزَّعاً
نصيباً منَ السَّاعَاتِ في غيْرِ إدْجانِ [1]

(٢) — الأصل

TIME

Time, so complained of,
Who to no one man
Shows partiality,
Brings round to all men
Some undimmed hours.

Matthew Arnold

---

(١) في غير ظلمة .

العظيم

والثقة بالنفس

لَيْسَتْ صُرُوفُ الرَّدى ... تَكْفي لِسَحْقِ العَظِيمْ
لكِنَّمَا يَأْسُهُ ... يُودِي بِهِ كالهَشِيمْ !
فانْ مَضَى دائماً ... في جُهْدِهِ لا يهابْ
فهوَ العظيمُ الذي ... تَعْنُو اليهِ الصِّعابْ
أمَّا اذا نالَهُ ... يأسٌ بما أمَّلا
فليْسَ يَبْقَى لهُ ... حتى خَيالُ العُلى
لا يَرْفَعُ المُعْتَلي ... الاَّ عُلَى نَفْسِهِ
فانْ هَوَى مِنْ عَلٍ ... فالمَوْتُ في يأسِهِ



حكم الغد

أُلحكْمُ في الغَدِ لِلْعقُولِ فانّها
أَوْلَى مِن « الأَصْوَاتِ » والأَمْوالِ

لِتُنظِّمَ الدُّنْيا بحكمةِ حاكمٍ لا بالهوى يَمْضِي ولا بخَيالِ

ما أجملَ الشُّورَى ، ولكنْ أهْلُها

أهْلُ الرَّجاحَةِ لا جُمُوعُ رجالِ

ليسوا بعَدٍّ بلْ بقيمتِهمْ هُدًى وبما لَهُمْ منْ نُبْلِ رأيٍ عالِ

فَفَخَارُنا الحالي له وجْهانِ من

رُشْدٍ ، ومِنْ عَجْزٍ وبَعْضِ ضَلالِ

والفَخْرُ كُلُّ الفَخْرِ في يَوْمٍ بهِ تَغْدُو العقولُ معاقِل الآمالِ

ما الحُكْمُ الأُ مِهْنَةُ الأفرادِ في عِلْمٍ وفي حِذْقٍ وصِدْقِ جَلالِ

النصر

هُو يَوْمُ تنفكُّ القُيُودُ ويغتدِي

أبْناءُ هذِي الأرْضِ مِلْءَ كَوا كبِ

مُتَغَلِّبِينَ على الفضَاءِ بقُوَّةٍ

لِلْعِلْمِ لم تُهْزَمْ بفَرْطِ مَصاعبِ

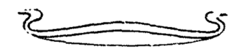
لا تعجبَنَّ إذَنْ كفرِّ جاهلٍ

مِنْ مُرْتَقَى أَدَبِي لهذا الواجبِ

لا رُوحَ في أدَبٍ يَعيشُ بغابرٍ
ويَتيهُ مَزْهُوًّا بحِسٍّ كاذِبِ
والعِلْمُ والأَدَبُ الصَّميمُ كِلاَهُما
مَعْنًى مِنَ الكَوْنِ العظيمِ الجاذِبِ!

شكوى الحياة

خَلِّ شكوى الحياةِ يا رجلُ	وخُذْ النَّفعَ من مصائبِهَا
ليسَ حَظُّ الحياةِ في رَغَدٍ	لا ولا البؤسُ في متاعبِهَا
انما العيْشُ كلُّهُ طَمَعٌ	في الأَماني وفي عواقبِهَا
كيفَ ترجو السُّرورَ في شَجنٍ؟	كيفَ تبكي على غياهِبِهَا؟
كُنْ بصيراً برُوحِ فلسفةٍ	نِعمةُ النفس في مَواهبِهَا
إنَّ دُنياكَ في مآتمِها	مِثْــلُ دنياك في ملاعبِهَا!
أكرمُ الحظِّ ما تحسُّ بهِ	كلُّ نفسٍ بحبٍّ واجِبِهَا!



حقى فى العلى

سَمَوْتُ بقدْري لا غُرُوراً ولا قِلًى
لغيري ، ولٰكنْ حَيْثُ شاءَ لهُ القَصْدُ (١)

وسيّانِ عندِي شهرَةٌ أوْ خُمولُها
فانَّ ذُيُوعَ الذِّكْرِ يَتْبعهُ النَقْدُ

ولَيْسَ الهناءُ المحضُ شمسَ سيادَةٍ
يُصاحبُها النُّورُ المُؤَرِّقُ والسُّهْدُ

ولٰكنّهُ في رَاحةٍ بعدَ رَاحةٍ
منَ الفكْرِ لا يُلْفَى لغايتها حَدُّ

ومَنْ كانَ مثْلي واهبَ النَّفسِ طَبْعُهُ
الى الفَنِّ لم يقبلْ تخلُّفَها (٢) مجْدُ !

ستَقْرعُ آذانَ الأَنامِ مَوَاعظي
وتمشي مسيرَ الشَّمْسِ ليْسَ لها رَدُّ !

---

(١) القصد : المرمى ، والقلى : البغض.
(٢) يعني تخلفها عن السمو.

هيَ العِلْمُ تحقيقاً ، هيَ الفنُّ بهجةً
تُصاحبُ عُمراً للحقيقةِ يمتدُّ !
فقلْ لحسُودٍ جازعٍ عندَ نَشْرِها :
رُوَيدَكَ ! ماجيْشُ الأثيرِ لهُ صَدُّ !
رويدكَ ! حقّي في العُلى حقُّ نَهْضَةٍ
وما كان زَعْماً يَنتحِي[1] سؤْلَهُ فَرْدُ
ستُبْصِرُ شِعْري زاحِفاً في كتائبٍ
يُحارِبُها مُلْكُ الضَّلالِ فينهَدُّ
وتُذْعنُ للفِكْرِ الذي في سبيلِهِ
أجُودُ بجُهْدٍ لن يُغالِبَهُ جُهْدُ
وتعلمُ أنّي سيدٌ في وَدَاعةٍ[2]
وأنَّ جناني لنْ يخادِعَه الحَمْدُ[3] !



(١) ينتحي : يقصد . والسؤل : الطلب .
(٢) الوداعة (مصدر ودع بضم الدال) : السكينة والوقار .
(٣) الحمد : الثناء عليه .

عيد الرَّبيع

(الربيعُ) لا القلمُ　　شاعرٌ لهُ الكلِمُ!
منْ نظيمهِ عَجَباً　　الرُّواة قد نظموا
وافتِنانٌ فتنَتِهِ　　للبدائعِ الحِكَمُ
خالقٌ بجدِّدُ ما　　قدْ أضاعَه الهرَمْ!
فالشتاء دَوْلتهُ　　وفلُولهُ انهزَموا!
والزُّهورُ في أملٍ　　كالقلوبِ تبتسمُ (١)
شَاملٌ لهــا فَرَحٌ　　خَافِقٌ لها عَلَمُ!
والعيونُ أمتعَها　　في عِيانِها الحلُمُ
والرَّبيعُ سيِّدُها　　يستثيرُهُ الكَرَمُ
تشتَهى موائِدُهُ　　وهيَ حوْلَنا عَمَمُ
في احمرارِ بُرْدَتِهِ　　ثائرٌ ومُضْطَرِمُ!
في اصفرارِ وَجنتهِ　　عاشِقٌ ومُتَّهَمُ!
في بياضِ فِضَّتِهِ　　طاهرٌ ومُحْتَشِمُ!
في سَنى تألُّقِهِ　　السَّلامُ والسَّلَمُ (٢)

---

(١) الفلول : الجيوش المنهزمة . والزهور : البراعيم بعد تفتحها أو نور النبات ، الواحدة زهرة بتسكين الهاء وفتحها .　　(٢) السلم : شجر .

والحِسَانُ في ضَحِكٍ لا يفوتهُ النَّغَمُ !
مِنْ بديع جَوْهرِهِ لجوَاهرٍ قِيَمُ !
فالعقولُ ناهبــةٌ واللحاظَ تغتنمُ !
والهمومُ ذائِبَةٌ والعذابُ والنَّدَمُ
في صفوفِ رَوْضَتِهِ طائعٌ ومُنْتَظِمُ !
كم تُجلُّ سُندسَها في تحذرٍ قَدَمُ !
كم يرفُّ من طَربٍ في هَوَى الجمالِ فمُ
والطيورُ شادِيَةٌ للأنامِ لو عَلِمُوا !
دَافقٌ لهــا غَزَلٌ لا يشُوبُهُ أَلَمُ
تَحْسَبُ الوُجُودَ لها وكأنّنا الخَدَمُ !
وتَغارُ إنْ جُمِعَتْ باقةٌ فتحتدمُ !
نَنتحي ونَسْمَعُهَا في ذُهُوٍ لنا نَجِمُ (١)
في الوثوبِ خِفَّتُهَا بالغصونِ تصطدمُ
سَبْحُها بلا حذرٍ في الفضاءِ تنسجمُ (٢)
صَفْوُها الألذُّ هَوًى غيرُهُ هوَ العَدَمُ !
أوكذاكَ خاطِرَتي حينَ شفَّهُ السَّقَمُ

---

(١) نمسك من الكلام . (٢) يقال لغة : ينسجم الماء بمعنى يسيل .

في ادِّكارٍ فاتِنَتي فاحتجابُها ظُلَمُ
بينما الوُجودُ غدا للحبورِ يقتَسِمُ
والنَّسيمُ مرتقبٌ زاجرٌ اذا اختصَموا
حاملٌ لهمْ قُبَلاً لا ينالهُ السَّأمُ
يَنشُرُ الغرَامَ كما تَنشرُ المُنى دِيَمُ !
طَبْعُهُ الرَّقيقُ هوًى بالحنينِ يلتثِمُ
يطرُقُ الصُّدُورَ رِضًى كم لغيرِهِ حرمُ !
جالياً لها صَدَأً فتفوتُها النقَمُ
نَحلُهُ مَراقِصُها في سُرُورِها نَهَمُ
في النَّشيدِ أعرفُها ما عَلَيَّ ينكتِمُ
والفَراشُ لاعبةٌ وكأنَّها نَسَمُ !
فاقتبسْتُ نِعمَتَها كم لطائرٍ نِعَمُ !
والخَيالُ يُسعفني والعِيانُ والشِّيَمُ(١)
والطَّبيعةُ ائتلفَتْ لجلالِها القِسَمُ !
عيدُها أقابلُهُ كالحبيبِ يبتَسِمُ

---

(١) الشيم : الطباع ، يعني طباع الشاعر .

عِيدُها لِنعْمَتِهِ تَحْمَدُ المُنى أُمَمُ (١)
أُنْسُها مَظاهِرُهُ بالجَمالِ تَتَّسِمُ (٢)

عيد العمال

اول مايو

اخترتمو عِيدَ (الرَّبيع) العِيدَا
ولَبِستُمو زَهْرَ الفخارِ نَضِيدَا !
وهَزَأتمو « بالأَمْسِ » وَهوَ مسخَّرٌ
لجهودِكم ومقيَّدٌ تقييدَا
اليوْمَ قدرُ النَّاسِ قدرُ كفايةٍ
واليوْمَ لن يطأَ الزَّمانُ عبيدَا
أنتمْ بنو الشَّرَفِ العظيمِ بنفعكمْ
للنَّاسِ تبنونَ الوجودَ جديدَا !

(١) يعني بكلمة « امم » طوائف الاحياء المختلفة المتنعمة بعيد الربيع من انسان وحيوان ونبات .
(٢) تجعل لنفسها سمة (أو علامة) تعرف بها .

لا تعرفونَ لغيرِ عِلْمٍ سيِّدٍ
ولغيرِ أحكامِ النِّظامِ عهُودَا !
التُّرْبُ : أنتمْ مَنْ بَعثتُمْ تِبْرَهُ
يختالُ ما بيْنَ الوَرَى معبودَا !
والأَرْضُ : أنتمْ مَنْ نَشَرْتُمْ فَحْمَهَا
فأنارَ بلْ أحيا البلادَ السُّودَا[1] !

والحقلُ : أنتمْ مَنْ خلقتمْ نَبتَهُ — فأغاثَ مَحْرُوماً وردَّ شَهيدَا
والبَحْرُ : أنتمْ مَنْ قهرْتُمْ بأسَهُ — ولكمْ تمرَّدَ عاتياً وعنيدَا
والجوُّ : أنتمْ مَنْ فتحتمْ مُلْكَهُ — فغدَا مجالاً للحياةِ مديدَا !

دُوَلُ الصناعةِ والزِّراعةِ والحِجا
عرفتْ بكمْ للمعجزَاتِ شهُودَا !

كنتمْ مؤَخَّرَها فكنتمْ دونَها — عند المطارِ ، وفي الثباتِ عمودَا
ميزانُ عزَّتِها تجاهَ عواصِفٍ — وقوامُها المُبْقي الجلالَ مَشيدَا
إنْ تحفلوا بجلالكم بتواضعٍ — فالمجْدُ يُعلنُ فخرَكم تعييدَا !
أنتمْ لديهِ النّاصِرُونَ بدأبكم — والمانِحُوهُ مِن الوَفاءِ جنُودَا

---

(١) البلاد السود : يشير الناظم – هذا المعنى الشعري المفهوم – الى بلاد الفحم ، وتسمى في انجلترا بالبلاد السود .

والتَّاخِذُونَ من الاخاءِ شعارَكم ومن الامانةِ والنَّشاطِ عقُودَا

كم تسبقونَ الشَّمْسَ (١) في اسعادكم
للناس سعياً مُجْدِياً وجهودَا

ومن العجائبِ أنْ تمضَّ أجُورُكم
مَنْ تبْدِعونَ لَهُ البدائع جُودَا !

كلُّ المآثرِ حظُّها في عيدكم حقٌّ يزيدُ على المدى توكيدَا

لا بدعَ إنْ رقصَ الجمالُ مغرّداً واختارَ من نَغَمِ الحياةِ نشيدَا

في حفلةِ التعييدِ أبهجُ أنسها أنْ يكسِرَ الشَّهْمُ الفقيرُ قيودَا

ويذوقَ مِنْ راوي الهناءِ مُكرّراً
نُخَباً ، ويلتمسَ الإخاءَ سعُودَا



(١) اشارة الى تبكيرهم للعمل .

شعر الرقص

ابيات ارتجالية

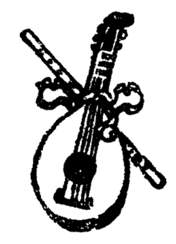
تهتزُّ في إبداعِها هزَّ الزُّهُورِ على الغصونْ
فالزَّهْرُ شارَةُ كُمّها والزهرُ في الصَّدْرِ الحَنُونْ!
فكأنما بَسَماتُها ضَحِكُ الأَشِعَّةِ للعُيونْ
«ويُشِمُّها» الغَزِلُ الرّفيـق (١) كأنها عَبَقُ الفنونْ!
في كلِّ ميلةِ خَصرِها للجانبين مُنَى الحنينْ!
ما بيْنَ رِفْقِ دُعابَةٍ وتدلُّلٍ مغْرٍ ضنينْ
وكأنما حرَكاتُها مجموعُ أحلامٍ تبينْ
فيّاضة بالحبِّ والـ تَشْويقِ والأُنْسِ الأمينْ
هذا هوَ السّحرُ الحلا لُ وطبُّ أشجانِ الحزينْ!



(١) الرفيق : الراقص معها وكانت حفلة الرقص في عيد (شم النسيم)

يا كون!

يا كَوْنُ! أنتَ مِثَالي	وفي حَيَاتي حَياتُكْ
ألسْتَ مِرْآةَ نَفْسي	وانّني مِرْآتُكْ
ومِنْ جَمالِكَ رُوحي	ومِلْءَ رُوحي صِفاتُكْ
وفي نُزُوعي وحُبِّي	ما عَبَّرَتْ لمحاتُكْ
أراكَ سِرًّا جميلاً	تَبُثُّهُ آياتُكْ!
أراكَ حُسْناً نبيلاً	تَزُفُّهُ أوْقاتُكْ
أراكَ حُبًّا جليلاً	والحُبُّ كالحسْنِ ذاتُكْ
وفي خُفُوقِ فؤادِي	ووَجْدِهِ آهاتُكْ
وفي حَنيني وَدَمْعي	ما مَثَّلَتْ عَبَرَاتُكْ
فأنْتَ كلي وبعْضي	وفي حياتي حَياتُكْ!



كهرباء الحياة

(١)

بعث الأديب عبد الله افندي بكري الى صاحب الديوان بهذه الابيات في عيد (شم النسيم):

إنَّ (شمَّ النسيم) في المعمل البكـ
ـتِرْيلُوجيِّ ياصديقي العزيزُ
في هُدوءٍ وراحةٍ تفحصُ الميكـ
ـرُوبَ بالمجهر الذى كم يميزُ (١)
فأنا عاملُ التلّغرَافِ يُضنيـ
ـنِي مِنَ الكهرباءِ (٢) دَوْماً أزيزُ
فمتى أيُّها الصَّديقُ سنغدُو
في غِنًى عنْ وَظيفةٍ ونفوزُ !؟



(١) يميز : من ماز الشيء بمعنى فرزه عن غيره أو استعرفه .
(٢) الكهرباء والكهربا صمغ شجرة اذا حك نشأت به قوة مغنطيسية ، وهذه الجاذبية هي ما يسميه علماء الطبيعة بالكهربائية أو الكهربية وأحيانا بالكهرباء من قبيل تسمية الشيء بمنشئه .

(٢)

فرد عليه شاعرنا بهذه الابيات :

يا صديقي العزيز أسعدك اللّٰـ ـهُ بشمِّ النسيمِ فهو المجيزُ
رُبَّ حَبْسٍ يُعَدُّ حظًّا سنيًّا يعرفُ الحبسَ قبلَنا الابريزُ !
كنْ صبوراً ! كذا الحياةُ احتجابٌ
وانطلاقٌ ، وكم سجينٍ يفوزُ !
يُسْجَنُ الجِسْمُ بينما الفِكْرُ جَوَّا
لٌ لَهُ في الوُجُودِ مُلْكٌ عزيزُ !
إنما العيشُ كلُّهُ كهرباءٌ (١) ومثالُ الحياةِ ذاكَ الأزيزُ !
أنتَ في سَمعِهِ وفي الردِّ كالحا لِقِ رُوحاً لقدرِها التعزيزُ !



(١) يقول العلم الحديث بان الحياة على تباين صورها أنواع من الكهرباء حتى انتقال الافكار فهو في رأي العالمين الباحثين الدكتور كازامالي والاستاذ لازاروف ناشيء عن أشعة كهربائية مغنطيسية .

رفعة الأوطان

نظمها صاحب الديوان لمناسبة الانتخاب الثالث لمجلس النواب المصري تزكية لصديقه العالم الكبير والطبيب الشهير الاستاذ الدكتور نجيب اسكندر

دَعتْكَ دواعي المجدِ قبلَ (نيابة)
ومِثْلُكَ للعَلْيـاءِ خيرُ مُجيبِ
اذا قَدَرَ النَّاسُ الرجالَ فانمـا
بِناء العُلَى تقديرُ كُلِّ نجيبِ
وما رِفْعَةُ الأوْطانِ الاّ رجالها بعلمٍ عليمٍ أوْ بطبٍّ طبيبِ
ومثلُكَ فَذٌّ في الرجالِ بنُبلِهِ وخُلْقُكَ معشوقٌ لكلِّ أريبِ
وقدْرُكَ أسمى منْ سؤالٍ ومَبْحَثٍ فعمرُكَ اصلاحٌ وروضةُ طِيبِ
ويُخجِلُ حُبِّي أنْ أكونَ مزكِّياً
عظيماً لهُ في الرَّأي كُلُّ مُصيبِ
فكيفَ اذا قالوا أمامَكَ مُدَّعٍ ؟!
ولٰكننا في عصْرِ كلِّ عجيبِ !
فنسمعُ مايُشجي نقيقَ ضَفادعٍ يُعدُّ نبوغاً أوْ فخارَ خطيبِ !
حلفتُ (بمصْر) لنْ ينالَ وفاءَها
دَعِيٌّ، ولنْ تنسى وفاءَ (نجيبِ)!

المثال مختار

والنهضةُ الفنّية

فِدًى لِفَنِّكَ ألحانٌ وأوزانُ ... فانَّ فنَّكَ بالالهامِ يزْدَانُ

يا ناحِتَ السِّرِّ في تمثالِ (كاتمة

السر) [1] نحتُكَ للتاريخِ برْهانُ

وسَمْتُها بالأحاجي وَسْمَ كاهنةٍ ... وللتَّماثيلِ أسْرَارٌ وكُهّانُ!

يَرَى الرَّقيبُ بمرآها روايتَها ... عن الفخارِ الذي ما فيهِ بُهتانُ

تَبوحُ آناً وآناً لا تَبُوحُ بهِ ... والعقلُ بينهُما حيْرانُ لهفانُ!

وتلتقي حوْلها أنباءُ ما كتمتْ ... تلكَ القرونُ وما أخفتهُ أزْمانُ

كأنَّ (بلهوبَ) [2] مشغولٌ يُحدِّثُها

والصمْتُ بينهما فَهْمٌ وتِبْيانُ!

---

(١) يمثل هذا التمثال كاهنة مصرية جالسة فوق أحد نجود طيبة على مقربة من مدافن الفراعنة كأنها تحرس أسرارهم وأجسادهم، وقد عرض بباريز في رزيم سنة ١٩٢٦م.

(٢) بلهوب : أبو الهول — Sphinx . وقد أبدع الاستاذ مختار هذا التمثال مناظراً لتمثال (أبي الهول) في بعض الصفات.

وأرْضَ (طيبةَ) قد حَنَّتْ لنظرتِها
كما تناجَتْ مقاصيرٌ وتيجانُ !
يُرْوَى الشّبابُ بما تُوحيهِ صُورتُها
انَّ الشَّبابَ بذِكرَى المجْدِ ريّانُ
وأبلغُ الحِسِّ في تقديرِ مَفْخَرَةٍ حِسٌّ يُردِّده للدَّهرِ شُبّانُ

وكنتَ بالأَمسِ مثَالاً (لنهضتنا)[1]
واليومَ أنْتَ بذِكرى المجْدِ فتّانُ
فما عُنيتَ (بأسرارٍ) تمثّلها
الاّ وأنتَ (بلقيا)[2] الكنزِ فنّانُ
خلقتَها صُورَةً للحُسْنِ مُعْجِزَةً شعارُها الحيُّ إبداعٌ وإتقانُ
كأنَّها غادَةُ الفِرْدَوْسِ ضاحكةً
وجسْمُها الحرُّ وَضّاءٌ وعُرْيانُ !

(١) يشير الى تمثال (نهضة مصر) للمثال مختار أيضاً .
(٢) هذا تمثال آخر للاستاذ مختار عرضه في باريز في ربيع سنة ١٩٢٦ وهو يمثل فتاة مصرية قروية عريانة وقد تهللت بشراً لعثورها على آثار مصرية قديمة .

يُذاقُ بالعينِ حُلْوٌ مِنْ رَشاقتِها

و (**النيلُ**) يُلمَحُ فيها وَهُوجذْلانُ !

كأنَّما هوَ قدْ أوْحى ملامِحَها أوْأنَّما هيَ للابداعِ أفنانُ ! [1]

وفي يديها حُلى الآثارِ قدْ بَسَمَتْ

لِبِشْرِها ، وشُعاعُ الشَّمْسِ نشوانُ !

وعصَّبتْ رأسها في تيهِ فاخِرَةٍ فالرأسُ مملكةٌ والتّدُ بُستانُ !

كلتاهما [2] صُورَةُ الاحسانِ في زَمنٍ

يَقِلُّ فيهِ مَعَ العرْفانِ إحْسانُ

فلا أقلَّ لشِعْري من تحيّتِهِ

فدونَ فضلِكَ إكبارٌ وشُكرانُ

وللنّبوغِ اذا نادَى اجابتهُ فبالنّبوغِ تنالُ المجدَ أوْطانُ

ويا شبابَ بني (**مصر**) ونضرَتِها

أنتمْ لنهْضتِها رُوحٌ وريحانُ

لا تغفلوا مَنْ حَبَوْا إكليلَ عزّتِها

بالفنِّ ، فاعتزّتْ الدُّنيا وقدْ هانُوا

---

(١) أفنان : بمعنى فنون .

(٢) يعني صورتي التمثالين : تمثال الكاهن ، وتمثال القروية .

لكم جمالٌ تذرَّى ذِروةً حكمتْ [(١)]
على العُقولِ ، وذِكرٌ عنهُ فينانُ
مَضَتْ شعوبٌ وما أبقتْ سوى أثرٍ
بَينا مفاخِرُكم نورٌ وأذهانُ !
الصخرُ يلمعُ مَزهُوًّا بسيرَتِهِ وتارَةً هوَ نزّاعٌ وهَيمانُ !
تنوَّعتْ واستَعزَّتْ في تنوُّعِها
كذاكَ تعتز بالجيرانِ جيرانُ [(٢)]
فلا (**الجوامع**) ما عافتْ (**هيا كلها**) [(٣)]
ولا جفَتْ وَحدَةَ التّبجيل أدْيانُ
كأنمــا في سبيل الفنِّ ما بقِيَتْ
وفي سبيلِ العُلَى ما شادَ مَنْ بانُوا
مِنْ كلِّ أروعَ مشبوبِ الذَّكاءِ [(٤)] بنَى
للخلْدِ بُنيانَ مجـدٍ فيهِ غُنيانُ

---

(١) تذري الذروة : علاها . والفينـان : لغة ـ الطويل الحسن الشعر ، والمقصود هنا الجيل البعيد الاثر .

(٢) تنوعت: اشارة الى المفاخر القديمة . وهيمان : ظمآن ـ اشارة لحنانه الى مبدعه .

(٣) اشارة الى مختلف الحضارات القديمة الباقية معالمها من مصرية قديمة ومسيحية واسلامية . (٤) مشبوب الذكاء : متوقد الذكاء . وبانوا بمعنى نأوا .

كأنما مِنْ رَحيقِ الخلدِ نشوتهُ
لمَّا بَنَى ، ولهُ الاعجازُ بُنيانُ !
كأنما نحتَهُ خَلْقٌ ، فلا حَجَرٌ
ذاكَ المثالُ ، ولا الأَوْثانُ أوْثانُ !
وإنما هيَ مِنْ (فرعون) طائفةٌ
كالمرْسلينَ لها وَعظٌ وإيمانُ !
صَمّاءُ ، لكنْ لها في صمتِها لغةٌ
جرداءُ ، لكنْ عليها الخِصْبُ[1] ضحيانُ !
وما انقِضاءُ الزَّفيفِ[2] العُمْرِ هدَّمها
وانما هدَّها وَجْدٌ وتحْنانُ !
وما يزالُ الشّبابُ الغَضُّ يرْمقُها
ويُستطابُ عليها منهُ رَيْعانُ ! [3]
ما (البرتنون) ولا (فينوسَ) [4] إنْ قُرِنا
بها لِقدْرٍ ، ولا الأَقمارُ أقرانُ !

(١) ضحيان . زاه
(٢) الزفيف . السريع . اشارة الى أن المفروض لها طول البقاء .
(٣) ريعان الشباب : أوله وأفضله .
(٤) البرتنون : من أجل المعابد اليونانية القديمة . وفينوس : تمثال الزهرة الهة الجمال .

زالتْ بدُولاتِها عَجلَى وما بقيَتْ

الاَّ رُسومٌ وأحلامٌ [١] وعنوانُ !

وفي دِيارِ بني (**الفسطاطِ**) مابرحتْ

مظاهرُ المُلْكِ مَوْفوراً لها الشّأنُ

وللجَمالِ بها وَحْيٌ ، لعِزَّتِهِ تضامَنَ اليومَ أحبارٌ ورُهْبانُ !

فما استَخصَّ أذانٌ عندَ دَعْوَتِهِ

ولا تفرَّدَ ناقوسٌ وَصُلْبانُ !

وانما كلّها للحُبِّ داعيةٌ

وللجَمالِ الذي ناجاهُ وجدانُ [٢]

فأ كملوا سيرَةَ الماضينَ في شَغَفٍ

فكم يُنضّي الجمالَ [٣] الفَخْمَ سلوانُ

---

(١) أحلام : أخيلة . يشير الى آثار الدول الاخرى .

(٢) اشارة الى أن الاذان وصوت الناقوس وان كانا بمثابة الدعوة للعبادة الدينية الخاصة فقد تضامنا أيضا واشتركا في تبجيل وحي الجمال الكثير المظاهر في ديار بني (الفسطاط) فكأن كل عبادة دينية مقترنة كذلك بهذا التقدير العام المشترك للجمال المصري العربي القديم .

(٣) ينضي : يجرد .

وأنصِفُوا نابغاً مِنْ جُهدِهِ مثلٌ
للأمسِ، وهوَ بداني الفَجْرِ إيذانُ[1]
فالشّعبُ في غفلةٍ عنْ فنّه كفتًى
كَزِّ اليدين[2] غريبٌ عنه احسانُ
كلاهما في ظلامٍ لا يحسُّ بهِ   لكنَّ عقباه إشقاءٌ وحرمانُ
إنّ الفنونَ غذاءٌ للنفوس، وكم   تَصحُّ بعدَ نفوس النَّاسِ أبدانُ
والنَّابهُ الفحلُ في شعبٍ يُضيّعهُ   مثلُ اللّواءِ بعيدٌ عنه شُجعانُ!
هذا[3] يُضَلَّلُ مخذولاً بِعشْوَتهِ[4]
وذاكَ[5] أهونُ ما يَرْجوهُ خِذْلانُ!

قال الصَّديقُ وقد أسمعتهُ أدبي:
«أحسنتَ، لكنْ كذاكَ الشّعرُ أسوانُ[6]

(١) داني الفجر: أي الفجر القريب الآتي - اشارة الى فجر نهضة جديدة. وايذان بمعنى اعلام. وقوله: «وهو» اشارة الى الجهد.
(٢) كز اليدين: بخيل. يقال لغة: كز كزازة وكزوزة بمعنى انقبض ويبس.
(٣) هذا: اشارة الى النابه.
(٤) عشوته: حيرته.
(٥) أي اللواء في جيش الجبناء. (٦) أسوان. واجد.

فهلْ عطفتَ بتقديرِ لِرُتْبَتِهِ
فالشِّعْرُ واللَّحْنُ والتَّصويرُ خِلّانُ ؟ »
فقلتُ : « واللهِ قد أعذرْتَ (١) منتقداً
فإنما نحْنُ في الحالَيْنِ إخوانُ
وكلنا رافعٌ فنًّا يَهَشُّ له
وكلُّها (٢) للجمالِ الصَّفوِ أفنانُ (٣)
وكلُّنا تابعٌ للْحُسْنِ يعبدُهُ   وكلُّنا في سبيلِ الْحسْنِ وَلْهانُ
فما يُعزُّ بهِ فَرْدٌ يُعزُّ زُنا   وإنْ يُعانِ رأيتَ الجمْعَ قد عانوا
فِدًى له كلُّ شِعْري ، وهو (٤) خيرُ فدًى
اذا دَعتْه لنصْرِ الشِّعْرِ أشْجانُ
لولا التّضامُنُ لم يَخْلُدْ لنا أَدَبٌ
ولا رجاءٌ ، ولا كُنّا ولا كانوا ! »



---

(١) أعذرت : رفعت اللوم والذنب عنه .
(٢) اشارة الى جمع الفنون التي يتحدث عنها . والصفو : بمعنى المحض .
(٣) جمع فنن : وهو الغصن المستقيم .
(٤) أي ذلك الفرد أو الفني الآخر .

حفلة الامس ...

بعث الأديب عبد الله افندي بكري بهذه الأبيات لصاحب الديوان
ذكرى لواقعة حال

(١)

هلْ أنتَ ذاكرُ حفلةِ الأَمْسِ   والرَّقصُ فيها لذَّ باللَّمْسِ !
كم غادةٍ باللَّيــلِ مُشْرِقةٍ   قامتْ مقامَ البدْرِ والشَّمْسِ !
تقضي على حيٍّ بنظْرَتِها   وكذاكَ تُحيي ساكِنَ الرَّمسِ !
أنظرْ (**أبا شادى**) تكسُّرَها   بتبسّمٍ يُفضي الى همْسِ !
ورفيقُها الوَلهانُ يحضُنُها   مترَفِّقاً بأصابعٍ خَمْسِ !

(٢)

فرد عليه شاعرنا بهذه الأبيات :

نجوايَ أنسُ لذاذةِ الأَمْسِ   يا حُسْنَ ما أسْدَاهُ لي أمسِي !
حيثُ الملاحةُ في تدَفُّقِها
تَرْوِي النفوسَ بأكؤس الشَّمسِ !

حيثُ العواطِفُ في تألُّقِهَا وسرَائرُ الوِجدانِ في همْسِ !
اللّمسُ بعضُ لُغاتِها ولها سِرٌّ تضنُّ بهِ على اللّمْسِ !
أنا مَنْ حَـيتُ بها وإنْ عَرَفَتْ رُوحي ـ بمسْرَحِ لَهْوِهَا ـ رَمْسِي !

الفردوس

أُلخلدُ آيةُ ما تَرَى والُحورُ حكمتْ لهنَّ مباسِمٌ ونُحُورُ !
أشْرَقْنَ في شَفَقِ الغرُوبِ فوَدَّعَتْ
شمسُ النهارِ ، فنورُهُنَّ النورُ !
وخطرْنَ في بيضِ القلانس بينما
بُسُطُ الجنانِ الباسِمَاتُ تمورُ ! (١)
وضَحكْنَ في نَغمٍ على نَغمٍ كما نثر التحيّةَ زَنْبقٌ منثورُ !
وكأَنما هُوَ من سُرُورٍ خالِصٍ أو للنفوس سلافةٌ وعُطورُ !
ووثبْنَ تيهاً في قيودٍ حرةٍ (٢) وَثْباً حكاهُ البُلْبُلُ المأسورُ !
خطراتُهن خواطرٌ منظومةٌ وملاحةٌ ورشاقةٌ وحبُورُ !

---

(١) تمور : تموج . (٢) يشير الى الاساور وغيرها من الحلي .

متكسّراتٍ في النضارةِ والصِّبا مثل الأشعَّةِ حسنُها مكسورُ !
وترى الزّهورَ تضمهنّ أناملٌ قَبلَ الغرامِ تَصونُهنّ ثغورُ !
وتكادُ تُفْتَحُ للجمالِ براعمٌ شغفاً ، وتَسْجدُ للجمالِ زُهورُ !
جُذِبتْ لهن نواظرٌ وعواطِفٌ وكذا الفراشُ حيالهنّ يدُورُ !
وتصعّدَ الماءُ القريرُ بنظرةٍ وكأنه أملُ الشبابِ يفورُ !
يَجْذبْنَ شطرَ هواهُ في فسقيَّةٍ مِمّا رَوَتْهُ مدامعٌ وسرُورُ !
فيرشهنّ كما تَرُشُّ أشعَّةً للكَهْرباءِ أضافها البلُّورُ !

واذا الحشائشُ لاثماتٌ عن مُنًى
أقدامَهنَّ ... وللنباتِ فَخورُ !

وترى عيونَ العاشقينَ مُقِرَّةً ما غيرهُنَّ بحِسِّها منظورُ !
وتكادُ تفهمُ للطُّيورِ تَغزُّلاً ومنَ الرَّوائعِ ما تقصُّ طيورُ !

وتَرَى صفُوفَ الوَرْدِ في استِحْيائِها
طَوْراً ، وحيناً في الدّماءِ تثورُ !

وجموعَ أزْهارٍ سطَعْنَ منَ الحُلَى وكأنّهُنَّ مَراشِفٌ وصدُورُ

ولرُبّمـا أسِفتْ غصُونٌ أثمرتْ
قَبْلاً ، فعوّضَ حلْوَها الشحْرُورُ !

إنَّ الفوَاكِهَ للمَذاقِ شهيَّةً مِثْلُ الغِناءِ اذا اشتَهاهُ شعُورُ !

وأتى أوانُ الشّاي اذْ مُدّتْ لهُ   نُخَبُ المَوائِدِ بِرُّها مشكورُ!
فاذا بحظي أنْ أجاوِرَ دَوْلةً   للحُسْنِ يعبدُ سحرَها المسحورُ!
عرَضَتْ عليَّ من الطعام ألذّهُ
وألذ ُّما أهدي هوًى موفورُ!
فلبثتُ بيْن مُدامةٍ ودَعابةٍ   وأنا شجيٌّ تارةً وصبورُ
حتى حَبَتْني-اذْغوَتْ-تفّاحةً   وبها الجمالُ على الهوَى مزرورُ!
فأخذتُها واذا بحُلمي زائلٌ   بعدَ المذاق ومطمحي مبتورُ!
وصحَوْتُ مِنْ عيْشِ الْخلودِ كأَنني
ميتٌ، وفي حُلمِ الغرامِ نُشُورُ!
فبكيتُ في دَمْعِ اليرَاعِ عواطفي   وجرَتْ بتِذْكارِ الْخلودِ سطورُ
بسامةٌ بمدَامِعٍ في نعمةٍ   يكْتَنُّ فيها المَدْمَعُ المَصْدُورُ!

وكذلكَ الفردَوْسُ في أحلامِنا   وهمٌ،وغايةُ ماحتوَاهُ غرُورُ!



الألم

كم شِمْتُ في الألمِ العَصيِّ صَديقَا
وشكَرْتهُ بَعدَ الفِراقِ رفيقَا!

وعرفْتُ مِنْهُ حقائِقاً أغفلْتُهَا فغدَا بتقْدِيري الجميلَ خليقَا!

في الضُّرِّ يعرفُني، وكنتُ إخالُهُ
يجني عليَّ، فهلْ أكونُ مُطيقَا[1]...؟!

حتى اكتسبْتُ مِنَ السَّقامِ رجاحتي
فرَأيتهُ بفمِ الثناءِ حقيقَا

نعمَ المهذِّبُ للفُهُومِ يَدُلُها والكاشِفُ الدَّاءَ الدَّفِينَ عَميقَا

نعمَ المرَوِّضُ للجسُومِ وقدْ نحَتْ نحْوَ المفاسِدِ اذْ حُسِبْنَ رحيقَا

وأرى المشاعِرَ قد تخذْنَ لِسانَهُ للعقْلِ سُؤلاً للنّجاةِ وَثيقَا

والعقلُ يُدْرِكُ فضلَهُ في أزْمةٍ
جعلتهُ في الخطَرِ الجسيمِ مفيقَا!

وكذا الطَّبيبُ يَخُصُّهُ بثنائِه قبلَ الدَّواءِ كما يخصُّ شَفيقَا!

وكأنمــا هوَ منقِذُ العاني كما ينْجي التَّوسُّلُ للشُّجاعِ غريقا!

(١) أي مطيقاً صحبته .

لم يُنصفْ الألمَ الوفيَّ معانِدٌ ... ومجازفٌ كم جانبَ التَّوْفيقَا
وكذا يُسيء لنفْسِهِ بعِنادِهِ ... ويظلُّ في وادِي الضَّلالِ طليقَا
إنَّ الحكيمَ هوَ المحقِّقُ والذي ... عَدَّ الخصيمَ اذا أفادَ صديقَا

الكلب التائه

هَجرُوكَ في سَفرٍ وأنْتَ الوافي ... يا أصدقَ الخلاّنِ والأُلاّفِ

واستكثرُوا المالَ القليــلَ لنقْلَةٍ

ولكم بذلْتَ الرُّوحَ بذلَ مُوافِ

فتُرِكتَ تبحثُ في المسالكِ تائِهاً

وتُسائلُ الأثرَ القديمَ الخافي

وحُرِمْتَ حتى منْ غذاءٍ صالحٍ ... ومُنِعْتَ حتى مِنْ وِقاءٍ دافِ

فرثتْ لكَ الطُرُقاتُ وهيَ حجارةٌ

ورثى لنكبتِكَ الزَّمانُ الجافي

بينا الذينَ حرسْتَهُمْ وودِدتَهم ... خذلوكَ في حِرْصٍ وفي اسْرَافِ

وتشدّقوا بعواطفٍ بوداعهمْ
للنّاس ، واعتبروا من « الاشرافِ»[1]

الاّ الوفاء فقدْ أبى توديعَهم   فهم الجناةُ عليه بالاتلافِ
الاّ الفضيلةُ يا معُزَّ جلالها   عرفتكَ خادِمَها بغير خلافِ
ياما أحَطَّ الآدميَّ بغدرِهِ   وأجلَّ كلباً بالمروءَةِ وافِ!

هـذا هوَ الإنْسانُ الاّ في اسمِهِ
في أكرَمِ الأَخلاقِ والأوْصافِ
يَجزيكَ بالبرِّ الصّحيحِ ولو قَضَى
فيهِ الضحيّةَ للإِخاءِ الكافي
وأخوكَ في « الجنس المبجَّل »[2] طالما
آذاكَ أو أقصاكَ عن انصافِ !



(١) الاعيان . (٢) الجنس الانساني .

الاحسان

والانسانية المقبلة

مِنْ لَذَّةِ الرُّوحِ إِسْعادٌ واحسانُ
فلنْ يُطيقَ شَقَاءَ النَّفسِ انْسانُ
وهذِهِ دَولةُ الدّنيا بأجمعها سمحاء (١) ليْسَ لها ظُلْمٌ وحرْمانُ
لم ينشُرْ البؤسَ في أكنافِها جَذِلاً
الاَّ خِصَامٌ وافْسادٌ وبُهْتانُ
ولو أُتيحَ لأَهلِ العِلْمِ أن يَضَعوا
لها النّظامَ لمـا هُنَّا ولا هانُوا
« السّائِسونَ » لهـا أدواء نقمتِها
وللمدافِعِ ميزانٌ وأوْزانُ !
وما الحُقوقُ لهـا تقديسُ حُرْمَتِها
فكيْفَ يبلغُ بعضَ الذِّكرِ احسانُ ؟!
نُورٌ ضئيلٌ على الظُّلماتِ منبعِثٌ
لكنْ عليْهِ لها حُكمٌ وسلطانُ !

---

(١) سمحة .

والفكرُ نَهبٌ لهــا ، لا يستقرُّ لَهُ
قَدْرٌ ، وإنْ عَزَّهُ عِلْمٌ وإيمانُ

وقالَ مَنْ يَدَّعي فَهْماً وفلسفةً :

« المرء للمرء إنْشاءٌ وبُنيانُ . . . »
ومِثْلهُ مُنْكِرٌ عرفانَ واجبهِ   اذا قضى لحقوقِ الغيْرِ عرفانُ !
فقلتُ : « إيْ وجلالِ الحقِّ لوْ صدقتْ
مبادِئُهُ العِلْمِ إنَّ العِلمَ دِعْوانُ !
لا في مجالٍ بهِ للسَّطْوِ مَنْزِلَةٌ   ولا بعصرٍ به للحَرْبِ أعوانُ
لكنْ بعصرٍ تُرَى للفكرِ دَوْلتُهُ
ويرفعُ الفكرَ للعَلْيَاءِ وِجْدَانُ
فيعملُ النَّاسُ اخواناً لوحْدَتِهمْ (١)
ويَستعيدُ حيــاةَ البرِّ إنسانُ »



(١) يعني الوحدة الانسانية .

الجاذبية والجمال

سَاءلتُ عنكِ(١) وإنْ أجابَ فؤادي
فبدَا العتابُ من الجمالِ البادِي !
أنتِ الرَّسولُ لما يشاءُ جلالُهُ(٢)
أنتِ الضَّمينةُ طاعتي وسُهادِي !
أوْ طُولَ نَوْمي في هُدُوءٍ شامِلٍ
وصفاءَ أنفاسي وحُلْمَ جِهادِي
يا قُوَّةَ الجذْبِ التي تبقى بِهَا
مُثُلُ الحياةِ ، وكم ترَى بجمادِ
أستغفرُ العرْفانَ ! ليْسَ بدافعي
احسانُكِ الحادِي الى إلحادِي
أنتِ التي لولاكِ ما عرَفَ الورى
حُسْناً ، ولا فهموا رَجاءَ مَبادِي
ولكِ الجدَا للكَوْنِ سَمْحاً ، بينما
قدْ عُدَّ في « الأمجادِ » ألأمَ جادِ !

---

(١) الخطاب موجه الى الجاذبية . (٢) الضمير عائد الى الجمال .

ومسائلين عن (**الجمال**) وسره

قلتُ الجمالُ تناسقُ الإيجادِ

نُظُمُ الحياةِ ، فكلُّ شيءٍ فاتنٍ

فيهِ نظامٌ للحياةِ يُنادي

انَّ الوُجودَ (وكلَّ ما تلقى) بهِ

صُوَرُ الحياةِ ـ وانْ خفينَ ـ بَوادي

فاذا تجلَّتْ في التناسُبِ حِلْيةً

عُدَّتْ جَمالاً أوْ جلالَ مُرادِ !

شأنُ الحياةِ تجاذُبٌ وتعارُفٌ

ومِنَ النفوسِ الى النفوسِ صَوادي

فيرفّ للحسناءِ قلبُكَ عاشِقاً

فجمالُها حيٌّ بكلِّ فؤادِ !

وترى البساتينَ الحِسانَ كأنَّها

دُوَلٌ منَ الأزْهارِ والأعْوادِ !

ويشوقكَ الوادِي الغنيُّ بروْعةٍ

مِنْ شامخاتِ رُبًى ولُطفِ وهادِ !

ويهزّكَ الجبَلُ العَتيُّ بنظْرَةٍ ... فيهِ لِمَكْنُونِ الحياةِ عوادي!
وتُراقبُ الشلّالَ في ثَوَرَانِهِ ... متحكّماً بمشاعرِ العُبَّادِ!
وتهشُّ للنجمِ السَّنيِّ فنورُهُ ... ذرّاتُ أمواجٍ اليكَ غَوادي!
وتُسَرُّ بالسفْرِ السَّريِّ بذُخْرِهِ ... مِنْ فكْرةٍ وضَّاءةٍ بمدادِ!
وتذوبُ في أثَرِ الغناءِ متيَّماً ... وتحِنُّ للرَّقْصِ الشَّهيِّ الشَّادي
ولألفِ مَعْنًى للحياةِ مُجَمَّلٍ ... بتناسُبٍ وتجاذُبٍ وسَدَادِ
وجميعُها صُوَرُ الجمالِ لأنها ... صُوَرُ الحياةِ على نِظامٍ ودَادِ!



الشاعر المجنون

دَعَوْهُ شَقِيَّ الفكرِ لكنّهُمْ عَمُوا
فما الشَّاعِرُ المجنُونُ الاَّ المُنَعَّمُ!

يرَى الكونَ بالرُّوحِ التي مِنْ صميمها
تألَّفَ هذا الكَوْنُ والفِكْرُ والدَّمُ

ويارُبَّما أُوحِيَ اليهِ بأنَّهُ
رَأى الكَوْنَ من بدءِ الخليقةِ يُنْظَمُ!

وشاهَدَ أطوارَ الحياةِ جميعَها
فمنها الهُدَى الصَّافي ، ومنها المحرَّمُ

فما ذنبُهُ إن يكشفْ السِّتْرَ باحِثاً
ويرسمْ لنا الشَّرَّ الذي هوَ أعظَمُ

وما عيبُهُ إنْ يعترِفْ عنْ حقيقةٍ
فنفسيَّةُ الانسانِ تَقْسُو وتَرْحَمُ

وفيهِ على الاجمالِ خيْرٌ ونِقمةٌ
ومنهُ على الاجمالِ غُرْمٌ ومَغْنَمُ

ذَرُوهُ يَقُلْ شتَّى النَّشيدِ وإنْ يكنْ
بأفراحِهِ حُزْنٌ خفيٌّ ومأتمُ
فكم يُبْصَرُ الضدّانِ في العيشِ مثلما
تآلفَ طيرُ الغاب : شادٍ وأبكمُ!
وخلوا الذي لا تشتهُونَ ، فعندكم
شَهِيٌّ مِنَ الشِّعْرِ الذي هوَ أفخَمُ
فقد يُمْنَحُ الإحسانُ من كفٍّ مملقٍ
وَينظمُ تيجانَ الجلالةِ معْدِمُ
وينشرُ آيَ الحِكْمَةِ الأَبلهُ الذي
يُترجم عن سِرِّ الوجودِ ويحكم
كأنَّ له بين الكواكبِ جولةً
وليسَ لهُ غيرَ الأَثيرِ معلِّمُ!
فلا تبخسُوهُ الحقَّ ، انَّ شعاعهُ
قويٌّ وكم بيْنَ الأَشِعَّةِ مُظْلِمُ (١)!



---

(١) اشارة الى بعض امواج الضياء التي لا ترى بالعين ، وهي رغم ذلك عظيمة الاثر في الحياة .

حروب الشتاء

هجمَ الشتاءُ مُرَوِّعاً بحُروبِهِ ... وكأنما أنسى طويلَ ذُنُوبِهِ
في كلِّ عامٍ غَزْوَةٌ لجيوشِهِ ... ولكلِّ جيْشٍ فجأةٌ بوُثُوبِهِ
وكأنما ثاراتُهُ لا تنقضي
بينا هوَ الجاني بثورَةِ حُوبِهِ[1] !
وتراهُ يعلنُ ساخِطاً بشراسَةٍ ... للأرضِ أنَّ المُلْكَ مِن مَطْلوبِهِ !
فلكمْ قرُونٍ بالجليـدِ أحاطَها
ولكم بكتْ وعَنَتْ لمحْضِ قطُوبِهِ !
حتى اذا أتتْ الحرارَةُ قُوَّةً ... تأبى السَّلامَ وطالبتْ بذُهُوبِهِ
بدأَ النِّزاعُ فما يزالُ مطارداً ... طُولَ السِّنين جيوشَها بهبُوبِهِ
وهيَ الرَّبيعُ يليهِ صَيْفٌ مُحْرِقٌ
ثُمَّ الخريفُ بخَوْفِهِ وشُحُوبِهِ
بَيْنا الشتاءُ ولا حليفَ يُعزُّهُ ... أبداً يتابعُها بكلِّ خطوبِهِ
البرْقُ والرَّعدُ المهولُ كلاهُما ... مِنْ بعضِ حيلتِهِ وبأسِ حرُوبِهِ

---

(١) الحوب : الاثم .

وكذا الأتيُّ السَّيْلُ بيْنَ عواصِفٍ

تَذْرو النَّباتَ على عَتيٍّ صُبوبِهِ (١)

وسَوَاقِطُ الثَّلْجِ التي تهوي كما

يَهْوي المُصَابُ مُدَجَّجاً بغيوبِهِ ! (٢)

والشَّمسُ لا تقوى بكلِّ سهامها

في يوم شدَّتِهِ برَغْمِ نُدُوبِهِ (٣) !

وَتظلُّ معركةُ البقاء تناوُباً   ما دَامَ غلَّابٌ على مغلوبِهِ !

حتَّى اذا تَعِبَ الشّتاء وقدْ مَضَى

حلَّ الرَّبيعُ هَوًى الى مَحْبُوبِهِ !

اليقين

ذُخرانِ للنَّاسِ في الدّنيا اذا انعدَمَا

ماتَ الرَّجاء ورَاحَ الفِكْرُ منهدِمَا

هما (اليقينُ) الذي يغذو سَرائرَنا

و (صونٌ) عذْبةٌ كم أسبغتْ نِعمَا

(١) الصبوب : الانحدار .   (٢) المصاب : المكروه . وغيوبه : أسراره

(٣) الندوب : الجروح .

هما الغِنى ليسَ مَرُّ العُمْرِ ينْقِصهُ
وكم يُخلِّفُ مَعْدُودُ الغِنى العدَمَا !
والخَلْقُ في جهلهمْ أوْ في سعادَتِهمْ
لا يَشكُرُونَهُمَا حتى ولا كَرَمَا
ما أكفرَ المرءَ في ابّانِ قُوَّتِهِ
وأكثرَ البثَّ والإيمانَ إنْ هرِمَا !

ومَجْمَعٍ مِنْ رِجَالِ الفَضْلِ قَدْ أَخَذُوا
يُسائلونَ عن « الاكسيرِ » مُتَّهَمَا
هذا يُحاولُ أنْ يُؤْذِي كَرامتَهُ
وذاكَ بالسَّخْرِ قدْ أذكى بهِ الألَمَا
فقلتُ : « يا قومُ !... انّي مَنْ يعضّدهُ
وما أشكُّ ، ومَنْ يُفْضِي بما عَلِمَا
فصدِّقُوني اذا قرّرْتُ عَنْ ثِقَةٍ
وُجودَهُ شائِعاً يستدْفِعُ الأَمَمَا
هوَ (**اليقينُ**) الذي لولاهُ ما طلَعَتْ
شمسٌ ، ولا قتلتْ مِن نورِها الظُلَمَا

السَّاحِرُ القادِرُ المُحْيِي المَواتَ كما
يَحْيا النَّباتُ اذا ما صاحبَ الدِّيَما
وما أُبالي أدِيناً كانَ أمْ سُوَراً
مِنْ فاسفاتِ الحِجى المستَدِيمَظِ الهِمَمَا
إنَّ (اليقينَ) هوَ السِّرُّ الذي قبسَتْ
منهُ الحياةُ رَجاءً كُلَّمَا ابتَسَما »

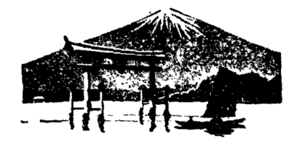
* * *

فَصَدَّقوني سوى عانٍ أُميتَ بهِ
رُوحُ اليقينِ فأفنى العمرَ منهزِماً !

البكاء

أجلى مظاهِرِهِ السَّخاء ولا أرى
جُوداً أراحَ كما يُرِيحُ بُكاءُ!
الاَّ لمنكُوبِ الفؤادِ فانَّهُ يَبكي وإنْ خذَلَ البكاءَ الماءُ!
وتظلّ حرقتهُ مثارَ شُجُونِهِ فلهُ الجوَى ولهُ الدُّموعُ سواءُ
أوْ أنّه أثَرُ الضّرامِ تبخَّراً فاذا انقضى فلها الهشيمُ غذاءُ

كم مِنْ نفوسٍ قدْ تَغَصُّ بِعَبْرَةٍ ، وعيونُها بشَقائِها جَرْداءُ !
تَبكي ولا يدْري الأَنامُ بكاءَها
مِثلُ الشجاعِ يدِبُّ فيهِ الدَّاءُ !
ومِنَ البكاءِ مُحَجَّبٌ لخفائِهِ يشقى بهِ الوجْدانُ والاعضاءُ
والدَّمعُ انْ غلبَ الرَّجاءَ تحيَّةٌ ومِنَ التَّحيَّةِ للهُمُومِ شِفاءُ !
خطأً تَراهُ مِنَ البكاءِ ، فانما أصلُ البكاءِ تعاسةٌ وشقاءُ
وكأنمـا هوَ للحَياةِ رَسولُها
فمِنَ الحيَـاةِ الى الحيَـاةِ رَجاءُ
أو انمـا هوَ في المصابِ عزاؤُنا
أوْ انمـا هوَ للحظُوظِ دَواءُ
والفيلسُوفُ اذا بكى بشعورِهِ
غيْرُ الضَّعيفِ سطَا عليْهِ بُكاءُ !



فلسفة الرقص

(١)

هلاّ نظَرْتَ (أبا شادى) ملائكةً
لمَّاحواهنَّ وقتَ الرَّقصِ كازينو[1] ؟!
خففنَ لبساً وأرْواحاً فلا عَجَبٌ
لهنَّ ياصاحِ إنْ خفَّتْ موَازينُ !

عبد الله بكرى

(٢)

أجلْ صَدِيقيَ ! ما ذِكرِي بمنقطِعٍ
لرَقصِهِنَّ الذي فيهِ أفانين
كُنَّ الجمالَ بلا حَدٍّ ولا صُوَرٍ
كُنَّ الرَّياحينَ تَهْواها الرَّياحينُ !
وكُنَّ مُنْتَخَبَ الأَمواجِ في لَعِبٍ
تلألأتْ مِنْ تَلاهيها البساتينُ !

---

(١) الكازينو : الملهى والكلمة من الدخيل (Casino)

وكُنَّ نُوراً بلاَ وَزْنٍ يقاسُ بهِ
الاَّ القلوبُ التي فيها المَوازينُ !
وكُنَّ أبهى مثالٍ للحيــاةِ فما
غيرُ الجمــالِ هوَ الدُّنْيا أو الدِّينُ !
لَبسْنَ ما رَقَّ حتى لا عِتابَ لنا
وكان منهُنَّ حِسًّا حُورُنا العِينُ!
ما خِزْنَ حَبْساً ولا سَتْراً ولا شَرَكاً !
هُنَّ الملائكُ أمْ هُنَّ الشَّياطينُ ؟!

أبو شادي

القُبلة

يشتاقُها مِنْ ظَمَاءِ الرُّوحِ ظمآنُ
فقُبْلَةُ الحُسْنِ إحياءٌ وإحسانُ
أوْ أنَّما هيَ آمالٌ مُعذَّبَةٌ يَرُدُّها لسَنَاءِ البِشْرِ إيمــانُ
ونَضْرَةٌ منْ نعيمٍ كوَّنتْ سبَباً
للصفْحِ عنْ هذهِ الدنيا لمنْ عانُوا

ومَظْهَرٌ منْ حَنَان الرُّوحِ يَجْذِبُهَا
رُوحُ الجمالِ الذي ناجاهُ وِجدانُ
والحسْنُ في هذهِ الدُّنيا على صُوَرٍ
لكنَّما يَجْذِبُ الإنسانَ إنْسانُ
هيَ الحيـاةُ لها في العَطْفِ تنميَةٌ
وكم يقومُ بها شَوْقٌ وَتَحْنانُ
وَقُبْلَةٌ مِنْ صَمِيمِ الحِسِّ جامِعَةٌ
لِكهربائيةٍ بالسِّحْرِ تَزْدَانُ !
كأَنَّما تنقُلُ الأَحلامَ لذَّتُها الى اليقينِ الذي يلقاهُ جذلانُ
وتنفثُ الرُّوحَ في العاني فَتُرْجِعُهُ
الى النَّعيمِ الذي أفنتْهُ أشْجانُ !
مَهْما تَطُلْ فقصيرٌ عُمْرُهَا ولها حَقُّ التَّجدُّدِ لا يَعْصيهِ اُهْفانُ
لها مِنَ الأُنْسِ ألوانٌ مُنَوَّعَةٌ
ومنْ نشيدِ الهوَى والخُلْدِ ألحانُ !
ومِنْ شهيِّ المعاني كلُّ مُمْتِعَةٍ كأنَّما هيَ للذَّاتِ بُسْتانُ !
وقائل: «ذاكَ وَهْمٌ للخيالِ» ...فيا للهِ كم يستوي حِسٌّ وحُسْبانُ !

الشرف

خُذْ ما تَشاء ودَعْ لي مُكرْ ماً شَرَفي
فضَيْعَةُ الشَّرَفِ الغالي مِنَ التَّلَفِ
هُوَ الشِّعارُ لوِجْداني وعِزَّتِهِ هُوَ المثِّلُ صِدْقاً مُرْتقَى شَغفي
ولو أَبيتُ فقيرَ المـالِ ذَا عوَزٍ
فالفقْرُ في المالِ غيْرُ الفقْرِ في الشَّرَفِ
وكم بدُنياكَ آلام تئِنُّ لها وشَرُّها في ضَميرٍ غيْرُ منكشِف
هيَ الشَّقاء لعانٍ منْ ضلالتِهِ
فليسَ تدْفَعُ من طِبٍّ ولا أسَفِ!

●○●

وواهِمٍ ظنَّ أنَّ المـالَ خالقهُ فليسَ عنهُ ولو ميْتاً بمنصرفِ
مثى يُصعِّرُ خدّيهِ ويُشْعِرُنا
كُرْهَ الحياةِ ولو كُنّا على كلَفِ!
كأنهُ النّارُ في الجنَّاتِ تفْزِعُنا
أوْ أنّه السمُّ في حالٍ منَ الطُّرَفِ!

يَبيعُ أرْواحنَا بَيعاً لشَهْوَتِهِ
ويَشتري العِرْضَ أوْ يُلقيهِ للهَدَفِ
سألتهُ : « أيْ عزيزَ النَّاسِ في بَذَخٍ
ومَنْ تبختَرَ في السَّاحَاتِ والصُّحُفِ!
ومَنْ يخرُّ الى الأَذْقانِ تبعهُ(١)
اذا التملّقُ ناجاهُمْ ، ولم يَقِفِ!
باللهِ هلْ أنْتَ تدري أيَّ مفخرَةٍ
كسبتَها من صنيعِ النّفسِ لا السَّلفِ؟
وهلْ علمتَ يقينَ العلمِ ايَّ سناً
لزائفِ اللؤلؤ المعرُوضِ في الصدَّفِ؟!
وبينما أكرَمُ الابريزِ معتكفٌ
في باطِنِ الأَرْضِ لكنْ غيرُ منكسِفِ
هذا لَهُ شرَفٌ في لبِّ جوهرِهِ
وأنتَ بالعَرَضِ الفاني وبالسَّرَفِ! »
فحارَ منْ جُرْأتي سُخْطاً فقلتُ له :
« إنْ صَحَّ انكَ انسانٌ فوَا أسفي! »



(١) التبع لغة بمعنى الظل ، ومجازاً بمعنى الممالئين .

حياتاه

الشقاء والسعادة

بين مَرِّ الضُّحى وكَرِّ العَشِيِّ　　أنفقُ العمرَ في عَناءِ الشَّقِيِّ
وأواسِي - برغم هَمِّي - نفسي　　بجمالِ المُنى وحسِّ الأبيِّ !
ناقلاً للفؤادِ وَحيَ جَناني　　مطمئنًّا الى هوى الصُّوفيِّ
ينظرُ المُقبِلَ البعيدَ فيَنسى
حاضِرَ البؤسِ في الرَّجاءِ القَصِيِّ !
كم دَهَتني الأحداثُ والنَّاسُ والـ
ـدُنيا برزءِ المُنغَّضِ العَبقَرِيِّ
مِن جُحودٍ لِطُولِ بَذلي وحُبِّي　　وامتِهانٍ لخاطري الألْمَعيِّ
وأفانينِ كُلِّ لُؤمٍ خبيث
مِنْ رقيعٍ الأَنام مثل « التَّقِيِّ »
كُلُّ ذَنبي تَرَفُّعي عن سُقُوطٍ　　قدْ تدَلَّوْا اليهِ في كُلِّ شيِّ
وأنا المُعْدِمُ الذي عافَ بُخْلاً　　في مَقامٍ دُعاؤُهُ للغَنيِّ !
وأنا الصَّافِحُ الذي ذاقَ مُرًّا　　لمسيءٍ بدَا بتيهِ الدَّعِيِّ !
وأنا الجاهِدُ الذي ما توانى　　عنْ حقوقِ الوَرَى وحقِّ العليِّ

وأنا المُصْلِحُ الذي كم تفانى   وتخلّى عنْ مَظْهَرٍ أوْ حُليٍّ
وأنا الجاعلُ الفِعَالَ مَقالي   وكأنَّ الفِعالَ ذَنْبُ الذَّكيِّ!
زَمَنٌ جِئْتُ فيهِ قَبْلَ أواني   طافحٌ بالولاءِ المُدَّعيِّ
يُخْذَلُ الحقُّ فيهِ رَغْمَ سُطُوعٍ   ويُساوَى المُسِفُّ بالجَوْهَريِّ
زَمَنٌ خِلْتُهُ زمانَ انتِقالٍ   ضَلَّ عنْ منهَجِ الصِّرَاطِ السَّويِّ
كلُّ أوزانهِ اضطِرابٌ وخَلْطٌ   أيُّ مَعْنًى لِوَصْفِهِ الذَّهَبيِّ؟!

وشَجَتْني مصائبٌ ما تَناهَتْ   وأذاةُ «البصيرِ» بعدَ الغَبيِّ!
كلُّ مَنْ خِلْتُهُ عَزَائي تمادَى   في أذاتي بقَلْبِهِ الحَجَريِّ!
فقهرْتُ الشَّقاءَ مِنْ دُونِ بَثٍّ   بشُعُورِ العُلى وَدأبِ القَويِّ
وتخَيَّلْتُ أنَّني في زَمَانٍ   مُقبلٍ يحتفي بعقْلي السَّريِّ!
فأنا الآنَ ساكنٌ بيْنَ دُنْيا   سوفَ تأتي بكلِّ حُسْنٍ وفِيِّ!

حيثُ يَسْمو الانسانُ عنْ وَهْدَةِ الشَّ
رِّ ويَرْقَى الى النَّعيمِ الشَّهيِّ
وأنا الآنَ حينَ أُنْشِدُ شِعْري
فلآتي الأجيالِ يُزْجَى رَويِّي!

وكأنّي بكتمِ حزني ووجدي وعذابي مُبشّرٌ كذبيّ !
وكأنّي أنالُ حظّينِ جمعاً بحياةِ الشقيّ غيرِ الشقيّ !



الصيف

فصل السكون والجلال

لِمَ لا أخصُّكَ بالثناء وقد وفى
في حيرةِ البحرِ الطروبِ خيالي
هذي بناتُ البحرِ شبهَ ملائكٍ
يرفلْنَ في الأضواء والآمالِ !
ويهبْنَ للأرضِ القريرةِ حظّها
مِنْ نفحةِ الحسنِ الطليقِ الغالي
والشمسُ بالتجديدِ جدُّ سخيّةٍ
والروضُ بالأحلامِ جدُّ مغالي !

سادَ السُّكونُ على زَمانِكَ مثلما
ساد الصَّفاءُ على الكسيفِ البالِ !
واخْضَرَّ بُسْتانٌ لفرْحةِ طَيْرِهِ
كنضارةِ القَلْبِ السَّعيدِ الخالي !
ويعودُ للظلِّ الشّفيقِ حنوُّهُ حينَ الضِّياءُ يرفُّ كالمختالِ
و (الكَوْنُ) يضحكُ دُونَ صَوْتِ معْلَنٍ
و (الحُبُّ) مُحْتَكِمٌ على الآجالِ !
يَصِفُ الغرُوبُ القِرمزيُّ جفاءَهُ (١)
والبَدْرُ يَسكُبُ عَطْفَهُ المُتعالي
وسرائرُ العُشّاقِ في أفيائِهِ ما بيْنَ أغلالٍ وبيْنَ جَمالِ
وَعَدَ الرَّبيعُ لهمْ بِهِ فأتى كما يأتي عِيانُ الحُلْمِ بعدَ خيالِ
واستَمْتعوا مِنْ بِرِّهِ أضْعافَ ما ظَنّوهُ في التقديرِ شِبْهَ مُحالِ !
الشَّمْسُ في الإشفاقِ طالَ مُكوثُها
والبدْرُ في الإغْواءِ جاءَ يُوالي !
والزَّهْرُ ينثرُ عِطْرَهُ لمُحِبِّهِ في غيْرِ تقتيرٍ ولا إدْلالِ !
وحَرارَةُ الجوِّ استحالتْ للوَرى حُبّاً تنزَّهَ عنْ أذى العُذّالِ !

---

(١) أي جفاء الحب .

تُذْكي عواطِفَهم ، وتَسْمَحُ هكذا
بتحرُّرٍ وتعانُقٍ ووِصالِ !

ما الصَّيْفُ الاَّ مَوْسِمٌ لملاَحَةٍ بلغتْ نفائِسُها أعزَّ جلاَلِ !

الحظ الضائع

تعوَّدْتُ أنْ ألقى شُعاعي مُصَوَّراً
ظَلاَماً ، وعِلْمي وَصفُهُ أنّهُ الجهْلُ !
فأصْبَحْتُ لا أعْنى بمدْحٍ يُكالُ لي
كأنَّ مَدِيحَ النّاس في جِدِّه هزْلُ !
ولم أعدمْ الرّاجينَ جهْدِي ومطْلبي
ومَنْ قدَّرُوا شِعْراً بهِ حِسُّهُم يَعْلو
غَنِياً بإِحْساسٍ ، سَخِياً برَسْمِهِ
تَناوَبَ فيهِ الفَنُّ والِحسُّ والعقْلُ
ولٰكنَّ طَبْعَ النّاسِ طَبْعُ تذبذُبٍ
وأكثرُهُمْ في الوَهْمِ يَشغلُه شُغْلُ

ومِثْلي الذي تكفيهِ شُهْرَةُ رأيهِ
وما شاقَهُ زَهْوٌ. كما شاقَهُ نُبْلُ
ومَنْ ليْسَ يُلفى راضياً عنْ نفيسهِ
فيعْمَلُ للاتمانِ مِنْ رُوحِهِ البَذْلُ
ومَنْ يَتغَالَى في انتقادٍ لنفْسِهِ
ويَرْفعُ مَنْ عاداهُ إنْ زانهُ فضْلُ
جديرٌ بأنْ يَلْقى منَ البخْس والأَذَى
صُنُوفاً، وأنْ يُغْرَى بإِصغارِهِ الجَهْلُ!

كتاب الفن

أهلاً بسحرٍ (للطَّبيعةِ) فاتنٍ
عُوِّدْتُ أنْ أتلو سَنَاهُ كتابَا
في كلّ ما شملتْ جمالٌ رائعٌ
يستأسر الأَذْهَانَ والألبَابَا
وتمدُّني أوزانُهُ وبيانُهُ
بالشّعرِ والأَلحانِ طِبْنَ وطَابَا
وتُثيرُ أخيلتي فأطفرُ سابحاً
في عالمٍ أسْمى حوى الأَرْبابا!
وأعودُ أنقلُ للأَنام روايتي
شِعرَ التفاؤلِ سامياً غلاَّبا

دِين العلم

لِلعلمِ مِنْ نُورِ الحقيقةِ دِينُ ... وبهِ على مَرِّ الزَّمانِ أدِينُ

ما ليْسَ يُثبتهُ الدَّليلُ فما لَهُ ... قَدْرٌ ، وما يَسْمُو اليهِ يقينُ

واذَا تعارَضتْ الأدِلَّةُ فالحِجى ... يقضي بأنْ لا يَجزمَ التَّبيينُ

الجهْلُ أوْلى بالفضيلةِ ذِكْرُهُ ... مِنْ أنْ يُضلِّلَ بالعقولِ أمينُ

قُلْ : « لستُ أدْري » صادِقاً ومُحقِّقاً ... لا أنْ يُخادِعَ فهْمَكَ التَّزْيينُ

جَرِّدْ شعُورَكَ مِنْ سخيفِ عقائدٍ ... يَنْدَى لهـا عِندَ الحسَابِ جبينُ

واحْرِصْ على العِلْمِ الأكيدِ كأنّهُ ... رُوحٌ وَرَيْحانٌ عليكَ يَزينُ

وابذلْ مِنَ الجُهدِ الشَّريفِ أجلَّهُ ... لِتُعلِّمَ المَخْدُوعَ كيفَ يدينُ

كم مِنْ رجالٍ طلّقوا أفهامَهمْ ... وجَميعهُمْ بهُدَى الدَّليلِ قمِينُ (١)

---

(١) قمين : جدير .

ولهمْ بعادَاتِ القديمِ صَلابةٌ ولو أنَّ إعجازَ الجديدِ يُلينُ
وحيالَهمْ للكهرباءِ عجائبٌ ولهمْ الى عِيسِ الفَلاَةِ حنينُ !
ويُصدِّقونَ خرافةً كمْ أضحكتْ أطفالَهمْ فتهاوَنُوا وأُهينوا
ويكذِّبونَ شَوَاهِداً لا تنمحي الحسُّ فيها ناطِقٌ ومَكينُ
فتسيرُ مَيْراً للحضيضِ أمورُهم
وجميعُهُمْ بأذَى الهوانِ رهينُ
ومِنَ العجائبِ أنْ يلوموا بينما
كُلٌّ بمَسْلكِهِ العقيمِ سجينُ !

مناجاة القمر

تطوفُ شوقاً حيالَ الأرْضِ يا (قمرُ)
كعاشِقٍ دَائِبٍ يلهو بهِ القَدَرُ !
قدْ كنتما وَحْدَةً في الحُبِّ دائبةً
وَلا عَذُولٌ ولا خوْفٌ ولا حَذَرُ
فصرْتما مَثلاً للعاشقيْنِ قضى حُكمُ الفراقِ بما يَبكيهِ مُخْتَبِرُ

تَظَلُّ أنتَ طَوِيلَ الدَّهْرِ في جَزَعٍ
والنَّاسُ تَعشَقُ فيكَ الحسْنَ يا (قمرُ)
ويَجْهلُونَ معاني صفْرَةٍ ظَهَرتْ
عندَ الشُّرُوقِ على مَرْآكَ تستَعرُ؛
عن أُمِّكَ (الشمسِ) قدْ فُرِّقتَ منْ قِدَمٍ
وعنْ حبيبتِكَ الباكي لها المطرُ
تجيءُ في اللَّيْلِ بِاسْمِ الحبِّ تسأَلُها
أنْ لا تضنَّ ببرٍّ... ثمَّ تنتظِرُ!
فترْتقي لكَ أنفاسُ الحياةِ بها
على المُناجاةِ اذْ يزْجى لكَ النَّظَرُ!
وتارَةً أنتَ في سَترٍ تُراودُها
وليْسَ مِثْلُكَ في الحالينِ يستترُ
وأنتَ مَضْرَبُ أمثالِ الجمالِ كما
تحلو بطلْعَتِكَ الآمال والسَّهَرُ
فانما نحنُ اخْوانٌ وتُرْبتُنَا
فينا لها دَائماً منْ عطفِنا أثَرُ!

مهْما نأيْتَ فلاَ السُّلوانُ نَعْرِفُهُ

وانْ تَجُورَ على أنْسابنا العُصُرُ !

ولنْ تُساويكَ في تقديرِنا أبداً

أسْمى الشُّمُوسِ وتلكَ الأنْجُمُ الزُّهُرُ

أنتَ الحبيبُ ، وهذِي (**الشمسُ**) شاهِدَةٌ

و (**الأرضُ**) ذاكِرَةٌ ، والنَّبْتُ والبَشَرُ

والمَدُّ والجزْرُ مِنْ أمثالِ ما عَرفَتْ

حياتُنا مِنْ حنينٍ فيكَ ينحَصِرُ !



عظمة الأدب

لمناسبة ترشيح الاستاذ أحمد حافظ بك عوض صاحب (كوكب الشرق) بدائرة باب الشعرية نائباً عنها في مجلس النواب

غَنِمْنا أميرَ الطبِّ للنفع بيننا (١)
ولٰكنَّ بعضَ الطبِّ أنْ يُنصَرَ الادبْ

فيا (حافِظَ) الآدابِ فوزُكَ نُصْرَةٌ
يُعَزُّ بها الآسي ويفخَرُ مَنْ كتَبْ

فقدْ مَرَّ جيلٌ كُنْتَ بينَ أساتِهِ
ومَطلبُهُ الأَسْمى الى مِثْلِكَ انتَسَبْ

وقدْ جاءَ جيلٌ أنتَ بَعْضُ شُعاعِهِ
ولنْ يُغْفِلَ الاشْعاعَ مَنْ يعرِفُ الدَّأبْ

فَثِقْ ... انّ شعباً يُدرِكُ النّورَ والحِجا
يَعفّ عن الاصغاءِ للوَهْمِ والصَّخَبْ

وما كنْتُ في هذِي التحيّة مادِحاً
ولٰكنّني أروي المآثرَ والسَّبَبْ !

---

(١) يشير الى تخلي الاستاذ الدكتور علي بك ابراهيم عن الترشيح البرلماني تلبية لرجاء زملائه الاطباء .

وما الشّعرُ الاّ ان يكونَ عَواطِفاً

تُنشِّطُ احساساً وتَبتعثُ الطَّرَبْ

وتَرْسمُ مِنْ معنى الحيــاةِ مشاهِداً

ومِنْ صُوَرِ الأَسْرَارِ ما دَقَّ واحتجَبْ

فانْ جئْتُ بالشِّعْرِ الأَبيِّ مزَكِّياً

فانّي أُزكِّي للمبادِيءِ مُنْتَخَبْ

تجَسَّمَ فيها الحِسُّ منْ كُلِّ جانبٍ

وعندَكَ منها مَنجمُ الفَخْرِ لا الذهَبْ

وذِكْرُكَ عِنْدِي ذِكْرُ نَفْسٍ عظيمةٍ

تمثَّلَ فيها الحِلْمُ والعِلْمُ والأَدَبْ !



دولة القلم

لمناسبة ترشيح الاستاذ عبد القادر حمزة صاحب (البلاغ) نائباً عن دائرة
حوش عيسى في مجلس النواب

إنْ قدَّروكَ ـ وما أشك ـ فإنما
قَدَرُوا النُّبوغَ وَما عليهِ يُشادُ
فلديْكَ منْ شَرَفِ اليَراعةِ دَوْلَةٌ
يكفي لصَوْنِ جلالها (العقَّادُ)
ما كنْتَ ذا عوزٍ لفخْرِ نيابةٍ
(فبلاغُكَ) الفَخْمُ اصْطَفَتْهُ بِلادُ
لكنَّها فَرْضُ الزَّكاةِ مُحَتَّمٌ
ولكم يجودُ جنانُكَ الوَقّادُ
حَقٌّ عليَّ تحيَّتي لمعلِّمِ
الرأيُ طَوْعُ بنانهِ و (الضَّادُ)
وأُجِلُّ شعري عن عُيوبِ مدائحٍ
لكنَّهُ طَرَباً لكَ المُنْقادُ

إنْ يَخْذُلْ الأُدَباءَ مظهرَ حقّهمْ
في الحُكمِ فالأَملُ العريضُ نَفَادُ
ليْسَ التحاسُدُ مِنْ مواهبِ نابغٍ
إنّ التعاوُنَ للنُّبوغِ عِمَادُ
وأرى الممالكَ بالعُقولِ قِوَامُها
وأرى العقولَ حُصُونُها الأَفرادُ (١)

الى المتجردين

لكم ما أرَدْتُمْ مِنْ يقينٍ وضِدِّهِ
فلسْتُ على خُلْفِ العقيدَةِ أحْنَقُ
ويا طالما قدْ كُنْتُ للفِكْرِ ناصِراً
وما زِلْتُ مَنْ يرْضاهُ (٢) حرٌّ مُحقّقُ
لكم دِينكم أوْ أيّ دِينٍ ومَذْهبٍ
فانَّ فخارَ العصْرِ بالفكْرِ مُوثَقُ

---

(١) الافراد : رجالها النابغون . (٢) يختاره ويقنع به .

ومِنْ رُتبةِ الإِنسان حُرِّيَّةُ الحِجا
وما هانَ قَوْمٌ في مدى البَحْثِ أخفقوا
ولكنْ بحقِّ العِلْمِ والفَضْلِ هلْ لكم
صِيانة ميراثٍ هُوَ المجْدُ يُشْرِقُ ؟
وفيمَ ابتِغاء الهدْمِ في كلِّ وَثْبَةٍ
كأَنَّ النهُوضَ الحقَّ هَدْمٌ مُحَقَّقُ ؟!
وأيُّ رَجاءٍ في غَدٍ حينَ أَمْسُكُمْ
يُذالُ بما يأباهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُ ؟
اذَا ما قطعتم ذلِكَ الجِذْعَ ضَلَّةً
فكيْفَ الغَدُ المأمولُ ينمو ويُورِقُ؟
وانْ كانَ ذَنْبُ الأَمْسِ آثارَ دِينِهِ
أليْسَ لهُ تاجٌ من الفنِّ يُعْشَقُ ؟!
فلا تحْسَبوا أنَّ الفلاحَ تَجرُّدٌ ولكنَّهُ عِلْمٌ متينٌ مُوَفَّقٌ
وأخذٌ بأسْبابِ العظائِمِ كلِّها
ومِنْ بينِها الأَمْسُ العزيزُ المحلِّقُ
لعَمْرِيَ ما يُطْفي الجواهرَ عُمْرُهَا ولكنْ على مَرِّ الزَّمانِ تأَلُّقُ!
وتَبقى مِثالاً للجمالِ مهذَّباً يُصاغُ على إشعاعِها ويُنمَّقُ !

تذكرة طبيب

بعث بها الشاعر الى فضيلة الاستاذ الاديب الشيخ عبد العظيم حجاب
في مرض منهك

وسئلتُ تذكرةَ الطَّبيبِ فها كَها
شِعرٌ مِنَ الأدَبِ السَّليمِ مُذابُ!
ردِّدْهُ تَرْديدَ المدام فطالمَا
شُفيَتْ ببعضِ سلافِهِ الألبابُ!
وتأسَّ ... صَوْمُكَ كالزَّكاةِ ورُبما
في الصَّوْمِ - إنْ لَجَّ السَّقامُ - ثوابُ!
أنتَ الاديبُ، وللأديبِ مَناعةٌ!
ولدَيهِ عَنْ صِغَرِ[1] الزَّمانِ «حِجابُ»!
ليسَ الفِراشُ بحابس لكَ هِمَّةً
رُوحُ الأَديبِ لها الوُجُودُ رِحَابُ!
ومِنَ النفوسِ حرائرٌ وثوائرٌ
ومِنَ النفوسِ إسارُها الجِلْبابُ!
والنّاسُ مِنهمْ في سُجونِ جُسومِهمْ
بينَا يَقِلُّ النابهينَ سَحابُ!

---

(١) صغر : ذل .

أُنْظُرْ ـ ولو أغمضتَ عينيكَ ـ السَّنَا
هيهاتَ يُغْلقُ دُونَ حِسِّكَ بابُ !
وا نشقْ عبيراً للجمالِ ، فزهرُهُ لكَ ذا كرٌ ، وأريجُهُ وَثَّابُ !
أقسى السَّقامِ يهُونُ إنْ ملكَ الهوى
حُسْنٌ وانْ أسَرَ الشُّعورَ كتابُ !
فاصبرْ بعقلِ الفيلسُوفِ فإنما ذهنُ الحكيمِ سَماحةٌ وصوابُ
والكَوْنُ أضيقُ مِنْ فسيحِ جنانهِ
تَبعٌ لهُ الأجيالُ والأحقابُ !
والسُّقْمُ أوْلى أنْ يُخَصَّ بهزئهِ
فالصمْتُ للمَرضِ الأليمِ عقابُ !
ورثَ الحقيقةَ عنْ ألوفٍ جَمَّةٍ بنتْ الوجودَ ولم يفتْهُ شبابُ !
وأرى الأديبَ هوَ الحكيمُ بعينِهِ
وكذاكَ أنتَ مُسائلٌ ومُجابُ !

التل الكبير

ذكرى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢

لِمَ لا يُشيدُ بذِكْرِهِ إنشادي ؟ !

لِمَ لا يُبجلهُ الفَخُورُ الشَّادِي ؟ !

فَخْرُ الحُروبِ نَبالةٌ وبَسالةٌ   شَرَفُ الهزيمةِ لنْ يعودَ لعادِ

والشَّاعرُ القوْميُّ يُنصِفُ قومَهُ   لا يرْفعُ الايمانَ بالإِلحادِ!

لنْ يكْذِبَ التاريخَ اوْ وِجْدانَهُ

التماريءَ الإِلْهامَ خلْفَ سَوادِ

بلْ يكذِبُ الخُلُقَ السَّليمَ مُحَقِّرٌ

لشهامةِ الماضي وسؤْلِ الغادي

ذِكْرٌ يَطُولُ بيانُهُ ، فهمومُهُ   شتَّى ، فحسبي ما يَقُصُّ فؤادِي

ولربَّ أبياتٍ تُعدُّ سَما بها   خُلُقٌ ، فكنَّ شوامخَ الأَطْوادِ!

مرَّ القِطَارُ وقدْ تقاطرَ مَدْمَعِي

ما بيْنَ ذِكْرِ مُنًى ووَقْعِ حِدَادِ !

فِي مُوحِشِ الصَّحْرَاءِ تكشفُ سِرَّها

تلكَ الرِّمالُ الخاطِباتُ ودَادِي!

أَجْزَتْ[1] عن الشَّرْحِ الطَّويل فانَّها

سَفَرَتْ عن الأَلَمِ العظيمِ البادِي!

فبدَتْ خنادِقُها الأَسيفَةُ مثلما

تُبدِي الشجونَ وحيدَةُ الأَغمادِ!

مُلِئَتْ حَصًى، والأَمْسَ كانَ قوامَها

أَنَفُ الرِّجالِ ونَخْوَةُ الأَنجادِ[2]!

أَشباهُهُمْ هزَموا العدوَّ بضَرْبَةٍ

في (كفرة الدوار)[3] ذاتِ سَدَادِ

تَبقَى مثاراً للحَمَاسَةِ كلّما رُمْنا انتجاعَ الفخْرِ للأَجْدَادِ

وهم الذينَ وانْ تهدَّمَ حِصنُهُمْ غدْراً بِهِمْ ما استسلموا للعادي

تركوهُ في شَمَمِ الاسُودِ اذا مضَتْ

لجدَّدٍ مِنْ حيلةٍ وجهادِ!

---

(١) اجزت : اغنت . (٢) الانجاد : الشجعان .

(٣) كفر الدوار : بلد مصرية معروفة حيث هزم المصريون الانجليز شر هزيمة في اوائل حرب الاستقلال العرابية مما اضطرهم الى الهجوم المستتر من ناحية قنال السويس . والكفرة : ظلمة الليل واسوداده ، اشارة الى هزيمة العدو .

هرَعُوا لمربضهمْ ومعقلِ ملكهم ليُصانَ بالأرواحِ والاجسادِ

فقضى المغالطُ أنْ يَعدَّ دفاعَهمْ

ضَرْباً من الاجفالِ (١) لا الازبادِ (٢)

إنَّ المقاتلَ دونَ عقلٍ ماكرٍ مثلُ الخاطرِ في غريبِ بوادِي!

والنّصْرُ معقودٌ على مستظهرٍ بالحذْقِ قبلَ صلابةٍ وعنادِ

حَسِبُوا العدوَّ نظيرَهم بشجاعةٍ فاذا بهِ المنسابُ بالإرفادِ

يا بئسَ جيْشٍ بأسهُ في رشْوَةٍ ياعارَ جيْشٍ يحتمي بجمادِ !

ماالسّيْفُ الاّ القلْبُ قبلَ سلاحِهِ

والجُنْدُ غيرُ مشاعرٍ ومَبادِي !

يا (تلُّ) أنتَ بَدَاءةٌ ونهايةٌ لمفاخرٍ ومآثرٍ وعَتادِ

ناجيتُ قُرْبكَ ثورَةً في عِزَّةٍ

ذابتْ ، وصُنتُ عِظاتِها البلاَدِي !

وأقولُ « للبطَلِ » المصغِّر قدرَها

ـ وهو الجبانُ ـ جهلْتَ رُوحَ (**الوادى**)!

---

(١) الاجفال : الانفضاض . (٢) الازباد : الغضب والتهديد .

لو كنتَ تقتبسُ من شعورِ رجالِهِ
وجلالِ ماضيهِ لكنْتَ الهادي

لنْ تبلغَ الألفاظُ مهما رُنِّقتْ قدرَ الشُّعورِ يعيشُ للآبادِ!

والواعِظُونَ هم الذينَ بروحِهمْ
يذْكِي اللَّظى المخبُوءَ تحتَ رمادِ!

ويُجدِّدونَ من المُصابِ عظائماً ومنَ المآتِمِ أشرفَ الأعيادِ!

يبنونَ بالحِسِّ الشَّريفِ لقومِهمْ
ما تاحَ (١) للهَمِّ الخطيرِ الفادي (٢)

لا يَصْدِفُون شُعورَهم عن قومِهِمْ
أوْ يَترُكونَ حنينَهُمْ لنفادِ

فمن الخصاصةِ (٣) للشُّعوبِ وَلوعُها
بالأجنبيِّ وتركُها لجِلادِ

تَعتامُ (٤) سِيرَةَ مَنْ أذَلُّوا مُلْكَها
بوساوسِ الضُّلَّالِ والنُّقَّادِ

ولو أنَّهم وَهبوا لها إخلاصَهم نالتْ من الآمالِ أكرمَ زادِ

---

(١) ما تاح : ما تهيأ . (٢) الهم : ذو الهمة الطالب لمعالي الامور .
(٣) الخصاصة : شدة الفقر . (٤) تعتام : تختار .

وطني ـ وحقِّكَ ـ ليْسَ أمسُكَ غيرَ ما
بَنَتْ الحضارَةُ في قَصيٍّ بلادِ!

أنْسيتَهُ وغُذيتَ ممن أسرَفوا في الوَهْمِ ما يأباهُ صِدْقُ ودادِ
وأرَى فُتوحكَ لافتوحَ تفوقُها وأرى الهزيمةَ مبدأً لِمَعادِ!

فاقرأْ فخارَ الأمْسِ وٱسْمعْ برُهةً
شِعْري الذي يُزْجيهِ للإِنْشادِ!

تُلْفِ الوراثةَ للعظائمِ كلّها أبقى من الأديانِ للأحفادِ!
تُبْنَى الممالكُ بالعقيدةِ قبلما تُبْنَى الممالكُ بالدَّمِ الفِرصادِي!



شكوى حافظ

(١)

قدْ ضِقْتُ ذَرْعاً بالحيَاةِ ومنْ ... يفقدْ أحبتَهُ يَضِقْ ذَرْعَا

وغدَوْتُ في بَلدٍ تـكنفني ... فيهِ الشّرورُ ولا أرى دَفْعَا

كم من صديقٍ لي يحُاسِبُني ... وكأنَّ تحتَ ثيابهِ أفْعى !

يَسعَى فيُخفي لينُ مَلمَسِهِ ... عنّي مساربَ حيّةٍ تَسعَى !

كم حاولتْ هَدْمي معاولُهُمْ ... وأبَى الإلهُ فزادَني رَفْعَا

أصبَحْتُ فَرْداً لا يُناصرُني ... غيرُ البيانِ وأصبَحوا جَمْعَا

ومُناهُم أنْ يَحْطِمُوا بيدِي ... قَلماً أثارَ عليهمُ النَّقْعا (١)

ولرُبَّ حُرٍّ عَابَهُ نَفَرٌ ... لا يَصلُحُونَ لنَعلِهِ شِسْعَا (٢) !

محمد حافظ ابراهيم



(١) النقع : الغبار .
(٢) الشسع : زمام للنعل بين الاصبع الوسطى والتي تليها .

(٢)

هَوِّنْ عليكَ ولا تَضِقْ ذَرْعَا   يا دَوْحَةً كم أبدَعتْ فَرْعَا
في ظِلِّها كم مُهْجَةٍ نَعِمَتْ   في قُرْبِها كم رَنَّقتْ [1] نَبْعَا
أُدَباء (مصرَ) ـ وأنتَ أكرمُهُمْ ـ [2]
لن يَجْحَدُوا عَهْداً ولا صُنْعَا
كلاّ ... ولا وَطَنٌ لِحُرْمَتِهِ
كم كنتَ بلْ ما زلْتَ مَنْ يرْعَى
مِنْ زَهْرِ شِعْرِكَ في الصَّفاءِ لَهُ   رَاحٌ وأُنْسٌ بالْمُنَى شَعَّا
ومِنَ ازْدِرائِكَ للرِّياحِ وقَدْ   عصَفَتْ أقامَ لِعَزْمِهِ دِرْعَا
والحاسِدُوكَ على ضَلالَتِهِمْ   في نومِهِمْ باتوا وفي المَرْعَى... !
وتوهَّموا التَّاريخَ خادِمَهُمْ
بالمَيْنِ [3]... بئسَ الغَدْرُ مِنْ مَسْعَى
فاذا بفَضْلِكَ لَنْ يُهَدِّمَهُ   زُورٌ، ويَصفعُ وهْمَهُمْ صَفْعَا
واذا مآثِرُكَ الحِسَانُ بدَتْ   كالشَّمْسِ هازِئَةً بِمَنْ يَنْعَى !
يتبرَّأُ الأدَبُ السليمُ، كما   تأبَى المكارِمُ حالَهُمْ طَبْعَا

---

(١) رنق : صفى . (٢) يشير الى ما اشتهر به حافظ بك ابراهيم من الكرم حتى في ايام بؤسه . (٣) المين : الكذب

هَوِّنْ عليكَ فكلُّ صالحةٍ ... لفخارها ذَمُّ الهوَى(١) أدْعى!
والنَّاسُ كمْ وَهِمُوا وكم ظَلَمُوا ... والحقُّ يمنعُ ظُلْمَهُمْ مَنْعا!
تَبقَى المـآثرُ في جَلَالَتِهَا ... بينَمَا المثالِبُ حَوْلها صَرْعَى!
ليْسَ التَّحاسُدُ ما يُحقِّرُها ... أقلُّ التَّحاسدِ زادَهَا رَفْعَا!
لو يعقلُ الحُسَّادَ لاعتبرُوا ... حقًّا، وصارَ بُناتُنَا جَمْعَا
يَدْعُونَ للخُلُقِ الكريمِ وكم ... آذَوْهُ مِنْ أحقادِهِمْ صَدْعَا!
ليْسَ الأديبُ فى يرَاعتِهِ ... والخالبَ الألبَابَ والسَّمْعَا
بلْ مَنْ يُخلِّدُ في بَرَاعتِهِ ... مَجْداً، ويُورثُ قومَهُ النَّفْعا
ويكونُ عِنوانَ الحيــاةِ كما ... تَرْضى الفضيلةُ عنهُ إذْ يُدْعَى

أحمد زكى أبو شادى



(١) الهوى: بمعنى الغرض السيء.

لغة الجمال

إنْ قلتُ في لُغَةِ المُتُونِ[١] « دُعابَةً »
أوْ قَلْتُ في لُغَةِ الجمـالِ « دُعابَا »
سِيّان في عجزي بوَصفِ رَشاقةٍ
خلعَتْ على مَيْتِ السُّرُورِ شبابَا !

ماذا يُبينُ اللّفظُ في تخفيفِهِ — عنْ خِفَّةٍ تستأسِرُ الألبابَا ؟!
خلِّي فؤادِي يملأُ الدُّنيا هوًى — وتَناجياً وتَساؤُلاً وجَوابَا !
وَدَعي قريضي ناسِخاً ومُهذِّباً — لَفظِ ، تعشقهُ النُّفُوسُ شَرابَا

أنا لا أمتُّ الى « اللسانِ »[٢] بخاطِري
لٰكنْ الى طَرَفٍ يَسُنَّ عِذَابَا !
مِنْ سِحرِ عينيكِ اللّتيْنِ إذا هُمَا
رَمَتَا فلنْ يَهْوَى الشَّهيدُ مآبَا !

ومن اقتِرَارِكِ عنْ نظيمٍ فاتِنٍ — عطفتْ لآلِئُهُ عليَّ طِرَابَا !

وأُبيحُ في شِعْرِي صِياغةَ ما أرَى
صَوْغاً يَرِقُ بهِ الشُّعورُ مُذَابا

(١) جمع المتن . ومتن اللغة أصولها ومفرداتها .
(٢) معجم « لسان العرب » المشهور.

في نُورِ عَصْرِي بعدَ وَحْيكِ هادِياً
لا تابعاً لُغَةَ القَدِيمِ سَرَابا
مَنْ كانَ يخذُلُ عصرَه ببيانِهِ فهوَ المُقِرُّ بمَوْتِهِ أحقابا !

الحياة الثائرة

أبيات ارتجالية

يَرْقُصْنَ أمثلةَ الحيــــاةِ هرَبْنَ مِنْ أَسْرِ الجُسُومْ !
لـكنْ يعُدْنَ الى إسار !! نظْم يجذِبُهُ النّظِيمْ !
فترَى القدُودَ ثوائراً حيناً على خَطَرٍ عظيمْ !
وهنيْهةً يَرْجِعْنَ في شَغَفٍ الى العهْدِ القديمْ
ضِدّانِ من صُوَرِ الحيـاةِ ترِفُّ في مُثُـــلِ النّعِيمْ
سَلْ ذِي العيُونَ تجبْكَ بالـ ـسّحرِ العتيِّ وبالرّحيمْ
سَلْ واثباتِ النُّهُودِ حُبِسْنَ كالطّيرِ النّدِيمْ !
والآمِرَاتِ مِنَ الخصُورِ الخاضِعاتِ بلا حَمِيمْ ! (1)
الخافِقــاتِ اللاعِبَــاتِ الحاكِماتِ على الحكِيمْ !

(1) اي بلا صديق يدفع عنها هذا الخضوع المشتهى .

متتابعاتٍ مثلَ أموا ج الخواطرِ للفهومْ !
أوْ أنّها من زئبقٍ أو أنّها ألَقُ النجومْ !

الوصف الصامت

قالَ الصّديقُ مُداعِباً والعينُ تنهبُ حسنهنّهْ :
« إنّي أراهنُ أنّ شعْ رَكَ لنْ يصوّرَ وصفهنّهْ
فجميعهنّ على سجالٍ لا يقرُّ قرارُهنّهْ
وكأنّما قدْ رُكّبتْ من زئبقٍ أجسامهنّهْ ! »
فضحِكتُ ثمّ أجبتهُ والشعرُ يتبعُ شعرَهنّهْ :
أعلِمْتَ أنّ نظيمَ شعْ ري ليسَ غيرَ نظيمهنّهْ ؟!
تدعو البراعَ عواطِفي فيخط سورةَ رقصِهنّهْ !
ومخارجُ الألفاظِ في حسْنِ الصّياغةِ ذوقُهنّهْ !
وبيوتُ نظْمي قد حوَتْ نَ وإنْ خفِينَ قدُودَهنّهْ !
الشعْرُ مِرْآةُ الجما لِ وللجمالِ حياتُهنّهْ
حسبي إذنْ في الوصفِ أنْ ني لا أفرّقُ بينهنّهْ !

وأقولُ هذي مِلّةٌ للسّحرِ، فاعبدْ سِحرَهنّهْ!
تجدُ الجمالَ ممثّلاً في الذّهنِ مثلَ خصورهنّهْ!
وتصرُ مثيلي في اكتفا ني بالشّعورِ أمامهنّهْ
ما حاجتي للفظِ والتّحبير اذْ حسّي لهنّهْ؟!
ولو استطعتَ رأيتَ في عجزي البدائعَ كلّهنّهْ
فمجالُ فكري أرضهنّ وكلُّ حسّي ملكهنّهْ!
ورويُّ نظمي جامعٌ نسقاً لهنّ ووحيهنّهْ!»



مقياس العظمة

وتعلمُ أخلاقَ العظيمِ فِعالُهُ
كما تُعلَمُ الأضواءُ مَبعثَها الرّاسي
وللنّاسِ تحليلُ الصفاتِ بخبرةٍ
كما حلّلَ الموشورُ (١) طيفاً مِنَ الشّمسِ

(١) يعني منظار الطيف الشمسي (السبكترسكوب) الذي يستدل بواسطته على العناصر التي تؤلف الشمس .

فلا مَعْدِنٌ يَخْفى عليــهِ وإنمــا
يَدُلُّ على أخفى المُحجَّبِ عنْ حِسٍّ
فقلْ لِدَعِيٍّ غارِقٍ في غُرُورِهِ
علامَ وأنْتَ المُظْلِمُ العقلِ والحَدْسِ[1] ؟
لديكَ العُلىٰ ، فاذْخَرْ بنفسِكَ سِرَّهَا
تُضيءُ للوَرى في نُورِ مَعْدِنِهَا القُدْسِي
ولسْتَ بذِي عَوْزٍ لَمظْهرِ عِزَّةٍ
فأسْنىٰ جلالِ النفسِ يُبْعَثُ في النّفس
وأشْرَفُ مِقْياسٍ لنُبْــلٍ مآثرٌ
وليْسَ بتفخيمِ الجُدُودِ ولاأمْسِ



(١) الحدس : سرعة الانتقال في الفهم والاستنتاج .

أيها المصريون!

اعرفوا واجبكم!

نظمت هذه القطعة الخطابية ارتجالا لمناسبة الانذار القضائي الانجليزي والأزمة الوزارية في ٣ يونية سنة ١٩٢٦ م.

إعرَفوهُ! إعرَفُوهْ يارِجالْ!

اعرفوه!

لا تهابُوا مِنْ خُطوبٍ، لا تَهابُوا!
إنَّ موتَ الشعبِ في عَيْشِ الخُنُوعْ!

كُلُّ فردٍ فَرْضُهُ ما عنهُ يَدري
فليقمْ كلٌّ بارضاءِ الضميرْ
إنمـــا الذِّمَّةُ تاجُ الفرْدِ حقًّا
ثمَّ تاجٌ لعُلى الشَّعبِ الكبيرْ
إنما الواجبُ والمفرُوضُ صِدْقاً
قوَّةُ الإيمــانِ والحزْمُ الوفيرْ

فليؤدِّ الفَرْدُ ما يُرْجى لديهِ
فاعتزازُ الفَرْدِ إعزازُ الـكثيرْ

إعرفوهُ ! إعرفوهُ يارِجالْ !

اعرفوه !

لا تَهابُوا منْ خطوبٍ ، لا تهابوا !
انَّ موتَ الشّعبِ في عيْشِ الخُنُوعْ !

مرحباً بالعسف !

نظمت ابان الأزمة القضائية الوزارية
في أوائل يونية سنة ١٩٢٦ م.

مَرْحَباً بالعَسْفِ منكم مرحبَا ! علّمونا يا طُغاةُ الأَدَبَا !
أرهقونَا جُهْدَكم حتى نرَى أصلحَ الخُلْقِ ينالُ الغَلَبَا !
نحْنُ شَعْبٌ قد مرضْنا كَرماً نحْنُ قوْمٌ قد سقمْنا لعِبَا
نُحْسنُ الظّنَّ بمَنْ سخَّرنا ! ننشدُ الذّمةَ ممن غصبَا !
نرْتجي منكمْ وفاءً مثلمـا يرْتجي الظّامي سرَاباً كذِبَا !

نحسَبُ الذُّلَّ خلاصاً من أذًى ... رُبَّ ذُلٍّ يستثيرُ النُّوَبا
نتّقي بالصَّمْتِ ظُلْماً بالِغاً ... فاذا بالصّمتِ يُدني الحَرَبا (١)
ونُداوي بالأسى آلامَنا ... فاذا بالصبْرِ يُذْكي اللَّهَبا
أرهِقُونَا ! أرهِقُونَا ! انما ... يبعثُ الإِرْهاقُ حَزْماً وَجِبا !
حيثُ يغدُو كُلُّ فَرْدٍ عارِفاً ... عِزَّةَ النفس يقيناً لا هَبا (٢)
نقبلُ المَوْتَ على أنواعِهِ ... قبْلَ أنْ تَقْبلَ ضيْماً عَجَبا !
كم ضحِكتُمْ مِن كراماتٍ لنا ... هلْ نسيتُمْ انَّ فينا العرَبا ؟!

***

ألفَ شكرٍ ! قد جمعتُمْ رأيَنا ... فاتّحدْنا مذهباً وَطلبا !
وَفحصنا ثمَّ ذُقنا « طِبَّكُمْ » ... فعرَفْنا خمْرَكم والحَبَبا !
وأفقْنا مِنْ تلاهي « عطفِكُمْ » ... فاتّخذْنا المعالي سَبَبا !
مِنْ يقينٍ وكِفاحٍ دائمٍ ... نَستعيدُ الحَقَّ مهما اغترَبا !



(١) الحرب : الهلاك والويل . (٢) مخففة هباء ، والهباء :الغبار

صورة الرئيس

اهدى حضرة ميشيل افندي سركيس الى صاحب الديوان صورة فنية بديعة لزعيم مصر الجليل صاحب الدولة سعد زغلول باشا . فقال شاعرنا على الفور :

شُكْراً لفضلِكَ يا (سركيسُ) معترفاً
بالفنِّ في رسمِكَ المستكرَمِ [1] الغالي
حَوَى مِثالاً لإبداعٍ نُكرِّمُهُ
كما حَوَى صُورَةً للقائِدِ العــالي

الدهماء

هُمْ عَدُّ أجسامٍ ، فَمِنْ عَجَبٍ تَرَى
عَقْلاً أمامَ جُسُومِهِمْ يَتَمَلَّقُ !
لو كانَ لِلْعِلْمِ السِّيادَةُ في الوَرَى
لِيُبَلِّغَ الدُّنْيا علَى لم يُخْلَقُوا !

(١) المستكرم : الكريم المختار .

أَسَفِي على هٰـذِي الجُموعِ ، ولَيتهَا
حُصِرَتْ فأصلُ البُؤسِ جَهْلٌ مُطْبِقُ
يتناسلونَ بلا حُدُودٍ مثلمـا
تتناسَلُ الأوْباءُ ، بلْ همْ أسبقُ !
ولو اَغْتدَى للعلْمِ حَقُّ رقابةٍ
ما عاشَ يُزْعِجُنا الغبيُّ الأَحْمَقُ
لنْ يَرْفَعَ الإنسانَ كثرَةُ نَسْلِهِ
بل نوْعُهُ المُتَخيِّرُ المُتفوِّقُ
فليَ العَفَاءُ اذا جُعلَتْ مَواهبي
طَوْعاً لمن يتعثَّرُونَ فما ارْتقَوا
وأَرَى فخَاري أنْ أُعيِّرَ دَائمـاً
مِنْ جَمْعِهِمْ ، فثناؤُهمْ لا يُعْشَقُ !



الطبع والتحوّل

مَثلُ الغبيِّ إذا غدَوْتَ دَليلَهُ
مَثلُ الضَّريرِ إذا استحالَ بصيرَا
فكلاهُما يَجدُ الظَّلامَ نصيرَهُ
ويَعافُ مِنْ سُبُلِ الضِّياءِ نصيرَا !
وكِلاهُما عرَفَ الوجودَ بصُورَةٍ
مَوْهُومَةٍ لا تَصْدُقُ التَّصْويرَا
وكِلاهما يرْتَاحُ رَغْمَ هدايةٍ
لضلالهِ ويُباعِدُ التَّنويرَا
ويَرَى الحقائقَ غيرَ ما نَلْقَى ، وما
يشتاقُ إلاَّ أن يَظلَّ حسيرَا !
ونَخُصُّهُ بالعطفِ أو نَرْثِي له
ويرى وَلاءَ قُلوبنا تَغْريرا !!



العذاب المنشود

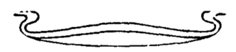
وشعر الحب

وقالوا : « تَعذَّبْ في هوَاهَا ! فانمَا
تُجِيدُ بشِعْرٍ إنْ بَرَاكَ هوَاهَا ! »
فقلتُ : « حَرَامٌ أيُّها النَّاسُ ! إنّني
أرى الشّعْرَ يدْعُو الشّعْرَ حينَ أراهَا !
ومَنْ لي سِوَاها يجْمَلُ الكَوْنَ بهْجَةً ؟
ومَنْ مُلْهِمي الآياتِ فيهِ سِواهَا ؟ !
إذا هي لاحَتْ صارَتْ الارْضُ جَنَّةً !
وإنْ هيَ غابَتْ لا أُطيقُ لَظَاهَا !
كأَنَّ جمالَ الكَوْنِ طَوْعٌ لِحُسْنِها
وفي حُسْنِها كُلُّ الجَمالِ تنَاهَى !
فانْ هيَ بانَتْ[1] أوْحَشَ الكَوْنُ بعدَهَا
كأَنَّا عدمنا في الوجودِ إلَهَا!

---

(١) نأت .

وإنْ هيَ عادتْ أفْعَمَ الكَوْنُ خاطِري
نظماً ، وأسقَاني الحياةَ سناهَا !
وَلاَحَ لأبيَّ كلُّ شيء قصائداً
منَ الشِّعْرِ حيَّتْ حُسْنَها ومُنَاهَا ! »



الملوم

او الشاعر الغريب

عابُوا عليَّ الشِّعْرَ حتى أنَّهُمْ   لم يُدْركوا فيه كِيانَ حياتي !
ما الشِّعر لي الاَّ الشُّعورُ وجَوْلتي
في عالم الأَحيـاءِ لا الأمواتِ
فيه خواطرُ مُهجتي وسعادتي   وشقاوتي وعواطفي وصِفاتي
فيهِ أعيشُ بحـاضرٍ وبغابرٍ
وأُتَرْجِمِ الماضي ووحيَ الآني !
وأخُصُّ بالدَّهْرِ الذي هو خالدٌ   ما نَغَّمَتْهُ لسمعهِ آياتي !
فليهزَؤا ولْينقدُوا وليعـلموا   أني أقيمُ الخلدَ في أبياتي !

ما شِدْتُها لتكونَ حليةَ بيئتي
بل كيْ تصونَ على الدّوامِ شَتاتي
وأنا الذي يَحْيا لنوعي[1] والذي
يأبى حياةً شأنُها كوَفاة
إنْ يجهلوا أدَبي فانّي خالِقٌ
مَن سَوْفَ يقْرَنُ حبُهُم بصَلاتي !
يَفْنى هَوَى النُّقَّادِ مِثْلَ جُسومهمْ
ويعيشُ لي أدَبٌ لغير فواتِ
فليهنأوا بخداع كُلٍّ ملفَّقٍ نظماً من الأوْهامِ والآفاتِ !
وَلْيُعْرِضوا عَمَّا يُنَمِّقُ خاطري
مِنْ صِدْقِ إحساسٍ وفِكرِ عاتِ
وتجاربي وتأمّلي وسياحتي في الكوْنِ غيرَ مُقيَّدٍ بلغاتِ !
فأحيلُ ما ألقاهُ لحْناً سائغاً لتهافُتِ الألبابِ و المُهَجاتِ !
لُغَتي هيَ الحِسُّ الأصيلُ ، وغيرُها
رَغْمَ الْبهارج مَيِّتُ الكلماتِ !
وعقيدتي بِنتُ (الحقيقةِ) وحدَها
ولي (الطبيعةُ) دائماً مِرْآتي !

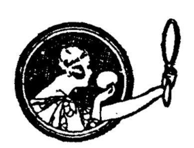
---

(١) يريد النوع الانساني .

وأنا كذلك دائمـاً مِرْآتُها فأَجلُّ حالاتٍ لها حالاتي !

فاذا أبى الجهلُ العنيدُ محبّتي

فكفايَ مِنْ عَطْفِ الجمال حياتي !



اذا —

IF —

معربة بنظم مرسل عن قصيدة الشاعر الانجليزي الشهير رديار د كبلنج

وهي من جوامع كلمه الرائعة

إذا أنتَ لم تَفْقِدْ جَنانَكَ حينما جميعُ الأُلى حَفُّوكَ لاموكَ في الفَقْدِ

إذا أنْتَ لم تبرحْ بنفسِكَ وَاثقاً ، وإنْ شكَّ كلُّ الناس ، بلْ كنتَ عاذرًا

إذا اسْطَعْتَ أن تبْقى صَبُوراً بلا وَنىً ، وإنْ صِرْتَ مَرْمىً

الإفْكِ لم تصْحَبْ الافِكا
وإنْ صِرْتَ مَرْمَى الحِقْدِ لم تَغْدُ حاقداً ، ولـكنْ بلا زَهْوِ الفضيلةِ والعَقْلِ :

* * *

إذا اُسْطَعْتَ حُلماً دونَ أن تجعلَ الذي تراه من الاحلامِ فوقكَ سَيِّدًا
إذا اُسْطعتَ فِكراً دون أن تجعل الذي تَراهُ من الافكار غايتكَ القُصْوَى
إذا اُسْطَعْتَ أنْ تَلْقى (انتصاراً) و (نَكْبةً) ،وعاملْتَ ذَيْنِ الخادعيْن سواءَ
إذا اُسْطَعْتَ أنْ تُصْغي لحقٍّ ذَكَرْتَهُ فحرَّفَهُ الأَوْغادُ فخًا لأَغرارِ
أو اُسْطَعْتَ رُؤْيا ماقَدَيْتَ مُهَدَّماً فطأطأتَ تبنيه بعُدَّتِكَ الثَّلْمى[1] :

* * *

اذا اُسْطَعْتَ أن تَستجمعَ الرِّبحَ كُلَّهُ لدَيْكَ فتلْقيهِ الى رَمْيَةِ الحظِّ
فتخسرَ ، لكنْ تبتدِي بَعْدُ ثانياً ولن يذكرَ الخُسْرانَ لَفْظٌ لأنفاسِكْ

(١) الثلمى : البينة الثلم أي الكسر والتلف .

اذا أَسْطَعْتَ حَمْلَ القَلْبِ والبأسِ والقُوَى لتخدمَ منْ بَعْدِ انقِضَاءِ لها حَظَّكْ

فَتبقَى مُصِرّاً في ثَباتِكَ حينما مَضَى كلُّ شيءٍ فيكَ الاَّ (الارادَةُ)

وهذي تُنادِي وَحْدَها في جُموعِهِمْ : « ألا ثَابِرُوا ! » بالرَّغمِ مِنْ كُلِّ فقْدَانِ :

***

إذا اسْطَعْتَ أنْ تَرْعَى الفضيلةَ حينما تُحَادِثُ دَهْماءَ الجُموعِ منَ النَّاسِ

أو اسْطَعْتَ أنْ تمْضي بغيرِ ترفُّعٍ عن الخلْقِ إذْ تمْشي بقُرْبِ مُلوكِ

إذا لم يُوَفِّقْ شانِئوكَ ولا الأُلَى أحبُّوكَ في اخْلاَنِ يوماً لايذائِكْ

إذا أنتَ قدَّرْتَ الأَنامَ جَميعَهُمْ ولمْ تَغْلُ في تقديرِ فَرْدٍ بِهمْ يَوْمَا

إذا اسْطَعْتَ مَلأً للدَّقيقةِ ـ وهي لا تُسامِحُ ـ بالكافي من الجَرَيانِ

بحيثُ يُسَاوي ذلكَ الدَّأبُ عندَها مَقامَ الذي ساوَتْه ستّون ثانيهْ

فحينئذٍ هذي (البسيطةُ) كلُّها وكلُّ الذي فيها ستعرفُهُ مِلْكَكْ

وماهوَ أسمى ـ يا بُنيَّ ـ ستَغْتَدِي جديراً بحقٍّ أنْ تُلقَّبَ « بالرَّجُلْ »!



في حضن الريف

يومٌ في (قُطُور)

موطن أسرة الشاعر

مَرّتْ على ذِكْرى اللقاءِ شُهُورُ والقلْبُ مفتونٌ بهِ مأسورُ
وَطَنٌ حَنَنْتُ الى ثَراهُ ونَبْتِهِ ويظَلُّ بي هـذا الحنينُ يَثُورُ
فَصِفَاتُ أجدادِي ومَنْشأُ أُسْرَتي
حيثُ التَفتُّ تضمّهنّ (قُطُورُ)
مَرّتْ سنينٌ عِدّةٌ في غيبتي عنهُ، وما غابَ الهوى المذكورُ
إنْ أنسَ هلْ أنْسى جَمالَ سكينةٍ
فيهـا تَنَعَّمَ زائرٌ ومَزُورُ ؟!
حيثُ الضُحى متأَلِّقٌ بتحيةٍ حيثُ الأَشِعةُ بَهْرَجٌ مَنْثُورُ
ورَوائعُ الالوانِ ملءَ مَزارعٍ بسمتْ يُرَدّدُ وَصفَها الشّحرورُ
والسنديانُ مُرَنَّحٌ بجَمالِهِ والتوتُ مَزْهوٌّ بهِ مَسْرُورُ
ومُسِنّةُ الجُمّيزِ يلثم جِذْعَها عُشْبٌ، وتَسأَلُها الوقاةَ طيُورُ
القَرْيةُ السّمرَاءُ نقّطَ طِينَها اللقْلقُ (١) المتأمِّلُ المبْرُورُ

---

(١) اللقلق (Stauk) : طائر مصري مفيد ينقي الأرض من الحشرات الضارة بالمزروعات .

وتَلوحُ أحراجُ النّخيلِ كأنّها جُنْدٌ تَرُدُّ الدَّهْرَ حينَ يجُورُ !

لم ترْضَ غيْرَ الصفْوِ يَسكنُ قُرْبَها

فالهَمُّ عنْ جيرانِها مَحْسُورُ !

لا بِدْعَ إنْ عَبِقَ الهَواءُ بسُكْرِهِ

وتلا أهازيجَ المُنى العصفورُ !

فمشيتُ بينَ فواتِنٍ مبثوثةٍ والفاتِنُ الغاوي بها مَسْحُورُ !

مِلْءَ الحصى - مِثْلَ النّباتِ ومائِهِ

والنورِ - فاضَ منَ الإلهِ شعُورُ !

وحَسَدْتُ سائمةً يُلَطِّفُ عَيْشَها

هذا الجمالُ الشّائقُ المَعْمُورُ

وغبطْتُ مأسوراً لساقيةٍ بكَتْ والماءُ يضْحَكُ حوْلها ويَدُورُ

فجلسْتُ في ظِلٍّ النّخيل بقُرْبِها

أُصغي فيُسْرِفُ بَثُّها المَوْفورُ

والغَرْسُ يشكرُها بهزّةِ رأْسِهِ والبِشْرُ في لَمَحاتِهِ منْظُورُ !

حتى اذا سكنَتْ تمايلَ لوفُها وأتى يَئِزُّ حيالَهُ الزُّنبُورُ

والنّحلُ تُنْشِدُ شِعْرَها فتجيبُها

برَحيقِها الصّافي الشّهيِّ زُهُورُ

والجُدْجُدُ الفَرْحانُ يقصدُ جُحْرَهُ
مُتهادِياً يبدُو عليهِ غُرُورُ!
وأكادُ أنشقُ في التُرابِ أُلوهةً
وكأنّني (غَنْدِيُّ) أوْ (تاجورُ)!
لِمَ لا وأنفاسي بأنفاسِ الهوَى
تَسْرِي وهذا الكوْنُ منهُ سُطُورُ؟!
والرِّيفُ مِرْآةُ (الطَّبيعةِ) عندَما
تُجْلَى فيُنْشَرُ سِحْرُهَا المَسْتُورُ!
ما أطيبَ الحالي الأَصيلَ برقَّةٍ
يهفو لها المَكلُومُ والموْتورُ!
يأتي النَّسيمُ بهِ كإشفاقِ المُنَى
أو كالحبيبِ يَعودُ وَهوَ غفورُ!
والزَّرْعُ بَعْدَ تَهامُسٍ بحقُولِهِ
حيَّاهُ(١) مِنْهُ لعطفهِ جُمهُورُ!
وأنا السَّعيدُ بمَا أرى وأُحسُّهُ
وكأنمَا هوَ شِعْرِيَ المَنْثُورُ!
حتى أفاجأَ بالغُرُوبِ كأنَّهُ توديعُ مَنْ قدَّسْتُ وهوَ نَفورُ!

(١) حيا النسيم

وسمعتُ عن بُعْدٍ ربابةَ « شاعرٍ »
ونَشيدُهُ متموِّجٌ مَشْكورُ !
فأتَمَّ لي حُلْمــاً كأَحلام الصِّبا
فاضَتْ عليْهِ صَبابةٌ وسُرورُ !
وأظَلُّ أذْكُرُهُ عِياناً كُلَّما
أحْسَسْتُ أنّي البائسُ المأسورُ !

ساحِي نظرتي ...

ساحِي نظرتي الى ساعديْكِ ! فافتتانُ العيونِ عَذْبٌ لديْكِ
كُلُّ نُورٍ للشَّمْسِ قد ضاعَ الاَّ كَنْزُ نورٍ صانتْهُ في ساعديْكِ
خُضِّبا بالبَهيِّ مِنْ شَفَقِ الشَّمْسِ ومِنْ سُمْرَةٍ حكَتْ ناظريْكِ !
فتأسَّتْ عمّــا تبدَّدَ منها بجمالٍ يَفيضُ سِحراً عليكِ !
ويُمَلُّ الضِّياءُ مِنْ وَهَجِ الشَّمْسِ ءوما خَفَّ شَوْقُ رانٍ اليكِ !

الصبح الجديد

القيت في حفلة تكريم أدباء بور سعيد لشاعر مصر الكبير حافظ بك ابراهيم في كازينو الثغر يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٦ م .

أهلاً بشاعرِ (مصر) الباذخ الأَدَبِ
وبالفخورِ بمجدِ (النيلِ) و (العَرَبِ)

أتيْتَ مستشفياً هشَّ المقامُ لهُ
ونحْنُ حولكَ نستشفي على طَرَبِ!

فانَّ رُوحَك رَيْحَانٌ لأَنفسنا
مهما شكوْتَ مِنَ الأَوْصابِ والتَّعَبِ

ولَنْ تَضيرَكَ أَسقامٌ تُعالِجها
وبيْنَ جَنْبَيْكَ قلبٌ غيْرُ مضطَربِ!

أكادُ أسمعُ ألحانَ الرَّجاءِ بهِ
وهزْءَهُ بشقاءِ العيْشِ والصَّخَبِ!؟

وكانَ عهدٌ مضى يشكو الوجودَ وما
يزالُ وهو على الشكْوى كمغتربِ

كأنَّ مثلكَ لم يُخْلقْ لبيئتهِ
وانما حظُّهُ في مَوْطِنِ الشُّهُبِ!

فأيُّ فخرٍ لثغرٍ أنتَ عاشقُهُ ! [1]

وأيُّ قدرٍ لأُنْسٍ عنكَ لم يَغِبِ !

كأنمـا أنتَ عِيدٌ غيرُ منقطعٍ

لهُ بحُبٍّ وعَطفٍ منكَ مكتَسَبِ [2] !

نُدِبْتُ بين الأُلى حيَّوا تحيتَهُ

لفضلِكَ الجمِّ لـكنْ غيرَ مُنْتَدَبِ !

فالحقُّ يعلمُ كم قلبي يفيضُ هوًى

الى النُّبوغِ وكم أُزْجِي له أَرَبي

ولستُ تابعَ أفرادٍ أحامِلُهُمْ

لـكنَّ كلَّ رَجائي نُصْرَةُ الأَدَبِ

أنَّى التفتَّ تَرَ الثَّغْرَ الجميـلَ زها

بوحيِ عطفِكَ بسَّاماً بلا حُجُبِ !

وتُبصرْ الشمْسَ قدْ ردَّتْ أشعتَّها

لنسْجِ شعركَ في حَالٍ من الذَّهَبِ !

---

(١) اشارة الى ولع حافظ بك بالاصطياف في بور سعيد .

(٢) مكتسب : اشارة الى عناية بور سعيد باستحقاق هذا العطف منه .

وتَشهدُ البحرَ في ترحيبِ مرتقبٍ
ـ وأبلغُ الشَّوْقِ في ترحيبِ مرتقبِ ـ
مصفقاً وطُيورُ البَحْرِ راقِصةٌ
والرَّمْلُ يضحكُ بالإيناسِ عن كَثَبِ!
وتنظرُ الحُسْنَ في شتّى مشاهدِهِ
اليك يَنزِعُ بالنّجوى وبالطَّرَبِ!
فمن فُضولِ نشيدي بعد ما خطبتْ
هذي (الطبيعةُ) شعراً دُونهُ أدَبي!
لولا الوَفاء لاستاذٍ حفِظْتُ لهُ
قدراً يجِلُّ عن الألقابِ والرُّتَبِ
فمرحباً بامامٍ مِنْ أئمّتنا
يسمو على نزَواتِ الحقْدِ والرِّيَبِ!

***

وسائلٍ مِنْ شبابِ اليوْمِ عن طُرَفٍ
مِنْ سيرَةٍ لكَ في التاريخِ والكُتُبِ
أردتُ عتْباً له، لكنْ رَجَعْتُ فما
يُجْدِي العِتابُ اذا الأخلاقُ لم تُجبِ

وَالنَّجْمُ لو يَفْقَهُ الرَّاؤونَ نَشأتَه

خرّوا لهُ سُجَّداً من ثَوْرَةِ العَجَبِ !

وكم لبيبٍ جهولٍ سِرَّ قوّتِهِ (١)

في نظرَةٍ منهُ لم يُنصِفْ ولم يُصِبِ

فيا قريناً لنجمٍ كنتُ أرْقبهُ   منذ الطفولةِ في هَمٍّ وفي كُرَبِ

هيْهاتَ أنْسى شعاعاً كُنْتَ تُرْسلهُ

الى النُّفُوسِ برغم اللّيْلِ والسُّحُبِ

فكُنْتَ باعثَ آمالي ومُنْعِشَهَا

وكنتَ مُنْقِذَ وجداني من العطَبِ

في عُصْبَةِ الأزَمَاتِ التّاليات كما

تَتابعَ الهَوْلُ والزّلزالُ في غَضَبِ !

سَلْ الرّجالَ شَبابَ الأمْسِ عن أثَرٍ

لشِعركَ الحيِّ تلْقَ الفَخْرَ بالنّسَبِ

فكلُّهُمْ كانَ جُنْدِياً لمبْدَئِهِ

وكنْتَ أنتَ الفتى في المَوْقِفِ الحَزِبِ (٢)

---

(١) أي قوة النجم .   (٢) مبدئه : أي مبدأ شعره ، والحزب : الحرج الشديد .

يَهُزُّ شِعرُكَ أوتاراً لأفئِدَةٍ
وكنتَ إنْ أنتَ لم تَرْأفْ بها تَذُبِ !

فما عبأتَ بأخطارٍ مُهَدِّمَةٍ
بل كنتَ هدَّامَ أخطارٍ على لَهَبِ !

وصُنْتَ رُوحَ شبابِ الأَمْسِ مُقْتَدِراً
وسِرتَ من سَبَبٍ عالٍ الى سَبَبِ

ولم تُبالِ بتَهْدِيدٍ ولا جَزَعٍ
للقابعين[1] والماضين في لَعِبِ

أرَّخْتَ نهضةَ جيلٍ كنتَ تُسْعِفُهُ
بالوعظِ والحمدِ أو بالزّجرِ والطَّلَبِ

فما زعيمٌ مضى الأَ وكنتَ لَهُ
نعْمَ المُعِينُ بروحِ الجحْفلِ اللَّجِبِ[2]

قصائدٌ هي للآدابِ مفخرَةٌ
سارَتْ مسيرَ الهُدَى في كل مُضْطَرَبِ !

وما يزالُ دَويٌّ من وقائعِها
في مِسمَعِ الدَّهْرِ للاجلالِ والرَّهبِ !

(١) القابعين : يعني الجبناء . (٢) الجحفل اللجب : الجيش العظيم الاثر .

في كلِّ بيتٍ شُواظُ النَّارِ مزعجةً
للغاصبين وهزَّاتُ القنا السُّلُبِ ![1]

وكلُّ غضبةِ صدقٍ منكَ بالغةٍ
فصلُ الخطابِ وآياتٌ من الخُطَبِ!

مُرَدَّداتٍ بإيمانٍ كأنَّ بها
مجامعَ الوَحْيِ عن ماضٍ من الحُقُبِ[2] !

واللهُ يشهدُكم أنقذتَ مِنْ أملٍ
يومَ البلاءِ وكمْ بدَّدْتَ منْ سُحُبِ

وما شهادةُ مثلي فيكَ جائزةٌ
لكنَّ خيرَ بياني مِنْ بيانِ أبي[3] !

فقلْ لمنْ قامَ للتاريخِ يفْسِدُهُ
ومَنْ توغَّلَ في عارٍ منَ الكذبِ

ومَنْ يُخاصِمُ مخدُوعاً بلا سَبَبٍ
للفنِّ والعلمِ ، بلْ للعَبْثِ والغضبِ :

« لا تُتعبوا في سبيلِ الوهْمِ همَّتكم
أوْ تُشعلوا الحربَ في جمْعٍ من الخُشُبِ!

(١) السلب : الطويلة ، ومفردها سلب . (٢) الحقب : الدهور .

(٣) اشارة الى ما كان بين والد الناظم وحافظ بك من صداقة ادبية ومحبة قديمة .

فقدْ مَضَى الوهمُ مقتولاً بلا نَدَمٍ
وقد غدا العقلُ منصوراً على الحَسَبِ
إنّا لفي زمن حِصْنُ اليقين بهِ
هوَ الملاذُ لدَى الأخطار والنُّوَبِ
ولن يُذالَ (١) عظيمٌ في مآثرهِ
مهما تقلَّبَ دَهْرٌ أيَّ مُنْقَلَبِ ! »

* * *

أهلاً وأهلاً نصيرَ (الضّادِ) رافعَها
وخادِمَ الوطَنِ المفديِّ و (العرَبِ) !
و (حافظَ) اللهجةِ الفُصْحَى ومُمتِعَها
اذا اشتكتْ مِنْ أذى الجاني ومن سَغَبِ
لكَ الشِّفاه وللآدابِ نعمتُها
في كلِّ شِعْرٍ سريٍّ صادقٍ وأبي !
حتى يعودَ نَشَاطُ الأمسِ مزدَهِراً
كما يعودُ شُعاعُ الصُّبْحِ لِلهُضُبِ
مُعَمَّماً بِرَّةً عنـد الضُّحى فاذا
بالنُّورِ يختالُ من صَعْدٍ الى صَبَبِ (٢) !

(١) يذال : يهان . (٢) الصعد : الارتفاع . والصبب : الانحدار .

فلا نَباتٌ بلا شُكرٍ يَبوحُ بهِ ولا حَياةٌ بلا حَمْدٍ ولا دَأبِ !

جميعُها صُوَرُ الشكرانِ باسمةً وكلها في تحيَّاتٍ وفي رَغَبِ !

كذاكَ كُنْتَ لآمالٍ وجامعةٍ

منَ الطَّوائِفِ بَرًّا غيرَ مُنْشَعِبِ (١)

وأنتَ أهلٌ لأنْ تبقى وقدْ خَضَعَتْ

لكَ الهمومُ وشكْوى الرَّأسِ والعَصَبِ (٢)

وما مدَحتُكَ الاَّ مادِحاً وطني

ونشوةُ الأدَبِ القوْميِّ تُشْرِقُ (٣) بي

وإنَّ مجداً لمثلي أنْ يكونَ لنا

أمثالُ (تاجورَ) (٤) في فتحٍ وفي غلَبِ

فثِقْ بصِدْقِ شعورٍ كلُّهُ شرَفي وثِقْ بصِدْقِ مديحٍ كلُّه طرَبي



(١) غير منشعب : غير متباعد . (٢) اشارة الى شكوى حافظ بك الصحية .

(٣) تشرق : تضيء . (٤) هو شاعر الهند العظيم حامل جائزة (نوبل) .

الطبيعة والادب

نظمت على اثر نزهة في مياه بور سعيد مع شاعر مصر الكبير حافظ بك ابراهيم وطائفة من الادباء

هيهاتَ أنْ يُوفي الجمالَ ثنائي فالى الجمـالِ عِبادَةُ الشعراءِ

ذِكْري لهذا اليوم ذِكْرى نِعمةٍ
راحتْ كما وَلَّى عزيزُ رَجاءِ

جمعَتْ صميمَ الأُنْسِ بيْنَ تمنّعٍ (1)
لبقائِهِ ونحايُلٍ لبقـاءِ!

في حَضْرَةِ الأدَبِ البَهيّ تذوقهُ
في نَشْوَةِ المفتونِ بالصَّهباءِ!

وأنا الغريقُ ببحْرِهِ (2) في زَوْرَقٍ
يجري على البَحْرِ القريرِ ازائي!

بَحْرانِ: هذا باسمٌ بعذُوبةٍ يعلو على المِلْحِ (3) السَّريِّ الماءِ!

والشَّمْسُ في شتّى فنونِ دُعابةٍ
سكبتْ علينا الخمرَ في الأضواءِ!

(1) تمنع: تعذر. (2) اي في بحر الادب ــ اشارة الى حافظ بك ابراهيم.

(3) أي على البحر الملح، والسري: الغني بقيمته.

وأنا المنيء بخمرتي في سكرة ... هي للمكبر النفس كالإثراء

وأنا الغريق ببحر علم جامع ... للظرف والإمتاع والآلاء

وكأنما هو خالقي في صحبة ... كتجدد الأحلام بعد هناء!

طفنا بماء الثغر وهو[1] مرحب ... في حلة الكرماء والسعداء

حتى بدا باب (**الفنال**) كأنه ... باب الرجاء لخاطب العلياء!

والرمل رف بجانبيه كأنه ... در، وفي مرآه روح سخاء

والفحم في الإثراء ماس أسود ... قد رص رص جواهر بغطاء!

تركوه لا حرس عليه كأنما ... حرسته آمال[2] صباح مساء

وبدت تلال الملح في لمعانها ... بعذوبة في بشرها الوضاء

وجرى حديث الصفو وهو مسلسل

كالماء ـ بين خواطر الندماء!

أو مثل عذب الراح[3] وهي لظامىء

روح ترد الراح[4] بعد ظماء!

وجرت أحاديث النظم فقائل:

الشعر بالتبيان والإنشاء!

(١) أي الثغر (٢) آمال السفن والناس. والمعروف ان أغلى الماس هو الماس الازرق لندرته كما ان اغلى الدر هو الدر الاسود. (٣) الخمر (٤) النشاط والارتياح..

ومعلِّمٍ أفتى بأنَّ خيالَهُ (١) إنْ طاشَ أنواعٌ من الأقذاءِ !

وسِواهُ أكَّدَ أنَّ خيرَ بيانِهِ (٢)

لغةُ (الكتاب) ولهجةُ الفُصَحاءِ !

فأجبتُهُمْ – وأنا المُقِرُّ بفضلهمْ :

« الشعرُ بالحسِّ السَّرِيِّ النَّائي !

أبداً يُفتِّشُ عن خفيِّ سَعادةٍ

ويَطُوفُ في الدُّنيا طوافَ ضياءِ !

ويُصَوِّرُ الأشياءَ في أصباغِهِ تصويرَ ما تلقاهُ في الأشياءِ

ويُلَقِّنُ الإحسانَ في آياتِهِ ورواثعَ العلماءِ والحكماءِ

ويَبُثُّ مِنْ أسمى الشعُورِ مُسَدَّداً

يرمي جُيوشَ الظُّلْمِ والجهلاءِ !

فلكمْ بيانُ العُرْبِ إنْ شئتمْ ولي

هٰذا البيانُ الُحسْنُ ، فهوَ رجائي!

لُغَتي الذي يُوحيهِ ذَوْقي والذي

لَبَّى بهِ الأدَبُ الحديثُ نِدائي !

فبكلِّ لفظٍ مَشْرِقٌ لعواطفي وبكلِّ معنًى لي نُجُومُ سماءِ !

---

(١) و (٢) أي خيال الشعر وبيانه .

ما الذَّنبُ ذنبي إنْ تعثَّرَ قارئي فسبقتُ في سُوَرٍ منَ الإِسراءِ!
ما الشِّعرُ ألفاظٌ تُرَصُّ وإنما الشِّعْرُ نبْعُ عَواطِفِ الشُّعراءِ
وأنا المُطالَبُ بالوَفاءِ لبيئتي أمَّا الجنيبُ فلنْ ينالَ وَفائي

وغَرَائبُ الأمْسِ البعيدِ مكانُها
عندي كلَغْوِ الوَهْمِ والأهواءِ!
ديباجتي مِنْ عصرِ نورٍ سِرُّهُ
في الكهْرباءِ أراهُ لا البَطْحَاءِ[1]!
والحقُّ يعلمُ كم أكرِّمُ مجْدَها[2]
لكنَّ مثلي عاشَ غيرَ مُرَاءِ
وأرى فمي وحِجايَ ثمَّ يرَاعتي
مِلْكاً لِمَوْطِنِيَ الشَّقِيِّ شقائي!
ولسوف يُنصفني الزَّمانُ لدى غدٍ
إنْ فاتَ هذا اليومَ حُسْنَ جزائي»!

ثم أنشدْنا شَطْرَ تمثالٍ لهُ شَرَفُ الحياةِ[3] تحجَّبَتْ بِرِداءْ

---

(١) البطحاء: يريد بادية العرب (٢) أي مجد البطحاء.
(٣) كأنما التمثال فيه حياة محجبة.

تِمثالُ (دِلسبسَ) العظيمِ يُشيرُ في
ظَفَرِ الأَبيِّ بعزمةٍ ومضاءِ

فاذا بهِ عنوانُ شعرٍ خالدٍ (١) . كمْ عُدَّ وَهْماً في زمانِ غباءِ !
وكذلكَ الأدبُ الجريءُ تخالُهُ طوراً كداءٍ وهوَ خيرُ شفاءِ !

كالبَحْرِ في حَرْبٍ وملءَ عقيقِهِ (٢)
سَلْمٌ ، وانْ جَهِلَتْهُ عينُ الرَّائي !

ما كانَ أغذَى من هواهُ لِمُتْعَبٍ قَلِقٍ ، وأجدَى مِنْ نَداهُ لناءِ !

حتى انتهَيْنا مِنْ جميلِ طَوافِنا
والصَّحْبُ في جَدَلٍ وفي استِفْتاءِ

فنظَرْتُ نحوَ الشَّمْسِ قبلَ مَغيبِهَا
والشَّمْسُ عارفةٌ هوَايَ ودَائي !

فرَنَتْ كما رَنتْ (الطَّبيعةُ) كلُّها
لِمُنايَ بالتَّشْجيعِ والايحاءِ !



(١) اشارة الى تحقيق فتح قنال السويس .
(٢) عقيق البحر : عمقه ونهاية اسفله .

صداقة الادب

بعث بها الشاعر الى صديق أديب

وما باقةُ المَدْحِ التي قدْ بعثتَها
سوى الأدبِ البسّام مِن رُوحكَ الفنّي!
تأمّلتُ فيها العطفَ جَذْلانَ آسياً [1]
يردّ شقاءَ النفسِ والألمَ المُضني
بإذْنكَ يكفيني ودادُكَ حالياً
غِنًى لوفيٍّ عن مديحكَ يستغني!
فحبُّكَ مَدْحٌ لا يُماسُ لنائلٍ
وبِرُّكَ حِرْزٌ مِنْ مَلامٍ ومنْ غَبْنِ
وفَيْتَ، فقلْ للآثمي انّني الفتى
سواءٌ لديهِ المدْحُ أو شِدّةُ الطّعنِ!
فلستُ سوى الباني الكدُودِ لقوّةٍ
هي الخيرُ، لا غِرًّا يُهدّمُ ما يَبْني

---

(١) آسياً: مداوياً.

ضَحِكْتُ وقد هَبُّوا ثِقالاً لضَرْبِي
وكِدتُ لهم أبكي وقد جزِعُوا مِنّي!
كأنْ جهلوا أنَّ الجزاءَ لهمَّتي
جهادِي، فيُغنيني الجهادُ الذي يُغْني
لَذَاذَةُ نفسٍ يملكُ الفنُّ حُبَّها
وتبذلُ مبذولَ السَّخاءِ بلا مَنّ
وانَّ صديقي إنْ رأى الحقَّ شِرْعَتي
فليسَ يُحابيني، ولا يَنْثَني عَنّي
يُعزِّزُني في موقفِ الحقِّ طائِعاً
فيُكرِمُ للآدابِ ما أعزَّ مِنْ رُكْنِ
وليسَ يهابُ النقْدَ منْ جهْلِ لائمٍ
دَعيّ، ولا مِنْ حقْدِ مَنْ لم ينلْ ذِهني
ومنْ كانَ لا يُعْنَى بمدْحٍ ولا قِلًى
سَماَ، وكفاهُ الحظُّ مِنْ جهْدِهِ الفنّي!



الوَعد

عَزَّ اللّقاءُ وشاقَني الوَعْدُ ... أتُرَى يَبرُّ بمهجتي بَعْدُ ؟!
تَمضي أسابيعُ المُنى وأنَا ... كالنّار يُتْلِفُ عُمْرَها الوَقْدُ !
مَنْ مُبلغٌ حُسْناً أقدِّسهُ ... أنّي لهُ المَوْهُوبُ والعَبْدُ ؟!
مهْما شَكَوْتُ فلسْتُ شاكِيَهُ ... بل أشتكي الحظَّ الذي يَعْدُو!

لَيْتَ الجَمالَ وقدْ نَأَى وسَلاَ ... لم يَقْسُ حينَ أمَضَّني الوَعْدُ
ليتَ التي كانَتْهُ (١) فاتنةً ... أيُّ طَوَتْهُ (٢) كما انْطَوى العَهْدُ
راحَتْ وقدْ بقيتْ تذكِّرُني ... منها أغاني الصُّبْحِ والوَرْدُ !
ياليتَها ما خَلَّفَتْ أثَراً ... منها يُجمِّعُ حَوْلَهُ الوَجْدُ!
أنّى الْتَفَتُّ رأيْتُ رقّتَها ... في كلِّ ما يُشْتاقُ تَمتَدُّ !
هذي مآثِرُها مُنمّقةٌ ... في حالياتِ الكوْنِ تَعتَدُّ
فأرُدُّها عن خاطري ، وأنا ... جَمُّ الحَنانِ ، وما لهَا رَدُّ
وأصونُ حُبّي للتي رَحلتْ ... عني ولم يَبرحْ لهَا الودُّ

(١) اي الجمال . (٢) اي طوت لبه .

غابتْ فمتُّ بحسْرَةٍ وهوًى ... وكأنَّ هذا الصدَّ لي لَحدُ!
وظلاتُ أذْكُرُ وَعْدَها فاذا ... بالوعدِ مِثْلُ البَعْثِ لو يَبْدُو!
أوْ أنَّهُ تذْكارُ مَرْحَمَةٍ ... تَرَكَتْهُ فَوْقَ القَبْرِ ينهَدُّ!
جَمَعَ التَّناقضَ في تَصَوُّرِهِ ... وبِرَمْزِهِ الآلامُ والسَّعْدُ!

همس الاقدام

ذكرى حفلة رقص

يَهْمِسْنَ بالأَقْدَامِ كالْ ... أَلحانِ في نجْوَى القُلوبْ
وكأَنَّ وقعَ حفيفها ... شَوْقُ الرَّبيعِ لها الطَّرُوبْ
أوْ صوتُهنَّ وقد هَرَبْ ... نَ من الجِنَانِ (١) بلارقيبْ!
كلٌّ يخاصِرُهَا حبيـ ... ـبٌ، والوُجودُ (٢) لهاحبيبْ!
فترى القُدُودَ كأَنَّهـا ... صِيغَتْ من الشِّعْرِ العجيبْ!
بينا يُجاذِبُها النَّسيـ ... ـبُ تفُوتُ آياتِ النَّسيبْ!

---

(١) اشارة الى صوت جريهن على اوراق الشجر المنثورة في تلك الجنان ، وهو صوت اشبه بالهمس نسبة منه بالجلبة .

(٢) الوجود : الكون .

وتقولُ آلافَ المَعا ني للأديبِ والأريبْ
اللهَ في هـذا التَّـكَتُّـ ـمِ كم يَطيبُ وكمْ يطيبْ!
وأنا الرَّقيبُ لهـا أُمَتْـ ـتِعُ فوقَ إيناسِ الرّقيبْ
فـكأَنَّ حِسِّي كُل ما أفشتْهُ مِنْ حُسْنٍ وَطِيبْ
والشّاعرُ الفنّي ينْـ ـهَلُ مِنْ حَنانٍ لا يغيبْ
في رُوحِهِ وَحْيُ الجمـا لِ، ووَحْيُهُ رُوحٌ أديبْ!

نجمة المرقص

— مداعبة لمناسبة —

هي فِتنةٌ في فِتْنةٍ ونديمُهـا نِعْمَ النّديمْ
وكأنمـا فُتِنَتْ بهِ وكأنّه (حَسَنُ الحطيمْ) (١)



(١) الشاعر الرقيق المعروف. والمناسـبة مشابهة الراقص له في صورته وشكله وظرفه

مرآة نفسي

أبيات توديع للصديق الطبيب النابغة عبد الله بك جلال لمناسبة ترقيته من مستشفى بور سعيد الى ادارة مستشفى ملوي

هيهاتَ بُعْدُكَ يُنسِي ... مَنْ كان مَشْرِقَ أُنْس
مَنْ ذاقَ وِدَّكَ مثلي ... لا بُدَّ يَعْذُرُ يأسي
الى العُلَى يا (جلالُ) ... الى المُنىٰ والتَّحَسِّي
هــذا رَجاءُ المُرَجِّي ... هــذا عزاءُ المؤسِّي
أنتَ العظيمُ بحُبٍّ ... أنتَ الخطيرُ ببأسِ
وأنتَ جرّاحُ جِسْمٍ ... وأنتَ إبْلالُ نفْسِ
حَلَفْتُ أنَّكَ تجْري ... الى محلّةِ شَمْسِ [1]
فما النبوغُ لأَسْرٍ ... ولا الجـلالُ لحبْسِ
ولن يُجامِلَ وَهْماً ... في الحقِّ شِعْري وطِرْسي
فِراستي فيكَ صِدْقٌ ... وأكرَمُ الصِّدْقِ حَدْسِي

أنا المودِّعُ ، لٰكنْ ... نِصفُ الوَداعِ لنفْسي

---

(١) اشارة الى انتقاله الى ملوي والى ترقيته ايضاً .

وكم تَولَّى صديقٌ وكم شَقيتُ بأمسي
فكانَ أَوْلىٰ بمثلي صَبرُ الهُدَى والتأسِّي
لكنَّ طَبعَ وَفائي أن لا أضنَّ بحسِّي
وأنْ يفيضَ نظيمي قبلَ الوَداعِ بكأسي !

ولو نَسيتُكَ فَذَّا ما كانَ فضلُكَ يُنسِي
كُنْتَ الطَّبيبَ لأهلي كنتَ الشِّفاءَ ليأسِي
تَفُضُّ بالبِشْرِ هَمِّي فلا أعودُ لِنُكْسِ
كفيلسوفٍ كريمٍ سَناهُ معشُوقُ دَرْسِ
أُصغي اليهِ قريراً والشَّيْبُ يلهو برأسي
وكم دُعابةِ صَفْوٍ بذلتَها دُونَ بَخْسِ
وكم مآدِبِ نُورٍ نَعِمتُ منها بقَبْسِ
زَهَتْ على (بورسعيدٍ) وأشْرقتْ في(السويْس)
وكنتُ إنْ غِبْتُ عنها ذَكرتَني ذِكرَ حِسٍّ
كانتْ شعاعاً سَرِيّاً وكنْتُ (عبادَ شمسِ)!

فيا صديقاً عزيزاً ورَبَّ فضلٍ وغَرْسِ

إِكرامُ مِثْلِكَ عندِي | إِكرامُ أبناءِ جِنْسي
فتَّشتُ عن خيرِ ذِكرى | أَدْنَىٰ لِحِسِّي ولَمْسي
تعيشُ بعدي وَفاءً | إِنْ غيَّبَ الجسْمَ رَمْسي
اذا نظرتَ اليها | رأيتني دُونَ لَمْسِ
وإنْ عتبتَ عليها | غنّتْ أغاريدَ (**قيس**)
وانْ تأمَّلتَ فيها | باحتْ بسِرِّي وهَمْسِي
فلم أجدْ غيرَ شِعْري | فالشِّعرُ مِرْآةُ نفسِي!

الأفواه

التغالي والتقلب

كِلاهُمَا في نَشَاطٍ | يَدْعُو لِنبْذِ التَّغالي
لٰكنَّهُ في آندِفاع | يَحْيا حياةَ المُغالي!
كِلاهُما رَبُّ وَعظٍ | يَرى سِوَاهُ الجَهُولاَ

وَيحسَبُ النَّورَ عَقْلاً لَدَيْهِ بذَّ (١) العُقُولاَ !
تَبادَلاَ هٰكذا نُصحاً يُناقِضُ نُصْحَا
كِلاَهمـــا حاسِبٌ ما يدَّعيهِ الأصَحَّا !
فلامَ زَيْدٌ أخاهُ على تَراخي يَقينِهْ
ولامَ خالدُ زيداً على جُنونٍ بدِينِهْ !

وَمَرَّ حَوْلٌ فأضْحى زيدٌ أميرَ الصَّبابَهْ !
وصارَ خالدُ حَقَّاً خليفةً للصَّحابَهْ !



(١) بذ : غلب وفاق .

أحمد لطفى بك

النبوغ الأبي

خلُّوا البُكاءَ على العظيمِ النّائي
إنَّ الخلودَ منازلُ العُظَماءِ !

لا تُوهِموني أنَّ أصلَ ضيائِهِ
مَوْتٌ ، وأنَّ النفسَ غيرُ ضياءِ !

النَّجْمُ تُطْفِئُهُ الدُّهُورُ ، ولا أرَى
للعقلِ بالإنْتاجِ أيَّ فناءِ !

إنْ تجزَعوا فابكوا على أحلامِكُمْ
إنْ تَهِنَّ (١) خلفَ شُعاعِهِ الوضّاءِ

مَنْ عاشَ مَشبوبَ الذَّكاءِ فما لهُ
عَوَزٌ (٢) الى ذِكْرٍ وشِعرِ رثاءِ

فبرغمِ غَدْرِ الدَّهْرِ ذِكْراهُ العُلى
تبقَى بقاءَ الحَقِّ دُونَ مِرَاءِ (٣)

---

(١) تهن : ضللن . (٢) عوز : حاجة .

(٣) مراء : مجادلة .

ما النَّاسُ غيرَ النَّابغينَ بفضلهمْ
المالئينَ مراتبَ الأَحيــــاءِ !

جاءَ النَّعِي فكدْتُ أصْعَقُ من أسًى
ثمُ استفقْتُ على نحيبِ [1] بُكائي !
فَخَجِلْتُ مِنْ جَزَعي العيِّ وانْ يكنْ
جزعي قرينَ بنُوَّةٍ واخاءِ !
وَشهِدْتُ ضَعْفي رَغْمَ دَفْعِ عقيدَتي
وعَرَفْتُ كيفَ رزيئةُ [2] النبهاءِ
ولكم تعدَّدتْ الفجيعَةُ قبلَهُ
في العلمِ والآدابِ والآلاءِ
فاذا المُصابُ بهِ جُموعُ مصائبِ
وخَسَارَةُ الآباءِ والأَبناءِ !

(لطفى) ! ومِثلُكَ جامعُ الأَلطافِ في
خُلُقٍ، وفي عَمَلٍ، وفي أنداءِ [3]

---

(١) النحيب : رفع الصوت بالبكاء.
(٢) الرزيئة : المصيبة العظيمة.
(٣) جمع ندى ، وهو الجود.

يا مُطلِقَ السجناءِ يومَ بلائهمْ ... أدرِكْ مُحِبًّا باتَ في السُّجَناءِ !
فالحزنُ قيّدَ خاطري في لحظةٍ ... فَذَهَلْتُ بين مصيبةٍ وعزاءِ !
الفقدُ حقٌّ ، والبقاءُ محقّقٌ ! ... مَنْ لي بذهنِكَ مُسْتَمَدَّ ذكاءِ !
ضَلَّتْ قُوايَ وحِرْتُ في الدُّنيا التي
فيها الحيـاةُ تَناقُضُ الأشياءِ !

ومحدِّثٍ عنْ سيرةٍ لكَ فخمةٍ ... مِنْ عهدِ مدرسةٍ لعهدِ علاءِ
تَخِذَتْ من القانونِ عزّةَ عرشِها ... ومِنَ النزاهةِ تاجَ كلِّ سَناءِ
وتقلّبتْ ما بين فضلِ مُعَلِّمٍ ، ... والمدرِهِ المحبوبِ للزملاءِ
ومتاعبِ الساعي لنشرِ تعاوُنٍ ... للزارعينَ ، ومُرشِدِ الدَّهْماءِ
ومُدافعٍ بسياسةٍ وحماسةٍ ... في النكبةِ الوطنيّةِ الدَّهْياءِ
هيَ جَمْعُ أوصافٍ : أقلُّ عديدِها
فَخْرُ الرِّجالِ ومُرْتقى الأُمَراءِ !

فسمعتُ راويةَ المآثرِ مثلما ... أسْمَعْتُهُ المجهولَ مِنْ آرائي
وسألتُهُ : « هلْ أنتَ تدري بعدما
أحصيتَ منْ آلائِهِ الغَرَّاءِ !

ومواقفٍ هيَ للدَّوامِ شهيدةٌ بالمجدِ ، لم تطلبْ أقلَّ جزاءِ

وعواطفٍ هيهاتَ يُدْرِكُها البِلى
نُشِرَتْ كَنَشْرِ النورِ واللألاءِ

ما غابَ عنكَ ، وكانَ أسمى نفسِهِ .
منْ شيمةِ القُوَّادِ والزُّعماءِ ؟ »

قالَ : « الفِداءُ لتَوْمِهِ بجهادِهِ
حتى قضى ومضى بأشْرَفِ داءِ ! »

فسكتُّ ، ثمَّ أجبتُهُ في حَسْرَةٍ :
« كلاَّ ! .. ولكنْ عاشَ غيرَ مُرَائي !

وأبى بعيدَ الصِّيتِ حتى جاءَهُ (١)
والناسُ تَعْبُدُهُ (٢) صَباحَ مَسَاءِ ! »



---

(١) و (٢) اي الصيت وهو الشهرة .

جزاء اليقين

ألقيت هذه الابيات في توديع رجل الوطنيـة الشهم المصلح الغيور الاستاذ محمود بك حسن محافظ السويس في حفلة توديعه بفندق بلير يوم الاربعاء ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م . وكان سعادته شبه منفي فيها بحكم الوزارة الزيورية المشؤومة .

فيسبيلِ اليقينِ تُنفىٰ وتَنعمْ ولكَ المَبْدأُ المُبجّلُ مَعْلَمْ

فيسبيلِ العُلىٰ انتقالكَ مشكو راً ، فعِشْ للعُلىٰ وفيًّا معُظَّمْ

كُنْتَ للثغْرِ زينةً تُعْجِبُ الحَقْ
قَ ، فهيْهاتَ في النَّوَى إنْ تبَسَّمْ !

جئتهُ في مواقِفِ الُحزْنِ شتَّى فانقضى مأتمٌ عَرَفْنا ومأتمْ !

صُنتَ فيهِ الأَخْلاقَ مِنْ ضَيعةِ اللهْ
وِ واكسبتَها بعقلِكَ مَغْنَمْ !

وبذلتَ الإِصلاحَ بذلَ أُولي الجو
دِ كبيرَ الفؤادِ لا تتحكمْ

شكرَتْكَ الآدابُ والعِلمُ والاحْـ ـسانُ والنبلُ شكرَ برٍّ محتّمْ

ياعظيمَ الحِجَا كما أنتَ في الودْ دِ عظيمٌ ، وفي المآثرِ أعظَمْ !

وجليلَ التّذكار من كُلِّ (**محمو** دٍ) عزيزٍ قرينِ إسمِكَ يُكْرَمْ
لكَ عُذري اذا عَجزتُ عن التّوْ ديعِ في موْقفِ الوفاءِ المُجَسَّمْ
شغلتْني متاعبُ العيْشِ مغبو ناً ، فسامحْ قصورَ وافٍ تظلَّمْ
وشفيعي اليكَ خُلقي ووجْ
داني ، فبالنّفْسِ مثلُ نفسِكَ أعْلَمْ
وشفيعي الصديقُ ينثرُ ألفا ظي كنثرِ الزهورِ حَوْلكَ تُغْنَمْ
فتمدَتكَ (**السويسُ**) فقدَ إمامٍ
فالعُلى دائماً بمثلِكَ تأتمْ !
وارتضتْ خُسْرَها لمغنمِ (**مصر**)
هكذا كُنتَ منْ يُضحِّي ويَعلَمْ
في رِضى (مصرَ) كم بذلتَ هنيئاً
في هوى (مصرَ) لا تزالُ المتيَّمْ
تَغضبُ الغضبةَ الشّريفةَ للحقْ ق وتشقى شقاءَ منْ ليْسَ يندمْ
وتعافُ الغرُورَ والجُبْنَ والذلْ لَ وحُكما منَ الفَسادِ المُنظَّمْ
هكذا بالمبادِيءِ الغُرِّ تُبنى دَوْلةُ النورِ والدُّجى يتهدَّمْ !
يا زَعيماً بنفسِهِ وهُماماً في ملمّاتنا ... تقدّمْ ! تقدّمْ !

العصا البكرية

أبيات مداعبة في رثاء عصا تذكارية ثمينة مفقودة لصديق الاديب الاستاذ عبد الله بكري نظمت اجابة لاستغاثته الصارخة ونصها :

ارسل الي بسرعة برشامة اذ انني ياصاحبي محموم !
ضاعت عصاي - ولن اراها - فارثها بقصيدة منها تضيع هموم !

سلبوكَ ياخِلِّي عَصَاكْ وكأنَّ « شاطرَهم » عصاكْ (١)
كانتْ صديقَكَ في انتقا لِ واقتتالٍ « واحتكاكْ » !
الأَرْضُ تخشاها ويخ شاها بغضبتِكَ السِّماكْ !
والغانياتُ يخفْنَ مَرْ ماها كما تُخشى الشِّباكْ !
وكأنما هيَ سِحرُ (مو سى) تستقلُّ بهِ يداكْ !
اللهُ أكبرُ حينما تختالُ سابقَةً خُطاكْ !
في زينةِ الحُسْنِ الأبيْ يِ ومِنْعَةٍ تأبى الفِكاكْ
تحيي هَواها مثلما مِنْ بِرِّها تحيي هَوَاكْ
حتى كُنيتَ (أبا العصا) « شَرَفٌ » تمنَّاهُ سِوَاكْ !
ياليتَ شِعْري هلْ دَهَا ها في غِيابِكَ ما دَهَاكْ ؟!

(١) يقال عصا الرجل اي ضربه بالعصا .

واللهِ أخشى أنْ تكو	نَ قضتْ « وفكّكها » نَواكْ
وتجزّأتْ في ظِلِّ دُكْ	كانِ هنالِكَ أو هُناكْ !
اللهُ يرحمُها ويجـ	ـعلُ رُوحَها رُوحَ المَلاكْ (١) !
حتى تظلَّ لكَ الهُدَى	وتكونَ في حقٍّ فِداكْ !
واللهُ يُلهِمُكَ العزا	ءَ كِفَاءَ (٢) فضلِكَ أو جَدَاكْ
ما كُنتَ أوَّلَ عاشقٍ	بيْنَ الضَّياعِ والارتباكْ
لكنْ صفاتُكَ أنْ تعفْ	فَ اذا حكمتَ على عِداكْ
« بكرٌ » المحـامدِ غنيةٌ	لكَ عن حلاكَ وعن عصاكْ !

***

ثم بلغ الشاعر ان صاحبه استطاع استرداد العصا من سارقيها بعدايام ثلاثة فكتب اليه مهنئاً :

عادَتْ عصاكَ فمرحباً	بوفاءِ أوْفى مؤْنِسِ !
وكأنما هي (يونسٌ)	مِنْ غَيْبةٍ في القيطَس (٣) !
فاقبلْ تهانِئَنا التي	دارَتْ مدارَ الاكؤسِ

(١) الملاك مخفف ملاك وهو احد الارواح السماويه .

(٢) كفاء فضلك : اي مساوياً فضلك .

(٣) القيطس هو العنبر اشارة الى حكاية ابتلاعه النبي يونس وحمله اياه ثلاثة ايام في بطنه ثم خروج النبي حيا منه الى الشاطيء .

واحرصْ عليها ياصديـ قي كالنّفيسِ الانْفَسِ
فلقد تقومُ عصا الأديـ بِ مقامَ بعضِ الأَنْفُس !

ورد ونار

وصف راقصة في ثوب أحمر وفي فمها وردة حمراء قد عضت عليها

رَقَصَتْ وفي فمِها المُوَرَّدِ وردَةٌ
عكستْ لهيبَ الشَّمْسِ مِنْ بُرْدَيْها !
فَوَدَدْتُ لو عَضَّتْ عليَّ وأشفقتْ
مِن نارِ وَرْدَيْها ومِنْ شَفَتَيْهَا !



الزهر القتيل

وصف الزهر الذابل طي كتاب الحبيبة

أجريتِ للزَّهْرِ القتيلِ دُموعي وأثرْتِ مِنْ قلبي وَفيَّ وَلوعي
قبّلتُهُ وشممْتُهُ وضممتُهُ وحنينُهُ مثلي حنينُ رُجوعِ
أرْسلتِهِ طيَّ الكتاب فماتَ في كَنَفِ الجمالِ الحاكمِ المتبوعِ !
أودى الفراقُ به، وقد كفّنتِهِ برسالةِ الحبِّ المُثيرِ نزوعي

فودَدْتُ لو أنّي القتيلُ مكانَه
بيديْكِ ... لا أرضى رجاءَ شفيعِ !

لم يَبْقَ منهُ سوى تحيّتِكِ التي فاحتْ كما فاحَتْ جِنانُ ربيعِ !

وكأنّما هيَ فيهِ رُوحٌ دائمٌ
رَغْمَ الذبولِ، فماتَ غيرَ جَزوعِ !
واعتزَّ في الظَّرْفِ(١) العزيزِ كأنّهُ
مَلِكٌ بتابوتِ السَّنا المَطْبوعِ !
وكأنّما الأحلامُ قدْ زَفّتْهُ لي
من سالِفِ الأجيالِ لا الاسبوعِ !

(١) اي ظرف الكتاب .

شُكراً مُعَذِّبَتي وألفَ ضَراعةٍ

لجمالكِ الجاني الضنينِ خُضُوعي !

مِنْ صَفْوِ وجداني و نَبْعِ عواطفي

مِنْ كلِّ إحْساسي و مِنْ مجموعي

أنْسيتِني بالأُنْسِ حَولكَ وافراً

مِنْ منظرٍ ضاحٍ [1] و مِنْ مسموعِ

وأنا أَئنُّ بِغُرْبتي في حَسْرَةٍ وتعاسةِ المحرُومِ والمَفْجوعِ

حتى ذَكَرتِ شقاوَتي فبعثْتِ لي

هـذا العزاءَ لقلبيَ المصدُوعِ !

مَنْ ذا الذي جعلَ الضحيَّةَ [2] سُلْوَةً

إلاّكِ ، والإرْضاءَ نثْرَ دُمُوعي ؟!



(١) ضاح : بارز للشمس . (٢) يشير الى الزهر الذابل في كتابها .

ترنيمة « أتون »

منقولة حرفيا تقريبا بأسلوب النظم الحر (Free Verse) عن ترجمة الاستاذ برستيد لمنظومة أخناتون الشهيرة . وهي برغم سذاجتها وضعفها من مفاخر الشعر المصري القديم لأعظم فراعين مصر فكراً وحساً بل الانسان الروحي الأول الذي دعا الى وحدة المادة والاخاء الانساني العام .

تَبَلَّجُ الفَجْرِ حَالٍ بأُفْقِ هذي السَّماءْ ،
يا (أتونُ) [1] الحيُّ يا مستَمِدًّا للحَياهْ !
عندَما أنتَ تَعتَلي أُفُقَ الشَّرْقِ للسَّما
كُلُّ أرْضٍ ملأْتَها مِنْ جَمَالِ مَلَكْتَهُ ؛
فأنتَ حالٍ عظيمٌ يزْهو على الأرض بُعْدًا ؛
حَصَرَتْ أشعَّتُكَ الحُقُولَ وإنْ تكنْ ما قد صَنَعْتَ .
فأنتَ (رَعٌ) [2] ونراكَ الذي مضيتَ بهمْ كلّهمْ آسِرًا ؛
وُثقَتَهُمْ طَوْعَ حبِّكْ .
برَغم بُعدِكَ هذا ، على الثرى إشعاعُكْ ،

(١) أتون : قرص الشمس ، وقد عدها أخناتون (أمنحتب أو أمنوفيس الرابع) مظهر القوة الالهية المختفية وراءها ، وله العذر في ذلك الوقت حيث رآها موجدة الحياة على الارض والكفيلة بدوامها .

(٢) رع : اله الشمس الأصيل قبل ظهور فلسفة أخناتون الوحدانية التي قضت على جميع الارباب الآخرين .

وَرَغمَ هذا السُّمُوِّ ، هذا النهارُ تجلّى كالرّسْمِ مِنْ وَقْعِ خَطْوِكْ.

عندَما أنتَ تَنْتَحي أُفُقَ الغَرْبِ وتمضي مُوَدِّعاً في السَّماءِ ،
يَصيرُ هذا الوجودُ بظُلْمَةٍ مِثْلَ مَيْتٍ .
ينامُ الرّجالُ بقاعاتِهِمْ ،
وقد لُفّتْ رُؤوسُهُمُو ،
سَكَنَتْ أنوفُهُمُو وصاروا لا يَشَمُّ البَعْضُ بَعْضَا .
سلِبُوا متاعاً كانَ تحتَ رُؤوسِهِمْ
بينَما هم جاهلونْ .
كلُّ ضرغمٍ بَدَا جائلاً مِنْ عَرينِهِ ،
كذا جميعُ الأفاعي ، وكلُّها لادِغَهْ .
يَسُودُ الظّلامُ ،
ويسكتُ العالَمُ
فإنَّ مَنْ قد بَراها بأُفْقِهِ يستريحْ .

تُشْرِقُ الأَرْضُ عندما أنتَ تُشْرِقْ ،
في نهارٍ تُشعُّ ملءَ (أتونِ) .

ينقضي الإِظلامُ
عندما تُرْسِلُ الأَشِعَّةَ مِنْكَ ،
كِلاَ الأَرضَيْنِ في (مصر) تَقْضِّي يومَها عيدًا ،
فقدْ فاقَتْ وقد هبَّتْ ،
لأَنَّكَ كنتَ مُوقِظَها .
ولَمَّا استحمُّوا أَتَوْا بالملابسْ ،
وقدْ رَفعوا السواعِدَ مِنْ هيامٍ ـ هيام عبادةٍ بك في بزُوغِكْ
ثُمَّ في الـكَوْنِ كلِّهِ يَذْهبون لِلْعَمَلْ .

كلُّ البهائمِ تَمْضي لِرَقْدَةٍ في الحشائِشْ ،
وكذاكَ الأَشجارُ مثل النباتاتِ تَبدَّتْ جَميعُها في تَرَعْرُعْ ،
وتُرفرفُ الأَطيارُ في بِرَكٍ مُحَبَّبَةٍ اليها ،
وقدْ رَفعتْ مِنْ أَجلِ تقْدِيسِكَ الأَجْنِحَهْ .
وجَميعُ الخِرَافِ راقصةٌ تَزْدَهي حوافِرُهَا ،
وكُلُّ مُجَنَّحٍ طارَا ،
فجميعُها تحْياً مَتَى أَرسلتَ نُورَكَ فوْقَها .

في مَجالِ التيّارِ تَرْتحلُ الأُطوافُ [١] ما بينَ جيئةٍ وذهابٍ .
وكلُّ طريقٍ صارَ يُفتَحُ هكذا لأنكَ قدْ أشعَعْتَ فوقَ مَدَاهُ.
ويَطفُرُ سَمَكُ النّهْرِ في الفضاءِ أمامَكْ ،
وفي المحيطِ العَظيمِ أرْسلتَ فَيْضَ الأَشعَّةْ .

أنتَ ذلكَ المُوجِدُ للجَنينِ بأُنثى ،
وأنْتَ تَصنعُ خَلْقاً بِذرَةِ الرَّجلِ ،
وأنتَ مَنْ وَهَبَ الرُّوحَ للجَنينِ بأُمِّهْ ،
ومَنْ يُسلّيهِ لُطْفاً فلا ينوحُ ويبكي ،
فأنتَ حاضِنُهُ في مدَّةِ الرَّحِمِ .
ومَنْ يَجُودُ بنفْسٍ لكلِّ مَنْ قدْ بَرَاهْ .
وعِندَما يترُكُ الجَنينَ . . .
في يومِ ميلادِهِ ،
فأنتَ تفتَحُ فاه منادِياً في كلامٍ ،
وأنتَ تُعطيهِ حاجَهْ .

---

(١) أطواف : Barques ، مفردها طوف ، وهو خشب النقل العائم على النهر .

عندَ ما يصرخُ الفرّوجُ في داخل البيضةِ ،
تُعطيهِ رُوحَكَ حتى يبقى بروحِكَ حيًّا ،
عندَ ما أنتَ بالغٌ حذقَ اتقانِ صنْعِهِ
فيستطيعُ أنْ يَثقُبَ قِشرَةَ البيضةِ ،
نراهُ ينفذُ منها ،
مُزَقْزِقاً بقُواهُ ،
يجْري على قدَميْهِ
مُتي أتى مِنْ مَقرِّهْ

كم مِنْ تنوُّعِ صُنْعِكْ !
وكلُّها عَنْ مَجالي عيُونِنا مَخْفيَّهْ ،
يا أيُّها الفرْدُ الإلهُ جلالةً فقُواهُ ما أحَدٌ سواهُ ينالُها
فالأرْضُ أنتَ خلقتَها تبعاً لشوقِ إرادَتِكْ
بينما كُنتَ أنتَ وَحْدَكَ حيًّا :
فأناسٌ ، كذا السَّوائمُ شتّى ،
وجميعُ الذي على الأرْضِ دَبَّا ،
فوقَ هذي الأقدامِ في جَولانِ ؛

وكلٌّ ما قد سما ،
الطّائراتُ بأَجْنُحٍ .
أقطارُ (سُورْيا) و (نوبْيَا)
وأرْضُ (مصرَ) كذلِكْ ؛
أنتَ واضِعْ كلِّ إنسانٍ كذاكَ بمَوْضعِهْ
وأنتَ تُعطي احتياجَهمْ
كُلٌّ لديْهِ مَتَاعُهْ ،
مَحْسُوبةٌ أيَّامُهْ .
وفي الكلامِ لهم لُسْنٌ مُنوَّعَةٌ ،
كذلِكَ أشكالُهُمْ وجُمْلةُ ألوانِهمْ
لأنّكَ أنتَ المقسِّمُ وزَّعتَهُمْ شعُوبًا .

أنتَ توجدُ (النيلَ) في العالَمِ الأسفلِ ،
وأنتَ تأتي مُريداً بهِ ليُحْيي الأنامْ .
إيهِ ياسيِّدَ الجميعَ متى سادَ في الجميعِ القصُورُ
إيهِ يارَبِّ كلِّ بيْتٍ مشْرقاً لأجْلِهْ ،
ايهِ ياشمْسَ النهارِ ورَوْعَ أرْضٍ نازِحَهْ

أنتَ أيضاً واهبٌ لهمُو أرْواحَهُمْ .
فأنتَ أجريتَ (نيلاً) لدَى السَّماواتِ أعْلىٰ
حتى يُصَبَّ لأجلِهِمْ ،
فَوْقَ الجبالِ فيُوضُهُ كالْبحرْ كوْنَها عظيماً ،
راوِياً حُقولَهُمْ بين هاتيكَ القُرَى .

أعظِمْ بما قدْ رَسَمْتَ ياسيِّداً للخُلُودِ !
(فالنّيلُ) رَهنَ السماءِ خَصَصْتَهُ بالأجانبْ ،
وللسوائِمِ ترْعىٰ بكلِّ أرْضٍ وقُطْرٍ ؛
لٰكنّما ذلكَ (النّيــلُ) الذي يأتي مِنْ عالَمٍ واطيءِ في (مِصْرَ) غايتُهُ .
كذا أشِعّتك الحسناء واهبةٌ أشهى الغذاء لبستانٍ و بستانٍ :
متى نهضْتَ تراها تحيا وتنمو وتزكو .

خلقتَ أنتَ الفُصُولَ ، لـكيْ تصوغَ جهودَكْ ،
فالبَرْدُ مَنْحُ الشتاءِ ،
والحرُّ يأتي بصيفٍ .

وكوَّنتَ أنتَ السماءَ البعيدةَ كيما تُطِلَّ على العالمين ،
وكيما ترى كل ما قدْ صنعتَ ،
عند ما كُنتَ أنتَ الوحيدْ ،
وكنتَ تُشْرِقُ حياً ممثلاً (بأتونْ) ،
فتبزُغُ ثمَّ تمضي بنورِكَ ثم ترجعْ .

إنما أنتَ تَصْنعُ الحسْنَ للشكلِ فريداً مِنْ حُسْنِ ذاتِكَ وَحْدَكْ ،
في بلادٍ وفي قُرَى ومنازِلْ ،
في سبيلٍ وفوْقَ نَهْرٍ كذلكْ ،
كلُّ العيونِ تراكَ أنتَ أمامَها ،
فأنتَ رَبُّ النهارِ مَنْ سادَ فوْقَ البسيطَهْ .

تقيمُ أنتَ بقلْبي ،
وما دَرَى بكَ خَلْقٌ ،
الاَّ الفتى (أخنتون) .
هو ابنُكَ مَنْ لَقَّنْتَهُ فَهْمَ حِكْمتِكْ

وفَهْمَ قُوَاكْ

الخلقُ تَبْقى في يَدِكْ ،

حتى كما أبدعتَهُمْ .

فاذا بزغتَ حَيُوا ،

واذا غربتَ قَضَوْا .

فأنتَ أنتَ الخلودُ يَدُومُ خلفَ الجوارحْ ،

بك الانسانُ يَحْيَا ،

وعيونُهُمْ ترنو لِحُسْنِكْ

حتى تغيبْ .

يُلْقَى على جانبٍ كلُّ اجتهادٍ وشُغْلٍ

متى توجَّهتَ أنتَ الى المغيبِ بغَرْبٍ .

وعندما أنتَ تبدو فكلُّها في نُمُوٍّ . . .

منْ حيثُ أنكَ أنتَ أسَّسْتَ هذي البسيطهْ ،

أنبتها كلَّها مجامِلاً لفتاكَ ،

مَنْ جاءَ مِنْ أعضائكْ ،

مَلِكٌ يعيشُ على الحقيقهْ ، . . .

فتاكَ (أخناتونُ) مَنْ عُمْرُهُ طائلُ .

وكذا لزوجتهِ وبهجتهِ العظيمَهْ
ربّة الأرضِ ، . . . (نفريتيتي) [١] ،
بحَياةٍ ونِعْمةٍ في دَوَامِ .



الببغاء

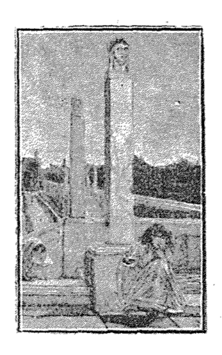
او طفيلي النقد

أهلاً بنقدِكَ أهلاً يا سَيِّدي الببَّغاء !
نَشَرْتَ للسّخْر فصلاً حوَى فنونَ الهراء !
لو كُنتَ تدْري سألتُكْ مَنْ أسخفُ الصائحينْ ؟
ومَنْ يُقلِّدُ صَوْتَكْ ، إنْ نَاحَ في النَّائحينْ ؟ !
زعمتَ أنّي أثيمْ قَتلْتُ شِعْراً وحِكْمَهْ !
صدقتَ ! أنتَ عليمْ بكلِّ إثمٍ ونِقْمهْ !

(١) الملكة (نفريتيتي) زوجة (أخناتون) كانت ابنة (آي) احد النبلاء ، وقد تزوجها (اخناتون) لما كان اميراً قبل اعتلاء العرش حيث كان يدعى (الامير امنوفيس) ، والمعروف انها كانت مشاركة له في جميع آرائه .

عفواً أميرَ البيانِ ! لزلّةٍ لِلِّسانْ !
إذْ كُنتُ كالسكرانِ فضاعَ رُشْدُ الجنانْ !
ذَنْبي العظيمُ شعوري ذاكَ الذي هو شِعْري
ولم يكنْ جُمهُوري الأ ضميري وفِكري !
فما تمثّلَ فيهِ الاَّ جناني وقلبي !
وكلُّ مَنْ يصطفيهِ ينالُ شخصي ولُبِّي !
فكلُّ شِعْرٍ أقولُ عقيدةٌ وحياةُ
ولستُ يوماً أحولُ وإنْ نَعاني النُّعاةُ !
فما تذبذبتُ يوماً ولا عُرِفتُ جبانا
وعِشْتُ أنشرُ عِلماً ورحمةً فَنَّانا !
وكانَ فرضاً خضُوعي لوحْيِ هذا وذاكَا !
مطأطئاً للجمُوعِ رأيي وذِهني كذاكَا !
مقلِّداً دُونَ حِسٍّ معقِّداً أسلوبي
لكيْ أفوزَ بقَبْسٍ مِنَ الجمالِ العجيبِ !
وعِندَها كُنتُ أغدُو ربَّ النُّهى العبقريهْ

وكُنتُ أزْهى وأبدُو عَلاَّمةَ العَربيَّهْ !
فاقبلْ مَتابيَ واغنمْ ـ ما شئتَ ـ حسْنَ الجزاء
فاليومَ أصبحتُ أعلمُ مآثرَ الببغاء !



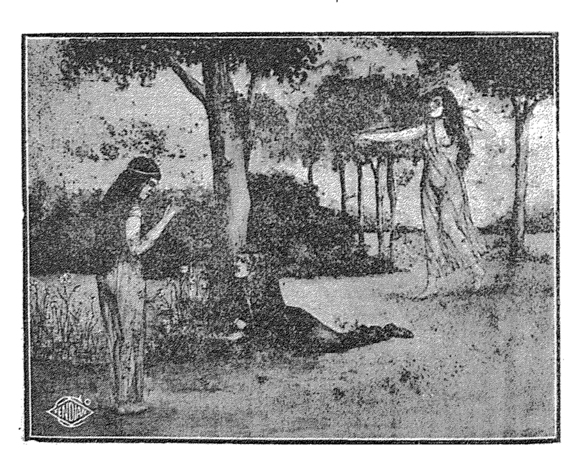
« خير البر ماتعهد به المرء نفسه ، وخير بر النفس ان تربا بها عن مواقف الاعتذار »

عبد العزيز فهمي

حلم الغابة

لمّا تأمّلَ مبهوتاً بيقظتِهِ
الى (الجمالِ) الذي حيّاهُ إحسانَا
والزهْرُ في قُرْبِهِ يَهْتزُّ مُبتَهِجاً
شَوْقاً ، ويَرْشُفُ راحَ الماءِ جذلانَا !

والغابةُ الحرّةُ المَزْهوُّ رَوْنَقُهَا   تُرَدِّدُ الشعْرَ أضواءً وألحانَا !
والعُشبُ في مَرَحٍ ، والتُّرْبُ في فَرَحٍ
وعالَمُ الجوِّ حاكى الأرضَ فرْحانَا :



لمَّا رأى كُلَّ هــذا ظَلَّ في ألَمٍ
وَوَحْشَةٍ ما رَأَتْ في الحُسْنِ دَيَّانَا !

ولو تلَفَّتَ ألفَى (الحُبَّ) يَرْمقُهُ
وكان يملؤهُ صفواً وإيمـــانَا

وكانَ يجْرَحهُ جَرْحاً يَعيشُ بهِ !
وكانَ يَمْنَحُهُ مُلْكاً وأعْوانَا

لُكِنَّهُ ظلَّ مبهُوتاً بلا أمَلٍ
ولا حُبُورٍ كَليلَ الطَّرْفِ حَيْرانَا

والحُسْنُ مالم يكنْ بالحُبِّ مجتَمِعاً
فلنْ يكونَ على الوجدانِ سلْطَانَا !

وعِشْتُ عِيشةَ صُوفيٍّ رأى أبداً
في كلِّ حُسْنٍ هَوى يَدْعُوهُ فَتَّانَا

فما حَييتُ شَقِياً في مغاضَبةٍ
للعيْشِ مهما قسَا أوْ عِشْتُ غفلانَا

بلْ رُمْتُ كلَّ جَمالٍ ، ثمَّ شِمْتُ بهِ
حُبًا يُجدِّدُ أرْواحاً وأبدانا

فعِشْتُ أنْهَلُ مِنْ دُنْيايَ بَهْجَتَها
بغيرِ إثْمٍ ، وألْقَى الصَّفْوَ نَشْوانَا
وبينما دَامَ غيري في أذًى قَلَقٍ
حتى تحوَّلَ بالوَسْواسِ شيطانَا !
حَيِيتُ كالنُّورِ أجْلُو كلَّ ما وقعتْ
عليهِ عيني وأُزْهى منهُ حَلْيانَا !
وصارَ لي الكونُ نفسي فهيَ مُذْ رضيتْ
تبسَّمَ الكَوْنُ غِرِّيداً وضَحْيانَا !
ولم أزُرْ غابةً الاَّ على حُلُمٍ هو العِيانُ جَمالاً بَثَّ تَحْنانَا !
ولا تَنَقَّلْتُ الاَّ وهوَ يَلْزَمُني
فصارَ فَنِّيَ لمَّا صِرْتُ فنَّانا !
يَئِنُّ غيري بأوهامٍ تُساوِرُهُ
بينما لَمِيتُ الهوى والحُسْنَ ألوانَا !



الهجرة

نظمها الشاعر توديعا وتذكيراً للكاتب الاديب يوسف افندي أحمد طيره مندوب صحيفة (كوكب الشرق) قبيل اعتزامه السفر الى الهند سنة ١٩٢٦، وألقيت في حفلة تكريمه في نادي رمسيس ببور سعيد .

كُنْ كالعزيزِ الطَّيْرِ يومَ مَطارِهِ[١]
أسمى المجالِ الُحرَّ من أوطارِهِ

يهتاجُهُ فرحُ الرَّحيلِ لنعمةٍ ويمضُّهُ[٢] التوديعُ في تذكارِهِ
فيرفُّ آونةً على الآفِقِ ويطوفُ آونةً على أوكارِهِ !
ما بينَ فَرْحَتِهِ ونَوْحِ شجُونِهِ عُمْرانِ مبذولانِ من أعمارِهِ !

كنْ مِثْلَهُ وابذلْ سخيَّ عواطفٍ
بَذْلَ السخيِّ لعطفِهِ ونُضارِهِ
أنا لا ألومكَ للوَداعِ بحُرْقَةٍ
فلقدْ تذوَّقْتُ الوَدَاعَ بنارِهِ ![٣]
أنا لا ألومكَ للدُّمُوعِ شهيدةً
كلاَّ ، ولا لروائعٍ ومكارِهِ !

---

(١) مطاره : طيرانه للرحيل . (٢) يمضه : يؤلمه و يوجعه .

(٣) يشير الشاعر الى اغترابه عن مصر في سنة ١٩١٢ م .

لـكنْ ألومُكَ إنْ غَنيتَ بمدْمعٍ
فالطّيرُ لا يُغنيهِ دَمْعُ الـكارِهِ !
كنْ مِثلَهُ إنْ شِئْتَ في أشجانِهِ
كُنْ مِثلهُ انْ شِئْتَ في أذكارِهِ[1]
لُـكنْ ـ وأنتَ سَمِيُّهُ ـ كُنْ مِثْلَهُ
في عَزْمَةِ الإِقدامِ أوْ أخطارِهِ !
لا يَرْتَضِي عيْشَ الإِسارِ[2] ، وبيننا
مَنْ يرتضي عيشَ الأَذى باسارِهِ !

يسرْ ياجريئاً حَظّهُ في هِجْرَةٍ
يأبى السكونَ بليلِهِ ونهارِهِ !
يرثي لكَ المتنطِّعون[3] وأنتَ مَنْ
يرثي لُحِـكمِ الجهلِ منْ نظّارِهِ !

(١) مقابلة بين رقص الطائر وشجنه .
(٢) الاسار : القد ـ كناية عن الأسر
(٣) المتنطعون : المغالون في شهواتهم .

سِرْ فاتحاً فتْحَ اليقينِ مكرِّماً
أوطانَه بجهادِهِ وشِعارِهِ (١)
لا ينْثني شَطْرَ الصِّعابِ ، وإنما
تلقى الصِّعابُ البَطْشَ من إنكارِهِ !
متعلِّماً ، ومعلِّماً ، لا ينتهي سعيٌ لفضلِ وَفائِهِ وفخارِهِ
ومتى يَهِشُّ لهُ الغِنى لا يَرْتجي
أغنى من الأخْلاقِ بينَ يسارِهِ !
وهُمومُهُ أنْ يَستعِزَّ بِهمةٍ لا بالخِداعِ ، ولا بِهمةِ جارِهِ !
وكأنما مَحْضُ الشَّقاءِ سُكونُهُ
وكأنما النُّعمى بِخَوْضِ غمارِهِ (٢)

أنْصِتْ فَحَوْلَكَ قبلَ صَوْتِ مُوَدِّعٍ
صوتُ الذي يبكي لبؤسِ صِغارِهِ

---

(١) قال حضرة المحتفى به في حفلة توديعه التي أقامتها طائفة من أدباء القاهرة ووصفتها (جريدة كوكب الشرق) بعدد ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٦ « أنه ما ترك أهله ووطنه وأصدقاءه الا من أجل غاية نبيلة يستعذب في سبيلها كل مر : ألا وهي رفع شأن الوطن في سماء البلاد الشرقية ».
(٢) غماره : اي غمار الشقاء .

القُطْنُ ثمَّ القطنُ غَرْسُ مُصابِهِ (١)

والجهلُ ثمَّ الجهلُ مَهْدُ دَمارِهِ !

ما كانَ أولاهُ ـ وذلكَ حالُهُ ـ

في الحَقْلِ بالإيثارِ مِنْ مِجْدارِهِ!

أَنْصِتْ لهُ وِلجمْعِهِ وهُمُومِهِمْ

وابْعثْ لهم بالُيسْرِ في أسْرارِهِ (٢)

سترى المغازلَ ناسجاتِ سعادَةٍ

للنَّاهِضِ (**الهنديِّ**) قبلَ دِثارِهِ (٣)

سترى له (**تاجورَ**) حائكَ مجدِهِ

من وَحيِ (**غنديّ**) ومنْ أنصارِهِ

سترى الفلاسفةَ الذينَ بكدِّهِمْ

يبنونَ للغَدِ مُنْتَهى إيثارِهِ (٤)

---

(١) اشارة الى خطر اعتماد المصريين في حياتهم الاقتصادية على زراعة القطن واكتفائهم بذلك . والمجدار : الخيال المنصوب في الزرع لطرد الطير والوحش ويسمى أيضا نطار (بضم النون وتشديد الطاء) .

(٢) اشارة الى النهوض الاقتصادي الحديث في الهند .

(٣) دثاره : ثوبه ، يشير الى السياسة الاقتصادية القومية التي يبثها الزعيم الهندي (غندي) والشاعر (تاجور) وانصارهما .

(٤) ايثاره : اختياره وتفضيله .

سترى الذينَ بغرْسِهِمْ جعلوا الثرَى
يَزْهى كما يَزْهَى الفتَى بنِجارِهِ (١)
سترى الصناعاتِ الكثيرةَ عُمِّمَتْ
والشعبَ في عَكْفٍ (٢) على تُجّارِهِ
ولسوفَ تَلقى تُرَّهاتٍ (٣) جمّةً
هيَ سِرُّ نكبتِهِ وأصلُ عِثارِهِ
ما بيْنَ فيلٍ أبيضٍ بقَدَاسَةٍ   يختالُ معبوداً لدى زُوّارِهِ!
ومشاكلٍ لا تنتهي لمحرِّمٍ   متعبِّدٍ يعنو الى أثوارِهِ!
« ونجاسةِ » الطَّبقاتِ ، وهيَ كثيرةٌ
كالجهلِ أنواعاً ومِنْ آثارِهِ!
دَعْهَا ، وخبِّرْ أهلَ (مصر) عن الذي
في (الهندِ) يجذبُنا الى أخبارِهِ

(١) نجاره : حسبه .
(٢) عكف : ملازمة ومواظبة .
(٣) ترهات : أباطيل . والعيار : الحمير، اشارة الى العادات الهندية القديمة السخيفة . وقد شرحت بعضها على أثر سياحتها ودراستها الاجتماعية في الهند السيدة الفاضلة زكية عبد الحميد سليمان (ناظرة مدرسة روضة الاطفال بقصر الدوبارة) في مجلة « العالم » الصادرة بتاريخ ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٦ ، وكلها عجائب الهية يصعب تصديقها من تقديس الاثوار والبقر الى نجاسة الطبقات الموهومة!

مِنْ قُوَّةٍ للمالِ بينَ صِناعةٍ
وزراعةٍ شتّى ببعْدِ مَدَارِهِ !
وتضافرٍ يومَ البلاءِ لنهْضَةٍ
حَرَمَتْ عَنِيَّ الأُسْدِ (١) مِنْ أظفارِهِ
شَعْبٌ كشعبِ (الهندِ) في وَثَباتِهِ
العدلُ كلُّ العدلِ في إكْبارِهِ
لم يُلقِ ذُخْرَ رجائِهِ في سَلَّةٍ
بلْ نوَّعَ المجهودَ لاستثْمارِهِ
واستعمرَ الوَطنَ الوفيَّ لسَعْيِهِ
بينا الجَنيبُ يذَالُ في استِعْمارِهِ
يسعى بلا جَزَعٍ الى استِقْلالِهِ   ويمزِّقُ الغلاَّبَ من أستارِهِ
ويرى الخرافاتِ القديمةَ عارَهُ   فيظلُّ في حَرْبٍ لِضَرْبَةِ عارِهِ
مَنْ عاشَ في بيتِ الزجاجِ كعيشِنا
لا يُفْزِعُ الجيرانَ مِن أحْجارِهِ (٢) !

---

(١) اشارة الى الأسد البريطاني .

(٢) اشارة الى نقد المغالين من المصريين لعادات الهنود والى التناسين جهود الهنود الاستقلالية الاقتصادية وحركة المقاطعة للتجارة الانجليزية .

سِرْ يا ابنَ (**طبرة**) للصِّحافةِ رافعاً
عَلَماً بأرْضِ (**الجنج**)[1] بيْن خيارهِ

فتبثُّ نوراً منهُ يُنصِفُ شعْبنَا
وتَشوقنا بالرَّجْعِ مِنْ أنوارهِ!

واجعلْ عِمامَتكَ العزيزةَ قُبّةً
وابعثْ برسْمِكَ ضاحكاً باطارهِ!

واحفظْ من الألسْنِ العُجابَ مجدِّداً
عهداً (**لبابل**) في عجيبِ حوارهِ!

واسْمَحْ لنا بدُعابَةٍ في طيِّها
إنْ لمْ تَزِنْكَ الدُّرِّطي مَحارهِ!

أوكنْ كغالي التِّبْرِ نُخبِّئَ فترةً
حتى يَسُودَ محرَّراً مِنْ نارهِ!

لا بُدَّ مِنْ حلْوِ الحياةِ ومُرِّها
والعيْشُ قدْ يُجدي لدَى إمرارهِ

(١) Ganges ، وهو نهر الهند المقدس العظيم الذي يبلغ طوله خمسمائة والفاً من الاميال . وهو ينبع من كهف تلجى في جبال الهملايا ويخترق شمال الهند حتى البنغال وعلى أحد فروع مصبه مدينة كلكتا .

حُمِّلْتَ أيَّ أمانةٍ من (كوْكبِ
الشرق) فلْتُكْرِمْ رَفيعَ منارِهِ
أنتَ السفيرُ، وربما أنْتَ الذي
يُوحي الهدَى إنْ شاءَ في أسفارِهِ
هي فُرصةٌ إنْ تأتِ (لابن بطوطة)[1]
في البَعْثِ لم يسكنْ الى أقدارِهِ!
فجُبْ[2] البلادَ منقباً مُستَجْمِعاً
لجمالِ هذا (الشرق) من أقطارِهِ
وانْشُرْ معارفَ (مصر) نَشْرَ مُهَذَّبٍ
كالنَّحلِ يُعْطي النفعَ في مُشتارِهِ[3]!
ويَمُجُّ[4] كلَّ الخيرِ وهوَ ضحيةٌ
للخيْرِ، بغيْتَهُ سعادَةُ دَارِهِ!
فترى الوُجُودَ مُقدِّراً لوجودِهِ مِنْ عالَمِ الدُّنيا الى أزهارِهِ!

---

(١) هو الرحالة الاسلامي المشهور.
(٢) فجب: فاقطع.
(٣) مشتاره: عسله.
(٤) يمج: يعطي ويبث.

وسئِلْتُ مِنْ قلبي الوَفيِّ هديةً
فنظمتُ هـذا الصَّفوَ من أشعارِهِ!
وأنا الضَّنينُ ، فانْ عرفتَ مكانَه
ألفيْتَ أغلى النُّصْحِ في أسطارِهِ
وهممْتَ للجُهْدِ العظيمِ مغرِّداً
بنشيدِهِ ، وهززْتَ مِنْ أوْتارِه
واذا نَسِيتَ ـ ولا إخالُكَ ناسياً ـ
فعليَّ ذَنْبُ ضَياعِهِ ونِفَارِهِ[1]!

والآنَ أقرئُكَ الوَدَاعَ مكرَّراً
وأرى الودَاعَ يَشُوقُ في تكرارِهِ!
وكأنمـا مثلي المودِّعُ والذي ودَّعْتُ مَوْطِنَ الشقيِّ بنارِهِ!
فاذْكرْ ، فانَّ الذِّكْرَ ينفعُ ربَّهُ
ما أنتَ الاَّ (النيلُ) في تيَّارِهِ!

(١) نفاره : نفوره .

يَنصبُّ في البحرِ الخضمِّ (١) وانما
يُوحي الى الأفكارِ منْ أفكارِهِ !
فاحرصْ على قَدْرٍ نُدِبْتَ لحفظِهِ
واجعلْ وَقارَكَ مَظْهراً لوقارِهِ !
واذهبْ مع (النيل) المباركِ ، حلوُهُ
ملءُ الأجاجِ (٢) ، فضنَّ في إظْهارِهِ !
لكنْ يَعودُ الى الديارِ بخيرِهِ
باسْمِ النَدى الزَّاهي ، وفي أمطارِهِ (٣) !



(١) الخضم : البحر العظيم .
(٢) الاجاج الملح المر ، اشارة الى البحر ، كأنما ذرات ماء النيل المنصب في البحر تصاحبه في سفره .
(٣) اشارة الى الامل المرموق من عودة المحتفل به آجلا .

تحية تاجور

لمناسبة زيارته مصر في اواخر نوفمبر سنة ١٩٢٦ وخطابته عن الفلسفة الهندية

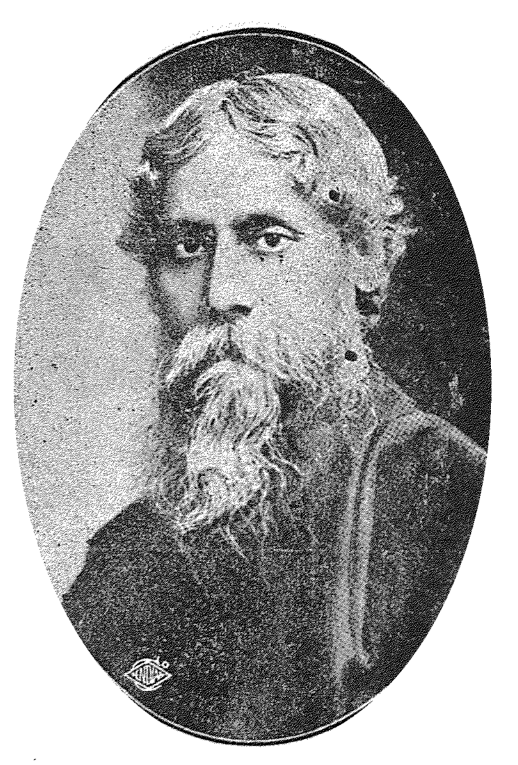
(**تاجورُ**) ياعَلَمَ (**الهنودِ**) ويا أديبَ (**المشرق**)
أهلاً بمَقْدَمِكَ الوَدُودِ الى الوَدُودِ الشَّيِّقِ (١) !
شَعْبٌ (**بوادى النيل**) يعشقُ فيكَ نوراً بعدَ نُورْ
مِنْ وَحْيِكَ الصَّافي النَّبيلِ غذاءُ دُولاتِ الشعورْ
أُنْظُرْ ! تأمَّلْ - يازَعِيمُ - عواطِفاً لكَ تَنتهي (٢) !
مُلِكَتْ ، وكَمْ مالكَ الحكيمُ من المُنى ما يَشتهي !
أهلاً وسَهْلاً (**بالرسولِ**) الفيلسوفِ الشاعِرِ !
السائحِ الهادِي السؤُولِ (٣) لِرَفْعِ كَوْنٍ عاثِرِ
تَخِذَ السَّلامَ سِياجَهُ في دَفْعِ ويلاتِ الوجودْ
فنرى العقولَ نِتاجَهُ ، ونرى مآثرَهُ الجُنودْ !

---

(١) الشيق : المشتاق . اشارة الى الشعب المصري .

(٢) أي تتوجه اليك وتقر عندك .

(٣) اشارة الى طوافه والقائه الخطب في العواصم لنصرة كليته الفلسفية الهندية للسماة (شنتي - نيكتان : Shante - Niketan) التي ينشر منها العلوم الادبية والفلسفية الداعية لخدمة الانسانية من طريق السلام والوئام .



تاجور

في نهضةِ الوَطنِ العزيزِ يجلُّ عنْ ضنٍّ بمالْ
لكنّه غيرُ المُجيزِ لشرٍّ ما يَجْني القِتالْ [1]
متقلّداً (الحكمةَ) الكبرى سِلاحاً لن يُهانْ !
وملقّناً للجيدِ والذكْرى أمانيَّهَ الحِسانْ !
وكأنَّ (شنتي - نيكتانه) مثابةُ (العهدِ الجديدْ)
تُفشِي الحرارةَ والامانَ الى الطّريفِ مع التّليدْ [2] !
أسّستَ في (البنغال) مدرسةَ الجمالِ بل الكمالْ [3]
رمزاً الى استقلالِ شعبٍ بالحقيقةِ لا الخيالْ !
رَسَمَ (الطبيعةَ) واهتدَى بالحُرَّةِ الشّماءِ منها

(١) اشتهر رابندرانات تاجور (Rabindranath Tagore) بوطنيته ، وبسخائه في سبيل وطنه ، ولكنه اشتهر ايضاً بحبه للسلام ، ومن أجل هذه العاطفة الشريفة فضلا عن مكانته الادبية وآرائه الفلسفية منح جائزة (نوبل) المشهورة .

(٢) أي لجديد الفلسفة وقديمها .

(٣) اشارة الى أصدقائه الادباء وبينهم ابن عمه (ناندلال بوز - NandalalBose) وتلاميذه الذين عنوا أولا ايام دراستهم في كلكتا (حوالي سنة ١٩٠٠ م) برسم الطبيعة الهندية تصويراً وشعراً ، ثم بث الاحساس في غنهم ، وكان الفن الهندي العصري قبل ذلك العهد مجرد تقليد للانجليزي !

فارسمْ لنا نُورَ الُهدَى واذْكُرْ حديثَ الشعْرِ عنها [1]
إنْ قيلَ (نُوبلُ) [2] قَدْرُ مِثْلِكَ فالنبالةُ أصْلُ قدرِكْ
وكفاكَ فخراً دأبُ شغلِكَ بالبريةِ قبلَ ذِكْرِكْ
فتلقَّ وُفَّادَ المحبةِ (كالوفودِ) [3] أمامَ (كسرى)
لكنهُمْ جعلوا الفخارَ قبولَ دعوتِهمْ وشكْراً !



(١) تحدث تاجور الى وفد الجالية المصرية في فينا الذي زاره في صيف سنة ١٩٢٦ حينما ذهب اليها ذلك الشاعر الفيلسوف « فأغرق في وصف حبه لمصر وعطفه عليها ، وكان يردد تمنياته الطيبة نحوها لتحقيق أمانيها الوطنية . وكان يصرح أنه ليس سياسيا ، ويفتخر بأنه من عشاق الحقائق ومن رجال الفلسفة والشعر الذي يقود الافكار الى التغني بمحاسن الطبيعة وجمال الازهار وعطر الرياحين » .

(٢) اشارة الى جائزة نوبل وهو الدكتور ألفريد ب . نوبل المهندس والكيماوي السويدي مخترع الديناميت وصاحب الجوائز الشهيرة باسمه لخدمة العلم والسلام . ولد سنة ١٨٣٣ م . وتوفي سنة ١٨٩٦ م .

(٣) اشارة الى وفود العرب برئاسة اكثم بن صيفي التي بعث بها النعمان ابن المنذر الى كسرى لاظهار فضل العرب ورجاحة عقولهم وآدابهم ، وقد وقفت تلك الوفود موقف الفخار أمامه . فالشاعر هنا يشبه وفود المصريين لديه بوفود العرب أمام كسرى في فخرهم ، ولكنه يستدرك باشارته الى أن فخر المصريين انما هو بقبوله دعوتهم اياه ، وبتقديره لهم وثنائه عليهم .

آنَ الوداع

ألقاها الشاعر في حفلة توديعه بكازينو بور سعيد يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٦ م . بعد اقامته عاماً فيها بين صفوة من أهل العلم والأدب

آنَ الوَدَاعُ فعاقَني ألمي
لا النُّطْقُ يُسْعِفُني ولا قلمي
والشِّعْرُ لم ينعِشْهُ توديعي
الموطنِ الحاكي لترْجيعي
شِعْرَ الغِناءِ بذلِكَ الأَمْسِ
ولَّى (١) كما ولَّتْ لهُ نفسي !

●●●

فأتيتُ أشكوها وأنشُدُها
أوَلَيْسَ لي منكم تجدُّدُها ؟ !
حسبي الأسى لفراقِ ما أهوَى
هيهاتَ تُغني بَعْدهُ النَّجْوَى
رُدُّوا اليَّ وفيَّ إحْسامي !

---

(١) اي الأمس .

يكفي الزّمانُ بحُكمِهِ القاسي !

وأتيتُ أشكُرُكم بعرفاني
رُوحَ الاخاءِ ونُورَ وجداني
أسديتمْ التّقديرَ إسداءَ
وحَبَوْتمْ الإخْلاصَ آلاءَ
فالشكرُ مِنْ قلبي لكم باقِ
مِنْ بَعْدِ ألفاظي بأشواقي
ثَغْرٌ كهذا الثّغْرِ لن يُنْسَى
بلْ لنْ يُبَدَّلَ أُنسهُ أُنْسَا
فَتَذِي له فتُدانَ إحسانِ
مهما نَعِمْتُ بآخرِ سانِ
ستَفوتُ مَرْأى حُسْنِهِ عيْني
ويَظلُّ في ذِهْني على البيْنِ

مَنْ ذلكَ السّالي لما فيه
ومَراقِصَ الأغواءِ والتّيهِ
والعَوْمَ قُرْبَ الشاطِيءِ التبْري

يهتزُّ مِنْ عُجْبٍ ومِنْ بِشْرِ
والغانياتِ بسُوقِ أزْهارِ
يَفْضحنَ أسْراراً بأسْرارِ ؟!

●◘●

مَنْ ذا الذي يَنسْى أُولي الطبِّ
الحافظينَ بعطفهمْ قلبي ؟
يكفي دَليلَ نُبوغِهمْ (ناجي)
فالمستغيثُ بطبِّهِ ناجِ
وكفى لصُورَةِ فضلهمْ (شَفَعي)[1]
هيهاتَ يُسْدِي البرَّ للنفْعِ

●◘●

مَنْ ذا الذي يَنْسى بهِ أُدَبا
وأئمةً لفخارِهِ نُخَبا ؟
كم أمتعوا أُبِّي ووجدَاني
بنفائِسٍ شاقتْ وإحْسانِ

(١) هما الاديبان الفاضلان الدكتور ابراهيم حنفي ناجي والدكتور على شفعي المنعافي .

ومجالسٍ كمفاخرِ الجُمُعَهْ
وإمامُنا استاذُنا (**جمعه**) [١]

مَنْ ظنَّ أنْ يُنْسَى (**علي الالفي**) [٢]
بلطائفٍ زاغتْ عنِ الوَصفِ
تلقاهُ بيْنَ الوزِّ مشغُولاَ
يستجمعُ الأَرْقامَ والفُولاَ
بينا تجاذِبُنا فتاويهِ
حيناً وتأسِرُنا أغانيهِ ؟!

مَنْ ظنَّ أنْ يُنْسَى بهِ (**بكرى**) [٣]
رَبُّ الدُّعَابةِ مُنْعِشُ الفِكْرِ
جاءَتْ « مقامتهُ » كبُسْتانٍ
فيهِ منَ الأَثمارِ زَوْجانِ !
وجميعُها مِنْ طَعْمها (المِصْري)

(١) هو الاستاذ الشيخ محمود جمعة حلبة منشي صحيفة (المؤدب) الغراء .
(٢) هو الأديب علي افندي محمد الالفي، ولمصلة كبرى بتجارة الدجاج والوز في بور سعيد .
(٣) هو الأديب عبد الله افندى بكري (صاحب مقامات أبي الشمقمق) .

أشهى لدى النشوانِ منْ خمْرِ ؟ !

●○●

مَنْ يُغفِلُ الاستاذَ (عاشورا)[1]

أجدى لنا من يوم « عاشورَا »

كم أمتعَ الافهامَ منْ علْمِ

كم هذّبَ الأخلاقَ منْ حلْمِ

دَيْنٌ لهُ روحي وأحلامي

وهوَ القليـــــلُ لبرِّهِ النّامي !

●○●

مَنْ ذا الذي ينسى (أبا درش)[2]

يمشي كمشي الهرِّ في القشِّ ؟ !

كم جمَّعَ ياقوتٍ ومرْجانْ !

في شعْرِهِ المُقْني لأشْجاني

(١) هو الاستاذ عبدالقادر عاشور .

(٢) هو حضرة مصطفى افندي حسن البنهاوي صاحب ديواني (العبرات) و (البنهاوي) وعضو اللجنة التنفيذية العامة لتكريم شوقي بك سنة ١٩٢٧ م . ، وفي الابيات اشارة الى ولعه بالتشابيه الياقوتية والمرجانية .

يُهْدِي لنا مِنْ وَصْفِهِ عَجَبا
ويُحَيِّرُ الأَلبــابَ والأَدَبَا !

مَنْ ذَا الذي ينسى الفتى (البدري)[1]
المستعزَّ (كليــلةِ القَدْرِ) ؟ !
يَزْهُو بقَدُومٍ وبيكارِ
وبنايةٍ مِنْ غيرِ أحجارِ
هيَ جَمْعُ أفهامٍ لهُ تاقتْ
وعواطِفٍ ومحــــامدٍ شاقتْ

ولو استطعتُ الحصْرَ أخجلني
طُولُ الحديثِ لــكم وأذهلني
فجميعُــكمْ أهلي واخواني
وجميعُكمْ نُورٌ لإِنْساني !
تمضي السنونُ وذِكْرُكم عِنْدِي
مهما نزحْتُ ، ولو الى (السند) !

(١) هو حضرة رمزي افندي البدري الرئيس المحترم لمحفل (البدر المنير) الموقر ببور سعيد.

ثالوث النهضة

نظمت لمناسبة زيارة صاحب الدولة سعد زغلول باشا تمثال « نهضة مصر » وهو على وشك الانجاز في ٩ يناير سنة ١٩٢٧ م .

نَفَضْتِ عنكِ الكَرَى مِنْ غابرِ الزَّمَنِ
فَفُتِّ يا « بِنْتَ مِصْرَ » مَسْحَةَ الدِّمَنِ !

بكِ الحياةُ تجلَّتْ بعدَ غَفْلَتِها
كما تجلَّتْ بصَخْرٍ بالعُلى قَمِنِ !

لَمَسْتِ رأسَ (أبي الهَوْلِ) الصَّمُوتِ فما
لَمَسْتِهِ وهوَ مُرْتَدٌّ الى الوَسَنِ !

ما كانَ في غفلةٍ أوْ كانَ في سِنَةٍ
لكنَّهُ كانَ في يأسٍ مِنَ الزَّمَنِ !

واليأسُ أقبحُ مِنْ مَوْتِ النَّؤُوم فكم
يَستَعبدُ اليأسُ ما قدْ عَزَّ مِنْ فِطَنِ !

حتى نَهَضْتِ فأيقظتِ البلادَ كما
أيقظْتِ ما نامَ مِنْ حُبٍّ ومِنْ سُنَنِ

تَعودُ (مِصْرُ) الى ماضي مآثِرِها
والحُسْنُ فيها مجالي وَجْهِكِ الحَسَنِ

في العِلْمِ والدِّينِ والآدابِ أجْمَعِهَا
ما شِئْتِ أنتِ لَهُ تَسْعَى بلا وَهَنِ
والمرْأةُ الحاكِمُ الغَلاَّبُ في عِظَمٍ
فانْ تَهُنْ فمصيرُ الشَّعْبِ للاِحَنِ
فما لِغَيْرِ سواها دَانَ غابِرُهُ
وإنْ بَنَا في غَدٍ مَجْداً لها يَدِنِ !
أَجْمِلْ بها فِتْنَةً غنَّاءَ ساميةً
تَرُدُّ عنهُ عوادِي الدَّهْرِ والفِتَنِ !
ما بَجَّلَ الشَّعْبُ أُنثاهُ وقدَّسها
الاَّ وقدَّسَ مَعْنَىٰ عِزَّةِ الوَطَنِ !
لِمَنْ نكدُّ اذا لم تَبْلُغِي شَرَفاً
في العَيْشِ والمجْدِ معصُومَيْنِ عن ثَمَنِ ؟!
وما الحَياةُ سوى حُبٍّ ندِينُ لهُ
بالسَّعْي والجُهْدِ والاسعادِ والمِنَنِ
فانْ مَضَى الحُبُّ في تحقيرِ مَطْلَعِهِ
فما غِنيُّ الوَرَى في البُعْدِ عنه غَنِي !
فَفِي بقامَتِك الهيفاءِ باسمةً للشعبِ ، فاتنةً بالرُّوحِ والبَدَنِ !

مَا كَانَ تِمْثَالُكِ المَحْبُوبُ مِنْ حَجَرٍ
بَلْ كَانَ مِنْ مُهَجَاتِ الرِّيفِ وَالمُدُنِ !
حَامَتْ حَوَالَيْهِ حَتَّى قَدْ طُبِعْنَ بِهِ
فَمَا بِهِ غَيْرُ مَا يَقْتَرُّ مِنْ فِتَنِ !
تُغْنِي غِنًى عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مُنَاشَدَةٍ
وَتُنْصِحُ القَوْلَ عَنْ عَلَّامَةٍ لَسِنِ
وَذَاكَ (بِلْهُوبُ) بَعْدَ اليَأْسِ مُنْتَفِضٌ
يُسَائِلُ الخَصْمَ عَنْ جَيْشٍ وَعَنْ سُفُنِ !
أَخُوهُ فِي جِيرَةِ (الأَهْرَامِ) يَحْرُسُهَا
وَيَحْرُسُ (النِّيلَ) فِي تَدْبِيرِ مُخْتَزِنِ
وَهُوَ المُقِيمُ عَلَى مِيدَانِ عَاصِمَةٍ
يَبُثُّ بَعْدَكِ فِيهَا أَوْجَبَ السُّنَنِ
وَيَحْرُسُ (الفَنَّ) وَالآمَالَ حَالِيَةً
مِنْ فِيكِ كَالفَجْرِ يَمْحُو وَحْشَةَ الدَّجَنِ !
فَلَّاحَةٌ أَنْتِ فِي سِحْرٍ وَفِي دَعَةٍ
وَفِي جَمَالٍ ، وَفِي حَزْمٍ وَفِي شَجَنِ
فَإِنْ يَزُرْكِ زَعِيمُ (النِّيلِ) فِي شَغَفٍ
فَقَلْبُهُ لَكُمَا المَوْهُوبُ مِنْ سَكَنِ

وإنْ تَطلَّعَتْ الألبابُ في قلَقٍ
اليكِ خَلْفَ ستارِ الخشْبِ للعَلَنِ
فكيْ تُضيفَ الى كُتبٍ مُقدَّسةٍ
هذا الكتابَ بشِعْرٍ فيه مُتَّزِنِ!
بَناهُ (مُخْتارُنا) المثَّالُ مِنْ صَلدٍ
مِنَ الصخُورِ، ولكنْ للحياةِ بُنِي!
سما سُمُوًّا ببنيانٍ ومفخَرَةٍ
فمن يهِنْ وَحْيَهُ في غفلةٍ يَهُنِ!
وقدْ أزَحْتِ خِمارَ الغَبْنِ، واثقةً
بالشَّعْبِ عالمةَ إنْ قُلْتِ كُنْ يَكُنِ!



الليل

معربة عن الانجليزية للشاعر هـ . كولردج

(١) — التعريب

مُطَقْطِقَةُ الجَمَرَاتِ في الموقدِ أنهتْ وكُلُّ اجتهادٍ داخلَ البيتِ ساكنُ

وقدْ أُحْكِمَ المِزْلاجُ قفلا فلا تَرَى صِغارَ عصافيرٍ برفرفِ نافذهْ

يُراقبْنَ قُوتَ اليوْم ، والزَّهرُ صامتٌ ويَسكُبُ في رفْقٍ عبيرَ مسائِهِ

وللجدْوَلِ البَيْتِيِّ عندَ خَريرِهِ دَواماً سخيٌّ مِنْ أغانٍ شهيّةٍ

بها امتلأَ الخالي التّرَقُّبُ مثلما بها زالَ خوْفُ اللّيْلِ في طُولِ سَمْعِهِ !

ويا رُبما قد نامتْ الآنَ إذْ مضت ثَرَاثِرَةُ الأَصواتِ في الجوِّ ساكِتهْ

بسَلْمٍ ، وهذا الطَّلُّ في الصمْتِ والبُكا كمَنْ عشقُوا في اليأسِ غانيةً الحُسْنِ

فياليتني الحلمُ الهني تسللا الى قلبها حتى أرى فيه صورتي !



(٢) — الأصل

NIGHT

The crackling embers on the hearth are dead
 The indoor note of industry is still;
 The latch is fast ; upon the window-sill
The small birds wait not for their daily bread ;
The voiceless flowers — how quietly they shed
 Their nightly odours ; - and the household rill
 Murmurs coutinuous dulcet sounds that fill
The vacant expectation, and the dread
of listening night. And haply now she sleeps ;
 For all the garrulous noises of the air
Are hush'd in peace ; the soft dew silent weeps,
 Like hopeless lovers for a maid so fair : —
Oh ! that I were the happy dream that creeps
 To her soft heart, to find my image there,

H. Coleridge.



البخيل

يَعيشُ في البُخْلِ في انحلالِ ... ويحْسَبُ الحظَّ جَمْعَ مَالِ
وكلّما زادَ ما اقْتَناهُ ... تَناقَصَ الحظُّ بالتَّوالي!
وبُدِّلَ اليُسْرُ خوْفَ فقْرٍ ... وبُودِلَ الأَمْنُ بالقِتالِ
وساوسٌ كلُّها عليهِ ... أليمةُ الوقْعِ كالنبالِ
يَعيشُ عَيْشَ الجنُونِ لكنْ ... يحسُّ بالهمِّ والنَّكالِ
فلا هناءٌ لدَيْهِ يُرْجَى ... ولا شِفاءٌ مِنَ الخبالِ
ويَوْمُهُ كلُّه حُرُوبٌ ... من احتيالٍ الى احتيالِ
وليْلُهُ كلُّهُ رَهيبٌ ... وكم تأَذَّى منَ اللّيالي
يَخالُ في اللّيْلِ منْ ضَحايَا ... هُ مَنْ يجيئونَ بالحبالِ
ولا شفيقٌ لدَيْهِ لمَّا ... ذَوَى بداءٍ لهُ عُضالِ!
وقدْ أبى الطِّبَّ خوْفَ بذْلٍ ... وآثرَ القُوتَ في الخيالِ!
فماتَ لا وارثٌ لدَيْهِ ... ولا حَبيبٌ ولا مُوالي
وأَوْدَعَ البئْرَ قبلَ موْتٍ ... نُضارَهُ بلْ دَمَ التَّغالي!
أبَى إباءً شِراءَ قبْرٍ ... واستقْبحَ الموْتَ في جلالِ!

وكانَ كُلُّ العَزاءِ أنْ لا يُكلَّفَ البَذْلَ في آنتِقالِ !

شَيْخٌ كهذا يَعيشُ مَوْتًا ومَوْتُهُ عِبْرَةُ الضَّلالِ
أحَقُّ بالعطْفِ مِنْ عَيِيٍّ يودُّهُ موطِيءَ النِّعالِ
فانّه كالمريضِ أوْلَى بأنْ يُراعَى من الرِّجالِ
كأنَّما بُخْلُهُ جُنونٌ بلْ قُلْ وَباءٌ من الوَبالِ
فَحَسْبُهُ رَحْمَةٌ وعَدْلٌ لهُ وللمالِ والمَعالي !
فإنْ يَمُتْ بعدَ ذا فموتٌ يُصانُ عنْ ذِلَّةِ المآلِ !

لَعَلَّ مَوْتَ السَّخيِّ فَقْراً غِنًى عن البُخْلِ والسُّؤالِ !
وما فقيرٌ بلا آمتِثالٍ حَكى فقيراً على آمتِثالِ
وما كَريمٌ بما لديْهِ يُذالُ كالباخِلِ المُذالِ
فكلُّ بِرٍّ تراثُ مَجْدٍ وفَقْدُهُ غايةُ المُحالِ
اذا تذكَّرْتَ نُبْلَ جُرْحٍ لفارسِ الكَرِّ والنِّزالِ
فرُبَّ فَقْرٍ حكاهُ نُبْلاً لِمُحْسِنٍ باذِخِ الفِعالِ !



الأرغن

أبَ • الكمنجةِ إيقاعاً وألحانَا
شَجِيٌّ صَوْتِكَ بالآياتِ أشْجانَا

تَئِنُّ كالأُسَدِ المجْرُوحِ مازَجَهُ
حُبٌّ ، فكانَ يُناجي القَلْبَ غَصَّانَا

لولا سُمُوٌّ باحْساسٍ كأنَّ بهِ
إعجازَ (سِيسيليَا) يُوحِي لِدُنْيانَا(١)

فنحسَبُ الكوْنَ « أُخْرَى » غيْرَهُ ونَرَى
رُؤْيَا (رَفَائيلَ) تصويراً وألحانَا

نُصْغِي اليكَ برُوحٍ كُلُّهُ شَغَفٌ
بمـا تُلَقِّنُهُ وَعْظاً وإيمـانَا

كأنمـا هُوَ تنزيلٌ يُوَزِّعُهُ
عَدْلُ الإلهِ على الوافينَ إحْسانَا !

---

(١) اشارة الى اسطورة القديسة (سيسيليا) التي ابتدعت الأرغن ملهمة وعزفت عليه فسمعها ملك وهبط قربها منصتاً حاسباً أنه في السماوات ! وقد صورها رفائيل وغيره من كبار المصورين .

نَلْتَفُّ حَوْلَكَ فِي شِبْهِ السُّجُودِ كَمَا

لَمْ تَدْنُ لِلغَرْبِ هذِي الشَّمْسُ تَحْنَانَا [١]

بَلْ فِيكَ رَحْمَةُ (هاتُورٍ) تؤيِّدُها

(سمِيرميسُ) و(أفروديتُ) تَبْيانَا [٢]

فَيغمُرُ الحبُّ أسْمَاعاً على صَمَمٍ

ويُرْجِعُ الحبُّ أكْوَاناً وأزْمَانَا !

كأنَّ (ڤينُوسَ) لمْ تَخْتَرْ (كُبِيدَ) [٣] لها

– الاَّ اذا غِبْتَ – للعشَّاقِ مِعْوانَا

جَمَعْتَ آمالَ أرْبابٍ تُرَدِّدُها

حُلْماً يُنَعِّمُ أرْواحاً وأبدانَا !

سِيَّانِ فِي ألَمٍ قاسٍ وفي طَرَبٍ

شَنَفْتَ بالفَنِّ ألْباباً وآذانَا

مَثَّلْتَ ما وَعَتْ الدُّنْيا بأجمعها

مِنَ (الطَّبيعَةِ) أنفاساً وألْوَانَا !

---

(١) اشارة الى اسطورة استماع الشمس الى (بان) اله المراعي وافتتانها بعزفه حتى أنساها ذلك الغروب !

(٢) الهة الانوثة والشوق والرغبة عند المصريين والاشوريين والاغريق .

(٣) الهة الجمال عند الاغريق وابنها اله الحب .

تَدْوي دَوِيًّا وتَبكي تارَةً ، وكما
تَبْـكي تجُودُ بغالي الصفْوِ رَيَّانَا !
هـذِي الرَّخامةُ الأَلحانِ مُلهِمَةٌ
أنَّا نُقدِسُ رَحمانًا وَدَيَّانَا
وقد لَحَنْا ـ وإنْ حَجَّبْتَ ـ آلهَةً
وقدْ جعلْنا خُشُوعَ النَّفْسِ قُرْبانَا
وعندَ سمْعِكَ يبدو الُحسْنُ مُمْتثِلاً
والُحسْنُ مَنْ جَعَلَ الإِنْسَانَ إنْسانَا!
وبَعْدَ صَمْتِكِ نَدْري أنّنا بِغِنًى
مِمَّا وَهَبْتَ ومما نِلْتَ سُلْطَانَا
وأنَّ عُمْراً لنـا أَرْجَعْتَ جِدَّتَهُ
واللّحْنُ قدْ يخْلُقُ الانْسانَ أحْيانَا!
أَعِدْ نَشيدَكَ! لا تَسكُتْ وإنْ بقِيَتْ
أصْداؤُها مِلْأنا سِحْراً وأَوْزانَا !
لَئِنْ تَبَنَّيْتَ مَشْغُوفاً أبرَّ فلنْ
تُصيبَ الاّ فَتًى للشِّعْرِ فَنَّانَا !

المُجْتَلي مِنكَ أشْعاراً مقدَّسَةً
والواهبَ الحسْنَ بالأَشْعارِ تيجَانا!

والعارفَ الكَوْنَ ألحاناً مُنوَّعَةً
حتى الألوهةُ لم تخذلْهُ عِرْفانَا !

أعِدْ نَشيدَكَ ! لا تَبْخَلْ فانَّ بهِ
رُوحاً مِنَ الحُبِّ بَعْدَ اللهِ أحْيانَا!



الواعظ

يَتْلُو علينا فُنونَ الوَعْظِ مُدَّعياً
له الجَلالةَ مِنْ عِلْمٍ وتجْريبِ !
يَرَى الرِّجالَ جميعاً أدْعياءَ ، ولا
يَرى ادِّعاءً له أوْلَى بتهذيبِ !
ويُنْكرُ الفَضْلَ في حِقْدٍ وفي ضَغَنٍ
مُحارباً للمناجيدِ المَناجيبِ [1]
يَأْبَى انتِشاراً لِنُورٍ ، ثمَّ يُشْبعُهُمْ
شَتْماً اذا هُمْ أبَوْا سُودَ الأكاذِيبِ !
ويَسْتَحِلُّ لهمْ دَفْناً لِيُظْهِرَهُ
تَنَزُّهُ فَوْقَ تدميرٍ وتَخْريبِ !
جَمُّ التَّحايُلِ في لُؤْمٍ وفي سَفَهٍ
جَمُّ الصَّفاقةِ في خُبْثِ الأساليبِ
مُدَبِّراً خُطَطاً شَتَّى ليقتلهمْ
في الصَّمْتِ ، منْ بَعْدِ تذليلٍ وتَعذيبِ

(١) جمع منجاد (كمعوان ومعاوين) ، وجمع منجاب : وهو والد النجباء .

فانْ أَبَى بَعْضُهُمْ ما بَثَّ مِنْ حَسَدٍ

وردَّ كيداً لهُ مِنْ شيمةِ الذّيبِ

أذاقَهمْ كلَّ أنواعِ السِّبابِ كما

رأى رجاحَتَهُمْ شَرَّ الأَلاعيبِ !

وعَدَّ جُرْماً لهم أنْ يهدِموا حِيلاً

لهُ بحيلةِ ذي لُبٍّ وتأديبِ !

وَرَاحَ يُعْلِنُهُمْ قَوْماً دجاجلةً

وفَخْرُه رَهْبَةُ الشُّبّانِ والشِّيبِ !

وما لهُ رَهْبَـةٌ الاّ سفاهتهُ

وكم لِسانٍ سليطٍ جِدُّ مَرْهُوبُ !

لِمَ التعجُّبُ منْ وَعْظٍ يُنَمِّقُهُ

لُؤْمٌ ونحنُ بعصرِ الأعاجيبِ ؟!



الأحياء والأموات

هٰذِي (الطَّبيعةُ) في اطّرادِ صِفَاتِهَا
تَأْبَى الرُّجُوعَ لأَمْسِهَا وَمَوَاتِهَا
تَمْضِي مُسَدَّدَةَ الخُطَى لجديدِهَا
فَتُضِيفُ آياتٍ الى آياتِهَا
تَسْعَى الى مُثُلِ الكمالِ مُجِدَّةً
وعلى السُّمُوِّ تُقِيمُ كلَّ حياتِهَا
أيَجُوزُ بَعْدُ لكمْ جُمُودُ شعُورِكُمْ
وكأنكم في الجُبْنِ مِنْ أمواتِهَا ؟!
هٰذِي (الطَّبيعةُ) في ابتِكارٍ دائمٍ
للنَّفْعِ والتَّجْميلِ في خَطَوَاتِهَا
وَوُقُوفُكُمْ سُخْرٌ بكلِّ فضيلةٍ
فيها ، وكلِّ جليلةٍ لنِيَاتِهَا !
سُخْرٌ ، وأنتمْ مَرْجِعُ السُّخْرِ الذِي
يَرْتَدُّ بالمَوْفُورِ مِنْ لَعَنَاتِهَا !

ثُوبوا الى رُشْدِ الحيـاةِ وكَفِّرُوا

عنْ إثمكمْ وعقُوقكمْ وأذاتِها

لا تَنْهَرُوا الأَحْيـاءَ : مَنْ فُتِنُوا بها

وسَمَوْا ولَبَّوْا داعِياتِ هِباتِها

العاشقينَ جمـالَها ، النّاشِري

نَ جلالَهـا ، السّاجدينَ لذاتِها

الـكاشفينَ لكمْ رُمُوزَ خُلُودِها

والمحسنينَ العَزْفَ مِنْ صَلَواتِها

والخاطِفينَ حُلِيَّهـا ، والعارضِي

نَ بَهِيَّها مِنْ فاتِناتِ بَناتِها

والرّائضينَ نفوسَكمْ مِنْ وَحْيِهمْ

أوْ وَحْيِها دَوْماً على حَسَناتِها

والعارفينَ الجمَّ مِنْ أسْرارِها

بتأمُّلِ النمّامِ مِنْ نَظَراتِها

هُمْ سادَةُ (الفنِّ الجميلِ) مُنوِّعاً

يُوحُونَ بالفَنِّ الهدَى لِبُناتِها

فاذا قَنِعتمْ بالجهالةِ والرَّدَى

في جهلِكمْ ، والجهلُ خصمُ كماتِها

واذا رضيتُمْ عيشةَ الأعمى الذي

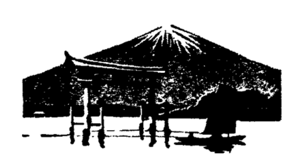
ظنَّ الكهوفَ الشُّمَّ من أبياتِها

فَدَعُوا الحياةَ لمنَ يُقَدِّسُ وَحيَها

لا يَستَهِينُ بتُرْبِها وَنَباتِها

وَيَرى (الطَّبيعةَ) أُمَّهُ ، وَرجاءَهُ

كرجائِها ، وصِفاتِهِ كصِفَاتِها !



« كن عالماً كبيراً ، وكن فيلسوفاً جليلا ، واحفظ علمك وفلسفتك في صدرك ، ولا تبرزهما لغيرك بكلامك ، تكن كالقدر وقد طهي به الغذاء ولكنه ظل مقفلا محكم الأقفال لاتصل اليه الايدي ، فهو لايغذي النفوس » .

داود بركات

أيتها الدسيسة

مترجمة عن الانجليزية للشاعر العالمي وليم شكسبير

(١) — الترجمة

هل تخجلين من الظُّهُورِ - بِطَلْعَةٍ
في طيِّها خَطَرٌ - خِلالَ ظَلامِ
بَيْنَا الشُّرُورُ تكونُ جِدَّ طَلِيقَةٍ ؟
وإِذَنْ فأَيْنَ اذا بَحَثْتِ نَهارًا
تجدينَ كَهْفاً في ظلامٍ كافِلٍ
ليُخَبِّئَ المَرْهُوبَ مِنْ مَرْآكِ ؟!

لا تَطْلُبِيهِ يا (دَسيسةُ) واُحْجُبي
مَرْآكِ في البَسَماتِ والإِيناسِ
إِذْ لوْ مَرَرْتِ بصُورَةٍ مَطْبوعةٍ
وأَصيلةٍ لكِ ما اُستطَعْتِ حِجابًا

حتى ولا (إربُوسُ)[١] يَبلُغُ غُنيةً
مِنْ ظُلمةٍ ليقيكِ مِنْ عِرفانٍ !

(٢) — الأصل

O Conspiracy,

Sham'st thou to show thy dangerous brow by night,
When evils are most free ? O, then, by day
Where wilt thou find a cavern dark enough
To mask thy monstrous visage! Seek none Conspirary;
Hide it in smiles and affability :
For if thou path, thy native semblance on,
Not Erebus itself were dim enough
To hide thee from prevention.



(١) اربوس : هو (في تعبير الاساطير) الممر الذي تسلكه الارواح الشريرة في طريقها الى جهنم ، فهو مظلم بالدخان الكثيف .

يوم بيروت

بعث بها الشاعر في منتصف فبراير سنة ١٩٢٧ م تحية للعلامة الاستاذ جبر ضومط في يوبيله الخسيني بحفلة الجامعة الاميركية في بيروت ، وقد اجلت الحفلة الى العام التالي بسبب اعتلال صحة الاستاذ ، اطال الله بقاءه .

سَاءَلْتُ عنكَ العارفيكَ مِرارَا　　الحافِظينَ لمجدِكَ الإِكْبارَا

كلٌّ يُحَدِّثُ - لا حديثَ قرينهِ -

سِيَراً تُبجِّلُها العقولُ مَنَارَا

وكذاكَ يَخْتَلِفُ الرُّواةُ وإنْ هُمُو

عرفوا صِفاتِ الفضلِ فيكَ شِعارَا

كالنَّجمِ يَرْصُدُهُ الذينَ تَودَّدُوا

لهُدَاهُ وٱفْتَتنوا بهِ أنوارَا !

ويبلِّغونَ بدائِعاً لا تنتهي

شَتَّى يُصيخُ لهـا الأَنامُ حَيَارَى !

بُورِكتَ في هذِي المواهبِ كلّها

عُمراً يَزِيدُ على الدَّوامِ فخارَا

وأنا الصَّغيرُ فهلْ تَهِشُّ لطاقةٍ　　ضَمَّنْتُها الأزهارَ والاشعارَا ؟

وجمعتُها لجميـلِ (عيدِكَ) نفحةً
مِنْ رَوْضِ (مصر)، فأشرقَتْ تذكارَا
حسبي خُلوصُ طَوبِيَّ [1] ومحبَّتي
للنَّابغينَ العاملينَ كِبارَا
الرَّافعينَ بجُهْدِهِمْ أوطانَهُمْ والباذِلينَ كبذْلِكَ الأعْمارَا !

أهلاً بعيدٍ تنعمُ (الفُصْحى) بهِ
يستأهلُ الأَضْواءَ والأَقمارَا !
ويُعيدُ أمثلةَ الجلالِ سَنيَّةً المبصرينَ فيُسْعِدُ الأَبْصارَا
ويَقُصُّ مَحْسُوداً (خواطِرَ) عالِمٍ
جَلَّتْ عن النسيانِ لا تتوارَى
شاقتْ (بفلسفةِ البلاغةِ) مثلما
شاقتْ باعجازِ البَيانِ نهارَا
وزَهَتْ بأمثلةِ التَّدفُّقِ عذْبةً كمياهِ (لُبْنانٍ) رَوَيْنَ غِزارَا
ويُعطرُ الخُلُقُ الزَّكِيُّ (حِسانَها)
فيزيدُنا حُبًّا لهنَّ مُثارَا

---

(١) صفاء طوبتي .

نَبْعٌ منَ الأَدَبِ الصَّميمِ مُرَنَّقٌ (١)
كم أمتعَ الألبابَ والأفكارَا
يَقِقٌ (٢) مِنَ الكافورِ ضمَّخَ شَهْدَهُ
وأساغَهُ للمُهتدينَ عُقَارَا (٣)
وكأنما (للأَرْزِ) (٤) في مكنونِهِ
سِرٌّ يزيحُ عن العُقُولِ ستارَا
ويهزّ أفهامَ الذينَ تغافلوا ويُشعُّ اعجازاً لمنْ يتمارَى
صَفْوٌ يمُرُّ مُسَلْسَلاً ومؤهلاً
بالشَّاكرينَ الشَّاربينَ مِرارَا !
قدْ نمَّ مِنْ حُلْوِ المَذاقِ وطبْعِهِ
عنْ طَبْعِ مَنْ تَخِذُوا الجِنانَ دِيارَا!!
كم فاضَ مِنْ عَلَمٍ أشمَّ، وانما
أخفى التَّواضعُ عَقْلَهُ الجبَّارَا !

---

(١) مرنق : مصفى .
(٢) اشارة الى زهر الكافور الابيض العطر .
(٣) ضمخ : اشبع طيباً ، والعقار : الخمر .
(٤) ارز لبنان الشهير .

كم مِنْ « جداول » في الصَّحائفِ زانَها
أدَباً ، وكمْ أحيَابها « أنهارًا » !

عَلَمٌ رَضِيُّ الخُلْقِ يستَذْري بما
يكسو النفوسَ المُنْجِبَاتِ وَقارًا

يتضاءَلُ الصِّيتُ الجنيبُ وينقضي
بينا الأصيلُ مُخلَّدٌ ما أنهارًا

كم مِنْ شهيرٍ قبلهُ خذلَ الوَرى
بتقلُّبٍ واستكبَرَ استِكبْارًا

عبثوا بأحلامِ الأنامِ فبدَّدُوا
ثِقةَ الأنامِ وأصبحُوا أغرارًا

وهو العظيمُ بعلمــهِ وبطبعهِ ما زالَ يُنكرُ برَّهُ إنكارًا
ويَعُدُّ أكرَمَ ما أفادَ ضريبةً للعلمِ يَدْفعُ قِسْطها مُخْتارًا

ويعافُ ألقابَ الامارَةِ والعُلَى
شَرَفاً ، ويصحَبُ للنُّبُوغِ خِيارًا

هُمْ جَمْعُ أسفارٍ لديهِ [1] ونُخْبَةٌ
في الطَّالبينَ تُمدِّسُ الأسفارًا

---

(١) اشارة الى مؤلفات المحتفل به .

ساروا على وَحْيٍ تَوهّجَ مثلما
قادَ (المسيحُ) رجالَهُ الأخيارَا !

يا (جبْرُ ضُومَطُ) مِنْ حياتِكَ فِتْيَةٌ
داموا تلاميذَ الحِجى الأبرارَا

أطلعْتَهم في كلّ وادٍ فرقداً[1] ونشرْتَهم نَشْرَ الضياءِ كِثارَا
يا بالغَ السبعينَ دُونَ فتوّةٍ كالشمْسِ تأتلِقُ القرونَ أُوارَا
في نِصفِ قَرْنٍ لم تدَعْ لمؤمّلٍ أملاً يخيبُ ولم تُطِقْ إيثارَا
يا خادِمَ اللّغةِ الشّريفةِ صادِقاً صوّرْتُ جُهْدَكَ عالماً سيَّارَا
ستعيشُ أجيالٌ تبجلُ نورَه شغَفاً ولا تنسى له استمرَارَا

لكَ في الصّحافةِ والمَعاهدِ عُصبةٌ
مِنْ تابعيكَ عزيمةً وغِيارَا[2]

نشتارُ من إحسانهمْ مَعْسُولَ مَا لقَّنْتَهُ فنعزّزُ المُشْتَارَا
والعِلمُ ليْسَ لهُ حدُودُ ممالِكٍ لا يرْتجي داراً ولا دَيّارَا[3]
كالدِّينِ حرْمَتُهُ، ولكنْ حظّهُ أغنى وأوفرُ نِعمةً ويَسارَا

(١) الفرقد اصلا النجم القطبي الذي يهتدى به . والاوار : الحرارة .
(٢) الغيار : الغيرة والحمية . والايثار :عكس المساواة .
(٣) الديار : صاحب الدير او ساكنه .

خَضعتْ لهُ الامَمُ الكبارُ، وسُوِّدتْ[1]
أُمَمٌ بهِ كانتْ تُعَدُّ صغارَا

لا اللَّونُ أوْ خُلْفُ العقيدةِ همُّهُ
كلاَّ ، ولا أنْ يرْقُبَ الأذكارَا !

لٰكنهُ أملُ البريَّةِ كلِّهـا
جعـلَ الإخاءَ شَريعَةً وذِمَارَا

فاذا العليمُ الى العليمِ مُقرَّبٌ
ويرَى المقيمُ به المُغرَّبَ جارَا

فاهنأْ بآلافِ القلوبِ وَفِيَّـةً
وافتْ نداكَ المستفيضَ بِدارَا !

(بيروتُ) تِيهي بالذينَ تسابقوا
للعيدِ واعتنقوا هَواكِ جِهارَا

أكرمتِ (جامِعةً) حَبَتْكِ[2] فخارَها
ومُنِحْتِ منْها الفضلَ والأقْدارَا

---

(١) سودت : جعلت سيدة .
(٢) حبتك : اعطتك .

واليومَ مِدْرَهُهَا الأديبُ تَخُصُّهُ (١)

بثنائها فاستنهضي الأطيارَا !

وسَلِي (الطبيعةَ) أنْ ترتّل شعرَها

طرَباً وتُلهِمَ بُلبـلاً وهزارَا

الفيلسوفُ أبو البيان حقوقُهُ يومَ الوفاءِ نُعزُّها تكرارَا

زُفّي أريجَكِ يا جِنانُ ورنحي أهلَ البيانِ وأنشِي الأوتارَا

لو لا فُرُوضٌ غالباتٌ قوّتي

ومُنَى الفؤادِ هنا لَطِرْتُ وطارَا !



(١) المدره : السيد المتكلم .

مملكة ابليس

أوْ جَوْلَةُ يومٍ

قصيدة فلسفية من الشعر المرسل

جلستُ ألْعنُ (إبليساً) وما اُقترفتْ يَداهُ مِن خلْقِ دُنْيا للاساءَاتِ

في مجلِسٍ ذي غطاريفٍ لهمْ سِيَرٌ محمودَةُ الذّكرِ مِنْ بِرٍّ ومنْ أدَبِ

وكلُّهمْ سَبَّحُوا باللهِ والتمسُوا معونةَ اللهِ للإصلاحِ في الناسِ

فجاءَني واحِدٌ منهمْ وساءَلني بخفْتِ صَوْتٍ له : « هل أنتَ تعرفني ؟ »

فقُلْتُ : « طَبْعاً ! وما معنى السؤَّالِ ؟ ألا ترى برأْسِيَ عقْلاً أو هوَى خِلٍّ ؟ ! »

فقالَ : « أخطأْتَ ! إنّي مَنْ طَعَنْتَ بهِ ! » فقلتُ : « مَنْ ذاكَ ؟! » مَبهُوتاً على خَجَلٍ !

فقال : « إنّيَ (ابليسٌ) ! ... » فقلتُ : « كَفَى ! يا صاحِ هذا مزاحٌ ليْسَ يُرْضيني ! »

فقال : « ثِقْ ياصديقي ! هذِهِ سِمَتي ! » ... فلاحتْ النارُ في عَيْنَيْهِ تُرْهِبُني !
فقال : « لا تخْشَ بأساً وارْتقبْ ! فأنا آتٍ الى بيتِكَ المعمورِ أُرْشِدُكَا ! » ....
فَزادَ ذلِكَ رَوْعي ثمَّ حيَّرني حتى مَضيْتُ الى بيتي كمجنونٍ !

قضَيْتُ لَيْلي بلا نَوْمٍ وفي هَلَعٍ ، كأنمـا أنا عندَ الجِنِّ مأسُورُ
وبينما أنا أرْنو ـ غيْرَ منتبهٍ ـ الى الجدارِ وذِهني رَهْنُ أوْهامِ
ألْفَيْتُ طيفاً مِن الشبّاكِ يرمقُني ومِلْءُ لحَظَيْهِ نيرانٌ وفي فِمِهِ !
فكِدْتُ أُصعقُ مِنْ ذُعْري فطمْأنني ببسْمةٍ مِنْهُ زادَتْ رَهبتي هَلَعا !!!
لـكِنّه أشْعلَ المِصْباحَ مِنْ فِمِهِ وجاءَ مُقتَرِباً مِنّي فحيَّرني !
إذْ لم يكنْ غيْرَ خِلّي في الصبَّاحِ وقد أتى كوَعْدٍ لَهُ في حيلةِ الجِنِّ
فقُلتُ والخوْفُ يُفْنيني ويَبْعثُني : « ياصاحبي كِدْتَ تُفنيني من الهَلَعِ ! »
فقال : « دَعْ عنكَ هذا الخوْفَ ! سوف ترى مِنّي صداقةَ معوانٍ بلا شكٍّ

وسوفَ تُدْرِكُ أنّي سيدٌ مَلِكٌ، وليسَ في الكونِ غيْري مَنْ يُسيِّرُهُ

أنا (الغرائزُ) والدُّنيا بأجْمعها لي مثلُ مملكةٍ هامَتْ بقُرْبانِ

وبينما أنا شيطانٌ أنا مَلَكٌ، وللأنام الذي يرضونَ مِنْ حظّي

وكلُّ فَرْدٍ به بَعْضي، وإنْ خُبِثَتْ مَشْبُوبُ رُوحي التي تهْوَى الملذّاتِ

ولنْ أفارقَ دُنياكم وإنْ غَنِيَتْ الأمُّ متى يغتدي الانسانُ رَحْمانَا (١)!

فلا تَلُمْني ولا تلعنْ مُحاوَلتي أنْ أجعلَ النَّاسَ بعدالشَّرِّ أخيارَا

أسُوقُهُمْ لمجالِ الشَّرِّ مُمْتَحِناً حتى أخلّصَ منهمْ مَنْ سَمَا خُلُقَا

فيرتقي الأصلحُ السَّامي بفطْرَتِهِ بعدَ انتِخابٍ وبَعْدَ الفَحْصِ مِنْ حِيَلي!

فلا تلُمْني إذنْ وانظرْ تجدْ حِيَلي عَوْنَ (الألوهةِ) أوخيْراً من الشَّرِّ (٢)!

وكلها عِبَرٌ تَهْدِي البصيرَ، فكُنْ ذاكَ البصيرَ وراقبْ كُلَّ أعمالي:

لا تُهْمِلْ النَّاسَ وافحصْهُمْ بلا كَلَلٍ تجدْ دُروساً وآياتٍ من العِبَرِ

وتَلْقَى بينهمْ دَوْماً بحيث اذا نَظَرْتَ أبصرْتَ لَمْعَ النَّارِ في بَصَري!

---

(١) رحماناً : الماً .

(٢) اي خيراً مشتقا من الشر .

فهذهِ شارَتي ... فاستوحِهَا أبداً اذا أردْتَ بياناً عنْ مجاهدتي !
وثِقْ بنفعي وإخلاصي تَعِشْ مَلَكاً فوقَ الاساءةِ، سَبَّاقَ (السُّبَّرْمَانِ) !
ولا تُجازِفْ بلعني ناسياً صِلَتي ، وأنت بَعْضي ككلِّ الناسِ ياصاح !
أنا المُطَهِّرُ بالنّيرانِ ما جَمَعَتْ دُنيا كُوِنْ نفُوسٍ كلُّها ضَرَرُ !
واليْسَ يَبْقَى سوى الاصلاحِ مضطلعاً بعبءِ نهضتكمْ (للهطلب الأَسمى) ! »
فشاقني رأيُهُ العالي ، وصافحني مُعاهِداً عَهْدَ إخلاصٍ وإحسانِ ،
وهزَّني .... فاذا بِنْتي تُداعبني عندَ الصباحِ لإيقاظي من النَّوْمِ !!
فقلتُ : « ما هذهِ الأَحلامُ تُرْعِبُني حيناً وتضحكُ مني باسمِ فلسفةٍ ؟ ! »
لكنْ رأيتُ ـ وكُلِّي دَهْشَةٌ وَجلاً ـ مِصْبَاحَ زيتٍ مُضاءً قرْبَ نافذتي !
وما عرفتُ له مِنْ قَبْلُ منزلةً عندي بغرفةِ نَوْمي طُولَ أعوامي !...

لم أَمْضِ يومي هنيءَ البالِ بلْ أَخَذَتْ هواجسُ الحُلْمِ طُولَ اليَوْمِ

تُشقيني !

فلم أجدْ لي مفراً مِنْ هواجسهِ الاَّ بمجلسِ أُنْسٍ بين أصحابي :
بمنزلٍ فيهِ كلُّ الطيباتِ ، وقد أطَلَّ(١) يرْقُبُ مَوْجَ البَحْرِ فتَّانَا
والعُودُ يُرْسِلُ أنغاماً مجدَّدَةً نشاطَنا و نَشاطَ المَوْجِ مِنْ طَرَبِ !
ومَرَّتْ الخمْرُ في الأكوابِ راقِصةً بناتُها كحَبَابِ نافثٍ سِحْرَا !
وربَّةُ البيْتِ تُغْوينا بنظرَتِها ، ولم تكنْ غيرَ فتَّانٍ من الأدبِ
وصاحبُ البيتِ يُغرينا برِقَّتِهِ حتى قضيْنا على خَمْرٍ بها ضَحَّى !
خمْرٌ ولَهْوٌ وظَرْفٌ رائعٌ وهوًى ومَنْظَرٌ بهجٌ حيَّتهُ أنغامُ !
حتى انتشيْنا بلا سُكْرٍ فجرَّ كَنا هذا الصفاء الى التفكيرِ في
(الفنِّ) !

فقال أكثرُنا خُبْثاً وأعرفُنا بالنَّاسِ والفَنِّ والدُّنيا ولذَّتها :
« ما رأيكم ياعبادَ اللهِ في رجلٍ يرَى من (الفنّ) ما عدُوهُ
شهوتَنا ؟ ! »

وحيثُ كُنَّا رجالاً كلّنا ومضَتْ مِنْ قَبْلُ ربَّةُ هذا البيْتِ مُعْتزلَهْ
فما خشينا رَقيباً ، لا ولاسبَباً يدعو الى حذَرٍ في الرَّأيِ والبَحْث.
فقلتُ : « ياصاحبي ! (الفَنُّ) غايتهُ أنْ يُظْهرَ الحُسْنَ أنَّى
كانَ محتَجِباً ،

---

(١) اي المنزل .

وأيْنَ حلَّ ، فلا عيبٌ عليكَ اذا رأيتَ شهوةَ دُنيا ناحوتْ حُسْنَا .
لـكنْ تُعابُ اذا لم تَدْرِ حكمَتَها وما تبيَّنتَ قَصْدَ الحسْنِ في الدُّنيا
وإنْ تناسَيْتَ أنَّا صائرُونَ الى عَهْدٍ بهِ (شهوةٌ) الانسانِ خادِمُهُ
فليسَ خادمَها الاَّ لتخدمَه ، فانْ تَعلَّتْ فقدْ أضْحى لها عَبْدَا ،
وصارَ حينئذٍ يؤْذِي طَبيعتَه ، وقَدْ هَوَى بينما الأَحْجَى تساميه
فليْسَ في كلّ هذا ذرَّةٌ مَنَحَتْ (للفنِّ) معنًى عظيماً يُكرِمُ
(الفنَّا) ! »

فقال : « أخطأتَ ! إنّي شاعرٌ ولَهُ حقُّ التمتّعِ بالدُّنيا وما فيها
و (الشَّهْوَةُ) الكَوْنُ لا شيْءٌ يُعادِلُها ، الاَّ اذا نحْنُ بعْنَا
الصِّدْقَ بالوَهْمِ !
(الفنُّ) عِندي خُمورٌ مِلْؤُها شَغَفٌ مثْلي بحُسَّانةٍ مَعْبُودَةِ الفِتَنِ
وكلُّ غانيَةٍ لا شيءَ يشْغَلُها الا الهَوَى ولذيذُ الوَصْلِ والقُبَلِ
حيٌّ لها مُتْعَةٌ هيْهاتَ يَشْمَلُها وَصْفٌ ويحلو التَّغالي في تذوُّقِهَا !
وقد أُخالِفُ كلَّ النَّاسِ في سُبُلي ، فذاكَ فنّي وكم طابَ الشّذُوذُ بهِ !
واني عبقريُّ الطَّبْعِ شيمتُهُ مستهتراً قَطْفُ أزهارٍ فأزهارِ !
هذا هوَ (الفنُّ) عندي فاتّخِذْهُ هُدًى إنْ شِئْتَ أنْ تغتدي في
الحظِّ محسودَا !! » ...

فأمَّنَ الجمعُ تأميناً ... ! فأدهشَني هذا الغُلوُّ بتقديسٍ لشهَواتهم !
وقلتُ في النفْسِ : ما عُقبى دعاوَيهم في النَّاسِ ، بل أيُّ معْنىً
ذاكَ (للفنِّ) ؟
أليسَ هذا سقُوطاً للنفوسِ كما يتلوهُ حَتْماً ضياعُ النُّبْلِ والشَّرَفِ ؟
وكيْفَ يُحْسَبُ هذا (للجمالِ) هُدًى ؟ وكيف يُحْسَبُ لَوْناً مِنْ
حُلَى (الفَنِّ ؟ !)
وبينما أنا في صَمْتٍ وفي شغُلٍ من التأمُّلِ في عُبَّادِ شهوتهم ،
دَنَا اليَّ وحيَّاني برقّتهِ هذا الصَّديقُ كأَنْ قد خافَ إيلامي ...
وقال : « علكَّ لم تحملْ مناقشتي على الخُصُومَةِ فالغاياتُ واحِدةٌ
ولو تأمَّلْتَ ألفيتَ الذي اختلفتْ طِباعنُا فيهِ نَوْعاً مِنْ مجانسةٍ
فسوْفَ يستخلِصُ الأَقوى وسوفَ ترى أنَّ (السُّبرمانَ) ينمو
مِنْ تجاربي ؟
ألستَ تعرفُني ؟! » .... ثم انتبهتُ فما وَجدْتُ الأَ لهيباً مِلْءَ
عينيْهِ !! ....

هرَبْتُ مِنْ مجلسي هــذا وخِفْتُ ـ اذا رجعتُ للبيْتِ فَوْراً ـ
عَوْدَ أحلامي !

فَقُلْتُ لا بدَّ من جهْدٍ ومِنْ سَهَرٍ حتى أحسَّ باعياء يُخَدِّرُني !
فَسِرْتُ سَيْراً طويلا دُونَ ما غَرَضٍ ، ودُون عِلْمٍ بما حَوْلي وقُدَّامي !....
كأنّني نائمٌ بالسِّحْرِ تدفعهُ للسيرِ في نَوْمِهِ غاياتُ شيطانِ !
فلستُ أَلْوِي على شيءٍ ، ولا انتبهتْ عيناىَ لِلَّهْو والأنوارِ في طُرُقي ....
حتى أتيتُ الى بابٍ به اجتمعتْ عصابةٌ في صياحٍ ردَّ لي حِسِّي!
وكدتُ أفزعُ من تصويتهمْ فلهمْ جَنْبَ الشَّحيحِ نَبيبُ التَّيْسِ غلاّبا [(١)] !!

كانوا ثمانية صاحوا ببائسةٍ قد لطَّخَتْ رأسَها بالوحْلِ ضارعةً !
وحَوْلها جَمْعُ أطفالٍ لها صرخوا مِنْ هَوْلِ موقفهمْ أو خوفَ والدِهمْ
بباب (حانة كسْتي) حيثُ قد ذهبتْ نُقودُ والِدِهمْ في صُحْبَةِ السُّوءِ :
وحيثُ زَوْجَةُ (كُستي) أوْ خليلتهُ صارَتْ رفيقةَ هذا الجاهلِ اللّاهي!
وهذِهِ أُمُّهُمْ في الُجوعِ نادِبةٌ ، وهم كذلكَ في جُوعٍ وفي هَلَعٍ
مَضَتْ عليهمْ شُهورٌ في تعاستِهمْ ، وما رأوْا مرَّةً وَجْهاً لوالِدِهمْ !

---

(١) الشحيح : صوت البغل ، والنبيب : صوت التيس .

فأحضرتهم اليه بعد ما يئست منه ، وبعد مذاق البؤس ألوانا . . .

فثار فوراً عليها مثل منتقم منها ، كأن قد أتت ما شذ من عار !
وما ارتضى صحبه الا اساءتها بشتمها و بتسفيه و إصغار !
والناس تضحك منها دون ذي شمم يرد عنها الأذى من كيد أوباش . . . .

لكن تبينت من صيحاتها خجلاً ما نالها كجزاء البر بالزوج
فقلت : « أخطأت ياهذا ! » فجاوبني بصفعة و بنار ملء عينيه !
وقال : « هذي كتذكار لتعرفني ! » . . . وهزني صحبه هزاً وما خجلوا ! ! . . .

فسرت في حيرة كبرى وفي لهف ، كأنني عائش بين المجانين !
ورحت ألعن يومي ، بل وما ذهبت اليه نفسي من الإحسان للناس !

●▭●

وسرت سيراً حثيثاً شبه مضطرب كأنما كان شيطان يطاردني !
فأوقفتني أنغام حننت لها من مرقص بهج قد رف بالانس
فقلت : هذا ملاذي بعدما شقيت نفسي بيومي من الآلام والفشل .

وقد نعِمتُ بما شاهدتُ مِنْ مرحٍ ومِنْ جمالٍ ومِنْ لُطفٍ ومِنْ طربٍ :

فهذهِ سوَرُ الأنغامِ مُنزَّلةٌ للنّاسِ مِنْ ملكوتِ اللهِ طاهرةً !

في كلِّ لحنٍ معانٍ للحياةِ كما في كلِّ لحنٍ شعورٌ بالملذّاتِ !

وهذهِ خِفّةُ الأقدامِ حاكيةٌ نفوسَ ربّاتِها في خِفّةِ الرّوحِ !

من كُل غانيةٍ قد جسّمتْ فِتناً للنُّورِ في جِسمها الشفّافِ إبداعا !

لم أدْرِ هلْ خُلِقتْ كيْما نقدّسَها أوْ كيْ نذوقَ بها الجنّاتِ إمتاعا ؟ !

قد أتقن (الفنَّ) للتخليدِ صانعُها كأنما مثّلته حين نعبدُها !

فما بها حاجةٌ للماسِ بلْ سطعتْ للماسِ روْعةُ نُورٍ مِنْ بشاشتِها !

وزيّنتْ كلَّ ملبُوسٍ كما نفحتْ كلَّ الجوارحِ بالإمتاعِ ألوانا !

فكنتُ في ساعةٍ قضيّتُها طرباً بجنّةِ (الفنّ) هذا شِبهَ مسْحُورٍ !

رأيتُ فيها « التّسامي » (بالفنونِ) قضى على سقوطِ لشهْواتٍ وتضليلٍ ،

فطِبْتُ نفساً ، وقد أُنسيتُ ما لقِيتْ في اليوْمِ مِنْ عنتٍ للحظِ أرْهقني !

وقمْتُ والفجرُ قدْ أوْفى لِيُعلِمَنا بالانصرافِ ، وما كُنّا على سأمٍ

وعند ذلك آذى مِسْمَعِي طَلَقٌ من جانبٍ حجبوهُ عنْ نَوَاظِرِنا
فاخرِسَ النّاسُ ! ... هذا صوْتُ ناطِقةٍ مِنَ الرّصاص !
فيا لَلْهوْلِ ! مَنْ هذا ؟ !
وتابعتْها رَصاصاتٌ ، وصاحَبَها صَيْحَاتُ جازعةٍ تستنجدُ الناسَا
فما توانَوْا ووافوها فما وجدوا الاّ مزيجَ دِماءِ الرُّوحِ والشَّرَفِ!
ثلاثةٌ ضُرِّجوا موْتاً وكلهمْ في ريِّقٍ من شبابٍ وافرِ الأَملِ :
هذا أخٌ ماتزالُ النّارُ مُشْعَلَةً في ناظِرَيْهِ يُلاقي المَوْتَ مسْرُورًا !
وهٰذِهِ أُخْتُهُ في حِضْنِ عاشقِها ، وقد تردَّتْ بعارٍ قَبْلَ ضرْبتِهِ !
وذلكَ العاشِقُ المغرُورُ في هَلَعٍ قد ماتَ موتيْنِ مقتولاً بشهوَتِهِ ! ....
فلم أُطِقْ ذلكَ المرْأى ، فقدْ جُمِعَتْ فيهِ المصائبُ والاتراحُ أشكالاً !
ورُحْتُ عدْواً الى البوّابِ أسألُهُ عنْ مِعطَفي وبودِّي الجرْيُ للبيْتِ !
لـكنْ تملّكَ نفْسي وَقتَها طَرَبٌ ما كانَ عهدِي بهِ في النّفْسِ مِنْ قبْــلُ ! ...
وقلتُ : فَلْيُمْحَقْ (الانسانُ) إنْ حقُرَتْ همومُهُ ، ولْيَسُدْ إنْ

كانَ مِقْدَاماً !

لا خيرَ (للأرضِ) في النَّسْلِ الضَّعيفِ بها ، فليذهبْ النَّسْلُ إنْ لم يعبأ النَّاسُ !

ولاحَ وَجْهي بمرْآةٍ فأذْهلني ما لاحَ مِنْ شَرَرٍ زاهٍ بعينيَّ !

ثمَّ التفتُّ الى خَلْفي ، فأدْهشني أنّي أرى « صاحبي »(١) بالأمس يَبْتسِمُ لي . . . !!



(١) ابليس المتنكر المتمثل في الغرائز الجامحة التي لا « تتسامى » .

ذنبٌ وعقاب

عانَيْتُ مِنْ غَدْرِ الأَنامِ ولُؤْمِهِمْ
ما لا يزالُ مُحَيِّري ومؤرِّقي

وأظلُّ رغمَ تشاؤمي متُفائلاً متنزِّهاً عن كَيْدِ غَيْظِ المحْنَقِ

فكأنني خاصَمْتُ دُنيا آثَرَتْ
خُسْري ، ولكنْ لي خِصامُ المُشْفِقِ

وكأنّني آثرتُ دُنْيا بَعْدَها ووهبتُها حُبِّي ولمَّا تُخْلَق !

فأنا الغريبُ ببيئتي ، وأنا الذي
بمحبّتي الانسانَ غيرُ مُفرَّقِ !

وأنا الأسيرُ لجهلِ مَنْ قد حفَّني
وبحُرِّ حُلْمي كالأميرِ المُطْلَقِ !

ما أعظمَ الدُّنيا لمنْ هوَ عبدُها
وأقلَّها جُرْماً لذهنِ مُحلّقِ !



الصنم

يرَى له عِصْمَةً في الرَّأي بالِغةً
وكُلُّ عِصْمَتِهِ تَضْليلُ مَنْ وَهَمُوا !
ويَحْسَبُ المجْدَ دَعْوَى لا حُدُودَ لها
والمرء إنْ لَجَّ في دَعْواهُ يُتَّهَمُ
يزْهَى بمَظْهَرِ مُعْتَدٍّ ، ومَظْهَرُهُ
كالصَّخْرِ ، لكنَّ حيَّ الصَّخْرِ لا يَجِمُ !
إني لأَعجَزُ عن وَصْفٍ يُسَكِّنُهُ
وقدْ تبرَّأَ مِنْ أوصافِهِ الصَّنَمُ !
هذا الجُمودُ عجيبٌ ، ثمَّ أعْجَبُهُ
حَلْقٌ لصاحِبِهِ السَّامي الذُّرَى وفَمُ !
كلاهما نَزِهًا عن لفظةٍ كَرُمَتْ
كأنَّ صَمْتَهُما في طُولِهِ كَرَمُ !
وبعد هــذا نلاقِي المَنَّ في سَفَهٍ !
والمَنُّ مِنْ مُفْسِدٍ يُذْكَى بهِ الأَلَمُ

مَنْ عاشَ عِيشةَ مَفْتُونٍ بقوَّتِهِ
يَنْبَثُّ مِنْ عَصْفِ أحقادٍ له ضَرَمُ
سِيّانِ والقائِدُ الخدَّاعُ أُمَّتَهُ
كِلاهُما عابثاً أَوْلى بهِ العَدَمُ !



الشهرة

كَمْ كُنْتُ أحسبُ عُقْبى شُهْرَتي أملاً
للحقِّ لكنْ غدوْتُ اليومَ أسأمُها !
ظننتُها مِنْبراً يَعْلو النِّداءُ بهِ
مُبَلِّغاً دَعْوَتي مَنْ لَيسَ يَعْلَمُها
وما حَفَلْتُ بها يوماً كآبِهةٍ
بلْ كُنْتُ أُدْرِكُ مَبْناها وأفهَمُها

ولا سَخَطْتُ على مَنْ ضَيَّقوا سُبُلي

الاَّ ونفسي تُفَدّي مَنْ يُهَدِّمُهَا !

وكلُّ بُغْيَتِها مِنْ شُهْرَةٍ سَبَبٌ

لخدْمةِ النَّاس، لاما كانَ يَخْدِمُهَا

فأصبحتْ [1] لي دُخاناً بعد مَشْرِقها

وبَغْضَ الحظِّ في عَيْنيَّ مقدَمُهَا !

وَصِرْتُ أنبذُها لَمَّا لَمَحْتُ لهـا

حِقْدَ الوَرَى وشَجاني اليومَ مَبْسِمُهَا

وَعِفْتُها كبغيٍّ ليسَ يَعْشَقُها

عِشْقَ الجنُونِ سِوى مَنْ ليْسَ يَرْحَمُهَا

وعُدْتُ أشتاقُ لي صَمْتاً وعُزْلتَهُ

فالصَّمْتُ للنَّفْسِ في الضَّوْضاءِ يُكرِمُهَا

تَناحَرَ النَّاسُ حُبّاً في الظُّهُورِ، وما

نالُوا سوى جُثَّةٍ قد رَشَّهُمْ دَمُهَا !

قد شَوَّهُوهَا فماتتْ مِنْ أسِنَّتِهِمْ

وعَانَقُوها فلَمْ ينبسْ لهم فَمُهَا !

---

(١) أي الشهرة .

وكُلُّهمْ بين مَطْعُونٍ ومقتتِلٍ
كأنما غُنمهمُ هذا ومَغنَمُهُ !

خيرٌ لِمثْلي أنْ يُنسى اذا اقْترَنَتْ
ذِكْراهُ بالحِقْدِ حيثُ الحِقْدُ مأتمُها
إنْ لم أعِشْ لجمالِ الحبِّ في عِظَمي
فلا سمَوْتُ بِنفْسٍ ضاعَ أكْرَمُها !

شم النسيم

الى الحبيب الهاجر

أهلاً (بشَمِّ النَّسيمِ) يَطيبُ في ذِكْراكْ
كأَنما هوَ رُوحٌ نَشَرْتَها مِنْ هَواكْ !
ففاحَ منها (الرَّبيعُ) وجُدِّدَ الكَوْنُ طرًّا
ورَفَّ قلبي سُروراً كأَنما حالَ زَهْراً !

أوْ أنَّــــــا بَعَثْتَهُ	ذِكْرَى صُعُودِ (المَسِيحْ)[1]
وجُدْتَ أنْتَ بِعَطْفٍ	أُحْيِي الشَّهِيدَ الجَرِيحْ !
وأوقَدُوا النَّارَ فيــهِ	و (الفَجْرُ) يَرْنُو لنارِي
حتى الإلهُ (بتاحٌ)[2]	رأى بهــا أشعارِي !
يَوْمٌ بهِ تَتَباهَى	مواكِبُ الشُّبَّانِ
تستَقْبِلُ الصفْوَ (حُبّاً)	في النهْرِ والبُسْتانِ !
وما تباشيرُ عيدِي	وغَرْسُ هذا (الرَّبيعْ)
الاّ حنانُ فؤادِي	الى سناكَ البديعْ !
عيدٌ لابناءِ (مِصْرَ)	مُوَصَّلٌ في قُرُونْ
وعيدُ قلبي المرَجّي	مَنْ خَصَّنِي بالفُتُونْ !
فكلُّ (شمِّ نسيمٍ)	وأنتَ تقطفُ أُنْسَا
لم أسْلُ أُنْسَكَ فيــهِ	هيهاتَ أُنْسُكَ يُنْسَى !



(١) توافق عند المسيحيين الشرقيين يوم (شم النسيم) .

(٢) الاله (بتاح – Ptah) عند قدماء المصريين هو مهندس السكون الاعظم وموجد النار العالمية او الشمس . وتشعل النار في فجر (شم النسيم) علامة على تجدد الحياة بابتداء الربيع .

الحسان

وسُئِلتُ : منْ هُنَّ « الحِسَانْ » !

هُنَّ العفيفاتُ اللِّسانْ

الفائِضاتُ عُذُوبةً تُنسيكَ موعودَ الجِنَانْ !

الثَّائِراتُ على (الطَّبيـ عةِ) في التَّفَنُّنِ بالمَعانْ !

النَّاهِضاتُ بكلِّ ما يَجْلُو لنا نِعَمَ الزَّمَانْ !

صُنَّ الوجُودَ مُجَمَّلاً يَخْتالُ في الحُسْنِ المُصانْ (١)

في زينةِ اللُّطْفِ الأَصيـ ل وخِفَّةٍ تتناظَرانْ

حُمِلْنَ أعباءَ الهِدَا يةِ للسعادَةِ والأَمانْ

فَسَطَعْنَ دُونَ تكلف لا في الضِّياء ولا البيانْ !

وبَسَمْنَ دُونَ تَرَدُّدٍ بشِفاءِ أفئِدَةٍ عَوَانْ

وبَعَثْنَ بالنَّظَرَاتِ في سَكَرَاتِ أحلامِ العِيَانْ

ووَهَبْنَ للأَرْواحِ ما غَذَّى الشُّعورَ والافتِتانْ !

(١) المصان (بضم الميم او فتحها) لغة: غلاف القوس . وفي هذا الوصف معنى شعري دقيق ، حيث وصف الشاعر رشاقة الحسان وصيانتهن جمال الوجود المجمل بهن ابلغ وصف تصويري في ايجاز ورقة تعبير .

الباذلاتُ جمالهنَّ أشعةً في كلّ آنْ !
والباخلاتُ بغيرِ ما يُحيي المدارك والحَنانْ
والجامعاتُ من (الطبيعةِ) كلَّ ما حَيَّا وزانْ !
في نورهنَّ من الكواكبِ والرياضِ أحبُّ شانْ !
ومنَ الجمالِ وإنْ تنوَّعَ كلُّ مُعتزٍّ ودانْ !
بيْنَ التناسُبِ في الملاحَةِ والرشاقةِ والأغانْ !
ونبالةِ الطبْعِ الشفيقِ ورحمةٍ تأبى الهوانْ
وجلالةِ الخُلُقِ الكريمِ يَعاف وِرْدَ الامتهانْ
مثلانِ منْ عجبِ الغوايةِ والهدايةِ للجنانْ !
جَمعَا السعادةَ والشقاوةَ للرجاءِ والامتحانْ !
هذي صِفاتٌ للحِسانِ نَظمتُها الهُدى (الحسانْ)[١]



(١) اشارة الى مجلة (الحسان) التي نشرت فيها القصيدة .

شفاء وشفاء

اهدى العلامة الشهير الاستاذ جبر ضومط مجموعة مؤلفاته الى الشاعر ثم بعث اليه بالكتاب الودي الآتي فرد عليه صاحب الديوان بالابيات التالية

١ — كتاب الاستاذ جبر ضومط

الجامعة الاميركانية ٨ اذار ٩٢٧

الاستاذ نابغتنا الدكتور احمد زكي بك ابو شادي دام زينة للنبلاء — الاسكندرية

عزيزي يا دكتور سلاماً عليك

لست ادري ان كنت غريباً عني او غريباً عني وهذا ما جعلني اخاطبك كما يخاطب المعترف البعيد عقابا . ولست اخالك الا تلم بالجمع بين المتناقضين في عباراتي انما تقف على حول المرح النافض ؟

فهمت من اشارة اخي الاستاذ خليل المقدسي وانا في الفراش بجعلني او عزائي ابني نجيب ان ارسل اليك ما وصلت اليه يدي من مؤلفاتي على ان اكتب اليك حالما اقوى على الكتابة

اليوم قمت من فراشي واشعر ببعض الصحة والنشاط وفيما انا استنهض قواي لاكتب اليك اذا بباكورة الجلوة وخطابك الواضح الدال على طيب النفس التي كتبته فلم يسعني بعدهما ان اتأخر عن الكتابة اليك ويكفيني ما كتبته وهو بمثابة عنوان دال يخبرك عني فوق ما استطيع ان اصوره لك بعباراتي وادام الله لنا شريف بنانك

المخلص
جبر ضومط

(هذا المثال من خط الاستاذ ضومط مصغر الى النصف)

٢ — رد الشاعر

يا إمامَ (الشآمِ) في البَحْثِ والحفْ
ظِ ، ويا جابراً أصيلَ البيانِ
عُوفيتْ في شفائِكَ (الضّادُ) واعتزْ
زَتْ وتاهتْ بمُبْدَعاتِ المباني
كُنْتَ بالأمسِ صاحبَ الفضلِ إهدا
ءً فضاعفتَهُ بهذا التّداني !
طُرَفٌ في كتابِكَ السَّمْحِ تُعطِيـ
ـني نعيمَ اللّقاءِ بعدَ افتتانِ
حُسْنُها حِلْيَةُ السَّماحةِ في النفْـ
ـسِ ، فأنعِمْ بمُلْكِها في الحِسانِ
مَنْ يكُنْ مُنشِئاً كعقلِكَ ألبا
باً فمن حقِّهِ افتتانُ الجَنانِ
والفؤادُ الذي كقلبي يُناجيـ
ـكَ لَهُ من حِجاكَ أُنْسُ الجِنانِ!



المتنطعون

THE CRANKS

لو أعْلنوا أنَّ السوَّابِمَ أصْلُهَا
نَمْلٌ ولُمْتَ لَخصكَ التَّكْفيرُ !
أو أعلنوا أنَّ الظَّلامَ أشِعَّةٌ
ورَفَضْتَ ذاكَ فأنتَ أنتَ ضَريرُ !
قَوْمٌ لهمْ حَقُّ القَضاءِ ، وما لَهُمْ
رَدٌّ ، وكلٌّ قَضاءهمْ تَغْريرُ !
يَتَنطَّعونَ ، وما يَحُدُّ شُذُوذَهُمْ
حَدٌّ ، وكلٌّ في الشُّذُوذِ أميرُ !
إنْ يَرْغَبوا فبكلِّ خَطْبٍ نِعْمَةٌ
ولهمْ نظيمٌ حَوْلَهـا ونَثيرُ !
أوْ يَغْضَبُوا وَصَفُوا النعّيمَ جَهنّماً
وتَوهَّمُوا أنَّ الطَّليقَ أسيرُ !
وَلَهُمْ بسفسطةِ الجِدَالِ أدِلَّةٌ
شَتَّى ، وكمْ يأْبَى الجِدَالَ بصيرُ

حَسِبوا التَّفلْسُفَ في التَّنَطُّعِ هكذا!
لكنَّما حَبْلُ الضَّلال قَصيرُ
وتَوَهَّمُوا أنَّ الذَّكاءَ عِنادُهُمْ!
ولكَمْ تَشَبَّثَ بالعِنادِ حَقيرُ
لا يَفْتَأُونَ يُنَقِّبونَ بلا هُدًى
ويُقَدِّرُونَ، فيُخْطِيءُ التَّقْديرُ!
مُتَقَلِّبينَ فلَسْتَ تأمَنُ رَأْيَهُمْ
أبداً، وليْسَ لرَأْيِهِمْ تَعْميرُ!
ومُوَسْوِسينَ، فجِدُّهُمْ هَزْلٌ، وفي
هَزْلٍ لَهُمْ شَجَنٌ كذاكَ يُثيرُ!
واللهِ ما أدْري رَجاحَةَ عَيْشِهِمْ!
لكنَّما اللهُ الحَكيمُ قَديرُ!
وكأنَّهُمْ في مَلْعَبِ الدُّنيا لَهُ
لَهْوٌ، فعِزَّ بل استحالَ نَظيرُ!

ياسادَتي المُتَنَطِّعِينَ تمهَّلُوا!
يَتْلُو السُّقوطُ الطَّيْشَ حيثُ يَسيرُ

لَيسَ الغُلُوُّ بذَمِّكم وبمدْحِكمْ
ما تَشْتهيهِ حَصافةٌ وضميرُ !
هانَ الجِدَالُ ، وعَزَّ رأيُ مُحقِّقٍ
وكذاكَ يَنْهَضُ بالحُقُوقِ كبيرُ
يُعْطي الحيــاةَ حقُوقَها مِنْ طَبْعِهِ
إذْ يَسْتَشِفُّ (١) الحُسْنَ وهوَ سَتِيرُ (٢)
والذَّمُّ سَهْلٌ لِلْغَبِيِّ ، ومِثْلُهُ
طَبْعٌ لَهُ التَّدْميرُ والتَّزْويرُ !



---

(١) يستشف : يتبين ويستقصي .

(٢) ستير : مستور ، وتستعمل مجازاً بمعنى عفيف ، ويوصف بها الشجر اذا كثرت اغصانه .

ما هو الفن؟

ما هو الفَنُّ ؟ ... إنما الفَنُّ عندي
هو حُسْنُ «البلاغةِ الرَّمْزِيَّهْ»
ليسَ بَسْطُ التَّعبيرِ فَنًّا جميلاً
إنما الفَنُّ لَهْجَةُ العَبْقَرِيَّهْ
يَبلغُ النَّفْسَ في الصَّميمِ ويُوحِي
بِرُموزٍ لهُ المعاني السِّرِّيَّهْ
ذاكَ شانُ الغِناءِ والرَّقْصِ والرَّسْـ
ـمِ بآياتِ حُسْنِها الفنِّيَّهْ !
ذاكَ شَأْنُ النَّظمِ إنْ شاقَ إعجا
زاً بأبْهَى الفواتِنِ النَّظْمِيَّهْ
ذاكَ سِرُّ الفُنونِ جَمْعاً ، فلا بدْ
عَ اذا تَيَّمَتْ شُعُورَ البَرِيَّهْ
بينَ فَهْمٍ وَمبْحَثٍ وٱفْتِتَانٍ
وٱتّصالٍ بمسْرَحِ الأبديَّهْ !

يَتَجلَّى الجمــالُ فيها ، ويُعْطِي

ها شُرُوحاً نفيسةً عَلَوِيَّهْ

فترى النَّفْسُ طيَّ ما أتقن الفَنُّ حيــاةً ولَهْجَةً رُوحيَّهْ

لم تَقِفْ عِنْدَ مَظْهرٍ بلْ تَمَاهَتْ

باندِماجٍ في الذِّكرياتِ القويَّهْ

وكذا الفَنُّ كلمــا صاغَ رَمْزاً

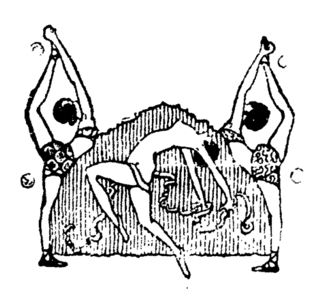
مِنْ رُموزِ البدائعِ الـكَوْنيَّهْ

كانَ في رَمْزِهِ البليغِ رَسولاً

هادِياً يُسْعِدُ النُّفوسَ الشَّقيَّهْ

ودَليلَ الجمـالِ إنْ أصْبحَ النا

سُ حَيَارَى أو عاندوا الجاذِبيَّهْ !



كروانة المسرح

ابيات تقدير للسيدة منيرة المهدية الممثلة الغنائية المصرية الشهيرة لمناسبة درج اسمها في (الكتاب الذهبي) الخاص بملك ايطاليا ـ وهو سجل العظيمات والعظماء في العالم اجمع ـ ومنحها الوسام الخاص بذلك والمدالية الذهبية الملحقة به ، وقد نالت من شارات التقدير الفني أوسمة اوروبية اخرى من قبل ، بينما لم تنل بعض هذا التقدير من حكومة بلادها . . . . !

مَلَكْتِ تقديرَ أهلِ الفَنِّ في وَطَنٍ
الفَنُّ أعلامُهُ أصحابُ تيجانِ !
مَنْ نال ما نالَ (كاروزو) بصَدْحتِهِ
فيه ، وما نال (دانزيو) بأوزانِ [1] ؟!
وما أُتيحَ (لپتشيني) ودولتِهِ
وقد بَنَى ما بَنَى مِنْ مُلْكِ ألحانِ [2] ؟!

---

(١) السنيور كاروزو (Signor Caruso) المغني العالمي الذائع الصيت . ولد سنة ١٨٧٤ م . وتوفي سنة ١٩٢١ م . وكان نجاحه في غناء الاوپرا لا يحد . واما جبريل دانزيو (Gabriele D'Aunuunzio) فشاعر ايطاليا الدرامي الشهير ومن اكبر رجال الادب المعاصرين في اوروبا . ولد سنة ١٨٦٤ م .

(٢) جياكومو بتشيني (Giacomo Puccini) حامل لواء الاصلاح الموسيقي في ايطاليا اخيراً والملحن الشهير للاوپرات الخفيفة . ولد سنة ١٨٥٨ م . وتوفي سنة ١٩٢٤ م بداء السرطان ، وكان آخر ما نظمه قصة (توراندور) ولم يكملها .

وَمَجْدَ (فِرْدِي) المُعَلَّى عندَ مُعْجِزَةٍ
لِلفَنِّ يَحْسُدُهَا إعجازُ أقرانِ[1] ؟ !
والسابقين لهم في كلِّ مَفخرَةٍ
واللاحقين بهم في كلِّ إحسانِ ؟!
في أرض (رُمْيُو)[2] التي ما زال يَنفحُها
الحبُّ والشِّعرُ في عَزْفٍ وألوانِ ؟
طُوبَى لمملكةِ الفنِّ زينتُها
بَنَتْ عليهِ المعالي خُلْدَ بُنيانِ
وألفَ شكرٍ لأهلِها وقد عرفوا
قَدْرَ التي سطعَتْ في (مِصْرَ) للرَّائي
عاشَتْ ضياءً كما عاشَتْ لنا نَغَماً
منها (الهُدَى) والنَّدَى للمسْرَحِ الهاني
(مُنيرةٌ) بَسَماتُ (النِّيلِ) تَعلِنُها
ومُسْتَطابُ الصَّدَى في اللَّيْلِ للعاني

---

(١) جيسبي فردي (Giuseppe Verdi) ملحن الاوبرا (عائدة) الخالدة الذكر . ولد سنة ١٨١٣ م وتوفي سنة ١٩٠١ م .

(٢) اختار شكسبير وقوع حوادث روايته (روميو وجوليت) في مدينة فيرونا وهي من اعمال ايطاليا وبها آثار رومانية وكتدرائية جميلة .

لم يَكْفها أنها نورٌ ومَحْمَدَةٌ
حتى حَبَتْ طِبَّ أرْواحٍ وأذْهانِ
يُصغي اليها قتيلُ اليأسِ في شَغَفٍ
بالعيشِ مِنْ بَعْدِ أتراحٍ وحِرْمانِ
ويَشتهي صوتَها المُضنى على رَمَقٍ
كأنما صوتُها عُمْرٌ له ثانِ !
فليسَ بِدْعاً اذا خُصَّتْ بمنزلةٍ
في عالَم الفَنِّ واختُصَّتْ بايمانِ
وزانَ صَدْرٌ لها «مَهْدِيَّ» أوْسِمَةٍ
فانها غَنِيَتْ عَنْ كلِّ إعلانِ
وعَزَّ ذِكْراً لها في سِفْرِهِ مَلِكٌ
ما عزَّ ذا شُهْرَةٍ الاّ بميزانِ !
وانما عَجَبُ الدُّنيا وحَيْرَتُها
أنَّ النبوغَ (بمصر) شِبْهُ خِذْلانِ
وهي التي طالما كانتْ حَضَارتُها
وَحْياً ونُوراً لأجْيالٍ وَأوْطانِ !
لكنما العِزَّةُ الشَّمّاءُ باقيةٌ للعبقريةِ في ذِكْرٍ ونِسْيانِ

جَلالُها فوقَ شارَاتٍ وأوْسِمَةٍ
ولا تَدينُ لِسُلْطانٍ بسُلْطانِ !
الـكَوْنُ مَسْرَحُها والفَنُّ يَنفَحُها
برُتبةِ الْخُلْدِ لا شارَاتِ بُهتانِ !
تُرْعَى بحُرْمَةِ إجلاَلٍ لنِعْمَتِها
برًّا بفِكْرٍ وتكْويناً لوِجْدانِ
وكمْ منازِلَ للْجُهَّالِ قدْ خُلِقَتْ
جهْلاً لتُرْعَى كما تُرْعَى لأَوْثانِ

أبناءَ (ايطاليا) دُمتمْ بِغَيْرَتِكُمْ
مِثالَ شَعْبٍ كريمِ النَّفْسِ فَنَّانِ
رَأى المحبّةَ أسمى ما يفوزُ بهِ
في الفاتحينَ فأحياها لأزْمانِ
نِلتمْ مكاناً (بوادي النيلِ) يغبطكم
عليهِ في بأسِهِ المستأسدُ[1] الجاني

(١) المستاسد : المجترئ . يقال استاسد عليه أي اجترأ .

بمثلِ هـذا ينال السِّلْمُ عِزَّتَهُ
ويُعْرَفُ النَّاسُ إخواناً لاخوانِ
إنَّ الممالكَ تَحْيَا مِنْ ثَقافَتِهَا
ولا تعيشُ بحدِّ الصَّارمِ القاني
ولِلشُّعُوبِ مَقَالٌ دُونَ ساسَتِهَا
يدعو الى الُحبِّ لا يدعو لعدوانِ
العِلْمُ يُرْشِدُها ، والفَنُّ يُسْعِدُها
ومَجْدُها رَفْعُ عِرْفانٍ بعِرْفان



دعامة الاستقلال

نُظِمت لمناسبة فتح الدار الجديدة لبنك مصر

يوم ٥ يونيو سنة ١٩٢٧ م .

يادَارُ خافِقةً بكِ الأَعْلَامُ حُيِّيتِ مِنْ عَلَمٍ أشَمَّ يُقامُ!

قامَتْ بصَرْحِكِ تضحياتٌ جَمَّةٌ للنَّابِهِينَ وصَحَّتْ الأَحلامُ

ووَقفْتِ كالبُرْجِ المُمَرَّدِ هازئاً بالسُّحبِ وهو المنقِذُ العَلاَّمُ

يَهْدِي الخلايا (١) الماخراتِ عُبَابَهُ

ويُغيثُ إنْ خَذَلَ المياهَ غمَامُ !

قَسَماً بألبابٍ رُفِعتِ ببَذْلها قدْ شَعَّ مِنْكِ الوَحْيُ والإِلهامُ!

وَقَفَ الهُدَاةُ حِيَالَ بابكِ مثْلما

وقفتْ أمام (الـكَعْبَةِ) الأقوامُ !

وكأنَّما قدْ وُطِّدَ استِقْلاَلُنا فأتَى يُبارِكُ اسَّهُ الأَعلامُ

وكأنهُ (الـبَرَ نَتُ) خفَّ اليهِ منْ

أبطالنا القُوَّادُ والقُوَّامُ (٢) !

(١) الخلايا : السفن الكبيرة .

(٢) أي القوامون : جمع وضعي لقوام (بفتح القاف) مثل سواس (بفتح السين) وسواس (بضم السين) .

حَجُّوا اليكَ بحِسِّ شَعبٍ مُؤْمنٍ
بالحقِّ حينَ تقلَّبَ الأَخْصامُ

في مِثْلِ ظِلِّكِ والكوارثُ جَمَّةٌ
تُشْفَى النفوسُ وانْ تُطَاطِي الهامُ !

وتَطيبُ أمْوَاجُ النَّسيمِ وانْ قستْ
نارُ السياسةِ والُخطوبُ جِسامُ !

وتُنَشِّطُ الآمالُ بعد ذُبولها وتُخفِّفُ الأشْجانُ والآلامُ

تَخِذَ الُخشُوعُ بكِ الفخارَ بديلَه
فاذا الُخشُوعُ تأمُّلٌ وغرَامُ !

في فتحِ هذا اليوم بَعْدَ مصائبٍ
للشعبِ تُنجزُ وعْدَها الأَيَّامُ

بالمالِ حوْلَكَ يا (أبنَ حرب) نلت ما
قد فاتَ نيلَ أقلِّهِ الصمْصَامُ !

وبِصحْبِكَ الأَخيارِ حين زعيمهُمْ
(سُلْطَانُكَ) المتهالِكُ المِقْدامُ !

نستافُ سِيرَتَكَ الزَّكيةَ مثلما
نستافُ حَظَّ العُمْرِ وهُوَ تمامُ

ونَذُوقُ مِنْ خمرٍ معتّقةٍ لهـا
مُنِحَتْ (لمصْرَ) ففُضَّتْ الأَختامُ

ونَشُمُّ مِنْ عبَقِ الوَفاءِ لذِكْرِها
كالزَّهْرِ إنْ سمحَتْ بهِ الأَكمامُ !

ويَرِفُّ نجمُكَ ساطِعاً ومؤذّناً   بالعبقَريّةِ نُورُهُ البَسّامُ
رجلٌ ولا كلُّ الرِّجالِ بدَا بهِ   أوْ صبرِهِ إنْ قُورِنَ الإِقدامُ

صاحِ تَسابقَ والزّمانَ على السُّرَى
بينْما الصِّغارُ الصّائحُونَ نِيامُ !

حسبوا الزّمانَ مسالماً ومصافياً   وكأنّما تغريرُهُ استِسْلامْ

والدّهرُ يضحكُ والحوادِثُ لا تني
فاذا صَحَوْا لم يعملوا وتَعامُوا !

تَجْري الشّهُورُ بل السّنونُ وحظّنا
رَهنَ الجدالِ وتَمْتَدُّ الأَعوامُ !

سُبُلٌ مِنَ الإِصْلاحِ شتّى لم تَجُزْ
أبْوابَها حتى ولا الأَقلامُ !

وكأنّما سُرُرُ السّياسةِ مجلِسٌ
للّهْو قد خُصَّتْ به الأَوْهامُ !

وكأنما الجُبْنُ الأَتَمُّ مَهَارَةٌ   وكأنما السَّعْيُ الحثيثُ حرامُ!

في كُلِّ ناحيةٍ يُثَلَّمُ عِرْضُنَا   في غيرِ ما خَجَلٍ ونحْنُ نُضامُ

ونَصيحُ كالعاني الجريحِ ولا نعي
عِظَةَ الخطوب فننتفي[1] ونُسَامُ

ونَضِنُّ بالأَموالِ في دَفْعِ الأذى
والبُخْلُ لم يَصعدْ عليهِ كِرامُ!

مُثُلُ التفرُّقِ والتَّخاذُلِ بيننا   تُشْكى الجراحُ ويُلْعَنُ الظُّلَّامُ!

هيهاتَ! ما أعطى الغَبِينَ حقوقَه
بَثٌّ، ولا ردعَ الأثيمَ مَلامُ

لكنْ تَغلَّبَ بالبناءِ وعَزْمَةٍ   وَثَبَتْ، فريعَ وحُيِّرَ الهدّامُ

هذا فخارُكَ يا (ابنَ حرب) جاهداً
وشِعارُكَ الآثارُ لا الأقسامُ!

كَوَّنْتَ مملكةً لها استقلالُها
لا السيفُ بالغهُ ولا الإِرْغامُ!

دُستورُكَ المعصومُ دُستورٌ لنا
حفَّ الجلالُ بهِ وبانَ[2] الذّامُ

---

(١) ننتفي: نتنحى ولا نثبت.

(٢) بان: بعد.

حفلتْ بفضلِكَ قبلما احتفلتْ بهِ
هذِي الجموعُ وطالتْ (الأهرامُ)!
ما ذا يقولُ المادِحونَ وانْ غلَوْا
وكِرَامُ مصر اذا ذُكِرْتَ قِيامُ ؟!
العارفونَ لكَ المكانةَ في العُلى
ياواحداً ما فاتَهُ الإعظامُ ؟ !
النجْحُ إلفُكَ ، والرجالُ جميعهمْ
رَغْمَ التبايُنِ بجلُوكَ ودامُوا
فكأنما (فرعونُ) أنتَ بهيبةٍ
لولا السخاء لدَيكَ والإنعامُ !
قدْ صُنْتَ مِنْ عَرَقِ الأجيرِ وغرْسِه
مِنْ بعـدِ ما قد هدّهُ الإجْرامُ
و بنيتَ مِنْ (مالِ الفِداء) جلالةً
فكأنها (الزّهراء) وهيَ تُرامُ[1] !
(مِصرٌ) تمنّتْ أن تُشادَ فكنْتَ مَنْ
لبّى ، وقامَ المجْدُ والإكرامُ

---

(١) مدينة (الزهراء) الاندلسية الشهيرة التي بنيت من مال الفداء للمسلمين بطلب الملكة (الزهراء) .

يَتطلَّعُ المتسائلونَ لها كما
يَتطلّعُ الأفرادُ والحكّامُ
جَمعتْ جلالَتُها جَلالَ بَنيَّةٍ
أثريةٍ أوحى بها (الإسلامُ) !
وجلالَ آمالٍ تُزَفُّ الى غدٍ
صِدْقاً ، ويَضْمَنُ عُمْرَها الإحكامْ

ولو انّما عادَ (المُعزُّ) بمالِهِ لم يلقَ مثلَ فخارها يُستامُ [١]
ولودَّ خزنَ نُضارِهِ وكُنوزِهِ فيها ، وهلْ كانَ الحكيمُ يُلامُ ؟
عصرٌ بهِ الجبّارُ مالٌ سيّدٌ وتسودُ أرقامَ الوغى الأرقامْ !
لرنينهِ صوتُ المدافعِ في الوغى انْ شاءَ ، أو لحفيفهِ الانغامْ !
لا الحَرْبُ قائمةٌ بغيرِ قِوامِهِ والسِّلْمُ ليسَ لهُ سواهُ قِوامْ !
والعِلْمُ والدنيا بأنفسِ ما وعتْ المالُ سوّاسٌ لها وإمامْ
هو زينة الاحياءِ انْ بلغوا العُلى وفخامةٌ تُزْهى بها الأصنامُ !
فلْتُكْرِموهُ شعارَ كلِّ عظيمةٍ ولْتُصغِروهُ كما أباهُ هُمامُ !
وتمثّلوا (بمحمّدٍ) في عقْلهِ
لا البَذْرُ [٢] صاحبَهُ ولا الاحجامُ

---

(١) يغالى به .
(٢) البذر : الاسراف .

أحيـا (لمصر) بحِرْصِهِ وبجُودِهِ

صُوَرَ الحيـــاةِ ففاتَها الإِلمامُ

كانتْ تَفيضُ بخيْرِها لنزيلها

واليوْمَ بات لهـا (بمصْر) مُقَامُ

في ذِمَّةِ التاريخِ فَضْلُ متوَّجٍ

بالحُبِّ قدَّرَهُ البنونُ فهامُوا !

ويقبِّلون يدَيْهِ في شُكرٍ كما

شكرَ العُفَاةُ وقدَّرَ الأيتامُ !



ايماء واملاء

غَنَّيْتِ رَاقِصَةً وأنتِ غَنِيَّةٌ
بالرَّقْصِ عنْ لَحْنٍ وسِحْرِ غِنَاءِ !
فَرِحْتِ فاتِنَةً وجِسْمُكِ نابِضٌ
بالْحُسْنِ والإِحسانِ للشُّعَرَاءِ !
العَيْنُ تَنْهَبُ مِنْهُ ألفَ تَمَوُّجٍ
لعواطِفِ الأَصْبَاغِ والأَضْوَاءِ !
وبكلِّ خافِقَةٍ لِمَدِّكِ نَشْوَةٌ
مَتْبُوعَةٌ الإِغْوَاءِ والإِغْرَاءِ !
فيها رُمُوزٌ للبلاغةِ جَمَّةٌ بِتَنوُّعِ البَسَماتِ والإِيماءِ
تُزْهَى بها رُوحُ الفُنونِ فإنَّها
جَمَعَتْ فُنُونَ خَلاَبَةٍ غِنَاءِ
أرْنُو لها والقَلْبُ يَتْبَعُ خَفْقَها
بِخُفُوقِهِ ، ويُطِيلُ حَبْلَ رجائي !
وأرَاكِ مُتْعَبَةً فأعْشَقُ هكذا
تَعَباً يَبُثُّ الرَّاحَ في أعضائي !

مَنْ قالَ إنَّ الجِسْمَ دُونَ الرُّوحِ في
لُطْفٍ وما استثناكِ غَيْرَ مُرَائي ؟!
يَصْفُو صَفَاءَ الياسمينِ ، وعِطْرُهُ
كالياسمينِ يَفُوحُ في الأَرْجاءِ !
جِسْمٌ أَحَقُّ بهِ العِبادَةُ كلّما
أحْيَا مَواتَ مَشَاعِرٍ وَمَرَائي !
هُوَ مِنْ بيانِ اللهِ يَنْشُرُ هكذا
نِعَمَ الهَوَى والحُسْنِ في الأحياءِ !
مَرَّتْ دقائقُ لُطْفِهِ وَسَخائِهِ
وكأنَّها وَلَّتْ بغيرِ سخاءِ !
فالنَّفْسُ مُنْعَمَةٌ وحُرْقَةُ شَوْقِها
جَعَلَتْ حَنِينَ نَعيمِها إشقائي !
حتى اذا ما غِبْتِ مَازَجَ صَفْوَهَا
شَجَنِي ، وشَيَّعَ ما بَذَلْتِ بُكائي !
وَفَقَدْتُ فيكِ الفَنَّ والفَنَّانَ ، بَلْ
مَعْنَى الأُلوهةِ في أَعَزِّ سَماءِ !

وَيَعُودُ جُودُكِ لي مُجَدَّدَ مُهْجَتي
مِنْ بَعْدِ يأسٍ بالغٍ ودُعَاءِ
فأصوغُ هذا الشِّعْرَ مِنْ جَدْوَاكِ في
وَزْنٍ ، ومِنْ نَجْوَاكِ في إملاءِ !



مقابر الأحياء

فَتَنَا مَجالي الأُنْسِ حيثُ حَدَا بنا
للبيْتِ دَاعي التَّوْبِ للإغفاءِ !
فاجتزْتُ والصَّحْبَ الذينَ تثاءَبوا
بعضَ الأزقَّةِ بعــدَ طولِ عياءِ
كانوا سَكارَى دُونَ خَمْرٍ مِنْ مَدَى
سَهَرٍ ، وكُنتُ بنَشْوَةٍ عَمْياءِ !
أمْشي كما يمْشي « الدَّليلُ » ، وكأنَّما
أعْمى بتلْكَ اللَّيلةِ اللَّيْــلاءِ !

قالوا : « لنختصرْ الطَّريقَ ... وهكذا
نجتازُ منطِقةً بغيرِ عناءِ »

فتبعتُهمْ ، وجميعهُمْ في حيْرةٍ وشجاعةٍ كشجاعةِ الجبناءِ !
حتى اذا زَلِقَ الدَّليلُ تيقَّظوا فاذا بهِ هاوٍ بغيرِ رجاءِ !
في حفْرَةٍ فيها الـبِرَازُ مكدَّسٌ والبولُ خالطَ آسِناً مِنْ ماءِ !
ويطن بالفرَحِ البَعوضُ حيالَها وحيالَها الأكوَاخُ كالأرزاءِ !

فأُغيثَ ، ثم مَضَوْا ، وسِرْتُ وكلنا
جَزِعٌ من الأدرانِ والأقذاءِ

لا نستطيعُ لنا رُجوعاً بينما في سيْرِنا رَوْعٌ من الأدواءِ

حتى بلغنا مَسْكَناً ، مِنْ حُجْرَةٍ
فيــهِ يُطِلُّ النورُ شِبْهَ مُرَائي !

وهنا الْتَمَسْنا بَعْضَ ماءٍ ، بينما هَبَّتْ رَوائحُ نَتْنِهِ الهَوْجاءِ !

وبدَتْ به امْرَأةٌ لفرطِ هُزالها
كالطَّيْفِ في وَهْمِ الخيالِ النّائي !

فأَبَتْ علينا ما سأَلْنا في أسًى واباؤُها للمــاءِ غيْرُ إباءِ

إذْ كلُّ ما ملـكَتْهُ كوزٌ مُنتنٌ
لرضيعِها الدّاني ليومِ فَناءِ !

ثمَّ انطلقنا ، غيرَ أنَّ دليلنا
وزميلهُ وقعا وقوعَ ثواء ! (١)

في حفرةٍ كانتْ كحدِّ فاصلٍ
ما بينَ إنعامٍ وبينَ بلاءِ

حيثُ اقتربْنا من طريقِ حضارةٍ
بعــدَ الضلالِ ببقعةٍ نكراءِ

عيشُ البهائمِ كانَ خيراً حينَا
يحيْا الورى كحثالةِ الأشياءِ !

فخرجتُ أجري مِنْ بلاءٍ مُطبقٍ
وعرفتُ بعضَ مقابرِ الأحياءِ !



(١) أي وقوعاً لا قيام بعده .

الإغرار

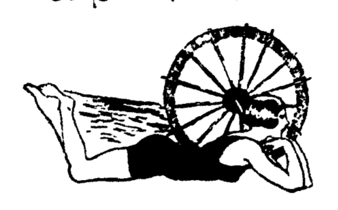
وَعَدَّ سَفيهُ القَوْمِ جُرْماً لِهِمَّتي
عُزُوفي عن اللّؤْمِ الذي هوَ باذِلُ !
أَبَيْتُ إباءً أنْ أعيشَ مُسَخَّراً
سجيناً وفِكْرِي الحُرّ في الكَوْنِ جائلُ
يُعانِدُني الحسّادُ حُبّاً بِنَكْبَتي
ومالي بِهاتيكَ الصغائرِ شاغلُ !
بِحَسْبِي اقتِداري أنْ أردَّ سِهامَهُمْ
وأنّي أشقُّ الكَيْدَ وهوَ جَحافِلُ
سِلاحي يَقينٌ في خُلوصِ طَويّةٍ
وعَزْمٌ وحَزْمٌ في الرّدَى لا يُزايلُ
هَدَمْتُ وصَحبي ما أقاموا منَ الأذى
حِيالي ، وهَلْ يقوى على الحَقّ حائلُ ؟
فلمّا رأَوْا إقْدامَ نَفْسي وَهِمّتي
وأنّي بما تَقْضِي الكَرامةَ حافِلُ

وأنّي الفتى الغلّابُ رَغْمَ مكائدٍ
وما آرْتدَّ يوماً جهدِيَ المُتواصِل
وأنّي حليفُ النصْرِ رَغمَ نوازلٍ
أُقاومها حتى تهونَ النّوازلُ
تَمادَوْا بأنّي في انتصاريَ مُدَّعٍ !
وأنّي بحزمي صاغرُ النفْسِ جاهلُ !
وكان حَرِيّاً بي لأبْلُغَ مَدْحَهُمْ
خنوعي لهمْ فيما أرى أوْ أُحاولُ
فأدْفِنَ نفْسي في المذلّةِ والهوَى
جباناً ، وأحكي أنَّ غيريَ غافلُ !

خَيْرٌ لِنفسي أنْ أُذَمَّ هكذا فَيلْقي جزافاً أقْبحَ الطّعْنِ قائلُ
ويُنكر فَضْلي كلُّ غِرٍّ وجاهلٍ ويصغرُ إبداعي صغيرٌ وذاهلُ
لَخَيْرٌ ورَبِّي سُخْرُهمْ وضَلالُهمْ وذمٌّ لأنواعِ المطاعنِ شاملُ
مِنَ المدْحِ إنْ كانَ المديحُ دلالة
على الضَّيْمِ ! ... إنَّ الضيمَ للحرِّ قاتلُ !

لغة العيون

نَظَرَتْ الى شَمْسِ الصَّباحِ ، فلم أجِدْ
الاّ حنينَ الشَّمْسِ في عَيْنَيْهَا !
فأجابها اللَّحْظُ المشوقُ لأُنْسِهَا
ولِقُبْلةٍ تَفْتَرُّ عنْ شَفَتَيْهَا !
لُغَةُ العيونِ فليْسَ يعرِفُ سِرَّها
الاّ الذي عرفَ الحياةَ لدَيْهَا !
وتنامُ فوقَ الرمْلِ جنْبَ مِظَلَّةٍ
والمَوْجُ يرْقُصُ في الدنوِّ اليْهَا !
لم تحْمِ مِنْ وَهَجِ الأشِعَّةِ حينما
حرَمَتْ نفوسَ العاطفينَ عليْها
وأبَتْ سوايَ منعَّماً بجمالِهَا في الصَّمْتِ ، توّاقاً الى عَطْفَيْهَا
فنعَمْتُ مِنْ وَرْدِيِّ جسْمٍ باسِمٍ
إنْ حَجَّبتْهُ أظَلَّ مِنْ عَيْنَيْهَا !



الألعبان

او البهلوان الفكري

أعباء (مصر) وفيرةٌ، وأشقُّ ما
عانته في الأثقالِ عبءُ بنيها!
نبذوا التعاوُن واستقلّوا هكذا
دُولاً من الأفرادِ تُفسِدُ فيها!
وأتى زمانُ «الفِكرِ» فانقلب الحجى
وَهْماً، وشرّاً عابثاً بذويها!
كم مِنْ دَعِيّ في السياسةِ جَنْبَهُ
رَجُلٌ يَبُثُّ مِنَ الظنونِ كريهَا
ومُعلِّمينَ تفلسَفوا وتشدَّقوا يتطلّبونَ المجدَ والتنويهَا!
لم يَنْشُروا الا الضلالَ وهمُّهمْ رَهْنٌ لِسفسطةِ الجدالِ يليها
فُتِنُوا بأصنافِ الزَّعامةِ حينما كلٌّ غدا بالألعبانِ شبيها!
ويُسائِلونَكَ عن ضريبةِ مجدِهمْ والصمتُ أقدرُ ما يردُّ سفيهَا

«اذا شككت في رجل فلا تصادقه، واذا صادقته فلا تشك فيه».

سلامة موسى

السخط والرضى

وكُنتُ اذا ما الخطبُ جاءَ ينالُني
تمثّلتُ خطباً كانَ في وقعِهِ أقسى

فهوّنَ هذا ما أعاني وقادَني
الى دفعِهِ حزماً ، وإنْ فاقني بأسَا

فعشتُ قريرَ النفسِ مِنْ صفوِ حِسِّها
ومِنْ طبعِها هذا غلبتُ بها اليأسَا

وما هذهِ الدُّنيا سوَى ما تُحِسُّهُ
فانْ تتركُ الرّأيَ العبوسَ ترَ الأُنسَا

ولو كانتْ الدُّنيا شقاءً مُجسَّماً
رفضتُ بطبْعي أنْ أرى البُؤسَ والنَّحسَا

وأسبغْتُ مِنْ رُوحي عليها هناءةً
فصارَتْ كمِرآةٍ أرى طيَّها النفْسَا !

وأسرفَ غيري في التشاؤمِ حاسِباً
بهِ الحِكمةَ الكبرى التي ترفعُ الرأسَا !

ولم يَدْرِ فيهِ خَيبةً لابْنِ آدَمٍ
وحُكْماً عليهِ أنْ يَدُومَ بها[١] حَبْسَا

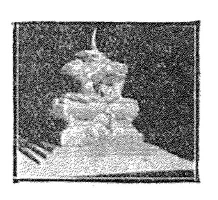
وما هٰذهِ الدُّنيا سوَى دَارِ نوْعِهِ
فأَخْلِقْ بهِ أنْ لا يُصَوِّرَه رِجْسَا

ولا أنْ يَرَاهَا مُتْعةً رَهْنَ ذاتِهِ
فَحَسْبُ، ويَنْسَى عنْ سِواهُ الذي يَنْسى

اذا شاءَ كانتْ ظُلْمةً طيَّ ظُلْمَةٍ
وإنْ رامَ أعطتْ نورَ وِجْدانهِ قَبْسَا

وإني على فقْري وشكْوايَ هانئٌ
كأنّي مَلكْتُ الأرْضَ والبدرَ والشمْسَا!

ولو أنّني فيهـا المُسَيْطِرُ لمْ أزِدْ
نعيماً، وقدْ ألْقَى ألُوهيّتيَ الرَّمْسَا!



(١) اي بالخيبة .

الزعيم

ما زِلتُ أذكرُ جلسةً لَهْوٍ على أُنْسِ الشرابِ
قال الزعيمُ : « أرى الزَّعامةَ دائماً أُسَّ الخرابِ
إنَّ الزعيمَ بطَبْعِهِ لِصٌّ يَعيشُ بنَهْبِ غَيْرِهْ !
في كل حينٍ ، بينما إيمانُهُ وَهْمٌ كَخَيْرِهْ ! »
فأجابهُ متفلسِفٌ منهمْ وكانَ لهُ حَقُودَا :
أخطأتَ حينَ صَدَقْتَ إذْ مَثَّلْتَ أنتَ الجُودَا !
أبداً تُراعينا بعلْمِكَ جَنْبَ مالِكَ ياصديقي
أنتَ النبوغُ وآيةُ العرفانِ والأدَبِ الحقيقي ! »
وأجابَ آخرُ ، هازئاً بالنابهينَ الزُّعماءِ
إلاّهُ وَاصِفَهُمْ جميعاً بالصغارِ الأدْعياءِ !
وارْتاحَ ثالثُ للتَّحَدُّثِ عنْ جبابِرَةِ العُقولِ
فرآهُ أوَّلَهمْ وَسَيِّدَ مَنْ تَقدَّمَ مِنْ فُحُولِ !
الناسُ تقبسُ مِنْ مَعارِفِهِ وتنهلُ مِنْ بيانِهْ
وسِواهُ مهما جَلَّ يَصغُرُ عندَ ذِكْرٍ جَنْبَ شانِهْ !

فجميعُهُمْ حقًّا دَجَاجِلَةٌ بأوْهَامٍ جِسَامِ
إنْ أحسنوا فالفضْلُ منهُ ومِنْ نبُوغٍ فيهِ نَامِ !

وتنقَّلوا بحديثهمْ في المستطابِ مِنَ الفنُونِ
حينَ الزَّعيمُ أقلُّهمْ نُطقاً بجدٍّ أوْ مُجُونِ

وأتى أوانُ الإنصِرافِ فكانَ أجهَلهمْ بصَحْبِهْ !
وكأنَّما نملتْ فلمْ تسْمَعْ نقُودٌ مِلْءَ جَيْبِهْ !

ثمَّ انقضى الاسبوعُ قبلَ ظهُورِ طُرْفَةِ نَثْرِهِ
فاذا بها ممَّا رَوَى أصْحابهُ في سُكْرِهِ !



« الشاعر الحقيقي مرآة الجماعات ، ومصباح في الظلمات ، وعون في الملمات ، وسيف في النكبات ، يشيد للامم قصوراً من الحب والحكمة والجمال والآمال » .

امين الريحاني

القديس

ما كانَ يَرْضَى رَفيقاً سِوَى شُيُوخِ الرِّجالِ
يَأْبَى النِّساءَ إباءً كَخَوْفِ شَرِّ الضَّلال
إنْ لم تُصَدِّقْ فهذي «عَرّافةُ القَرْيَةِ»
تَرْوِي بِخَوْفٍ شُذُوذاً له بِلا حِيلة .
قدْ رَدَّها وسِواها في خَيْبَةٍ بعدَ خَيْبَهْ
بِرَغْمِ طُهْرٍ ودِينٍ فما تَمَلَّكْنَ قَلْبَهْ !
وليسَ يَنقُضُ هذا ما تُذِيعُ الحسْناء
فقدْ أتتهُ لِبُرْءٍ فما استعزَّ الدَّواء !
وما تَزالُ تَراهُ ما بينَ آنٍ وآنِ
لكنَّ ذلكَ منهُ نَبالَةُ الإِنْسانِ !



« الأدب المصري المحمود هو الذي تطبع فيه الوان الطبيعة في ارض مصر وسمائها ومائها ، وهو الذي تنعكس على صفحاته اطوار الحياة المصرية بآلامها وآمالها . »
محب الدين الخطيب

الزنبور والنحلة

سألَ النّحلَةَ يوماً بَعْضَ جُودٍ مِنْ شِهَادِ
قالتْ النحلةُ : « مَالي أيُّ برٍّ بالأعَادِي ! »
قال: « لو كُنْتُ عَدُوّاً ما اكتَفيتُ بالسؤالِ
وتمكَّنْتُ قديراً مِنْ مَرامي في جَلالِ
وأنا الآنَ بصِدْقٍ ثَمَّ عن صِدْقِ الوفاءِ
أسألُ النّحلةَ هلْ ترضى بمنحي وعطائي ؟
لستُ في حاجة بؤسٍ ... انما جئتُ امتحانا
لأرى كيفَ ألاقي في وَفائي الامتهانَا ! »
قالتْ النّحلةُ : « شُكراً انحنُ في خَيْرٍ ونِعْمَةْ ! »
فمضى بَعدَ يقينٍ زادَهُ علماً وَحِكْمَةْ.

ومضى الأسبُوعُ حتى صارَ مُلْكُ النَّحلِ شَهْدَا
فأتى الزُّنبورُ ، لكنْ جاءَ في جَيْشٍ أعدَّا !

السكوت البليغ

وإنّي الذي يُصْغِي الى كلّ ناقِدٍ
ولو كانَ جلُّ النقْدِ في طيّهِ الجهْلُ
فيا رُبّما ألفيْتُ نُوراً لدى امْرِىءٍ
ضَريرٍ ، وإنْ حاكى طبيعتَهُ الليْلُ !
فيخْدَعُ هذا الرُشْدُ مَنْ ليْسَ عارفي
ويُصْغِرُ فَضْلي مَنْ ليْسَ لهُ فضْلُ
ويَحْسَبُني النقّادُ أجْهلَ مَنْ مَشى
على الارْضِ ، لكنْ نَقْدُهُ مالَهُ عَدْلُ !
فيَسْخَرُ منّي جاهلاً ، وسكينتي
لأَبلغُ في سُخْري ، ولو أنّهُ يَغْلُو !
مكانةُ نَفْسي عِنْدَها قبْلَ غيْرِها
وَهِمّةُ نَفْسي فوْقَ حاسِدِهَا تعْلُو
أعيشُ بقُرْبِ الأدعياءِ ، ومَنْ يَعشْ
كعيْشي اضْطراراً فالسكُوتُ لهُ قَوْلُ !

وأَوْلى بمثلي أنْ يُعابَ ولا يُرَى
كرَجْعِ الصَّدَى للْجهْلِ إنْ نطَقَ الجهْلُ!



أكرم نعت

الى لطفي بك السيد

نُودِيتَ «لطْفي الفَيلسوفَ»، ومَا
نُودِيتَ بالأوْفَى مِنَ الذِّكْرِ
كم مِنْ تعاليمٍ وفلسفةٍ
لم تكْتفِ للإجلالِ مِنْ قَدْرِ
وأرَى علاكَ الفخْمَ أنْ تُدْعى
حامي عُلى حُرِّيَّةِ الفِكْرِ!



كوخ الريف



في مقبلِ الاعوامِ حينَ تراهُ مَثلَ الجمالِ المُستعزِّ ثراهُ
ومُسنَّةُ الجميزِ تلثمُ سطحَهُ ومنَ النظافةِ والنظامِ حلاهُ
والماءُ موفورٌ لديهِ موزَّعٌ في حُسْنِ هندسةٍ تزيدُ غناهُ
والبائسُ الفلاحُ غيرُ سميِّهِ فاتَ السوائمَ واستطالَ رجاهُ
يحيا حياةَ الآدميِّ منعَّماً وبنوهُ أعوانٌ لهُ أشباهُ
فهنالكَ اذكُرْني برحمةِ ذاكرٍ حيٍّ لمنْ أحياهُ ثمَّ رعاهُ
إنّي أعيشُ كمجرمٍ في بيئةٍ قتلَتْهُ(١) ثمَّ أبتْ عليَّ رِثاهُ :



(١) أي الفلاح .

طاقة زهر

دَعَا اليـهِ فريقاً مِنَ الغواني الحِسَانْ
وبَعْدَ شَمٍّ وَلَثْمٍ كشَمِّ زَهْرِ الجِنَانْ
ولَـبْنَ مِنْ غيرِ ذِكْرَى سوى وُرُودِ الإِنَاء
فشأنُهـــا لِذُبُولٍ وإنْ أُطِيلَ الرَّجاءُ !
وما لطَاقَةِ زَهْرٍ تَنَالُ خَلْفَ السُّتُورْ
جَمـالُ زَهرٍ نَقِيٍّ في رَوْضِهِ المَعْمُورْ !



الطفولة

مَنْ مُرْجعي لِزَمَانٍ لَهَوْتُ لَهْوَ الصغارْ
ولوْ يُخَفِّضُ حَظِّي عن الحُظُوظِ الكِبَارْ ؟

اذا تأمَّلْتُ ماضي عُمْري الحزينِ السَّعيدْ
وَدَدْتُ عَوْدِي كطِفْلٍ يَحْيا بِعيدٍ وعِيدْ
وقدْ أراني حَسُوداً حتى لتِلْكَ الكُرَةْ
فللطّفولةِ رُوحٌ فيها وإنْ لم تَرَهْ !



استفتاء

سُئِلْتُ : أيُّ الغواني أَحَبُّ للشَّاعِر
أَمَنْ رَقَصْنَ كَحُلْمٍ بجَنَّةِ الخاطِرِ ؟!



أَمْ مَنْ لهـا فِتْنَةٌ بشَعْرِ هَا العَسْجَدِي
وعَطْفِ ثغْرٍ حَلاَ ونُورِ وَجْهٍ نَدِي ؟!



أَمْ مَنْ لهـا نَضْرَةٌ بجِسْمِهَا المُسْتَطابْ
ومَنْ لهـا نَظْرَةٌ تُعِيدُ مَيْتَ الشَّبابْ؟!

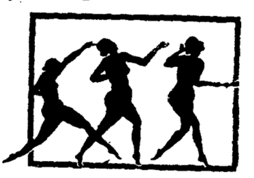


أَمْ التي أَتْقَنَتْ رِياضَةً وَرَشَاقَهْ

ولمْ تنلْ عاشقاً سوى خيالِ الصَّداقهْ؟!



فَحِرْتُ مِنْ فَرْطِ حبّي لراقصاتِ الفنونْ
الواهباتِ لمثلي معَ النَّعيمِ الفتونْ!



لكنْ عواطفُ لبّي أملتْ عليَّ اليقينْ
فقلتُ: لي كلُّ هذا بِصفوِ بيتي الأمينْ!



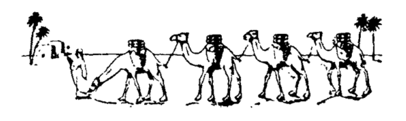
القافلة

أرَانِي وما حُمِّلْتُ للنَّاسِ دَائِباً
كقافِلَةٍ لمْ يَبْقَ الاَّ دَليلُهَا !

يَصُونُ حُمولاً في أمانةِ مُخْلِصٍ
ولا يَنثني حتى توَفَّى حُمولُهَا

فهلْ عابني أنّي الوَفيُّ لمبْدئي
وعَهْدُ المبادِي أنْ يخُونَ خليلُهَا ؟

وهلْ مُصْغِري جُهْدِي الطّويلُ وإنْ عَدَتْ
عَوادٍ ، ولا عَوْنٌ سِوايَ يزِيلُهَا ؟



«ان مسئولية الامة في أدبها قد تكون في كثير من الظروف اعظم من مسؤوليتها في سياستها العامة . . . ولا نكاد نتصور تنافياً بل ولا تعارضاً بين ان يكون لمصر أدب مصري ، وبين ان يكون لمصر مع سائر الشعوب العربية ادب عربي » .

محب الدين الخطيب

خمر الطبيعة

أنصفتِ .. ما خمرُ (الطبيعةِ) إن جدتْ[1]
إلا لكِ حين الماء بين يديكِ !
هاتيه يروي غلّةَ الصبِّ الذي
يحييهِ لثمُ الحبِّ في كفّيكِ !
وأنا الجريحُ ، وللجريحِ اذا هوى
حقٌّ من الإشفاق ريمَ لديكِ
ظمئي الى هـذا النمير وقد جرى
لحنُ الغديرِ بما يطيبُ اليكِ
ظمأُ الصريع ، وقد تمثّلَ حبّهُ
في الماءِ ، فاستجلى[2] بهِ شفتيكِ !

فتبسّمتْ وأبتْ ! .... ولكنْ قبّلتْ
ثغري كشهدٍ بثَّ عطرَ لَيْلكِ[3] !

---

(١) جدت : سخت . (٢) استجلى : استكشف .

(٣) هو الليلق او اللعلي او الليلاك ، ويسمى بالفارسية ليلج ، وبالانجليزية Lilac وهو زهر قرمزي وبنفسجي جميل .

فأَفَقْتُ مِنْ حُلمي الشَّهِيِّ مقبِّلاً

خدَّيْكِ ، ثمَّ مداعباً عينَيْكِ !

لم أَدْرِ أيُّهما الأَحَبُّ : أيقظَةٌ

أَمْ ذلكَ الحُلْمُ المُطِلُّ عليكِ ؟!

فـكلاهُمَا حُلْمُ الجِنانِ ، فَحَقِّقي

وَعْدَ الجِنانِ ، فَمهجتي بيدَيْكِ !



« العبادة استغراق العابد في المعبود : هي نوع من الفناء يرضاه الانسان طائعاً مختاراً ، لانه يشعر فيه بلذة كبرى هي لذة انضمام الجزء لصورة من الكل الاعظم الذى يصوره من الوجود لنفسه ، وهؤلاء الذين يعبدون ويفنون في عبادتهم هم الشعراء حقاً » .

محمد حسين هيكل

ما هو الحسن ؟

مَا هو الحُسْنُ ... لَيْسَ غَيْرَ شُذُوذٍ
في اتِّساقٍ يُجاذِبُ الإِنْسَانَا !
نِصفُهُ يُلْهِمُ الحَيـــــاةَ لآتيـ
ـهِ [(١)] ، ونِصفٌ مُمَثِّلٌ ما كانَا [(٢)]
(فالجمالُ) الحياةُ في مَزْجِ دَوْرَيْـ
ـها بذِكْرَى تُنَعِّمُ الوِجْدَانَا
وهوَ في (الفَنِّ) حيثُ كان لأَنَّ (الـ
ـفَنَّ) دُنْيَا تُمثلُ الإِحْسانَا !
يَتَمَشَّى مَعَ (الجمـــالِ) قَريناً
ويَبُثَّانِ للحيـــاةِ البَيانَا !
وظِلالاً مِنَ المعاني التي تُو
حِي اندِماجاً في كَوْنِنَا وافْتِتَانَا !

---

(١) يقصد سمو الحياة الآتية المطردة الجمال .

(٢) يقصد الفطرة الطبيعية المحبوبة في ماضيه .

وتجلَّيْتِ ياحيـــاتي بِرَقْصٍ
زَفَّ للنفْسِ نِعْمَةً وحنَانا
حيثُ أمسَيْتِ أنْتِ لمعةَ نُورٍ
وَتحَوَّلْتِ للنُّهى ألْحَـــانا
كم رُمُوزٍ لهـا وكمْ مِنْ مَعَانٍ
وافْتِنَانٍ لهـا يَسُوقُ افتِنَانا
فاذا أنتِ لي الألوهةُ في (الحسْـ
نِ) وفي (الفَنِّ) تبْعَثُ الفنَّانا!



« اقل الكائنات احساساً بوجوده الخاص اكثرها سلامة اندماج في وحدة الوجود ، واكثرها لذلك طمانينة وسعادة »

محمد حسين هيكل

عند الشاطئ

(١) الاصل لصاحب الديوان

مَرِحْنَ والماءُ أيضاً في نشوةٍ مِنْ مِراحْ
عرفْنَ للحُسْنِ فَرْضاً إحسانَهُنَّ المُباحْ
فكان في الماءِ عَوْمي تجديدَ فَانِي الحياهْ
والماءُ يُغْرِقُ هَمِّي اذا حُرِمْتُ الشِّفَاهْ!
قدْ ذابَ فيهِ الحَنَانُ ومُسْتَطابُ الضِّياءْ
فشاقَ منهُ البيانُ وراقَ فيهِ الرَّجاءْ!
وقلتُ للصَّحْبِ: «هذا شِعْرٌ لِلُبِّي ونفسي!
لا تسألوني لماذا إحساسُكمْ غيرُ حِسِّي
فكلُّ رُوحٍ أصابَتْ مِنْ أُنْسِهَا ما تَراهْ
فإنْ سَلَتْ ما اسْتطابتْ مِنْ قَبْلُ وَلَّى سَناهْ!
و(الشِّعْرُ) عندي الشُّعورُ وعَطْفُ هذي (الطبيعهْ)
وفي التَّفَاني الحُبُورُ ومُلْكُ نفسي الوَدِيعَهْ!»

(٢) الترجمة الانجليزية للاديب الفلسطيني هاني قبطي

AT THE SHORE

In spirits high they rolled along ;
The sea, too, merry with therong .
Their beauty fair they deemed must be
A cause for their joviality .
Then, as I swam , I too began
To feel the life long passed and gone .
My grief was drowned beneath the sea :
Grief from the lips denied me .
Affection in it was dissolved ;
And hope appeared to be resolved .
For this will surely me condole
' Tis Poetry to my heart and soul .
So do not ask me this, my friends :
Why your own feeling mine contends ;
Since every soul receives of joy
What it believes it would enjoy ;
And once forgot what once held dear ,
The object, charming thó, looks drear .
And Verse to me is but a sense
To Nature's sympathy, immense .
In this compound lies joy : I call
The kingdom of my modest soul .

النفحتانه

وحدة الفن

وسُئِلتُ : « أيُّهما الأَحَبُّ اليكَ في

وَقْعٍ ، وفي لُطْفٍ ، وفي إيناسِ :

نَغَمٌ لموسيقى العَواطِفِ هكذا

تُسْتافُ مِثْلَ يتيمةٍ في الكاسِ ؟

أمْ مُتْعَةُ الرَّقصِ الجميل مُعَبِّراً

عنْ أجملِ الأَحلامِ والإِحْساسِ ؟ »

فأجبْتُ : « كِلْتا النَّفْحَتَيْنِ كأُخْتِها

للشَّاعِرِ المستوعبِ الحَسَّاسِ

ما هذهِ الحسناءُ في نَظَري وقدْ

فَتَنَتْ برَقْصَتِها شُعورَ الناسِ

الاَّ مُنىُ الأَلحان والأَشْعار ، لا

صُوَرٌ منَ الحُسْنِ الرَّشيقِ البَاسِ

وكأنما عَيْنايَ في نَظَري لهـا
سَمْعي، وهذا الجِسْمُ عَزْفٌ آسي
وكأنها اندَمَجَتْ بألحانٍ سَمَتْ
فَنَسِيتُ صُورَتَها ولسْتُ بناسي!»



«الفن نبيل، ولكن قدس النفس الانسانية أنبل منه . .»

(W. Winter — و . ونتر)

«يتالف الفنانون من ثلاث طبقات : اولئك الذين يدركون الخير ويتبعونه تاركين الشر، واولئك الذين يدركون ويتبعون الخير والشر معاً اي الموجود بكليته كما هو، واولئك الذين يدركون ويتبعون الشر عازفين عن الخير».

(Ruskin — رسكن)

موت اسكيليس

The Death of Æschylus

يَرْوُونَ عن مَوْتِ (إسكيليس) حادِثةً [١]
عَجيبةً لم تقَعْ قَبْلاً لإنسانِ
إذْ قد رَآهُ عُقابٌ ظَنَّ صُلْعَتَهُ
صَخْراً ! وقد يُخْطِيء السَّامي بِحُسْبانِ
فَثَمَّ ألْقى عليهِ غَيْلماً لِيرَى
تَصْديعَ قِشْرَتِهِ تصديعَ إتْقانِ !
فلم يَفُزْ بِمُناهُ حِينما كُسِرَتْ
رَأْسُ الدِّرَامةِ في عَلْياءِ (يُونانِ) !

(١) هو الروائي التراجيدي العظيم الذي نبغ قديماً في يونان وعرضت أولى رواياته التمثيلية سنة ٥٠٠ قبل الميلاد . ولم يسلم من الضياع من تآليفه التسعين سوى سبع روايات حداها أغاممنون (Agamemnon) التي ماتزال معدودة عند كثير من النقاد اعظم رواية تراجيدية ألفت في جميع العصور بالنسبة لقوتها المؤثرة . وقد خلفه سوفكليس (Sophocles) في الشهرة في اواخر اعوامه . وهما يكونان مع يوريبيدس (Euripides) ثالوث النبوغ التراجيدي بين مؤلفي يونان القدامى ، كما نبغ ارستوفانس (Aristophanes) في التأليف الهزلي البليغ . وكانت تآليفهم جميعاً بالتناوب فخر المسرح الديونيسي (Dionysiac Theatre) العظيم في اثينا .

لو صَحَّ هذا وعادَ الأَمْسُ يَسألني
لَقُلْتُ دُونكَ أحجاراً لِعقْبانِ !

هذي رُؤوسٌ تهادَى الأَدْعياءُ بها
وخَيْرُ ما حَمَلتْهُ مَحْضُ بُهتانِ !

كُلٌّ يرَى غيْرَهُ أهْلاً لِسُخْرِيةٍ
ويحْسَبُ المَكْرَ إعجازاً لِفنَّانِ !

ويَعْرِفُ الودَّ إثماً ، والإخاءَ رَدًى
وأَقْبحَ الذُّلِّ أنْ يحْيا كَمِعْوانِ !

مُفاخِراً بذُنُوبٍ لا عِدادَ لها !
وكلُّها صُوَرٌ مِنْ طَبعِهِ الجاني

حتى غَدَوْنا نَرى أنَّ الزَّعيمَ له
حَقُّ التفرُّدِ في إثْمٍ وعُدْوانِ !

وأنْ يَعيشَ لِتَغْريرٍ ، وَمنْفَعَةٍ
لِنَفْسِهِ ، لا لآدابٍ وعِرْفانِ !

رأى الزّمانُ مُحالاً بَعْثَ مَنْ قُتِدَتْ

فيهِ رَجاحةُ جبّارٍ وإيمانِ

فصارَ يَسْخرُ مِنْ دُنيا بها رُفِعَتْ

هذي الشُّخُوصُ وكانتْ شِبْهَ أَوْثانِ!

تَقاتَلَتْ لِظُهُورٍ في زَعامَتِها

وَنَفْسُهَا حَجَرٌ لا نَفْسُ إنْسانِ!



الصغائر

هيهاتَ - مَهْمَا طاشَ حُكْمي - أنْ أرَى

مَنْ يَسْتَهِينُ بِمُسْتَعِزِّ جَمالِ

أن لا أُفتِّشُ عنْ عُيوبِ النَّاسِ، بَلْ

أنا مَنْ يُفتِّشُ عن جميلِ خِلالِ

فأذيعها، وكأنّها هي مِنْ سَنَا

نَفْسي، ومِنْ حِسِّي، ومِنْ آمالي!

وُيكالُ لي طَعنُ اللئيم ، ورُبما
جازيتهُ مَدْحاً لِحُسْنِ مَقالِ !

ضَمِنَ اللئامُ نزاهتي فتفننوا
فيما يُصَغِّرُ قيمتي وفِعالي !

وأعافُ الاَّ أنْ أدافعَ - إنْ قضى
حُكمُ الكرامةِ - في شعورِ مُوالِ !

حتى اذا أُنهتْ العواصفُ لم تَجِدْ
الاَّ تَبَسُّمَ خاطِري المتعالي !

مَنْ عاشَ في أسْرِ التَّصَنُّعِ هازئاً
بالناس لم يَغْنَمْ أقلَّ جلالِ !

وأرَى الذي يَحْيا لأَسْمى فِكْرَةٍ
أسْمَى مِنَ النُّقَّادِ والعُذَّالِ

تَفْنَى الصَّغائرُ ، والعظائمُ وَحْدَها
تبقى برَغْمِ دَسائسٍ وضَلالِ

ومآلُ هذي الأرْضِ حُسْنٌ دائبٌ
ومآلُ شَرِّ الأرْضِ شَرُّ مآلِ .

الشمم

اذا جاءَ (بَاخُوسُ)[1] العظيمُ مُبَشِّراً
بأُنْسِي مَتَى طأْطَأْتُ في حِيَلٍ رَأْسِي

فاني أردُّ الكأسَ غيرَ هنيئةٍ
فما الذّي في الكأسِ إنْ صَغُرَتْ نَفْسي

خُلِقْتُ عَيُوفاً لا أرى غيرَ مُهْجَتِي
دليلي ، ولا غيرَ العفافِ بهِ أُنْسي

وما مَجْدُ نَفْسي غيرُ نَفْسيَ وَحْدَها
ولا حَظها غيرُ المَكَرَّمِ مِنْ حِسٍّ

ويَلْبسُ غيْرِي مَظْهَرَ الزَّهْوِ باطِلاً
ويَبْدُو لمثْلي مَظْهَرُ الزَّهْوِ كالرِّجْس

---

(١) باخوس (Bacchus) : هو اله الخمر والمرح عند الرومان ، ويقابله الاله (ديونيسس — Dionysus) عند الاغريق ، وهم الذين كانوا من اجله يقيمون مواسمهم التمثيلية الشهيرة التي كانت تعد في منزلة الواجبات الدينية المقدسة . فكان ذلك من اسباب نهضتهم بالتمثيل .

غَنِيتُ بما في النَّفْسِ مِنْ ثَرْوَةِ العُلى
وخَلَّيْتُ أهْلَ اللَّوْمِ في الزَّهْوِ واليأسِ
دَخيلةُ لُبّي مَظْهَري عِنْدَ نابهٍ
وفي أدبي مَجْدي ، وفي دَعتي بأسي !



الهلال

الصغير المحتقر والانس الفقيد

زَهَا جميــلاً كمولودٍ يُهَشُّ لهُ
فقلتُ للصَّاحبِ المشغولِ بالكُتُبِ :
انْظُرْ صديقي ! تأمَّلْ ! فالهلالُ زَهَا
ونَظْرَةٌ فيهِ شِبْهُ الوَحْيِ مِنْ أدَبِ ! »
فقال : « دَعْني وشأني الآنَ ! اليس لما
تَشْتاقُهُ أنتَ شَوْقي أوْ مَدَى عَجَبي »

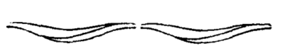
وأنكبُّ يقرأُ ما ضَمَّتْ صحائفُهُ
مِنَ الجِدَالِ على همٍّ وفي تعَبِ
حِينَ انْقَطَعْتُ الى مَرْأًى نَعِمْتُ بهِ
أراقبُ الغَرْبَ في إحْساسِ مُنْجَذِبِ
فجاءَ بَعْدَ زمانٍ صاحِبي لِيرَى
أُنْسي ، فما جاءَ الاَّ إثْرَ مُغْتَرِبِ !



أدباؤنا

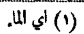
مِنْ حَقِّهِمْ نَفْحُ (الأُلمپِ) فكلُّهُمْ
أَوْلَى بِمَـا يُسْمِي مِنَ الأَلْعابِ !
كَيْ يَعْرِفُوا مَعْنى البُطُولةِ والعُلَى
وهُدَى التَّعاوُنِ بَعْدَ طُولِ سِبابِ
ويُعَلَّمُوا سِرَّ الرُّجولةِ بَعْدَ ما
عَبدوا الصغائِرَ في أذًى وخَرَاب
ويُلَقَّنوا الإنْصافَ بَعْدَ تخاذُلٍ وشَريفَةَ الآدَابِ بعد مُصابِ

حسِبوا المفاخرَ في قبيحِ شذوذِهمْ
وتفرّدُوا سُوءًا بكلِّ عُجَابِ
فلو اغتدَيتُ لدى الحكومةِ مُنْقِذاً
لَشَغَلْتُهُمْ بمحبّةِ الألْعابِ !



الصرصور

خافتْ من الصُّرْصورِ حتى أقْسَمتْ أنْ لا يَعيشَا !
فَتَشَجَّعَتْ وأتتْ بمــاءٍ ساخنٍ يَقْضي علَيْهِ
ورَمَتْهُ(١) عنْ بُعْدٍ عليهِ بِنَزْحةٍ للانتِقَامِ !
وبحسِّ مَنْ يَقْضي على خصمٍ لدودٍ مُجرمٍ !
لكنَّهُ في وَثْبةٍ قدْ طارَ نَحْوَ قميصِها
واذا بآخرَ وقْتَها قدْ طارَ نحوِ النافذَهْ
ثمَّ استطابَ رُجوعَهُ وسُقوطَهُ فوراً عليْها !
فمضَتْ تَصيحُ وكلّها هَلَعٌ مِنَ الخصمينِ !



(١) اي الماء.

ثأر الموت

رثاء العلامة الدكتور صرّوف

نظمت هذه الزفرة الحارة والدموع الحزينة يوم وفاة هـذا الرجل العظيم

« يا خصيمَ (الحياةِ) بدّدْتَ نورًا
أمتعَ (الفِكْرَ) لذّةً وحبورًا
يا عدوَّ (النبوغ) يا إلفَ حِقْدِ
أيُّ وَقْدٍ (١) أثرْته ؟ أيُّ وَقْدٍ ؟ !
في زمانٍ يَشُذُّ (٢) فينا العظيمُ
كيفَ يُوفي الرثاءَ دَمْعٌ نظيمُ ؟
ليْسَ شِعْري سِوى عوَاطِفِ نَفْسي
وهُوَ قدْ خانَ جازِعاً وَصْفَ حِسّي
ولَهُ العذْرُ أيُّها (المَوْتُ) حقًّا
عذْرُ مَنْ صارَ بالتأمُّلِ يَشْقَى
أيُّ عذْرٍ لديْكَ أنتَ لِتَجْني
عابثاً (بالذكاءِ) ؟! .. فيمَ التجنّي ؟! »

---

(١) وقد : نار . (٢) يشذ : يندر .

قالَ لي (المَوْتُ) هامِساً في خُشُوع :

« بعضَ هذا فما الحِجى للدُّموعِ !

لَسْتُ والخالقِ (الطَّبيعةَ) الأَ

مُخْلِصاً للحِجْى ، وللحَمـدِ أهْلاَ !

إنَّ ثأري مِن (الحياةِ) انتِقَالي

بالأَعَزِّ النفيسِ شطرَ الجَلالِ !

فهيَ مهما أفادَها ان تُؤدّي

حَقَّهُ الفَخْمَ مِنْ جلالٍ وَمَجْـدِ

كلُّ ذَنْبي الوفاء (للعَبْقَريَّةْ)

وانتِقالُ (الذَّكاء) و (الأَلمعيَّةْ)

أنشرُ (الفكرَ) في (العوالمِ) شتّى

بعدَ عمرٍ ، فيبعث (الفِكرُ) مَوْتى

فدعْ اللَّوْمَ ! انَّ لوْمَكَ جهلُ

إنَّ لُغْزَ (الوجودِ) صعبٌ وسَهْلُ

وجديرٌ بكَ الصُّمُوتُ طويلاَ

مِنْ مَلاَمٍ أراهُ جهْلاً وبيلاَ

أوْ وثوقٌ بِعَبْقَرِيَّتي للصلاحِ
وانتهاجِ (الحياةِ) سُبْلَ النجاحِ
فتأمَّلْ مُدَقِّقاً، وتأمَّلْ!
كم وراءَ (الحياةِ) في الخُلْدِ مأملْ!»

●◘●

هكذا قالَ ... وهوَ قَوْلٌ عجيبُ!
ليتَ شِعْري بما يُجيبُ الطَّبيبُ؟!
وأنا الحائرُ الذي ضاعَ رُشْدي
بينَ فِكْرٍ وبينَ جُهْدٍ وجُهْدِ!
فَقْدِيَ اليَوْمَ مِثلَ (صَرُوف) يُودِي
باصْطِبَاري على صُرُوفِ الوجُودِ
فأنا الثائرُ الذي لا يُبالي
بعدَ هذا بما تَشاءُ اللَّيالي!
أوَلَسْنا ضَحِيَّةً للخِصامِ
بين (عَيْشٍ) وبينَ جاني (الحِمامِ)؟!
يافقيدَ العلومِ والحِذقِ خَطْبي
في معاليكَ خَطْبُ فِكْري ولُبِّي

هَدَّني هكذا نَعِيُّكَ (١) هَدًّا ... فمضتْ مُهجتي تُمجِّدُ لَحْدَا

وَمَضى هكذا وَفائي بشِعْري ... ناشرَ العَرْفِ مثلَ باقةِ زَهْرِ

وُضِعَتْ فوقَ نَعشِكَ البَسَّامِ ... لِنُوَاحِ الوَرَى ودَمعِ الأنامِ

وغَدَتْ رمزَ غضبتي ثمَّ حزني

لضياعِ (الإنسانِ) في كلِّ قرن

وخفاءِ (الحقيقةِ) الأزَليَّهْ ... وجهالاتِ هذهِ (البَشَريَّهْ)

ليتني ما خُلِقْتُ في النَّاسِ حتى

لا أرى غايةَ (العظائمِ) مَوْتا !

و (الجَنَانَ) الذي تألَّقَ وَحْيَا

بعدَ عُمْرٍ مقيَّدٍ ليسَ يَحْيَا !

و (البنانَ) الذي يُنضِّد دُرًّا

زينةَ (الفِكْرِ) ليسَ يُشْغِلُ فِكْرَا

(والحكيمَ) الذي يُناضِلُ جيلاً

ناصِرَ (العقل) قد تردَّى (٢) قتيلاً !

قَتلتْهُ (الأيامُ) رَغمَ انتباهِ

رَغمَ طبٍّ، ورَغْمَ مالٍ وَجاهِ !

---

(١) نعيك : ناعيك . (٢) تردى : سقط .

وتُرِكْنَا نَرَى (الحياةَ) السَّخافَهْ

ونرى (الموتَ) بَعدَها كالخرافَهْ !

إصفحْ اليومَ عن ضياعِ (التفاؤلْ) !

كيفَ تُرْضَى المُنى ويَبْقَى التَّساؤلْ ؟!

حينَ أُرثيكَ لست أرثيكَ فَرْدَا

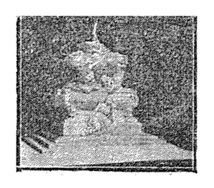
بلْ (ذكاءَ الانسانِ) مَعنًى وَعَدًّا

ونُواحِي عليكَ بِرٌّ بنفسي

فيكَ مِرآةُ كلِّ ما شاقَ حِسِّي

وأُعَزِّي أهليكَ بَيْنَا المعزَّى

قَبْلَهم شاعرٌ أَبَى أنْ يُعَزَّى !



« لم ار كالشرقيين رجالاً تكمن القوة في أفرادهم ، ويظهر الضعف في مجموعهم »
حافظ ابراهيم

صَرّوف

نظمت هذه القصيدة الكبرى في اواخر يوليو سنة ١٩٢٧ تأبيناً لعميد (المقتطف) الدكتور يعقوب صروف لمناسبة ذكرى الاربعين لوفاته .

كَوَّنْتَ ألباباً وسُسْتَ عقُولاَ فتلقَّ أنتَ وَفاءَهَا المعقولاَ

ودَرَسْتَ فلسفةَ (الحياةِ)، وزدْتَها
شَرْحاً ، فحيٍّ بيانَها المأهولاَ

في العيشِ مثلَ الموتِ عمرُكَ هكذا
عُمْرٌ يزيدُ على التألُّقِ طولاَ

إنْ أنسَ لا أنسَ الوَداعَ وحرْقةً
في النفْسِ أوْرَثتْ الجنانَ ذُهُولاَ

فسخطتُ مِنْ غدْرِ (الطبيعةِ) ناسياً
سُنَنَ (الطبيعةِ) والحياةَ الأولَى

صَنْحاً ، فتَمدُركَ في مقامِ تَجلِّي
أبداً ، ولنْ يَلْقَى لديَّ أُفُولاَ

وأنا الذي ناجاكَ طُولَ حياتِهِ وقدْ انتقلْتَ ولم أزلْ مَشْغُولا

بالأمسِ حيرَّني الفراقُ وهدَّني واليَوْمَ تُلْهِمُني الصَّوابَ حُلُولاَ

فأراكَ في هــذا الوُجُودِ أشعّةً
وعقيــدَةً ومآثراً وميُولاَ !
صوَرٌ تَبِينُ لباحثٍ متبصّرٍ
وتعافُ مَنْ خَذَلَ الحياةَ جهُولاَ !

(صُرُوفُ) — والدُّنيا حديثُ ضيافةٍ —
قد كنتَ للبذْلِ العظيمِ رَسُولاَ
مِنَحٌ مِنَ الآدابِ والعلْمِ الذي
تَرَكَ الوُجُودَ مُهذَّباً مصقولاَ !
دَعْني أُحَدِّثْ عن خلالِكَ أوّلاَ .
فالمرءُ كانَ بخُلْقِهِ مكفُولاَ
لا خيْرَ في أدَبٍ لَمَنْ لم يتّخِذْ
مِنْ طبْعِهِ طَبْعاً ومنهُ أُصولاَ
وحَيِيتَ أنتَ بنَهْجِ خُلْقِكَ مؤْمِناً
وعُرِفْتَ للقولِ السديدِ فعُولاَ
فسكَنْتَ في بُرْجِ الجلاَلِ مؤهَّلاً
ورقيتَ إيمــاناً ، وجزْتَ فحُولاَ

خُلُقٌ يَنُمّ عن الأزاهرِ للنُّهى
عرْفاً ، ولكنْ لا يُصيبُ ذُبُولاَ

يَعتزُّ بالإِخْلاصِ في إحْسانهِ فندُوم نَعْشَقُ حُسْنَهُ المبذُولاَ
جَمٌّ التَّواضُعِ في كرامةِ عالمٍ تخذَ التّواضعَ سِتْرَهُ المقبُولاَ
متبسّمٌ لجليسِهِ في هزَّةٍ تَسقي الحديثَ مُرَتَّقاً معسولاَ

شُمُّ الخلالِ وديعةً وكَريمةً
مِثْلُ الجبَالِ اذا انحَدَرْنَ سُهُولاَ !

مِثْلُ (الطَّبيعةِ) في تبَسطِ لُطْفِها
نَشَرَتْ على بُسُطِ المُرُوجِ غَسُولاَ(١)

وحَبَتْ مُجَمَّلَةَ الثمارِ شَهيَّةً عرَضاً ولم تترُكْ لنا مأمولاَ

كانَ المحدّثُ لا يملُّ إطالةً
وعُصِمْتَ مِنْ طَبْعٍ يُعَدُّ مَلُولاَ

كالنبعِ جيَّاشاً بمتعةِ عاشقٍ لحديثِهِ ، أو كالبوَاسقِ طولاَ
تحْنو على النُّظَّارِ عندَ تأملٍ وتجيبُ ما بقِي السؤالُ سؤُولاَ
لم يُنسِكَ المالُ الذي أحرَزْتَهُ بالفضلِ حقّاً للورى مجهولاَ

فوضعتَ مالكَ جنْبَ عِلْمِكَ نفحةً
للنَّاسِ في صُحُفٍ وُقِينَ نحُولاَ

(١) الغسول : نبات مزهر كثير التبسط ، قرمزي الزهر او بنفسجيه .

وجعلتها مُثَل الزّكاةِ سخيَّةً   تُحيي مَواتاً أوْ تُعيدُ طُلولاَ

ما كنتَ في هذي الحيـاةِ ممثّلاً
بلْ كنتَ مَنْ وَضعَ الفخارَ فُصولاَ

خمسُونَ عاماً بلْ أجلُّ بذلتها
بَذْلَ الكواكبِ نُورَها المَسْؤُولاَ

ما بين مَعْرَكَةٍ وبيْنَ سكينةَ
تَرَكتْ بشاشتُكَ العدُوَّ خَجُولاَ

وكسبْتَ بالاخلاصِ كلَّ مكرَّمٍ
شِيَمَ الرجالِ عقيدَةً ومُيُولاَ

دُرَرٌ مِنَ الأَخلاق كانتْ ثرْوَةً
كُبْرى ، ولم تَسْبِ الوَرى لتَحُولاَ !

●◆●

(صَرُوفُ) ما فينا المُعزِّي : كلنا
فقدَ العزاء وَدَمْعَهُ المطْلولاَ [١] !

عِشْتَ (المسيحَ) لنا وكُنّا كانّما
رُسُلاً ، ودُمتَ على الهُدَى مجْبولا

---

(١) المطلول : المهدور .

وشكرْتنا قبلَ الوَداعِ ، ولمْ يكنْ
شُكْرُ الوَداعِ بظنّنا (اليوبيلاَ)
هذي صحائفك اليتيمةُ لمْ تجدْ
شَرَفاً تَخُصُّ بها وكُنْتَ بخيلاَ
عصَمَتْكَ أحكامُ العلومِ من الهوى
وَحبتْكَ مِنْ حَسَبِ الجنانِ أثيلاَ
نَمَّتْ في الأجْيالِ عنْ أسْرارها
ونشرْتها جيلاً لديْكَ فجيلاَ
لا (آدمُ) المأثورُ صدَّكَ عن هُدًى
بحثاً ، ولا أغنى (اليقينُ) فتيلاَ
مِنْ كلِّ (مُقْتَطَفٍ) تَنَوَّعَ بَحْثُهُ
وتوَحَّدَتْ أبحاثُهُ تنزيلاَ !
مِنْ كلِّ سِفْرٍ حُجَّةٍ بفنونِهِ
ما فيهِ فنٌّ قدْ يَرَاكَ دخيلاَ
ما كانَ مَنْطِقُكَ الحكيمُ مُسَخَّراً
للوَهْمِ مهْمَا ساقَنا تقتيلاَ[1] !

(١) اي الوهم .

هيهاتَ يُذْعِنُ للمظاهرِ وَحْدَها

ولكِنْ أقامَ على الدَّليلِ دَليلاَ !

عِلْمٌ وفلْسفةٌ وَفنٌ سائغٌ

حَوَّلْتَهَا لنعيمنا تحْويلاَ

بعبارَةٍ خلاَّبةٍ غلاَّبةٍ تَروي المدارِكَ كوْثراً وشُمولاَ

وتبَحُّرٍ يَعْيا الجريءُ بجهْدِهِ

ما فاتَ للبَحثِ الجريءِ سَبيلاَ

في دَوْرَةِ (الأفلاكِ) أو بطنِ (الثّرى)

أو عَالَمِ (الأحلامِ) كانَ نزيلاَ

لا شيءَ يحْسَبُهُ الحقيرَ، وانما

وجدَ (الوُجُودَ) بما حَواهُ جليلاَ

فيرتّل الآياتِ ملءَ بلاغةٍ

تستأهِلُ الاصغاءَ والتّرْتيلاَ

دَاعٍ الى أقصى التأمُّلِ مثلما

جعلَ (التّفاؤُلَ) للحياةِ دَليلاَ

واذا (الحياةُ) كَبَتْ فذاكَ لأنّها

فقدتْ قُبَيْلَ عثُورِها التأميلاَ

عشَراتُ آلافِ الصحائِفِ قد شَدَتْ
بحجاكَ واسْتَبقَتْ حِجاكَ زميلاَ

آراء جبّارٍ، وَحِكمَةُ كاهِنٍ
وكتابُ إعجازٍ يُشِعُّ مُديلاَ

نَظرَتْ له (الأحقابُ) من أسفارها
في حَيرَةٍ مما وُصِفْنَ رَحيلاَ!

فكأنما قد كنتَ أنتَ مُصاحِباً
أسفارَها فرسمتَها تحليلاَ!

ومَفاخرُ (الآثارِ) ـ وهي شهيدةٌ ـ
فخَرَتْ بعِلمكَ مَوْئلاً ومَقيلاَ

ومظاهرُ (العُمْرانِ) ـ وهي كثيرةٌ
في (الشَّرْق) ـ لم تعدمْ لديكَ خليلاَ

و(الفِكْرُ) ـ وهوَ لنا قِوَامُ حضارَةٍ ـ
بَجّلْتَهُ حتى استعزَّ نبيلاَ

لم تَلْقَهُ عَرَضاً، ولم تأنسْ بهِ
طَمَعاً، ولم تبذلْ لهُ تطفيلاَ[1]

---

(١) تطفيلا: تطفلا.

بل كنت مَلْجأَهُ الحصينَ ومَبْعَثاً
للنُّورِ في بلدٍ أُسِيءَ طَويلاَ !

تغذوه بالذِّهنِ البصيرِ مُصارحاً   للحقِّ لا تتصيَّدُ التَّهليلاَ
متذبِّعاً نَهْجَ الصَّوابِ ، مُجَافياً   نَهْجَ الغُلُوِّ ، وإنْ أُصِبْتَ قليلاَ

حتى تركتَ مُنىً (الحقيقةِ) وحدَها
تُهْدِي لرَأْسِكَ شكرَها إكليلاَ
ما ضَرَّ مِثْلَكَ أنْ يَخُصَّ بحُبِّها
لو فاتَ مِنْ حُبِّ الأَنامِ قبيلاَ
لكنْ ظَفَرْتَ بحُبِّها وبحُبِّنا
وعدِمْتَ في القَدْرِ الأعزِّ مثيلاَ
مِنْ عهدِ (اسماعيلَ) في إجلالهِ
مَسْعاكَ زِدْتَ بشبلِ (اسماعيلا)
وَطويتَ عُمْرَكَ دُونَ مَنٍّ أو مُنىً
الاَّ الوفاءَ لما غرستَ ظليلاَ !

●●●●

ياآبن (الصَّحافةِ) ثُمَّ شَيْخَ قُضَاتِها
والمُحْسِنَ التبيينَ والتَّدْليـلاَ

ومُعَلِّماً بشبابِهِ ومشيبِهِ

تسمو بسيرَتِهِ الأيادِي الطُّولى

(لُبْنانُ) (كالحدَثِ) الذي وُلِدَتْ بِهِ

هذِي الشَّمائِلُ لا يُباهي (النِّيلا)

كلاَّ ولا (بَرَدى) ولا (الدُّنيا) التي

أمْتَعْتَها مِمَّا منحتَ جزيلا

إنْ أنتَ إلاَّ عالميٌّ : مَهْدُهُ

كلُّ (الوجودِ) فلم يَعِشْ مَغْلولا .

بلْ كانَ أهلا للبريةِ كلِّها لا يَعْرِفُ الايثارَ والتَّفضيلا

إلاَّ الرعايةَ للفقيرِ المجتبي[1] جَدْواهُ لا يبقَى بهِ مخذولا

كم أمةٍ هَذَّبتَها ووهبتَها محضَ الشِّهادِ وزِدْتَها تأهيلا

فاذا انتسَبْتَ فما انتسبْتَ حقيقةً

إلاَّ لفضلٍ لمْ يكُنْ مجهُولا

أمَّا الممالِكُ والعبادُ فانَّهم عرفوكَ ـ جَمْعاً ـ فاتحاً ورسولا

كُلٌّ يراكَ زعيمَهُ وصديقَهُ ومُواطِناً وسلاحَهُ المسلولا

وأرَى خيالَكَ ما يَزالُ عزيزَهم يأبَى عن النهجِ القويمِ مُميلا

---

(٢) المجتبي : المختار .

متمثلاً في همهم وشؤونهم فيحل معضلة ويُصلح قيلا
وبريقُ عينيه يشفُّ كعزمِهِ عن حدِّ ذهنٍ لن يموتَ فليلا
وجبينهُ الوقّادُ مطلعُ نورهمْ وجلالةٌ حفظوا لها التكاليلا
أعددتَ ثوراتٍ وقُدْتَ كتائباً للرأيِ ثمَّ نصرتَها موصولا

ما خانكَ الإقدامُ يوماً والألى
عشقوكَ ، إنْ خانَ الزمانُ ذليلا

فبلغتَ مجدَكَ بالمواهبِ وحدَها
تقتادُ شُبَّاناً بها وكُهولاً !

أينَ الذينَ يتابعونكَ حاملاً علَمَ الشبابِ فيزدهي محمولا ؟!

ما كُنْتَ تغفلُ جهدَنا وحقوقَهُ
بل كُنْتَ ترْعى حرْمةً وأُصولا

وتشجّعُ البطلَ الصغيرَ ليعتلي وتصغّرُ الرجلَ الحسودَ مهولا
لكَ في دمي حقُّ الوفاءِ فخلّني أحيي كما يرْضى الوفاءُ جميــلا

كرَّمْتَ لي أدباً كأنَّكَ موجدي
أوْ عِشْتَ للأدبِ الجديدِ كفيلا

في جمّ إخلاصٍ وجَمّ صراحةٍ لا تقبلُ التغريرَ والتمثيلا
ولكم تحكّمَ جاهلٌ أو عابثٌ ومن المصائبِ أنْ نُطيعَ كليلا

و(الجهلُ) في دستِ الزّعامةِ نكبةٌ

لن تنمحي عُذْراً ولا تأويلاَ !

تَخِذ (الصَّحافةَ) للمهازلِ مهنةً

فأثارَ دَاءً في النّفوسِ وَبيلاَ

فمُحَرِّماً طوراً زُهورَ مؤلّفٍ ومحارباً هِمَمَ الشبابِ عَجُولاَ

ومرتّلاً آناً مديحَ نقائِصٍ لولا المدائحُ لم تكن لتجولاَ

قد كنتَ عوناً (للنبوغِ) وطالما

أردى (النبوغَ) الحاسِدُوهُ قتيلاَ

أبكيكَ في شِعري ، وفي نَثْرِي ، وَفي

فِكْرِي ، كما أُبكي الرياضَ حيُولاَ (١)

وأُكفكفُ العبراتِ ، لكنْ شأْنُها

باقٍ ، فدَمعي لنْ يزالَ هَمُولاَ

ومِن المدامعِ ظاهرٌ ومُحَجَّبٌ

ما كُلُّ وجهٍ نائحٍ مبلولاَ

تَجْرِي الدُّموعُ الخافياتُ بخاطِري

وبكلِّ إحْساسي هَوًى مبذولاَ

---

(١) حيولا : تغيراً .

وتفيضُ من قلمي فأنظمُ هكذا
هذا النظيمَ عواطِفاً متَبُولاَ (١)
وأُؤَبِّن (الفضلَ) الذي لابائِهِ
لا فاضلاً نَلقَى ولا مَفْضُولاَ !

والآنَ هلْ تَكفي شؤونُ يراعتي ؟
حَبْسُ العواطِفِ قد يكونُ قَتولاَ !
هيهات تكفي ! ... فالنّظيمُ وحُرقتي
يتبادلانِ مناحةً وَعويلاَ !
أرني فأرْني فيكَ أنْفسَ ما أرْتمى
ذِهني وأحلامي لهُ تبجيلاَ
مِنْ بَهْجَةِ (الإِنْسانِ) في استِعْلائِهِ
خُلقاً وفِكْراً مُسْعِفاً وجميـلاَ
ومِن انتهاءِ (العبقريَّةِ) و (الحِجَى)
لنهايةٍ تستوْجبُ التنزيلاَ !

---

(١) متبولا : سقيماً مذهولا .

ومن (التَّسامُح ِ) في الَحياةِ وقلَّما

عرَفَ (التّسامحُ) في الحياةِ خليلاَ

أسفي على هـذا الفراقِ وإنْ يَعُدْ

هـذا (النبوغُ) مجدَّداً تشكيلاَ

وأُقَلِّبُ الطَّرْفَ الَحزينَ فما أرَى

الاّ الورَى والموتَ والتَّرميـلاَ

يا جنةَ (الفيّوم ِ) كَيْفَ جَزَيْتِنَا

ناراً وحُزْناً فادِحاً وثقيلاَ ؟ !

قد رَاحَ يلتمسُ الشِّفاءَ فخُنْتِهِ

كم كانَ رَوْضُكِ للشفاءِ مليلاَ (١)

أسفي ! أجَلْ أسَفي يدُومُ فلاَ تطِلْ

عتباً عليَّ فلم تَكنْ لِتُطيـلاَ

ما فاتني قبْلُ (التّفاؤُلُ) هكذا

أوْ كنْتُ أشعرُ بالَحياةِ ذَليلاَ !

ولقدْ بدأتُ الى (العُلى) مستغفراً

ثمَّ آنتهيتُ مِنَ الشُّجُونِ عليلاَ

---

(١) المليل من الطرق : المسلوك كثيراً .

عَبثاً أُحاوِلُ أنْ أُهدِّيءَ لَوْعَتي

هيهاتَ أُشفي للدُّموعِ غليلاَ !

سُخْطي على (الدُّنْيا) وأقبَحِ هزْلها

سُخْطٌ يشِرُ تأجُّجاً وصليلاَ

وأنا الذِي ياطالمـا غازلتُها

طَرَباً ، وكنْتُ لها كذاكَ وَصُولاَ

مرَّتْ شَرَاباً بعدَ حُلْوِ مذَاقِها وجنتْ على أشْهى الثمارِ أصيلاَ

لمْ أشْكُ قَبْلكَ مِنْ يقيني هكذا

وكأنَّما صارَ (اليقينُ) مَهيلاَ !

وكأنَّما هـذا (الوجُودُ) بأُنسهِ

أمسى بداجيةِ المُصابِ مَحيلاَ !

لِمَ لا أنوحُ وفي رِثائِكَ حَسْرَةٌ

أرْثي بها نَفْسي وأرْثي الجِيلاَ ؟!

ما كنْتُ أجزَعُ للماتِ وإنْ قَسا

حتى رَحلتَ فسامني تذليـلاَ

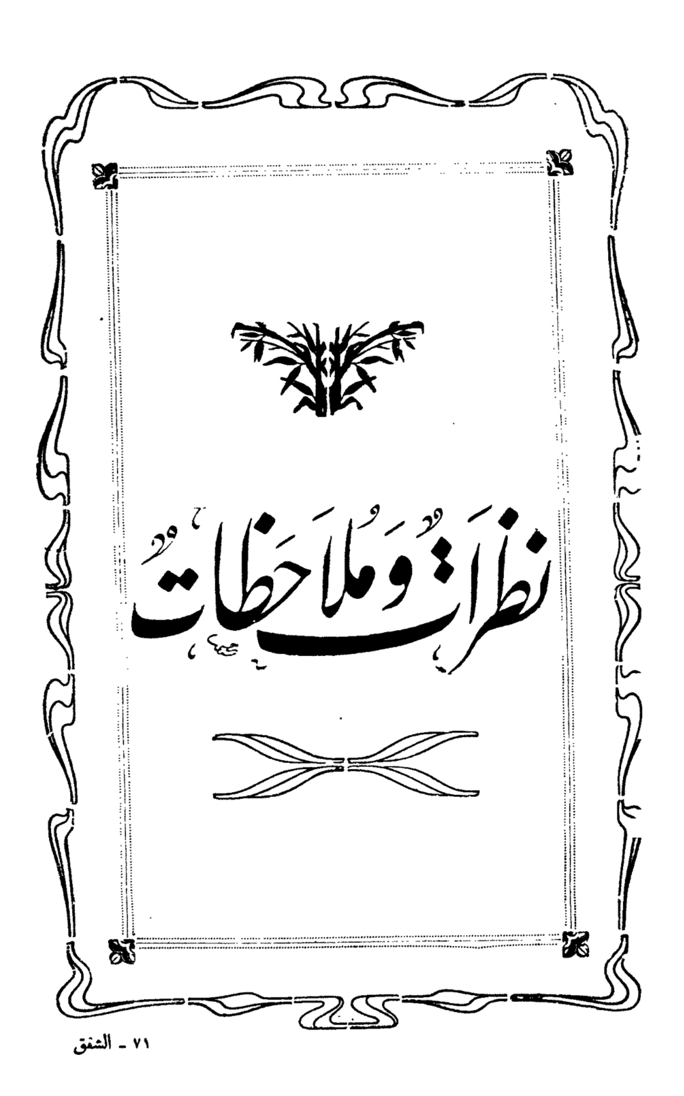
أرْثي العصاميَّ العظيمَ المبتني

مَثَلَ (الثَّباتِ) لمنْ يهونُ مَلولاَ

أرثي (الخلودَ)... وما (الخلودُ) بدائمٍ
في صورةٍ ، بل يتبعُ التعديلا
ما بين إيمانٍ به وبضدِّهِ كم نتعبُ التفسيرَ والتعليلا
أرثي وأبكي والأنامُ جميعهم
كالنبتِ يهضِمهُ الزمانُ أكولا
الفيلسوفُ كجاهلٍ ، وكلاهما
يفنى ، وما عرفَ المماتُ ذهولا
وقليلُ ثأري، أنّ مثلكَ فقدهُ
جعلَ القضاءَ المستعزَّ خجولا !
وعظيمُ صبري أنَّ وحيكَ ملهمي
صبراً ، وعلمُكَ لم يزلْ منقولا
(سقراطُ) قبلكَ و (المسيحُ) كلاهما
ضحكا من (الموتِ) الخؤونِ مهولا !
وضحكتَ أنتَ منَ الأساةِ معزِّياً
همماً تناجيكَ المدى وعقولا !

« الحركة مع الخطأ خير من السكون مع الصواب »

جمال الدين الافغاني


نظرات وملاحظات

« عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم. ولا تسهلن سبيل ذلك الا لأهل العقل والسن والمروءة لئلا ينتشر من ذلك مايجتريء به سفيه او يستخف له شان . »



« اعلم ان بعض العطية لؤم ، وبعض البيان عي ، وبعض العلم جهل ، فان استطعت ان لا يكون عطاؤك جوراً ، ولا بيانك هذراً ، ولا علمك جهلا فافعل » .

ابن المقفع

درسٌ وتحليلٌ

بقلم العلاّمة الاستاذ الشايب

مدرس الادب العربي بالمدرسة العباسية الثانوية

(١)

سَمِّ هذه الفصول نَقْداً أدبيًّا ، أو سَمِّها ملاحظاتٍ تحليليّة ، أو سَمِّها تحبيذاً ومجاملة ، أو سَمِّها ما شئت أن تسمّيها ، فليست تعنيني هذه التسمية ، ما دُمتُ أذهب فيها مذهباً صريحاً نتفق عليه قبل كلّ شيء ولا نحيد عنه قيد شعرة ، وما دمتُ زعيماً لك أن أضع يدك على المقدّمات قبل النتائج فيما أحاول إثباته ، إلاّ أن شيئاً واحداً يجبُ أن أحتفظَ به لنفسي منذ الآن ، ذلك هو نفسي الأدبية ، وما قد يدعونها « شخصيتي » الأدبيّة التي لا مفرّ منها للباحث ، بل لا بدّ منها لِتذوُّقِ الأدب ، وشرح أسراره ، وبيان بلاغته ، والتماس صِلتهِ بالحياة العامّة والخاصة . ولا يهولنّك هذا فتنقبض وتتراجع إذْ ليس للأدب قوانين ثابتة وقواعد مقرَّرة يقف عندها الناس ، ويقصد اليها الادباء ، ويعدونها الغاية التي

ينتهون عندها كما ينتهي الرياضي عند جواب « المسألة » أو « التمرين » . نجد ذلك في الحياة العلمية وقوانين الحساب والجبر والهندسة ، وأما الأدب فبراءه من ذلك بعيد عنه ، براءه من تلك المذاهب العلمية التي يحاول كلٌّ من « سانت بيف ـ Sainte-Beuve » و « تين ـ Taine » و « برونتيير Brunetière » أن يحبسه فيها ويضيق عليه الخناق ويكسبه الجمود والجفاء ، وليت شعري كيف يتيسر لنا أن نحبس العواطف المتدفّقة والشعور المتّقد ، والنظر البعيد عند نقطة أو دائرة لا تَعْدُوها ؟ أليست هـذه جناية على الأدب والأدباء وسلباً لحرّية الشعر والشعراء ، فتكون العاقبةُ حَبْسَ المواهب والجمود ثم النَّفاق والموت ؟ وقد يدور بخلد أحد أن هذا عَيْبٌ في باب الأدب ، عيب أن يُترك دون حدود وتقاليد مرسومة يتأثرها الناس وينتهجونها ، ولـكن الحقّ أن هذا ليس بعيب ، وإنما هو خيرُ فضيلةٍ في الأدب وأحسنُ محاسنه حتى يكون قابلا للحياة الخالدة والحركة المتجدّدة ، والاتّصال بالدنيا مهما تكن صورتها ورسومها . فهل تريدنا على سَلْب الأدب ليانه ومرانته فلا يبقى شيء في الدنيا حراً ، ونعيش نحن آلات متحركة بقوّة القوانين العلمية والأدبية فوق قوانين السماء والأرض ؟ لا ! وسأحتفظ بنفسي أوّلا ، وبنفس الأدب ثانياً !

(٢)

ومع هذا فسأتفق معك على قانون أو مذهبٍ صريحٍ كما حدّثتك منذ قليل ، ولا تظن هذا نقضاً لما سبق أو خروجاً على ما أشرتُ اليه من براءة الأدب من الرّسوم الثابتة . لا تظن هذا ، فلستُ الا واقفاً عند قواعد عامّة لا يضيق بها الشعر ذرعاً ولست الاّ مُشيراً الى ما يجب أن يكون عليه الشعر من حيث انه صورةٌ للحياة ، وجزء من عمر الدنيا ، وصحيفة من صحف التاريخ ، ومرآةٌ لنفس صاحبه نراها فيه واضحةً صريحةً . وقد قلت لك انَّ أساسَ هذا المذهب الاحتفاظ بنفسي أولا ، ثم بطبيعة الأدب أو الشعر ثانياً . وما نفسي تلك التي أعتز بها ؟ ليست بشيء هنا سوى هذا المعنى الأدبي الذي لا يمكنني الخلاص منه ومن التأثر به ، وكيف يمكن هذا بل كيف أخلص من نفسي وهي التي تتحدَّث اليك وتكتب لك ؟ فاذاً ستري شيئاً متأثراً بمواهبي فاصبرْ عليه ، فليس ذلك استبداداً وأثرة ، لان طبيعة الشعر ووظيفته هي التي ترسم لنا سبيلَ القول ، وهنا يبطل السّحر والساحر . ما طبيعة الشعر ؟ وبِمَ يمتاز العصريّ منه ؟ لست أُبهم أو أُلغز أو أُطيل ، وانما أقول لك في صراحةٍ وسذاجةٍ : إنّ

الشعر كلامٌ يجمع بين الحقيقة والخيال ، تدعوه الحقيقة الى الخلود وقوة الأَسْر ، ويدعوه الخيال الى الخفّةِ والجمال بما يسبغه الشاعرُ على الحقيقة من فنّهِ وبيانِهِ ليسهل وَقْعُ الحقيقة على النفس ، فتكون لذيذةً وقوية أيضاً . أما الشّعر الحقيقي كله فصعب ثقيل ليس من الجمال الوجداني في شيء . وأما الشعر الخيالي كله فشيءٌ طائرٌ لا يكاد يستقرّ في النفوس ، بل يمّحي منذ يُنشأ ويدعو الى السخرية والاستهزاء ، فلا بدّ أن يكون مزيجاً من الحقيقة والخيال ليكون جميلا خالداً .

وأما الشعر العصريّ فيجب انيتوافر له هذا الأصلُ السابق مع أمر آخر هام : هو الصلة بينه وبين هذا العصر الذي نحيا فيه فيستمدّ منه موضوعاته ومعانيه وأخيلته ، ويجتهد أن يصوّر لنا هاته الحياة الحاضرة في مختلف أحوالها ونواحيها ولا سيّما الحياة المصرية أو الوطنية للشاعر القومي . أليست الدّنيا كلها بيئة الشاعر العصري بعد أن ألمّ بها خُبراً ؟ ثم أليس وطنه ألصقَ به من سواه فيؤثره بالحديث والتّقديس ؟ ألا تراه بعد هذا يكون صادق الشعور صادق التعبير : شعره قطعةٌ من الزمان والمكان يستحقّ الخلود ما بقيَ الزمان والمكانُ ؟ ثم أفلا تراه مفهوماً

لشعبهِ وناسهِ الحاضرين والغابرين ؛ يرون في شعره صورة نفوسهم وحياتهم ، وتاريخ دنياهم وبلادهم ؟ نريد من الشعر أن يتشبّث بشيئين ليحظى بشيئين : يتشبّث بالحقيقة الجميلة والاتصال بالحياة ليحظى بالالفة والخلود . فأنت تراني حرًّا حين قيَّدْتُ نفسي معك بهذا المذهب الأدبي ، وأنت تراني أيضاً مقيَّداً بهذا الأساس ولكنّه على قيمته دائرةٌ مرنةٌ وأصولٌ عامةٌ ، هي في ظاهرها سهلةٌ سائغةٌ ، وفي حقيقتها لا يتطَاولُ اليها الا النَّابهون . ومهما يكن من شيء فأشعر أننا اتّفقنا ، وأن قد آن الأوان لنلتمس هذا المذهب في هذا الديوان .

(٣)

وماذا تريدنا أن نلتمس في الديوان ؟ نريد أن نتبيّن هل توافرَ للدكتور أبي شادي أن يكون شاعراً عالمياً ، فيصف النفس الانسانية العامة ويعرض لها في شرح وتحليل ويخضعها لسلطانه الفنّي والعلمي أو يخضع لها فنه وبحثه ، فلا يتجاوز الحقيقة الى تلك الدعاوَى الشيطانية التي يمخرق بها مشعوذو المتأدّبين من حيث لا يشعرون ؟ ونريد أن نعرف هل تيسّر لهذا الشاعر أن يكون شاعراً قومياً نقرأ في شعره عَصْرَه السياسي والاجتماعي سواء

أكان في مصر أم في غير مصر من أقطار الدنيا حتى يكون أثره سجلاً لعصره ، وقطعة من عمر الدنيا ، وحتى يكون صريحاً صادقاً يعرف دنياه ويدونها لنا ، وللتاريخ فيستأهل منا العناية والاحتفاظ بشعره ؟ ونريد أن نحس شيئاً آخر : هو نفس الشاعر الخاصة ومواهبه العقلية والوجدانية ، هو تلك الجذوة الباطنية التي اتقدت في نفسه ثم ظهر شررها أو لهبها فكان غناء ، فكان حباً وبغضاً ، ورضاء وسخطاً ، وأملا وألماً . . . وأخيراً كان صلته بالحياة ، ومقدار ازدواجه بها ، وثمرة تلك الدائرة الكهربائية ؟!

ولا أنسى بعد ذلك ما يتبع هـذا من وحدة الموضوعات ، وجمال الاسلوب وحسن النغم والجرس ، فتلك توابع يتم بها جمال الشعر ، وتسمو مكانته في نفوس الشعب الأدبي ، وتقربه الى المثل الأعلى. أليست هذه الغاية تتطلب منا أن نجيب على هذه الأسئلة :

ما هو عالم هذا الشاعر الذي نرجو أن يكون شاعره ؟ وما هي قوميته التي تحمله على أن يصورها لنا ؟ وكيف تكون مزاجه النفسي والأدبي لنعرف هل كان شعره نتيجة حقة لنفسه أو كان شاعراً مقلداً يطير مع أهواء غيره ، ويترجم نفس سواه ؟

(٤)

في مستهلّ القرن العشرين كان صاحب الديوان طفلا يتردّد على مدرسة عابدين الابتدائية بعد أن مارس التعليم الأوّلي بمدرسة الهياتم ، وكانت تستقرّ في نفسه مواهب اسرتين كريمتين لهما أصل أدبي معروف : احداهما أسرة والدته ولا نحدّثك عنها بأكثر من ذكر المرحوم مصطفى بك نجيب صاحب كتاب (**حماة الاسلام**) وصاحب الآثار القلمية الباقية ، ولعلك تعرف أن هذا الكتابَ من أول الكتب التي حاولت فهم التاريخ بالطريقة المنطقية الحديثة ، فهذا خال الشاعر ، وأنت بعد هذا لا يزال يرنّ في أذنك صيت المرحوم الاستاذ الفذّ « محمد أبو شادي بك » أحد الثلاثة الذين بدأوا الحياة القانونية والقلمية في هذه الديار ، ثانيهم سعد زغلول وثالثهم الهلباوي ، ونسيت أن أقول لولا المنية لكان خاله بحكم منزلته الاجتماعية والسياسية خليفة صديقه الحميم مصطفى كامل رسول الوطنية المصرية وجذوتها الاولى .

فاذا كنتَ على علمٍ بقانون الوراثة للأفراد والشعوب سهل عليك أن تفسّر سرعة شاعرنا وهو في فجر الصبا الى الشعر

وقرضِه ، والى الأدب وفنونه ، وانصرافه الى ذلك بجُلِّ مواهبه ، وهنا ظهر لي ما حاولتُ تبيّنَه غير مرة : وهو النتاج الشعري المتواصل الذي امتاز به أبو شادي ، فهل لي أن أنسب ذلك الى تلك النفس الفيّاضة بطبيعتها والتي قُدَّت من الشعر والسلاسة ، وخُلِقَتْ لتكون شاعرة على الرغم منها ومن الطب والبكتريولوجيا والأبقلطوريا وغيرهما من المباحث العلمية الخالصة ؟

وكان من الحتم اللازم على هـذا الصبيِّ الغضِّ أن يتأثر بمؤثرات أخرى لا قِبل له بدفعها ، ولا مناصَ من الاتصال بها لمثله ، منها تلك الخطة المرسومة للتعليم المصري ذلك الذي يضمّ في منهجه الابتدائي والثانوي أنواعاً شتّى من العلوم الكونية والأدبية والدينية ، فاذا كان لنا أن نبتهج بها لتكوين شيء من الثقافة الأولى للناشيء المصريِّ ، فانَّ لنا أن نبتئس بها لاحتوائها اذ ذاك على شيء غير قليل من الجمود والجفاء الذي لا يلائم النفس الشاعرة التي لا تحتمل القرار والوقوف عند رموز الجبر والهندسة وقواعد اللغة والأدب المحبوب الذي وقفت عنده تلك المدارس أوَّلَ هذا القرن ولا يزال له أنصارُهُ الى اليوم ، أقول كم من البون — فيما يظهر — بين نفس من حقّها أن تطفر بين أفنان الجمال

الفاتن ، وبين نفسٍ أخرى ليس لها أن تكتفي بالشيء يُلَقَّى فيها فتحفظه لتجوز الامتحان الدّرامي والسلام ! . . . فهل هذا من أسباب ثورة أحمد أبي شادي على القديم وقصده توًّا الى الجديد والنُّبُوُّ عن هـذه الأغلال التي قيد بها أنصارُ المدرسة القديمة أنفسَهم وأقلامهم خائفين أو عاجزين ؟ ذلك رأيٌ أراه ، وأرى معه شيئاً آخر ، وهو أن هذه الحقائق العلمية والأساليب الأدبية القديمة أفادت شاعرنا مادّةً قويةً في اثبات الصلّة بين العلم والأدب امتاز بها دون غيره ، كما أفادته فصاحةً لسانيةً قلمية والاعتماد على القديم فيما يذهب من التجديد ، دون أن يقطع الصلة بين أعمار اللغة والأدب .

ومنها تلك الحركة الوطنية التي كانت تضطرم جذوتها في المدن وفي رءوس الشبان ، والتي كان مصطفى كامل يحمل علمها جريئاً مقداماً ، يتأثره الشبان ، ويعاونه رءوس مصر ومحبُّوها ، فانطبعت هذه الصورة الوطنية في نفس هذا الشاب ، وكان شعره القومي لها نغما جميلا ، وتاريخاً قومياً ، وصوتاً عالياً ، في مصر وفي بلاد الانجليز كما أحدّثك بعد .

ومنها (الطبيعةُ) التي يُفتن بها الشاعر قبل غيره ، بل هو وحده الذي يفهمها ويتحدّث اليها ، سواء أكان صامتاً أم ناطقاً ،

ضاحكا أم باكياً ، واقفاً عنـد مظاهرها أم ذاهباً الى أغوارها مستسراً أسرارَها .. ستجدني بعد حين أحدّثك عن شعر الطبيعة وأُلفتك الى قصيدة « الربيع » و « صورٌ وأنغام » وغيرهما ، ولا أدري لما ذا طرأ على فكري الآن « بيرون ـ Byron » و « وردزورث ـ Wordsworth » و « بيرنز ـ Burns » من أصحاب الشعر الرائع في مشاهد الطبيعة ـ لعل ذلك لأنّي أجلهم وأعرف عنهم أكثر من غيرهم في هـذا الباب الذي فُتن به أبو شادي أيضاً .

وليس لنا أن ننسى نفحةَ الحب ونعمته ، ذلك الحبّ العذري الطاهر ، ولولا أنه كان بريئاً طاهراً لما رأينا آثاره هذه في حال الشاب النفسية من الوجد والمرض ، بل والاضطرار الى ترك الوطن والاغتراب ، وربمـا كان من حسن حظّنا وحظ الأدب ـ على الرغم من ارادة هذا الشاب ـ أن حِيل بينه وبين أمله في الحبّ ، فكان زهرة تفتّحَتْ أكمامها ، وكان برقاً لمع وميضه في أفق الأدب ، وكان جَمْراً اتّقد ضرامهُ وعلا ، وكان بلبلاً فصدح ، وكان غيثاً أوّله :

نَشأْتُ وقلبيَ يصبو لكِ وانّي رُبيتُ على حبِّكِ

أليس لي أن أبتسم من قلبي وانظر الى هـذا البيت نظرَ البستانيّ الى أول ثمرة ، ونظر المبتهل الى الهلال ، ونظر الفلاّح الى أوّل فيض النيل ، ونظر الأديب الى الخيال البكر الباكر الجميـل ؟!

والحبُّ كان ولا يزال مصدرَ إلهام الشعراء وأولَه ، والحبُّ العذري الطاهر يفيض بالشعر الحارّ الطاهر ، كان العَصْرُ الأُمويّ في الحجاز عصر الغزل العفيف ، فكان أيضاً عصر الغزلي الخالد العفيف ، ... ولا أحاول إثبات ذلك بأكثر من أبيات قرأتُها له في كتاب من مختار شعره الأوّل يُسمَّى (**شعر الوجدان**) ، حيث يقول تحت عنوان « عبادة المرأة » :

جُودِي عليَّ من الَحيـاةِ بنفحةٍ
وأَستنهضي أملَ الشَّبابِ الباكي
فالنفْسُ عندَكِ أصلُها وبقاؤُها
والرُّوحُ مَشْرِقُها الغرامُ الذّاكي
يا رَحمةَ اللهِ القديرِ وعَطْفَهُ
ما شِمْتُ نُورَ جلالهِ لولاكِ ؟!

أنظرْ عقيدتَهُ في المرأة ، كيف يراها مصدَر قوّةٍ ، ومظهرَ

نِعَمِ اللهِ ، ثم اقرا ما قرأته تحتَ عنوان « ميلاد الحبيبة » :

قَضَى الزمانُ علينا بالفراقِ وما
قضى على رحمةٍ مِنْ برِّك الهادِي
كأنما كانَ تعذيبي وضائقتي
تجاربُ الحبِّ لا موْتي وإلحادي
فاستقبلي العامَ بسّاماً لنعمتهِ
وغيرُهُ راحلٌ باكٍ لإبعادِ !
كأنما حسرتي راحتْ تودِّعهُ
فلم تؤبْ ، وتجلّى أُنْسيَ البادِي !

تَرَ الوفاءَ على رغم البعاد ، وتشعر بصدق العاطفة ورقة اللهجة .

الى هنا يصحّ أن أقف برهةً بعد ما تيسّر لي أن أفهم شيئاً من مزاج الشاعر وشيئاً من قوميته ، وهنا تنقضي في رأيي الحلقةُ الأولى من حياة الشاعر ، فلننظرْ فيما بعد ذلك .

(٥)

أمّا ما بعد ذلك فعجبٌ عجابٌ ، وفرارٌ من وجدٍ الى وجدٍ بل من عالمٍ صغيرٍ الى عالَمٍ كبيرٍ ، من شخصٍ لنفسِه ولقومه

الى شخصٍ لنفسهِ ولقومهِ وللنَّاسِ جميعاً . كان خروجُه من مصر فراراً من حرقةٍ آلمتْ صباه ، وجَنَتْ ـ فيما يدَّعي هو ـ على شبابه الآمل الباشّ ، ولكنَّه كان في رأي الأدب خُرُوجاً من أزقّة الدنيا الى ميادينها وشوارعها الكبرى ! كان خروجاً من القفص الذي يضطربُ فيه شكايةً ، الى البستان الذي يمرحُ فيه هَزِجاً صَدَّاحاً ليُشجِي ويُشْجي النَّاسَ ، ولينشُرَ على الحياةِ حُلَلَ الحياةِ ، وليكون « أبا شادي » !

ليتَ شعري ، هل علم ذلكم الشاب الشاعرُ وهو يغادر مصر انه في مصر مهما تَنْأَ بهِ الحظوظ ، وان نفسه جدُّ أسيرةٍ في مصر ، وان وفاءه لوطنه سيطغى على الدنيا العريضة ، وانَّ القلبَ للحبيب الأوّل الذي احتلَّ السويداءَ وملك الشغاف ؟ وداعٌ لاذعٌ حلوٌ وبكاءٌ حكيمٌ ذلك الذي نفثهُ سحراً أو شعراً ، ونشَرَهُ حُللاً أو زهراً ، حيثُ يقُول قبيلَ رحيلهِ في أبريل سنة ١٩١٢ :

آنَ الرحيلُ فلا جوابَ لداعِ
حتى أتمَّ لهـا مقالَ وَداعي !
وأسطِّرَ العهدَ الذي إنْ فاتني
يَوْماً رعايتهُ قصفْتُ يَراعي

في العيْشِ أوْ في المَوْتِ ، ما بيْنَ المنى
والبأسِ أذْكرُها بقلْبٍ واعِ

هكذا يودّع مصر ، فلتبتهج مصر باحتراق نفسه ، وليفرح الشعْرُ بعذاب هذهِ الروح ، وليكن الخيْرُ منَ الشرِّ ، وليظهرْ الفنُّ وليدَ الألم !

ليستْ الثقافةُ السكسونية الا ثقافة الدنيا ، و الا رُوح العالم ولبّه ، والا الحرّية الكاملة الناضجة ، وإلاّ سرّ العالم الذي ملكَ العالم ، فمن شاءَ أنْ يرى الذهنَ الجبّار الذي اشتُقّ من حركةَ الدهر وصُروفه ، وسيطرَ على مناحي الكون وأسراره ، فليلتمسْهُ هناكَ عند « جيرة المانش » وليسألْ عنه هذا الشاعر الذي نترجمه .... في هذا العالم الكبير والدنيا العريضة ألقى عصاه مزوّداً بمصْر وعلمها ، بنفسِهِ وذِكْرياتها ، بهواه وآلامهِ ، بدنيا شرقيّةٍ يحملها الى دنيا غربيّة ... فهل من الغريب أن نثبت ما لهذه الدنيا الجديدة منَ الأَثر في نضوج هذا الشّاب ، وتكوين ثقافتِهِ الأَخيرة ، وإضافة ذخيرةٍ غالية الى ذلك العقل الناهض ؟

في بلاد الانجليز فوق ما ذكرنا من تلك العقلية ، جمالٌ ريفيٌّ ، وجمالٌ طبيعيٌ وآخرٌ صناعيٌّ ، وفيها الحركة العلمية التي تنمو بحرية وسعة ، وفيها الحركة السياسيّة التي ينبضُ لها قلب العالم ، وفيها الفنون الأدبية التي خلّدها الشعراء والكتّاب ، وفيها كلٌّ مضطرب لكل جهد ، وفيها الدنيا فقط !

هبط أبو شادي بلاد الانجليز ولبث فيها عشر سنين (١٩١٢ ـ ١٩٢٢) يدرس الطبّ وفروعه ، وينبغ فيما اختصّ به ، ويؤسس (**معهد النحل الدولى**) ومجلة (**عالم النحل**) ، وهو في أثناء ذلك كله يدرس العلوم الغربيّة العامة ، والآداب الفرنجية ، ويتصل اتّصالاً عالمياً برجال من أمم شتّى حتى كان أشبهَ شيء بالنحلة التي تنال من كل زهرةٍ شَهْدَها ، ثم تمجُّه عسلاً صافياً فيه لكل نفس أرَبٌ ، ولكلّ عقل شهيةٌ ومُطَّلبٌ ... لم ينس (مِصْرَ) في هذه الفترة ، بل كانت هذه الفترةُ الحرّة التي أتاحت له الصلة بالعالم الحرّ أدعى الى التعلق بمصر وبحقّ مصر فيما تحاول من حرّية واستقلال ، فكان شعره هناك وجدانياً ، وقومياً ، وعالمياً ، تمتزج فيه نفسه ، ومِصْرُهُ ، وعالمه الأخير ! ويجب أن نذكر هنا أن أهمّ طوابع المدنية الحديثة ، إنما هو الإنسانية والعمل

للإنسانية ، والاعتراف بها في الأعمال العامة وفي الثمار الأدبيّة ، تجد ذلك واضحاً في التعلون العالَمي ، وفي إنقاذ المنكوبين ، وفي الإفاضة على البَشَر بفيض العقل والوجدان ، ولعلك تعرف أيضاً أن الأطبّاء هم أمسُّ الناس بهذه الفكرة ، وأعملهم للانسانية في طبّهم ، ومن القواعد المأثورة لديهم : « كن طبيباً فقط ، ولا تفكّر الا في إنقاذ مريضك » . . . أفلا يكون الطبيبُ الشاعر إنسانياً في شعره كذلك ؟ وهذه الفكرة تدفع الينا فكرة أخرى لا بدّ من الإلمام بها ، تلك هي علاقة العلم بالأدب ، وانما نلمّ بها لأن شاعرنا عالجها في دراساته الأدبية وفي قصائده الشعريّة ، ودافع عنها أقوى دفاع رآه الناسُ ، ويظهر لي أنّ سبب ذلك يرجع الى الناس ، فلقد أحفظوه وضيّقوا عليه الخناقَ ، ناعين عليه تشبثه بالشّعر ، داعيه الى الانصراف الى « معمله ومجهره » فذلك أجدى وأولى ! !

والى متى يريد الناسُ تقطيع أوصال الحياة ، واعتبار نواحيها وحدات منفصلة ليس بينها صلةٌ ومعاضدة ؟ أليست الحياة بجهتيها العلمية والأدبية أشبه تماماً بالانسان جسمه وروحه : كلاهما لازمٌ للآخر يتأثر به ويؤثر فيه ، وإن قوّةَ أحدهما قوة الآخر ؟

ما لهؤلاء القوم لا ينصفون الحقّ ؟ أيقدر أحدهم على الحياة بدون روحه ؟ ألم يكن أكثر الادباء والشعراء في الشرق والغرب علماء أيضاً ؟ اللهم انّ العلم يزيد الأدبَ قوّةً وخُلوداً ويبعث فيه الحياة القوية ، ويبعد خياله الى أقصى الغايات وأحقّها ، وهذا يذكرني بقول (لسپنسر — Spencer) الانجليزي قرأتُه منذ أن كنتُ طالباً بالمدرسة معناه : « ما ضرّ الشاعر المفلق أو الكاتب البليغ اذا عرفَ أن هذا الحجرَ قد مرَّ عليه كذا من الأعوام حتى تمّ تكوينه ؟ ألا يكون في ذلك خيرٌ كثيرٌ لأدبه وشعره ؟ » وأزيد أن الشعر بغير علم يكون أقرب الى الهراء والسخف منه الى الاعتدال والحق . وقد كان أجهل الشعراء بالعلوم أشدهم سخفاً وهذراً ، وأقلهم بضاعة ، وأفقرهم خيالاً ، وأفناهم آثاراً !

نقول إن أبا شادي دافع عن نظريته في غير قصيدة من شعره مثل قصيدة « حياتي أو روح الشاعر » ، ونحن نذكر هنا شيئاً من قصيدة أخرى (ص ٣٥٦) قالها يخاطب « مجهرَه » :

صحبتك عمْراً في وفاءٍ ومُتْعةٍ
فكُنْتَ لفنّيْ مُلهماً ولأفكاري

فكم من بيانٍ لاحَ لي منك مُرْشداً
وكم مِنْ مَعَانٍ قد وهبتَ وأسرارِ

وَيُذهِلُ قوماً أن يُحبك شاعرٌ
وما عرَفوا فنّي الدقيقَ وأشعاري
أري فيكَ سِرَّ العيش والموتِ مُعلناً
مراراً وآلامَ الوجودِ بتكرارِ
ويا رُبَّ خيطٍ عُدَّ جرثومَ قوَّةٍ
تناولتُ منه الوَحْيَ والأملَ السّاري
فيا قومُ صَفْحاً ، لا تعيبوا الذي يرَى
وينظمُ ما يلقى بدائعَ للقاري !

والى هنا يمكننا أن نقول : انَّ نهاية اقامته بانجلترة كانت نهايةَ ثقافةِ الشَّباب ، ووضع الاصول العامة للنفس الشاعرة بكل ما في الكلمة من معنى .... وهنا ينتهي الدور الثاني من حياة الشاعر .

(٦)

ثم نعود فنقول : أليست هذه العواملُ التي تظاهرت على شاعرية أبي شادي تسمح له أن يكون شاعراً وجدانياً ، ثم شاعراً عالمياً ، وكم في الشعر العالمي من باب ، فانه يسع الطبيعة ،والفلسفة ، والسياسة العامة ، والحكمة ، والنفسَ الانسانية في شتَّى مظاهرها

الخالدة ، فاذا حدّثتك بعد حين أن أبواباً كثيرة تدخل في ديوان (**الشفق الباكي**) وفي غيره من دواوين الشاعر لم أكن الا مستنبطاً من هذه المقدمات التي سلفتْ والتي اتّفقتُ معك على تقديمها ، ولكنّي مضطرٌّ في هذا القسم الثالث من حيـاة هذا الصديق أن أشيرَ الى شيء من شمائِلهِ إذْ لم أظفر بمعرفته الا في هذا القسم أيضاً ، فاذا حدّثك أبو شادي شعرتَ بوداعةٍ خلقيّةٍ وتواضع وإنكار للذات الى حَدٍّ نادرٍ غريبٍ ، ويكون معك في منزلك فيخجلك بأدبه وظرفه ، ويفي لك ويبالغ في الوفاء ، ويحمل الناسَ على مشاركته في محبتك وتقديرك ، ثم تهجم عليه فيصبر ، ثم يدافعك فاذا به أقوى الناس حجةً ، وأمضاهم قلماً ، وأطهرُهم حديثاً ، وأبلغهم غرَضاً ، ثم أسرعهم صلحاً وتسامحاً ، يحدّثك فيأخذ عليك مسالكَ القوْلِ ومنافذه ، ويعترف للناس بكل فضلهم وجهودهم ولو كانوا منه في مواقف عداوة وحسد ، وآيةُ ذلك اعترافه في شعره بالفضل لـكلّ أديب ولـكلّ عالم ولـكلّ مبتكرٍ مبدعٍ أيًّا كان فَنُّه أو وطنُهُ أو دينُه ... فهو إنسانيٌّ في ذلك ، يحاولُ الـكمالَ ويجدُّ فيه ، وهو بعد جريءٌ في التجديد ، سبّاقٌ خيِّرٌ ، يذيبُ رأسَهُ وجسمهُ لتخفيف

الويلات مهما ينفق من المال أيضاً . وفي وسعي أن أضعَ يدكَ على شواهد ذلك بعد أن أُتم ما بدأتُ من تلخيص فنونه الشعرية، ولكن لعلَّك في غنًى عن إرشادي هذا معتمداً على دراستك للشاعر ، ولا أنكر أنّي حاولت صرفَه عن الشعر بعضَ الشيء، ففي عمله الذي يحبّه ثروةٌ وجاهٌ ، فكان يقول لي : « كأنّك تريدني على النزول عن قسم من نفسي ، هذا شيء لا أعمله وانما هو نوعٌ من الراحة ألجأ اليه أو يلجأ هو اليّ فأقوله ، وسيّان عندي أحفظته الدنيا أم فقدته » .

وفي هذا القسم من حياته أكبَّ الدكتور على دراسة الأدب القديم والحديث من عربيٍّ وفرنجيٍّ ، وعلى دراسة الفلسفة العامة والطبّ ، ثم ابتُلِيَ بما يُبتلي به أمثالُه من مسئوليّة الحياة وصُرُوفها وحَسَدِ الناس وغدرهم ، وتهريج المخرقين المشعوذين فنقم على هؤلاء لا لنفسه وانما لأجل الأدب وفي سبيله ، فاشترك في تلك الحرب الطاحنة الّتي قامت أخيراً بين المحافظين والمجدّدين، وكان منحازاً بكل قواه الى الطائفة الثانية حتى لقد خفْتُ أن يكون متطرّفاً .

وقد تسأل نفسك كيفَ موقف أبي شادي مع معاصريه من

الشعراء ؟ نراه يُثني عليهم جميعاً مع بُعد ما بينهم في المذهب الفنّي ، وفي مقدار الثقافة ، وفي النزعة الموضوعية والمعنوية . ولكنّي قلتُ لك منذ حين إنّه يعرف لكلٍّ منهم جهودَه ، ويقرُّ له بميزاته ، ومَن هو ذلك الشاعر الذي يخلو من ميزة واحدة ؟ أولى بنا أن لا نعرض له . . . ولكنّك من جهة ثانية تجد أبا شادي أميل في التفكير الى أمثال مطران ، وشكري ، والعقّاد ، وان يكن هذا الميلُ بدرجات متفاوتة ، وليس من الصعب تفسير ذلك بعد ما قدمنا لك من اعتزازه بالثقافة الحديثة ، والعناية بالمعاني والموضوعات الطريفة التي ينزع اليها هؤلاء .

(٧)

هناك صفحةٌ أخرى لا بدّ من الاشارة اليها . وهي ما تتّصل بالنهضةِ المصريّة الأخيرة إن صحّ لنا أن نسمّيها نهضةً ، وقد قلتُ لكَ انّ صلةَ شاعرنا بهذه النهضة يرجع الى أوّل حياته بل الى ما قبل حياته أي من ناحية والده وأخواله ، ثم الى تأثره بزعيم الشباب مصطفى كامل ، ثم الى مسايرته الحركة التي قام بها الزعماء المعاصرون وعلى رأسهم سعد زغلول . فهل تصدّقني اذا رويتُ

لك أن ديوان (**مصريات**) لهذا الشاعر وقفَ على شيء كثيرٍ لروح هذه الحركة ، غير الكثير والكثير جدًّا مما تراه في (**الشفق الباكي**) ، وغير ما تراه أو تسمع عنه في غيره من شتى مؤلفاته وآثاره الشعرية المطبوعة والمخطوطة ، المحفوظة والمفقودة ... ؟

مسكينٌ أبوشادي ! كأنما كُتب عليه أن ينهض بالشعر العصري وحده ، وأن ينهض به في أقل زمن ، وأن يرى آثار النهضة ناضجةً في رجولته ، وأن يملأ اللغة العربية نظماً بنماذج لخير ما انتجتْ اللغات الحية ، فتراه يحيط بكل شيء شعري ويحاول نقل روحه الى لغته ، وهي غيرةٌ لا تقل عن غيرته الوطنية، بل هي جزء منها ، وليس من حقي ولا من الميسور لي أن أنقل لك منها شيئاً ، وانما أدلك فقط وعليك أن تقرأ بنفسك وأن تشركني في هذه الأحكام الكثيرة . ويجب أن نعرف لهذا الشاعر نزعته الوطنيّة التي يتشبّث بها وينتصر لها مهما يؤذ في سبيلها : نادى بها في صباه ثم في بلاد الانجليز ، ونادى بها في مصر سايرها آخر الأمر ، وكان اداة صالحة للدعوة الدستورية في شعره لا يتحوّل عن مبدأ ولا يتردّد بين شتى المذاهب إرضاء لشهوات شتى ، وأفراد معروفين ، وهذا يذكرنا ببعض المعاصرين

من الشعراء الذين تنقّلوا بين المذاهب السياسية ، والاهواء الحزبية فكانوا صورة سيئةً من هذا الاضطراب وضعف العقيدة أمام قوة الهوى والشهوة ، وأساءوا الى الأدب والى نزعة السمو النفسي . كذلك نذكر « هيجو ـ Hugo » الذي نُفِي في سبيل عقيدته السياسية ومذهبه في الحكم ، ونذكر « بَيْرُون ـ Byron » الذي ساعد يونان في استقلالها ، ونذكر « دانتزيو D'Annunzio » شاعر ايطاليا القومي المعاصر .

(٨)

والآن أشير اشارةً عجلى الى بعض الأبواب التي ألمَّ بها في شعره ، تاركا للقارىء استيعاب ما قد عجزتُ عن الإلمام به في هذه الفصول الموجزة ، ولو حاولتُ كلَّ شيء أريدُه لما فرغتُ هذا العام ، ولما وسعني كتابٌ في حجم الديوان ، فكلٌّ أبوابه جديدةٌ ، وكلها في حاجةٍ الى تقديم وتحليل ؛ وأين أنا من هذا كله في هذا الوقت الضيّق والجهد الكليل ؟ !

(١) فأوّل الأبواب الشعر الغزلي ، ولعلّه أسبقُها الى ذهن الشاعر ولسانه لما قد عرفتَ من نفحة حبٍّ ألمَّتْ به في شبابه ، فأذكت قريحته التي فاضت بأوّل كلمة غزلية ، وليس ذلك بدعاً

فلعلَّ الحبَّ من أسبق دواعي الشعر لدى الشُّبَّان، ولعل شاعراً صادقاً لا يخلو من حبٍّ، ولكنَّ الشيء البديع هنا أن يتحلَّل الغزَلُ من هذا السبب الخاص فيصير غزَلاً عاماً أو - بعبارة أوضح - يصير غزلاً فلسفياً يعشق الجمالَ للجمال، ويتعدَّى المرأة الواحدة الى أي جمال في أي فتاة. وقد لا تشعر في غزله الآن بحرارة الشباب وصدقه وانْ كان مستمداً في روحه من ماضي ذكرياته، ولكنك تشعر بحرارة الفن وقوّته، وتصوير الجمال وأسراره، وأشير الى القصيدة المعنونة « أمتع الأنس » (ص ١٢٥) التي يقول في مطلعها:

تُسائلني عن أمتع الأُنسِ لذَّةً
وما الأُنسُ حقًّا غيرَ إيناسِ غانيهْ

وأين الانس اذا لم يكن مع الغانيات؟! وأيُّ ميزة لهنَّ في الدنيا غير هذه؟!

تنازلتُ طوعاً عن وُعودٍ بجنَّةٍ
لساعةِ صَفْوٍ مِنْكِ بالُحبِّ غاليَهْ!

وهذا المعنى يُعيد الى ذهني قول ديك الجن:

(عفَّرْتُ خدّي في الثَّرى لكِ ساجداً
وعزمْتُ فيكِ على دُخولِ النَّارِ)

ثم انظرْ اليه يذكر فنون الجمال وألوانه ، وما تمتاز به الحسناء :

جَمـالٌ وتحنانٌ وتيهٌ ورقّةٌ

وعَطْفٌ وإحْياءٌ لأَحْلَى أمانِيَهْ !

ولستُ أسترسلُ فالوقتُ ضيّقٌ ، ولكنّي أذكُرُ أيضاً قصائد أخرى مثل « قلبي الخفوق » و « ليلة صيف » و « نظرات » و « اذكريني » ... وهكذا تقرأ القصيدة بعنوان غريب لا تعهده في الشعر القديم ، لأن هـذا الحديث ذو معنًى حديث ، وأعلمُ أن الغزل كان منذ العصر الأموي حارًّا صادقاً حين فرغ له شعراؤه ، ولكنّي لا أعدُّ أبا شادي شاعراً غزِلاً بذلك المعنى القديم الذي يقصر الشاعر على هذا الفن وحده : مثل جميل وعمر ابن أبي ربيعة وغيرهما ، ولكنه يتجاوز الغزل الى غيره .

(٢) فلنترك الغزل الى نوعٍ آخر وجداني يعبّر عن نزعات خاصّة للشاعر كقوله في « قلم الفنّان » و « نقدالشعر » و « عتاب صديق » ، و « حقّ النبوغ » وغيرها. وهذه الأبيات جيدة حقاً قالها في موضوع « نقد الشعر » (ص١٨٢) :

هوِّنْ عليكَ فما شِعْري بمفتقرٍ

للمادحينَ ، وما عَتْبي لنقَّادِي !

ولنْ يَعيبَ نظيمي ذَمُّ حاسِدِهِ
فإنما يَزْدَهي في ليلِ حُسَّادي !
كالنَّجْمِ في ظُلُماتِ اللَّيلِ مشتعلاً
والماسِ في الفحمِ ، أوكالنّبْع للبادي!

ولا أعرض لهذا النوع بالتحليل الموضوعي ، فهو من رأي صاحبه ، وأما فنّه فبديعٌ .

(٣) وأما وصفه العام فهو فلسفيٌّ تحليليٌّ تاريخيٌّ فيه خيالٌ جميلٌ رائعٌ . إقرأ قصائدَه في « إخاء الورود » و« ليلة العرس » و« الطبيب » و « راقصة الپار تنون » ، « وغادة البحر » ، « والشاعر المجنون » ، «والكلب التائه »، و « أبي الهول » حيث يقول (ص ١٩٥) :

لم يفْنِ شيبُ الدّهرِ منكِ تيقظاً
كلاَّ ، ولا نُوَبُ الزَّمانِ الخالي !
مَرَّتْ حوادِثُهُ الجِسامُ روايةً
وكأنمــا أنتَ الضَّحوكُ السالي
تَقضي بموتِ العابثينَ مُبارِكاً
جُهْدَ الذينَ بَنَوْا بناءَ رجالِ

فقد لا يُسَمِّي الناسُ هــذا وَصفاً ، ولــكنَّه وصفٌ عميقٌ خياليٌّ فيه عِبرةٌ وعِظةٌ ،فأبو الهول ثابتٌ صاحٍ ، يعبث بالدّهر

ويستقري حوادثه ، ويبارك المجدّين .

وأوصيكَ بقصيدة « الربيع » (ص ٥٧٤) فانك ترى فيها هذين البيتين الجامعين :

عادَ (الربيعُ) فعاد البشرُ وانبجستْ
من (الطبيعةِ) أنغامٌ وألوانُ !
وازّيّنَتْ هـذه الدُّنيا لموكبهِ
كأنما في مجال العُرْس تزدانُ !

وغير قصيدة « الربيع » قصائده في « الزهرة الذابلة » و« الراقصة » و « البحر » و « الموسيقى » و « المنارة » و« الشيخوخة » و« شمّ النسيم »و« الشهرة» و «الشلّال»ومثيلاتها .

(٤) واذا ذكرنا شعر الطبيعة فلنذكر معه أن أبا شادي من عشّاق (الطبيعة) ، فُتِنَ بها في مصر وفي غيرها من الاقطار التي رحل اليها باوربة،وراعته مشاهدها الجميلة التي تُفوِّفُ الأرض في فصول السنة . يقف على البحر لا وقفةَ المفتون بزرقته وسفينهِ بل وقفة الحكيم الساحر الذي يستنبط الحكمة من نواحيه ويشتقّ أبدعَ المعاني من مظاهره :

الرَّعدُ صوتُكَ أم حديثُ وفاق
قد بَدَّلتْهُ مرارَةُ الأشواقِ ؟!

تَنهدُ أمواجٌ بعثتَ ، كأنّها
للعاشقينَ مصارعُ العُشّاقِ !
سارتْ طويلا في خفاء تارَةً
وهنيهةً ضحكتْ مِنَ الإِشراقِ !

واليكَ قوله في « أوراق الخريف » وهو مختلف القوافي :

هلْ كانَ نثرُكِ غيرَ إيذانٍ بعمْرٍ قدْ تَقضّى ؟ !
هلْ كنتِ الاّ رَمزَ أحلامٍ نُفِضْنَ اليوْمَ نَفْضَا
مُصفرّةٌ - شأنُ المماتِ - بحُمْرَةٍ تحكي النّجيعْ !
فكأنّما قتلتْكِ أحكامُ (الخريفِ) بلا شفيعْ !

ومثل ذلك من الإِبداع قوله في « الشمس » و « فتاة الريف » و « بسمة الطبيعة » و « جنة النحل » و « عذراء الربيع » وسواها .

وهنا أيضاً أقول إنّ وصف (الطبيعة) في الأدب العربي ازدهر بالاندلس ، ولكنّه لم يُمزَجْ بالفلسفة الا أخيراً على يد المعاصرين من شعراء العربية بعد ما ثقّفتهم التربيةُ الحديثة .

(٥) وشعره التاريخي حشوه العِبر والعظات ، ولا سيّما ما يتّصل بالدول الزائلة والحوادث الجلّى ، والاشخاص النابهين : تجد ذلك في ذكريات « بيتهوفن » موسيقار ألمانية ، وفي « كارثة دمشق » وفي « دار ابن لقمان » ، وفي « آخر بني سراج »

الاندلسيين من رواية الكاتب الفرنسي الفيكونت دوشاتو بريان :

كانوا مُلوكاً منارُ الشمْسِ رَايتُهمْ
حتى تدَلَّوْا لسقْطِ اللَّهْوِ غافينَا
فضيعُوا دَوْلةً كانَ الجلالُ لها
دِيناً ، فلم ينْصِفوا مُلْكاً ولا دِينَا
حضارةٌ قد نماها العلمُ مزدَهِراً
ولم يزلْ ضوءها البَسَّامُ يَسْبِينَا

و من أمثلة ذلك في الشعر القديم سينيةُ البحتري .

(٦) ويأتي الشعر القصصي ، وأنتَ تعرف أنَّ هذا الباب يُعوز الشعرَ العربيَّ منذ القِدَم كأَخيه التمثيلي ، ويُعتبر هذا النوع أولَ دَرجات الشعر ظهوراً منذ البداوة ويليه النوع الغنائي ، ومهما يكن من شيء فلهذا الشاعر أقاصيص مستقلة معروفة ، ومن نظمِهِ القصصي في هذا الديوان « الرؤيا » و « مملكة ابليس » ، و « ممنون الفيلسوف » لفولتير ، وهي من الشعر المرسل الذي يمثّلُ الحكمة أو تغيرها وأوهامَها وعثراتها الإنسانية بحياةِ فردٍ في شكل حادثة خاصة ، وأُحيلكَ على هذا الديوان (ص ٦٢٥) لدراستها ، وأمّا « تلُّ العمارنة » فيغلبُ عليها الخيالُ الجميل :

وقفتُ على الاطلالِ في الحلمِ وقفةً
فكانتْ لي الأَمسَ المحقَّقَ لا الحُلما

فألفيتُ نفسي قُرْبَ فرعوْنَ ماثلاً
على (النّيل) في بَختٍ يشقُّ بنا اليمّا

وفي الحقِّ انَّ هذا النوْعَ تهذيبيٌّ جليلٌ، يُفيدُ منهُ الأَطفالَ والشبانَ والشيوخَ على السواء.

(٧) ولأبي شادي رثاء حارٌّ حكيمٌ، أخَصُّهُ ما يتعلّق بوالدهِ وآلهِ، وما يَرثي به كبار الرجال ونابغيهمْ: رثى صديقه محمد بك فريد، وسليم سركيس، وطانيوس عبده، وسيد درويش، وأبا هيف، ويعقوب صرُّوف وغيرهم، وله في سعد عِدَّةُ مراثٍ قيِّمةٍ نُظِمتْ بعد جمع هذا الديوان، ومن قوله في رثاء فريد بك:

إنهضْ وقُلْ للذكرِ كيفَ يكونُ
جُهدُ الكميِّ اذا اعتراهُ سُكونُ!

لا المالُ عزٌّ لديْكَ يومَ كريهةٍ
كلاَّ، ولا شَقَّتْ عليكَ سُجُونُ!

فخرٌ كهذا الذكر يحرسُ عِنْدَهُ

وَصفٌ ، وما تقضي عليه منونُ !

ومن قال انَّ المنيةَ تقضي على الذكرى الماجدة ؟

(٨) ولعلك تعفيني من شرح القومية المصرية فأنتَ تعرفها كما تعرف حبّ الشاعر بلاده حتى وقف على نهضتها وآمالها وآلامها شيئاً كثيراً مما أنشدَ وعمل ، وقد حدثتك منذ حين عن (**مصر بانه**) ولم أحدثك عن (**أنين ورنين**) وفيه من شعر الوطنية جانب ثمين جدير بعنايتك ، وكذلك كتابه (**وطن الفراعنة**) وغيرها . والآن لتقرأ أولى قصائد هذا الديوان المعنونة « النهضة ارادة » وقصائد « الآداب القومية » و « تحية الجامعة » و « ملْك النيل » و « البحر الصاخب » و « بيت الامة » وغيرها ، لتعرف الى أيٍّ حد طُبِعَتْ هذه النهضةُ في نفسه فأرَّخها وسايرها الى الأمام يحْدُوهُ أملٌ جميلٌ ولا أقولُ أملُ الواثق من النتيجة .

ومسألة القوميّة وعلاقتها بالشعر تُعدُّ هامةً في رأي النقّاد المحدثين لتثبت الصلة بين الأدب والحياة ، فيكون صورتها وتكون هي معينه الدّارّ . قال في يوم ٢١ نوفمبر سنة **١٩٢٥** م .

وهو يوم « الوحدة الوطنية » ، يوم اتحاد الأحزاب المصرية :

يا يَوْمُ قد بُعِثَتْ بك الأحلامُ
فليبقَ ذِكرُكَ للفخار يُرَامُ
مَرْحَى لوحيكَ ناشراً آمالَنَا
من بعد ما قبرَ الرجاءَ ظلامُ
مُنْنا ضحايا الوَهم يقتلُ بعضُنا
بعضاً ، وتضحكُ حولَنا الأيَّامُ

نعم ! وكم ضحكتْ منا الأيامُ لَمَّا تهارشتْ أحزابُنا وفرغ بعضنا لبعض ، تاركين المسألة المصرية وراءنا حتى نلنا شر النتائج التي نعالجها الآن . . . .

(٩) باب هام ذلك الذي أعرض له الآن ، وهو الشعر العالمي الخالد الذي تقرؤه كلُّ نفسٍ في أيّ قطر فترتاح اليه ، لانها تقرأ صورةَ النفس الانسانية في شيء من نزعاتها ومظاهرها ، فاذا كان للشعر الوجداني قيمته في نفس صاحبه ، وللقومي منزلته الوطنية الموضعية ، فان للشعر الانساني منزلة كبرى تشترك في تقديرها شتّى الشعوب والأجناس. ولأمرٍ مَّا تقرأ الأممُ المثقفة جمعاء أبا العلاء المعرّي ، والخيَّام ، والفردوسي ، وتاجور ،

وداتي ، وهومر ، وشكسبير ، وملتون ، وجيتا ؟ أليس السَّببُ في ذلك أن هؤلاء الشعراء سموا بنفوسهم العظيمة على طبقة أو قبيل أو عاطفة خاصة ، ثم ارتفعوا الى سماواتهم الشعرية وتحدّثوا الى الانسان المعنوي الذي يتفرّق معناه في كل ذهن بشري ، فاطمأنَّ اليهم كلُّ ذهن بشريٍّ ؟ أليس سبب ذلك أنهم تخطّوا الدهر الى أبعد غاياته ، ورجعوا به الى أقصى ماضيه وعرضوه في فنّهم صورةً قويةً خالدةً ؟ أليس سبب ذلك أنهم أنكروا المكان الخاص حين عرفوا المكان العام ، فصار الكون كله دارتهم يضطربون فيه ويصورون جوانبه ، حتى صار شعرهم محبوباً لكل نفس لأنه مُشْتَقٌّ من كلّ نفسٍ ؟ ولنعلم أن هذا النوعَ من الشعر العالَمي له فنونٌ شتَّى فهو صوفيٌّ مرةً ، وفلسفيٌّ تارة ، وفنّيٌّ حيناً وانسانيٌّ طوراً ، ولسنا الآن بعرض الشرح والاطالة ، وحسبك أن تلاحظ ما قدَّمنا من أن خلاصة هذه الفنون راجعةٌ الى الانسان من حيث هو إنسان ، له آمالٌ وشعورٌ وفِكر تسيطر على الحياة وتتنزّه عن صغائرها التافهة ، وحسبك أن تقرأ في هذا الديوان شيئا من هذه الفنون لتعرفها من جهة ولتعرف الى أي حدّ تغلغل فيها صاحب الديوان ـ الذي لم يفته أن ينظم في هذا الباب من قبل عَبرتيه (أفناتون) و (الآلهة) ـ فقال ما بين مقطوعات

وقصائد في « علة الدهر » ، و « الشكوك » و « العظمة » ، و « ضمير الخالق » ، و « القيامة » ، و « المجهر » و « الفنّان » و « الانسانية » ، وعدا ذلك شيئاً كثيراً . وهذا شيء من قوله في « السعادة وفلسفة سقراط » :

أما (السَّعادَةُ) عندي فلذَّةٌ مستعادهْ
قالوا (القناعةُ) منها وانَّ منها (السِّيادهْ)
وقد أصابوا ، ولكن لها دَواعٍ وقادَهْ
العاملون لخيرٍ المبتغون الإِجادهْ

الى آخر هذه القصيدة المستملحة .

وخيرٌ لي ولك أن تقرأ بنفسك ، فأبو شادي سَخيٌّ جدٌّ السخاء في هذا الباب لا يشاركه فيه شاعرٌ بمثل هذه الثروة .

(١٠) وأنت واجدٌ بعد هذا نوعاً آخر يسمّيه النّقاد « الشعر الغنائي — Lyrical Poetry » يندرج تحته مثل « البعث القاتل » و « الاطلال » و « الجريح المنسيّ » و « غناء الحياة » و « جَنَّتي » و « توبة الحبّ » هذا غير صور أخرى شتى في غضون الديوان .

(٩)

لا يظن القارىء أني أطلتُ ، فما عليَّ عتبٌ ، وانما العَتْبُ

الأول على صاحب هذا الديوان الكبير ، ولا يظن انّي أردتُ حَصْرَ أبواب الديوان فذلك عسيرٌ ، ولا يظنّ انّ ماذكرتُه كل أبواب الشعر فالشعرُ في جزئيَّاته لايحصى ، ولكنها أغلب أبوابه ، وان كان يجمعها القصصُ والغناء والتمثيلُ ،.. . غير أني حاولت بيان ذلك الجهد العظيم الذي حمله الشاعرُ ليجدّدَ في الأدب العربي وليجعل الشعرَ صورةً من الأدب العالي لايقل في جميع نواحيه عن الشعر الفرنجي ، وقد كان عَهْدُنا بالشعر العربي مَدْحاً وهجاءً ، ووصفا ورثاءً ، وغَزَلاً ونسيباً ، فاذا به فلسفةٌ وقَصَصٌ ، وإذا به فَنٌّ يسيطر على مظاهر الحياة وقُوَى النفس ، واذ به دُنيا عريضة ! هكذا رأينا ، ورأينا أمراً آخر قد لايعجب المحافظين أنصار المدرسة القديمة ، ذلك هو حرية التعبير النظمي ، فله « شعرٌ مرسلَ Blank Verse » ، وله « شعرٌ حرٌّ — Free Verse » متداخلُ الأوزان ، وله مجازات جديدة وألفاظ وتعابير جريئة مستحدثة : تجد ذلك في قصيدة « الفنان » وقصيدة « نقطة دم » وقصيدة « الرؤيا » وسواها . وهذه المسألة في الواقع تعود بنا الى بحثٍ آخر فصلناه في غير هذا المكان ، هو البحث في حقيقة الشعر ، ولعلك تذكر ماقدمنا لك أوّلَ هذه الفصول من أنّ الشعر هو الكلامُ الجامعُ بين الحقيقة والخيال ، وأما مسألةُ الوزن فهي — على جمالها — تُعَدُّ

في الدرجة الثانية ، حتى لا عدّ النثر الجميل شعراً أيضاً ، وهـذا المذهبُ يوافق رأيَ المناطقة في تعريف الشعر ، وعليـه لا أرى حرجاً في الشعر المرسل بل المنثور ، كما لا أرى مانعاً من تداخـل الأوزان أو تغيير القافية في القصيدة الواحدة ، وليس هذا هَدْماً بل هو بناء وتوسيع لهذا الضرب من الشعر ، ليسهل على الشعراء شرح عواطفهم ، ونزعات نفوسهم وما يشعرون ، حسب المواقف ولا سيما في الشعر القصصي وفي الشعر التمثيلي .

وبهـذه المناسبة أشير الى أن شاعرنا يعنى بالموضوع والمعنى اكثر من عنايته باللفظ ، فهو يحيط بعدّة موضوعات ، كما يحاول الإلمـام بشتّى المعاني ، ثم يخضع اللفظ لذلك كله ، حتى أخـذ عليه بعض الناس ليان الأسـلوب وفقده الجزالة ، ولـكن ماذا يبْغي هؤلاء من شاعر عصريٍّ يكتب للشعب المصريّ ؟ هل يريدونه على الرجوع الى الوراء ليعيد لنـا عمراً فانياً من عصور اللّغة ؟!أليس الأنسبُ أن يتحدّثَ الشاعرُ الى الناس عما يفهمون من الأسلوب حتى يستطيع إيصال معانيه اليهم ؟ على أن شـيئاً كثيراً من شعره لا يقلُّ جزالة عن شعر النابهين من شعراء العربية قديماً وحديثاً . وبعد ،فهل تحبون أن يحتمي مثل كثيرين من الشعراء بالألفاظ فراراً من المعنى الواضح والموضوع القيّم ؟!

وناحيـة أخرى أعرفها للدكتور أبي شادي ، ولعلها كبرى المسائل ، فلقد أعرفه مؤلّفـاً أو واضعاً للروايات التمثيلية الغنائية شعراً ، وأعرفه في ذلك أشـد سخاء ، وأسبق الشعراء الى الفتح في هذا الباب والمضيّ فيه أشواطاً بعيدةً ، وأذكر أني فصّلتُ هذه النقطة في تعقيبي على (بنت الصحراء) إحدى عبراته (مرادفة أوبرات في رأي الأب الكرملي صاحب « لغة العرب ») ، ومع هذا فمن الحق القول أنه فذٌّ في هذه الجهة ، وان لم يتم له تمثيل إحداها للآن ، .... فليكن سبب ذلك أيّ سبب ، ولكن التاريخ سيكتب له فضلَ السّبق وفتح هـذا الباب في الشعر العربي بجرأة واقدام ، كما يثبت له كثرة الآثار وسهولة الانتاج .

(١٠)

أريد أن أختم هذه الفصول ، فلأختمها بهذا الأسلوب الذي يعمدُ إليه مؤرّخو الآداب من إجمال مايفصلون ، والاشارة الى مايُنـاسب الموضوع ويتصل به ، فأقول : إنّ شاعرنا تيسرتْ له وراثةٌ جليلةٌ ، ونشأةٌ حرّةٌ ناجحـة ، وتعليمٌ مصريٌّ قوميٌّ ، وثقافةٌ عالميةٌ قويةٌ ، وصناعةٌ علميةٌ دقيقةٌ ، وبيئةٌ حيـةٌ صاخبةٌ بالآداب والصحافة والسياسة والنهضة ، فخلقتْ منه شاعراً اجتماعياً

فلسفياً وجدانياً عالمياً غزيرَ الفيْضِ سريعَ الإلهام .

ولأذكرْ هنا من معاصريه : شوقي وحافظ ومطران، وشكري والعقاد والمازني ، والجارم وعبدالمطلب والزهاري ، وأنا اعترف لكل واحد من هؤلاء بميزاته الفنّية سواء في لفظه ومعانيه وموضوعه ، فأعرف لبعضهم جلالَ اللّفظ وعظمته ، وقوّةَ المعنى وروعته ، وأعرف لآخر محاولات حسنة في التجديد الموضوعي والخيالي ، وأعرف لآخرين رقةً وقوّةَ أسْرٍ ورُوحٍ ، وأعرف لأبي شادي التجديدَ الكثير ، والشعرَ التمثيليّ ، والسهولةَ اللفظيةَ ، وكثرةَ الفنون الشعرية ، ولا تظنّ أني أريد فأوازن وأفاضل ، فليس هذا موضعُه الزّماني أو المكاني ، وحسبي الاشارة الى ميزات هذه الطبقة .

ولكني أريد أن أختم هذه الفصول ... فبماذا ؟ بأن أعرض عليك الأسئلة التي عرضتها على نفسي منذ بدأتُ : هل تيسَّر لابي شادي أن يكون شاعراً عالمياً ؟ وهل تمكن أبو شادي أن يكون شاعراً قومياً ؟ وهل هو شاعرٌ وجدانيٌّ ... ؟

احمد الشايب

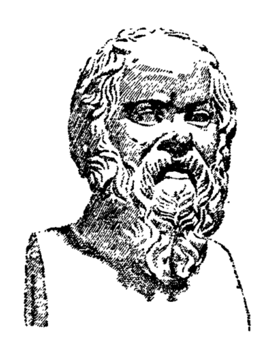
السقراطية

هل هي جائزة في الشعر ؟

بقلم الناقد القدير الاستاذ محمد سعيد إبراهيم
سكرتير (رابطة الادب الجديد)

عرض لي وأنا أقرأ ديوان (الشفق الباكي) أن أجعل لصاحبه اسماً يدل عليه وعلى شعره ، لان الاسماء المتخيرة والنعوت الموجزة اذا نفذت الى لباب المسمَّيات لم يكن أقوى منها على الابانة عما وُضِعَتْ له . وبعد ما رجح لدي وقع هذا الخاطر لم يَطُلْ بي مدى البحث عن الاسم المقصود اذْ سرعان ما وجدت بغيتي في شخص سقراط الفيلسوف ورأيت عن يقين ان أبا شادي شاعر سقراطي .

وقد يكون من الغَرابة بمكان أن تجر رجل سقراط الى ميدان الشعر في حين أن الرجل لم يكن يعبأ به ، بل كان أضحوكة شاعر زمانه أريستوفانيز ، وكان ميلتيس الشاعر أحد الذين أقاموا عليه الدعوى التي أدَّتْ الى مقتله الشنيع . ورجل هذه صلته بالشعر والشعراء - ان كانت صلة الخصومة والزراية به صلة - يُستغرب



سقراط

﴿ عن تمثال نصفي في المتحف الكابيتولي برومة ﴾

جعله مضربَ المثل بين الشعراء وتنصيبه مثالاً يُقْتَدَى به ، لولا ان لهذا الديوان صفةً فذةً تحكم وُجوهَ الشَّبَه بينه وبين مذهب سقراط . وشخصية سقراط - رغم قدمها في التاريخ - لاتخفى على الكثيرين ، وقليل من لا يعرف هيئته الضخمة وعينيه الجاحظتين وأنفه الافطس ، ومشيته وهو حاف في الأسواق وتحدثه الى الناس في خلقه الناصح الطيب ، ودعواه الجهل مع محدّثيه ، وأخذهم بمنطقه القويّ في مسائل المعرفة والواجبات المدنية والفضائل ، وكل ماقد يخطر بأذهان أهل عصره - هذه الروح السقراطية في التفلسف هي موضع التسمية التي وضعناها لهذا الديوان . وسآخذ في تبيين مواضع التشابه في الناحيتين ، وبهذه الطريقة تنكشف دخائل الدوافع التي يصدر عنها شعر أبي شادي .

أبو شادي الشاعر يحترف الطب ، وقد أرصد له كثيراً من وقته ، واستنفد فيه شطراً كبيراً من جهده وعنايته ، وأمكنه أن يجد في مزاولة هذا العمل العلمي لذةً قد يستنكرها البعض على شاعر ؛ وهو لهذا متأثر بالأسلوب العلمي في تفكيره ، وأثر هذا الأسلوب متغلغل في قرارة نفسه ، سار فيما يكتب من نثر ونظم عن قصد وغير قصد ، حتى انه ليس ينمحي في تصوفه ، فتراه في قصيدة « أقصى الظنون » (ص ٣٠٠) واضح منهج التفكير لايشوبه إبهام المتصوفين المألوف . أمّا امثلة الأسلوب العلمي

المبثوثة في ديوانه فكثيرة : خذ مثلا قصيدة « واجب الفن » (ص ١٧٨) لترى كيف يتحرّى التحديدَ في أفكاره ، وأحرى بأن تقرأ تلك الحدود الفنية التي يقيمها للشعر في كتاب نقد لا في ديوان شاعر ، لأن الحقائق العلمية اذا جاءت على يد شاعر أصابها من الضعف والرثاثة ما يصيب الشعر من السقّم والفتور . وكثيراً ما حدثني أبو شادي عن محاولته أن يهضم شعرُهُ العلمَ ، وكنت أجادله في عقم هذه المحاولة التي لايخشى منها الا على الشعر الذي لا بد أن يهضم حقه ويصبح آلة عرجاء في خدمة العلم .. فالذي أراه هو أنّ الشعر والفلسفة والعلم مراتب متفاوتة في ادراك الحياة وتصوّرها ، تختلف من حيث الابهام والوضوح ، ولكل منها حدودها التي وان كانت متداخلة غير حاسمة الا انّه يمكننا أن ندرك متى يتجاوز واحد منها حدوده ، ومتى يخرج الشعر مثلا عن طريقه فيصير فلسفة أو علماً . وقد أدخل في روع أبي شادي أن الشعر سيصيب خيراً من صحبته للعلم ، وغاب عنه أن لذة الشعر في أن يبقى حيث هو لساناً للحسّ والعاطفة . وهذا وجه من وجوه النزعة السقراطية التي لاتجد لذةً الاّ حيث توجد الحقيقة العلمية سافرة لاغموض فيها . وها هو وجه آخر لسقراطيته أشد خطراً على الشعر مضيّعٌ لحرارته ونضارته ، وهو أذيعُ الصفات السقراطية

وأفشاها في شعر أبي شادي : وهو الروح الخلقيـة التي تغشاه من رأسه لقدمه ، فانك ان لم تجد ذكر الفضائل في قصيدة من قصائده فلن تخطيء معناها أو مغزاها بين الألفاظ والسطور ، وكثيراً ما يذكر الأعراض والفجور والشرف والعفة كما يذكرها أهل التقوى والصلاح ، ومن أمثلة ذلك ما يرى في « فتاة الريف » (ص ٣٥٣) و « فتاة العصر » (ص ٤٢٨) و « وفاء الدين » (ص ٥٤١) و « بأمر الحاكم بأمره » (ص ٤٠٢) و « مملـكة ابليس » (ص ١٠٢٣) ونحوها كثير.

والسبب في ذلك أن أبا شادي ينظر الى الحياة نظرة خلقيـة تقليدية مستمدة من خلقه الموروث وعيشته البريئة الطاهرة التي لم يشبها استهتار بلذّة ، ولا استرسال في دفعات الشباب الحارة ، وهو يرى أن شعره يجب أن يكون وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعي ويذكر ذلك في جـلاء في مقالة « الشعر والشاعر » (ص ٤٣)، إذ يقول : « انّ أسمى ما بلغه الشعر أخيراً من غرض انما هو درس الحياة وتحليلها وبحثها واذاعة خيرها ومكافحة شرها ، وهو غرض نبيل جامع وان تكيف بصور شتى ، فقد ظهر في لباس الانسانية العامة أو في لباس الجامعة القومية والجامعة الدينية أو غير ذلك.

ومن المعقول أن يجمع بين لباسين فأكثر ، وأن يوفق ما بين تناقضها الموهوم ، وأن يكون رسول السلام ونصير الاصلاح والنهوض .
هـذا هو الغرض الذي بلغه الشعر عامة في جيلنا الحاضر في أرقى مواطنه » . فهو يعترف هنا ان هذه الاغراض التي يتوخاها الشعر جديدة طارئة عليه في عصرنا وهذا حقٌّ ، لأنَّ هذا المذهب لم يعرف لشاعر من كبـار الشعراء التاريخيين . ثم يتحدث في بقية المقال عن مسئولية الشاعر العـامة وأعبائها وعن أساليب الدعوة ، وهـذا البرنامج الذي قد يصلح لرئيس وزارة أو مصلح اجتماعي لا يجوز بحال من الاحوال ـ بدعوى الغيرة على الأخلاق ـ أن يكون برنامج شاعر . ونحمد الله على ان لمثل هذه الدعوات أناساً أقوم بها من الشعراء لينصرفوا هم الى ماهيِّئوا له . وأنا أرجع هذه النزعة السقراطية الى البيئة الادبيـة التي عاش فيها أبو شادي في انجلترا ، وأعرف ان اعجابه بالكاتب الانجليزي « ولز » هو الذي أوقعه في أحابيل هذه المسائل النثرية ، بعد ان استهوته مشاريعـه العمرانية الخرافية ، واني اسائل من لايزال في قلبه خلجةُ شكٍّ في تعارض هـذه المسائل مع الشعر وافسادها له أن يدلني على شاعر أجمع على عظمته قد تناول مثل هذه المشاكل ، وأن يريني شاعراً حديثاً أو قديماً قد استقام له أمر الشعر في مثل هذا الكلام .

وقد كان تولستوي امام مذهب خلقي من هذا القبيل في الفن أفرد له كتابه المسمى (**ماهو الفن**) كتبه في شيخوخته ، وكانت كل آثاره التي أخرجها منذ ذلك الوقت أفشل وأحطّ مستوى من باقي تاليفه . وقد قلنا إنّ أبا شادي مدفوعٌ في هذا المذهب بأثر مزاجه الوراثي وتذكية« ولز » لهذا المزاج ، ثم بأثر البيئة الصحفية التي نشأ فيها فقد كان في شبابه منذ عشرين سنة يكتب في جريدة (**الظاهر**) المقالات الحارة في السياسة الاجتماعية في ابان الحركة التي قام بها مصطفى كامل ، وظل بعد أن أقام في انجلترا متصلا بأصحاب الدعوات السياسية فصحب فريد بك في بعض سفراته في أوروبا وروّج للقضية المصرية في بعض الاوساط الانجليزية حتى كتب اسمه في سجل المشاغبين السياسيين ، وسعى أيضاً في ايجاد نادٍ مصريّ في لندن ، فهو لهذا لا يفتأ يمزج الشعر بالسياسة والمسائل الاجتماعية ويتخذه منبراً للوعظ والتهذيب حتى خلق لنفسه نقّاداً كثيرين لم يألفوا هذه النغمة بين الشعراء .

واذا كان الحضُّ على التفاؤل ومحاربة الشرور من أشرف الغايات التي يدعو اليها انسان فان الشعراء يجب أن يكونوا آخر من يدعو لذلك صراحة في شعرهم ، فكفاهم أن يشعروا العالم بلذة التعبير الفني عما في الحياة ، تاركين للوعّاظ والمصلحين وظيفة

الوعظ المملولة الكريهة . وليتصوَّرْ الشاعر الخلقي ان الحياة قد أصبحت يوماً فاذا الابالسة قد ارتحلت عنها ، وحملت معها شرور الدنيا وآثامها ، وأصبح الخيرُ حاكم الدنيا الاوحد لاينازعه فيها منازع ، وجاء الشاعر يرسم ظلال هذه الدنيا الموهومة الباهتة : فأيُّ شعر سوف ينشده،وأيةُ حرقة شوق سيثيرها ، أو فرحة قلب مصدوع يختلج بها شعره ، أو أمل سيبقى يذكره اذا كان الحال كما يتصور من الاستقرار المميت ؟!

ولو ان فحول الشعراء الذين خلدت اسماؤهم كانوا وعَّاظاً ودعاةَ اصلاح لما ابيح لنا أن نستمتع بأثر فني واحد . ولا داعي لان نقيم الحجة على فساد خلط الشعر بالاخلاق ، فان هذا يعد في عصرنا من الأمور المقطوع بصوابها ، ومحاولة الخوض فيها تطول .

ومن خواص الروح السقراطية اعتقادها ان الفضيلة مبعثها المعرفة ، أو انها المعرفة ذاتها ، وأنها موصلة للسعادة ، وأنه لاخير الا ما أتت به ، وان الناس لايأتون شراً الا لجهلهم ، وهذا مانرى أثره واضحاً في قصيدة « الانسانية » (ص ٣٩٥) التي يقول فيها :

ما زلتِ سابحةً بتيَّارِ الدَّمِ   فتنبَّهِي من قبل أن تتهدمي
وتَعَلَّمي سرَّ النجاة وحققي   مَعْنَى الحياة بحكمة المتعلِّم

مَرَّتْ ملايينُ السنين فهل كفَتْ لتفهم الدنيا و نفض توَهُّمِ ؟

فهو يذكر هنا مرّ الاجيال من غير أن ينفض الناس أوهامهم ويفهموها على وجهها الصحيح ، كأن سعادة الانسانية ورخاءها مسألة معلقة على نفض الاوهام والوقوف على أسرار الحقائق ، ان كان في الدنيا حقائق ثابتة . والسقراطيون متفائلون لأنهم يؤمنون بمقدم ذلك العصر الذهبي الموعود الذي سوف تنفض الانسانية عنها مصائبها فيه وتستقر ويرفرف على ربوعها السلام . على ان التفاؤل في توقّع هذا الحلم اللذيذ يكفي لاطارته عن جفونهم أن يفتحوا عيونهم على الواقع ، ليروا ان العلم لم ينقص صولة الأثم مقدار ذرة ، وأنه لمن الصواب أن توهن سند هذا الضرب من التفاؤل ، وأن تجنّبَ الشعر طريقه ، وخيرٌ لنا أن نسيغ الحياة على انها ظاهرة فنيةٌ جميلةٌ يمتزج فيها الخير بالشر امتزاجاً لا يشوبه نقصٌ ، من أن نعدَّها ظاهرةً خلقيةً ترى الخير فيها على الدوام يصارعه الشر ، فلا هو بقادر أن يصرعه وينئيه عنها ولا هو راض أن يشاطره الحياة ، ونقف نحن ازاء هذه المعركة نبكي الخير المغلوب على أسره في كل زمان ومكان .

وتفاؤلُ أبي شادي هذا قد صرفه عن تصور الجوانب المظلمة من الحياة ، لأنه يعتقد ان رسم جوانبها المشرقة بلسمٌ يأسو جراحَ

الناس ، فهو يقدم لهم مايستطبّون به من غلو الشعراء المتشائمين في عبوستهم وتشويههم وجه الحياة . وهو لذلك يُرينا الحياة على نحو فاتر قد اقفر من الاسى والالم ومن ضروب المكاره والمصائب. وأحرى بمن عرف الدنيا على هذه الصورة الباهتة أن يعروه اليأس اذا التقى بوجهها العابس وواقعها الملموس .

فهذه الصورة التي يحاول أن يموهها الشاعر اشفاقاً على الناس تؤدّي كما ترى الى عكس المقصود منها ، فضلا عما فيها من النقص في التصوير . وانّ من أكبر ما آخذه على أبي شادي حقاً ويشعر به كل من يقرأه أن تنعدم في شعره روح المأساة التي يجاهد أن يخفيها في نفسه اذا عبر عنها ، فهو يكتم أحزانه ويأسو جراح قلبه من غير أن يظهر لنا أثرٌ في شعره ، ظانا أن تكشف الرجل أو الشاعر عن أحزانه ضعف لايحسن القول فيه ، ولا يجمل بالرجل الجليد أن يسترسل فيه . وهو قد انضب في نفسه بهذا المسلك ينبوعاً حاراً من الشعر كان الاولى أن يترك على سجيته في الجريان . واذا كان أبو شادي في حاجة الى دليل على مافي روح المأساة من ذخر لطبيعة الروح ، فلينظر في أثر المآسي اليونانية على شاهديها ، وهل كانت تلين صلابة العزائم أم كانت تصفيها من أوشابها وتسمو بها الى شأو من العظمة يدنيها من الأرباب .

هذه هي المواضع التي تبدو لى من سقراطية أبي شادي ، وهي كما ترى مضعفة لروح الشعر ولو انها جميلة بنفس صاحبها ، وهي روح أولى أن يتصف بهـا علم العلماء و نقد الناقدين . وشعره لا تتجلى فيه الروعة والحرارة الا حيث ينسى هذه النزعة الخلقية ويتخلص قليلا من وثاقهـا ، وينضو عن نفسه مسوح الصلاح التقاة . فمتى وجدت أبا شادي يدفع عن نفسه طائلة ناقد أو لائمة لائم على مثال مايُرى في قصائد « نقـد الشعر » (ص ٨٢) « والطبيب » (ص١٩٧) و « حياتي » (ص ٤٦٥) ، أو حيث يخرج عما ألفه فيكشف عن ألمه وحزنه كما ترى في قصائد « جزائي » (ص ٤٣٤) و« توبة الحب » (ص ٤٤٩) و « صحبة الآلام » (ص ٤٥١) فهناك تجد أبا شادي ناصع البيان حار الأسلوب .

وقد اتخذتُ سقراط وفلسفته فيما كتبتُ عن أبي شادي مجرد وسيلة لأبين ما آخذي عليه كشاعر لا على الفلسفة السقراطية ، وحشرته في زمرة السقراطيين لا لأن السقراطيـة مذهب خاص يتبع في الشعر ، وانمـا كان ذلك سعياً في إخراجه من زمرتهم ، لان السقراطية نزعة علمية خلقية لا تتفق مع روح الشعر مطلقاً .

واجتزأتُ أيضاً بالبحث في جوهر شعر (**الشفق الباكى**) ومراميه ، ولم اكتب شيئاً عن أسلوبه اللغوي ومادته ، ولم أقف

ككثير من النقاد أمام كل بيت من الشعر لأقول هنا أجاد الشاعر وهنا أخطأ ، وهناك ضرورة التزمت أو خبنة لحقت بهذا البيت أو ذاك ، الى آخر ماهنالك من ضروب المآخذ اللغوية والعروضية التي قد يتورط فيها شاعر ، كأنَّ عمل الناقد أن يعقب على كل كلمة بكلمة ، وكأن ديوان الشعر كراسة تلميذ لاتجرى فيها الا مباضع النحو والعروض !! واني أترك هذا لفقهاء اللغة الذين جعلوا هذا العمل ديدنهم في الشعر ، وأُعيذ القاريء من ملال هذا الاستعراض الذي تَغْـثِي منه نفسه ، والذي اتخذه المشايخ في السنين الاخـيرة بضاعة لهم ، عوضا عن الفتاوي الشرعية التي بارت تجارتها وعفى عليها الزمان ! ولـكن لي كلمة قصيرة في أسلوب الديوان لابأس من ايرادها : فأنا أعرف ان أبا شادي يتوخى في الاسلوب مايدعوه تمصيراً للغة ازاء من ذهبوا الى الباس اللغـة ثوب الاستعراب والبداوة ، وهو متأثر في هـذا الى حد كبير بمطران . فاذا كان مطران نفسه يأخذ عليه شاعر كحافظ شيئاً من الضعف في الاسلوب فما بالك بمن يجرى خلفه في هذا السبيل ؟ ولذلك لم يسلم أبو شادي من اتهـام الـكثيرين له بضعف الاسلوب . ويمكننا الرَدّ على دعوى تمصير اللغة بالاشارة الى أساليب نوابغ شعراء العرب الذين لايزال شعرهم يُرْوَى للآن ويُستعذَب ، ولا نجد فيه مايتنافى مع

تذوّق المعاصرين للاساليب اللغوية ، وانّنا لا نعدو الصواب اذا قلنا إنّ الاسلوب العربي القويّ البليغ بليغٌ في كل زمان ومكان .

وبعد ، فان لسقراطية أبي شادي وغيرته على الحق واحلاله من نفسه محلا يؤثره على إطراء الاصدقاء له دليلاً أخيراً يلمسه من يقرأ هذه الكلمة التي أبَى عليَّ الا أن أسجلها في ديوانه !

وليس بخاف بعد ذلك ان رأيي هذا في أبي شادي ليس آخر مايقال فيه ، فسوف يعتريه التغيُّر الذي يغيّر كلّ شيء ، وسوف يغير من صاحب الديوان ومن مذهبه في الشعر . (**والشفق الباكى**) لم يزد أغلبه على كونه ثمرةَ مايقرب من سنتين من حياة في الادب والشعر لا يزال هو في مطالعها ، والأيام المقبلة تدخر له الشيء الكثير !؟

محمد سعيد ابراهيم

لما سئل سقراط الى اي مملكة ينتسب اجاب : « الى العالم » ، وذلك لأنه كان يعتبر نفسه مستوطناً العالم بأسره واحد ابنائه . عن (سيسيرو — *Cicero*)

الخطيب الفيلسوف الروماني

« للادب غايات غير التسلية المأمونة للرجال الكسالى الواهنين » .

عن (كارليل — *Carlyle*)

الاديب المؤرخ الانجليزى الشهير

« يمثل الادب الذهن الذي هو دائم التقدم ، حينما تمثل الحكومة النظام الذي هو دائم الثبات » (بكل — *Buckle*)

الاديب المؤرخ الانجليزي العظيم

شعر التسامي

للكاتب العبقري المتفنّن الاستاذ سلامة موسى

أخي الاستاذ احمد زكي ابو شادي

أرسلت اليَّ « **الشفق الباكي** » ودعوتني الى أن أخبرَكَ عن رأيي فيه . وأنت تعرف أني لستُ شاعراً ، لم أنظم بيتاً قط ، ولكنك تستند بالطبع الى أني أديبٌ وأنَّ الشعر أصيلٌ في نفس الأديب ، وان الشاعريّة بل الايقاع نفسه يتضح في النثر الجيّد والاسلوب الرَّصين ، وكأَنّنا مع ذلك ينتقد الصورة ولو لم يكن رسّاماً . وقد نشأتُ على أن أتذوق القليل من الشعر العربي بل انّي لا أكتمك كراهتي لملوك الشعر العربي كالمتنبي وأضرابه ، وحبي لصعاليكه كأبي نواس والبها زهير ، وقد ملت الى الشعر الاوربي وخاصة الانجليزي الذي لا أظن أنَّ في العالم شعراً يساويه ولا أقول يسمو عليه . وما ذلك الا لأن لفظة « الشاعر » عند الاوربيين تعني العامل المبتكر ، وهي عند العرب تعني المغنّي لأن « الشعر » مشتق من « شير » العبرانية بمعنى الغناء . ومن هنا صار من تقاليد الأدب عند العرب أن يقصر الشاعر مجهودَه

على الزخرفة اللفظية ، بينما هو يخترع ويبتكر عند الاوربيين .
وأي شيء أدلّ على الابتكار من الدّرامة التي عرفها الاوربي
وجهلها العربي ؟ !

ولست أستقلُّ شأنَ الايقاع والغناء والزخرفة اللفظية في الشعر ، فاني أكاد لا أعرف ميزة أخرى للبها زهير ، ولكني وأنا أقرؤه أشعر أني ألهو كما أظنّ ان هذا كان شعوره عند ما كان ينظم . ولكني عند ما أقرأ شعراً أوربياً وخاصةً انجليزياً أشعر أنّي أعالج مع الشاعر موضوعاً سامياً لا مجال فيه للّهو اذ هو عينُ الجد . واذا كنت ألتذّ ما فيه من ايقاع فانما تعود هذه اللذّة الى زيادة الشعور بالجد ، وما في موضوع القصيدة من خطر . وقد يتوهم الانسانُ من وقار المتنبّي وقوته على الاداء أنه جادّ لا يلهو ، ولكنَّ الواقعَ أنه أكثر الشعراء جداً في اللهو . وأيُّ لهوٍ أكبر من أن يضيّعَ الشاعرُ وقتَه وعبقريّتَه في مدح الامراء وهجوهم ؟ !

وقد ورثنا نحن هذا التراث عن شعراء العرب ، فنشأ شعراؤنا في نهضتنا الحديثة على احتذائهم في الاسلوب والغاية ، وفي الاكبار من شأن الصنعة اللفظية . بل نحنُ ما زلنا في النثر نتحرّى اللفظة الرشيقة والعبارة المنمّقة ولو كان فيهـا التضحية بالمعنى ، أو ضياع وقت القاريء فيما لا يفيده . ومع أنّ كثيرين من كتّابنا يدّعون

كراهة السجع ، فانك تراهم من وقت لآخر وفي طيّات عباراتهم يخالسون القارىء ويدسّون له سَجْعَةً قد انطوت على مترادفات يعرفون هم أنه لا فائدة منها للقاريء وأنه لا يدفعهم اليها سوى التقليد ! وأكاد أقول إن المحسنات اللفظية والاغراق في الصنعة والنزوع الى تأليف النغم كل هذه خصال تكاد تكون أصيلة في اللغة العربية ، وهي من البواعث المثبّطة في التأليف عندنا ، لأنَّ المؤلف الذي يعرف موضوعه وقد حذقه درساً وبحثاً يخشى الاستهداف للنقد ، لأنه يظن أن عجزه عن الصنعة اللفظية سيعاب عليه ، وان هذه الصنعة ستحتاج منه الى مجهود كبير ، فهو لذلك يحجم عن التأليف !

ومما يدلك على الاكبار من شأن الصنعة عندنا أن في البلاد الآن حزبين كبيرين يتنازعان السلطة أحدهما « الوفد » والمحرر الظاهر في صحيفته هو العقّاد ، والثاني هو حزب « الأحرار الدستوريين » والمحرر الظاهر في صحيفته الآن هو المازني ، وكلاهما كاتب صنعة : بضاعته تنميق الألفاظ وتزويق العبارات ، أمّا الدرس والثقافة فلا قيمة لهما عندهما . فلا تشكّ بعد ذلك في أن جمهور الامة يحب الصَّنعة من الناثر ، أما حبه لها من الشاعر فواضحٌ في جميع شعرائنا الظاهرين .

وعلى هذا سأتنبأ لك منذ الآن بأنّ الناقدين سيعيبون عليك قلة عنايتك بالصَّنعة ، وبأن ألفاظك عامية غير شعريَّة ! أما مقاصدك العليا وعناياتك السامية فسيضربون عنها صفحاً ، وذلك لأنَّنا على الرغم من صيحات التجديد التي تتكرر أمامنا ما نزال نعيش من حيث الأدب في القرون الوسطى . ومعظمنا الى حدّ ما أزهريٌّ يقول بالنقل دون العقل ، وكما يكره « الاجتهاد » في الدين كذلك يكرهه في الأدب ، وكما أن البدعة ضلالة في الدين كذلك هي ضلالة في الأدب !

أمَّا أنا فقد انطلقتُ من القرون الوسطى وصرت لا أجد النجاةَ الا في البدعة ، وهذا ما جعلني أنتبه الى شعرك وأتوسَّم فيه التجديد . ولعل توافقنا في الغايات الأدبية قد زاد اعجابي « **بالشفق الباكي** » ، فانك تدعو فيه الى الحب بينما غيرك يدعو الى الكراهة والبغض ، وتدعو الى الاخاء الانساني والوطنية العالميَّة وكسر شرة التعصب القومي والوطني والديني ، وهذه دعوة يعدّها أحد أدبائنا ـ إمَّا لُؤْماً وإمَّا جهلاً منه ـ شيوعيةً ، وقد دعوتُ أنا بالنثر الى ما دعوت أنت اليه بالنظم .

وفي شخصيتك وجمعك ما بين العلم والأدب ما يدعو الى التفكير . فالعلم في اعتقادي يحتاج الى الذهن الذي يحلّل ويردّ

الى الاصول ، بينما الأدب وخاصة الشعر يحتاج الى البصيرة والى التأليف دون التحليل . وأنت جامعٌ بين البصيرة التي ترسم لك الغايات ، وبين الذهن الذي يرشدك الى هذه الغايات ، وهذه ولا شك عبقرية . وربما لم يكن خلواً من الدلالة على شخصيتك انك جمعت بين العلم والشعر في مهواتك التي هويتها وعلقتَ بها وهي تربية النحل . فأي شيء هذه المهواة : أعلم أم شعر ؟

ثم انّ العالم فيك ينشد الحقيقةَ والواقعَ ، ولكن الشاعر لا يقنع بهما ، بل هو يلبسهما ثوبَ الجمال وينحو بهما نحو المثل الأعلى . أفلا تظن أنه يجب أن يكون للانسان شخصيتان لكي يؤدّي هاتين المهمتين ؟

لقد أخذ عليكم بعضهم نشأتكم العلمية ، وانها تحول دون تنمية الروح الشاعرية ، ولكني لا أرى في ذلك شيئاً تؤاخذون عليه ، بل أعتقد أن العلم يؤاتي الشعر كما يؤاتي الذهن البصيرة بأن يمدّها بالطرق والوسائل . ولا عبرة بأن تكون لكم شخصيتان بدلا من شخصيةٍ واحدةٍ . وماذا يمنع أن يكون لأحدنا ثلاث أو أربع شخصيّات ؟

سلامه موسى

« منحنا الشعر لكي يحجب نزاع الحياة الصغير ، وكي يجعل الانسان قنوعاً بالحياة وشانه فيها »
(جيتي – Goethe)

« الشعر هو دائما تفسير شخصي للحياة »

(ماني — W. H. Mabie

« اللغة عند طفولتها كلها شعر »

(امرصن — Emerson)

« لايمكننا ان نرى رجلا بصورته الحقيقية الا اذا كنا نحبه »

رابندرانات تاجور

« في السياسة اذا انتصر حزب على حزب صار لاهم للحزب المغلوب سوى العمل على قهر الحزب الغالب واسقاطه . اما في دولة العلم فلا غالب هناك ولا مغلوب : هناك شيء اسمه اقناع ، وكل عاقل من رجاله ينحني امام المعقول »

جاجاديس بوز

النقد والشعر

بقلم الناظم

أذكر قبل الحرب الكبرى بسنتين - أي في بدء إقامتي بانجلترا - أنّ حركة التآليف الشعرية كانت كاسدةً نظراً لقلة إقبال الجمهور في انجلترا على الشعر العصري ، فكان ذلك موضوع الشكوى المرّة وحينئذ تآمر بَعْضُ الشعراء والناشرين وتعاونوا معاونةً جميلةً نبّهتْ الجمهور من غفلته ، وكان بين أساليب دعايتهم أجزاء المنتخبات الموسومة (Georgian Poetry) التي ذاعت ذيوعاً كبيراً وخدمت الشعرَ العصريَ الانجليزيّ خدمةً كبرى ، دعْ عنك ما كانت تنشره الصُّحُف اليوميّة والاسبوعية من تشجيع وإعلانات أدبيةٍ وتقاريظ ونقدٍ تحليليّ ، فراج التأليفُ الشعريّ وتسابق الشُّعراء لخدمة النهضة الأدبية ، وما يزال صدى جهدهم يرنُّ في المحافل الأُدبية حتى يومنا هذا .

ونحن في مصر في الوقت الحاضر نُعَاني ما كان يُعانيه شعراء الانجليز منذ جيل ، فطلبةُ المعاهد ما زالوا يؤمنون بخرافة « المعلقات » وبالشعر القديم باعتباره المثل الأَعْلى للشعر العربي

قديماً وحديثاً ، ويحسبون الغنَى الأدبي في استيعاب ذلك الشعر وحدَه . وخاصةً القرّاء — ولا سيَّما من تَرَبَّوا تربيةً فرنسية — ما زالوا يحنّون الى شعر الألفاظ الرَّنَّانة والتهويل والمبالغة دون التفاتٍ كافٍ الى الشعر الجديد . وجمهرةُ القارئين لا يَعنيها الاَّ شعرُ الشهرةَ وإن انحطَّتْ درجته الأدبية ، ويعنَوْنَ أكثر من ذلك بالأزجال — وفيها الصَّالح القليل والطَّالح الكثير — فيجري وراءهم عُبَّاد الصيت من مشهوري الشعراء الذين لا يَحيون لغير الشهرة ولا يعتبرونها وسيلة ، بل غاية فتانة هي حُلمهم الدائم ، ويُسابقون شعراء العامة في نظم الأزجال بمبتذل المواضيع والأغاني ! وصحافتنا — رضي الله عنها — لا تعنى كذلك بغير الشعراء المعروفين ، وإنْ نال معظمهم شهرته في غفلة الزمان ، ولا يعاونها غالباً أحدٌ من النقّاد الضليعين النَّزيهين ، وأكثر نقدها هراء في هراء وأغراض ومجاملات . وأولئك شعراؤنا الأفاضل متخاذلون مغرورون بغير إنتاج يُسَاغُ بجانبه ذلك الغرور ، وهَمُّ كلٍّ منهم أن يُعَدَّ الشاعر المُعلَّى في جيله ، وبينهم مَنْ تفنَّن في العظمة المصطنعة وفي أذاة الحسَد دون أن يفهموا لاخاء الأدب وللتَّعاون الأدبي قيمةً أو معنًى ، متغافلين عن القدوة المُثلى البادية في مجتمعنا الأدبي بين إخواننا اللبنانيين وبين أقرانهم النابهين في أمريكا .

فوَسَط هذه الظروفِ يشقّ كثيراً انهاضُ الشعر العصريّ ـ فالوسائلُ المادّية لتأليف ندوةٍ للشعراء ومجلةٍ خاصة بهم ومسابقات تشجعهم شبهُ معدومةٍ للأسف ، وذلك لأنّ القادرين عليها أنانيون ماديون ولا يَعنيهم غيرُ أن يحرصوا على ظهورهم الشخصي. وهذا مما يُثبط هِممَ الشعراء الناشئين المجيدين الذين لا يملكون وسائلَ الدعايةِ الصحفيةِ في قُطْرٍ شبهِ أُميّ ، وقد يمرُّ جيلٌ كاملٌ أو أكثر قبل أن يلتفت أهله الى الأدبِ الجديد بغير تنبيهٍ لهم وإلحاح عليهم ، لاسيما وقد يسوق الحظُّ الى أولئك الشعراء صنُوفاً من المقاومات التي قد تقضي على كُلِّ أَملٍ لهمْ في فائدة جهدهم للناس وللأدب !

وقد شاءتْ الأقدارُ العنيدةُ أن تجمع بين ايماني بعقيدتي واتهامي شخصياً لجهدي ، وكذلك بين رغبتي القويّة في أن لا يذهب عملي سدًى ورغبتي في تشجيع النقد الشريف أيضاً ، وإنْ كان فيه إصغارُ ذلك العمل . فاذا بي آرائي في تناقضٍ معقولٍ وإنّ لم يفهمه مَنْ يجهلني : فبينما أُقدّر لنفسي ولزملائي قيمةَ الاعلانِ الادبي المعتدل الشريف الذي يؤدي الى الانتباه الى ذلك العمل ، أرفض رفضاً باتاً التقريظ الناشيء عن محض الرغبة في التقريظ ، ولا أظن أديباً مثقفاً يحترم نفسَه يُعْنَى بالتقريظ بقدر مايُعْنَى

بالنقد الحر النزيه الذي يخدم القرّاءَ والأدبَ والمؤلفَ على السواء ، وأقصى مايهمّهُ ــ وإنْ طال الجهد ــ انما هو النّجاحُ الأدبي لا التطبيل والتزمير .

فبين هذه العوامل أُرحّبُ بكلّ نقدٍ وتحليلٍ ، وألتمسُ من القاريء المستقل أن لايحمل مابين دفّتَيْ هذا الديوان من أبحاث دراسية على محمل الاشادة بجهد الناظم ، فكلُّ مافيها من تقديرٍ ونقدٍ لن يُغيّر الواقعَ مثقالَ ذرةٍ ، وانما فائدتُهُ العُظْمى في تنبيه الاذهان واستنطاق (interrogation) العقول ، بعد خمولٍ فكريٍّ طويلٍ . . . . وفائدةُ ذلك لاتعود على الشاعر وحده وانما على شعراء جيله جميعاً ، فالكلُّ تقريباً مغمورٌ في تيار الاغراض والشخصيّات والأنانية والخمول . ولولا هذه الغيرة على النهضة الأدبية العصرية لآثرتُ خُلُوَّ جميع تآليفي من فصول تحليلية ، لأني شخصياً أبْعَدُ ما أكون عن الرِّضى عن نفسي ، وهذا من العوامل القوية التي تحفزني الى الدأب المتواصل ، وأعدُّ مقياسَ الشعر المقياسَ الكوني والانساني العام ، لا المقياس الوطني المحلّي فحسب . ومَنْ يُصَرِّحُ هذا التصريحَ جهاراً ومراراً في كلّ مناسبةٍ لاحاجة به الى الاطراء في مواقف الدّراسة الجدّية ، وإن احتاج اليه أحياناً في مجال الدّعاية الشعبية لايقاظ الرُّقود

وتوجيههم الى عمله وعمل أقرانه فلا يسعه اذن الاّ أن يسخر من العاجزين العابثين الذين يتطاولون الى الأخلاق وينتقدون باسمها، بينما هذه الأخلاق بريئة منهم الى يوم القيامة !!

فيلطمئن اذن القاريء والناقد اطمئناناً وافياً الى هذه الحقيقة حتى يشتركا بعد ذلك بنفس صافية في مايستحقه هذا الديوان من دراسة أدبية سواء بالقبول أو الرفض، وليذكرا دائماً واجبهما نحو الشعر العصري عامةً، إنْ نسيا حقَّ ناظم هذا الديوان خاصة، فأنا لا أعرفُ الاعتدادَ بالنفسِ الاّ في موقف الدفاع من أجلِ الأدب الحرّ وحده، ولا أعتبر هـذا الديوان بالنسبة لآمالي وواجبي الاّ خطوةً صغيرة الى الأَمام، وكلُّ صورة غيرَ هذه لنفسيّتي انما هي من تصوير الجهل أو الغرض الأعمى لمن يستمتعون بالهدم والصغّار بدل البناء الشريف.

* * *

بهذا الروح وبين هذه الظروف أراني مُطالَباً بالتعليق على أهم مايُوجَّه اليَّ الآن في بعض المجامع الأدبية والصحف فضلا عمّا في ذيل هذا الديوان من نقدٍ لأنّه ليس من العدل أن يتحمّلَ صديقي الناشر هذا العبءَ، وانْ شكرْتُ له فَضْلَه المتكرِّر عليّ وعلي الأدب العصري في مواقف شتّى سابقة .

(١) في طليعة هذا النقد من وجهةٍ نفسيةٍ متجلية في شعري بثّي فكرة التعاون والاخاء الأدبي ، فهذه الفكرة معدودة من سيئاتي الأدبية ! وهذا نقد لا أفهمه إذ أني لا أتصور ان الفردية الأدبية أو الأنانية مزية عظيمة للأدب أو للأديب ، أو أنها عماد للثقافة ، بل أرى الواقع عكس ذلك كما أسلفت ، وأعتبر النهضات الحقة وليدة التعاون . ولن يعني التعاون تنازل الأديب عن آرائه أو أساليبه ، وإنما يعني التآزر على إظهار أنواع الجمال الأدبي في بيئته ، وهيهات أن تقتصر هذه على إنتاجه وحده ! ولكن هذا النقد غير عجيب في بيئةٍ يريد كل فردٍ ممتاز أن يكون دولة متفردة مستبدة ، وينسى فروض التربية الاجتماعية مصغراً دائماً من شأن سواه ، ويتعلق بالصيت ذلك التعلق الذميم الذي وصفته في قصيدتي « الشهرة » (ص ١٠٣٧). بين هؤلاء من يعد الاخاء الأدبي تملقاً ورياءً ، حينما يعد السكوت تقصيراً وحسداً ، وبينما يعد النقد الحر النزيه حقداً وعداءً !! وهذه نفوس مريضة لا منطق لها ولا ثبات ، وإنما لها أهواء وأوهام وسخائم تحيا بها . . . . تحتقر التعاون الشريف وتهزأ بأصحابه ، ويرى كل فرد انه هو وحده الجبار العظيم والعبقري الفذ الذي ينبغي أن لا ترفع رأس الى جانب رأسه ، وان يقضي قضاءً

مبرماً على كلّ أدب سوى أدبه ، بل تبلغ الصفاقة ببعضهم الى أبعد من هذا التبجُّح ! فبالله قارنْ بين هذا الروح الأناني الخبيث وذلك الروح الأدبي الخالص الذي أنشأ (جمعية الشعر - Poetry Society) الشهيرة في لندرة ، وكذلك نظيراتها من الجمعيات الأدبية التعاونية المثمرة في تلك العاصمة وسواها من عواصم الغرب ، دع عنك جمعية (الرابطة القلمية) التي أسسها اخواننا السوريون في نيويورك ، فنهضت نهضةً مأثورةً بأدبهم الجديد . فكيف يُعَدُّ شعوري هذا دليلاً على ضعف أدبي ؟!!

وهل نسي هؤلاء المثل العالي الذي ضربه الشاعر الانجليزي المجيد روبرت بروك (Rubert Brooke) الذي فَقَدَه الشعر في شبابه فعوّض عن فقده بروحه التعاونية النبيلة ، إذْ أوْصَى بأن يُخَصّص دَخْلُ تآليفه لنشر آثار ثلاثةٍ من أقرانه الشعراء المجدّدين ، وهم الاستاذ (لاسل أبركرمبي - Prof. Lascelles Abercrombie) و (ولتردي لامار- Walter de La Mar) و (ولفرد جبسون - Wilfrid Gibson) وقال إنّ غرضه أن يساعدهم ذلك على التفرّغ للانتاج الجميل بدل أن تعوقهم الشواغل المادية عن إظهار أحسن ما عندهم ، وأنّ هذا خير عزاء له في وفاته . وها قد مرّت

أعوامٌ طويلة منذ وفاة بروك في خلال الحرب الكبرى ، وما يزال شِعْرُه وخُلُقه العالي مذكورَيْن أشرفَ ذكر ، وهذا نظمُه يُقبِلُ عليه الجمهور الانجليزي أعظمَ إقبال . فلم تكن روحه التعاونية إذن دليلا على ضعفه الأدبي ، ولا منافية « للفردية » (Individualism) المعقولة ، بل خدمتْ شعره وذكراه أجلَّ خدمة وما أساءتْ الى الشعر الانجليزي بل ساعدت شعراء آخرين مجيدين على اظهار أحاسن نظمهم . فكيف تجوز بعد ذلك السخرية مما هو جديرٌ بالتشجيع والتقدير ؟ ! ! وكم من شعراء مغمورين في مصر لهم حسنات فائقة لا يستطيعون مادياً إذاعتها في كتب ، وقد يلاقون أو لاقوْا عند محرّري الصحف أيضاً ما كفاهم من تثبيط الهمة ، فكم يكون ربحهم وربح الأدب عظيما باذاعة مجموعة سنوية لهم مختارة من أحاسن شعر العام ؟ ولكنْ هذا لن يكون ما دامت رُوحُ التخاذل متفشّيةً بين أدباء مصر كما هي متفشيةٌ بين ساستها ، والنتيجةُ في كلتا الحالتين واحدة : وهي الخسارة المستمرّة . فمن هو أوْلى إذنْ بالنقد والتثريب ؟

---

(٢) السقراطية : هل هي جائزة في الشعر ؟ — سؤالٌ

يُوجّهه اليّ والى جمهور الأدباء صديقي الاستاذ محمد سعيد ابراهيم باسلوبه الصّريح الجميل ، وخيراً فعل بطرقه هذا الموضوع الجديد بالمناقشة والتصفية . وخيرٌ لي أن يخالفني الآن ثم يتفق معي آجلاً من أن يكون الحال عكس ذلك .

لقد كان سقراط في أول نشأته مثّالاً أي رجلَ فنٍ ، كما كان والده مثّالا كذلك ، بل كان أحد المساعدين لفيدياس — (Phidias) ، فلم يكن فنّه هذا بالذي يحجب عنه نور الحقيقة بل كان داعياً له الى التأمُّل في الحيـاة والوجود ، ومبغّضاً إياه في السفسطائيين المغالطين . فانتقل من هذا الى واجب مقاومتهم في سبيل نصرته للحقيقة ، ولمّا عظمتْ نفسُه أحسّ بواجب تدريب أبناء وطنه على التفكير والبحث في أسباب الأشياء وعللها ، وطرْح المناقشات العقيمة التي يُعتَمد عليها المغالطة ، واستبدالها بالمنهاج البحثي المؤدّي الى معرفة الحقيقة . وعلى رأي الاستاذ برندون (J. A. Brendon) كان الأثينيّون يعتقدون أنّ الخير في أن تكون عظيماً ، فجاء سقراط يعلّمهم أن العظمة هي في أن تكون خيّراً ، وان الحياة المستقيمة أكرم وأعظم من مجرد الغنى المادي . ولهذا كان شديد السخط على رجال السياسة وعلى رجال المـادة الذين نظروا للانسانية كأنها آلات ومتاع وأرقام ، ويُشبهه في

سخطه هذا فيلسوفنا الاجتماعي العصري ه.ج. ولز (H. G. Wells) الذي أحترمهُ حقًّا ، ولا أعتبر آراءه الاصلاحية محضَ خيالٍ لن يتحقق ، فهي سائرة في سبيل التحقيق التدريجي أمام أعيننا ، وفي مقدّمة قرائه المتأثرين به رجال التفكير ورجال الحكم المستنيرون في أمم شتى ورجال الماسونية وسواهم من العاملين على توحيد الانسانية وتثقيفها وتآخيها .

كان دأبُ سقراط أن يُبرهن على جهل النّاس في معظم ما يتحدّثون عنه إذْ يُلقون أحكامَهم جزافًا ، فما كان أحوجَ أثينا الى مثله ، بل ما أشدَّ حاجة هذا العصر أيضاً الى أمثاله . فقد كان بحّاثةً نفسياً خلقياً ، ومفكراً محلّلاً الى درجةٍ مدهشةٍ ، ولما أعلن الوَحْي القدسي (Oracle) في دِلفي انه أحكمُ الاغريق وأحصفهم لم يقتنع بهذا الحكم ـ برغم فحصه له وتحليله وتطبيقه على عقلاء أمّته ـ الاَّ مستنداً الى حُكمٍ آخر من استنتاجه : وهو أنَّ غيرَه من الرجال لايعرف شيئاً ثم يَدّعي المعرفة ، حينما هو (سقراط) لايعرف شيئاً كذلك ولكنّه يقرّ بجهله ! وكان يخالف الناسَ في اعتقادهم انَّ الشيء المقدّس هو مارضيتْ عنه الآلهة ، ويسأل لماذا لايكون العكس هو الواقع : أيْ انَّ الآلهة تسرّ من الشيء لأنّه مقدّسٌ في ذاته ؟ اورجلٌ هذا شأنه لم تكن تأسره الخرافة فكان يسخر

من تفاسير الجهل الميثولوجيا اليونانية التي تعتبر الآلهة طلاّبَ شهوات ، وكان يَعدُّ هذه الآلهة التي تتحدّث عنها الأساطيرُ بمثابةِ رُموزٍ لإلهٍ واحد عظيم . فهو لم يكن ملحداً وانما كان متديّناً مفكراً ، وكان الى جانب ذلك شديد الحرص على كرامته عظيم الشمَم ، فلم يقبل أن يتزلّف الى قضاته الآثمين وأبى اباءً أن ينال حريّته من السجن هرَباً واختلاساً . فعدّه تلميذه أفلاطون لذلك « خيرَ الرجال في زمنه وأحكمَهم وأعدلَهم » ، وما يزال معدوداً أعظم الفلاسفة الاغريقيين شعوراً بالروح المسيحية قبل ظهورها .

فهذا الرجل إذنْ يصور في تفكيره ومرَاميه مثالاً من مثل الانسانيّة العُليا التي هي رجاء الحاضر وعزاء المستقبل ، وبعد هذا نُسأل عما اذا كان يجوز تطرُّق السقراطية الى الشعر . . . . كأنما هذه السقراطية هي خطب منبرية جافة ، أو أناشيد ببغاوات لاحياة ولا شعور فيها ، وليست ذخيرة عواطف نقيّة وفلسفة جميلة ومباديء مُلْهِمَة . وما هو الشعر إنْ لم يكن التعبيرَ الحارَّ عن شعور النفس وايمانها ؟ فكلّ مايُطْلَبُ فيه أساسيًّا صِدْقُه وإخلاصُهُ لنفسية الشاعر ، سواء أدان الشاعر بالسقراطية أم لم يَدِنْ . على أن أرقى الشعر ما اتّصل بالحياة اتصالاً واتّجه بها الى مثالٍ عالٍ مُسْعِدٍ ، وما كانت السقراطية الاّ أحد هذه الأمثلة .

فأمّا طريقة سقراط في البحث فهي شبيهة بطريقة ديكارت (Descartes) كما أشار الدكتور طه حسين الى ذلك في كتابه القيّم (**مادة الفكر**) وإنْ فرّقتْ بينهما عشرون قرناً ، وأمّا الفلسفة السقراطيـة فهي ـ على ما أجملها الدكتور طه حسين ـ « تنحصر أو تكاد تنحصر في شـيئين : الأول انّ الانسان قد جهل نفسه في جميع العصور المتقدّمة ، وانّ جهله نفسه هو الذي حمله على أن يلتمس العلم في الخارج فيبحث عنه مرةً في الارض وأخرى في السماء وحينا في الجوّ وحيناً في المـاء ، وكان الحقُّ عليه أن يبدأ بنفسه فيدرسَها ويتبين أمرَها ، حتى اذا فرغ منها استطاع أن ينتقل الى الخارج . وليس هو في حاجة الى ذلك ، لأنه لن يفرغ من درس نفسه أبداً ، ولأنّه سيجد في نَفْسِهِ اذا درسها كلّ شيء . الثاني أنّ الفلسفة يجب أن تقوم منذ اليوم على معرفة النفس والعلم بها ، أي ان الفلسفة يجب أن تكون انسانية ، أي انّ الفلسفة يجب أن تقوم قبل كلّ شيء على الاخلاق » . وهكذا كان سقراط واضع علم النفس الانسانية والاخلاق ، واذا كان الأدب عامةً ـ وفي طليعته الشعر ـ نقـدَ الحياة ، فكيف نتساءل عمّا اذا كانت السقراطية جائزة في الشعر ؟! الشعر عاطفة يُعبَّر عنها ، ولـكنّ العاطفة ليست إحساساً مجرّداً إذْ لها جوانب

شتّى من التفكير والرأي والايمان متصلة بها ومؤثرة عليها فلا يمكن فصلها عنها ، وكلّ ما يعنينا أن تكون هذه العاطفة صحيحة صادقة .

واني أعرف انّ صديقي الناقد الغيور معجب إيّما اعجاب بالمتنبي الذي يعتبره أعظم شعراء العربية وتاجها المعلّى - وليس هذا موضع مناقشته في هذا الرأي - فهل فقد المتنبّي شاعريته حين قال:

وما الحُسنُ في وجه الفتى شرَفاً له
اذا لم يكنْ في فِعْلِهِ والخلائقِ

وحين قال :

شَرُّ البلادِ مكانٌ لاصديقَ به
وشَرُّ ما يَكسبُ الانسانُ ما يَصِمُ

وحين قال :

اذا أنتَ أكرمتَ الكريم ملكته
وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدا

وحين قال :

وللنفس أخلاق تدلُّ على الفتى
أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

فانَّ دُموعَ العين غُدْرٌ بربّها
اذا كُنَّ اثرَ الغادرين جواريا

وحين قال :

أُصادقُ نَفْسَ المرءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ

وأعرفُها مِنْ فِعْلِهِ والتَّكَلُّمِ

وحين قال :

تُشْرِق أعراضُهم وأوجهُهم كأنّها في نفوسهم شِيَمُ

وحين قال :

أَنَفُ الكريمِ من الدّنيه تاركٌ في عَيْنِهِ العددَ الكثيرَ قليلا

والعارُ مضّاضٌ وليس بخائفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خاف مِمّا قيلا

وحين قال :

وأنفسُ ما للفتى لُبُّهُ وذو اللُّبِّ يَكْرَه إنفاقَهُ

وحين قال :

اذا ما عدمتَ الأصلَ والعقلَ والنّدَى

فما لحياةٍ في جَنابكَ طِيبُ

فهذا ونظائره شعرٌ سقراطي صميم تزدحم بأمثاله دواوين الشعر العربي قديماً وحديثاً ، ولم يسلم منه حتى أولئك الذين يريدون مغالبة طباعهم حُبًّا في الشذوذ أو مجاراة لبعض النظريات الفنّية بصرف النظر عمّا اذا كانت هذه النظريات صحيحة أو وهمية.

وهذا الاستاذ عبد الرحمن شكري معدودٌ لدى صديقي الناقد أعظم شعراء العربية في هذا العصر ، فهل فقد شكري شاعريته حين قال :

اذا أنتَ لم تُعْطِ الفضيلةَ حقَّها
أصابكَ مِنْ رجْسِ الرذيلةِ غالبُ
ألم تَرَ أنَّ الشرَّ مُغْرًى بربهِ يُغالبه عن نَفْسِهِ وهو غالبُ؟!

وحين قال :

غلُّوا يدَ الجبَّارِ في غلوائهِ فبِكُمْ يصولُ إذا أراد ويَظلمُ
إنَّ الذي اتخذَ الظَّلومَ وَلِيَّه أطغَى إذا عُدَّ الطُّغاةُ وأظْلَمُ

وحين قال :

إذا بَلَغ المرءُ الغنَى كان خاسراً بِنَيْلِ الغِنَى قَدْرَ الذي هو كاسِبُهْ
فيربح حالاً لدنةَ الوجهِ غضّةً ويخسر شيئاً خافياً عزَّ حاسبُهْ

وحين قال :

حببتك حُبِّي للضّمير اذا دَعَا فؤادي الى حُبِّ الفضيلة والخيْرِ
وانّي لأرجو في اخائِكَ لَذّةً كلذّةِ أهل الرأي في حسنِ الفكْرِ

وحين قال :

ولولا رجائي أن أقولَ مقالةً تَعودُ بخيرٍ أو تُعين على شر
لما كان لي في بسطةِ العمرِ رغبةٌ ولم أحمدْ الأيّامَ إنْ زِيدَ في عُمْري

وغير ذلك من شعره المأثور المُشْبع بالرّوح السقراطية وإنْ خالفَها في غيره ؟ !

انّ هذه السقراطية ليست — كما أسلفتُ — سوى مثل من الأمثلة العُلْيَا للحسّ والفكر الانساني ، وانه لخير ألف مرة للشاعر أن يؤمن بها وأن تتسرّب الى شعره ضمناً من أن يكون مجرّد آلة مصورّة ، أو مجرد ناظم أمّي لا يتطلّع الى أبعد من أنفه ، ولا يستهدي وَحْيُهُ بايٍّ مثالٍ عالٍ في الحياة خطأً كان أم صواباً .

ولو اننا جارينا الأستاذ سعيد ابراهيم وصحبه في هذا الرأي لوجب أن نُسقط من الشعر الانجليزي أيضاً كثيراً من النفائس وفي مقدّمتها قصيدة (اذا — IF) المترجمة في هذا الديوان (ص ٩٢٣) للشاعر العبقرى المجـدّد رديارد كپلنج (Rudyard Kipling) ، وكم له من منظومات أخرى مشبعة بهذا الرّوح الى جانب سواها الذي تثيره روحٌ مختلفة ، مما يدلّ على انّ الشاعر قد يتأثر بأكثر من إلهام أو مَثَلٍ عالٍ في شعُوره ونظراته . ومَنْ ذا الذي يصدّق مثلاً أنّ هذا الشاعر الاستعماري الجاف سياسياً هو صاحب هذه الأبيات الدينية السقراطية الروح المعنونة :

" When Earth's Last Picture is Painted "

قال :

And those that were good shall be happy : they
shall sit in a golden chair;
They shall splash at a ten - league canvas with
brushes of comets' hair.
They shall find real saints to draw from - Mag -
dalene, Peter, and Paul;
They shall work for an age at a sitting and never
be tired at all !

وحتى الشاعر الغنائي المبدع هَيْنِي (Heinrich Heine) لم يسلم
من هذه الروح السقراطية فهو هو القائل :

Yes. You are right. Your lingering glances
Brim with a truth that makes me sad.
How could we two have met Life's chances -
You are so good, and I so bad.
I am so bitter and malicious ;
Even my gifts bear wry respect
To you, who are so sweet and gracious
And oh, so righteously correct.

ودعكَ من الشاعر اليوناني العظيم إسكيليس (Æschylus)
بل من شعراء الاغريق الدّراميين جميعاً فقـد كانوا يبثُّون الروح
السقراطية في نظمهم كلَّ البثّ سواء عفْواً أو قصداً ، ولا غرابة

في ذلك فدراماتهم الغنائية ذات صبغة دينية خلقية برغم مناسبات المرح والتعييد . وهذا إسكيليس نفسه هو القائل :

For Jove doth teach men wisdom, sternly wins
To virtue by the tutoring of their sins ;
Yea ! drops of torturing recollection chill
The sleeper's heart ; 'gainst man's rebellious will
Jove works the wise remorse :
Dread Powers, on awful seats ienthroned, compel
Our hearts with gracious force.

ورأيي أن الشاعر العالي النَّفس الانساني النزعة يَتَسامَى دائماً الى مَثَلٍ في شعره ، وقد يتسامى الى أكثر من مثل واحد حسب شعوره وتباين المناسبات ، فليس من الضروري أن يبقى دائماً سقراطياً . ومن رأيي كذلك أنَّ النَّفسيات والخلقيات أصبحت لها سيطرةٌ كبيرةٌ في تقدير أفكارنا وفي تكييف شعورنا أيضاً ، وصار الشاعرُ الحسَّاسُ المتأمِّلُ دقيقَ البصر يتأثَّر شُعورُه بكل كلمةٍ وحركةٍ يواجهها ، فيعكس ذلك في شعره إنْ وصفاً أو تقريراً أو مناقشة أو غير ذلك .

والشاعر المطبوع أديبٌ بفطرته وإن أصبح رجلَ علمٍ ، وكاتبُ هذه السطور لم يكن طبيباً قبل أن يكون أديباً ، فليس من

الصواب تَصَوُّرُ إمكان إدماج الأديب (وهو الأصل) في الطبيب (وهو المستحدَث) . والواقع أنّ التربية الطبية هي تربيةُ ملاحظةٍ قويةٍ واستقراءٍ وتشخيصٍ وتوليدٍ وَجَلَدٍ شديدٍ ، فالأديبُ بفطرته يستفيد من كل ذلك ، ويُعينه في شعره الوصفي كثيراً ، وفي تحليل النفوس والأخلاق والطباع . وهذا مُشَاهَدٌ في جميع الامم بين رجال الطب الادباء على اختلاف نزعاتهم من قصصيين ونقاد وشعراء وغير ذلك . لكن صديقي الناقد الفاضل أبى في غلوّه - وفي شغفه بحثّي على بلوغ الكمال الشعري الذي يودّه لي - إلا أن يعكس الآيةَ عفواً في غير إنصاف . فهو مبدئياً تعلّق بكلمة « السقراطية » ومدلولها ، فأخطأ أولاً في إنكار قبول تعاليمها في الشعر ، ثم أخطأ ثانياً في تطبيق هذه النظرية على ديوان يضمّ مئات القصائد وآلاف الأبيات ، وصمّم على أن يجعل هذا الشعر كله صُوَراً من السقراطية حينما هذه السقراطية لا تتمثل حتى في عُشْرِهِ . . . وصار أبغضُ شيء اليه كلمة « فضيلة » أو « وفاء » أو « برّ » أو « خير » ، حتى أنّه ليسقط قصيدةً برمّتها اذا ما وردت فيها إحدى هذه الكلمات أو نظائرها من التعابير الخُلقية - ولو استُعملتْ استعمالا مجازياً بمعنى آخر - وهذا ولا

شك غلوٌّ كبير لا إنصافَ فيه ولا جَدْوى منه . وكما يُسقط قصيدةً برمّتها لاعتراضٍ كهذا ، فهو يُريد أن يسقط ديواناً بأسره لأن جانباً منه له هذه الصبغة النفسية ! !

أمّا أنا فقد آمنتُ — بعد تأمُّلٍ نقديٍّ طويل في شعري وفي شعر غيري — بأنّ هناك مايصحّ أن يُسمّى « بالتبادل » وهو تعويض الكلّ للجزء ، وكذلك تعويض الجزء للكلّ : بمعنى انّه يجب نقد الأثر الفني (القصيدة مثلاً) كوحدة لاتتجزأ ، بحيث يُوَجّه النقد الى جوهرها ولُبِّها ، فتارة يكون هذا الجوهر صغيراً شبيهاً بالصورة الدقيقة (miniature picture) وتكون بقية القصيدة كاطارٍ وحاشية لهذا الجوهر ، وقد يُكوّن ذلك اطاراً ضخماً ولكنه متناسبٌ من وجهة التأثير مع الصورة ، فبدل أن يفسد جمال الصورة تراه يُوجّه الالتفات اليها . ومرةً أخرى ترى الصورة ذاتها كبيرةً والاطار صغيراً ، فتشغلك رُوحُ هذه الصورة وتكوينها عن الالتفات لحواشيها . ففي الحالة الأولى يعوّض الجزء عن الكلّ ، وفي الحالة الثانية يُعوّض الكلُّ عن الجزء ، ولا يتأثر الناقد الفنّي في كلتا الحالتين الاّ بالجوهر وحده ، ولا يكون ماعدا هذا الجوهر الاّ مُعيناً على إبرازه . فالقسمُ الباهتُ الفاترُ ليس بالحقير في الواقع

لأنه يساعد بالمقارنة على اظهار غيره وعلى توجيه النفس الى مايُقْصدُ توجيهها اليه من لُبّ الموضوع ، ولا يجوز إنصافاً أن يُعدّ ترقيعاً في مجموع الصورة الفنّية سواء كانت شعراً أو رسماً أو غير ذلك .

واني وانْ لم أعتبرْ الاسلوبَ الخبري أرقى مايُشْتهَى فنّياً ، الاّ اني أرى من المجازفة في الحكم اعتبارَ اقترانه بالنزعةالسقراطية كفيلاً باخراج خطبةمنبرية جديرة بالوُعّاظ وغير قمينة بالشعراء !!

فالشّعرُ في جوهره شعرٌ سواء كان نظماً أو نثراً ، قَصَصاً أو تصويراً أو خبراً أو غير ذلك . وهذه مسألةٌ سأتعرّض لهـا فيما بعد عند الكلام على نقـد أسلوبي . وحسبي أن أقول هنا إنه من عجائب النقد الأدبي في مصر الرضاء عن الاباحية الخلقية فيالشعر واعتبارها فنًّا ، والسخط على السقراطية واعتبارها مضيّعة للفنّ !! وهاهو صديقي النـاقد اكتفى بكلمة أو ببيت لاسقاط قصائد من خير شعر هذا الديوان . ثم نظر للتحديد كتعبير علمي ، ولـكنه لم ينظر اليـه كقدرة فنّية في التعبير ، لأنه ليس من السهل على كلّ شاعر أن يصوغَ كلاماً مُجْملاً صادقَ الأحكام أو قويَّ التأثير البليغ ، وقد تفننَ شعراء العرب في ذلك وفاخروا بالقدرة على نظم جوامع الكلم . وصديقي الناقد يقول إنّ الاسلوبَ العربيّ

القويّ البليغَ بليغٌ في كل زمان ومكان ، فما باله يتناسى ذلك الآن ويلوم على اتباع هذا الأسلوب العربي الصّميم ؟!

وكما انّ الشعر السقراطي (Ethical Poetry) على اختلاف صوره فَنٌّ سائغ معترف به عند نقّاد الشعر (راجع مثلا : « Poetry and the Renascence of Wonder » للناقد الشهير Theodore Watts - Dutton الذي وصفه الشاعر سونبرن Swinburne بانه « أنبغ ناقد في عصره ، أو لعلّه أوسعهم ذهنًا وأصحهم نظراً في أيّ عصر ») — أقول كما انّ هـذا النوع من الشعر له منزلته المحترمة برغم أساليب التناول للمواضيع عنـد الشرقيين والغربيين ، فكذلك الاسـلوب الخبري من الأساليب المعترف بها ، وانْ كنتُ أنا نفسي لا أميل اليه الاّ في المواقف التي أقدّر انّه سيكون فيها أبلغَ تأثيراً من سواه ، واذا كان التّحديدُ في ظاهره أحيانًا فالاستعارةُ والمجاز والتخيّل أو الصورة العـامة الباطنة للقصيدة تقضي على أثر هذا التحديد ، فلا يكون له أيّ لون علمي ولا أيّة خشونة ، بل يجد فيه السامعُ أو القاريء قوةَ الاقناع منطويةً في هذا التحديد الملطّف ، ولولا هذا الذي يسميه الاستاذ سعيد ابراهيم تحديداً لضاعت من هذا النوع من النظم قُوّة تأثيره المقنع . والأمثلة في الشعر العربي — قديمه وحديثه — اكثر من أن

تُحْصَى أو تُسْتَقْصَى . وأمّا في الشعر الاوروبي فأمثلة ذلك غير قليلة أيضاً ، ولو سمح المجال لجئتُ بأمثلة لاتعدّ ، فيكفيني ان اذكر مثالين من كلٍّ من الشعر الأنجليزي القديم والحديث جامعين في آن واحد لما يسمّيه صديقي الناقد « سقراطيةً » و« تجديداً » .
وكلا المثالين من مختار الشعر . فأمّا المثل الاول للشعر القديم فمن أوائل القرن السادس عشر للشاعر المبدع استيفن هوز (Stephen Hawes) وموضوع القصيدة « الفارس الحقيقي » وهذا نصّها :

THE TRUE KNIGHT

For knighthood is not in the feats of warre ,
As for to fight in quarrel right or wrong ,
But in a cause which truth can not defarre :
He ought himself for to make sure and strong ,
Justice to keep mixt with mercy among :
And no quarrell a knight ought to take
But for a truth , or for the common's sake .

وأمّا المثل الآخر من الشعر القديم فقصيدة ملتون الشهيرة في عماه ، وهي مزيج من الصوفية والسقراطية (من شعر القرن السابع عشر) وهذا نصّها :

ON HIS BLINDNESS

When I consider how my light is spent ,
Ere half my days , in this dark world and wide,
And that one Talent which is death to hide,
Lodg'd with me useless, though my Soul more bent
To serve therewith my Maker , and present
My true account , lest he returning chide ,
"Doth God exact day - labour , light deny'd ?"
I fondly ask : But patience to prevent
That murmur , soon replies : "God doth not need
Either man's work or his own gifts , who best
Bear his middle yoak, they serve him bist,his State
Is kingly. Thousands at his bidding speed
And post o'er Land and ocean without rest :
They also serve who only stand and waite".

وأما المثلان للشعر الحديث من أمثلة شتّى متقاربة في الروح « السقراطيــة » والاسلوب الخبري « التحديدي » لشعراء مشهورين فأولهما من نظم الشاعر الانجليزي ولفرد جبسون (Wilfrid Gibson) عن الرجل الذي يخون ذكرى زوجته المتوفاة ، وهذا نصُّ قصيدته التصويرية « السقراطية » :

THE ANNIVERSARY

Theclick ing of the latch ,

Then the scratch
Of a match
In the darkness and a sudden burst of flame -
And I saw you standing there
All astare
In the flare ;
And I stepped to meet you, crying on your name.

But the match went out , alack
And the black
Night came back
To my heart as I recalled with sudden fear
How upon your dying bed
You had said
That the dead
Return to haunt the faithless once a year .

فهل يقضي على هذا الجمال التصويري البديع اشارة الشاعر « السقراطية » الى الخيانة الزوجية وعاقبتها ؟

وأمّا المثل الآخر للشعر السقراطي التّخديدي الذي ينقصه حتى التصوير المتقدم فقصيدة كِپلنج المشهورة المسماة « اللاهوت الطبيعي » وقد نظمها حزيناً في نوبة سخطٍ على الحرب خلافاً لنزعته الاستعمارية المعروفة . وهذا نصّها :

NATURAL THEOLOGY

Money spent on an Army or Fleet
Is homicidal lunacy . . .
My son has been killed in the Mons retreat ,
Why is the Lord afflicting me ?
Why are murder , pillage and arson
And rape allowed by the Deity ?
I will write to the "Times" , deriding our parson
Because my God has afflicted me .

***

As was the sowing so the reaping
Is now and evermore shall be .
Thou art delivered to thine own keeping .
Only Thyself hath afflicted thee !

فتَعَالِي صديقي النَّاقد ـ على ما أشرتُ الى ذلك ـ هو الذي يجعله يتصوَّر انّ الروح الخلقية تُعارض الفنّ في قصيدة وصفيّةٍ للطبيعة مصرية الصبغة « كفتاة الريف » (ص ٣٥٣) متغاضياً عمّا فيها من وصف دقيق غير مسبوقٍ اليه ومن حنانٍ جمّ للحياة الرّيفية الجميلة المحتقرة في مصر ، وقِسْ على ذلك بقيّةَ ما ذكره وما لم يذكره من قصائد لم تَرُقْ لديه حيثما راقتْ لدى شعراء مصريين . فحسبي أن أترك كل ذلك لاطلاع القاريء وتحليله وحُكمه .

(٣) الشاعر موسيقيّ حسّاس بعيد النظر قوي التعبير . هذا مُسَلَّم به على ما أظنّ ولكن هل هذا كُلّ شأنه ؟ وبعبارة أخرى : ما هي وظيفة الشاعر وأثره في الحياة ؟ يقول لامرتين (Lamartine) إنّ الشعراء والأبطال من نوعٍ واحد ، وان الأخيرين يحققون ما يتصوّره الأولون ، ويعزز دزرائيلي (Disraeli) ذلك بقوله إنّ الشعراء هم مشترعو العالم الذين لم يُعْتَرَفْ بهم ، ثم يزيد إمرصن (Emerson) ذلك شرحاً بقوله : إنّ الشعرَ هو الحق الوحيد — هو تعبير العقل السليم المتحدّث عن المثل الأعلى لا عن الظاهر . فهل الشاعر الأسمى بعد ذلك مَنْ يقتصر شِعْرُهُ على تعبيراته الفرديّة ؟ لا أظنّ ذلك ! إنّي لن أجحد شاعريته ما دامت قويةً مطبوعةً بل أوفّيها حقّها من التقدير كنوع من الفنّ حتى ولو بَثَّتْ شرًّا نسبياً ، ولكنّ الشاعر الأسمى الذي ينال تبجيلي الأوفى هو النبيّ الفنّان الذي يعيش لنوعه لا لذاته ، فيرتفع بذلك فوق الجميع كما يقول هازلت (Hazlitt) والذي يحسّ في دخيلة نفسه بأنّ الشعر عقيدة على رأي إمرصن . والواقع انّ الشاعر الأسمى مفْطور مطبوع يتأثر مَزَاجُهُ بثقافته وبيئته وعالَمِه تأثيراً عظيماً فيُلهمه كلّ ذلك — إنْ صحّ هذا التعبير — ما يلهمه

من إسعادٍ لنوعه في أوصافِهِ وأخيلتهِ وأحلامِهِ ودَعْوَتهِ ، وحينئذ يكون الشعرُ محاولةً لجعل الحيــاة منسجمة كما يقول كارليل (Carlyle). فلا عجبَ بعد ذلك اذا ظهر الى جانب شعر العاطفة شِعْرُ العقيدة الانسانية العُلْيَا سواء في السياسة أو الاجتماع أو غير ذلك . وقد أصبحتْ المجلاتُ والصحف الأدبية والشعبية في الغرب مزدحمة بنماذج هذا الشعر الذي دَعَتْ اليه ثقافة هذا القرن وأمياله . وصار الشاعرُ المتعدّد نواحي التفكير مشترعاً غير رسمي على حد قول دزرائيلي .فهو لسانُ وجدانه ، ثم هو لسان بيئته فوطنه ، ثم هو لسان الانسانية عامة بل الكون بأمره . وأعود الى ذكر شاعر الامبراطورية الانجليزية رديارد كپلنج فأقول إنك تجد كلَّ هذه النواحي في شعره ، وإنْ غلبَ بَعْضها على البعض الآخر. وإنْ أنسَ لا أنسَ تأثير قصيدته السياسية الوطنية البليغة التي نشرتهــا صحيفة « التيمس » في أول الحرب العالمية ، فقد كان لها من الاثر النفساني العظيم ما لا يقل عن نظيره لبيان رئيس الوزارة المستر اسكويث ، بل لعلَّ تأثيرها جاوز تأثير ذلك البيان في البيئات العالية . وكپلنج يحسّ بمسؤليته هذه وتتجلى في شعره ، وبرنامجه الفكري النفسي يفوق برنامج رئيس وزارة ، فهو النبي الشاعر للانجليز السكسونيين ، وهو فوق ذلك في نفسه المجلّية في

شعره . فالاعتراضُ على كلامي المجمل عن الغرض من الشعر وتدوينه (ص ٤٢ ـ ٤٤) لا يقوم على أساس من الحقيقة في هذا العصر عند الشعوب المثقفة الناهضة . ومن العجيب أنَّ الشاعر العربيَّ قديمًا كان ذا منزلةٍ عظيمةٍ في القيادة الفكرية لا في التعبير فقط ، فاذا بالشاعر الغربيّ بعد هذه القرون يبلغ نظيرةَ تلك المنزلة كما هو شأن كپلنج الانجليزي ، وبيتس الارلندي ، ودانزيو الايطالي ، وغيرهم بينما تنعكس الآيةُ عندنا ولا نتصوّر للشاعر إلاّ مهمة التعبير الفردي ، أيْ أنهُ لسانُ نفسه فقط لا يعرف غيرَ همِّها ، ولا تفاعل بينه وبين بيئتِه وعالَمِه ، ولا شعور بمسؤولية كبرى يهزّ وجدانه فيبعث أقوى الألحان الناشرة رسالته العُظمى . ونشأ بيننا من يَعدّ هذه الرسالة الدّافعة المتصلة بالحياة معاديةً لروح الفن وقاضيةً عليه !

(٤) ولكن ما هو الفنّ ؟ — سؤالٌ لا مفرَّ منه ما دمنا قد اتهمنا بالاساءة اليه ومخالفة أصوله !!

وقبل أن اجيب على هذا السؤال أُحيل القارىء على قصيدتيَّ «ما هو الفنّ ؟» (ص١٠٤٨) و «ما هو الحسن ؟» (ص١٠٨٧)،

مكتفياً بهما من نظمي ، ثم الى الفكرة الفلسفية الشائعة وهي أنَّ الفنَّ هو التعبير ، أو على حدّ قول جيتي (Goethe) : « الفنُّ وسيطُ المُغلَق « Art is the mediatrix of the unspeakable » وبعد ذلك أقول في غير تَرَدُّدٍ إنَّ الفنَّ عندي ليس هو التعبير وحده : أي ليس قاصراً على البيان والافصاح ، بل ليس من الضروري أن يتصل بالبيان والفصاحة المألوفة . وقد يوجد التعبير أو البيان والفصاحة التامة ولا يوجد الفنّ ! أما الفنّ عندي في أرْقى صوره فهو « البلاغة الرَّمزية الجميلة » التي تفسح أمامك مجال التأمُّل وتنقلك الى جوّ النفوس العبقرية حيث ترى في الدقائق العظائم ، وفي الحرّية الألوهة ، وفي أبسط الاشارات أكبر الذكريات ، وفي مظاهر الفنّ رسولاً يُهديها الى سعادة الاندماج في الابدية . هذا عندي هو الفن في أرْقى صُوَره مُوَفّقاً ما بين المثل الأدنى ــ وهو حياتنا العادية ــ والمثل الاعلى ــ وهو قِبلة الانسانية الرُّوحية ، ولا أراه شعوراً يناقض حُكم جيتي « بأن الفنَّ يعتمد على نوع من الشعور الديني أي على اهتمامٍ عميقٍ ثابت ، ولهذا السبب يندمج الفنُّ في الدين بسهولة . »

فأول أُسس الفنّ اذن هو « البلاغة » ، بل قلْ هـذا هو الاساسُ الذي لا غنىً عنه مطلقاً . واني أعذر الذين يخلطون ما

بين « الفصاحة » و « البلاغة » لان أساتذتهم أنفسهم يخلطون في التعريف لهما والتفرقة بينهما . ولا تعني « الفصاحة » عندي سوى البيان الوافي بأسلوب مُنْتَقًى مُصفًّى كامل الدلالة ، وأما «البلاغة» فهي في تعريفي التأثير وحده : أي بلوغ نفس السامع والقاريء بلوغاً تاماً .

فاذا اتفقنا على هذا التعريف والتفريق فسوف يظهر لك جلياً أنَّ « البلاغة » مسألةٌ نسبيةٌ ، ونتيجةُ تفاعل بين الأثر الفني ودارسه . فهي في الشعر مثلا مسألةُ ذَوْقٍ وشاعريةٍ واستعدادٍ ذهني ، ولها اتصال بعوامل شتى من ثقافةٍ وبيئةٍ وغير ذلك . فلا غرابة اذا كان ما أعدُّه بليغاً لا يُعتَبَر كذلك عندك ، ولا غرابة أيضاً اذا نحن اتفقنا في الحكم ، لأنَّ الاشتراك في التأثر بالفنِّ والاختلاف في ذلك أمرٌ مرتبطٌ بعوامل شتى كما قدّمتُ ، بعضها شخصيٌّ وبعضها عامٌّ . وننتقل من هذا الى القول بأن « البلاغة » قد تستغني عن « الفصاحة » حيث تقوم الاشارة البسيطة المضمرة المعنى مقام البيان الطويل ، وقد توجد « البلاغة » وتتأثر بها دون أن تعرف بيان ذلك ما لم تكن فلسفيَّ الذهن تُنَقِّب عن العِلَل والأسباب ، وقد تفشل برغم ذلك في معرفة البيان الصحيح والتعليل الصادق لتأثُرك ، ولكن التأثُرَ كائنٌ موجود برغم

فشلك في تعليل أسبابه الاصيلة من وجهةٍ نفسيةٍ فلسفيةٍ .

وكثيراً ما راقبتُ إحساسي وإحساس سوايَ وقارنتُ واستنتجتُ ناجحاً مرة وفاشلاً مرات ، الى أن اهتديتُ في نفسي الى التفسير الذي ارتحتُ اليه : وهو أنه كلّما سما الفنُّ كان رَمزياً في بلاغته ، لأنه بهذا الرّمز يُثير التفكير والتأمل ، ويثير عواطف شتى مكنونة ، ويحيي ذكريات ، ويكوّن علاقات ذهنية ونفسية متنوعة بين صُوَر الحياة ، وشعرتُ بأنَّ هذا الاتّساق الجامع المتعدّد الالهام هو هو الجمال ، وكلما كان شاذًّا في قوته عدَّ نادر الجمال ، وان الفنَّ والجمال توأمان يرْبطان — بايحائهما — الحاضرَ بالماضي والمستقبل ، سواء وعيْنا ذلك أم لم نَعه ، بل غالباً لا نعيه ، لأنَّ كلّ هذا متّصلٌ بعقلنا الغافي أو الباطن (Subconscious Mind) الى أن نحاولَ تحليلَه وَدَرْسه .

وتَبعًا لهذا الرأي أعدُّ كلَّ عمل بليغ ترتاح اليه النفس متأثرةً به نوعًا من الفنّ ، ولا أعدُّ مجرد البيان المنمّق وبسْطَ التعبير فنًّا . واذا حكمتُ فانّي لا أتشبّثُ أولاً بمثلي الأعلى في الفنّ ، وانما افتّش عن الشرط الاسامي وهو شرط البلاغة القويّة ، دون أن أتحنبل : فلا أُحتّم أن لايكون غيرَ فنّي لسوايَ مالا أُحسُّ أنا

بلاغته، وبعبارة أخرى أقرر ان الفنّ مسألةٌ نسبيةٌ ، وليس حقيقةً مطلقةً . وعلى سبيل المثل أعدُّ قصيدة اسماعيل باشا صبري « تمثال جمال » وقصيدة أحمد شوقي بك في « أنس الوجود » وقصيدة احمد افندي محرم في « أبي العلاء المعري » وقصيدة حافظ بك ابراهيم في « زلزال مسينا » وقصيدة خليل بك مطران في « تمثال رعمسيس الثاني » وقصيدة عبد الرحمن افندي شكري في « الشلّال » وقصيدة عباس افندي محمود العقّاد في « الزُهرة » وقصيدة ابراهيم افندي عبد القادر المازني في « الشاعر المحتضر » وقصيدة محمود عماد في « الجمال الذاهب » بين ما أعدّه من الشعر الفنّي العصري لأنه بليغ الأثر في نفسي ، ولكن من الجائز أن لا يوافقني كثيرون على ذلك . ولن أتّهم من يخالفني بالقصور الذهني ، فهذه مسألة روحية متشعبة الأسباب ، وللنفوس قابلياتٌ متنوّعة للتأثر وادراك البلاغة .

فاذا كان الاختلافُ في الشرط الاساسي للفنّ وهو « البلاغة » جائزاً الى هذه الدرجة ، فما بالك برموز التعبير ، وما بالك باستكناه الجمال الظاهر والمستتر فيه ؟!

وعندي انّ الشاعر المطبوع فنّانٌ بفطرته فمن العبث أن تحدّثه عن قواعد الفنّ الموهومة ولا عن قواعد العروض ، وانما

عليك ياسيدي الناقد أن تدرس أنت أساليبَه وأوزانه ونغماته وتطبّق قواعدَكَ عليها ، أو تُعدّل تلك القواعد ، أو تضيف اليها إنْ شئت !

واذا أردتَ أن أضربَ لك مثَلاً « للبلاغة » المضمرة الرموز - أي التي هي خلوٌ من الفصاحة المعروفة - فدونك هذه المقطوعة « اللذة الجديدة » لجبران خليل جبران من كتاب (المجنون - أمثاله وأشعاره) . قال :

(اخترعتُ في ليالي الماضية لذةً جديدةً . وبينما كنتُ أتمتّع بها للمرة الأولى رأيتُ ملاكاً وشيطاناً قد وقفا ببابي يتخاصمان ويتناقشان على تعريف لذّتي . فكان الأوّل يصرخ بأعلى صوته قائلا : « إنها خطيئةٌ مميتةٌ ! » فيعترضه الثاني قائلا بصوت أشدّ من صوته : « لا لعمري ، انها فضيلة » !)

فالاضمار في هذه المقطوعة كثير ، وليس مافيها من بيانٍ الا جزءٌ من كلٍّ للنفس الشاعرة التي تُقدّر مافيها من تهكم ، ومِنْ تأمُّل فلسفيٍ في الخير والشر ، ومن إقرار الانسان بحاجته الى تنويع عزَائهِ في الحياة ، الى غير ذلك من المعاني التي يُوحيها هذا النمط الشعري كلما زِدْتَه تأملاً وتبعتَهُ تخيلاً . ولكنْ كثيرون من

الادباء لايَرَوْنَ في هذا الأسلوب الاّ السخافة ، ويرون انّه لايليق الا بالبُلْهِ ، ولهم العذر : ذلك لأنّ هـذا الاسلوب القصصيّ الرمزيّ غيرُ بليغٍ لاحساسهم ، وفصاحتُه غيرُ مبسوطةٍ لأذهانهم ، بعكس حال غيرهم ، فهم إذنْ لايستمتعون به ولا يعـدّونه من الفنّ في شيء .

وقد يكون الشعر فصيحاً مبسوط البيان ولـكنْ لابلاغةَ له ، أي لاتأثير له في نفس قارئه ، فهو لذلك غـيرُ فنيٍّ عند ذلك القارىء ، لانّ التأثير لايترتب على الفصاحة وحدها ، بل له كلُّ الارتباط بدقائق المعاني ووحيها في أجزاء التعبير .

مثال ذلك قول صفيّ الدين الحلّي يرثي غريقاً :

أصفيحُ ماءٍ أم أديمُ سماءِ ... فيه تغور كواكبُ الجوزاء ؟!
ماكنتُ أعلمُ قبلَ موتِكَ مُوقِناً ... انّ البدورَ غُروبُها في الماءِ !

وقول أبي نصر سهل بن المرزبان في وصف البدر :

كم ليـلةٍ أحْيَيْتُها ومؤانسي
طُرَفُ الحديثِ وطيبُ حَثِّ الأكْؤسِ
شَبَّهْتُ بَدْرَ سمائهـا لمّا دَنَتْ
منه الثُّريّا في قميصِ سُنْدُسِ

مالكاً مهيبًا قاعداً في روضةٍ

حيَّاه بعض الزائرين بنرجسِ !

فهذا كلامٌ فصيحٌ موزونٌ له استعاراته وتشابيهه ، ولكنه لايؤثر في نفسي ، وأراه صناعةً تقليديةً ميتهً فلامنزلة له فيما أشعر ، فهو لذلك غير بليغ عندي ، ولكنه قد يكون بليغاً عند سواي ، بعكس المقطوعة الآتية الموسومة « شباك الغناء » للشاعرة الانجليزية (هلدا كنكلنج ــ Hilda Conkling) ، فهي فنٌّ مرنّحٌ لي :

SONG NETS

Song nets ,
Iweave you with all my love ,
You glitter like pearls and rubies ,
In you I catch songs like butterflies .
You go past my reaching hand
With a thin gauzy floating ,
And the songs are caught
Before they fade away .
Last night
My hand caught a song
Of pines and quiet rivers :
I shall keep it forever .

وأرى أنَّ لك كلّ الحقّ في سؤالي : كيف يمكن إذنْ الحكم الصادق على القيمة الفنّية للشعر ، وهل يوجد قضاة عدول يمكن التعويل على أذواقهم وآرائهم ؟ وجوابي انه وإنْ يكنْ الفنّ الشعري أمراً نسبياً في تقديره عند طبقة من الناس وأخرى ، الاّ أنّه يصح القول اجمالاً أنّ الناقد الشعري بفطرته أو الشاعر الحقيقي - اذا استطاع التجرُّد من الغرض وحسد المنافسة - هو خير مَن يستطيع الحكم المعقول على ماهية الشعر فنّياً . ولكن بالرغم من كل ذلك يَبقى حُكمُهُ متأثراً بالمزاج والثقافة والبيئة فلن يُؤمن فيه الزَّلَل . وهذا سِرُّ تناقض الأحكام الشعرية في العصر الواحد ، فضلاً عن اتّفاقها أو تباينها بين جيل وجيل .

وقد أشرتُ الى أهمّية « الرمز » في البلاغة الفنية ، وهـذا الرمز هو من لغـة (الطبيعة) التي تؤثر هذا النوع من التعبير ، ولذلك يُفْـتَنُ به من تفتحت جوانب نفسه لوحي الطبيعة . ومن أجل ذلك أميل الى التعبير الرمزي وأعتبره أرقى الأساليب الفنّية . على انّ نظم الشاعر تفاعلٌ بين نفسه وروح بيئته ثم روح عالَمِهِ ، فليس هـذا التّعبيرُ الرّمزي مما يوافق كلّ زمان ومكان ، ومن أجل ذلك كثر الاسلوبُ الخبري التقريري في الشعر العربي ، لأنّ المجتمع العربي اكثر تأثراً بهذا النمط من الاسلوب ، وحلّ

المجاز والاستعارة محلّ الرمز القصصي ، وهذا مثل لتعويض الجزء عن الكلّ في الفنّ ، كما أشرتُ الى ذلك سابقاً . والتجديدُ في الشعر الفني يستدعي الحفاوة بالاساليب الرمزية البعيدة الغاية ، حتى يألفها جمهورُ الأدباء فتكون بليغة التأثير ، وتصير النسق الفنّي المعشوق .

وبعد هذا البيان أسأل سادتنا النُقّاد الأفاضل : كيف شوَّهْتُ إذن الفنَّ الشعريَّ ؟ أروحي الخلقية المتفائلة ؟ إن أصررتم على هذا الاتّهامَ فدونكم رأي أحد ممدوحيكم أو أحد أعلام مدرستكم الاستاذ المازني ، فهو القائل في مقدّمة الجزء الثاني لديوانه : « إنّ الشعر ديوانٌ يقيّد فيه أهلُ العقول الراجحة مايَجيش في خواطرهم في أسعد الساعات ، وهو الذي يُنقذ من الفناء والعدم خواطرَ الالهام ، وهو يُحلّق بالمرء فوق الحياة ، ويُرغمه أن يُحسَّ مايَرَى وأن يَرَى مايُحسّ ، وأن يتخيّل مايعلم وأن يعلم مايتخيَّل ، وهو يُحيل القبحَ جمالاً ويزيد الجمال نضرةً وجلالاً ، ويفجّر في النفسِ ينابيعَ الأمن والفزع والسّرور والألم ، ويُذهّب مياهَ الموت المسمومة المتدفّقة في عُروقِ الحياة . فلا جرمَ كان الشاعر أحسَّ الناس وأعمقَهم حكمةً وأجمعَهم لخلال الخير وخصال الفضل — نقول الفضيلة والخير ولا نخشى أن يهزّ القُرّاء رؤوسَهم إنكاراً ،

فانَّ الشعرَ أساسهُ صحةُ الادراك الأخلاقي والأدبي ، ولست بواجدٍ شعراً الأوفى مَطاويه مبدأ أخلاقي أدبيٌّ صحيح ، وعلى قدر نصيب الشاعر من صحة هذا الادراك الأدبي تكون قيمة شعره ».
وقد صدق في كلِّ كلمة من كلماته . ولو صحَّ حكمكم أنتم لبقيتْ مع ذلك حقيقةٌ ناصعةٌ لاتُرَدُّ : وهي انَّ ماعَبرّْتُ به من شعرٍ عن حناني للطبيعة ووصفي إيَّاها ووصفي لمظاهر الفنِّ الشائقة من رقص ونحوه يتجاوز كثيراً نظم سوايَ ، ويفتح أبواباً فنيّة جديدة في الوصف الشعري ، فكيف تغمضون عيونكم ثم تجانبون المنطق السليمَ والعدلَ في أحكامكم ؟! عندكم في الرقص أمثلةٌ متنوعة للبلاغة الرمزيّة ، وأمثلة شائقة للبلاغة المؤثرة التي قد يعجزنا ادراك فصاحتها وانما نتأثر بها على كل حال باعتبار أنها فنٌّ صميمٌ ، وهؤلاء شعراؤكم الذين يزعمون التجديدَ الكلي وهم أحياناً أنكى على الادب من الرجعيين أنفسهم ـ هؤلاء شعراؤكم في حكم العجماوات لايحسّون بشيء من هذا ، ولا يعبّرون عنه ، وكلُّ همهم الجري وراء مقابح الفلسفة الالمانية دونَ حسناتها، أو وراء الشذوذ المتدلي والنبوغ المنحطّ في الأدب الذي يمثله بوديلير (Baudelaire) وأضرابه من عباد الخمر والأفيون والبَغايا . فاذا قال بوديلير في « أزهار الشرّ ـ Fleurs du Mal » برغبته المعروفة في مخالفة



بودلير : النابغة المتدلي

(صورة رمزية لاهواء الشاعر وشخصيته)

كلّ مألوف ولو كان جميلاً ـ اذا قال مخاطباً معشوقته :

I advance to attack , I climb to assault ,
Like a choir of young worms at a corpse in the vault;
Thy coldness. oh cruel, implacable beast !
Yet heightens thy beauty, on wich my eyes feast !

عُدَّ هـذا القول آيةً فنّيةً لالسببٍ سوى غرابته المريضة ، وأيُّ مرضٍ نفسي أقبح في التعبير من تصويره لِنَهَمِ نفسه ازاء حبيبته القاسية بنهم الدّود الزاحف على الجثة الباردة ؟! ليست المسألةُ مسألةَ معالجةٍ للشرّ أو للخير في الفنّ ، وانما هي مسألةُ ذوقٍ في التناول والأداء حتى تهشّ نفوسنا الى الأثر الأدبي . وهذا ميسورٌ باتقانٍ وبلاغةٍ دونَ الالتجاء الى هذه التعابير السقيمة القبيحة الدّاعية الى الاشمئزاز. فليست الحرية في التعبير بالتي تسوّغ القبح . على أني برغم هذا الاشمئزاز الذي يعتريني مبدئياً أتصوّر أخيراً شعور هذا الرجل المريض النفس وأقدّر انّ هذا هو احساسه الصّادق ، فيساعدني تصوُّر نفسيته على ادراك بلاغته وإتقانه فلا أنكر عليه فنّه . ولكنّ إحساسَهُ هذا لايعني أنْ أُخادع نفسي فأزعم انّ هـذا الفنّ المريض هو المثـل الأعلى للأدب ، وعندي في سواه الفنية التي تلائم عواطفي واحساسي ونفسيّتي .

فهذا التهوّر في الميـل الى الشذوذ المريض الذي ابتُلينا به أخيراً سوف يُفسد أذواقنا بدل اصلاحها ، ولن يخـدم الأدب مثقال ذرّة .

وبديهي انّ الأداء أو التناول عاملٌ هامٌّ في تكييف الفنّ أي في تأثير بلاغته . فهل أنا الذي قضيتُ على هذه البلاغة ؟ ! وهل حقيقي انّ لي أسلوباً علمياً ضيقاً في شعري ؟! لقد سمعت انّ أحد الزملاء الشعراء ينظم ملحمة في « البول السُّكري » سوف تُخلِّد تخليدَ ألفية ابن مالك في النحو ! ولـكنّي لا أعرف انّ لي شرفَ هذا الطبع ، أو أني أقدر على نظم بيت واحد من هـذا النوع ، وغاية علاقتي بالعـلم أن استوعبه في شعري استيعاباً على مايرى القـارىء في قصيدة « نقطة دم » (ص ٢٦٦) وقصيدة « أشعة الظلام » (ص ٢٣١) وقصيدة « حياتي » (ص ٤٦٥) .

فهل هذا الشعر الوجداني من العلم الجاف في شيء ؟! وبعبارة أخرى هل أرضختُ شعري للعلم أم استوعبتُ العلمَ في شعري فصار من صميم عاطفتي وايماني ؟! وأقول في غير غرور إنّ ذنب هذا النمط الذي يتفق وثقافة هذا الجيل هو انّه غيرُ مسبوق اليه ، لا اكثر ولا أقلّ ، دعْ عنك انّ صاحبه مصريّ وليس شاعراً جرمانياً مثلاً ! وهـذا المستر تريفليان (R. C. Trevelyan) صاحب كتاب

(ثامېرس ـ Thamyris) الذي يتساءل فيه عن مستقبل الشّعر يحثّ على التجديد الجريء وتناول حتى الهندسة والطبّ والاقتصاديات ونحوها في الشعر (راجع ص ٦٣ ـ ٦٤ من الطبعة الأُولى لكتابه) بأسلوبٍ فنّيٍ . ولا أراني فعلتُ غير ذلك من تلقاء نفسي في قصائدي التي استوعبتُ فيها شيئاً من العلم على البداهة وفي غير كلفة . فهل هذا ما أستحقُ الانتقاصَ من أجله بدل التقدير ؟!!

اذا صحّ التعويلُ على قرينةٍ واحدةٍ للحُكْم العام فاذنْ تكفي قصيدتي « السعادة وفلسفة سقراط » (ص ٣٠٧) لِيُقَال إنّي سقراطيٌّ في جميع شعري ، وتكفي أبياتي عن « شعر العلم » (ص ٢٤٣) أو قصيدتي عن المجهر الموسومة « رفيقي الكشّاف » (ص ٣٥٦) ليقال إنّ أسلوبي عِلْمِيٌّ مُحَدَّد ، ولكن ما هكذا يكون الحكم الشامل ! فعوامل شعري كثيرة ونماذجه متعدّدة ومادّته وفيرة ، والتحديدُ العلميُّ بالمعنى المفهوم لا يمكن أن أستسيغه بل هو مكروهٌ عندي . فهل وفرةُ العواطف وصدقُ النظرات وكثرةُ الموضوعات الوجدانية والنفسيّة والوصفيّة وتعابير الحياة التي أتأثر بها سواء اجتماعياً أو سياسياً أو أدبياً ـ هل ذخيرة كل

ذلك المتجلّية في آلاف الأبيات بهذا الديوان وفي دواويني السابقة يمكن أن تكون من أسباب اساءتي الى الفنّ ؟ !

قال صاحب (تاريخ الفلاسفة)[١] : « ومن العجائب انّ (سقراط) الذي دائمًا يحثّ الناس على العبادة ويعظ الشبّان ويأمرهم بالتباعد عن اللذات والشهوات يُحكم عليه بالموت بدعوى انّه كافرٌ بآلهة أثينا مفسدٌ لأهاليها ! لكنْ لاعجبَ حيث كان الوقت وقت اختلال في الدولة وكثرة الظلمة الحاكمين بها ، ولنذكرْ لكَ سببَ ذلك فنقول : كان أعظم هؤلاء الظلمة تلميذ سقراط المسمّى (اقرسياس) كما كان (القبياده) من تلامذته ، فزهدا في الفلسفة لما بها من المواعظ غير المناسبة لطمعهما وانهماكهما في اللّذات فتركاه ، فأمّا (اقرسياس) فصار أكبر أعدائه بسبب تشديده عليه في اللوم على سوء السير والظلم ، فلمّا صار من جملة الثلاثين لم يتمنَّ الاّ إعدامَ (سقراط) ، خصوصاً وسقراط كان اذا بلغه ظلمُهُ وعتوُّهمْ تكلَّم فيهم وشنَّع عليهم ...... ولمّا رأى هؤلاء الظلمة ما اشتهر به سقراط عند الناس من الفضائل أحبّوا أن يُمهّدوا للانتقام منه بتبغيض الأهالي فيه أولاً ، فأمَرُوا رجلاً يقال

(١) طبعة الجوائب ١٣٠٢ هـ ، ص ٨٠

له (أرطفان) بذلك ، فاخترع لهم حكاية طويلة سمّاها بالسّحاب [1] ، وهي كناية عن أمثال في تقبيح مَنْ يُظهِر خلاف باطنه . فلمّا اجتمعتْ الأهالي في ملعب عمومي صار يُنزل هذه الأمثال القبيحة على سقراط بسماع الأهالي . . . فانتدب عند ذلك (ميليطوس) وعرض نفسه وقال : إنّ ذنب (سقراط) كبيرٌ محتوٍ على ذنوب ، وذلك لأنّه لا يعتقد بآلهة « آثينا » واخترع آلهة غرباء ، ولم يكفه ذلك بل صار يعلم الشّبان احتقار أهاليهم وحكامهم فهو يستحق القتل » . بمثل هذه المغالطة التي أملاها الحسد وحبّ الاساءة وعشق السّفسطة شُوّهت سمعة رجل عظيم كسقراط وأُذيق كأس الموت ، ولكن هذا الضلال لم يدم وان جاء على أيدي أدباء يعزّزهم الأقوياء . فأنا الصغير لا يضيرني في النهاية نظير هذا التشويه لسمعتي الفنية : فصحائفُ شعري ناطقةٌ بأني لا أنظر الى الاخلاق نظرةَ الفقيه أو الواعظ الضرير كجزء من مَثَلي الأعلى للانسانية المستقبلة ، وأني أميل الى الاعتدال وأنفر من الغلوّ ، ومذهبي الفنّي موفِّقٌ بين آراء الكماليين (idealists) وآراء الواقعيين (realists) وهذا ما عَرَضتُهُ في قصيدتي « واجب الفنّ » (ص ١٧٨) ليكون

(١) The Clouds — راجع Aristophanes' Plays ترجمة J. Hookham Frere (ص ١١٣ — ١٧٤) .

هُدًى واضحاً لمن يسيرون معي في نهجي الأدبي ، فلا أنا مَنْ يرى أن الفنَّ محصورٌ في التقليد الصِّرف للطبيعة ، ولا أنا من يعتبره خصماً للأمثلة العُلْيَا الانسانية كيفما كانت ألوانها ، ولا أنا من يقول إنّ الفنّ اذا خالف علم الأخلاق لم يكن فنًّا ، بل كلّ ماأقوله انه لايكون فناً سامياً لمثلي وهذا لاينفي أن يكون فنًّا عظيماً لمن يتأثر به ، ولا أنكر « انّ الجمال ليس معنًى في الشيء نفسه بل معنى يوجده احساسنا وحواسنا » (١) . بهذا الشعور الجامع أنظر الى الجمال والفن ، وأعبّر عن احساسي في شعري تعبيرَ مَنْ يَرَى انْ الحقيقةَ موزَّعةٌ وليست محصورة في شيء واحد يقول به سقراط أو افلاطون أو نيتشه أو رسكن أو شوبنهاور أو غيرهم . فيُقال لي بعد ذلك إني مفسدٌ للفنّ !! أليس هذا الحكم على حَدّ إفساد سقراط للأخلاق ؟ !!

إن الحقيقة والجمال لمثلي ليسا بالمحدودين لا في الأشياء ولا في الاشخاص ولا في المذاهب . وقد يكون هذا الشعور خطأً ، ولكن هذا شعوري القويُّ وكفى . وقد تكون كتابة ونظم شوقي ومطران

(١) راجع « مبادىء الفلسفة » للدكتور رابوبرت وترجمة احمد بك أمين ، وكتاب R. G. Collingwood تأليف (Outlines of a Philosophy of Art) وكتاب (Selected Essays) لشوبنهاور ، وكتاب (Beyond Good & Evil) لنيتشه .

والعقاد وحافظ ابراهيم ومحب الدين الخطيب وأحمد الشايب وسلامة موسى والكرملي وصادق عنبر والرافعي وطه حسين وهيكل وخيري سعيد وعبد الحميد سالم واسماعيل مظهر وعلي أدهم وغيرهم من الكتاب والنقاد والشعراء المعروفين أدبياتٍ متنافرةً داعية الى خلق الأحزاب ، ولكنَّها لمثلي ليست كذلك ، لأنّي أتلقى منها جميعها ما يوافق نفسي وهواي من جمالٍ وفنٍ ، ولا أنظر اليها نظرة التعصب الأعمى . واذا انتقدتُ بعضها ـ ولو انتقاداً مرًّا ـ فهذا لايعني أني ضريرٌ ازاء ما فيها من جمالٍ وفنٍ ، لأني لا أعرف الحصرَ والتحديد في مثل ذلك . فهل يصحُّ أن يكونَ هذا إفساداً للفنّ ؟ !

(٥) لا أظنُّ أن أحداً يُنكر أنَّ شكوى الزّمان ـ وهي نَوْع من التشاؤم ـ متفشّيةٌ في الشعر العَرَبي ، فما رفعتْ هذا النوع من الشعر إذا كان غثًّا في ذاته ، كما أنَّ شعر التفاؤل المفعم بالاخلاص البليغ لم يَعبْه عائبٌ لمجرد اصطباغه بالرضى ما دام قوياً في فَنِّه . وهذا مُعاصِرُنا تاجور لم يقل ناقدٌ كبيرٌ عنه انه شعرورٌ بسبب تفاؤله وبسبب إنسانيته المتألهة (Godly humanism) ، بل

هو معدودٌ من أكبر شعراء العالم . ولم يقل أحدٌ بأنّ الشاعر المبتدع يجب أن يتقيّد بأمثلة سابقةٍ لشعراء كبارٍ أو صغار ، بل كلّ ما يُطْلَبُ منه أن يقدّم لنا من عُمق إحساسه ومن دقّة نظراته ومن حرارة عواطفه غذاءً لألبابنا ، وليس علينا أن نحاسبَه على المادة التي تَغذّى هو بها : أكانت أدبا أم عِلمًا أم فلسفةً ، فالذي يهمّنا أن يزفّ الينا هديته في صورة جذّابة شهيّة وإنْ لم نضمن له أنها سوف تروق لنا جميعًا ، لأن الذوق صلةً كبرى بالتأثّر وهذا الذوق مختلفٌ لدينا ، وحين ينعدم التأثّر ينعدم كذلك تقدير الفن .

ولا أظنّ أنّ حكمًا معتدلاً يقول بأن إبيقيورس (Epicurus) أساء الى الشعر بملحمته الكبرى « عن طبيعة الأشياء » (De Rerum Natura)[1] الجامعة المبادىء الخلقية الجليلة فضلاً عن تناولها مذهب ديمقريتس (Democritus) في الذّرات. وقد أشاد بذكره — كشاعرٍ وكانسانٍ ومفكرٍ — الدكتورُ ولدون كار (H. Wildon Carr) في كتابه القيّم عن النسبيّة (The General Principle of Relativity) — راجع ص ٧٣— ٧٤ من الطبعة الثانية . وما أنسبَ حديث رجل كولدون كار عنه ،

---

(١) راجع ترجمتها النظمية الانكليزية لوليم الري ليونارد ، طبعة Everyman .

فحديثه يذكّرنا بالنسبية وحقيقتها في أحكام الحياة وفي أحكام الفنّ وفي كل شيء ، فهي ألصقُ بمنطق هذه الدنيا من الغلوّ الذي لا ينظر إلاَّ الى وجهةٍ واحدةٍ ، ولا يَقبل إلاَّ حلاً واحداً أو حُكماً واحداً . فالنسبيَّة في النَّقد جديرةٌ بأن تكون مذهباً محترماً فنأمن زللاً كثيراً في الأحكام الأدبية والفنية من جزمنا بقواعد ليست في الواقع ما ينبغي وَحدهُ أن يُتَّبع .

ومن قبيل هذا التغالي أن نتصوّر أن الحياة لو خَلَت من الشرّ والهموم لما بقيَ للشاعر الوجداني متَّسَعٌ للشعر ، لأن الحياة لو خلتْ من كلّ همّ وشرّ وتسفّل لما حرمتْ الانسانية الأطماع العالية النبيلة والهموم الجليلة لفتوحاتها السعيدة المرجوَّة ، ولما بَخَلَتْ عليها بالأخيلة الجريئة لهناءةٍ أتمّ ، فتستمرّ هذه الأخيلة دون انتهاء ، وتتبعها كذلك الفتوحات دون سكون على ممرّ الأحقاب وكرّ الأجيال ، وحيثما بقيت الحياةُ بقي الشعر كيفما كان نوعهُ متأثراً بظروف بيئته . ومن العَبثِ أن نكتفي بتعاليلنا الفلسفية فنقول إنَّ الحرب العالمية مثلا نتيجةٌ لازمةٌ للطبيعة البشرية ولا نسترشد بتعاليل أخرى كما توصينا نظرية النّسبية ، وهذه التعاليل نستخرجها من علم النفس ، فلا يشقّ علينا حينئذ أن

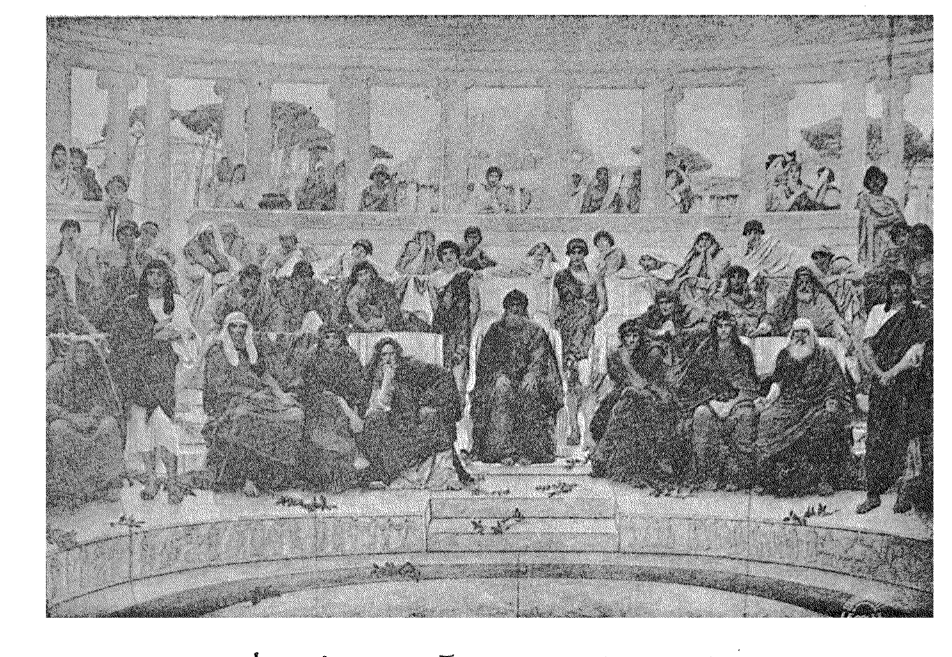
نتصوَّر كيف يكون مآل البشرية اذا أُلقيتْ زمام أمورها في أيدي رجال المال وأصحاب معامل الحرب (كما هو الواقع غالباً) بدل أن تكون بأيدي العلماء الاختصاصيين الذين يَبثّون روحَ الحقّ والتآخي الانساني لا الحذر والخوف والعداوة والانانيـة الحيوانية (كما نرجو في المستقبل القريب) . وليس هـذا حديث خرافة ، كما أنه ليس بالوهم انَّ روحَ الثقافةِ العملية تَقْضِي حقاً على الإجرام قضاءً كبيراً كما هو مُشاهدٌ في سويسرا مثلاً .

(٦) اذا أنت صاحَبْتَني مطمئناً مُخْلصاً في مناقشتنا السابقة واقتنعتَ بصحة نظري لم يصعب عليك أن تقدّر كيف ينبغي لمثلي أن يتناولَ الجوانب المظلمة في الحياة . فاذا لم تكنْ مقتنعاً فحسبي أن أوجه نظرَكَ الى أنّي لم أغفل أبداً هذه الجوانب ، إذْ لا يوجد شاعر مصري دافع عن الفلاح البائس الذي يكوّن أغلبية الشعب كما دافعتُ عنه من نَواحٍ شتى سواء في هذا الديوان أو في غيره ، ولي في ذلك مئات من الابيات ، وقد تناولتُ كذلك صُوَراً أخرى من بؤس الحياة وهمومها . كما أني لاأظنُّ أنَّ من « السقراطية » ولامن التفاؤل في شيء مرثيَّتيَّ للعلامة الدكتور

صَرُوف (ص ١١٠١ ـ ١١٢٠) ، على أنّي أعدُّهما من مظاهر ضعفي النفساني في وقتٍ شاذّ . وأرى أنَّ خير وسيلة لتناول هذه الجوانب إنّما يكون عن طريق الدّرامات والمآسي ، أي على لسان الغير لا على لسان نفسي التي اطمأنّتْ الى نوع من السعادة بتفاؤلها وبارتياحها الى مستقبل الانسانية ، وبتمجيدها للطبيعة الحكيمة ، التي تَضَعُ مصلحة النوع فوق مصلحة الفرد . والرجل الذي تصاحبه الأحزان والمآسي في جميع أدوار حياته فينوء تحتها زمناً ثم يتغلب عليها اخيراً لا يمكن أن تكون رُوحُ المأساة عنده ضعيفةً ، وانّما المعقول هو أنّه حرّر وجدانَه وأسعدَه بفلسفة نفسية أُلهِمَ اليها ، فرأى ذلك إكسيرَ سعادته وأحبّ أن يهبَه لغيره أيضاً . وهذه هي حقيقة حالي . فلو أني أردتُ التعبيرَ عن أحزاني تعبيراً مباشراً (كما أفعل نادراً) لما عجزتُ ـ وهذا ما يَشْهَدُ به صديقي الناقد الاستاذ سعيد إبراهيم ـ ولكنّ ما أعرفه كطبيب هو أنّ استمراري على ذلك سيُعيدني حتماً إلى انحطاطي العصبي الذي عانيْتُه قُبيْل رحيلي الى انجلترا . فلماذا أقهر نفسي بدل أن أقهر الحوادثَ والهموم ؟ ولماذا أُضيِّع اكسير سعادتي النفسية مِنْ يدي وأبثُّ السوداوية في نفوس هي أحوج الى بلسم العزَاء ؟ ولماذا أنشر رُوحَ الخوف والحذر والتشاؤم

والبغضاء والسخط على الدنيا وأهلها ؟ إنّ هـذا هو ما اقدّره كنتيجة للأسلوب المباشر في أمثال هـذه المواضيع . وما أراه أحجَى وأسلم هو الاسلوب الرّوائي وعلى الأخص الشكسبيري التمثيلي ، تاركا للنظارة أو للقُرّاء التأثر الايجابي بالخير ، والنفور من الشرّ ، والميل الى إسعاد الانسانية الشقيّة . وأما ذلك التصوير للجوانب المظلمة في الحياة الذي لا معنى له سوى تصوير ابن آدم في صورة الذئب الذي لا يمكن أن يُؤمَنَ إلا اذا كان ضعيفاً وعليلاً ، فلا شأن لي به ، لأنه يخالف إيماني العلمي بحاضر الانسانية ومستقبلها ، كما يخالف اعتقادي في أنّ معظم الصاخبين قصيرو النظر أنانيون ، لا يدركون حكمة الطبيعة وشغفها بالنوع قبل الفرد وسعيها الدائم الى الترقية والتجميل .

وفي الحياة من الدروس ما يغني عن كلّ أمثلة مدرسية مسطورة . وما المآسي الأغريقية بالمآسي الحقة على ما نفهمها في هذا العصر ، فتأثر الشعب الأغريقي بها يرجع أولا لبلاغتها الموسيقية ، ولأنّ فُرص تمثيلها كانت في الواقع فرص عبادة عجيبة الشهوة سلطان عليها . فلم يكن المقصود من تلك المآسي بث الحزن قدر اثارة الرّوع والرحمة كما هو شأن العبادات والدرامات الهندويّة (Hindo dramas) ، ولكنّ هذا لم يكن الاقصداً ثانويا ،



مشهد النظارة في المسرح الديونيسي بآثينا مراقبين تمثيل (أغاممنون)

(من نقش السير و . ب . رتشموند في متحف برمنجهام الفني)

وأما الغرض الأوّل فالغناء الديني الصّرف الذي يرتاح اليه النظارة . ثم ان فكرة القدر متسلّطة جداً على العقل اليوناني المؤلّف ، ونحن لا يرضينا مجاراة ذلك في هذا العصر ، بل نؤثر أن ننسب عيوبنا الى أخطائنا ولو كانت صغيرة ، فهذا أصلح لنا وأنفع من التعلق بالقَدَر وحده ولومه دون أنفسنا على نتائج غلطاتنا . ولهذا أرى أن هذه المآسي الاغريقية ليست حجة ضدّي ، فهي قطع أخلاقية شبيهة بالاوبرات يمتزج فيها الشعر بالموسيقي والرقص والغناء كعبادةٍ دينيةٍ ، فاذا كانت قد نفعت قدماء الاغريق فليس ذلك لما فيها من روح المأساة النسبية ، وانما لانها بثت جمالا فنياً كواجب ديني فهي اذن « أوبرات مقدسة » وليست تراجيديات ، فكانت بذلك وليمة ذهنية فاخرة لشعب مثقف في أوج حضارته الاولى .
واني أعلم ان لبعض النقاد الالمانيين آراء غير هذه في المآسي الاغريقية وأظن ان مترجم إسكيليس الى الانجليزية المستر جون استوارت بلاكي (John Stuart Blackie) لم يخطئ في تعريف هذه الآثار بأنها تحف فنية اذا روعيت ظروفها ونشأتها ، ولكنها لا تفضل على آثار شكسبير مثلاً . وما يهمني أنا في هذا المقام هو : (١) تبيان إجلالي للتأليف التراجيدي واعتباره خير وسيلة لاظهار جوانب الحياة دون التصنع ودون التعبير عن غير إحساس فيما لو اتبع

المؤلف الاسلوبَ المباشر الصادر عن نفسه . (٢) تقرير ميْلي الى هذا النوع من التأليف ، وانَّ سكوتي الحاضر بل انصرافي المؤقت الى سواه ليس معناه عزُوفي عنه . (٣) تقرير حقيقة المآسي الاغريقية التي لا اعتبرها مَثَلاً أعلى للتأليف التراجيدي ، خصوصاً واني لا أرى انَّ روح الثقافة العصرية تستدعي التشبُّثَ بالقَدَر والتغالي في تصوير دَوْرِهِ في الحياة . (٤) إظهار احترامي في الوقت ذاته للنُبوغ الفنّي اليوناني في التمثيل الشعري ، وأخصُّ بالذكر إسكيليس وروايته « أغاممنون » .

---

(٧) بديهيٌّ أنَّ شعر السخط والغضب والثورة له من اللهجة غير ما لشعر الهدوء والسلام والمحبّة ، ولن يُسمّي الأوّل قوياً والثاني ضعيفاً الاَّ من يفقد حاسة التناسب (Sense of proportion) فالواجب علينا أن نحذر هذا الزَّلل في أحكامنا ، لأنَّ لكلِّ فنٍّ قوَّةً ظاهرةً أو مستورةً تناسب موضوعه. وهذا يدعوني الى كلمة عن الديباجة والاسلوب اللغوي ، فأقول إني لم أحْرَمْ مَنْ يحْمَدون لي أسلوبي الى جانب مَنْ ينتقدونه . وبين الناقدين مَنْ لا يفهمون مطلقاً المقطوعات الشعرية الرمزية التي في هـذا الديوان ، أو قد

يفهمونها حسب ظاهرها دونَ رُوحها الفنّية . وهذا الفريق بين الادباء كثير العدد في مصر للأسف ، وهو ما يدعو الى التريث في التجديد ، حتى لا يكون الغذاء الطريف عسر الهضم لأذهان كثيرة . تُنْتقَد عليَّ مراعاتي للذوق المصري في تعابيري ، فدعْني أقول في غير تَرَدُّدٍ إنَّ هذا الذوقَ المصريَّ هو أكثر الأذواق أثراً في صقْلِ العربية العصرية ، وأقول غير مُدافعٍ انَّ الذوق المصري الذي أنجب البهاء زهير وابن الفارض ومصطفى نجيب واسماعيل صبري وأحمد شوقي وغيرهم من الشعراء المصريين المخلصين لروح بيئتهم هو روح الرقّة في التعبير غالبًا لا روح الجزالة التي تمتُّ بصلة أوثق الى العراقيين والشاميين . هذه الرقة تجدها في شعر البهاء زهير وفي شعر ابن الفارض وفي شعر شوقي المطبوع الذي لم يتطرق اليه التصنُّع اللغوي أو تكلّف الغَرَض ، وتجد السلاسة على الأقل في شعر حافظ بك ابراهيم المطبوع ، بينما تجد الجزالة والمتانة اللغوية القوية في نثر (البؤساء) المصنوع المتكلّف بمهارة . وقد تتناسب الجزالةُ مع شيء من سلاسة الاسلوب في الشعر الوطني وفي المراثي ونحو ذلك . وهذا ما أقرَّ لي به غيرُ قليلٍ من أساتذة الأدب العربي في مصر . وقد أخطأ من قال إنّي أقلد

مطرانا في أسلوبي ، فالواقع اني لا أقلد أحداً . وانّ تأثري بمطران شبيهٌ بتأثر غيري من المجدّدين به ـ وإنْ حاول بعضهم إنكار فضله عليهم ـ وأعني بذلك حرية تعبيره واهتمامه بوحدة القصيد . فهذه الحريّة في النظم هي خيرُ تعليم وخيرُ تراثٍ وَهبَه لنا مطران . وأمّا عن موسيقية النظم فقد تأثرتُ فيها بنظم شوقي بك الذي أعدّه ـ حينما يترك نفسه على سجيّتها ـ أعظم شعرائنا اللبريكيين ، ولن أبخسه حقّه هـذا من التقدير مهما اضطُرِرْتُ الى انتقاد ذبذبتِهِ الفكريّة وتقلّبه السياسي وجبنه الأدبي وغير ذلك من مظاهر ضعفه النفساني في مجال التأثير على شعره . وإني لا أنكر أنّ حافظ بك ابراهيم شاعر كبير بل أقدر شعراء الفكاهة والسخر في مصر اذا شاء ، كما لا أنكر أنّه شاعر البيان التام ولكني أنكر أن البيان هو دائماً البلاغة وخصوصاً البلاغة الفنّية ، وأنكر أن البهرج اللفظي عنوان الاتقان الفنّي والشاعرية بل أعده غالباً عنوان الفقر النفسي ، ولذلك أرى أن حافظ بك هو آخر من ينبغي له أن يتعرّض لبلاغة مطران الفنّية ، فانه لن يساويها ببيانه ولن يقرب منها في أي نوع من أنواع شعره . وهذا الاستاذ أحمد محرم (الذي يقدمه حافظ بك على نفسه والذي يُعدّ اسلوبه آية في الجزالة والمتانة العربية) يعجب أيما اعجاب بقوة مطران الفنّية ، ويقدّر ما في أسلوب

مطران من تجديدٍ شائق وبيانٍ جميلٍ وإنْ خالفَ المألوفَ .

ليس الشاعرُ مؤلف معجم إذ بآلاف قليلة من الكلمات يَستطيع أيُّ شاعرٍ مطبوعٍ جريء أن ينظم القصص والملاحمَ الشعرية الفاتنة ، وليست السهولةُ في التعبير معناها الضعف والركاكة فان هذه السهولة - كما شهدتْ بذلك نابغة شواعر الانجليز المس إديث سِتْوِل (Miss Edith Sitwell) - نتيجة جُهْدٍ فكري طويل في ذهن الشاعر الناضج . وهذه السهولة والبساطة المتناهية في التعبير وتجنّب الحذلقة وعرض بضاعة المترادفات اللغوية هي مما يتوخّاه شعراء الانجليز الناهضون وفي طليعتهم سيجفرد ساسون (Siegfried Sasson) صاحب « سياحة القلب - The Heart's Journey » وغيرها من الروائع الشعرية البليغة .

ولكن هذا المذهب لن يُرضي أصحابنا المغالين الذين يغالبون الذوقَ المصري ويحلو لهم أن يقولوا لنا « ما أُحَيْلَى ! » ، ويبهجهم أن يتحفونا بأمثال هذه المفردات : شماريخ ، يلملم ، هيثم ، مسبكرّ ، قشاعم ، تامور ، سحالة ، وَذِيلة ، مَزْؤد ، يحور ، الجديس ، الفيح ، الخنوط ، يُطبّي ، بَوق ، القحول ، التأطر ، البوغاء ، السّمادير ، الأفق ، الشّبابة ، الجؤار ، الرَّجَم ، الأواذي ، الشّطون ، المصرَّد ، المصطلم . ونحن لا نعارض في احياء هذه

الالفاظ وغيرها في الشعر اذا دعت الضرورة البيانية ؛ بل نعد ذلك خدمةً مشكورة للغة ، ولكننا نعارض في اعتبار ذلك غرضاً أساسياً للشاعر ، ونُعارض التصنُّع المؤدّي الى مخالفة ذوقنا الشعبي المحبوب ، وننكر القولَ بأن السهل الممتنع ضعفٌ وغثاثة ، وانَّ للكلمات الجوفاء الرنّانة والالفاظ الغريبة جمالاً وقوة لا نظير لها ولا أثرَ لغيرها ، ونصرّح بعد ذلك بأن لكل مقامٍ أسلوباً ومقالاً ، وان الشاعر الفنّان يميل بفطرته الى التَّنويع فالتنويع من مظاهر الفنّ . وكما أنه غلوٌّ غير محمودٍ أن تحكم بوأد قصيدةٍ لكلمة أو بيت لا يُعجبك فيها ناسياً الوحدةَ النظمية ، وأن تحكم بفساد ديوان لأن جزءاً منه لا يوافق ميولك في الأغراض والاساليب ناسياً أيضاً وحدة التأليف الذي بين يديك ، فكذلك من الخطل الكبير أن تحكم على شاعر بالموت الادبي لان أحد دواوينه لم يَرُقْ لديك ، متناسياً وحدة نفسيته وأدبه المتمثلة في مجموع تآليفه !! فان انت نسيتها فهذا لن يقضي عليها ، بل هي التي تُزجيه الى التنويع بحيث تتناسب تآليفُه المختلفة فتكوّن وحدةً مُنوَّعة مقبولة . وكيف تحكم على شاعر بالعجز في الشعر الغنائي مثلاً وتحسب حكمك عادلاً لمجرد اطلاعك على اشعار مرسلة له وجهلك ما عداها في دواوينه الاخرى ؟!

ان الأسلوب عندي هو نتيجة تفاعل فكري وروحي وذوقي بين الشاعر وبيئته ، وليس كل أسلوب فنّي يُفْهَم ، ولاسيما القصائد الرمزية التي للاضمار والتقدير نصيب فيها، وللثقافة عونٌ على تفسيرها، فقد تكون هذه القصائد آياتٍ فنيةً ولكن لا يفهمها إلاّ القليلون ويُرْمَى صاحبها بالغباوة أو التنطع ! وإخواننا المحافظون يقابلون عندنا فريقَ الحنابلة اللغويين عند الاوروبيين (Puritans) ، وهؤلاء يميلون الى استعمال الكلمات حسب معانيها الأصلية فتكون نتيجةُ ذلك إهمالَ الكثير من ظلال المعاني العصرية أو العجز عند التعبير . ولكنْ بينما صوتُ هؤلاء ضعيفٌ في الغرب ، نجد نُظراءهم عندنا يُحاولون التأثيرَ على جمهور الأدباء بحجة الغيرة على « لغة القرآن » التي يُسيئون هم اليها بجمودهم أضعاف ما نخدمها نحن بحريتنا المعقولة وتجديدنا . ولو تدبّر هؤلاء النُقّاد لأدركوا أنّ أعظم المشترعين في اللغة أثراً هم الشعراء والشعب ، لا المجامع اللغوية والخاصة إلاّ في العمليات العويصة . ولو انك درستَ (المخصص) لابن سِيدة لوجدتَ آلاف كلماته مصدرها دهماء العرب وأصحاب الحرف والصناعات والأعمال ، وما من تعبير جديد للحياة إلاّ ويبدأ به العامة غالباً ثم يصقله الخاصة بعض الصقل . وسرُّ ذلك أنّ العامة يعبرون بفطرتهم وبِحُرّيتهم

الكاملة عن شعورهم ، بعيدين عن كلّ تصنُّع . وكذلك حالُ الشعراء الأ في نزوعهم للفظ الموسيقيّ وصقلهم إيّاه من تلقاء أنفسهم اذا كان عاميّ الأصل أو دخيلاً ، ولذلك كان الواجب أن تؤخذ المفردات والتعابير الجديدة التي يوجدها التّطوُّر والحاجة عن المجدّدين من الشعراء ، لا أن تمْلَى عليهم من أصحاب القواعد والفتاوى التي لا يعرفون تطبيقها ، لذلك كانت خدمة تيمور باشا وسقراط سبيرو بك بجمعهما الكثير من الألفاظ والتعابير العامية خدمةً لغوية جليلة القدر لمن يعرفون الانتفاع بها من الخاصة .

واني اذا عذرتُ من لا يقدّرون قيمة الشعر المرسل والشعر الحر وتنويع الأوزان والابتداع فيها ، وأثرَ كل ذلك في تحرير التعابير الشعرية من القيود الثقيلة ، ودَفْعَها حُرّةً لتكوّن للأدب العربيّ شعراً دراميًّا قويًّا بعد أن حُرِمَ ذلك طويلا في ماضيه — إذا عذَرْتُ هؤلاء فاني لا أعذر من يجازفون بأحكامهم تبعًا للمحبة والكراهة (antipathy) لذاتِ الشاعر . وكم من اناس يتولد عندهم النفور لا لسبب إلاّ عداوة أصيلة في طباعهم لكل رجل جهير ، حاسدينه لظهوره في عمله ، وإن لم تكن لهم صلةٌ بذلك العمل ولا قدرةٌ على منافستهم إيّاه في مجاله !! فأمثال هؤلاء ليست لأحكامهم قيمةٌ عندي : أليس من بينهم من عدُّوا مرثيتي

للعلاَّمة صَرُّوف (ص ١١٠٦ ـ ١١٢٠) إفساداً للغة والأذهان الأدبية حينما عدَّها الشاعر الناثر الاستاذ أحمد الشايب معجزةً أدبيةً ، ووصفها إمام اللغة المتشدّد الأب الكرملي بقوله[1] : « انك لا ترى في جميع أبياتها خيالاً كاذباً ، او تصويراً وهمياً بل تُلفي الحقيقة مبثوثةً في ثنايا كلها بثًّا عجيباً » ، وحينما وصفها الاستاذ لطفي جمعه « بأنها من آيات الشعر العربي الحديث » !! أليس اولئك المتحذلقون المغرضون هم الذين وَصَمُوا الاستاذ عبد الرحمن شكري بالجهل بعد مدحٍ سابقٍ عنـد ما بلغهم انه اعجب بقصيدتي « في حضن الريف » (ص ٩٢٦) وَوَصَفَها بأنها « شعرٌ صافٍ ـ pure poetry » ؟! وابوا إلا ان يُقرِّروا انَّ هذا الشعر الوجداني المتصل بالطبيعة « دردرةٌ فارغةٌ » ! فهل امثال هؤلاء يُقام لهم في النقد الأدبي وَزْنٌ حتى يُشار اليهم في معرض الآراء ؟ !

لو صحَّ انَّ الأسلوبَ العربيَّ القويَّ قويٌ في كل وقتٍ لوجب مثلا ان نحتفي بكل ما وَعَتْه (مختارات ابن الشجري) و (ديوان الحماسة) و (جمهرة أشعار العرب) ، وأمثالها من

---

(١) مجلة (لغة العرب) م ٥ ج ٥ ص ٢٨٢

التصانيف لمختار شعر العرب المأثور ، ولكنّ الواقع ان حفاوتنا مقتصرةٌ على ما ناسب ذوقنا منها لفظاً ومعنًى ومرمًى . وسيختلف حتماً مبلغُ هذه الحفاوة من جيلٍ الى جيل .

قال المستشرق الشهير الاستاذ ادورد هنري پلمر ناقل البهاء زهير الى الانجليزية في تصديره للديوان (سنة ١٨٧٦ م) :
« . . . لكن نظم البهاء زهير ليس في البدهيّات والأمثال فقط يشابه أشعار شعراء أوروبا ، بل أكثر أفكاره تحاذي أفكار شعرائنا الانجليزيين في القرن السابع عشر بعد المسيح حتى لا يكاد أحدٌ من الافرنج يصدق انّها من مؤلفات شاعر مسلم من أيام بني أيوب . والظاهر أنّ أكثر أشعار المشرق ـ ولا سيّما أشعار الفرس ـ لاتخلو من التصنّع في الاستعارة ، والمبالغة في المدح والذم ، والبهرجة في العبارة ، وهذا كلّه عند أهل أوروبا غير مرغوب فيه ، بل يعدّونه من أقبح العيوب . وأمّا نظم بهاء الدين زهير فانك لاترى فيه غيرَ البساطة الطّبعية والايجاز ، على مافيه من حسن الاستعارة والمجاز الذي يذكر بغزليات هيرك الشاعر الانجليزي المعروف . وأمّا المقاطيع الرقيقة والنكات الدّقيقة التي كان شعراء الانجليز في أيام رجم دولة آل استورت مولَعين بها ، فالبهاء مالك زمام صناعتها ، كما يشهد لذلك قوله :

ويخفقُ حين يُبصره فؤادي ولا عَجَبٌ اذا رقصَ الطَّروبُ

وانْ كان المعنى مَطْرُوقًا كالموتِ عِشْقاً ووصف العاشق بالشهادة فنرى صاحب الديوان يزينه بأسلوبٍ جديدٍ ويأتي بنكتةٍ زائدةٍ كقوله :

فخذْ مرةً رُوحي تُرِحْنِي ، وإنْ أكُنْ
أموتُ مراراً في النهارِ وأُبْعَثُ !

وكقوله في موضع آخر :

أنتَ رُوحي وقد تملَّكْتَ رُوحي
وحياتي وقد سلبتَ حياتي
مُتُّ شوْقًا فأحْيِني بوصالٍ
أُخبرْ النّاسَ كيف طعْمُ المماتِ !!

فزادَ هـذا الكلامَ حُسْناً ، وكَساهُ رونقاً جديداً ، وقال جدّا مالم يقله غيره الاّ هزلاً . ثم في قرب الهرم وظهور الشّيب أبدع في المعنى وأغرب في الكلام حيث قال :

فقد انجلَى لَيْلُ الشبابِ وقد بَدا صُبْحُ المَشيبِ
ورأيتُ في أنوارِهِ ماكان يَخْفَى منْ عُيوبي !»

هذا شيءٌ من رأي الاستاذ پلمر في شاعرنا المصري التربية الذي يُمثّل ذوقَنـا الأدبي الأصيل أصدقَ تمثيل . وهو رأيٌ

شاركه فيه كثيرون من النُّقَّاد النافذي البصر في الأدب من عربٍ ومستشرقين . وحسبك شهادة من نوابغ شعراء العصر لأسلوبه السَّهل الخلاَّب ولديباجته السحرية ماقاله شوقي بك فيه من مدحٍ بمقدِّمةِ الطبعةِ الأُولى من ديوانه (الشوقيات) ، حيث وصفه بأنَّه « سيِّد مَنْ ضحكَ في القول وبَـكَى ، وأفصحُ مَنْ عتب على الأحبَّة واشتكى ، وحَسْبُكَ انَّه لو اجتمع ألفُ شاعرٍ يعزّزهم ألفُ ناثرٍ على أن يحلّوا شعرَ البها أو يأتوا بنثرٍ في سهولته لانصرفوا عنه وهو كما هو !! » .

هذا الشاعر العظيم المصري النشأة والرُّوح والديباجة هو مَثَلُنَا الأعْلَى في حُسْنِ الصياغة والتحرُّر في التعبير . وهو المبدع القائل :

بِرُوحي مَنْ أُسميها « بستِّي »[١] ! فتنظر لي النُّحَاةُ بعَيْنِ مَقْتِ
يَرَوْنَ بأنّني قد قُلتُ لَحْناً وكيف وانّني ازْهَيرُ وقتي !؟
ولـكنْ عادةٌ ملـكتْ جهاتي فلا لَحْنٌ اذا ماقلتُ « ستّي » !!

فهذا الشاعر الفنان الذي يؤثر الرقة على الألفاظ الضخمة الرنانة هو - في نظر اخواننا الحنابلة - ربُّ الغثاثة والركاكة والضعف

---

(١) اي بسيدتي .

والعامية وسوء الصنعة وما شئت أن تحصيه من عيوب ! واني أوثر أن أشارك البها زهير في روحه فأنال ذمهم على التنطع اللغوي في أسلوبي لأنال رضاءهم وتصفيقهم !!

(٨) وأخيراً لا بدّ لي في ختام هذه العجالة (التي ليست كلّ ما يسمح الفراغ ولا الوقت بأن يقال في موضوعاتها) من الاشارة الى الرأي القائل بأنّ أدبَ الأديب غيرُ شخصه ، وهو رأيٌ خالفته دائماً وانتُقِدْتُ من أجلِ هذه المخالفة ، فأقول انه يصحّ طبعاً من وجهة نظرية قبول مدح الفضيلة من الشرير وتقدير الغِنى من الفقير ، ففي الحالة الأخيرة يكون الفقير بأخيلته في بيئة الغنيّ ، وفي الحالة الأولى يكون الشرير بندَامتِهِ متقمّصاً نفسيةَ الخيّر ، ولذلك يكون أدبهما الوصفي غير مصنوع وله قوة التأثير ، وهذه أحوال شاذّة وليس فيها ما يناقض رأيي . ولكن الأغلب أن يجيد الشاعِرُ الفقيرُ بحرارة وألمٍ وصفَ الفقر ، وأن يجيد الشاعر الشرير وصفَ وتحبيذ ما نَعَدُّه شرّاً ، وهكذا يبرز لنا كلٌّ منهما نوعاً من الفنّ لمن يستملحه ولِمَنْ يرى فيه البلاغةَ والاتقان . ولكن هيهات أن يكون هذا الاتقان المؤثر في الأدب بغير اخلاص أصيل عند صاحبه :

لاخيرَ في أدَبٍ لمن لم يَتَّخِذْ مِنْ طَبْعِهِ طَبْعًا ومنه أُصَولاَ

ونحن اذا احترمنا أدب اسكار وايلد (Oscar Wilde) مثلاً فلشعورنا بأنه مخلص في شذوذه ، ولأنّ أدبه صورة نفسه الحقة ، فيساعد هذا الاعتبار السيكولوجي على احداث تأثرنا الفني . فشخصية الشاعر جزء من شعره أعظم من البحر والروي ، والاعجاب بأثر الشاعر اعجاب بشخصه أيضاً كما يتخيّله القارىء في شعره ، فاذا ضاع هذا التخيُّل الجميل عند افتضاح حقيقة نفسية الشاعر ضاع التأثير غالباً . ولذلك يحرص بعض الناشرين على ترك القُرّاء في أوهامهم منخدعين بالصناعة الى جانب تأثرهم بالحقيقة ، ويأبون حتى اذاعة صُوَر المؤلفين حتى يبقى تأثُّر القراء بالصُّوَر الخيالية التي في أذهانهم !!

وتبعاً لنظرية «أنّ أدب الأديب غير شخصه ، وانّ الفنّ مرآة متحيّزة » ، يسيغون للأديب ما لا يجوز لِنابهٍ مُستَقِلٍ من الرياء السياسي والأساليب المكيافيلية . وعندي أنّ الأديب يجب أن يكون فوق سفسطة وأكاذيب المداهنات السياسية والخداع والدّجل ، وإلاّ كان تاجر ألفاظ ومغالطات ، كما يجب عليه أن يعدّ نفسه مؤتمناً على الجمال الفنّي قوّاماً عليه ، سواء خصّ هـذا الجمال شخصَه أو غيره . وهيهات أن أُوافق على أنّ حياة الأديب

كفاحٌ ذاتي أي تنازعٌ في سبيل الظهور ، بدل البحث عن أنواع الجمال ووصلها ببعضها . فهذا التناحرُ الحيوانيُّ في سبيل ما يُسمَّى « بقاء الاصلح » تناحرٌ لا يليق بأهل الثقافة والأدب العالي الذين ينبغي عليهم إبراز أحاسنهم ، تاركين لقانون الاختيار أن يفعل فعله مع الزمن في غير قتال . والقول بأن ما لا يستطيع أن يقاوم الحملات غير أهل للحياة مقارنة مع الفارق . وليتَ شعري كيف كنا نحكم على الاسبانيين لو أنهم قضوا قضاءً تاماً على آثار العرب الفنيّة في الاندلس ، وعلى البولشفيين لو أنهم قضوا الآن على الآثار الفنيّة التي تخصّ الرأسماليين بحجة أنها غير أهل للحياة ما دامت لا تستطيع مقاومتهم ؟ !!

وبالله متى كانت حياةُ الفنان متوقّفةً عدلاً على قدرته على ردّ دهاء خصومه وألاعيبهم الشيطانية لا سيما اذا كان رجلا حيّياً رقيقَ الاحساس عظيم التأثر ؟ !

أمّا انّ الفنَّ مرآة غير متحيزة فخطلٌ آخر ، لأنّ هذا جانبٌ من الفنّ وليس كلّ الفنّ ، وإلاَّ فلدينا إذن فنُّ الواقع نصيب المقلد أو المرآة ، وفنّ الخيال ـ أي المثل العالي ـ نصيب الخالق المبتدع ، ولا شك أنّ الفنّان الخالق (كيفما كان لونُ مَثله الأعلى) أعظم من الفنّان المرآة ! إذ شتان بين ذلك الذي يكتفي

بتصوير الحياة بما فيها من خير وشرٍّ ، وبين ذلك الذي يخلق الى جانب هذا أو قبله مثلاً عاليًا مُسْعِداً مُلهماً من تفكيرهِ وإحساسِهِ ، وان يكنْ خيالاً في خيال ! ؟

أحمد زكي أبو شادي



« الفن هو طريق الخالق الى عمله » .

(Emerson – امرصن)

« الشعر نفس المعرفة كلها وروحها الرقيق ، فهو التعبير الحار الذي يجلو العلم . »

(Wordsworth – وردزورث)

« يجب ان يكتب النقد للجمهور لا للفنان . »

(Wm. Winter – وليم ونتر)





فصلٌ ختاميٌّ

« ما عدا امثلة نادرة لايمثل النقاد سوى سلالة غبية خبيثة . وكما يتحول اللص المفلس في بأسه الى خفير ، كذلك يتحول المؤلف العاجز الى ناقد ! »

الشاعر شلي (Shelley)

« النقاد هم عادة اناس كان ينتظر ان يكونوا شعراء ومؤرخين وكتاب سير لو استطاعوا ، وقد جربوا مواهبهم في هذا او ذاك ففشلوا ، ولذلك انقلبوا نقاداً ! »

الاديب الشهير كولردج (Coleridge)

« النقد كالشمبانيا : لا يوجد ألعن منها اذا كانت رديئة ، ولا افخر منها اذا كانت جيدة . »

الاديب كلتون (Colton)

بين اليوم والغد

بقلم الناشر

أريدُ بهذا الفصل أن أختم الدّيوانَ مُستعرِضاً صفحاته كما يُستعرَض الشريطُ الفضيّ (شريطُ السينما) ـ في غير تباطؤ مملٍّ ـ لفائدةِ المتأمّل الناقد، ولعلك توافقني على أنّه لاغنيً عن هذا الاستعراض الختامي لمثل هذا التأليف الضّخم استثماراً لثروتِهِ.

يقع شِعرُ هذا الديوان (أي ماخصّ صاحِبهُ) في نيف وستين وسبعمائة وثمانية آلاف من الأبيات، تضمّنتها ثمان وسبعون واربعمائة قصيدة ومقطوعة جامعة لفنون شتّى من الشّعر. وقد صدّرته بمقدمات ثلاث، وأتبعتُ القسم الشعري بنظرات وملاحظات حرّة للأساتذة المجدّدين: أحمد الشايب، ومحمد سعيد ابراهيم، وسلامة موسى، فتألّفَ من ذلك ديوانُ شعرٍ ونقدٍ وأدبٍ عام متنوّع المضامين، متماسك الأجزاء، مستقلّ الصّورة والنّزعة.

والغَرَضُ من هذه الابحاث التحليلية التي يُقدّرها عارفو الأدب الأوروبي والمستشرقون هو تنبيه الأذهان الى الدّراسة الشعرية النقديّة، والحث على التجديد الصادق والاصلاح الأدبي،

والاعتبار بتاريخ الشعر العصري في مصر على الأخصّ ، وبما أصابه من تقلُّبات ، بحكم الدوافع الشخصيّة التي لم تُبالِ بخدمة الشعر ذاته قَدْرَ خِدْمَةِ المجد الشخصي . فهذه الأبحاثُ المفيدةُ إذنْ مجموعةُ أدبٍ حرّ ونقدٍ وتاريخ متّصلةُ الأجزاء ، وغايتها خيرُ الأدبِ والفنّ الصُّراح .

وقد أشَرْتُ ـ رَدًّا على تحامل الحسَدِ والجحُود وإسفافِ المُغْرِضين ـ الى أنّ ما تضمَّنَتْهُ هذه المجموعة الشعرية النفيسة من ذخيرةٍ أدبيةٍ كافيةٌ وَحْدَها لوضْع الشاعر في الطبقة الأولى من شعراء العصر ، ولولم يَجْن عليه تفرُّدُهُ أو شُذُوذه جنايةَ نظيره على ابن الرُّومي في زمنه ، فانّ شوقي بك وحافظ بك ابراهيم وأحمد افندي محرم وغيرهم من مشاهير الشعراء الذين يُعَدّون في المرتبة الأُولى بين شعراء العربية ما بلغوا سابقًا تلك المنْزلة الا بأقلّ من هذا الانتاج العظيم في القدر والمقدار .

بَيْدَ انّ شاعرَنا لا يَزال في منتصف العقد الرابع من عمره ، وإنْ كانت مرانتهُ الشعريّة ترجع الى أكثر من عشرين عاماً بحكم طبعهِ الشعري الأصيل الموروث . وأجملُ ما في خُلقه انه ـ وهو المعتدُّ الواثقُ بنفسه ـ غيرُ راضٍ عن إنتاجه الحاضر ، وكثيرُ النقد لنفسه بنفسه مع احترامٍ كلّي للنقد الشريف ، وهذه صفةٌ

طيبةً وعلامةً حسنةً ، لانّها ستبقى ـ لامحالةَ ـ دافعةً له الى العمل وزيادة الأجادة حُبًا في بلوغ أسمى ما يُستطاع من كمال في إنتاجه المتجدّد المطبوع . ولولا الاعتدادُ بالنفس لما أقدمَ أيٌّ نابغةٍ على عمل شاقّ عظيمٍ ، كما انه لولا حُبُّ الاتقان والانتقال من الحسن الى الأحسن ولولا عدم الرّضاء بالحاضر لما كان للمستقبل أملٌ .
وشتّان بين الاعتداد بالنفس لدى الطامح الى « المثل الأعلى » وبين الأباطيل والغرور ، فانّ الفرد المغرور بذاته ـ بخلاف المعتدّ بنفسه المُجِدّ ـ يتوهّم غالبًا انه في غنيً عن جُهدٍ آخر ، وأنّ فتوحاته ـ على قلتها أو كثرتها ـ لم تترك مجالاً لفتحٍ جديد !
وكثيراً ما صرّح لي شاعرنا بأنّه لاينتظر أن يرضى عن نفسه قبل سنوات ، وربّما لم يكن رضاؤهُ كاملاً وقتئذ ، لأنّ مجالَ العمل والاتقان في نظرهِ واسعٌ ، وهو لايشعر بأنّه أدّى الفرْضَ الواجب عليه ، وإنْ افتخر سواه بما هو دون آثاره بكثير . . .
وأخصُّ مجالٍ للعمل والاصلاح تدعو الحاجة الى توجيهِ الجهود الشعرية اليه الآن إنّما هو المَسْرَحُ المصري ، أي الى الدرامات والمآسي الشعرية والأوبرات ، فضلاً عن القصص العصْري الاجتماعي .

— ٢ —

وما أحسبُني مُبالغاً في اعتقادي انّ الدكتور أبا شادي أكثرُ شعرائنا تحصُّناً أو مناعةً من هجمات النَّقدِ المُغرِض لانّه – وهو الجمُّ الخصب الذهني ، المبدعُ المنجب الكثيرُ الانتاج ، بل الذي لا يُبَزُّ في قُوى الوصفِ والتَّخيُّل والتَّحليل والقَصص الشّعري – لا يقبل أن يعيشَ على ذكرى آثاره الماضية ، وانما يعبأ بآمال المستقبل فقط ، وكلما ازداد علماً زاد شعوره بعجزه وتطلعه الى المثل الأصلح ، فاذا أشار الى ماضي آثاره فلأنها صُوَرٌ عزيزةٌ من شبابه ، واذا تحدّث عنها أو افتخر فانما في موقفِ الدّفاعِ فقط عن جهْدِهِ أمام حملات المغرضين (وانْ عدّه في أقصى ضميره جُهْدَ المقلّ العامل) ، وفي موقف الدفاع عن حُسْنِ طويّته وشرف مقصده ، وعن تفانيه في حبّ وطنِهِ وعلمِهِ وفنهِ . ومَنْ كانت له هذه العقليّة الحصينة فمن الصعب جدّاً أن ينـال منه التّحامُلُ والتّجريحُ والتشهيرُ مهما أنفق حاسدوه في هذا السبيل بمناوراتهم ودسائسهم من مالٍ وجهد ، بل قد يشجعه القدح أضعاف ما يشجعه المدح ... ! فلا محلَّ إذنْ للعجب اذا لم تُثبِّط المعارضة هِمّـته بل كانت داعياً الى شحْذها ، ولا غرابة اذا كان مِثلهُ أوّلَ مَنْ يستفيد

من النقدِ الصحيح ويرحّب به، بينما كثيرون غيره يفزعون من النقد الشريف ويعتبرون الناقدَ النزيه خصماً لهم! ! وقد شبّهتُ شاعرنا مرةً بالجنديّ التركيّ الذي ليست له وقائعُ هجومٍ ولا يميل الى التحرش بأحد ، ولكن له مواقفُ دفاع لا تنسى ... فشاعرُنا مَنْ يعشقُ الادباء ومجالسَ الأُدباء ، ومَنْ يُفتّش عن حسناتهم ويُذيعها لشغفه الدائم بالحق والجمال ، ومَنْ يقترح ويشجّع ويساعدُ بكلّ تسامحٍ واخلاصٍ وغيرةٍ ، ومَنْ لا تأسرُهُ النُّعرة الدينية أو المذهبيّة أو السياسيّة ، بل يُقدّس الاخاء الانساني تقديسه للعقل والجمال وشرف الذهن والحرية ويحبّ الأُدبَ والادباء حباً جمّا ، كما يُحِبُّ العلمَ والعلماء ، وكأنهم جميعاً اخوانٌ في الماسونيّة التي ينتسبُ اليها . . . ولكنّه اذا هُوجِمَ بعنفٍ وتحاملٍ فهو سيّدُ مَنْ يُسدّد القلمَ حاذقاً ماهراً الى رؤوسِ ناقديه المتحاملين والى صدورهم تسديداً علميًا فتّاكاً بأسلوبٍ محكم قدير ، وخيرُ مَنْ يرتجل خطبةً نقديّةً ردًّا عليهم تُنبئكَ انّ صاحبَها الشاعرَ استاذٌ أيضاً في النقد الأُدبي لا يُشَقّ له غبار ، بل إمامٌ ضليعٌ في طريقته النقدية التحليلية التي لا تترك كبيرةً ولا صغيرةً دونَ فحصٍ وتشخيصٍ . فاذا ارتدّ امام ردّهِ أشدُّ ناقديه تعنتاً فليس في ذلك ما يَعيبهم وإنْ كان فيه ما يُشرّفه ، لأنّ الرُّجوع الى الحق فضيلة ، ولولا هذا

الجحودُ وهذا التحاسدُ المتفشّي بين الأدباء في مصر بحيث لا يكاد يغنم الأَ من كان متصنّعاً للعظمة والتّعالي ، أوصاحبَ مال أو سطوة أو نفوذ اجتماعي ، أو كاتباً مهوباً في صحيفة من الصحف ـ لولا هذه المقاومة التي تجعل الأديبَ النابغة المتواري غريباً في وطنه مُساءً إليه لما احتجنا الى كلمة ردّ أو دفاع أو تقدير نرى انّ شاعرنا أسمى منها قدراً . ولكن اصدقائي الأدباء على كل حال أظهروا ارتياحهم العظيم الى هذه الدّراسات التحليلية المفيدة سواء خصت نفسية الشاعر أو نظمه لأنها طريفة في أدبنا العصري وقد شحذت الأذهان للتفكير والبحث الجدي المنتج . ومِنْ قبيل الرجوع الى الحقّ ما كتبه الناقدُ المعروف « قدامة » في صحيفة (الذوّاب) بالعدد الثاني من المجلّد الأول في موضع المقارنة بين أبي شادي والزّهاوي . قال : « وانّا لنرانا مُطالبين بالاعتذار الى ولدنا الدكتور أحمد زكي أبي شادي بن صديقنا المرحوم الاستاذ محمد بك أبي شادي عما غمزناه به في أعداد (السياسة الأسبوعية) في كفاءته الشعرية وفكرته الفلسفية ، فانّه وايم الحقّ لاخلى شاعريةً وأقدمُ فلسفةً من ذلك الذي لايستحي أن يهذي ويهذر حيث نبغ حمّاد وبشّار ، وعلى كثبٍ من قبر الشريف الرضيّ ومهيار » ...

وكان بودنا لو انَّ هذا الاعتذار من حضرة «قدامة» لم يكن علي حساب الزَّهاوي الذي نرى أنّه لا ينْكَرُ أدبُهُ وفضلهُ وتعمُّقُه الفلسفي هذا الانكار في حقٍ وعدلٍ.

— ٣ —

وبهذه المناسبة أُصرّح مرةً أخرى بترحيبي الكلي وبترحيب الشاعر بالنقد الأدبي البريء الذي يَرْمي صاحبُهُ في غير محاباةٍ ولا مواربةٍ الى خدمة الأدب ذاته، والى ارشاد الشاعر الى بلوغ مرتبةٍ أرْقى من الشاعرية والبيان لا الى وضع العراقيل في طريقه. وأما قَلْبُ الحقائق أو القدْحُ المغرضُ الذميمُ الدّاعي الى الهدم أو التشدُّق بأبجدّية النقد إسفافاً وافلاساً من الناقد العاجز فاما أن يكون مآله التحقيرَ والاغفالَ مِنا أو تلقينَ صاحبه درساً شريفاً لا يُنسَى في واجب الأديب الناقد، والقاءه في الهوّة التي حفرها هو ليقبرَ فيها عاثراً فضلَ الشاعر. ولا عتبَ علينا في سُلوك هذا المنهج لنضع حداً للفوضى الأدبية الحاضرة في مصر، ولعبثِ فريقٍ من الأدعياء بفنّ النقد الأدبي، ولتأجير أقلامهم لمن يدفعهم الحسدُ للنيل من كراماتِ أخيار الرّجال. وأُصَرِّح كذلك

بأنّ كلّ ما دوّنته في هذا الكتاب من نقد سواء لنا أو علينا لا يعني أننا نحتّم أن يكونَ الحقُّ في جانبنا دائماً ، وانما يعني رغبتنا الصادقة في خدمة الحق بالنقد الحرّ والتحليل الشامل ، حافلين بالمبادىء لا بالأشخاص الاّ حيثما اندمج الأشخاصُ اندماجاً في مباحث النقد .

— ٤ —

يمتازُ شعرُ الدكتور أبي شادي بين مميزات كثيرة (أهمُّها انّه شعرٌ انسانيٌّ عام) بترتيب الفكر وقوة الخيال نتيجةَ بحثٍ وتأملٍ ثم تنسيقٍ ، ولعلّه اقتبس ذلك من صحبة استاذه الجليل مطران على الأخص ومن تربيته العلمية ومن اطلاعه الواسع على الأدب الأوروبي . ويمتاز كذلك بجرأةٍ في التعبير ولطفٍ في الاشارات وحلاوةٍ في الأداء وهي ميزة ثانوية عندي ، ولعلّه أُشْرب ذلك من روح خاله الشاعر الناثر الفنان المرحوم مصطفى بك نجيب فضلاً عن عصبية مزاجه الحسّاس . ويمتاز بالصراحة والاخلاص والشجاعة الأدبية التي لاتعرف المجاملةَ في الحقّ مع أقرب الناس اليه ومع أساتذته وأصدقائه . ويمتاز بجديد المعاني والمباني الكثيرة وبالنكهة المصرية الجميلة وإنْ لم يقدر ذلك المحافظون وأشباه المحافظين .

ويمتاز بالثقة النفسية الهادية التي يُوحيها الامامُ المرشد الى مريديه ، وبالأمل البسّام الذي هو رسـولُ الاصلاح والعمل وتقديس الواجب . وهذا ـ وأقلُّ من هذا ـ داعٍ كبيرٌ لحفاوتي وتقديري لشعر أبي شادي ـ ذلك التقدير الذي تشاركني فيه جمهرةٌ عظيمة من الأدباء الصادقين المستقلين الذين يفهمون روح العصر ومعنى الجمال الفنّي ويردّدون معي قوله الذي يؤمن به ويطبقه :

وما كان شِعْرِي في نظيمٍ أصوغُهُ
ولكنّ شعري أن أكونَ أنا الشِّعْرَا !

— ٥ —

وفي الوقت الذي انتشرتْ الأنانيـةُ وقوي سلطانُهـا ودسائسُها واختال الجاحـدون للفضل لاترى الدكتور أبا شادي الاّ في طليعـة المقدِّرين المذيعين لمفاخر غيره في غير مجاملةٍ ولا محاباةٍ ، وهو الذي تشبّث بانصاف الشاعر العبقري الاستاذ عبد الرحمن شكري حينما خذله أصدقاؤه المنافسون . وهذا شوقي بك ذاته ـ رغم تقلّباته المشهورة ، ورغم اساءاته الـكثيرة للادب والادباء ، ورغم محاربته لـكل نابغة بواسطة أذنابه المأجورين ـ لم تؤثر طباُعهُ وتصرّفاتهُ هـذه في اعتراف الدكتور أبي شادي



خليل بك مطران

امام الشعراء المجددين

بنبوغه العظيم ، وكثيراً ما دافع عن مواهبه وأطراها امام من يغالون في نقده وإصغاره ، وأراد مراراً حصْرَ عيُوبهِ في دائرةٍ معُيَّنَةٍ محاولاً تقويمها . وبمثل هذا الشعور النبيل يذكر شاعرنا أدباء الجيل السابق وكبارَ شعرائه ، لانه يعدّهم اساتذةً له ولغيره ، ومن حقهم واجب الاحترام والتقدير لفضلهم ، وإنْ أصبحتْ لشاعريته الناضجة « شخصيةٌ » وأساليب وفلسفة وآراء ومناهج خاصةٌ به . وهو وإنْ تشبَّثَ باعتبار شوقي بك الزعيم لكبار الشعراء المحافظين في مصر على الاخصّ أو « أمير » الشعراء كما يقال، ونوّه كثيراً بأسلوبه الموسيقي، فهو كثيرُ الحرص على استثناء خليل بك مطران من جملتهم ، ويعتبرُ عدّ الناس اياه شاعراً محافظاً من قبيل الوَهْم الشائع ، فهو في عُرْفِهِ سيّدُ المجدّدين ومعلمهم الأول المتواضع الكريم ، والشاعرية مطران عنده منزلةٌ من السموّ لاتعلو عليها منزلة شاعرٍ عربيٍّ آخر بين المعاصرين . وهو الذي خصّه بقوله (ص ٩١) :

لو دِنتُ في أدبي لأ اف مؤدّبٍ   فأعزُّ غالي الشعر من (مطرانه)

وهذه صِفَةٌ كريمةٌ أخرى ينْهَدُّ أمامها النقدُ المغرِض ، اذْ انَّه من المستحيل اتّهامه عدلاً ببناء شهرته على أنقاض غيره أو على

حساب سواه ، بينما سيرته الأدبية كلها تسامحٌ وتعاونٌ ، وخدمات كثيرة للأدباء ، وتضحيةٌ ماديةٌ من جانبه ، وكرمُ أخلاق مجسَّم ، ونبوغٌ حقٌّ . ولذلك لم يَسَعْني ولم يَسَعْ غاري فضل الدكتور الأضحك — برغم الأسف — مما يُوَجَّهُ اليه مِنْ تحامُلٍ واختلاقٍ وتهديدٍ ، ومن محاولة الاصغار من فضله في صحيفة (الكشكول) وفي غيرها بمثل هذا الاتهام المنقوضِ من أساسه ، وبمثلِ هذه الطريقةِ السَّمِجة ، ولكن هو الغرضُ يُعمي ويُصِمُّ . . . .

— ٦ —

ولقد مرَّ الزمنُ الذي كان فيه الفردُ الممتازُ هو كلَّ شيء ، وأصبحنا في عهد الديمقراطية الذي فيه لكلِّ مذهب « مدرسة » وأنصار ، فليس بمستغرب اذا حفَّ بالدكتور أبي شادي كثيرون من أنصاره ومحبيه من الأدباء ، فدافعوا عنه ونشروا فضله في غير مجاملة كاذبة ، لاسيما وقد حاول المحافظون زمناً حصر نفوذه في دائرة ضيقة بل حاولوا دَفْنَه ، فلا عيبَ إذن في ذلك التعاون ، بل لمثل هذا الوفاء التقديرُ والاحترامُ ، وانما العيبُ في الاسلوب الأناني المخجل ، كأن يخصصَ مثل شوقي بك جانباً من دخله الطائل المتنوع لمحاربة مناظريه من كبار الشعراء بالأقلام المأجورة حينما

هم يقابلونه بالتسامح الكثير ، بل وبالاكرام في المناسبات العامة .
وكان الاخلق بمثله أن يتعفف عن ذلك ، وأن يكون مثال التعاون الادبي لا رجلَ التنابذ والحسد وحبّ الظهور المتواصل على حساب غيره ، وعابد التطبيل والتزمير والطنطنة التي لا نهاية لها ولا غاية مفيدة للادب ، فانّ مثلَ هذا التصرّف الغريب مما يُزري به بل مما يُزري بكثيرين من الشعراء المحافظين الذين قبلوا زعامته [1] ،

---

(١) بهذه المناسبة يعجبني تحليل الكاتب المصلح الاجتماعي الشهير هـ . ج . واز لصفات الزعامة الحقة في قصته (البحث العظيم) حيث برهن ان قوة الزعامة مستمدة من هذه الصفات : (١) تجنب الخوف ، (٢) تجنب الحسد ، (٣) تجنب التعصب ، (٤) تجنب الانغماس . وهذه صفات لا أرى لها أثراً للاسف في « أمير شعرائنا » المتشبث « بأمارته » ولا فيمن ينافسونه في هذه الامارة ويغالون في اصغاره حسداً ، ولا بد من حث صفوة شبابنا الناهض من الادباء والعلماء على التطبع بها ، والا فلا رجاء لنا في زعامة المستقبل ، وان تقوم لنا قائمة صادقة . بيد أننا لو أغضينا النظر عن كل ذلك لما ترددنا في النصح الى شوقي بك بانه يخدم نفسه والادب العربي الخدمة الحقة لو أنه تفرغ مثلا الى ترجمة (الاوديسة) شعراً كما ترجم المرحوم العلامة البستاني (الالياذة) ، فان هذا العمل أجدى وأصلح من الاعلانات الموعز بها ومن حفلات التكريم المصطنعة ، وان سندها الباشوات والاعيان الذين قاسموه نعمة الخديوي السابق ، وان تحايلوا على مجاملة الادباء لتمثيل تلك المهازل التي تخلّف في الواقع عصرنا الادبي بدل رفعه . ومثل ذلك الامر اكرم مراراً من التحايل على وزارة المعارف لتقرير شعره في مدارسها مقابل جزاء مالي بينما المستر برنارد شو الذي ليست له ثروة شوقي بل ولا جزء محسوس منها

وهذا طبعاً لا يرضينا حبًّا في الادب وكرامة له . وما كنّا لنشير الى هذه الحوادث في جهادنا الادبي لولا ما وُجِّه الينا من التحدّي والتحامل المتكرّر وما لا يزال يُوجَّه إلينا حتى يومنا هذا ، ولولا أنها قد غَدَتْ سرًّا غيرَ مكتوم ، وتحدَّثتْ عنها معنِّفةً في حقٍّ أكثرُ من واحدةٍ من الصحف الادبية المعروفة . وما أشرنا اليها الاَّ متضرّعين الى شوقي بك أن يحاول جُهْدَه التخلّي عن هذه النقائص والسفاسف والصبيانيات ليكون أهلاً للقيادة الادبية ، وأنْ يثقَ بأنَّ أشدَّ ناقديه المصلحين أكثرُ غيرةً على مصلحته الادبية من أكثر الناس غلوًّا في مَدْحِهِ وممن يشتري منهم بماله وبغير ماله قصائد اطرائه وحفلات تكريمه العجيبة ، لانّه بطبيعة الحال شاعرٌ مصريٌّ عظيم وإنْ عدَّه بعضُ حسَّاده شعروراً ، وما يُصيبُ سمعتَه مِنْ سوءٍ يمسُّ سمعة الادب المصري عامةً لدرجةٍ ما كما نخشى أن يغدو قدوة سيئـة لغيره من الشعراء ، بل قد أصبح فعـلاً تلك القدوة السيئة . والله يشهد أنّنا ما أصبنا ولا أصاب

يرفض جائزة (نوبل) لنفعه الشخصي ويطلب توجيهها الى نفع أدبي عام ! وهكذا أخلاق كبار الادباء في الغرب ، وهذا هو مقياس الفرق بين مصر وأوروبا ....

شاعرنا (١) من ورائه أذنَى مغنمٍ لا مادياً ولا أدبياً حتى نَهبه

(١) كثيرون يعرفون أن شاعرنا نصف عصامي في نشأته ، فانه لم يعتمد على ثروة والده في تعليمه الا الى حد محدود . دقضى اعتداده بنفسه وعزتها أن يعول على نفسه ، وأن لا يتقدم في مضمار العمل الا بعرق جبينه وجهده الشريف ، حتى أكد لي أحد أدباء مصر المعروفين ان ما أنفقه والده عليه طول حياته لم يتجاوز ايراد مكتبه العظيم عن نصف سنة ، مع انه كان — رحمة الله عليه — سيد كرماء مصر في وقته . . . فاذا كان هذا موقف الدكتور أبي شادي من نفس المرحوم والده المحب له البار به ، واذا كان المشهور عنه انه لايختلط بالناس مهما عظمت طبقاتهم ويؤثر العزلة ، وانه كبير الشمم طاهر القدمة قوي المبدأ لم يطأطيء رأسه لاحد ، واذا كان مثله لم يتملق حتى دولة سعد زغلول باشا — وان كانت له ولوالده المرحوم منزلة خاصة في «بيت الامة» — فمن باب أولى هو أرفع من أن يتملق أحمد شوقي بك بكلمة اطراء يوجهها اليه . ثما عززه يوماً الا باعتباره استاذاً من أساتذته ، والمتصدر لان يكون شاعر مصر الوطني فكان عليه واجب اكباره ونصرته ، فلما رأى تذبذبه الخبيث نحو النهضة الدستورية والحركة الاستقلالية وجه اليه في رفق قصيدته «الكوكب التائه» المنشورة في ديوان (أنين ورنين) فسخط شوقي بك سخطا عظيما ، ونسي مودة الدكتور أبي شادي له ، وعنايته بالدفاع عنه أثناء نفيه ، في الصحف الانجليزية وفي غيرها ، ومبالغته في رفع منزلته ، معتبراً نفيه سبة لادباء مصر جميعا حتى قال من قصيدة :

ولو بيدي وهبتك نصف عمري   فمثلك عيشه نفع محقق
ومثلك امة في ذات فرد   وعنوان لنهضتنا ومرمق
لئن عاداك من عادى وغالى   فقد عادى العظائم فيك أحمق !

ولكن شوقي بك أبى الا أن يكون هو الاحمق الذي يضيع بغروره صداقة الرجال ، فسلط على شاعرنا أذنابه الشتامين ، وخذل ثقة الدكتور أبي شادي به ، كما خذل فيما مضى جميع أدباء مصر الواحد بعد الآخر بدون استثناء ، حتى أولئك الذين يطاوعون — من مجاملة أو توريط — شهوة الظهور

المدحَ لحسناته المأثورة في الماضي أو الحاضر مغرضين ، وحتى يدفعنا الى نقده أيُّ دافع سوى غيرتنا على حسن سمعة الأدب المصري الذي يُنادي شوقي بك ليلَ نهار بأنّه امامهُ الوحيد بل امام الأدب العربي عامة ، ويبذل الغـالي والنفيس في سبيل الاعلان الدائم عن ذلك في الأقطار العربية وفي اجتذاب المشايعين ، حتى دفعته الغيرة أخيراً الى الايعاز بأقامة حفلة تكريمية له على مثال حفلة يوبيل « المقتطف » ولم يكفه انه قضى طول عمره في شراء حفلات التكريم !!

—٧—

ومن عوامل اغتباطي بنشر هذا الديوان وغيره من دواوين

المتشيع بها . . . وبلغت درجة سخط شوقي بك وحقده انه تجنب واجب العزاء العادي المألوف (ولو ببطاقة صغيرة) لاسرة المرحوم أبي شادي بك ، وكم كان يتزلف الى نفوذه الادبي ثم الى نفوذه « الوفدي » في حياته حتى أواخر أيامه ، وبذلك حكم على نفسه بنفسه حكماً صارما ، كما حكم على نفسه من قبل اثر وفاة الاستاذ الشيخ المهدي والاستاذ الـكباني بك لامثلة أخرى من هذه الحقارة النفسية فضلا عن حكم التاريخ عليه لتصرفه مع المرحوم الـكواكبي ... ومن كان هذا طبعه فالاولى به وبأصحابه أن يتواروا بدل اتهام أسيادهم في الاخلاق والفضائل والذمم بأنهم انما يمدحونه أو يذمونه طمعا في جاهه أو يأسا منه !! وهل يطمع في جاه شوقي ـ على ما هو عليه من الشح ـ الا أرباب الصحف الوضيعة التي جعلت نصف بضاعتها التمدح به بمناسبة وبغير مناسبة والاساءة الى بقية أدباء مصر ؟ !

أبي شادي القضاء على عبادة الأصنام وعلى الزعامات المصطنعة في عصر الفكر هذا . لأنه من السخف أن يشتهر شاعرٌ أو أكثر في غفلة الزمان بأبيات معدودة طلية منهوبة المعاني ثم يقف هو وأمثاله سدًّا في طريق كلٍّ تالٍ ولاحقٍ ، وان كان الأخيرُ صاحبَ كفايةٍ وفَضْلٍ ونُبلٍ . وهذا هو ديوان (**الشفق الباكي**) بين يديْ القاريء مزدحمٌ بمبتكر التعابير الجريئة ، وبصنوف المعاني المبتدَعة الجميلة التي تمليها العاطفة والفكر والفلسفة ، وبألطف الأخيلة والتَّصويرات ، وبأشرف الميول الانسانية أو القومية ، وبالنَّزعات السامية الى « المثل الاعلى » ، مما تتضاءل بجانبه آثارُ شوقي بك أو غيره في مقابل سنّ شاعرنا بل فيما بعد ذلك بسنين . وحسبي هذا منبّهاً للأذهان للانصراف عن عبادة الأشخاص والمراكز والظهور والثروة ، والى انّه لا بدَّ من قياس الشعر بمقياس فنّي خالص لا شأنَ له بالزّعامة المتكلّفة أو بالصِّيت المستَمَدّ من عطفِ حاكمٍ أو من قوّةِ مالٍ أو من نفوذٍ اجتماعي أو صحفي أو نحو ذلك ، ولتكنْ منزلةُ الأديب وكرامته مستمدَّتين من قوته النفسية

وحدها (١)

أتاحت الظروفُ لشوقي بك مثل المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان ليطنب في غزله :

خدعوها بقولهم حسناء ... والغواني يغرّهنّ الثناء
ما تراها تناستْ اسمي لمّا ... كثرتْ في غرامها الاسماء
إنْ رأتني تميل عنّي كأنْ لم ... تكُ بيني وبينها أشياء

(١) بينما كان شوقي وأمثال شوقي يتزلفون الى الوزراء وكبار الاعيان كان أمثال المرحومين الشيخ علي الليثي وعبد الله نديم وعبد الله فكري القدوة الحسنة في المحافظة على الكرامة ورفع منزلة الادباء في عهدهم . يروى عن الشيخ علي الليثي انه كان واقفا بباب الخديوي اسماعيل وخرج نوبار باشا ليوصل بعض السفراء ، فرأى الشيخ فحياه باحناء رأسه ، فأشار اليه الشيخ بأصبعه علامة على عدم القبول ، فضحك السفراء وعاد نوبار منضبا الى اسماعيل وقال : « يامولاي لقد اجترأ الشيخ علي الليثي علينا ، فقد حييته فأشار الي اشارة أخجلتني بين السفراء .. » فأمر به ، فلما مثل بين يديه قال : « كيف لم ترد تحية الباشا ؟» ... قال : « وحياة رأس أفندينا ما سلم علي ، ولكنني فهمت من هزة رأسه انه يقول لي : تناطحني ... فأشرت بأصبعي : كلا . . . لانني لست من طبقة ناظر النظار » ... !! فضحك الخديوي وأمر له بجائزة ! قارن بين هذه النفس الكبيرة وبين نفس شوقي الصغيرة التي شرح صغائرها المدهشة من تاريخية وعصرية الاستاذ العقاد في كتابه (الديوان) وان تتالى في مواقف ، كما تحدث عنها أحد كبار الادباء المؤرخين في مجلة (النواب) والاستاذ السندوبي في جريدته (الثمرات) بعد أن ساقه حسن الظن بشوقي ثم معاشرته اياه الى استكشاف عيوب وزلات له تكاد لا تصدق لولا تواتر الادلة على صحتها من كل جانب ، فأيقن حينئذ خطأه وانخداعه بمظاهر رجل كل همه بنيان مجده الشخصي كما انخدع غيره من قبل

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ   فكلامٌ فموعدٌ فلقاء

الى آخر هذه الأبيات المفككة المسروقة المعاني ، وقال للأدباء الشيخ المرحوم (عفا الله عنه) انّ بيت « نظرة فابتسامة ... » بيت رائعٌ لانّه جمع درجات الحبّ بين شطريْه ، كأنّما هـذه معجزة من المعجزات ، ولا أدري كم يسخر منّا أهلُ الأَدَب الأوروبي لو أننا ترجمنا لهم هذا الكلام التقريري الفارغ المسمّى شعراً ؟! واذا كان مثل هذا العبث معجزةً أدبية ، فماذا نَعُدُّ أبياتُ شاعرنا في قصيدته « أمتع الانس » (ص ١٢٥) التي سبقت اشارتي اليها حيث يقول في لذة الحبّ المعنوي :

تُسائِلُني عن أمتعِ الأُنسِ لذّةً
وما الأُنسُ حقّاً غيرَ إيناسِ غانيهْ !

تنازلتُ طوعاً عن وُعُودٍ بجنّةٍ
لساعةِ صفْوٍ منكِ بالحبِّ غاليهْ !

جمالٌ وتحنانٌ وَتِيهٌ ورقّةٌ   وعَطْفٌ وإحياءٌ لأحلى أمانيهْ

تَفَنَّنْتِ فيها عن غَرامٍ وسَكْرَةٍ
وأنعشْتِ رُوحي مِنْ قُطوفِكِ دانيهْ

وما الحورُ والولدانُ في مَعْرَضِ الهوى
وأنتِ منالُ اللذّةِ المتناهيهْ ؟!

أو قصيدته الشائقة « اذكريني » ، أو قصيدته «الزهر القتيل» ، أو قصيدته « النعمتان» ، ومثيلاتها في هذا الديوان وفي غيره من دواوينه السابقة ؟! واذا كان من الاعجاز قول شوقي بك (وهو الركن الآخر من الشعر الخبري الذي بَنى عليه شهرته) :

وانّما الأُممُ الأخلاقُ مابقيتْ ... فان همو ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

وقوله أيضاً :

وليس بعامرٍ بنيانُ قَوْمٍ ... اذا أخلاقُهم كانت خرابَا

ونحو ذلك من التقرير الخالي من الرُّوح الشعري خلوًّا تامًا كأنما هو حديثُ عابر سبيل لم يُعْنَ بالتفكير أو الخيال الشعري قدرَما عُنِيَ بالتسلية الكلامية قطعاً للوقت كيفما كان ـ اذا كان ذلك كذلك ، فماذا يُعدُّ قول الدكتور أبي شادي عن فلسفة الخُلق في قصيدته « عماد الأُمم » (ص ١٩١) :

ولم أرَ كالاخلاقِ مَظْهَرَ أمّةٍ ... وجوهرَها المُحْيي عزيزَ رجائِها

ولا مُبدِعَ [١] الاخلاقِ كالحرّةِ [٢] التي ... تُغذّي وتُنمي مِنْ طَهُورِ غذائِها [٣]

---

(١) مبدع : منجب ومنشيء (٢) اي كالامة الحرة .

(٣) اي الحرية . ولعل الشاعر يشير الى مثل الامة الانجليزية الحرة التي نمت دولتها العظمى بفضل الحرية الخلقية الناضجة قبل غيرها من القوى الادبية ، وقد عاش بين ظهرانيها زمناً طويلا .

وما العقلُ والعرفانُ في الأسر قُوَّةً

اذا كانت الأخلاقُ صَرْعَى بدائِها

وما أحسب فخر الأدب بأمثال هذا الشعر التقريري الصّرف ، وانما أراه ويراه صاحب الديوان أيضاً بالشعر الوصفي الفَنّي وبالشعر التمثيلي الراقي المرجوّ . ومن العبث ملء اذهان طلبة المدارس بتلك المنظومات الخبرية الشوقية التي لاغذاء فيها للأرواح والألباب ولا تنبيه للأذهان . وانّه لمن دواعي الأسف أن يكون خليل بك مطران وحده تقريباً المتفرّد بهذا النوع من الشعر الفنّي بين زملائه الشعراء « الشيوخ » دون أن يناله زَهْوُ الغرور ، وقد تُساوي مراراً احدى قصائده الفنّية هذه جميعَ ما نظمه شوقي بك وسالكو نهْجَه من امداحٍ مكذوبةٍ « وحِكَمٍ » مُلفقةٍ وأوصافٍ مُكرَّرةٍ وأخيلةٍ مبرقشةٍ لامعنى لها ، وإنْ استغفرنا الأدبَ لهذه المقارنة وأرجو ان لايَعتبر صديقي الدكتور أو غيره من مريدي شوقي بك هذه الملاحظة غلوًّا مني ، فقد تبدل الزمنُ وتغيرت كثيراً مقاييسُ النقد الأدبي .

وإني في الواقع لأشفق على شوقي بك وأتألم لاضطراري الى تكرار الاشارة اليه بحكم المنزلة التي وضع نفسَه فيها ، والتي

لا مفرَّ من التعرُّض لها في مثل هذا الاستعراض، حتى وإنْ شغل تلك المنزلة سواه، إذ ليس شخصه هو المقصود بالذات كما لا يخفى، بل إني أعني لشخصه كلَّ سموّ يقابل اخلاصه وجهده الأدبي الصادق اذا ما بذله. وما اشفاقي عليه الآ لأنه يتأفَّفُ من هذه الملاحظات النقدية المعقولة حينما لا يُبالي بتسليط نيران حسده أو غضبه بواسطة أعوانه على مَنْ لا ينالون عطفه أو يأبون أن يسيروا في ركابه سَيْرَ الأعمى ! فاذا ما دافعوا عدلاً عن أنفسهم ولولوا ّتهمهم بالغرور والدّجل والسخف وشنع عليهم دفاعهم ! وحسبك أن تذكر إنكاره لفضل خليل بك مطران وتسميته « اخوانيات » مطران وشعره الودّي والعائلي الرشيق شعراً « تجاريًا » [1] رغم تجلّي الفنّ في كلّ منظوم مطران على تنوُّعه، وكأنما نسيَ شوقي

---

(١) على ذكر ما سماه شوقي بك « بالشعر التجاري » (ناسيا قول الشاعر الحكيم : يا ايها الرجل المعلم غيره ...) انقل هذه الكلمة الفكاهية للاديب « ابن البلد » عن جريدة (السياسة الاسبوعية) المؤرخة ٢ اكتوبر سنة ١٩٢٦ بعنوان « شاعر أم مشعور أم متشاعر ؟ » . قال الكاتب : « لم يترك علماء اللغة عندنا شيئا عرفوه الا ضربوا فيه بسهم فبوبوا وفصلوا ونوعوا . ثم بالغوا فخصصوا وجعلوا لكل لفظ مقاما وفرقا . فهم اذا قالوا في الشعر مثلا جعلوا من لفظه مراتب وطبقات لكل منها مقامه وميزته ، لذلك يقولون في الشاعر المفلق خنذيذ ، وفيمن دونه شاعر ، ثم شويعر ، ثم شعرور ، ثم متشاعر . والآن بين يدي ديوان — أعني ديوان شعر — اسمه (ديوان أبي النجاة) ، فبماذا يلقب صاحبه ؟ واذا كان الكتاب يقرأ

بك تعفُّف مطران ووفاءه وعزَّةَ نفسه، حينما هو كان ولا يزال يدير لكلّ ريح غالبةٍ شراعَه ويتصيد المجاملات والمدائح وفرص الظهور كما فعل أخيراً على حساب تاجور . . . ! فأيُّهما صاحب الشعر « التجاري » ! ؟ وأيُّهما المتقلّبُ الذي يأسرُهُ حطامُ الدنيا [1] ! ؟

من عنوانه، كما يقولون، فسأنقل اليك ابياتا ثلاثة وضعها صاحب الديوان نفسه — ومن شعره طبعا — تحت صورته الفوتوجرافية « نفسها »، وانا ضمين بعد ذلك انك لا تحتاج الى مجهود لكي تختار له لقبا من الالقاب الثلاثة « رأس هذه الكلمة ». قال حفظه الله :

بلادي بلادي أحب بلادي	« طيب »
وادفع عنها العدو الالد	« جدعنة »
انا ابن لمصر، وبر بأمي	« فيك الخير »
فمن ذا يعنف هذا الولد ؟	« أبداً ما فيش حد »
فكيف أروح، وكيف أجيء	« لا تروح ولا تجي »
وأمي بأقسى القيود تشد	« اقعد جنبها »

هذا ولا أريد أن أبخس حضرته حقه، فان « لامير الشعراء احمد شوقي بك » في أول الديوان اثنى عشر بيتا من الشعر تقريظا للديوان. وأقل ما فيها هذا البيت يخاطب « صاحبنا » :

ودبوانا جلوت فكان راحي فضضت دنانه قبل السقاة

واذا كانت الابيات لشوقي بك حقيقة، حق علينا أن نعرف الشعر بأنه معنى في بطن الشاعر ولا يعرفه الا امراؤه الاشعرون ....!!

(١) من أعجب أمثلة الانانية الادبية والمادية سعي شوقي بك لدى وزارة المعارف لتقرر المختار من شعره على الطلبة بثمن معين تدفعه له، دون المبالاة بغيره من أكابر شعراء مصر، بينما « تاجور » شاعر الهند العظيم ينفق من ماله كثيراً على تهذيب أبناء وطنه وليس هو بأغنى من شوقي بك ! فتأمل !

—٨—

ويقيني أنه لو لا شغف المصريين المشهور ومن نحا نحوهم بالحلاوة اللفظية وبالجرأة في المفاجآت لما استطاع شوقي بك أن يُغَرَّ هذا الغرور بنفسه بينهم ، وأن يدَّعي أنه شاعرُ المشرقين معتمداً على ثروته غير المكتسبة ، وعلى خيلائه واعلانه المتواصل عن نفسه . . . وكان الأَوْلى به أن يكتفي بما حكمت له به آثارُهُ من منزلةٍ بالنسبة لسابقيه ولكثير من معاصريه في طريقته التقريرية البسيطة التي لا أعدُّها من كيان الشعر الراقي الفذّ ولا من روحه . وانك لو فتَّشتَ مجموعَ شعره لما وجدتَ قصيدةً فنيَّةً واحدةً بالمعنى الكامل مثل قصيدة « مملكة إبليس » أو قصيدة « ممنون الفيلسوف » أو قصيدة « الربيع » أو قصيدة « الرؤيا » أو قصيدة « الموسيقى » ونحوها لشاعرنا ، حتى ولا مقطوعة صغيرة مثل أبيات أبي شادي في « إلهة الجمال » و « مامون » و « أوراق الخريف » و « الفنَّان » و « الراقصة » و « عرس الأصيل » ونحو ذلك ، وانما تجد أبْهَى ما عنده من نوع قوله :

إرْفعي السِّتْرَ وَحيِّي بالجبينْ

وأرينا فلَقَ الصُّبْحِ المُبينْ !

مما فيه رنّةٌ موسقية فقط ، أي مجرَّدة من الخيال الفني المصوِّر المجسِّم ومن المعاني العصرية المستحدَثة . وبعد هذا ينتقد شوقي بك وأنصاره تفنّن أبي شادي – عن طَبْعٍ شعريٍّ مفطورٍ – ويأخذون عليه حتى ما يبثُّه في شعره من ظلال المعاني الجديدة المفردات القديمة أو ما يستحدثه من مفردات وتراكيب لها رُوحُ هـذا العصر ورونقهُ ، ويصفون « بالحشو » هذا الابداعَ من شاعرٍ فياضٍ مطبوعٍ يُنافي طبعُهُ الاصيلُ كلَّ تكلف وحشو ، كما يتجاهلون اطّلاع الدكتور اللغوي بل تعمقه المتواصل بدرجةٍ شاذَّةٍ في أديبٍ تربَّى تربيةً أوربيةً ، ثم يبنون على هذا التجاهل أوهاماً سخيفة من النقد !!

وقد تفشَّتْ نتائج هذه القدوة السيئة حتى بين من ينتسبون للتجديد وكنا نكبر آمالنا فيهم ، فاذا بنا الآن في عهد تنافسٍ قبيح على الزعامات الفارغة ، وفي زمن تنافس غير شريف مبدؤه انّ الغاية تبرّر الوسيلة ، وإنْ خسرَ الأدبُ ، فصار اللومُ غير قاصر على شوقي بك وحده وان كان هو السبب الاصلي لهذه الفوضى .

ولا أدري ماذا يقول القارئ عند مايقارن بين النظم الشوقي المذب الرنّان الذي لا تُجسِّمُ أوصافهُ شيئاً ، ولا تظهر لنا بواطنه ودقائقه ، وبين هذه الأبيات الوصفية الفنية البديعة لشاعر عربي

قديم :

سَقى العَلَمَ الفَرْدَ الذي في ظلالِهِ
غزالانِ مكحولانِ مؤتلفانِ
اذا أمنا التفَّا بجيدَيْ تواصلٍ
وعيناهما للرَّيْبِ مسترقانِ
أردتُهُما خَتْلاً فلم أستطِعْهُما
ورَمْياً ففاتانِيْ وقد رَمَيانِي !

لقد تَفَنَّن المتقدّمون في أساليب البلاغة والكلام الجامع وفي جعل اللغة والمفردات طوعَ ارادتهم في التعبير ، فقال أحدهم راثياً السلطة والعظمة :

قد خَطَطْنا للمعالي مضجعاً ودفنَّا الدينَ والدنيا معاً

فكان بيته هذا بمثابة قصيدة كاملة .

وقال آخر في ذم الشيخوخة ووصف مظهرها :

وأصبحتُ « كُنتِيًّا » وأصبحتُ عاجناً
وشَرُّ حياةِ المرء « كنتُ » وعاجنُ !

فاستعمل « كُنْتِيًّا » بمعنى شيخٍ مسنٍّ (نسبة الى « كنتُ . . . !) وشبَّه انحناء ظهره من الشيخوخة بانحناء ظهر العاجن ، وعطف لفظ « عاجن » في آخر البيت على « كنت »

وهكذا خالفَ قواعد اللغة ، ومع ذلك كانت هذه المخالفة من أسباب انشائه هذا البيت التصويري البديع ، بينما لدينا من المعاصرين من يقيم القيامة على ما دون ذلك بكثير من إباحات نظمية محسَّنة أو تراكيب مبتدعة ، وينسبها الى ضعف الأدب[١] ويكيل جزافاً الاتهام بالركاكة والغثاثة والقبح وافساد اللغة والشعر !

وقال أبو فراس :

ان زرتُ (خرشنةَ) أسيرا فلقد أحطتُ بها مغيرا !

فجاء بلفظ واحد هو كلمة « أحطت » لتصوير هيبته وجرأته التي كأنما تحاصر تلك المدينة ولو كان أسيراً فيها ! !

فماذا يطمح اليه شوقي بك وأمثاله من المحافظين وأشباههم المتمسحين بالتجديد ، المتقاتلين واياه على الزعامة ، من متابعة هذا الاسلوب؟ إنه في رأيي لم يأتِ بشيءٍ جديدٍ غالباً ، وما يُظنّ جديداً إنْ هو الأسرقات يعرفها المطّلعون ، وان انطَلَتْ حيلتُه على الغافلين

(١) لعل بعض سادتنا الجامدين يقتنع بان الابتداع في التركيب وفي استعمال الالفاظ قد يزيد البلاغة نصوعا وقوة أو ان فيه تنبيها خاصاً للاذهان لا غنى عنه اذا جئت لهم ببعض الشواهد من كتاب الله تعالى الذي نسترشد به . وحسبي أن أنظر الى « سورة الشعراء » مثلا ، وهي ما اتفق ظهوره أمامي عند فتح القرآن الشريف ، وأن أنقل منها هذه الآيات الكريمة :

« لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » — (باخع) هذا بمعنى

من القراء ! وخيرٌ له ولنا ألف مرة أن يوجّه جهوده بدل ذلك نحو الشعر التصويري والشعر القصصي الفني والشعر التمثيلي، فضلاً عن الشعر الانساني العام، كما يفعل شاعرنا وغيره من الشعراء المجدّدين في عالم الثقافة .

— ٩ —

نظم حافظ بك ابراهيم للأميرة نازلي بواسطة ابراهيم بك المويلحي هذا البيت ليُنسج على ستار خاص بخدرها أو غرفتها الخاصّة :

قاتل ، ولكن في مخارج حروفها قوة ليست في كلمة (قاتل) . فما رأيهم في صيغة هذه الكلمة وفي استعمالها وفيما سيأتي ذكره ؟

(٢) « قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين » — أرجه بمعنى أرجئه أي أخره أو اسجنه ، وحاشرين بمعنى جامعين للناس .

(٣) « قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون » — منقلبون هنا بمعنى راجعين

(٤) « وبرزت الجحيم للغاوين » — برزت أي كشفت .

(٥) « واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين » أي وذوي الجبلة الاولين، وهي بمعنى الخلقة والطبيعة .

(٦) « فيقولوا هل نحن منظرون » أي ممهلون .

فهذا الابتداع والاختيار الخاص للالفاظ واستعمالها بايجاز واكتفاء ومجاز هو من أسرار القوة فى هذه الآيات الحكيمة ومن دواعى الالتفات اليها ؛ ولو فقه هؤلاء السادة الجامدون شيئا من فلسفة اللغة لخففوا من غلوائهم كثيراً ، ولما أسرفوا في رمي سهامهم الطائشة . وقد نال هذا البحث اللغوي الانشائي كثيراً من عناية شاعرنا ، ولعله يوفق في المستقبل القريب الي نشر آرائه هذه من شواهد القرآن الشريف في كتاب مستقل .

نَسَجَتْني يدُ العفافِ ودُوني عِصمةٌ في غِنًى عن الأستار !

فسُرَّتْ به سروراً عظيماً هذه الأميرةُ الأديبةُ ، وأعطتْ المويلحي بك مائة جنيه جائزةً سنيةً . ولكننا لا نعلم أنَّ حافظ بك استمرَّ على هذا الأسلوب الوصفي المبتكر ، وما ذلك الاَّ لأنه تأثر برغبات المحافظين كما تأثر شوقي بك وغيرهما ؛ فكانت النتيجة أننا لانزال محرومين من أمثلةٍ كثيرةٍ للشعر الفنّي الذي يقوم فيه الخيال المجسِّم مقامَ الحقيقة ويقترن بالوصف التحليليّ ، لا أن يُكتفى بوصف الحقيقة المجرَّدة المحرومة من نفحة الفنّ . وشتان ما بين الشعر الشوقي المألوف وبين شعر مطران في قصيدته التي يمثل فيها تمثيلاً فنياً صورة « البراءة » (راجع صحيفة « النواب » المؤرخة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م .) . قال حضرة الاديب الفاضل ناشر تلك القصيدة : « ... وهناك ظاهرات أخرى في شعر الخليل أحببنا أن تكون على حدة وقريبة من أمثلتها . من هذه الظاهرات قِلَّةُ الاستعانة في التشبيه بآلات المعرفة ، وهذا هو المثلُ : قال في تخييل ما يحقُّ أن يُقام على قبر سَريٍّ كريمٍ قُتل في قصرهِ وتناولتْ ألسنُ السُّوءِ سيرتَه من بعدهِ بالمفتريات الظالمة :

تلك البراءةُ فلتُمَثَّلْ في حُلى عذراء تزهو بالجمالِ الخالبِ
وعلى ضريحكَ فلتُشيَّدْ صورةٌ مِنْ مرمرٍ صافٍ لتلك الكاعبِ

الصُّبحُ طلعتُها ، ومعدنُ حسنِها

(عمرهُ) ، وتاجُ الرأسِ عقدُ كواكبِ

الروحُ في قسماتها لُطفٌ يُرَى والجِسْمُ طُهْرٌ مُفْرَغٌ في قالبِ

قد شارفتك فلطَّفتْ بتبسُّمٍ عَذْبٍ مرارةَ دمعِكَ المتساكبِ

وبأنملاتٍ كالأشعةِ أومأتْ

تنفِي ظُنونَ السُّوءِ نفيَ غياهبِ !

وبأخمصٍ مُتَثاقِلٍ داستْ على

مُنْسابِ حيَّاتٍ سعَتْ وعقاربِ

رَمْزاً الى أهلِ السّعايات الأُلَى

فشلوا وباؤوا بالرَّجاءِ الخائبِ

فاذا استتمَّتْ واستوى تمثالُها

ملءَ العيونِ بحسنِهِ المتناسبِ

كُن مُلتَقى لأشعَّةٍ مِنْ لَحْظِها

تَرْمي بها عن قوسِ أرأفِ حاجبِ !

ولينقشوا لكَ صورةً يبدو بها

ما كان مِنْ عَجَبٍ بشأنِكَ عاجبِ !

نَقْشاً يُلانُ له الصفا وبه تُرَى
في شَكْلِ مظلومٍ أسيفٍ شاحبِ
تحت الجراحاتِ التي في جسمِهِ
أدمَى جراحاتِ الفؤادِ الذائبِ
جاثٍ على أقدامِها، بلغ الأسى
منه مَبالِغه وليس بغاضبِ
لا عمرُهُ المفقودُ عِلّةُ بثّهِ
كلاَّ، ولا نُعْمَى الثَّراءِ الذاهبِ
بل جورُ قومٍ كان فيهم غِرَّةً
للمستَعِزِّ وغُنيـــةً للطالبِ
أَدْرَوْهُ ما لم يدرِ قبلَ مماتِهِ
مِنْ صدِّ أحبابٍ وبُعْدِ أقاربِ
لم يَكفِهِمْ أن ماتَ حتى عكَّروا
بغبارهم جوَّ الشهابِ الغاربِ
وأشدُّ في التنكيلِ مِنْ كأسِ الأذى
وَضْعُ القذى في كأسِهِ للشاربِ!

يرى القارىء في هذه الأبيات صورةً تامةً حِسّيّةً ومعنويةً لتمثال تخييلي للبراءة في صورة عذراء طاهرة مبتسمة للمظلوم، مغرية

اياه ، مشيرة بيدها النورية الى نفي الظنون عنه ، دائسة بالأخمصِ المتثاقل ـ تثاقل الاحتقار والازدراء ـ حيّاتِ السعاية وعقارب المتقوّلين . ويرى القارئ حِسّاً ومعنًى عند أقدام هذه العذراء صورةَ المظلوم المقتول جاثية ، فيها جراحات الجسم ومن تحتها جراحات القلب ، وعلى الوجه الأسف والشحوب . فالأسفُ على جَوْرِ قومٍ وغدرِ أهلٍ كان فيهم عِزَّةَ المستعزّ وغنيةَ الطالب ، والشُحوبُ لونُ المقتولِ الذي استُنْزِفَ دَمُهُ وجُرِّع كأسَ الأذى بل كأسَ الرَّدى مشوبة بالقذى، فذاق النكالين : الشديد والأشدَّ . ولكن تمثال البراءة يعزّيه ويسرّي عنه لو أنَّ التماثيل تعزّي ، والعبرةُ تنطق من نواحي الصورتين لو أنَّ الناسَ اعتبروا بالصُوَر ... على مركبات نقل الموتى بعضُ صُوَرِ ملائكيَّة تستنزل الرحمات ، ولكنّ الشاعر أبى الاّ تمثال البراءة وتمثال المظلوم وصورة أهل السّعايات على القبر ـ والقبرُ المنزلُ الخالد ، والعبرةُ به أدوم من العبرة بتمثال (مَلَكٍ) يبرأ ، أي على مركبةٍ تقلّ الجثمانَ ساعتَه الى مقرّه الاخير . وصورةُ البراءة من المرمر الصافي، ولكنّ الشاعر أبى إلاّ أن يكونَ لها الصبحُ طَلْعَةً ، و (عمره) لها معدنَ حسنٍ ، والكواكبُ لها تاجَ رأسٍ ، ثم أبى إلاّ انه

يرى الرائي الرّوحَ لطيفاً في قسماتها، وجمعَ وشملَ وضمّ بعد ذلك فقال: « والجسمُ طُهرٌ مُفرّغٌ في قالب»، وهذا هو الترتيبُ الطبيعيُّ بعينه، والواقع في تبيُّن المرئيات يزري بتنبه المثال في استيفاء الصورتين المادية والمعنوية. ويلحظ معنا القارىء انّ المقطوعة - وهي أوصاف وتشابيه - لم تتضمن غيرَ كاف تشبيهٍ واحدة، فالصُّورَةُ الشّعرية من أوّلها الى آخرها مخلوقةٌ منظّمةٌ إذن في خاطرِ الشّاعر من قبل أن يبرز منها شيئاً في أول بيتٍ ».

— ١٠ —

إنّ الأدبَ السّليمَ لايعرف فوارقَ الجنسيّة ولا الدين ولا المهنة ولا السنّ ولا أشباهها، وفي الحقّ لامفرٌ لنا من أن نعترفَ بانّ الشّعرَ الذي يمثّلهُ أدبُ شوقي المصري المولد هو دون المرتبة الفنيّة التى بلغها شعر مطران السوري المتمصّر، وان بذل شوقي الكثير من جهده لتجسيم مزايا مصريته وتقبيح سورية مطران، وفي الحقّ لابد لنا من أن نعترف بأنّ معظمَ الأُدباء المصريين حتى بعض من ينتسبون الى التجديد مولعٌ بالالفاظ، وبالرّنة الموسيقية الجوفاء، وبالتقاليد وإنْ كانتْ خطأً في خطأ. ولذلك أكرّر في هذا الاستعراض أننا مالم نفقه تعريفَ الشّعرِ الفنّيّ،

ومالم نطبِّقْ ذلك التعريفَ بأمانةٍ تامّةٍ ، ومالم نُعطِ كلَّ ذي فضلٍ حقَّه من التّقدير ، ومالم نتخلَّ عن الفكرة السَّخيفةِ من أنَّ المفروض في الأديب أن لايكون صاحب مهنة ولو كان في زمرة أهل الكوكايين والدعارة ، فسوف نبقى طويلا في موقف التقهقر أو التردد أو الانحطاط الذي لايناسب حضارتنا وثقافتنا . والأَوْلى بنا أن نعترف بأنَّ الملكةَ الأدبيَّة وراثيةٌ (وان لم تكن مباشرة) قبل أن تكون نتيجةَ الدَّرسِ والاطلاع ، وانَّ مهنة الطبِّ التي لم تحل دون نبوغ أمثال الدكتور أبي شادي والدكتور فياض والدكتور شدودي والدكتور رفعت والدكتور ناجي والدكتور علي الناصر في الشعر والأدب عامة ، والدكتور شميّل في الفلسفة ، والدكتور سعيد نبيه والدكتور عبدالرحمن عمر في الخطابة ، والدكتور شرف والدكتور احمد عيسى في الأدب اللغوي ، والدكتور حسين فوزي في التأليف القصصي ، والدكتور صبري في الموسيقى ، ليست بحال خصماً للنبوغ الفنّي ، بل هي زميلٌ وفيٌّ مُعينٌ بغض النظر عن الاستعداد الفطري والمواهب الوراثية لأولئك النابغين ، وهاهي أمثلة ذلك في أوروبا وأمريكا تعد بالعشرات .

— ١١ —

وأملي أن يكون القارئ اللبيبُ قد اقتنع من تصفُّحِهِ للديوان بأنَّ صاحبه ليس من المتجرّدين غالباً وإنْ كان من المجدّدين تجديد الشاعر الانساني الحرّ المفكر ، فالتجديدُ غيرَ التجريد ، وإنْ هو الا سُنَّةُ كلَّ أُمَّةٍ حيَّةٍ ، بينما التجريدُ في الغالب من مظاهر الأُمَّةِ المقهورة ، أو التي لا تراثَ لها يُعتَدُّ به . وما التجديد بالمعنى الصحيح من علامات الضعف كما يحسب بعضُ النقاد ، بل على العكس أراهُ من أماراتِ القوَّةِ والغيْرَةِ على المنزلة القوميّة الأدبيّة ، وقد يكون المجدّد محافظاً في مواقف ومناسبات ، بينما المحافظُ المتعصّبُ لن يكون مجدّداً بل يؤدّي به تعصبه لان يكون رجعياً . وعلى كل حال فكما أن المجدّد في مجموع صفاته غير المحافظِ ، فكذلك المجرّد غيرُ المجدّد ، ومن نزعات المجرّد الهدم ، بينما نزعة المجدّد التعمير أو البناء بعد الهدم ، وقد يكون من فائدة الأدب تناظرُ هذه القوى الثلاث أحياناً . واذا كان القارئ في حاجة الى برهان اضافي فليقرأ قصة (مها) لشاعرنا وليقارنها بقصته (عبده بك) ، فيراه المحافظَ في الأولى نسبةً ، المجدّدَ في الثانية ، وبينما هو يلجأُ الى السهل الممتنع في الثانية ترى أسلوبَه الجزلَ ناصعاً في الأولى ، وترى

أنه علا بلغتها عُلوًّا كبيراً يتنـاسب مع ما في القصة من عواطف سامية ، ويتفق مع ما فيها من عِظات مؤلمة ، وكيف أنه أخضع نفسه لوزنٍ واحدٍ وقافيةٍ واحدةٍ في كل نشيد من أناشيدها ، فكان في ذلك إفحامٌ لسادتنا الجـامدين الذين يحسبون أنهم ألمّوا كلَّ الالمـام بأطراف الأدب ، ولم يتركوا شاردةً ولا واردةً فيه الاَّ وأحصَوْها ، وما دعاهم لذلك الاَّ بلادةٌ وضعفٌ عن التقدُّم أصيلٌ فيهم ! ولقد أجاد الاستاذُ فؤاد الخطيب حين قال :

وفي بلادةِ بعضِ النّاس فلسفةٌ

فلا تهمُّهمُ الدُّنيـا وما فيهـا !

وهكذا أحسن شاعرُنا صُنْعًا بمجاراة القوم بعض المجاراة ، فأسقط حجّتهم ووضع حدًّا لغطرستهم ، وطلع عليهم بدليل جديدٍ من ديباجته النقيَّة ومن قوة أسلوبه وتضلّعه اللغوي وجِدَّة تشابيهه الشائقة وتفكيره الانساني العميق . وهذا ما يحسّ به كلّ ذي فطنة وشعور عند تصفُّح هذا الديوان ، بل كلُّ من يشتهي تذوّقَ الأدب الناضج بخواطره وأوصافه وعواطفه وتأملاته وفلسفته التي لن يملّها الأديبُ المطبوع .

ولعلَّ مِنْ خَيْرِ مواقف الشاعر دفاعاً عن أسلوبه ومجهوده

وخطته قصائدُهُ البديعة « واجب الفنّ » و « نسب الشّعر » و « رسم الطبيعة » و « نقد الشّعر » و « جهد الاتقان » و « صداقة الأدب » و « الشعر والطب » و « شعر الثقافة » و « إلهام الشاعر » و « تأمّلات » و « الدنيا » و « جزائي » و « وفاء الدين » ونحوها ، فليراجعها القارىء ليرى كيف أنّ اعتدادَ الشاعر بنفسه ودفاعَه عن آثاره متّفقٌ مع طموحه الى « المثل الأعلى » ومتّفقٌ مع عدم قناعته بخدماته السابقة رغم قدرها المأثور . وهذا مبدأٌ مِنْ أشرف مبادىء الرِّفْعَةِ والتقدُّمِ ، خليقٌ بأن يستوعبَهُ أدباؤنا على تباين طبقاتهم ، وضمينٌ بأن يقضي على عادة الموازنة المكذوبة والتحاسد والتذبذب والتنافُر والكبرياء المصطنعة التي لم يربح الأدبُ من ورائها شيئاً مطلقاً . ومَنْ يتعامى بعد ذلك عن هذه الحقائق الشريفة القمينة بالحمد فانما يحكم على نفسه بالمكابرة وانكار الفضل لغرضٍ في النفسِ مما لا يليق بالأديب الناقد النزيه .

— ١٢ —

قلتُ إنّ شاعرنا رغمَ اعتدادِهِ بنفسه ورغم ثقتِهِ بمبادئِهِ ورغم مجهوداتِهِ الكثيرةِ ليس بالقانع المتواني ، فهو يدعو الى الشعرِ الفنّي الصادق والى التخلّص من الأساليب التقريرية

التقليدية التي لاتناسب الروحَ الفنّيةَ العصريةَ . وله أن يسخر من الموازنات السخيفة بين كبار المعاصرين وفحول المتقدمين من الشعراء ، لأنّ الموازنةَ يجب أن تكون بين شعرائنا ومعاصريهم من الأوروبيين ، فلكلّ زمنٍ رجالهُ ، ومن العبث المقابلة بين شوقي والمتنبي ؛ أو بين مطران وابن الرومي ، أو بين حافظ والبحتري مثلاً ، وانما الموازنةُ النافعةُ الصادقةُ تكون بينهم وبين نظرائهم الغربيين ، وحينئذ يظهر لكل ذي بصيرةٍ مبلغ شغفنا بالقشُور قبلَ الالباب ، وكيف انّ الشّعرَ الأوروبيَّ العالي ليس عقُوداً من بديع المعاني والألفاظ فقط ، بل أيضاً صوَراً فنّيةً مبتدَعةً تجسيماً للحقيقة وإظهاراً لروحها وتقريباً لها نحو أفهامنا وأذواقنا وأخذاً بيد الانسانية . وقدْرَةُ الابتداع الفنّية هذه تكاد تكون معدومةً في الشعر العصري بين أبناء العربية . فهل يجوز أن نلامَ بعد ذلك اذا آخذنا مثلَ شوقي بك ـ وهو زعيمُ طائفةٍ كبيرة من الشعراء المحافظين حتى جرتْ العادةُ وقضت الحفلات المصطنعة بتلقيبه « بأمير الشعراء » ـ على تشبثّه (بالنسبة لروح عصرنا) بعتيق التراكيب والمعاني والأخيلة في معظم شعره ، وعلى ابتعاده عن الطريقة الأوروبية الفنّية التي هي أحسنُ قالب لشعر

القرن العشرين، وربّما لما بَعْدَه أيضاً ؟ من الوجهة الذّوقية الروحيّة

— ١٣ —

مِن العبث أن يتوهم اخواننا المحافظون انّ الـكلامَ الجامعَ من خصائصهم أو انّ فيه الغنيةَ للأدب ، وقد تَحَدَّثَ صديقي العلاّمة الأستاذ عاشور عن ذلك في ذيل قصة (عبره بك) وأتى بشواهد كثيرة من هذا الديوان اقتطفها في ساعة اطلاع ، ومع ذلك ففيه أمثلة اُخرى كثيرة من هذا القبيل أذكر بعضها هنا للتأمل وللفائدة الدراسية التي يحرص عليهـا طلابُ الأدب .

قال الشاعر :

مَثَلُ الغبيّ اذا غدوتَ دليلَه مَثَلُ الضريرِ اذااستحال بصيرَا
فكلاهما يجد الظلامَ نصيرَه ويعاف من سُبُلِ الضياءِ نصيرَا

ونَظمْتُ شِعْري من شُعور عبادتي
(لِلحُسْنِ) ، فهو من (الحياةِ) أجَلُّ !

اَلخيْرُ والشّرُّ توأمـان من خالدِ الـكَوْنِ والزَّمَانِ
تفرُّقَا ظاهراً ولـكنْ تلاقيَا عند كُلِّ آنِ

كلاهُمَا هـادمٌ لِخَلْقٍ وهـادمُ الخلقِ بَعْدُ بانِ
يُنقـحانِ ويُصلحـانِ ويفْحصـانِ ويَهديانِ !

أجيزوا مرَّةً لَوْمي فيومُ فخارِكمْ يَوْمي
وأكرَمُ امّةٍ عرفتْ جلالةَ مجدِهـا القومي
فلا باللّهو تحفظهُ ولا بالتّركِ والنَّوْمِ
ولـكنْ مِنْ تَشَبُّثِهـا تشبُّثَ حافظِ الصَّوْمِ !

هل قيمة الناسِ في مراءٍ وفي مقـالٍ وفي رنينِ
وقد تخلّوا بلا حيـاءٍ عن كلِّ صدقٍ وعن حنينِ ؟!
وقد تمـادَوْا بلا انتهاءٍ تمادي المجرمِ اللعينِ ؟!

جَمَالُ الحياة حياةُ (الجمالِ) وفي الـكونِ ما يُشبع المنطقا
فودِّعْ همومَ الغرام الضّجرِ وناجِ (السَّنا) الباسمَ المُونقا
حياتك أوْلَى بحُسْنِ الخلود أضاءَ الوجودَ ولن يخلقـا

أقولُ الحقَّ مغتبطًا ولو أدَّى الى الغرْمِ
وقولُ الحقِّ قد يُصْمي ونَشْرُ الحقِّ قد يُدْمِي !

شمٌ الخلالِ وديعـةٌ وكـريمةٌ
مِثْلُ الجبالِ اذا انحدرْنَ سهُولاَ !

مِثْلُ (الطبيعةِ) في تبسُّطِ لُطفِها
نشرتْ على بُسُطِ المُرُوجِ غسولا[1]

وما دام جُرْمُ (الأرض) يحفظ «نوعَنا»
فلسنا وإنْ مُتْنا بِعَين صحب الموْتا!
تُصانُ بها أشلاؤنا ونفوسنا
موزَّعةً فيها، منوَّعةً شتّى
وما الموتُ الاَّ في الفناء لأرضنا
فان دامتْ الدّنيا فما غُبِن الموْتى!

لِيَرْضَ النَّاسُ ما شاءوا من الأديانِ والعِلْمِ
ولكنْ في تَجَرُّدِهمْ مِن الآدابِ والحَزْمِ
نَذِيرُ اليُتْمِ يتبَعُهُمْ وأوَّلُ مَظْهَرِ الضَّيْمِ

مُحَالٌ أن يُساد مآلُ شعبٍ به حُكْمُ العقيدةِ ما يَسُودُ
وما مَوْتى اليقينِ وإنْ تولَّوْا بمَوْتَى، فالمآثرَ ما تَقُودُ

وإنِّي الرَّجل الحاني على وَطني فانّه صُورتي الكبرى ووجدانُ
وأفتديهِ بروحي مِنْ محبّتهِ فانّ قلبي بهذا الحُبِّ ملآن

---

(١) الغسول نبات مزهر كثير التبسط، قرمزي الزهر او بنفسجيه .

لكنَّ غاية أحلامي وإنْ بعدتْ
أن يشمل الارضَ باسم (الحبِّ) سلطانُ
وأن أُغالِبَ ما يُوحي الضلال به
الناس حيث جُموع الناس عُميانُ
عقيدةٌ لستُ أدري كيف يُصغرها
مَنْ يدّعي أنّه سامٍ وانسانُ!

فانَّ الجسمَ للعقل المُعلّى كدارٍ لن يُصاحبَها الخلودُ
وأمّا المرءُ فهو قرينُ فِكرٍ يزيد بقاءه الأَمدُ المديدُ
ونِعمَ الفِكرُ إنْ ضحّى بجِسْمٍ ولم تُرهِبْ جلالته الأُسودُ

إنَّ الممالكَ تحيا من ثقافتها ولا تعيشُ بحدِّ الصارم القاني
وللشعوب مقالٌ دون سامنها يدعو الى الحُبِّ لا يدعو لعدوانِ
العلمُ يُرشدها والفنُّ يُسعدُها ومجدها رفعُ عرفانٍ بعرفانِ

تَبقَى المآثِرُ في جلالتها بينا المثَالِبُ حولَها صرعَى
ليس التحاسُدُ ما يُحقِّرها أقسى التحاسُدِ زادها رفعا!

ولَكَمْ تَحكَّمَ جاهلٌ أو عابثٌ ومن المصائبِ أن نُطيع كليلا

و(الجهلُ)في دستِ الزعامةِ نكبةٌ   لا تنمحي عُذراً ولا تأويلا

ما أجملَ الشُّورى ، ولكن أهلها   أهل الرجاحةِ لا جموعُ رجال
ليسوا بعدٍّ بل بقيمتهم هُدًى   وبما لهُمْ من نبلِ رأيٍ عال
والفخر كلُّ الفخر في يومٍ به   تغدو العقولُ معاقلَ الآمالِ

ليس الأديبُ فتى يراعتهِ   والخالبَ الألباب والسَّمْعا
بل مَنْ يُخلّد في براعتهِ   مجداً ، ويُورث قومَه النَّفْعا
ويكون عنوانَ الحياةِ كما   ترضى الفضيلة عنـه إذ يُدْعى

وما الحياة سوى حُبٍّ ندينُ له
بالسعي والجهـدِ والاسعادِ والمِنَنِ
فانْ مضى الحبُّ في تحقيرِ مَطْلَعِهِ
فما غنيُّ الورَى في البُعدِ عنه غني !

إنّ الرّجاءَ لأُمّةٍ [١] لا ينتهي   جُهْدٌ لها إلاّ ويُبعَثُ قائدُ !

لاخيْرَ في أدَبٍ لمن لم يتّخذْ   منْ طبْعِهِ طَبْعاً ومنهُ أُصُولاَ

وأبْلَغُ الحِسِّ في تقديرِ مفْخَرَةٍ   حِسٌّ يردّدُهُ للدّهرِ شبّانُ

---

(١) اي واف لامة . . .

ليستْ صُروفُ الرَّدى تكفي لِسَحْقِ العظيم
لـكنّما يأســــه يُودي به كالهشيمْ !

ليستْ الألحانُ منْ حَنْجَرَةٍ بل حياةٌ عُمْرُها كالأبَدِ !
نُنصِتُ الدُّنيا لها كاسبةً مِثْلَ كَسْبي من معاني الرَّغَدِ !
وَتفيني مِنْ شِفَاء قَبْلَ ما
أشْتَفي مِنْ فَضْلِ طِبٍّ في يدي !

الشَّعْبُ في غفلةٍ عن فنِّهِ كغَنيّ كَزِّ اليدين غريبٌ عنه إحسانُ
كلاهما في ظلامٍ لا يُحِسُّ بهِ لكنَّ عقباهُ إشقاء وحرمانُ
إنَّ الفنونَ غذاء للنُّفُوس، وكم تَصِحُّ بعد نفوسِ الناسِ أبدانُ
والنّابهُ الفحلُ في شعبٍ يُضيِّعهُ مثلُ اللواء بَعيدٌ عنه شجعانُ
هذا يُضَلِّلُ مخذولاً بعِشْوَتهِ وذاكَ أهونُ ما يرجوه خذلانُ !

في خطاب سعد باشا بذكرى ١٣ نوفمبر :

(النيلُ) عُدَّ أباً لمصر و(سَعْدُها) عُدَّ الكفيلَ لها على الأيامِ
عَلَمُ البطولة والجهادِ : حياتهُ أبقى وأثمنُ مِنْ عُلَى (الأهرامِ)

إيهاً أبا الأحرار يَوْمُكَ فَخْرُهُ ما كان مفتقراً الى الأعلامِ

سِيَرُ البُطُولةِ شِعْرُها آثارها
وهَوَى البُنُوَّةِ ليس عذبَ كَلاَمِ

إنّا بعَصْرٍ نورُهُ في حكمةٍ ولهُ مِنْ العقلِ السَّليمِ نجارُ
وَجميعُ ما يأباهُ عِلمٌ سَيِّدٌ زُورٌ ، وغايةُ أمرهِ أوزارُ

المرأةُ عنوانُ الرَّجل كالزهرةِ للنبتِ الحالي
تبقى مرآةَ حقيقتهِ وضمانَ الخُلْدِ لاجيالِ
وتجودُ بشهدٍ منتهَبٍ للكونِ وسِحْرٍ فعّالِ
فاذا امتُهِنَتْ واذا شقيتْ شقيا بذبولِ الآمالِ

فانّ حياةَ الوَغَى في سِباقٍ الى الشرّ موتٌ قبيحٌ لِزَامْ

العِلْمُ (للاسلامِ) منْ جنَباتهِ ما فيه منبوذٌ ولا مختَارُ
فجميعُ ماتُوحي الحضارةُ باسمهِ رُكنٌ من الاسلامِ لا يَنهارُ
والمسلمون هم الذين تآزروا في الصالحاتِ وللمفاخر سارُوا

مَنْ يرومُ الحياةَ ان يعدمَ العَيْـ
شَ ، ومَنْ خاف ماتَ موتَ المهانَهْ !

لا يرفع المُعْتَلِي الاَّ عُلَى نَفْسِهِ
فانْ هَوَى مِنْ عَلٍ فالموتُ في يأسِهِ !

تحيا الشعوبُ على الكرامةِ إنْ غدتْ
تَرْعَى كرامةَ مَجْدِها وتَغَارُ
والجاحدون لعصرِهم فما لهُم يد الهوانِ مصائبٌ ودمارُ

ومن المدامع ظاهرٌ ومُحجَّبٌ ما كُلُّ وَجْهٍ نائحٍ مبلولاَ
تجري الدموعُ الخافياتُ بخاطري وبكل احساسي هوًى مبذولا
وتفيضُ مِنْ قلمي فأنظم هكذا هذا النظمَ عواطفاً متبولاَ

ما الخَلْقُ ؟ ما هذه الدنيا ومَنْشَؤُها ؟
ما الفِكْرُ ؟ ما الجَوْهَرُ الباقي ؟ وما العَدَم ؟
مسائلٌ هي للأحقابِ باقيةٌ كما سيبقى الرَّدى والشكُّ والألَمُ
أجَلْ فَرْضٍ لها وَهْمٌ ، وأيسرُهُ
وَهْمٌ ، وقد يستوي الدهماء والعَلَمُ !

أرني (الخلودَ) .... وما (الخلودُ) بدائمٍ
في صُورةٍ بل يتبع التعديلاَ
ما بين ايمانٍ به وبضده كم نتعب التفسيرَ والتعليلا !

أرني وأبكي ، والأنامُ جميعهم
كالنبت يهضمهُ الزمانُ أكولاَ
الفيلسوفُ كجاهلٍ ، وكلاهما
يَفْنَى ، وما عرف (المماتُ) ذهولاَ !

هكذا زورةُ (الرَّبيع) أفانيـ ـنُ حياةٍ ورحمةٍ وابتسامهْ
حُسْنهُ طَبْعُهُ السفُورُ ... فهل تُغْـ ـضِي اذا الُحسْنُ صار يأْبَى الثَّامهْ ؟!

إنّي الصغيرُ وانّما أدَبي منظومُ ما تزْهَى به رَأْسي
مِنْ نورِ انسانِي ومن تَعَبي
بَحْثاً ، ومِن غَرْسي ومن قَبْسي
أرضَى (الطبيعةَ) حاكماً عدِلا
جنبَ (الحِجَى) وعُلَى بني جنسي
و (عوالماً) ناجيتُها طَرِباً ونظمتُ ما أوْحَتهُ في همْسٍ!
وَعَدَدْتُ نفسي بعضها ، فأنا حيٌّ بها في العيشِ والرَّمْسِ!

إنّا بعهدٍ غدا نفعُ الانام به أدْنَى من الفخرِ والانسابِ لله

للناس في « الرأي الاصحّ » خرافةٌ

محبوكةُ الأوهـامِ للأوهـامِ

هو ما يُرَدَّدُ ، حينما ترديدهُ خاوٍ من الأصداء والأحلامِ

(عُمَرٌ) يقول و(بَكْرُ) يذكر قوله

كمَقالِهِ و(بخيتُ) بوقُ كلامِ

حتى يجيئك (خالدٌ) بهرائهم

لتراهُ أنتَ نهـايةَ الأحكامِ!

انّ الشهيـدَ مُضرَّجاً بدمائه فوق الأثيم بدا عليهِ الغارُ !

المرأةُ الحاكمُ الغلاّبُ في عِظَمٍ فان تهن فمصيرُ الشعب الاحن

فـا لغير سواها دان غابرهُ وإنْ بنا في غدٍ مَجْداً لها يدنِ

أجمِلْ بها فتنةً غناء سـامية تردّ عنه عوادي الدّهر والفِتَنِ!

والشعبُ لن يَرْقى الى آمالهِ إنْ روَّعتَهْ بطعنها الأقدارُ

ومِنَ المصائبِ قوّةٌ وجلادةٌ ومن المصائب للأباة فخارُ

ومع التماسكِ في الـكوارثِ رحمةٌ

كالصلْبِ رُدَّتْ عن حِماهُ النّارُ !

غُمَمُ الحوادثِ لن تدومَ وانما   يبقى الحجى والعَزْمُ والاوطارُ

ليتني ماخُلِقتُ في الناس حتى   لا أرى غايةَ (العظائم) موتا!
و (الجنانَ) الذي تألقَ وحياً   بين عُمْرٍ مقيَّدٍ ليس يحْيا!

و (البنانَ) الذي ينضِّد دُرّا
زينةَ (الفكر) ليس يشغل فكرا!

و (الحكيمَ) الذي يناضل جيلا
ناصرَ (العقلِ) قد تردَّى قتيلا!

قتلتهُ (الأيامُ) رغمَ انتباهِ   رغم طبٍّ ورغم مال وجاهِ

وتركنا نرى (الحياةَ) السخافهْ
ونرى (الموتَ) بعدها كالخرافهْ!

مَنْ عاش عيشة مفتون بقوّته
ينبثّ من عصفِ أحقادٍ له ضَرَمُ
سيّان والقائدُ الخدّاع أمته
كلاهما عابثاً أوْلى به العدَمُ!

ومع اليقين رَباحُ كلّ كرامةٍ
ومع التشكّكِ والبُكاء خسارُ

وذخيرةُ الأُمَمِ المباديءُ حينما
أُمَمٌ تُساءُ بيأسِها وتُضارُ (١)

يا أيها الناسُ اتقوا ربكم يا ايها الناس احفلوا بالحياة
أصغرتم العقلَ بأوهامكم واخترتم الوهمَ لدينِ الالٰه
والدينُ ما كان سوى سعيكم للخيرِ لا ذُلاً لهذي الجباه
من عاش في دنياه أعمى الحجى لم يغنمْ الدنيا ولا منتهاه !

والعلمُ ليسَ لهُ حدود ممالكٍ لا يرتجى داراً ولا دِيارا
كالدينِ حُرْمَتُهُ ولكنْ حظّهُ أغنى وأوفرُ نِعْمَةً ويسارا
خضعتْ له الأُممُ الكبارُ وسُوّدَت
أُمَمٌ به كانت تُعَدُّ صغارا

أعودُ اليكِ أستشفي مراراً وقد يغلو الطّبيبُ اذا استطبّا
ولكني العليمُ بسرّ دائي
خُلقتُ لكيْ أُحب وكيْ أُحبّا !

لكنّما العزّةُ الشمّاءُ باقيةٌ للعبقرية في ذكرٍ ونسيانِ

---

(١) مخففة من تضار بتشديد الراء.

جَلالها فوق شاراتٍ وأوسمةٍ ولا تَدين لسلطانٍ بسلطانِ

الكونُ مَسْرَحُها ، والفن ينفحُها

برتبةِ الخُلدِ لاشارات بُهتانِ !

تُرْعى بحرمةِ إجلالٍ لنعمتها برًّا بفكرٍ وتكويناً لوجدان

وكم منازل للجُهال قد خُلقتْ جهلاً لترعى كما تُرْعى لأوثانِ !

والحسنُ ما لم يكنْ بالحبِّ مجتمعاً

فلن يكون على الوجدان سلطانا

الشاعر الفنيّ يُنْ هلُ مِن حنانٍ لا يغيبْ

في رُوحِهِ وَحْيُ الجما لِ وَوَحْيُهُ روحٌ أذيبْ !

والنجمُ لو يَفقَهُ الرائون نشأته

خرُّوا له سُجَّداً من ثورة العجبِ !

وكم لبيبٍ جهول سِرَّ قوتهِ في نظرةٍ منه لم يُنصفْ ولم يُصبِ

واليأسُ أقبحُ من موتِ الزؤوم ، فكم

يستعبدُ اليأسُ ما قد عزَّ من فِطنِ !

ليست أنانيةُ الحياة جميلةً كلا ولا عجزُ الضريرِ الواني
واذا تأملتَ الخلافَ وجدتَهُ بحوي بذورَ الحقّ للانسانِ

قد مضى الوهمُ مقتولاً بلا ندمٍ
وقد غدا العقلُ منصوراً على الحسبِ
إنّا لفي زمنٍ حصنُ اليقين به
هو الملاذُ لدى الأخطار والنوَبِ
ولن يُذالَ عظيمٌ في مآثرهِ
مهما تقلّبَ دهرٌ أيَّ مُنقلَبِ !

لا رُوحَ في أدبٍ يعيش بغابرٍ
ويَتيهُ مزهوّاً بحسٍّ كاذبِ
والعلمُ والأدبُ الصميمُ كلاهما
معنى من الكونِ العظيمِ الجاذبِ

وكم تسمو العُروشُ بلا ملوكٍ فتغنى دُونَ ملكٍ للّبيبِ
وليس الخلدُ ما يُشرَى بمالٍ ولكن غايةُ العقلِ النجيبِ

تبسَّمْ للحيــاةِ وكن سَبوحاً على غمراتها مثلَ (السقيِّ)(١)

وكُنْ (كاللوتس) (٢) الضَّاحي هنيئاً

وإنْ لم يَنَمْ في ماءٍ تقيٍّ

تعوَّد حظَّه وأضاءَ زَهراً وعاش بنعمةِ الحرِّ التقيِّ

فتعشقُهُ العيونُ بلا سكونٍ(٣)

ويقنعُ بالحنين المشرقيِّ(٤)

وما سِرُّ الحياةِ سوى احتمالٍ ســواءٌ للهنيِّ وللشقيِّ

لا تحسبنْ اذا تردَّدَتِ المُنى لهواً عليك بأنك الفعَّالُ

إن القديرَ هو المجدُّ ويكتفي بالنقد ذاك العاجزُ المكسالُ

شتَّانَ بين أسيرِ حُلْمٍ خاذلٍ ومحرِّرٍ أحلامُه الأعمالُ !

---

(١) السقي : هو نبات البردي المعروف (Papyrus) . قال امرؤ القيس في معلقته :

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل

(٢) اللوتس : النيلوفر .

(٣) سكون : انقطاع .

(٤) اشارة الى شروق الشمس .

الشِّعْرُ بالحسِّ السَّرِيِّ النائي

أبدا يُفتِّش عن خفيٍّ سعادةٍ

ويطوف في الدُّنيا طوافَ ضياءِ !

ويُصوِّرُ الأشياءَ مِنْ أصباغهِ

تصويرَ ما تلقاهُ في الأشياءِ

ويلقِّنُ الإحسانَ في آياته وروائعَ العلماءِ والحكماءِ

ويبثُّ من أسمى الشعور مُسدَّداً

يَرْمي جيوشَ الظُّلْمِ والجهلاءِ

فلكم بيانُ (العرب) انْ شئتُمْ ولي

هذا البيانُ الحُسْنُ فهو رجائي

فنّي الذي يوحيهِ ذوقي والذي لبّى به الأدبُ الحديثُ ندائي

فبكلِّ لفظٍ مَشْرِقٌ لعواطفي وبكلِّ معنًى لي نجومُ سماءِ !

قَلْبِي الخفُوقُ مُصاحِباً أنفاس

شِعْرِي ،وما شِعْرِي سوَى إحساسي

هُوَ مِنْ أنفاسي وفي مَجْرَى دَمي

كالحبِّ ، فاتَّحَدا مع الأنفاسِ !

مَنْ عاش في أسْرِ التَّصنّعِ هازئاً
بالنّاسِ لم يغنمْ أقلَّ جلالِ
تفنى الصغائرُ ، والعظائمُ وحدَها
تبقى برغمِ دسائسٍ وضلالِ
ومآلُ هذي الأرضِ حُسْنٌ دائبٌ
ومآلُ شرِّ الأرضِ شرُّ مآلِ

اذا جاء (باخوسُ) العظيمُ مبشراً
بأُنسي متى طأطأتُ في رِحيلٍ رأسي
فاني أردُّ الكأسَ غيرَ هنيئةٍ
فما لذَّتي في الكأسِ إنْ صغرتْ نفسي

يكاد يُعَدُّ مع الأنبياء ْ رجالُ العُلومِ وأهلُ الذكاءْ
ففي كُلِّ يومٍ لهم بِدْعة تهزُّ الثّرى وتُناجي السَّماءْ !

ولكنْ أوْفى الورى للورَى
وأوْلى الورَى بالعُلَى والرجاءْ
عظامٌ يصونون خُلْقَ الأنامِ
ويُحيون فيهم معاني الإخاءْ

إنْ عُدّتْ الحَرْبُ جُرْماً والسّجونُ ردًى
فضَيْعَةُ الفِكرِ أنكى في مَدَى التُّهَمِ !

الخُلقُ بنيانُ مَجْدٍ — الخُلقُ شيءٌ عظيمُ
تَمضِي شعُوبٌ ، ويَبقَى — بالخُلقِ شعْبٌ قويمُ
الضّعْفُ ذُلٌّ ، ولكنْ — الجُبْنُ موتٌ ذميمُ
ليس الفخارُ بفرْدٍ — إنّ الفخارَ العَميمُ

اذا تذكّرْتَ نُبْلَ جُرْحٍ — لفارسِ الكَرِّ والنّزالِ
فرُبَّ فَقْرٍ حكاهُ نُبْلاً — لِمُحْسِنٍ باذخِ الفِعالِ

خيرٌ لمثليَ أن يُنْسَى اذا اقترنتْ
ذكراه بالحقدِ حيثُ الحقدُ ما أتَمُها

إنْ لم أعشْ لجمالِ الحُبِّ في عِظمي
فلا سموتُ بنفسٍ ضاع أكرُمها

فمظاهرُ الدّنيا اذا هي عُولِجتْ
لم تُلفَ غيرَ عوارضٍ ومظاهرِ

عَرِيَتْ عن الحُسْنِ الأجلِّ وإنْ بدتْ
حسناءَ للفرِّ المجهولِ الخائرِ

ما النَّاسُ بين مُلوكِهم وجُموعهم
الأ مثال تحوُّلٍ لعناصرٍ !

دَيْنُ الفناءِ من الزمانِ مُصاحِبٌ
لجميعهم ، وجميعُهُمْ لتناحُرِ

والأَسْلَمُ الأبقى العقيدةُ ، إنَّها
للنفْسِ أيُّ غِنًى ومجدٍ وافرِ

والشِّعْرُ مِنْ صُوَرِ الحياةِ لخاطري
والحبُّ في حِسِّي كراحِ الكاسِ

فالكاسُ دُونَ الرَّاحِ غيرُ عزيزةٍ
وكذاك خالي النفْسِ بين النَّاسِ !

المِدْفعُ المرهوبُ يصدأُ للبِلَى والعِلْمُ لا يَمْشِي اليه العارُ !
وتزولُ دُولاتُ الفُتوحِ وتنقضي ظُلَمًا ، ويبقى العِلْمُ وهو نَهارُ
وتُرَدِّدُ المِئَناتِ عن حربٍ مضتْ أُمَمٌ لمغنمها الجُدُودُ أغارُوا
بينا حُرُوبُ العِلْمِ تبقى للورى شَرَفًا تَشِعُّ [1] حيالَهُ الأنوارُ

---

(١) تشع : تتفرق .

فؤادُهُ (١) مِلْ الزمانِ،وعمرُهم ... أمدٌ يزيدُ وكوكبٌ دوّارُ
بينا جبابرةُ الحروبِ حياتُهم ... مثلُ الهشيمِ سطتْ عليه النارُ
فردٌ من العلماء فوقَ مقامهم ... جمعاً ، وتعلن حمدَهُ الأدهارُ !

ما العَيْشُ إلاَّ الهوى . واللهوُ جنبَ العبادَهْ
وأنْ يجدَّ الفتى . فيستطيبَ اجتهادَهْ

يصفُ الطبيبُ من العلاجِ أجلَّه ... خطراً عليه لِكي يُغيثَ مريضا
والطبُّ تضحيةٌ ، فانْ هو لم يكنْ ... لم يرتفع شرَفاً وكان مهيضا

مواهبُ الانسانِ مِنْ ميراثِهِ ... مهما تبدّلُ حظَّه الأطوارُ
والجاحدُ الفضلَ الأصيلَ مثالُهُ ... واهي البناءِ مُزَلْزَلاً ينهارُ

عصْرٌ به الجبّارُ مالٌ سيّدٌ ... وتسودُ أرقامَ الوغى الارقامُ !
لِرَنينهِ صوتُ المدافعِ في الوغى ... إنْ شاء ، أو لحفيفهِ الأنغامُ !
لا الحربُ قائمةٌ بغيرِ قوامِهِ ... والسِّلْمُ ليس له سواه قوامُ
والعِلْمُ والدُّنيا بأنفسِ ماوَعتْ ... المالُ سوّاسٌ لها وإمـامُ !

---

(١) اي فؤاد العلم .

أنا من يفتش عن محاسن ناقدي ... فأذيعها كمحاسن الجناني
حبُّ الجمال أراه فوق خصومة ... وأرى الجمالَ موزّع الاحسانِ
وأرى الحقيقة لا تحدُّ فما لنا ... نهوى التعصّبَ في غرورٍ جانٍ ؟!

مَنْ عاش في كنَفِ الجُمودِ فعلمُهُ ... جَهْلٌ ، وليس لِذِهْنِهِ استثمار

إنَّ (السُّبرمانَ[1]) ـ الذي حلمت به
أحلامُنا المستبسلُ المِغوارُ
الدّارسُ الدُّنيا دراسةَ مُبْدِعٍ
لا الأرضُ تكفيهِ ولا الأقمارُ

مرّتْ ملايينُ السنينْ ... والكونُ ما زال الجنينْ
فلمَ التشاؤمُ (والحيا ... ةُ) ما لها الصبحُ المبينْ ؟!
لا خيرَ في أدبٍ يسو ... قُ النّاسَ سَوْقَ اليائسينْ
سُنَنُ (الطبيعة) أن تهيـ ... يءَ للصلاحِ وأن تعينْ

انّ الجذور هي الحياة وان تكنْ
في التّربِ ناميةً بغير تسامِ !

---

(١) هو ، الانسان الاسمى ، الذي حلم به الفيلسوف الألماني نيتشه وتلاميذه .

ومعاهدُ البحثِ الصحيحِ جَلالها   لا المَدْحُ ينصفهُ ولا الإيثارُ
هي مَهْدُ مرجوِّ الحياةِ لقابلٍ   فيهِ يُعَزُّ جَنَاحُهـا الطيَّارُ
هي شُعْلةٌ مخبوءةٌ مِن بَعْضِها   تتناسَخُ الآمالُ والأعمـارُ !
أكرِمْ بمن أبقَوْا كذاكَ سناءَها   وعلى العُقولِ بها كذاكَ أشارُوا !

تناحرَ الناسُ حُباً في الظهورِ وما   نالوا سوى جثةٍ قد رشَّهم دَمُها !
قد شوهوها فماتت من أسنتهم   وعانقوها فلم ينبسْ لهم فَمُها !
وكلهم بين مطعونٍ ومقتتلٍ   كأنَّما غُنْمُهُمْ هذا ومَغْنَمُها !

***

فهذا الشعرُ الخالقي الوجداني ، وهذا الشعر الاجتماعي الأدبي ، وهذا الشعر الفلسفي المطبوع ، مع جودته فناً ومعنًى وخيالاً ولفظاً — وأمثلته كثيرةٌ في الديوان — ليس في نظر صاحبه نفسه المثَلَ الأعلى الذي يتفق والرُّوح الفنيَّة التي يتطلع اليها ! واذنْ فهو يدأب في سبيل تحقيق أمنيته الشريفـة ، حينما معظم المشاهير بيننا يتكالبون على الزَّعامة والشهرة الزائلة التي لافائدة للأدب ذاته من ورائها ، وينظرون اليها كغاية لاكوسيلة نافعة لخدمة الأدب والمجتمع ، ولا يتعففون عن الاساءة الى زملائهم وعن انكار فضلهم، مدفوعين بشهوة هذه الشهرة المرذولة التي لاتخدم النبوغ أقلَّ خدمةٍ .

ولا بدَّ من الاشارة في ختام هذا الاستعراض الى تباين الأذواق في الحكم على الشاعرية ، ولكن اذا اتبعَ حكمُ الناقد الدليلَ العلميَّ الفنيَّ من تقديرٍ معيَّنٍ لمبلغِ القوةِ الفنيةِ والخيال والمعاني وقوة السبك أمكن الوصولُ الى نتيجةٍ منصفةٍ للحقيقة ، وتقاربت بذلك أحكامُ الناقدين بدل التضارب العجيب الذي نقرؤه في كثير من الأحوال . وأقربُ الشواهد على ذلك ما قيل عن الأستاذ عبدالقادر المازني ،فقد اتّهمه كلٌّ من الاستاذين عبد الرحمن شكري وعبد المجيد حلمي بالسرقة وشبَّه شعره الاستاذ حسين شفيق المصري « بالوُحُول في طريق العميان » وقال إن ديوانه « كلّه ركاكةٌ وأغلاط بلا طائلٍ من معنىً حسنٍ أوغرضٍ ذي شأن » ، بينما أطنب فيه أمثالُ الاساتذة عباس محمود العقاد وعبد الرحمن البرقوقي وأحمد شاكر الكرمي وغيرهم ، كما أنشدنا الاستاذ محمود رمزي نظيم :

قد رَوَى [1] (المازنيُّ) غُلَّةَ نفسٍ
ما شفاها مُرُورُ عامٍ فعامِ

---

(١) يقال : روى القوم اي استقى لهم .

وطوى شعرُهُ قريضَ (ابن هاني)

وطوى بعدَه (أبا تمّام) !

واذا بالمازني يعرضُ أمثلةً من شعرِهِ الفنيّ الحقّ [١] ، كما يعرض علينا هذا الشعرَ الوجدانيَّ الرقيقَ في « الوردة الذابلة » :

أرَجٌ كأنفاسِ الحبيـ ـبِ حين تُدْني منكَ فاهَـا
وغلائلٌ بات الغمـا م يجدُّها حتى رواهَـا
ذُبُلَتْ وأخلقَ حُسنُها ياليت شعري ما دهاهَـا؟
روّيتها بدامعي لو كان يُحييها حياهَـا [٢]
وضمَمْتُها ضمّ الحبيـ ـبِ عَسَى يعود لها صِباهَـا
وزفرتُ على زوافري تُجدي فزادتْ في ذواهَـا [٣]
فرميتُها وبرغمِ أنـ ـفي أنّني مَنْ قد رماهَـا
ولو استطعتُ حَنَيْتُ أضـ ـلاعي على ذاوي سناهَـا
وجعلتُ صدري قبرَهَـا وجعلتُ أحشائي ثراهَـا !

وفي رأيي انه من الضروري ـ خدمةً للادب وانصافاً للنبوغ ـ التباعد عن الاسرافِ في الاحكام تجنُّبا لامثالِ هذه

---

(١) راجع القسم الاول من كتاب « مشاهير شعراء العصر » للاستاذ احمد عبيد .
(٢) حياها : مطرها (٣) الزوافر : الضلوع ، يشير الى جهد الضلوع في الزفير وتأثيره الذي يتخيله . وذواها : مصدر وضعي لضرورة النظم من ذوى بمعنى ذبل .

المتناقضات، وتشجيعاً لمن يستحق التشجيع، وصيانةً لحقوقِ الادباء .
وأملي أن تكون صفحاتُ هذا الديوان بما جمعتْ من ذخيرةٍ أدبيةٍ فنّية خيرَ معوانٍ على نشر المبادىء الوطنية والنزعات الانسانية الشريفة ، وتهذيبِ النفوس والاذواق ، والقضاء على التقاليد الرثّة ، وترقية المستوى الشعري في أدبنا المصري الحديث ؟

حسن صالح الجرْاوي





فهرس

تصويبات

صفحة	سطر	خطا	صواب
١١	١١	مشعشات	مشعشعات
٢١	٣	كالحرية	كالحرة
٧٠	١٣	حصوا	خصّوا
٧٢	٤	اضطرّ	اضطر
٧٣	٣	عشر	عشرة
٨٢	١٨	الوطنية	الطبيعة
٩٩	٧	تشبثنا	تشبثها
١١٠	٨	ملفّنة	ملقّنة
١١٩	٧	مُثلَ	مُثلُ
١٤٥	٣	بأأنجم	بأنجم
١٤٥	١٥	الرّوح	الرُوح
١٤٦	١	تخشِي	تخشْي
١٤٧	٣	أفقْ	أفقِ
١٨٤	٢	تهدي	تهدي
١٩١	٥	كالحرّية	كالحرّة
١٩٢	١٥	(٣)	(١)
٢٠٧	٩	أغدا	أترى
٢١٥	١٢	لن	لا
٢٢٠	٣	القمر	لاقمر
٢٢١	١٥	كالور	كالنور
٢٣٣	١١	تحبيه	لتحييه
٢٥٨	٢٠	٥٥	٢٥٥
٢٧٠	١	وُلوع	وَلوع
٢٧١	١٥	حسرةً	حسرةٍ
٢٧٦	٣	الزَنجي	الزُنجي
٢٩٤	٢	تبلغَ	تبلغُ
٢٩٤	٦	افتنان	افتتان
٣٠٢	١٨	لايودان	يودان
٣٠٨	١٦	وُلوعًا	وَلوعًا
٣١٢	١٥	قدمتْ	ندمتْ
٣٣٤	٣	مسيلِ	مسيلَ
٣٣٥	٢	مؤملا	مؤمّلاً
٣٣٦	٣	وَما	وما
٣٧٠	٧	فاخترتْ	فاخترتَ

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٧٢	٧	تحفلَوا	تحفلوا	٥٨٨	١١	عندها	عندنا
٣٩٢	٧	وأيِ	أيّ	٥٩٨	٢	كضُمةِ	كضَمةٍ
٣٩٢	٧	لحاسدِ	حَسَدٌ	٦٠٦	١٠	تلقيَتُ	تلقيْتُ
٤٠٤	٤	ارهاق	ارهاقه	٦٠٩	١٥	تُدين	تَدين
٤٠٩	٩	كتمانُ	كتمانه	٦١٢	١٥	أميتُ	أميتَ
٤١٢	٢	يكفرُّ	يكفرَ	٦٢٣	٤	إسرنجَ	صرنج
٤١٧	٢	رـعده	وبعده	٦٢٦	١٤	بحاول	يحاوَل
٤٣٧	٧	الشفوف	الشغوف	٦٢٩	٦	تحدّثه	تحدّثه
٤٣٩	٧	وسيرةٍ	وسيرةً	٦٢٩	١١	المستحَثّ	المستحِثّ
٤٤٤	٤	يغنيه	يُغنيهِ	٦٤٨	١٥	دِينٌ	دَيْنٌ
٤٧٨	٢	المجر	المَحجرُ	٦٦٢	١٥	حلمُنا	حلَمنا
٤٧٨	٨	ينَعَمُ	يُنعِمُ	٦٦٣	٨	السّحرُ	السّحرِ
٤٨٢	٨	لآسر	الآمر	٦٦٧	١٠	عرفانَ	عرفانِ
٤٩١	٩	بُرضي	يَرْضي	٧١٠	٥	حولِها	حولَها
٥٠٢	١	قذرهُ	قَدْرَهُ	٧١٢	٤	مضرّجٌ	مضرّجاً
٥١٨	١٠	خدعَتك	خدَعتكَ	٧١٣	١٤	زعيمم	زعيمهم
٥٧٤	٥	صفوُكَ	صفوِكَ	٧٢٠	٥	تلَقِ	يلفَ
٥٨٤	٣	تصف	بمنتصف	٧٢٠	١١	بينما	حينما

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٣٧	١٢	فعدراً	فعذراً
٧٣٨	٤	فواتُ	فواتَ
٧٤٠	٥	انكلتر	انكلترا
٧٤٣	٤	تعترر	تفترر
٧٤٨	٩	خذو	خذوا
٧٥٠	٣	ءذي	أذى
٧٦٢	٤	جارياتُ	جارياتِ
٧٦٢	٥	يحمِّل	يحمس
٧٦٢	٧	جواهرَ	جواهرُ
٧٦٧	٣	الدكر	الذكر
٧٦٧	١٣	جد	تمجدٍ
٧٨٠	٨	طلعا	تطلعاً
٧٨١	٣	عد	يعتدّ
٧٩٢	١٢	اليوم	واليوم
٨٠٣	١١	الخفاء ؟	الخفاء !
٨٠٦	١	فاز	فاتني
٧١٦	١٢	جبينكِ	جبينكَ
٨٤٢	١٦	شفـ	شفي
٨٤٨	٩	ووجدُه	ووجدِه
٨٥٠	٩	انا	إنّما
٨٥٦	١٣	ڤينوسَ	ڤينوسُ
٨٦١	٣	حيت	حيث
٨٦٨	٨	إنّ ،	، إنّ
٨٨٤	٩	المنفض	المنفّص
٩٠٤	١	تقتبس	تقبس
٩٢٦	١٣	القرية	والقرية
٩٥٢	٧	نجم	النجم
٩٥٥	٨	حسرةِ	حسرةٍ
٩٦١	٧	الفتيل	القتيل
٩٦٣	١٣	وثقتهم	أوثقتهم
٩٦٨	١٤	الجميعَ	الجميعِ
٩٦٨	١٤	ربّ	ربِ
٩٧٤	٣	أعلمُ	أعلمْ
٩٧٤	٤	تربا	ترباً

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩٨٢		(شرح كلمة «عيار» متعلق ببيت سقط خطأ أثناء الجمع وقد ضاع الأصل للأسف)		١١٥١	١٥	الحكة أو	الحكمة الانسانية أو
١٠٠٠	١٠	عالة	عالةً	١١٥١	١٥	وعثراتها الانسانية	وعثراتها
١٠٠٢	١٠	Coutinuous	Continuous	١١٦٩	١٦	أمْرِه	أمْرِه
١٠١٠	١٠	مرهوبُ	مرهوبِ	١١٨٠	٤	اقله	لقلة
١٠٣٢	١٥	فَطِبْتُ	فطِبْتُ	١١٨٦	١٠	Rubert	Rupert
١٠٣٩	٢	مغنمه	مغنمها	٨٣٣	٣	الأجيال	الآجال
١٠٥٢	٦	كأنا	كأنما	١١٩١	٣	مادة	قادة
١٠٥٢	١٤	خذلان	خِذلان	١١٩٨	٨	ienthroned	'enthroned
١٠٦٢	٨	لقدكَ	لقدكِ	١٢٠٣	١٢	bist	best
١٠٧٩	٢	المستعزَ	المستعزُ	١٢٠٧	١٨	المجالية	المتجلّيه
١٠٩٠	٤	therong	the throng	١٢٤٤	١٤	عادة	غادة
١٠٩٣	١٣	حداها	إحداها	١٢٤٥	١٥	نَعَدُه	نعدُه
١٠٩٣	١٥	وريبيديس	يوريبيدس	١٢٤٦	١٣	متحيّزة	غير متحيّزة
١٠٩٥	١٠	أن	أنا	١٢٥٤	٤	الذهبي	الذّهني
١١٠٠	١٣	الخِصمين	الَخصمين	١٢٥٨	١٤	مزاحه	مزاجه
١١١٠	١٦	ساقنا	سامنا	١٢٦١	١٣	شاعرٌ عربي	شاعرٍ عربي
١١٤٤	١٦	سايرها	وسايرها	١٢٦٨	١٠	نه	أنه
١١٤٦	١٧	عرت	عفرَتْ	١٢٦٨	٢٣	رلات	زلات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٧٠	١٨	الناضخة	الناضجة
١٢٣٢	١٥	جنيها	جنبها
١٢٧٧	٢٠	هذا	هنا
١٢٧٩	١٤	بالات المعرفة	بآلاته المعروفة
١٢٩٥	١	آثارَها	آثارُها
١٢٩٨	١٣	المصائب للاباة	المصاعب للاباة
١٣٠٧	٧	الأقى	الأبقى
١٣٠٧	١٢	حالي	خالي
١٣١٦	٤	الحبُّ	الحبّ
١٣٢٨	١٧	١٩٠٨	١٠٩٨



(تحت الطبع)

ديوان

وحي العام

(الجزء الاول)

يتَضمَّن هذا التأليفُ الكبير مانظمه أبو شادي بعد جمع ديوان (الشفق الباكي) ، وفي نيته إصدارُه أجزاء متلاحقة ، يُمثِّل كلُّ جزء منها مجموعةَ شعرِهِ في عامٍ كاملٍ . ويُطلب عند صدوره من المطبعة السلفية ومن المكاتب الشهيرة .



تنبيه

كانت النيةُ منصرفةً الى اصدار هذا الديوان في جزأين ، ثم آثر الناشرُ إظهارَهُ في مجلدٍ كبيرٍ شامل ، ولذلك ضمَّ اليه ما جَمَعَهُ من قصائد ومقاطيع حتى نهاية يولية سنة ١٩٢٧ م . مُختَتَماً برثاء وتأبين فقيد العلم والأدب المغفور له الدكتور يعقوب صَرُّوف محرر (المقتطف) .

ثمن العدد

عشرون قرشاً مصريا عدا اجرة البريد .





Bibliotheca Alexandrina
04427656